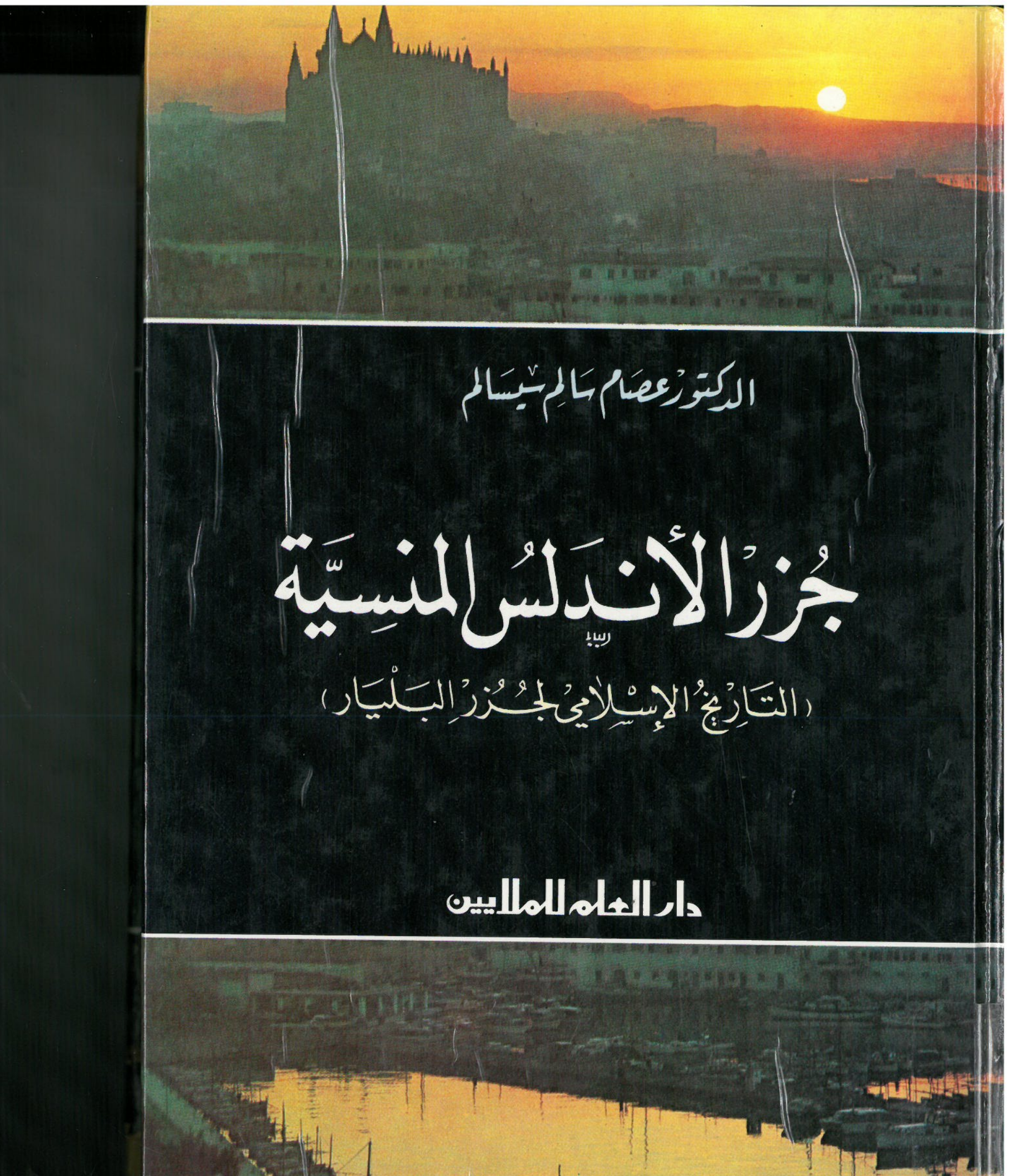

الدكتور عصام سالم سيسالم
جُزُر الأندلُس المنسِيَّة
(التارِيخُ الإسلامي لجُزُرِ البَلْيار)
دار العلم للملايين

الدكتور عصام سالم سيسالم

جزر الأندلس المنسيّة

(التاريخ الإسلامي لجزر البليار)

٨٩ - ٦٨٥هـ = ٧٠٨ - ١٢٨٧م

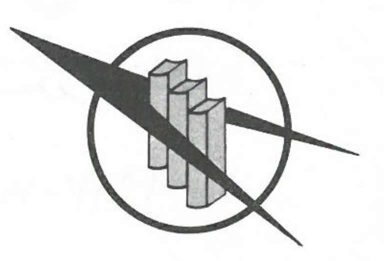
دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقياً : ملايين - تلكس : ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي • وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي • وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي • يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

صدق الله العظيم

سورة طٰه

(آية ٢٥ - ٢٨)

الإهـداء

أُهدي هذه الصحائف إلىٰ شهداء البحرية الإسلامية عبر العصور الذين جاهدوا وصابروا لينالوا إحدى الحسنيين، ورفعوا مجد الإسلام عالياً فوق البحار عبر العصور.

وبشر بهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً علىٰ الأسرة..».

صدق رسول الله

نوعٌ من التقديم

جزر الباليار، هذه الزمردات الخضراء المنثورة في قلب الحوض الغربي للبحر المتوسط.. من ذا الذي يذكرها؟

يذكرها اليوم الشماليون الذين يهبطون في الصيف كالطيور المهاجرة على شواطئها للعري والشمس وإغراق الذات في الموج الهادىء والصاخب.

يذكرها اليوم الدولة الاسبانية بوصفها بعض الجزر التابعة للبر الاسباني وللدولة.

تذكرها اليوم خرائط الطيران والملاحة وهي ترسم الطرق المتصالبة المتقاطعة بين الجزائر وفرنسا من جهة وبين إيطاليا واسبانيا من جهة أخرى.....

يذكرها مؤرخو العصور الوسطى والصليبيات في أوروبا نقطة مضيئة في تاريخهم.

يذكرها المليونيرات أصحاب القصور المزروعة في خضرة الجبال. يذكرها الكثيرون من أهل اللهو والمتعة.....

أما العرب المسلمون فيجهلون حتى وجودها. ومع أنها جزء ضخم من تاريخ الأندلس، فمؤرخو الأندلس من العرب لا يكادون يلمون بشيء من أمرها إلا عبوراً ومن بعيد.... أعينهم المشدودة إلى قرطبة وغرناطة وإشبيلية، إلى أرض الأندلس الأصلية لا تكاد تلتفت إلى ما وراء البحر ولا تكاد ترى، عبر الأمواج الممدودة وراء الساحل الشرقي تلك النقاط الاستراتيجية الرائعة جمالاً ومكاناً والتي صنعت مجد الأندلس البحري.... أو على الأقل صنعت الجانب الهام المشرق منه في البحر المتوسط الغربي وكانت تسيطر (خلال بعض القرون) على البحر وتجارته وقواه والأشرعة ما بين تونس ومرسية وكورسيكا وجبل القلال....

أعرفت جبل القلال؟ إنه الشاطىء اللازوردي الذي ترقص فيه وتنام اليوم جنات نيس وكانّ ومونت كارلو.... وما ضمت!

هذه الدراسة جاءت تلقي الأضواء على هذه الجزر وعلى هذا الجانب المظلم. جاءت تكتشف جزر الأندلس المنسية. ومع أن جزر الباليار لم تحظ من مؤرخينا القدامى ولا من مؤرخينا الأواخر إلا بالأسطر العابرة وباللمحات الموزعة هنا وهناك فقد جاءت هذه الدراسة ضخمة ضخمة ولو أطلق صاحبها العنان لقلمه ومعلوماته لجاءت أضخم وأضخم... لأول مرة يقام هذا البناء التاريخي الواسع والمكمل للملحمة الأندلسية.

ولأول مرة يجتمع ذلك الفتات المتفرق بين مئات المصادر العربية والأجنبية من إنكليزية وفرنسية ولاتينية وإسبانية في تكوين تاريخي متكامل يحكي القصة الإسلامية لتلك الزمردات الخضراء المنسية: جزر الباليار. إن هذه الدراسة تستند إلى قرابة /٢٦٠/ مصدراً ومرجعاً في مختلف اللغات. بالإضافة إلى محفوظات ووثائق وأرشيف جزر الباليار نفسها وإلى آثارها الإسلامية الباقية.

قد أجازف، كل المجازفة، لو حاولت أن أدلك على المواضع الهامة في هذه الدراسة التي رافقتها خطوة خطوة، ورحلت من أجلها، بل من أجل المزيد من المعرفة عنها، إلى جزر البليار نفسها ومكثت فيها شهراً وبعض الشهر أرى وأعيش ذلك التاريخ المنسي وأرجع مع المؤلف، إلى الوثائق العربية المخطوطة هناك والمصادر الأولى....

قد أجازف لو حاولت أن ألخص ما استطاع المؤلف إضافته من جديد إلى تاريخ الأندلس ولقد أضاف وأضاف. ولكني مع ذلك لا أمنع نفسي أو لا أستطيع منعها من تقدير جهده وقدرته على كشف وتنظيم التاريخ الإسلامي لتلك الجزراعتباراً من المحاولات الإسلامية الأولى لفتح تلك الجزر إلى غزوها الصليبي الأخير. من أهم ما جاء به المؤلف كشفه للدور المجهول الذي قامت به هذه الجزر في النضال ضد القوى الصليبية، لا في المغرب بل في المشرق أيضاً، وكشفه لدورها الحضاري ولدور رجالها الفكري الهام في تاريخ الإسلام.ولقد احتفظ لديه مع ذلك بمئات الصفحات عن هذا الجانب الرائع من ماضي تلك الجزر الإسلامي، مخافة الإطالة لكنا نتمنى عليه لو يبعث بها جزءاً ثانياً إلى عجلات المطبعة، فجديدها المدهش الهام ليس أقل قيمة (ولعله أكثر جدوى) من جديدها الذي كشفه التاريخ السياسي.

ولا أضيف بعد هذا كلمة أخرى لأني لا أريد أن أزيد صفحة إضافية على هذا المجلد الضخم الذي أعرف مسبقاً أنه سيحتل مكانه الخاص في المكتبة الأندلسية.

ولقد أعرف مسبقاً أيضاً أنه سيكون من الصعب أن يزول عن مكانه الخاص هذا في القريب العاجل، نوع من العشق قام بين المؤلف وموضوعه هو الذي سمح لهذا الموضوع أن يأخذ هذا الشكل البنائي الضخم. صارت جزر الباليار حلم الرجل في منامه وهاجسه الملح في أيامه.... وأشك في أن يأتي باحث آخر عن قريب فيحمل لتلك الجزر، ولذلك التاريخ الإسلامي فيها، مثل ذلك العشق العلمي الخلاق....

أتوارى الآن ليدلك الكتاب نفسه على ذلك العشق... العشق الذي خلق. وما أحوج تاريخ هذه الأمة إلى هؤلاء العشاق.

الكويت/كانون الأول سنة ١٩٨٢ م

د. شاكر مصطفى

القِسمُ الأوّل

التّاريخ السِّياسي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

كانت لمحات متناثرة هنا وهناك عن تاريخ المسلمين في جزر البليار هي التي أثارت في نفسي الرغبة في كتابة بحث متكامل عن تاريخ المسلمين السياسي والحضاري في هذه الجزر، خاصة وأن الشواهد العديدة التي تمكنت من الاطلاع عليها منذ البداية كانت تكشف الدور الكبير الذي أسهم فيه أهل هذه الجزر في حركة الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وما كان لهم من دور متميز في الحضارة الإسلامية. في البدء استشرت الأساتذة المتخصصين في هذا المضمار، فكانوا بين مشجع لطرافة هذا الموضوع وجدته، ولضرورة تغطية هذه الفترة الهامة والغامضة من تاريخ المسلمين في مغرب العالم الإسلامي، وبين مثبط مشفق علي لندرة المصادر التي أشارت إلى هذا الموضوع، ولصعوبة كتابة بحث متكامل عن هذه الجزر المجهولة. وكان السؤال الملح علي دائماً هو: هل عثرت على مصادر كافية لتغطية تاريخ هذه الجزر في عهدها الإسلامي؟

في الواقع لم يكن لدي آنذاك تصور متكامل لمضمون هذا البحث، ولم يكن ما عثرت عليه من المعلومات يتجاوز النزر اليسير الذي لا رابطة بينه ولا يشكل إطاراً متكاملاً يشجعني على المضي قدماً دون خوف أو تردد. كان مجرد قطع صغيرة من لوحة فسيفساء جميلة. ولكنها تغري بالبحث والتنقيب عن البقية حتى تتكامل اللوحة الفريدة. وبين مشاعر التثبيط والتشجيع عشت فترة قلق طويلة أتردد حيناً وأندفع حيناً آخر. وقررت حسم الأمر بقراءة ما يمكنني الوصول إليه من مصادر التاريخ الإسلامي التي تمت بصلة إلى هذا الموضوع، بالإضافة إلى المراجع الحديثة التي أشارت إلى تاريخ هذه الجزر في بضع صفحات. وبعد قراءة متواصلة امتدت ستة أشهر متتابعة عثرت من المعلومات على نواة طيبة أخذت تنمو وتكبر بمرور الزمن لتحول الإحجام والتردد إلى إصرار على استكمال هذا البحث. وزادني الإصرار عزيمة. وأثمر الجهد والتحدي وأصبحت القطرات التي كنت أجمعها بصعوبة بين ركام الجلاميد الصخرية نبعاً سيالاً ثم صار بمزيد من الجهد سيلاً متدفقاً.

حين تكاملت صورة البحث في ذهني كتبت مخططاً له اعتمده أستاذي الدكتور المشرف وزودني بتوجيهاته القيمة. وسجل البحث في جامعة الأزهر.

وبدأت مرحلة جديدة من العمل صنفت فيها ما جمعته من المعلومات في بطاقات بوبتها وفقاً لفصول مخطط البحث. وأخذت أجمع المزيد، ولم أترك مصدراً أو مرجعاً تمكنت من التوصل إليه إلا قرأته، وكنت كالصياد يلقي بشبكته فيخفق أحياناً، ويحصل في أحيان أخرى على صيد وفير. حتى اجتمع لي من كل ذلك فيض من المعلومات التاريخية كاد يعجزني جمع أطرافه ودقائقه.

وسافرت إلى جزر البليار مرتين عبر أسبانيا وجمعت معلومات وفيرة كنت أفتقر إليها وحصلت على مصادر أسبانية قيمة قمت بترجمتها جميعاً إلى العربية، كما ترجمت معها عدداً من المصادر الفرنسية والإنجليزية. ويتضح من مصادر هذا البحث ومراجعه ما بذلته من جهد في إعداده على الشكل الذي وصل إليه، والذي يكتب لأول مرة بشكل متكامل. فلعله يصلح أساساً لدراسات إسلامية لتاريخ المسلمين في حوض البحر المتوسط، وأرضاً طيبة للباحثين من بعدي مما يثري المكتبة الإسلامية بفيض جديد من الأبحاث ويلقي الأضواء على حقب غامضة من تاريخنا الإسلامي المجيد. وما كان لهذا البحث أن يستكمل لولا العون الكريم الذي حصلت عليه من أستاذنا الجليل الدكتور محمود علي مكي الذي لم يأل جهداً في تقديم العون والنصح والإرشاد والتوجيه ومن الدكتور أحمد مختار العبادي الذي وجدت فيه نبعاً فياضاً من المعرفة وكان لتوجيهاته القيمة وإرشاداته أكبر الأثر في إنجاز هذا البحث ومن الدكتور شاكر مصطفى الذي كان بالنسبة إلي الموجه والمرشد والعالم الجليل، فمنه كنت أحصل على المعرفة دون حدود، وعلى التشجيع كلما عانيت من الإحباط، وعلى التوجيهات القيمة كلما احتجت إليها. أما أستاذي الدكتور عبد المقصود محمد نصار فقد أشرف على هذا البحث كله معلومات وفصولاً وتوجيهاً وكسبت من عونه العلمي ونبل رعايته ما لا أنساه.

فلجميع هؤلاء شكري واحترامي وتقديري ومثل ذلك لكل من أسهم في هذا البحث بأي عون.

وعسى أن أكون قد وفقت بعض الشيء في إعطاء هذا البحث حقه من الجهد.

والله ولي التوفيق.

الكويت في: شعبان ١٤٠٢ هـ
يونيو ١٩٨٢ م

عصام ناجي سالم سيسالم

أقسام البحث ومصادره

١ - أقسام البحث وفصوله

قد يفاجأ أساتذتي ويفاجأ كل قارىء لهذه الدراسة بضخامتها بالنسبة لصغر حجم الجزر التي تتحدث عنها. ولكن المفاجأة سوف تكون أكبر دون شك إذا ذكرت أني إنما جعلتها مختصرة وبخاصة في جانبها الحضاري بعد أن اتسع عليّ البحث وتراكمت المادة أي تراكم.

لقد جعلت البحث قسمين: الأول في التاريخ السياسي لجزر البليار في العهد الإسلامي والثاني لمعالم الحضارة الإسلامية فيها. فأما القسم الأول فقد مهدت له ببيان شأن هذه الجزر وتاريخها القديم في (لمحات جغرافية تاريخية) ثم وجدت أنها ارتبطت بتاريخ الإسلام في بلاد المغرب والأندلس برباط وثيق طيلة ستة قرون أحاط الغموض بالقرنين الأولين منها، وقد حاولت جاهداً إلقاء الأضواء على هذه المرحلة الغامضة التي كانت بمثابة مقدمات للفتح الذي استغرق قرنين من الزمان وأشرت إلى الغزوات البحرية الإسلامية على هذه الجزر في هذه الفترة وقبول أهلها بالعهد حيناً ونقضه حيناً آخر وكان هذا هو موضوع الفصل الأول من هذه الرسالة.

ثم استقر الفتح سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م. وأصبحت الجزر إقليماً إسلامياً تابعاً لحكومة قرطبة ٢٩٠ - ٤٠٠ هـ = ٩٠٣ - ١٠٠٨ م. ووضحت دورها في عهدها الإسلامي الأول فكان هذا موضوع الفصل الثاني.

وتبع ذلك في الفصل الثالث تاريخ المملكة المجاهدية العامرية في دانية وجزر البليار ٤٠٥ - ٤٦٨ هـ = ١٠١٥ - ١٠٧٦ م. ودور جزر البليار وأبرز أحداثها في هذه المرحلة في عهد كل من مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة.

وكان الفصل الرابع عن تاريخ جزر البليار المستقلة في عهد كل من عبد الله المرتضي ومبشر ابن سليمان ناصر الدولة ٤٦٨ - ٥٠٨ هـ = ١٠٧٦ - ١١١٧ م. وما قام به هذان الأميران من إنجازات وما قامت به جزر البليار في عهدهما من دور بارز في حركة الجهاد البحري والتصدي للغارات الصليبية وما كان أيضاً من استيلاء القوات الصليبية على يابسة وميورقة للمرة الأولى ٥٠٩ هـ = ١١١٧ م. والدفاع المجيد الذي أظهرته قوات الجزيرتين في وجه الغزاة.

وشمل الفصل الخامس تاريخ جزر البليار في عهد المرابطين من لمتونة وأسماء عمالها

٥٠٩ – ٥٤٣ هـ = ١١١٧ – ١١٤٨م. ودور هذه الجزر في عهد المرابطين الأول في التصدي للأساطيل الصليبية.

وشمل الفصل السادس تاريخ جزر البليار في عهد المرابطين من مسوفة ٥٤٣ – ٦٠٠ هـ = ١١٤٨ – ١٢٠٣ م. بني غانية وأسماء أمرائها ودور جزر البليار في عهد كل منهم وحملات هذه الجزر على إفريقية حتى استيلاء الموحدين عليها.

وشمل الفصل السابع والأخير تاريخ جزر البليار في عهد الموحدين والإمارة الحكمية في ميورقة ٦٠٠ – ٦٨٦ هـ = ١٢٠٣ – ١٢٨٧ م. فيه توضيح شامل لعهد الموحدين في هذه الجزر وأسماء عمالهم ودور أميرهم «أبي يحيى محمد بن علي بن موسى بن أبي عمران التملي» في التصدي للحملة الصليبية بقيادة خايمة الفاتح من شوال ٦٢٦ هـ إلى ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٩ سبتمبر ١١٢٩ م إلى ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م ووصف كيفية سقوط جزيرة ميورقة ومصير سكانها وإلقاء الأضواء على المقاومة الشعبية ضد الغزاة طيلة ثلاثة أعوام بقيادة أبي حفص عمر بن سيري وأمثاله من كبار المجاهدين كشعيب، وتقسيم الجزيرة بين الغزاة ووثائق التقسيم العربية واللاتينية وفحوى كل منها. وإلقاء الأضواء على استيلاء القوات الصليبية على جزيرة يابسة ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م. والظروف التي أحاطت بذلك والثورة الشعبية التي قام بها أهلها على الغزاة وكيفية تقسيم الجزيرة بين الغزاة ونصيب كل منهم. وفي خاتمة التاريخ السياسي لهذا البحث تناولت «تاريخ جزيرة منورقة في عهد الأسرة الحكمية ٦٣١ – ٦٨٦ هـ = ١٢٣٣ – ١٢٨٧ م. في عهد كل من سعيد بن حكم بن عثمان في سقوط هذه الجزيرة في يد الفونسو الثالث ملك أرغون ومصير أهلها المفجع وزوال الحكم الإسلامي إلى الأبد من جزر البليار.

ويأتي القسم الثاني من البحث بعد هذا ليعطي بعض الملامح الحضارية الإسلامية لهذه الجزر. ولقد تمنيت لو كان ثمة متسع لتناول جوانب حضارتها في شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية والعمرانية والفنية ولكني اضطررت للاكتفاء بالتركيز على جانب واحد هو الحياة الفكرية وما أسهمت به هذه الجزر في التراث الإسلامي الفكري خاصة مع إلقاء الأضواء على آثارها الإسلامية الباقية حتى اليوم. إن هذا القسم محاولة لاستكمال الصورة السياسية بمقابلها الحضاري فما كانت جزر البليار للقتال فقط والتجارة ولكن للعلم أيضاً وللحضارة الإسلامية الباذخة التي لم تلق عليها الأضواء بعد.

٢ – الجديد في هذه الدراسة

لقد اتبعت التسلسل الزمني في تقسيم البحث فصولاً متتالية مترابطة منذ محاولات الفتح الأولى حتى السقوط الأخير بيد الفرنجة مغطياً بذلك الفترة الإسلامية كلها من تاريخ هذه الجزر والتي امتدت ستة قرون. استعنت بالمصادر المتعددة وبالدراسة الشاملة والمقارنة مع التحليل لكشف

الكثير من الجديد في هذا التاريخ ولتوضيح الكثير من غوامض تاريخ الإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وأسمح لنفسي أن أذكر بعض ذلك الجديد الغامض الذي وجدت فمن ذلك:

١ – تنظيم ثبت متكامل بالمحاولات الإسلامية الأولى لفتح هذه الجزر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

٢ – كشف تاريخها المجهول في السيطرة الإسلامية على الحوض الغربي للبحر المتوسط وبخاصة من خلال المنطقة الجنوبية من فرنسا (جبل القلال).

٣ – تنظيم قائمة كاملة بحكام هذه الجزر في العهود المختلفة فتاريخها الإسلامي اليوم متصل مترابط.

٤ – بيان دورها المجهول في النضال ضد القوى الصليبية لا في الغرب فقط ولكن في معونة المشرق الإسلامي ضد الصليبيات أيضاً.

٥ – كشف دورها الفكري والحضاري في تاريخ الإسلام.

٦ – كشف دقائق الغزو الأراغوني لميورقة وتفاصيل تقسيمها بين الغزاة الصليبيين سنة ٦٢٧ هـ والمقاومة الشعبية اليائسة التي امتدت ثلاثة أعوام بعد ذلك.

٧ – تاريخ الأسرة الحكمية في منورقة حتى انهيارها المفجع أمام الغزو الأراغوني أيضاً سنة ٦٨٦ هـ.

هذا بالاضافة إلى إيضاح العديد من النقاط الغامضة وتحقيق العديد من التواريخ وتصحيح العديد من أخطاء المصادر والمراجع. وإني أدين بذلك لا إلى جهدي فقط ولكن إلى توجيهات كبار أساتذتي أيضاً.

٣ – المصادر والمراجع العامة للبحث

اعتمدت في البحث على /٢٠٩/ من المصادر والمراجع العربية وعلى /١٢/ من المراجع المساعدة كدوائر المعارف والموسوعات والمجلات والقواميس كما اعتمدت على جملة من المصادر الأسبانية والإنكليزية والفرنسية بلغت /٣٧/ مصدراً ومرجعاً ترجمتها جميعاً إلى العربية. ورجعت إلى محفوظات (أرشيف) جزر البليار نفسها في بالما. كما زرت تلك الجزر بنفسي مرتين. وتعرفت إلى ملامحها الإسلامية الباقية وإلى آثارها ونقلت صورها وأنفقت في ذلك كل ما أملك من جهد ووقت ومال وأنا بذلك سعيد قرير العين. وأرجو أن يسمح لي ههنا بترك التواضع جانباً لأقول إني لم أدع مصدراً أو مرجعاً من كتاب عربي أو أجنبي إلا قرأته وانتفعت به ولا من أثر أو نقود أثرية أو معاينة شخصية لأمر يخص تاريخ هذه الجزر إلا قمت به ليأتي بحثي كاملاً غنياً جديداً، بعون الله.

ولو شئت تحليل المصادر التي اعتمدت مصدراً مصدراً لضاق بي الوقت وطال الأمر. إن القائمة التي تأتي في نهاية الدراسة شاهد عدل. ولكني أكتفي باللمحات اليسيرة السريعة:

لقد اعتمدت بصورة أساسية المصادر التراثية. ولقد رافقتني بعض هذه المصادر من مطلع الدراسة حتى ختامها أو في معظم فصولها مثل كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي حتى حفظت صفحاته وورقه، وكتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي الذي منحني الكثير من المعلومات القيمة الفريدة، وكتاب العبر لابن خلدون الذي كان كنزاً ومعيناً لا ينضب، والكامل لابن الأثير الذي يحفل بالمعلومات القيمة الوافرة الدقيقة رغم أن صاحبه مشرقي. ومن المصادر الأسبانية كتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار للمؤرخ الميورقي البارو كمبانير.

ورافقتني بعض المصادر في بعض الفصول أو بعض الفترات التاريخية على الدوام تمنحني التفاصيل واللمحات وتكامل الصور على السواء كالمقتبس لابن حيان بأجزائه وتفاصيله الدقيقة، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب الذي كان فيه المقري المورد العذب الخصيب، وروض القرطاس لابن أبي زرع، و الروض المعطار في خبر الأقطار الذي ملأ الحميري وصف البلاد فيه بأندر المعلومات التاريخية، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب للمؤرخ الحصيف عبد الواحد المراكشي.

وكانت المؤلفات الأجنبية أحياناً كثيرة وفي معظم الفصول تسعفني لتكمل الصورة أو لتعكس الموقف العدو، وتزيد في إمكان التحليل والمقارنة.

٤- المصادر الخاصة بالفصول

فإذا تجاوزت هذه النظرة العامة التي غطت مصادر معظم الدراسة وأهملت الكثير الكثير من المصادر والمراجع الثانوية والدراسات الحديثة المساعدة وجدت أني اعتمدت أيضاً في الفصل الأول على تاريخ خليفة بن خياط وعلى كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة (وهو لأحد أحفاد موسى بن نصير من القرن الثالث) وقد تعاملت مع معلوماته بمنتهى الحذر، لتناقض رواياته. بالإضافة إلى المصادر الأخرى لأضع الصورة المتكاملة للمحاولات الإسلامية الأولى في فتح الجزر.

وأعانني في الفصل الثاني كتاب صورة الأرض لابن حوقل والمسالك والممالك للأصطخري ومعجم البلدان لياقوت والجزء الخامس من المقتبس لابن حيان وذلك في إلقاء أضواء جديدة على معقل فرخشنيط. (جبل القلال) وروابطه الإدارية مع الجزر ووضع قائمة ولاتها في عهدها الإسلامي الأول.

وأضفت إلى هذه المصادر الحلة السيراء لابن الأبار وكتب التراجم المختلفة مع المصادر الأجنبية وبخاصة كتاب تاريخ غزوات العرب في جزر وسواحل البحر المتوسط.

وأما في الفصل الثالث فأضفت إلى المصادر الأولى جذوة المقتبس للحميدي وما فيه من نصوص مستخرجة من التراجم وكتاب الذخيرة لابن بسام الشنتريني وأعمال الأعلام لابن الخطيب بالإضافة إلى مصادر أسبانية مثل كتاب تخطيط تاريخي للحكم الإسلامي في جزر البليار.

وأعانتني في الفصل الرابع بالإضافة إلى الكتب السابقة بقايا النقود والمعلومات الأثرية مع تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ووثائق من عهد المرابطين التي نشرها الدكتور محمود علي مكي وقد سمح لي ذلك كله بتقديم الإيضاح الوافي والتفصيلي عن الملحمة الهائلة التي أسفرت عن سقوط الجزيرتين يابسة وميورقة بيد الصليبيين ثم عن استعادة القوات المرابطية لها.

واستمر اعتمادي في الفصل الخامس على مراجع الفصلين السابقين مع المصادر العامة لتقديم التفاصيل الوافية عن تاريخ فترة عهد المرابطين لمتونة في جزر البليار بين سنة ٥٠٨ - ٥٤٣ هـ = ١١٣٧ - ١١٤٨ م واستقلال بني غانية فيها.

وأضفت في الفصل السادس حول جزر البليار تحت حكم بني غانية (٥٤٣ - ٦٠٠ هـ = ١١٤٨ - ١٢٠٣ م) كتاب رسائل موحدية الذي نشره ليفي بروفنسال والمؤنس في أخبار إفريقية وتونس والحلل السندسية في الأخبار التونسية ورحلة التجاني. وكتاب (بنو غانية) بالفرنسية لألفرد بل.

وأما الفصل السابع الذي ينهي التاريخ السياسي لجزر البليار في العهد الإسلامي (١٢٠٣ - ١٢٨٧) ويغطي سقوط ميورقة والمقاومة الشعبية للغزو وتقسيم الجزيرة والاستيلاء على يابسة ويغطي الأسرة الحكمية في منورقة (٦٠٠ - ٦٨٦) فقد أضفت إلى المصادر السابقة والوثائق والرسائل نصوصاً من كتب التراجم وخاصة كتاب التكملة لابن الأبار والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي بالإضافة إلى الروض المعطار ونفح الطيب وأعمال الأعلام. وإلى المرجع الأسباني الإسلام في مينورقة لميغيل الكوتير وتقسيم جزيرة مينورقة لخايمي بوسكس مع الوثائق المتصلة بذلك.

يبقى أن أقف قليلاً عند القسم الثاني المخصص لذكر لمحات عن الحضارة الإسلامية في جزر البليار منذ الفتح حتى السقوط الصليبي. إن هذا القسم الذي أشهد أني ظلمته ثم ظلمت باختصاره ما وسعني الاختصار وبالاقتصار على جانب الحياة الفكرية والثقافية فقط دون الجوانب الحضارية الأخرى، هذا القسم كان من الممكن أن يملأ المجلدات. إن موارده فياضة ويمتد على مجموعة واسعة جداً من المصادر من أبرزها كتب التراجم الأندلسية: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وجذوة المقتبس للحميدي وبغية الملتمس للضبي والصلة لابن بشكوال والتكملة لابن الأبار وصلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكملة في الموصول والصلة لمحمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي بالإضافة إلى طبقات الأمم لصاعد وكتاب الذخيرة بأجزائه الثمانية لابن بسام. ومعجم

الصدفي والحلة السيراء لابن الأبار وترتيب المدارك للقاضي عياض وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ورايات المبرزين لابن الأبار والمغرب في حلى المغرب واختصار القدح المعلى والغصون اليانعة والمرقصات والمطربات لأبي سعيد المغربي وخريدة القصر وجريدة العصر للأصفهاني، ومعجم الأدباء ومعجم البلدان لياقوت الحموي وعلى كتب الطبقات، ومنها طبقات الشافعية الكبرى والديباج المذهب لابن فرجون ونيل الابتهاج للتنبكتي وتذكرة الحفاظ وإنباه الرواة وبغية الوعاة هذا بالإضافة إلى كتب التراجم الأخرى مثل وفيات الأعيان لابن خلكان وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي والوافي بالوفيات للصفدي والأنساب للسمعاني ومراجع تاريخية عديدة منها مختصر تاريخ ابن عساكر وشذرات الذهب والعبر في خبر من غبر والمختصر في أخبار البشر ومقدمة ابن خلدون وتاريخه وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي ونفح الطيب للمقري.

وأنظر في النهاية إلى ما قرأت ودرست وقدمت فأحمد الله « الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لا يعلم » على ما أتاح لي من الوقت والجهد والصبر للإلمام بذلك كله. وعلى ما أعانني لتقديم صفحة مشرقة رائعة كانت مهملة أو مجهولة من تاريخنا الإسلامي وجلائها بالقدر الذي استطعت وهو جهد المقل عسى أن يكون فيها ما ينفع وعسى أن تكون لبنة جديدة تضاف إلى بناء ذلك التاريخ المجيد.

وأسأل الله التوفيق إنه نعم المولي ونعم النصير.

التمهيد

جزر البليار - الجزائر الشرقية

لمحات جغرافية وتاريخية

موقعها وأهميتها الاستراتيجية

يطلق اسم جزر البليار حالياً على مجموعة من الجزر في غرب البحر المتوسط[١] تشكل أرخبيلاً يغطي مساحة كبيرة تصل إلى ٤٩٠٠ كم^{2}، وقد بلغ تعداد سكانها في عام ١٩٧٨ حوالي نصف مليون نسمة وتتكون من خمس جزر رئيسية، هي ميورقة ومنورقة ويابسة وفرمنتيرة وقبريرة، هذا بالإضافة إلى حوالي مائة جزيرة صغيرة وكتلة صخرية تتناثر حول الجزر الخمس الكبرى وما بينها[٢]. وتتميز هذه الجزر بموقع استراتيجي خطير بين سواحل شرق أسبانيا وجنوب فرنسا وغرب إيطاليا، وجزر سردانية وقرسقة وصقلية، وسواحل بلاد المغرب الشمالية، لهذا فهي بمثابة حلقة اتصال بحري ومركز صراع دولي ونقطة التقاء حضاري منذ أقدم العصور، فلو رسمنا خطاً مستقيماً من مدينة الجزائر في شمال بلاد المغرب الأوسط وكل من برشلونة ومرسيليا فإن هذه الخطوط تلتقي في جزر البليار[٣] وتقع مدينة الجزائر على بعد ٢٥٦ كم إلى الجنوب من هذه الجزر بينما تقع برشلونة إلى الشمال الغربي منها على بعد ١٦٠ كم، أما مرسيليا فتقع في شمال هذه الجزر على بعد ٣٨٤ كم، وتبعد سواحل إيطالية الغربية التي تقع شرق جزر البليار بحوالي ٩٦٠ كم[٤].

لقد كانت هذه الجزر بحكم موقعها على علاقة وثيقة بسواحل البحر المتوسط وجزره، خاصة الغربية منها منذ فجر التاريخ، لهذا فإنها تمثل بحق حضارة حوض هذا البحر عبر العصور أصدق تمثيل، كما تشكل حلقة هامة وخطيرة من تاريخ البحر المتوسط وشعوبه، بل وتاريخ الحضارة الإنسانية جمعاء، لأن هذا البحر هو مهد الحضارة الإنسانية، وما زال حتى اليوم من أهم مراكز الصراع الدولي[٥].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧.
(٢) دليل جزر البليار السياحي لعام ١٩٧٨، ص ١١.
(٣) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 4.
(٤) دليل جزر البليار السياحي لعام ١٩٧٨، ص ١١.
(٥) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ١٠٧٣ لسنة ١٩٦٩.

وبحكم موقع جزر البليار وبفضل خصوبتها وثروتها وروعة مناخها وجمالها الطبيعي الباهر فقد جذبت إليها عبر العصور أنظار الغزاة والفاتحين والقوى المسيطرة في حوض البحر المتوسط، لهذا كانت مركزاً للصراع البحري ونواة للالتقاء الحضاري، وتعاقب على استعمار أرجاء منها، اليونانيون من جزيرة رودس، والكنعانيون «الفنيقيون» من سواحل الشام، واليونانيون الفوقيون من فوقية والقرطاجيون «الفنيقيون» من إفريقية «تونس الحالية» واستولى عليها بأجمعها على التتابع، الرومان والفندال والبيزنطيون والعرب والإسبان[١] وترك كل من هذه الشعوب أثراً واضحاً على ملامح سكانها وسماتهم وتقاليدهم وطريقة تفكيرهم ومختلف نواحي حضارتهم[٢] وبالرغم من حرب الإبادة ضد سكانها المسلمين بعد استيلاء الإسبان عليها والتدمير **المتعمد لكل ما يعود إلى التاريخ الإسلامي لهذه الجزر، فلقد حافظت «الجزائر الشرقية» (جزر** البليار) عبر قرون عديدة على الطابع العربي الإسلامي، في العديد من مدنها القديمة، في أساليبها العمرانية وفي دروبها وأزقتها التي تعيد إلى الأذهان صدى ذلك التاريخ الإسلامي المشرق وعبيره الأخاذ، وتلوح حتى اليوم في وجوه سكانها تلك الملامح العربية المشرقية والسمات المغربية التي تعبر أصدق تعبير عن تاريخها الإسلامي المجيد الذي استمر عدة قرون[٣].

تسميتها القديمة

أطلق اليونانيون ومن بعدهم الرومان اسم بليارس Baliares على هذه الجزر وهو مشتق من كلمة Ballein (بالين) اليونانية التي تعني «ألقى أو رمى» وذلك لبراعة سكانها القدماء في رمي الحجارة بالمقلاع[٤] وينسب البعض هذه التسمية إلى قبيلة كانت تعيش في جزيرة سردانية المجاورة تدعى «بلاري Balari» هاجرت إلى جزر البليار في العصر النيوليتيكي «العصر الحجري الحديث»، وتدل الشواهد التاريخية على وجود تماثل في الآثار التي تعود إلى ذلك العصر في كل من سردانية وجزر البليار[٥].

وقد أطلق الفنيقيون على كبرى جزر البليار اسم كولمبا Columba أو كلمبا Clumba [٦] بينما أطلق اليونانيون القدماء على أكبر جزيرتين من هذه الجزر اسم «جزر العراة» (جيمنيزيا أنسولا» Gymnesiae Insulae نظراً لأن سكانها في ذلك العهد كانوا عراة لا يرتدون سوى

(١) دائرة المعارف الأمريكية، ج ٣، ص ٧٨ لسنة ١٩٦٣.

(٢) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ٧ لسنة ١٩٦٩.

(٣) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات العربية في جزر البليار، ص ٧.

(٤) دائرة معارف البستاني، ج ٥، ص ١٤٩ لسنة ١٨٨١.

(٥) Arthur Foss: Ibiza and Minorca, p. 159, London 1975.

(٦) Ann Hoffman: Majorca, p. 7 & Juan Bonnet: Majorca, p. 4.

قطعة صغيرة من جلد الماعز في فصل الصيف[١]، وقد أطلق الرومان على كبرى جزر البليار اسم مجوريكة Majorica أو مجوركة Majorca أي الجزيرة الكبرى، وعلى الجزيرة التي تليها في المساحة اسم منوريكا Minorica أو «منورقة Minorca» أي الجزيرة الصغرى[٢] وكان اسم البليار Baliares يطلق في البداية على هاتين الجزيرتين الرئيسيتين بالإضافة إلى ثلاث جزر صغيرة على مقربة من سواحل الجزيرة الكبرى مجوركة Majorca، وهي كبريرة Cabrira ومعناها جزيرة الماعز وكنجيرا Conjera أي جزيرة الأرانب وتقعان جنوبي جزيرة مجوركة وثالثتها هي جزيرة دراجونيرا Dragonera أي «التنين» وتقع إلى الغرب منها[٣]، ومن الطريف أنه ما زال حتى اليوم ماعز بري يعيش على مرتفعات جزيرة الماعز الصخرية «كبريرة»[٤] وبمرور الزمن توسع مدلول اسم «بليارس» (البليار) فشمل مجموعة أخرى مجاورة من الجزر، تدعى بجزر الصنوبر Las Pitiusas (لاس بتيوساس) وهي بتيوز القديمة Pityusae وتتكون من جزيرتين هما يابسة وفرمنتيرة الحاليين بالإضافة إلى عدد من الجزر الصغيرة المحيطة بها[٥].

وتقع جزر الصنوبر Islas de Pinos جنوب غربي ميورقة وتدعى كبرى هذه المجموعة باسم جزيرة أبيثا Ibiza (يابسة) وهو مشتق من اسمها الفنيقي القديم ايبوسوس Ebusuz وتليها في المساحة جزيرة أوفيوزا Ophusae القديمة وتدعى حالياً باسم فرمنتيرة Formentera[٦].

تسميتها العربية الإسلامية

أطلق العرب على جزر البليار اسم «الجزائر الشرقية» و«جزائر شرق الأندلس»[٧] نظراً لوقوعها شرق الأندلس، وقد كانت عبر تاريخها الإسلامي ولعدة قرون السد المنيع والدرع الواقي لساحل الأندلس الشرقي، ينطلق من قواعدها غزاة البحر الأندلسيون للجهاد في سواحل غربي البحر المتوسط وجزره[٨]. وقد عرّب المسلمون الأسماء اللاتينية لجزر البليار فأطلقوا على جزيرة

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧.
Arthur Foss: Ibiza & Minorca, p. 17 & 107.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧ و Arthur Foss: Ibiza & Minorca, p. 17.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٤) دليل جزر البليار السياحي لعام ١٩٧٨، ص ١١.

(٥) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ١٠٧٣ وما بعدها لعام ١٩٦٩ م ودائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧ و Arthur Foss: Ibiza & Minorca, p. 17.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٨) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٣٦٠.

مجوركة Majorca اسم ميورقة أو ميرقة[١] وكذلك مايرقة[٢] وقد وردت في صورة الأرض « ميرقة »[٣] وكذلك في المعجب في تلخيص أخبار المغرب[٤] على سبيل المثال لا الحصر، وذكرها صاحب تقويم البلدان باسم « مايرقة »[٥] وتنوع لفظها في مختلف المصادر الإسلامية، والأكثر شيوعاً هو ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه[٦] وياقوت الحموي في معجمه وهو لفظ « ميورقة » وهي التسمية التي استخدمتها في نص هذا البحث لأنّها الأقرب إلى اللفظ اللاتيني مجوركة Majorca المشتقة منه[٧]، أما الجزيرة الرئيسية الثانية وهي « منوركة » Minorca، فقد أطلق عليها العرب اسم « منرقة » كما وردت في المعجب في تلخيص أخبار المغرب[٨] وفي تقويم البلدان[٩] وفي المقدمة لابن خلدون[١٠] على سبيل المثال، أما اللفظ الأكثر شيوعاً والأقرب إلى اللفظ اللاتيني « منوركة » الذي اشتقت منه فهو « منورقة » كما ورد في تاريخ خليفة بن خياط[١١] ومعجم البلدان[١٢] وقد استخدمته في نص البحث لأنه الأكثر شيوعاً والأقرب لفظاً إلى اسمها اللاتيني الذي اشتقّت منه.

أما بالنسبة لجزيرة أيبيثا Ibiza وهي إيبوسوس الفينيقية Ebusuz فقد وردت في جميع المصادر الإسلامية بشكل واحد وهو « يابسة » وقد استخدمته في نص البحث[١٣] وكذلك جزيرة فرمنتيرة

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧.

(٢) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٣) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ١١٠، و١٨٤.

(٤) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٤٢.

(٥) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ « مَيُورْقَة » بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان وهاء.

(٨) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٤٢.

(٩) أبو الفداء: تقويم البلدان، صَ ١٩٠ - ١٩٤.

(١٠) مقدمة ابن خلدون، ص ١١٢.

(١١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.

(١٢) معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١٦، « مَنُوْرَقَة » بالفتح ثم الضم وسكون الواو وفتح الراء وقاف، ويضيف ياقوت الحموي في معجمه بأن من الأفضل في لفظ « مَنُوْرْقَة » تسكين الراء للتخفيف وهذا ما اعتمدته في نص البحث.

(١٣) يابسة: حدد أبو الفداء طريقة نطقها قائلاً: « بفتح المثناة من تحت وألف وباء موحدة مكسورة وسين مهملة وهاء »، أما ياقوت الحموي فقد ذكر لفظها في معجمه: « بأنها تأنيث الشيء اليابس ضد الندي ». (معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٤)، (أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ١٩٠ - ١٩١). وذكر صاحب مراصد الاطلاع نفس ما ذكره ياقوت الحموي في لفظ يابسة (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص ١٣٤٦).

Formentera التي ترد بنفس لفظها اللاتيني، وقد استخدمتها بنفس اللفظ والشكل[١] وجزيرة كبريرة Cabrira التي وردت باسم « قبريرة » وقد اعتمدتها بهذا الشكل واللفظ[٢].

لمحة جغرافية عن جزر البليار « الجزائر الشرقية »

تتمتع هذه الجزر بمناخ جميل فلا يتجاوز معدل الحرارة في معظم أرجائها ١٥ درجة مئوية شتاء و٢٧ درجة صيفاً والمعدل السنوي لدرجة الحرارة هو حوالى ٢١ درجة ومعدل الرطوبة النسبية ٧٠٪. إن هذا الاعتدال في المناخ وخصوبة التربة والتنوع في التضاريس ما بين سهول خضراء ووديان مزدهرة وجبال شامخة تكسوها الغابات الكثيفة والأشجار المثمرة، وشواطىء رائعة ذات خلجان عميقة هادئة، جعل من هذه الجزر الرائعة فردوساً يخيم عليه الهدوء والسلام ولوحة طبيعية رائعة تنبض بالحيوية والجمال. ورغم تماثل هذه الجزر في كثير من الصفات إلا أنها تتناوت في جمال طبيعتها وخصوبتها وجودة مناخها ولكنها تكوّن معاً عقداً من زبرجد أخضر واسطته ميورقة تتناثر فوق مياه البحر وطفا على **سطحه**[٣]، وقد جسدت الأساطير منذ أقدم العصور صورة الجمال الفائق والسحر الدافق الذي منحه الله تعالى لهذه الجزر، والأساطير هي ذروة خيال الإنسان، ولكنه تخيّل ينبع من الواقع ويجسّم الحقيقة في أروع صورها[٤]. ورغم تماثل جزر البليار الرئيسية ميورقة ومنورقة ويابسة وفرمنتيرة وقبريرة في كثير من الصفات إلا أن لكل جزيرة طابعها ومميزاتها التي سنوجزها فيما يلي:

١ - ميورقة Mallorca-Majorca

واسطة العقد وكبرى جزر البليار مساحتها ١٤٠٥ ميل^2 = ٣٦٤٠ كم^2 أي ما يعادل ثلاثة أرباع مساحة جزر البليار بأجمعها[٥] وتعداد سكانها في إحصائية عام ١٩٦٠ حوالى ٣٦٥ ألف نسمة.

وهي غير منتظمة في شكلها لكثرة الخلجان والفجوات في سواحلها، ومتجانسة إلى حد ما في

---

(١) فرمنتيرة: Formentera نادراً ما ترد في المصادر الإسلامية وقد وردت في آثار البلاد وأخبار العباد وبلفظها اللاتيني « فرمنتيرة » (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤٩).

(٢) ورد لفظ قبريرة مشكلاً في الذيل والتكملة كما يلي: « بفتح القاف وفتح الراء وسكون وفتح الراء الثانية وهاء ثانية (محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة للموصول والصلة، السفر الخامس ٢، ص ٦٩٠).

(٣) دليل جزر البليار السياحي لعام ١٩٧٨، ص ١ - ١١، مشاهداتي الشخصية لهذه الجزر في عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨.

(٤) A.Y.L. Cassanovas: Majorca, p. 4.

(٥) دائرة المعارف الأمريكية، ج ١٨، ص ١٦٨ لعام ١٩٦٣ و Ann Hoffman: Majorca, p. 10 & 78.

الجزء الشمالي الشرقي. وتحميها من ناحيتها الشمالية الغربية سلسلة شاهخة من الجبال من تأثير الرياح الشمالية الباردة[1].

عاصمتها - بالما دي ميورقة - (مدينة ميورقة الإسلامية) وهي العاصمة الإقليمية لجزر البليار، وتقع جنوب غربي ميورقة على خليج « بالما » الرائع الذي يصل عرضه إلى عشرة أميال، وكان عدد سكانها في عام ١٩٦٠ حوالي ١٦٠ ألف نسمة وتتميز بآثارها التاريخية الرائعة، وكأنها سجل حافل لتراث حوض البحر المتوسط بأجمعه[2].

وقد بهر جمال هذه العاصمة الأخاذ الروائي الألماني كليرمان فوصفها « بانها لوحة شعرية من حجارة أسطورية تولدت عبر قرون من حضارة رائعة متفوقة توحي بالعظمة والتبجيل »[3]

أما الرسام والكاتب القطلاني « روسينول أي براتس » فقد وصف جزيرة ميورقة قائلاً: « إنها أرض النيلوفر الذي يبعث أريجه الغامض السحر والخدر العذب في أعماق النفس مما يغري بالاستسلام لأحلام وردية عذبة، رجالها ليسوا في عجلة من أمرهم ونساؤها يعشن في ربيع دائم؛ حيويتهن دافقة وكأنهن لا يكبرن أبداً »[4] كما وصفتها مدام دوديفان الكاتبة الفرنسية الشهيرة المعروفة باسم « جورج صاند » في كتابها « شتاء في ميورقة »... « بأنها المكان الذي يحلم فيه الرسام والشاعر ويحلق في أجوائه، فلقد خلقت الطبيعة الساحرة العذبة والجمال الخلاب في هذه الجزيرة »، وكانت قد زارت جزيرة ميورقة في شتاء عام ١٨٣٨ م بصحبة الموسيقي البولندي الشهير فردريك شوبان أثناء مرضه وقضيا معاً الشتاء في وادي موسى الذي تصل فيه الطبيعة الصامتة ذروة الروعة والبهاء[5].

وقد أثار جمال جزيرة ميورقة وخصوبتها وروعة مناخها ولطف أهلها الشعراء والأدباء والرحالة والمؤرخين والجغرافيين العرب منذ تمصيرها حتى يومنا هذا، وأول من وصفها من هؤلاء الجغرافي الرحالة ابن حوقل النصيبي الذي زار الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م ووصف بلاد الأندلس « بأنها من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما حوته واشتملت عليه »[6] ومما يضفي أهمية كبرى على وصف ابن حوقل لجزيرة ميورقة هو أنه كان في فترة مبكرة من تاريخها الإسلامي نظراً لأن فتح الجزيرة بشكل نهائي كان في عام

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية، ج ١٨، ص ١٦٨ لعام ١٩٦٣.
(٢) دائرة المعارف البريطانية، ج ١٧، ص ١٨٥ لعام ١٩٦٩.
(٣) دليل جزر البليار السياحي لعام ١٩٧٨، ص ٢٤.
(٤) دائرة المعارف الأمريكية، ج ١٨، ص ١٦٨ لعام ١٩٦٣.
(٥) A.Y.L. Cassanovas: Majorca, p. 4.
(٦) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ١٠٤.

٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م[1]، ويقول في هذا الوصف بعد أن يذكر شهرتها بالبغال الفارهة.. ما يلي « ميورقة جزيرة لعبد الرحمن بن محمد فيها المسلمون منقطعة على ناحية إفرنجة واسعة الخير كثيرة الثمار رخيصة المواشي لكثرة المراعي، غزيرة النتاج معدومة الحوائج قليلة الآفة وليس بها عاهة ولا وحش يؤذيهم في سائمتهم.. »[2].

ويذكر ابن حوقل في نص آخر عن ميورقة ما يلي « جزيرة خطيرة لصاحب الأندلس »، وكذلك جبل القلال « فرخشنيط » مضاف إلى ذلك العمل.. ذات خصب ورخص وسائمة ونتاج وخير.. »[3].

ويصفها أحد أبنائها وهو محمد بن أبي نصر الحميدي الميورقي مع بقية جزر البليار بقوله « .. جزائر خصب وسعة في شرق الأندلس »[4] وقد أجاد أحد الشعراء[5] الذين وفدوا إلى ميورقة في وصف مدى جمالها ونظافة ساحاتها وعذوبة نهرها بقوله:

بلـد أعارتـه الحمامـة طوقهـا	وكساه حلـة ريشه الطـاووس
وكأنما تلك المياه مدامة	وكـأن ساحـات الديـار كؤوس[6]

كما أجاد في وصف جمال هذه الجزيرة ومعالم عاصمتها « مدينة ميورقة » وطبيعتها الفتّانة ومتنزهاتها الساحرة وقصورها الباذخة وعلى رأسها قصر الناصرية، الكاتب الأندلسي البارع الفتح بن خاقان صاحب كتابي قلائد العقيان والمطمح[7] وذلك أثناء زيارته لهذه الجزيرة سنة

---

(١) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، ص ٥٦٧.
(٢) كتاب صورة الأرض، ص ١٠٩ - ١١٠.
(٣) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ١٨٤ - ١٨٥.
(٤) الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٥٣.
(٥) أبو بكر محمد بن عيسى الداني ويعرف بابن اللبانة: ولد في بلدة دانية في الأندلس وكانت آنذاك قاعدة ملك مجاهد العامري ملك دانية وجزر البليار، وهو من الشعراء المشهورين في عهد ملوك الطوائف، واختص بالمعتمد ابن عباد أمير إشبيلية إلى أن انهار ملكه على يد المرابطين، وغادر ابن اللبانة على أثر ذلك إشبيلية سنة ٤٨٩ هـ وتوجه إلى جزيرة ميورقة التي كانت ملجأ الشعراء والأدباء والعلماء في عهد أميرها مبشر ناصر الدولة، وأصبح ابن اللبانة شاعر البلاط بقصر الناصرية ومدح مبشر ناصر الدولة بفرائد من قصائده إلى أن توفي في عام ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م قبل العدوان الصليبي على جزيرة ميورقة بسنة واحدة.
الضبي: بغية الملتمس، ص ١٠٩، ترجمة رقم ٣١٣، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٦١ وما بعدها، ابن الأبار: التكملة، ص ٤١٠ ترجمة رقم ١١٦٢، ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٧٨ - ١٧٩، نفح الطيب: ج ٤، ص ٢٢٨ - ٢٢٩، وج ١، ص ١٦٩، والعماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ١٠٧ وما بعدها.
(٦) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٤٦.
المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٩.
(٧) الفتح بن خاقان: كاتب أندلسي شهير ترجم لأفراد وعلماء وأدباء عصره في كتابي قلائد العقيان والمطمح، =

٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م في عهد أميرها مبشر ناصر الدولة الذي أحسن لقياه وأكرمه ورعاه وعاش في رحابه وتحت كنفه في سعادة غامرة[١]، وقد ذكر محمد الزهري في كتابه الموسوم باسم «كتاب الجغرافية» ما يلي عن جزيرة ميورقة «طيبة الهواء والماء ولأهلها ظرف وذمة وفيهم حلاوة ورقاعة وهم من أهل الحسن والجمال...»! ويضيف إلى ذلك قائلاً «وهذه الجزيرة كثيرة الزرع والفاكهة.. وأكثر كسب أهلها من الغنم والقليل من الماعز وعندهم كثير من البقر والخيل والبغال»[٢]. ويذكر الزهري[٣] خلو جزيرة ميورقة من الحيوانات المفترسة بقوله «.. ولم يوجد قط في هذه الجزيرة ذئب، والغنم تسرح عندهم دون حارس يحرسها..» ثم يصف مدى حصانة «مدينة ميورقة» عاصمة الجزيرة قائلاً: «.. وفي وسط جزيرة ميورقة جبل يهبط منه نهر يشق هذه الجزيرة ويسقي جميع أراضيها ويشق فضله على مدينة ميورقة، وفي هذه المدينة أعاجيب البناء، وفيها برج عظيم على حافة البحر يكشف على مسافة يومين في البحر.. وفيها المعقل العظيم المشيد الذي ليس في معمور الأرض مثله وهو الحصن الشهير المعروف بحصن الأرون.. وهو حصن مرتفع من حجر صلد في رأسه عين سائلة كبيرة..» ويعتبر الزهري جزر البليار أندلسية الطابع والسمات بقوله «وهذه الجزائر.. تضاف إلى بلاد الأندلس لأن أخلاق أهلها وطبائعهم كطبائع أهل الأندلس وأمزجتهم واحدة..»[٤]

أما صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب فيقول في وصف جزيرة ميورقة ما يلي: «.. أخصب الجزر أرضاً وأعدلها هواء وأصفاها جواً.. اتفق أهلها على أنهم لم يروا فيها شيئاً من الهوام المؤذية قط مذ عمرت، من ذئب أو سبع أو حية أو عقرب إلى غير ذلك مما يخشى ضرره..»[٥].

= وبالرغم من شهرته في الكتابة وما تميز به أسلوبه من البراعة إلا أنه كان يتخذ من الكتابة تجارة، يرتزق من مدح رجالات عصره وذمهم.ولم يكن صادقاً في مدحه متحاملاً في ذمه لمن لا يجد عنده نوالاً وليس هذا غريباً على أمثاله من كتاب عصر ملوك الطوائف من المرتزقة، فقد أشتهر بانحلاله وفسقه وتوفي مقتولاً نتيجة لذلك في أحد خانات مراكش.

ابن الأبار: التكملة، ٢، ص ٣١٣، ترجمة ٢٨٥، ومحمد الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة ٥/٢، ص ٥٢٩، ترجمة رقم ١٠٢٠، ابن سعيد المغربي: المرقصات والمطربات، ص ١٧، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٣، ونفح الطيب، ج ٧، ص ٢٩.

(١) قلائد العقيان، ص ٧٦، ونفح الطيب، ج ١، ص ٦٥٩ - ٦٦١.

(٢) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٩، تحقيق محمد حاج صادق.

(٣) محمد بن أبي بكر الزهري ويكنى بأبي عبد الله، جغرافي أندلسي ولد وعاش في مدينة المرية في جنوب شرق الأندلس كما يرجح محقق «كتاب الجغرافية» للزهري، محمد حاج صادق، كما يرجح بأنه توفي في أواسط القرن السادس للهجرة. (كتاب الجغرافية: دمشق سنة ١٩٦٨، التقديم، ص ٢ - ٣).

(٤) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٣.

كما وصفها علي بن سعيد المغربي بقوله «.. من أخصب بلاد الله، وفيها بحيرة دورها تسعة أميال وفيها حصون، وقاعدتها مدينة ميورقة بالجهة القبلية من الجزيرة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وواد شتوي يشق المدينة وبها قلعة للملك..»[١]

وقد تباهى الشقندي[٢] في رسالته المشهورة بجمال جزيرة ميورقة وحضارتها وبسالة أهلها وثرواتها الوافرة قائلاً «وأما ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعاً ورزقاً وماشية فهي على انقطاعها عن البلاد مستغنية عنها، يصل فاضل خيرها إلى غيرها، ففيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها، وفيها من الفوائد ما فيها، ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الأعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله لا يبتغي أبداً سواه معيناً»[٣]

ويذكر المقري عن جزيرة ميورقة ما يلي: «.. وفي البحر الشامي[٤] الخارج من المحيط[٥] جزيرة ميورقة.. وجزيرة منورقة.. وجزيرة يابسة، وطول جزيرة ميورقة مسافة يوم وبها مدينة حسنة وتدخلها ساقية حسنة على الدوام.. وصفها ابن اللبانة وصفاً شائقاً..»[٦].

وقد أشار صاحب الروض المعطار إلى أهمية جزيرة ميورقة وخطورة موقعها قائلاً: «جزيرة في البحر الزقاقي[٧] تسامتها من القبلة (الجنوب) بجاية من بر العدوة (في بلاد المغرب الأوسط) وبينها ثلاثة مجار[٨] ومن الجوف (الشمال) برشلونة من بلاد أرغون وبينها مجرى واحد، ومن

---

(١) علي بن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٦٦.

(٢) الشقندي: أبو الوليد إسماعيل بن محمد، نسب إلى شقندة وهي بلدة صغيرة على مقربة من قرطبة، كان أديباً شاعراً اشتهر برسالته التي يتباهى فيها أمام أدباء المغرب بأهل الأندلس في وقت كانت فيه بلاد الأندلس تتهاوى وتتمزق وتسقط إقليماً بعد آخر في يد الممالك المسيحية الإسبانية، توفي الشقندي سنة ٦٢٦هـ = ١٢٢٨ م. (نفح الطيب، ج ٣، ص ١٨٦، ٢٢٢، ٢٢٤).

(٣) المقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٢١.

(٤) البحر الشامي: البحر المتوسط ويرد في المصادر الإسلامية بألفاظ شتى، وقد ذكره المقري صاحب النفح بثلاث صيغ الأولى منها هي: «البحر المتوسط الشامي» (نفح الطيب: ج ١، ص ١٣٠) والثانية هي: «البحر الرومي المتوسط» (نفح الطيب: ج ١، ص ١٣٢) والثالثة هي: «البحر الشامي» (نفح الطيب: ج ١، ص ١٦٩) ويدعوه القزويني «بالبحر المتوسط الشامي» (آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٢).

أما ابن خلدون فيدعوه بشكل عام «بالبحر الرومي» ويضيف إلى ذلك قائلاً «ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة إلى.. أهل عدوته..» (ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٤٧).

(٥) المحيط الأطلسي الذي يتصل بالبحر المتوسط عن طريق مضيق جبل طارق.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ١٦٩.

(٧) البحر الزقاقي: هو البحر الذي يفصل جزيرة ميورقة عن منورقة كما يقول المقري نقلاً عن الإدريسي (نفح الطيب، ج ١، ص ١٢٨).

(٨) المجرى: هو المسافة التي تقطعها السفينة الشراعيةفي البحر في يوم واحد (د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص ٢١).

الشرق إحدى جزيرتيها وهي منورقة وبينهما مجرى في البحر طوله أربعون ميلاً، وشرقي ميورقة جزيرة سردانية وبينهما في البحر مجريان، وغربيها جزيرة يابسة بينهما مجرى في البحر طوله سبعون ميلاً[1] وغربي يابسة مدينة دانية من بر الأندلس وبينهما في البحر سبعون ميلاً وجزيرة ميورقة هي أم منورقة ويابسة وهما بنتاها وإليها مع الأيام خراجها وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً وعرضها من القبلة (الجنوب) إلى الجوف (الشمال) خمسون ميلاً.. »[2]

وقد جذبت جزر البليار أنظار مؤرخين وأدباء معاصرين منهم شكيب أرسلان أحد رواد الدراسات الأندلسية وقد أعجب بجزيرة ميورقة إعجاباً كبيراً ويذكر ذلك في حلله السندسية قائلاً: « أقمت بجزيرة ميورقة عشرين يوماً وجوّلت فيها ولشدة ما استلطفتها أخذت أجمع عنها معلومات كثيرة واقتنيت كتاباً عن تاريخها الاسبانيولي وجمعت أسماء العلماء والأدباء الذين نبغوا من أهلها من عرب واسبانيول وعزمت على أن أفردها بتاريخ هي وشقيقتيها منورقة ويابسة وأسميه « الأصول المعرقة والغصون المورقة في محاسن جزيرة ميورقة.. »[3] ولكنه توفي رحمه الله قبل أن يحقق ما عزم عليه.

كما زار جزر البليار المؤرخ المعاصر الأستاذ محمد عبد الله عنان ويقول في كتابه الآثار الأندلسية الباقية « بأنه حرص على أن يعبر البحر إلى جزيرة ميورقة كبرى الجزائر الشرقية (البليار) وأن يقضي فيها أياماً لتقصي آثار العصر الإسلامي في تلك الجزيرة الكبيرة الساحرة.. »، وقد وصف سطح جزيرة ميورقة وذكر منتجاتها الزراعية المتنوعة، كما وصف معالم عاصمة الجزيرة بالما دي ميورقة « مدينة ميورقة الإسلامية » وصفاً في غاية الدقة والوضوح والشمول، كما أشار إلى جزيرتي يابسة ومنورقة ووصف نضاريسها الجغرافية وصفاً مقتضباً، وكان وصفه للآثار الإسلامية في مدينة « بالما دي ميورقة » وصفاً رائعاً شاملاً[4] يدل دلالة واضحة على ما يتمتع به الأستاذ عنان من معرفة واسعة وصبر وجلد وما بذله من جهد فيما كتبه عن الأندلس وتاريخها مما يؤهله بحق بأن يعتبر أحد رواد الدراسات الأندلسية، لما بذله من جهود في خدمة التراث الإسلامي، وقد استرعت جزر البليار كذلك انتباه الدكتور فؤاد جبور مما حفزه على البحث عن تاريخ العرب في هذه الجزر على حد قوله، وكانت حصيلة جهوده مقالة في مجلة الأديب اللبنانية تحت عنوان « العرب في ميورقة » وقد استهلها بما يلي: « لقد أتيح لي في صيف عام ١٩٦٤ م أن أزور مجموعة من الجزر تقع شرقي إسبانيا اسمها جزر البليار وتتألف من ثلاث

---

(١) الميل العربي: يتراوح ما بين كيلومتر واحد وكيلومترين، والروماني حوالى ١٤٨١ م، والبحري حوالى ٢٠٠٠ م (د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية، ص ٢١).

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧.

(٣) شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ١، ص ١٤٧ وحواشيها.

(٤) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص ١٢٤ - ١٣٢.

جزر هي« ميورقة »وهذه الجزيرة الكبرى وتتوسط جزيرتي منورقة في الشمال وإيبيزا « يابسة » في الجنوب.. ثم يقول « .. وأول ما استرعى انتباهي وأنا في ميورقة عروبة بعض الأسماء[1] فهناك مدينة اسمها « بني سالم » وأخرى « الباهية » وثالثة الجيدة « الغيضة » ورابعة حمص، وقام قاربان بنقلنا من جزيرة إلى أخرى وكان اسم الأول « نزار » والثاني « أمينة ». ويلي ذلك مقالة من ثلاث صفحات عن تاريخ العرب في هذه الجزر[2].

٢ - منورقة Minorca

ثانية جزر البليار من ناحية المساحة وأهم مدنها ماهون « ماجون الفنيقية » وهي العاصمة المحلية للجزيرة التي تبلغ مساحتها ٧٠٠ كم٢ وتعداد سكانها حوالى ٤٣ ألف نسمة[3] وتقع في منتصف المسافة بين ساحل فرنسا الجنوبي وساحل الجزائر وعلى نفس خط عرض كل من لشبونة وبلنسية ومنتصف جزيرة سردانية والطرف الجنوبي الغربي لإيطاليا، ويصل طولها إلى حوالي ٣٠ ميلاً = ٤٨ كم ومتوسط عرضها حوالى عشرة أميال= ١٦ كم ومن أكبر مدنها بعد العاصمة ماهون مدينة ثيوداديلا Ciudadela ومعناها باللغة الإسبانية « القصبة والقلعة »، فقد كانت في العهود الإسلامية عاصمة جزيرة منورقة وتدعى « بمدينة منورقة »، وتقع في شمال غرب الجزيرة بينما تقع ماهون العاصمة الحالية في الجنوب الشرقي منها[3].

ويتراوح ارتفاع سطح جزيرة منورقة ما بين ١٥٠ - ٣٠٠ قدم وأعلى جبل فيها هو جبل مونت تورو Mont Toro ويصل ارتفاعه إلى حوالي ١٢٠٠ قدم، ويوجد على سواحلها خلجان عميقة خاصة في ساحلها الشمالي كخليج البحيرة Albufera والضيعة Aldaya وهي أقل اعتدالاً وأمطاراً عن بقية جزر البليار بسبب تعرضها للرياح الشمالية الباردة. وتقع على بعد حوالي ٤٠ كم = ٢٧ ميل إلى الشمال الغربي من جزيرة ميورقة[4] ويعود الفضل للفنيقيين في تعمير هذه الجزيرة فما زال اسم عاصمتها وفقاً لبعض الآراء يحمل اسم القائد القرطاجي « ماجون » وقد

---

(١) إن مما يلفت الانتباه حقاً في جزر البليار بالإضافة إلى جمالها الباهر والبقية الباقية من معالمها العربية الإسلامية مئات القرى والبلدان الصغيرة التي ما زالت تحتفظ بأسمائها العربية حتى اليوم، وقد حقق المؤرخ الإسباني ميجيل اسين بلاسيوس أسماء المئات من هذه المواقع وذكر أمام أسمائها الإسبانية المصحفة بعض الشيء، الاسم العربي لكل منها في عهودها الإسلامية الغابرة ومنها على سبيل المثال « الضيعة والبركة والقرية والخابية والغيضة والغار والطليعة والشط وبني علي وبني عمار وبني سلام وبني نصر وبني عطية وبني خلدون وبني عمر وبني فرج وبني طريف والبليدة والبحيرة والجنان ورحل « ضيعة » بني محمود ورحل بني مفرج والرملة وبلاطة ورحل الشط وبني الأعرج وبني البقاء وبني الفتح وغيرها.

Toponimia Arabe De Espana Por Miguel Asin Palacios; II Edicion: Madrid, 1944.

(٢) د. فؤاد جبور: العرب في ميورقة، ص ٢٤، مجلة الأديب اللبنانية بيروت، العدد الخامس لعام ١٩٦٤.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٨٠٩.

(٤) دائرة المعارف البريطانية، ج ١٥، ص ٥٤٢ لعام ١٩٦٩.

دعاها الرومان بعد استيلائهم عليها سنة ١٢٣ ق.م باسم Portos Magonis وهي ماهون الحالية[١]. وهناك رأي آخر في تسمية ماهون بهذا الاسم للمؤرخ الإسباني فرناندو مارتي كامبس يقول فيه «كتابة تاريخ ميورقة» بأنه من غير المحتمل بأن يظل اسم هذا المركز الإقليمي الهام على اسم عدو خطير من أعداء رومة وهو «ماجون» والأرجح أن هذه التسمية مشتقة من كلمة المجن Maghen الكنعانية والتي تعني الدرع، كما يذكر بأن اسم بثيوداديلا «مدينة ميورقة الإسلامية» كان «جامة» بالفنيقية ومعناها باللغة الكنعانية على أرجح الأقوال «المدينة الغربية»[٢].

وأكثر ما يلفت الانتباه في جزيرة منورقة وخاصة في بثيوداديلا القصبة الإسلامية القديمة ذلك التشابه الغريب بينها وبين ثغور سواحل الشام في المباني والطرقات وملامح السكان وقد خيل إليّ وأنا أتجول في أزقتها ودروبها القديمة بأنني في بلدة أعرفها تماماً وتذكرت ذلك القول المأثور «الأندلس شامية في هوائها..». وليس هذا التماثل غريباً فقد كان أهل جزر البليار كأهل الأندلس في أصولهم التاريخية وثقافتهم وأخلاقهم وطبائعهم في شتى عهودهم الإسلامية كما يقول الزهري في نصه التالي «وهذه الجزائر الثلاث (ميورقة ومنورقة ويابسة) تضاف إلى بلاد الأندلس لأن أخلاق أهلها وطبائعهم كطبائع أهل الأندلس وأمزجتهم واحدة..»[٣].

وتدعى جزيرة منورقة حالياً باسم له دلالته وهو «جزيرة الرياح والحجارة» من شدة الرياح التي تهب عليها في فصل الشتاء، كما أن الحجارة تتناثر بشكل يلفت النظر في شتى أنحاء الجزيرة وخاصة في الأجزاء الغربية والجنوبية منها، ويشاهدها الزائر على أطراف الحقول وحول الأشجار وعلى الطرقات غير المعبدة[٤]، وبالفعل فإن الزائر لهذه الجزيرة يدهش من ظواهر غريبة فيها، ومن أبرزها أن معظم أشجارها وهي قليلة في القسم الغربي الذي مررت به وحتى منتصفها عند سفوح جبل «مونت تورو» ذات جذوع معوجة بسبب الرياح الشمالية التي تهب بعنف على جزيرة منورقة في فصل الشتاء، والأرض جرداء صخرية في قطاعات واسعة تتخللها سهول ووديان خضراء على مسافات متباعدة، ولا تلاحظ ظاهرة اعوجاج جذوع الأشجار في ساحلها الجنوبي لأنه محمي من تأثير الرياح الشماليّة العاتية لوجود تلال مرتفعة تقيه أضرارها، كما أن الخضرة لا تغطي هذه الجزيرة كميورقة ويابسة، ومعظم وديانها الخصيبة تستغل في زراعة الحبوب وتربية الخيول والمواشي والأبقار التي تشاهد قطعانها ترعى ببقايا سنابل الحبوب بعد حصادها. وأعتقد بأن قضاء الإسبان بقسوة على معظم سكانها من المسلمين في نهاية القرن السابع للهجرة = الثالث عشر

(١) دائرة المعارف الأمريكية، ج ١٨، ص ٦٢٦ لعام ١٩٦٣.
(٢) Arthur Foss: Ibiza & Minorca p. 111-112.
(٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٣٠.
(٤) Arthur Foss: Ibiza & Minorca p. 91.

للميلاد وتعرضها قروناً متواصلة للهجمات البحرية من قبل غزاة البحر المغاربة والأتراك أدى إلى القضاء على غاباتها وتدمير حقولها الخضراء بعد أن خلت من سكانها حتى عهد قريب، لهذا تراها اليوم جرداء بعكس ما نجده عنها من وصف في مصادرنا الإسلامية[١]، وهناك عامل آخر أثّر على حقول الكرمة التي كانت تغطي أرض جزيرة منورقة في عهودها الإسلامية وكانت لها شهرة واسعة[٢] وهو إصابتها بحشرة الفيلوكسرا Phylloxera التي قضت في القرن الماضي على معظم حقول الكرمة في منورقة التي اشتهرت في شتى عهودها بإنتاج أجود أنواع النبيذ، أما شهرتها بتربية المواشي والأبقار والخيول والبغال في شتى عهودها الإسلامية فما زالت حتى اليوم وما زال لدى أهلها خبرة عريقة بصناعة الجلود والألبان يعتزون بها اعتزازاً كبيراً[٣].

ونجد في المراجع الجغرافية والتاريخة الإسلامية بعض الإشارات إلى ما اشتهرت به جزيرة منورقة من الخصوبة وكثرة الزرع والكروم والأبقار. يقول الزهري بهذا الصدد ما يلي: «تقع منورقة إلى الشرق من جزيرة ميورقة، وهي جزيرة صغيرة كثيرة الزرع والكروم وليس في معمور الأرض أطيب من لحم بقرها وقد يطبخ فيذوب كما يذوب الشحم ويصير زيتاً ومنها يجلب النبات المعروف بعشبة هللت يعمل منه نوع من السحر..»[٤]، ويذكر ابن سعيد المغربي عن جزيرة منورقة ما يلي: «بينها وبين ميورقة في البحر خمسون ميلاً، وهي مستطيلة قليلة العرض وفي وسطها حصن مانع..»[٥].

وربما يشير ابن سعيد بالحصن المانع إلى القلعة التي ما زالت حتى اليوم في منتصف الجزيرة على قمة جبل «مونت تورو» Mont Toro، الذي يستطيع الناظر من سطحه أن يرى ساحل الجزيرة الشمالي وخلجانه بوضوح، ويطلق الإسبان على هذا الحصن اسم «قلعة الملك» Alcal del Rey، وهو حصن ضخم، يوجد فيه دير للراهبات ومتحف صغير فيه الكثير من الآثار الإسلامية خاصة من الفخار، ومما يثير الدهشة وجود بئر ماء في وسط الساحة الوسطى «لقلعة الملك» على هذا الارتفاع الكبير، ترفع منه المياه في دلو من جلد بواسطة حبل مثبت في بكرة وهذا البئر عربي الطابع شاهدت له مثيلاً في ميورقة في قصر المدينة في «بالما دي ميورقة» ويكتفي ياقوت الحموي بذكر ما يلي عن منورقة: ««جزيرة عامرة شرقي الأندلس قرب ميورقة»[٦]، ويذكر صاحب

(١) توجهت إلى جزيرة منورقة بحراً من ميناء الكدية في شمال جزيرة ميورقة وتجولت في أنحائها في صيف عام ١٩٧٧.
(٢) أعمال الأعلام: القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٧٥. وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٢٨٧.
(٣) Arthur Foss: Ibiza & Minorca, p. 95-97.
(٤) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٩.
(٥) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٦٩.
(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١٦.

مراصد الاطلاع نفس النص الذي ذكره ياقوت الحموي[1] ويحدد الحميري أهمية موقع جزيرة منورقة قائلاً: «بأنها جزيرة تقابل برشلونة وبينها مجرى واحد وبينها وبين سردانية أربعة مجاري وهي إحدى بنتي ميورقة وهما منورقة ويابسة...»[2].

٣- جزيرة يابسة Ibiza

ثالثة جزر البليار مساحة حيث تصل مساحتها إلى ٥٤١ كم٢ = ٢٠٩ ميل٢ وتقع على بعد ٩٦ كم من ساحل إسبانيا الشرقي، أقصى طول لها ٤٠ كم = ٢٥ ميل وأوسع عرض ٢١ كم = ١٣ ميل وتقع على بعد ٨٠ كم = ٥٠ ميل جنوب غربي جزيرة ميورقة وأعلى قمة فيها قمة الطليعة Atalaya التي يصل ارتفاعها إلى «١٥٥٩ قدم».

وتشكل جزيرة يابسة مع جزيرة فرمنتيرة ما يسمى بجزر الصنوبر - Islas de Pinos[3]، وما زالت جبالها حتى اليوم مغطاة بأشجار الصنوبر التي أعطت لهذه الجزيرة شهرة واسعة منذ أقدم العصور، وبالرغم من صغر مساحتها التي لا تزيد إلا قليلاً عن ١/٦ مساحة جزيرة ميورقة إلا أنها بحق من أجمل جزر البحر المتوسط وأكثرها رونقاً واخضراراً، وتقع عاصمتها الإقليمية «يابسة» التي تحمل نفس اسم الجزيرة في الزاوية الجنوبية الشرقية وتعتبر من أقدم موانىء الحوض الغربي للبحر المتوسط[4] وقد أولى القرطاجيون هذه الجزيرة عناية خاصة وأنشأوا فيها مدناً مزدهرة أهمها ايبوسوس Eebusuz وهي مدينة يابسة الحالية وذلك في عام ٦٥٤ ق.م، واعتبروا أرضها مقدسة، وأول وصف معروف لهذه الجزيرة هو ما ذكره المؤرخ ديودورس الصقلي الذي يقول فيه: «تخترق هذه الجزيرة حقول مزدهرة ويوجد فيها مدينة تدعى إيبوسوس وهي مستعمرة قرطاجية ذات موانىء وأسوار ضخمة ومنازل رائعة ويسكنها البرابرة «الأجانب» من جميع الأجناس....» ويضيف إلى ذلك قائلاً «إن معظم سكان «إيبوسوس» من أصل فنيقي وتقيم فيها جاليات من الرومان والأيبيريين لخصوبة تربتها وثرواتها الوافرة لكثرة صناعتها وزراعتها خاصة الكرمة والزيتون التي تغطي معظم أرجائها..»[5]. وما زالت جزيرة يابسة حتى اليوم كما وصفها ديودوروس الصقلي، فحقولها مزدهرة تغطيها الخضرة والأشجار الوارفة، ويضفي الاخضرار العجيب والشواطىء الزرقاء والخلجان الصافية على جزيرة يابسة جمالاً أخاذاً، ومما يلفت النظر في جزيرة يابسة أن العمران لا ينقطع في شتى أنحائها حتى في أعماق الريف حيث يوجد حول كل مسكن حديقة مزدهرة غناء، والمباني الريفية ذات قباب غريبة الشكل، واللون

(١) صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص ١٣٢٥.
(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٩.
(٣) دائرة المعارف البريطانية، ج ١١، ص ١٠١٧ لعام ١٩٦٩.
(٤) A. Foss: Ibiza & Minorca, p. 17.
(٥) Francisco Verdera: Ibiza, p. 4.

الغالب عليها هو اللون الأبيض وهو اللون الشائع في الريف الأندلسي. وأزياء أهل جزيرة يابسة وموسيقاهم وملامحهم ذات طابع مغربي وألحانهم شرقية محببة للنفس وما زالت هذه الجزيرة حتى اليوم ذات طابع فولكلوري عجيب وأزياء سكانها من الإيديكينو لا تمت إلى هذا العصر بصلة وكأنهم من العصر الوسيط بعثوا أحياء من جديد.

وتقع مدينة يابسة القديمة على تلة مرتفعة تحيط بها أسوار حصينة، وتمتد البلدة الحديثة بين أسوار البلدة القديمة وشاطىء البحر وتعج بخليط عجيب من البشر وكأن يابسة لم تتغير رغم مر القرون[1]. وقد اكتشفت في هذه الجزيرة مؤخراً مقابر ضخمة تعود إلى العصر الفنيقي في هذه الجزيرة، وربما يرجع وجود هذه الأعداد الكبيرة من القبور والنذور والتماثيل إلى صفة القداسة التي كان ينظر بها الفنيقيون إلى هذه الجزيرة باعتبارها أرض الخلود، وربما يكون السبب الذي دعاهم إلى هذا الاعتقاد ما تميزت به جزيرة يابسة من ظواهر غريبة وهي خلوها من جميع أنواع الحيوانات المفترسة والنباتات السامة، وقد ثبت بأن تربة هذه الجزيرة ذات خصائص غير عادية وهي المناعة ضد أنواع التعفن والسموم، وقد أضفت هذه الظاهرة عليها شهرة واسعة واعتبرها القدماء بناء على اعتقاد راسخ صفات جديرة بإضفاء القداسة عليها[2]، ومن الطريف أن المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية تشير إلى هذه الخصائص غير العادية التي تميزت بها جزيرة يابسة؛ ويقول القزويني بهذا الصدد: «يابسة جزيرة طويلة في البحر الشامي طولها خمسة وأربعون ميلاً وعرضها خمسة عشر، بها مدن وقرى والغالب عليها الجبال، وفيها شجر الصنوبر وليس بها شيء من السباع لا صغيرها ولا كبيرها إلا القط البري ولا حية ولا عقرب، وذكر أهلها بأنه إذا حمل إليها سبع أو حية أو عقرب فسرعان ما يموت»[3].

وتشتهر هذه الجزيرة منذ أقدم العصور بالفواكه وأخشاب الصنوبر والملح، وما زالت لها هذه الشهرة حتى اليوم[4].

إن جزيرة يابسة مدينة بشهرتها إلى شمسها المشرقة التي تنضج الفاكهة وتنمّي الأشجار وتمنح الطبيعة خضرة زاهية، وتجفف مياه البحر في الملاحات الواسعة التي تنتشر في مناطق عديدة من سواحلها، مما جعل الملح أهم منتجاتها، وقد استقر الرواد الأوائل في هذه الجزيرة لشهرتها بالملح والأخشاب والمعادن[5].

وقد أشاد المؤرخون القدماء بمنتجات يابسة وثرواتها الطائلة ومنهم المؤرخ الروماني بليني الذي

(١) مشاهدتي الشخصية في جزيرة يابسة في عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨.
(٢) F. Verdera: Ibiza, p. 8.
(٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٨٢.
(٤) دائرة المعارف البريطانية، ج ١١، ص ١٠١٧ لعام ١٩٦٩.
(٥) Arthur Foss: Ibiza & Minorca, p. 55-56.

أعجب بتين يابسة بصفة خاصة[١]، وقد ذكر المؤرخ الروماني ليفي Livy بأن ثروات جزيرة يابسة الوفيرة هي التي مكنت القائد القرطاجي ماجون من الصمود في وجه القوات الرومانية في الحرب البونية الثانية سنة ٢٠٥ ق.م. وان ما جمعه القائد الروماني سكيبيو Scipio بعد استيلائه على يابسة سنة ٢١٧ ق.م. يفوق كل ما تمكن من الحصول عليه من البر الإسباني[٢].

ونجد في المصادر الإسلامية الكثير من النصوص التي توضح أهمية جزيرة يابسة وأشهر منتجاتها كالفواكه والملح والأخشاب، وكان لأخشاب الصنوبر شهرة واسعة لأهميتها القصوى في بناء السفن التي أسهمت بدور خطير في تاريخ البحرية الإسلامية في العصور الوسطى، ويقول الزهري عن جزيرة يابسة ما يلي: « يجلب منها الملح والخشب إلى بلاد أفريقية وهي جزيرة كثيرة الثمار والزرع.. كما يجلب منها الزبيب واللوز والتين إلى جزيرة ميورقة وهي كثيرة الماعز وهو أكثر كسبهم.. »[٣]. ويصفها ابن سعيد المغربي « بأنها جزيرة خصيبة بعكس اسمها »[٤]ولشهرة جزيرة يابسة بشجر الصنوبر وهو « الشبّين » في اللهجة المحلية الدارجة في جزيرة يابسة في عهودها الإسلامية وهو لفظ مصحف عن اللاتينية، وكان يطلق على المنتسبين إلى هذه الجزيرة من الشعراء والأدباء اسم « الشبّيني » كما يقول ابن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة، ويضيف عن يابسة ما يلي: « جزيرة في البحر أكثر ثمرها الشبّين (الصنوبر) »[٥].

ويوضح صاحب المطرب مدى خصوبة يابسة بقوله.. « وقد رأيت جزيرة يابسة وهي ضد اسمها لكثرة شجرها وخصوبتها.. »[٦].

ومن النصوص التي تبين مدى أهمية يابسة وشهرتها بالملح والفواكه وأشجار الصنوبر ما ذكره الحميري الذي يقول فيه ما يلي: « يابسة جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب وبها مدينة حسنة صغيرة خضرة وأقرب بر إليها مدينة دانية وبينهما مجرى، والمجرى مائة ميل وفي شرق يابسة جزيرة ميورقة وبينهما مجرى، وبجزيرة يابسة عشرة مراسي وبها أنهار جارية وقرى كثيرة وعمائر متصلة وأرضها تنبت الصنوبر الجيد العود لإنشاء السفن وعدد المراكب وبها ملاحة لا ينفد ملحها »[٧].

ومن الملفت للنظر هو أن يابسة ما زالت حتى اليوم شهيرة بالملح وتنتشر بها الملاحات الهائلة

(١) F. Verdera: Ibiza, p. 14.
(٢) Arthur Foss: Ibiza & Minorca, p. 59.
(٣) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ١٢٨ – ١٢٩.
(٤) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٧٠.
(٥) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث، ج ١، ص ٣٤٠.
(٦) أبو الخطاب عمر بن حسن الملقب بابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٣٠.
(٧) الحميري: الروض المعطار، ص ٦١٦.

خاصة في رأس ساليناس Cab de Salinas، وقد خيل لي من بعيد لدى وصولي إلى هذه الملاحات كأن أكداساً من الثلج قد غطت تلك المنطقة وأعتقد بأن هذا المشهد المثير هو الذي أوحى للكاتب والرسام القطلاني سنتياجو روسينول بتسمية جزيرة يابسة « بالجزيرة البيضاء » Isla Blanca التي اشتهرت في تاريخنا الإسلامي « بالجزيرة الخضراء »[١].

ويصف ياقوت الحموي يابسة بما يلي: « كثيرة الزبيب وفيها تنشأ أكثر المراكب لجودة خشبها.. »[٢] ويذكر صاحب مراصد الاطلاع نصاً مماثلاً[٣]، أما القزويني فيذكر عن يابسة ما يلي: « وبها حجل كثير تفرخ في جبالها، وفراخ البزاة الجيدة، والنحل بها كثير جداً.. »[٤].

وقد أسهمت جزيرة يابسة بدور خطير في تاريخ البحرية الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط مع بقية جزر البليار وكان لها دورها المتميز لتوفر الأخشاب فيها ولموقعها الاستراتيجي الخطير، وبقدر ما كان الصنوبر مصدراً لقوة يابسة وعزتها وشهرة أساطيلها كان وبالاً عليها في نهاية عهدها الإسلامي[٥] مما أدى إلى استيلاء القوات الصليبية عليها تحت علم ملك قطلونية وأرغون « خايمي الفاتح » ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م واستعباد من بقي حياً من أهلها للعمل في ملاحاتها وحقولها ومزارعها[٦].

٤ – جزيرة فرمنتيرة Formentera

رابعة جزر البليار مساحتها ٣٨ ميل^{2} = ٦١ كم^{2} ولا يتجاوز عدد سكانها بضعة آلاف وتقع إلى الجنوب من جزيرة يابسة[٧] وأقرب نقطة بين جزيرتي فرمنتيرة ويابسة على بعد ٢ ١/٢ كم ومع ذلك فإن طول الطريق الملاحي بينهما ١١ ميل = حوالى ١٨ كم، وأشهر موانىء فرمنتيرة « لا سابينا » La Sabina، وقد دعيت بهذا الاسم لوجود شجر العرعر من الفصيلة الصنوبرية حولها بكثرة في الماضي، وتقع في الطرف الشرقي من جزيرة فرمنتيرة مرتفعات مولا[٨] التي يبلغ ارتفاعها ٦٠٠ قدم ومعنى كلمة « مولا » Mola باللغة القطلانية « التلة » أو المكان المرتفع[٩]. وقد كان لهذا التل الشاهق أهمية كبرى في الدفاع عن جزيرة فرمنتيرة في عهودها الإسلامية[١٠].

(١) Arthur Foss: Ibiza & Minorca, p. 8
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٤.
(٣) صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي: مراصد الاطلاع، ص ١٣٤٦.
(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٨٢.
(٥) المقري: نفح الطيب، ج ٤، ص ٤٦٩ – ٤٧١.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٠٠ – ٢٠١.
(٧) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ١٠٧٣ لعام ١٩٦٩.
(٨) F. Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 4.
(٩) Arthur Foss: Ibiza and Minorca, p. 86.
(١٠) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩٥ – ٩٦.

وجزيرة فرمنتيرة حالياً قليلة الأشجار صخرية جافة تتناثر في تربتها الحجارة بشكل ملفت للنظر، باستثناء بعض غابات الصنوبر على ساحلها الغربي شمال « لاسابينا » كما تغطي غابة كبيرة من الصنوبر سفوح تلة « مولا » والمنطقة المحيطة بها، وشكل هذه الجزيرة غير منتظم ويخيل لمن يشاهدها عن بعد وكأنها تنين بحري ذو أذرع متعددة وربما تعود تسميتها باسم « فرمنتيرة » إلى شكلها الذي يشبه الثعبان البحري ذا الزعانف المتعددة، ويضيق عرضها إلى درجة أنني شاهدت شاطىء البحر من تلة مولا. والجزيرة قليلة السكان، وتدعى عاصمتها الحالية سان فرنسيسكو، ومن الملفت للنظر في هذه الجزيرة الأعداد الكبيرة من الهيبيين الذين يعيشون على الفطرة فيها، وأزياء أهلها التقليدية التي تشبه ملابس سكان الريف في تونس، والملاحات المنتشرة على طول شواطئها[١].

ومما يدعو للاستغراب أنه نادراً ما يرد اسم جزيرة فرمنتيرة في المراجع الجغرافية الإسلامية، وقد ذكر عنها القزويني ما يلي: « فرمنتيرة.. جزيرة في وسط البحر هواؤها طيب وتربتها كريمة ومياه آبارها عذبة وبها عمارات ومزارع، ولطيب هوائها وتربتها لا يوجد فيها شيء من الهوام أصلاً، لأن الهوام والحشرات تولدها العفونات ولا عفونة فيها.. وهي منبت الزعفران الجيد الذي لا يوجد له مثيل في أي موضع آخر »[٢].

٥ - جزيرة قبريرة Cabrira

جزيرة صغيرة تبعد ٣٠ كم عن « بالما دي ميورقة » عاصمة ميورقة و١٥ كم عن رأس ساليناس بجزيرة يابسة وميناؤها محمي من الرياح ويوجد في الناحية الشرقية منه بعض الخرائب التي كانت في القرن الماضي قصر الحاكم لهذه الجزيرة بالإضافة إلى إحدى القلاع وبعض المساكن. وبالرغم من جو الهدوء المخيم على هذه الجزيرة الصخرية فإنها من أكثر الأماكن كآبة في جزر البليار تكتنفها الجلاميد باستثناء واد ضيق بين التلال الصخرية الوعرة التي يصل ارتفاعها إلى ٥٧٠ قدم[٣]، ويدل اسمها Isla Cabrira « جزيرة الماعز » على شهرتها القديمة بالماعز الذي ما زال حتى اليوم يعيش على سفوح تلالها[٤]. وفي هذه الجزيرة قاسى أسرى الحروب النابوليونية الذين حشروا في معتقلاتها الرهيبة، قسوة مروعة من الجوع ودافعوا عن بقائهم بوحشية رهيبة وتحولوا إلى أكلة لحوم بشرية وهلك منهم حوالى ٤٠٪ قبل أن يكون بالإمكان إنقاذ البقية[٥]، كما استخدمت من قبل السلطات الإسبانية كمنفى للمجرمين ومعتقلاً للمناوئين للسلطة مما يجعلها لا توحي بأي بهجة على

---

(١) مشاهدتي الشخصية في عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨.
(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤٩.
(٣) F. Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p 5.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧، ودليل جزر البليار السياحي لعام ١٩٧٨، ص ١١.
(٥) F. Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 5.

الإطلاق لارتباط تاريخها الحديث بالمعتقلات والسجون من جهة[١] ولكونها جزيرة صخرية قاحلة غير مأهولة من جهة أخرى باستثناء القليل من الرعاة وصيادي الأسماك وخفر السواحل، وتماثلها في ذلك جزيرة قنجيرة Conjera (جزيرة الأرانب) القريبة منها وجزيرة دراجونيرا Dragonera « التنين » في جنوب غربي ميورقة[٢] وكذلك بقية معظم الجزر الصغيرة التي تتناثر في البحر بين جزر البليار الأربع الكبرى، التي يبلغ عددها حوالي المائة جزيرة صغيرة جداً لا تتجاوز في معظمها عن كتل صخرية لا أسماء لها تستخدم كمنارات لإرشاد السفن[٣] ونادراً ما يرد اسم قبريرة[٤] في المصادر الإسلامية، الجغرافية منها والتاريخية، باستثناء بعض هذه المصادر التي أشارت إلى جزيرة قبريرة باعتبارها إحدى المحطات على الطريق الملاحي الجنوي بين سبتة في عدوة المغرب وعكا بساحل الشام، مما يدل دلالة واضحة على أنها كانت عامرة مأهولة في أواخر عهدها الإسلامي، ويتضح ذلك من الترجمة التالية للعالم الإشبيلي محمد بن عبد الملك والطريق الذي سلكه لتأدية فريضة الحج الذي يقول فيه صاحب الذيل والتكملة ما يلي: « .. وفصل من إشبيلية في ربيع الآخر سنة ٦٣٣ هـ قاصداً سبتة.. ومنها إلى المرية.. إلى قرطاجنة.. إلى لقنت.. وفارق بر الأندلس إلى جزيرة يابسة ومنها إلى جزيرة ميورقة.. ثم توجه إلى جزيرة قبريرة، فبات بها ليلة الجمعة وأقلع منها صبح الجمعة إلى مرسى سردانية ومنها إلى صقلية.. إلى أقريطش.. إلى قبرص ومنها إلى ميناء عكا.. ومنها براً إلى دمشق التي صحب فيها الركب الشامي متوجهاً إلى مكة شرفها الله.. »[٥].

---

(١) دائرة معارف البستاني، ج ٥، ص ١٤٩ لسنة ١٨٨١.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧-٣٠٨.
(٣) Ann Hoffman: Majorca, p. 11
(٤) قبريرة: « بفتح القاف وسكون الباء وفتح الراء وسكون الياء وفتح الراء الثانية وفي آخرها هاء مربوطة »
(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي/الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٥/٢، ص ٦٩٠).
(٥) المرجع السابق، ص ٦٨٩ - ٦٩٠، ترجمة رقم ١٢٩٨.

لمحة تاريخية عن جزر البليار
في عصور ما قبل الإسلام

عاش الإنسان منذ فجر التاريخ في جزر البليار نظراً لاعتدال مناخها ووفرة منتجاتها، وقد عرف السكان الأوائل لهذه الجزر بساكني الكهوف، ويذكر ديودوروس الصقلي « بأن سكان جزر البليار القدماء كانوا يعيشون في كهوف طبيعية، وأخرى محفورة في الصخر على السفوح المنحدرة لتوفر الحصانة والأمان.. »، وقد اكتشفت بقايا أدوات صوانية وفخارية في تلك الكهوف تعود إلى بداية العصر البرونزي[١]، وقد دعيت تلك الحضارة بالتلايوتية Talayotic، وتتمثل في المظاهر الحضارية التالية:

أ- الأبراج **Talayats**: وهي إنشاءات ضخمة كانت تستخدم لحماية السكان ويقال بأن اسمها Atalaya « التلايا » مشتق من الكلمة العربية الطلائع لأنها كانت تستخدم في العهود الإسلامية كمراكز للاستطلاع والمراقبة، وكان يوجد في جزيرة ميورقة وحدها ما يزيد عن ألف برج من هذه التلايا Atalaya اندثر معظمها وبقيت منها بقية حتى اليوم.

ب- المعابد **Taulos**: وهي عبارة عن مبانٍ حجرية على شكل حرف T يوجد منها حتى اليوم بعض النماذج بجانب الأبراج في جزيرة منورقة بصفة خاصة، وكانت هذه المعابد تستخدم في الاحتفالات الدينية وتقديم القرابين[٢].

جـ- المدافن: كان سُكانِ جزر البليار الأوائل يدفنون موتاهم في كهوف محفورة في الصخور بأشكال عديدة؛ وقد اكتشفت منها عدة مدافن تشبه إلى حد بعيد تلك المدافن التي اكتشفت في كهوف جنوب فرنسا مما يشير إلى وجود نوع من العلاقة بين جزر البليار وجنوب فرنسا في العصر البرونزي، كما توجد نماذج مماثلة لأبراج ومعابد ومدافن الحضارة التلايوتية في جزيرتي سردانية ومالطة مما يدل دلالة واضحة على وجود علاقات وثيقة بين جزر البحر المتوسط منذ أقدم العصور.

---

(١) F. Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 5.

(٢) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ١٠٧٣ وما بعدها لعام ١٩٦٩ Ann Hoffman: Majorca, p... .

وظلت هذه الحضارة التلايوتية Talayotic التي شاعت منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد تتطور تطوراً بطيئاً حتى قدوم الرواد الأوائل من اليونانيين والفنيقيين في سفنهم التجارية إلى جزر البليار، فتسربت عن طريق هؤلاء المستعمرين حضارة شرق البحر المتوسط المتفوقة إلى سكان جزر البليار الأوائل الذين اكتسبوا خبرات ومعارف جديدة من اليونانيين والفنيقيين الذين استعمروا بعض أقاليم هذه الجزر[١].

الاستعمار اليوناني الفنيقي لجزر البليار

كان اليونانيون الذين قدموا من جزيرة رودس من أوائل الرواد من شرق البحر المتوسط إلى جزر البليار[٢]. وقد استوطن اليونانيون جزيرة رودس منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وبعد تدمير البرابرة لجزيرة كريت حلوا محلهم واكتسبوا الكثير من حضارة كريت الرفيعة واتجهوا من كريت غرباً إلى صقلية واتخذوا لهم مستوطنات في سرقوسة ومنها اتجهوا في أساطيلهم غرباً إلى سردانية وقرسقة وجزر البليار وساحل اسبانيا الشرقي[٣]. وقد دعا اليونانيون هذه الجزر باسم « بليارس » Baliares وهو مشتق من الفعل اليوناني Ballien « بالين » أي ألقى أو رمى، لبراعة سكانها القدماء في رمي الحجارة بالمقلاع، وقد استخدم الرومان نفس هذه التسمية[٤] كما أطلقوا على « جزيرة منورقة الحالية » اسماً آخر هو « ميلوزا » Mellaussa[٥]. وقد نفر البدائيون الأوائل من سكان جزر البليار من المستعمرين اليونانيين في بادىء الأمر، وبمرور الزمن اطمأنوا إليهم، وكان أساس العلاقات الأولى التبادل التجاري[٦] وبالإضافة إلى ذلك فقد كان اليونانيون يبحثون عن المعادن، وربما يعود عدم استقرارهم بشكل دائم في هذه الجزر إلى عنف أهلها وقلة المعادن فيها[٧] بالإضافة إلى منافسة شعب بحري آخر لهم في استعمار هذه الجزر وهو الشعب الفنيقي « الكنعاني » الذي استقر « بساحل كنعان » (ساحل الشام) منذ القرن الثلاثين ق. م.، واندفع منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد في أساطيله البحرية غرباً بحثاً عن الأسواق التجارية والمعادن[٨].

ويذكر المؤرخ الاسباني شباس بأن الأساطيل الفنيقية وصلت إلى غربي البحر المتوسط حوالي

---

(١) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ١٠٧٣.

(٢) دائرة معارف البستاني، ج ٥، ص ١٤٩.

(٣) دائرة المعارف البريطانية، ج ١، ص ٧٨٩ وما بعدها لسنة ١٩٦٩.

(٤) دائرة معارف البستاني، ج ٥، ص ١٤٩.

Hazel Thurston: The Balearic Islands, p. 13.

(٥) Arthur Foss: Ibiza and Minorca, p. 109.

(٦) دائرة معارف البستاني، ج ٥، ص ١٤٩.

(٧) Arthur Foss: Ibiza and Minorca, p. 159.

(٨) د. محمد السيد غلاب: الساحل الفنيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ ص ٤٧١ - ٤٧٢.

١٤٠٠ ق.م. وأنهم أسسوا بعد عبورهم من «جزر البليار» إلى ساحل اسبانيا الشرقي مدينة «دانية» باسم «مرآة الزمان» «هميروسكوبيوم» Hemero Scopum التي أطلق عليها اليونانيون اسم «أرتميسوم» نسبة إلى الآلهة اليونانية «ارتميس» وسماها الرومان باسم «ديانيوم» نسبة إلى الآلهة الرومانية «ديانا» ومن هذا الاسم اشتق العرب اسم «دانية» التي أصبحت في أحد العهود الإسلامية عاصمة كبرى تتبع لها جزر البليار[1]. وقد انتشرت المستوطنات الفنيقية على طول الساحل الافريقي الشمالي ومن أقدمها أتيكا Atica «العتيقة»[2]، ونظراً لتوفر كميات هائلة من المعادن في اسبانيا التي كان الفنيقيون يسعون حثيثاً لاحتكارها، فقد فتشوا عن موانىء طبيعية تأوي إليها أساطيلهم المتوجهة إلى ساحل اسبانيا الشرقي «طرشيش» (طرسوس) Tarsus (أي أرض المعادن) فوجدوا بغيتهم في جزر البليار التي تتميز بموقعها المتوسط بين ساحل اسبانيا الشرقي والمستعمرات الفنيقية في سردانية وقرسقة وصقلية وشمال افريقية، بالإضافة إلى خصوبة تربتها وصلاحية خلجانها للملاحة وتوفر الموانىء الطبيعية على سواحلها[3].

وقد أطلق الفنيقيون على كبرى جزر البليار اسم كولمبا أو كلمبا Clumba-Columba[4]. وتدعم موقفهم في التوسع الاستيطاني في هذه الجزر نتيجة للهجرة الفنيقية الواسعة النطاق في مطلع القرن التاسع قبل الميلاد، بعدما هاجم شلمنصر السادس ملك آشور المدن الفنيقية (ساحل الشام) وأوقع فيها الخراب والدمار واستخلص ثرواتها، مما أدى إلى انتشار الفقر، وعم السخط واضطرت قطاعات واسعة من السكان إلى الهجرة إلى المستوطنات الفنيقية المنتشرة في جزر البحر المتوسط وساحل افريقية الشمالية وساحل اسبانيا الشرقي، وقد عززت هذه الهجرة قوة الفنيقيين في صراعهم ضد اليونانيين من أجل السيطرة على جزر البليار، كما ازداد موقفهم رسوخاً في الشمال الافريقي بعد تأسيسهم مدينة كبرى على مقربة من «تونس الحالية» أطلقوا عليها اسم «قرط هاشت» Quart Hachet أي «المدينة الحديثة» بالكنعانية وأصبحت المركز الرئيسي للفنيقيين في وسط البحر المتوسط وغربه وكبرى قواعدهم التجارية والعسكرية[5]، كما أسسوا مدينة أخرى على مقربة من قرطاجنة دعوها باسم «ترشيش» Tarsus التي أصبحت فيما بعد «مدينة تونس» الإسلامية وفقاً لرواية البكري[6].

ويعود تاريخ تأسيس قرطاجنة إلى عام ٨١٤ ق.م حسب رواية المؤرخ الصقلي ثيماوس، أما

(١) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢١١ وحاشية ١.
(٢) د. محمد السيد غلاّب: الساحل الفنيقي وظهيره، ص ٤٧٦.
(٣) المرجع السابق: ص ٤٨٣.
(٤) Ann Hoffman: Majorca, p. 7.
(٥) الساحل الفنيقي وظهيره، ص ٤٧٨.
(٦) أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ٣٧ – ٣٨.

العتيقة «أتيكا» فهي أول مدينة فنيقية في سواحل افريقية، وكان تأسيسها حوالي ١١٠٠ ق.م وفقاً لرواية المؤرخ فيليوس باتروكولوس وفي نفس العام أسس الفنيقيون أيضاً مدينة جادير «قادس» في جنوب غرب اسبانيا[1].

وقادت قرطاجنة الحرب ضد المستعمرين اليونانيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتمكنت بقيادة ماجون الأول مؤسس أسرة برقة القرطاجية من فرض هيمنتها على جزر البليار وبقية جزر غرب البحر المتوسط وذلك في منتصف القرن السادس قبل الميلاد[2]. ومما يلفت النظر ذلك التماثل الغريب بين المد البحري الفنيقي من شرق البحر المتوسط وبين النشاط البحري الإسلامي في القرنين السابع والثامن للميلاد مع اختلاف الدوافع والظروف التاريخية، فكلاهما بدأ بسواحل الشام وامتد عبر الشمال الافريقي إلى غرب البحر المتوسط، كما نلاحظ نوعاً من التشابه بين الدور الذي قامت به قرطاجنة الفنيقية وجارتها تونس التي أسسها المسلمون وأنشأوا قاعدتها البحرية التي بلغت شهرتها في العصور الوسطى ما وصلت إليه قرطاجنة في العصور القديمة[3].

جزر البليار تحت الحكم الفنيقي القرطاجي

تمكن الفنيقيون القرطاجيون من السيطرة بالتدريج على جزر البليار وكانت أولى المستعمرات التي أسسها القرطاجيون في جزيرة يابسة هي «ابوسوس» Ebusus، وذلك حوالي سنة ٦٥٤ ق.م. وقد حملت الجزيرة وعاصمتها نفس الاسم الذي صحف إلى ابيثا Ibiza باللاتينية ويابسة بالعربية[4].

وبالرغم من تبني معظم المؤرخين لرواية ديودورس الآنفة الذكر، إلا أن الآثار الاركيولوجية القرطاجية التي اكتشفت مؤخراً لا تعود إلى أبعد من القرن السادس قبل الميلاد، فلقد أصبح من المؤكد تاريخياً سيطرة الفنيقيين القرطاجيين على جميع جزر البليار بعد هزيمتهم الساحقة لليونانيين الفوقيين Phocaens[5] على مقربة من ألاليا بجزيرة قرسقة ٥٣٥ ق.م. بقيادة

(١) دائرة المعارف البريطانية، ج ٤، ص ٩٧٦ لعام ١٩٦٩.
(٢) دائرة المعارف البريطانية، ج ٤، ص ٦٢٧ لسنة ١٩٦٩.
(٣) البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ٣٨ – ٣٩ والروض المعطار ص ٢٦٥ – ٢٦٦. ومقدمة ابن خلدون، ص ٤٥٠. ومحمد بن أحمد التجاني: رحلة التجاني، ص ٧٠٦.
(٤) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ٩٧٦، آن هوفمان: ميورقة، ص ٣٧ وأ. لويس كازانوفا: ميورقة، ص ٤.
(٥) اليونانيون الفوقيون: من فوقية Phocea في آسيا الصغرى، توجهوا في أساطيلهم غرباً وتمكنوا خلال عدة قرون من تثبيت دعائم الاستعمار اليوناني في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد أن ضعف يونان رودس وانهارت قواهم بعد مجابهة طويلة مع الفنيقيين، وتمكن الفوقيون من تأسيس مستعمرة يونانية في ماسليا «مارسيليا الحالية» حوالي ٦٠٠ ق.م. وفي سنة ٥٦٠ ق.م. أسسوا مستعمرة ألاليا في قرسقة وفي سنة ٥٥٠ ق.م. أسسوا=

ماجون الأول مؤسس أسرة برقة القرطاجية بالتحالف مع الاترسكيين في ايطاليا[1] وتعقبت الأساطيل القرطاجية للأساطيل الفوقية، ودمّرت قواعدها البحرية نهائياً في جزر البليار ٥٢٠ ق.م.

ومما عزز من قوات قرطاجنة، الهجرة الفينيقية الواسعة النطاق من فنيقية « بساحل الشام » في منتصف القرن السادس قبل الميلاد بعد أن دمر الغزاة الفرس مدنهم واستصفوا ثرواتهم، ونتيجة للأعداد الهائلة من المهاجرين الذين وفدوا إلى قرطاجنة ومستعمراتها من « ساحل الشام » أصبحت قوة بحرية كبرى في الحوض الغربي للبحر المتوسط مما عرضها إلى منافسة روما الغنية التي اشتبكت مع قرطاجنة في ثلاثة حروب دامية آلت في نهاية المطاف إلى تدمير قرطاجنة ١٤٦ ق.م. في نهاية الحرب البونية الفنيقية الثالثة[2]، وقد جند القرطاجيون في صفوف قواتهم فرقاً من البليارين من حملة المقلاع، الذين أسهموا ببسالة في انتصارات قوات قرطاجنة في الحربين البونيتين الأولى والثانية ضد قوات روما[3]. وبعد هزيمة قرطاجنة تمكن الرومان من طرد الفنيقيين من البر الاسباني ووجهوا أنظارهم إلى جزر البليار، وتمكنوا من السيطرة على جزيرة يابسة ١٤٦ ق.م. التي أصبحت منذ ذلك الحين حليفة لروما وأسهمت قواتها في حملة كوينتوس كيكليوس ميتيلوس Quintus Cecilius Metellus على جزيرتي ميورقة ومنورقة ١٢٣ ق.م. الذي أخضع الجزيرتين للحكم الروماني[4].

جزر البليار تحت الحكم الروماني

بالرغم من استيلاء الرومان على جزر البليار ١٢٣ ق.م. فقد ظل الفنيقيون العنصر الرئيسي في هذه الجزر، كما ظلت حضارتهم الراسخة عميقة الجذور إلى عدة قرون، وكانت عملية صبغ هذه الجزر بالصبغة الرومانية بطيئة للغاية بالرغم من الأعداد الكبيرة من الرومان الذين استقروا فيها[5]. ومن أهم المستوطنات الرومانية في جزيرة ميورقة Pollentia (بولنثيا) « بلانسة »

= مستعمرة لهم في شمال ساحل اسبانيا الشرقي وأطلقوا عليها اسم أمبوريون « أنبوريش » واتخذوا في جزر البليار محطات تجارية إلى أن طردهم منها القرطاجيون بعد هزائم متلاحقة بدأت منذ عام ٥٣٥ ق.م.

(Arthur Foss: Ibiza and Minorca, p. 55)

(١) دائرة المعارف البريطانية، ج ٤، ص ٦٢٧ – وارثر فوس: يابسة ومنورقة، ص ٥٥.

(٢) هزل ثرستون: جزر البليار، ص ١٢.

(٣) دائرة معارف البستاني، ج ٥، ص ١٤٩.

(٤) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ١٠٧٥ لسنة ١٩٦٩، وهزل ثرستون: جزر البليار ص ١٢، وآن هوفمان: ميورقة، ص ٣٧.

M. Cary: History of Rome, p. 186.

(٥) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٧٨ – ٧٩.

في شمال الجزيرة وبالماريا Palmaria في الساحل الجنوبي، التي كان موقعها مكان « البالمر » Elpalmer التي تدعى حالياً باسم « بورتو دي كامبوس » Puerto de Campus، وليس مكان بالما الحالية « مدينة ميورقة الإسلامية » التي عمرها المسلمون[1]. وأخذت جزر البليار تدخل تدريجياً تحت الحكم الروماني، ففي عام ٢٧ ق.م. أعلن الامبراطور أغسطس تبعية هذه الجزر لإقليم طركونة في شمال شرق اسبانيا، وكان حاكم هذا الإقليم يولي حكاماً على جزر البليار « برايفكتوس » Praefectus وفي سنة ٢١١ م منح كاراكلا سكان هذه الجزر الرعوية الرومانية، وفي سنة ٤٠١ م أصبحت مستقلة من الناحية الإدارية[2]. وبالرغم من سيطرة الرومان السياسية على حوض البحر المتوسط، فقد ظل النشاط التجاري في هذا الحوض طيلة العصر الروماني بيد التجار السوريين، فكانت جالياتهم تنتشر في جميع موانى البحر المتوسط، مما مكنهم من التحكم في التجارة العالمية، وبالرغم من تغلب الطابع اللاتيني على البلاد المطلة على هذا البحر، فقد ظلت الجذور الكنعانية « الفنيقية » القديمة متأصلة في تلك البلاد، لهذا لم يشعر التجار السوريون بأي تغيير عليهم لدى انتقالهم من شرق المتوسط إلى غربه[3]. وعندما انتشرت المسيحية بعد صدور مرسوم ميلان في فبراير سنة ٣١٣ م، نقل الدعاة السوريون الديانة المسيحية إلى جزر البليار، وقد اكتشف مؤخراً من قبل الكاردينال رونيو منشور سفيروس الكنسي المؤرخ سنة ٤١٨ م، الذي يشير إلى انتشار المسيحية في جزر البليار على يد السوريين[4]. لقد جمعت كافة الظروف التاريخية بين جزر البليار وسواحل الشام وبلاد المغرب « افريقية » برباط وثيق محكم منذ أقدم العصور، فأول بذور الحضارة في هذه الجزر بذرها المستوطنون الكنعانيون « الفنيقيون »، وهم الذين أسسوا الكثير من مدنها الزاهرة وامتزجوا بشعبها البدائي واستقروا فيها قروناً عديدة، كما أن الدعاة السوريين هم الذين نقلوا إليها العقيدة المسيحية وكانوا كبار التجار العالميين في موانيها حتى قدوم العرب المسلمين الذين حملوا إليها الدعوة الإسلامية، التي وجدت في هذه الجزر أرضاً ممهدة ولغة ساميّة راسخة متأصلة ساعدت على انتشار اللغة العربية والحضارة الإسلامية التي ازدهرت وأينعت وقدمت للإنسانية جمعاء أروع الحضارات التي اشتقت تراثها من أعظم الرسالات.

وظلت جزر البليار تتمتع بمميزات السلم الروماني إلى أن اجتاح البرابرة الجرمان رومة ونهبوها بزعامة ألاريك Alaric قائد القوط الغربيين ٤١٠ م، وغزا هؤلاء بلاد الغال « الفرنجة » ٤١٢ م وعبروا جبال البرانس إلى اسبانيا ٤١٥ م[5]. وكان البرابرة الوندال Vandal قد اجتاحوا

(١) آن هوفمان: ميورقة، ص ٣٨.

(٢) هزل ثرستون: جزر البليار، ص ١٣.

(٣) د. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ٤٨ – ٥٠.

(٤) أ. لويس كازانوفا: مينورقة، ص ٤.

(٥) دائرة المعارف الامريكية، ج ٢٣، ص ٦٧٢ لعام ١٩٦٣.

بلاد الغال أيضاً وعبروا منها إلى اسبانيا التي أنزلوا بها الدمار واشتبكوا مع القوط الغربيين للسيطرة على اسبانيا التي حمل القسم الجنوبي منها اسم « فاندالوسيا » Vandalusia ومن هذا الاسم اشتق العرب بعد فتح اسبانيا « اسم الأندلس ». وقد اضطر هؤلاء الوندال Vandal للرحيل عن اسبانيا والعبور إلى افريقية بقيادة ملكهم جيسريك ٤٢٩ م(١). وقبل عبور هؤلاء البرابرة إلى « افريقية » أغارت أساطيلهم على جزر البليار وعاثت فيها فساداً وتخريباً بقيادة ملكهم جندريك سنة ٤٢٦ م(٢). وبعد اجتياحهم معظم سواحل « افريقية الشمالية » أخذت أساطيلهم في مطاردة الأساطيل الرومانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، واستولوا على جزيرة « منورقة » Minorca سنة ٤٣٥ م(٣) ولكنهم اضطروا إلى الانسحاب منها بعد أن اعترف الامبراطور الروماني فالنتيان بهم حكاماً شرعيين في المناطق التي اجتاحوها في الشمال الإفريقي(٤). ولكن الوندال نقضوا هذا الاتفاق واقتحموا قرطاجنة وأوقعوا بها دماراً مروعاً ودارت بينهم وبين الرومان حروب بحرية متواصلة تمكن الوندال خلالها من الاستيلاء ثانية على جزيرة منورقة سنة ٤٦٠ م(٥) وأحكموا سيطرتهم على جميع جزر البليار سنة ٤٦٥ م(٦).

جزر البليار تحت حكم الوندال

لا نجد في المصادر المتوفرة أي توضيح لدور الوندال في تاريخ جزر البليار باستثناء إشارات عامة إلى مدى قسوة هؤلاء البرابرة الجرمان ووحشيتهم وما أنزلوه بسكان هذه الجزر من إرهاب وما أوقعوه بكنيستها الناشئة من اضطهاد لكونهم كانوا يدينون بالعقيدة الاريوسية، مما جعلهم هدفاً للكنيسة الكاثوليكية التي وصفتهم بشتى النعوت السيئة(٧). وفي سنة ٤٨٤ م دعا الملك هونيريك جميع الأساقفة في مملكته إلى اجتماع ديني حضره مكاريوس أسقف منورقة ولكنه لم يرجع إلى بلده فقد قتل دفاعاً عن عقيدته(٨)، ولم يكن بوسع الامبراطورية الرومانية الغربية التي انهارت سنة ٤٧٦ م على يد البرابرة التصدي لهؤلاء « الوندال » فقام بهذا العبء الامبراطورية الرومانية الشرقية في عهد الامبراطور جوستنيان الذي أرسل إلى الشمال الافريقي القائد

(١) دائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ٨٨٠ وما بعدها.
(٢) آرثر فوس: يابسة ومنورقة، ص ٦١.
(٣) أ. لويس كازانوفا: منورقة، ص ٤.
(٤) دائرة المعارف الامريكية، ج ٢٣، ص ٦٧٢.
(٥) أ. لويس كازانوفا: منورقة، ص ٤.
(٦) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، ص ٣٠٧ - ٣٠٨، والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩.
(٧) دائرة المعارف الامريكية، ج ٢٧، ص ٦٨٠.
(٨) آرثر فوس: يابسة ومنورقة، ص ١١٦.

بليزاريوس على رأس حملة بحرية كبرى تمكنت من هزيمة الوندال سنة ٥٣٣ م. وكانت معظم قواتها من شعوب الامبراطورية الرومانية الشرقية(١) وكانت بعض فرق فرسانها الحقيقية من العرب الغساسنة(٢) وتمكن أبوليناريوس مساعد بليزاريوس من الاستيلاء على جزر البليار سنة ٥٣٤ م(٣).

الفترة الأولى لتاريخ جزر البليار تحت الحكم البيزنطي

بعد استيلاء أبوليناريوس مساعد القائد العام بليزاريوس على جزر البليار سنة ٥٣٤(٤)، أصبحت هذه الجزر إقليماً بيزنطياً يتبع لقرطاجنة عاصمة افريقية « تونس الحالية » وملحقاتها في الشمال الافريقي وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط. وكانت جزر البليار تتبع وفقاً للتنظيمات الإدارية البيزنطية لجزيرة سردانية الإقليم السابع في ولاية « افريقية » البيزنطية(٥). وقد دعيت جزيرة ميورقة في الوثائق التاريخية البيزنطية باسم « ميوريكة » Maiorica وهو اسمها الروماني مصحفاً بعض الشيء، كما دعيت جزيرة منورقة باسم « منوريكة » وهو نفس اسمها باللاتينية مع بعض التحريف في اللفظ(٦). وظلت العلاقات بين جزر البليار والامبراطورية البيزنطية طوال الفترة التي استقرت خلالها سلطة البيزنطيين في جنوب شبه جزيرة أيبريا وجنوبها الشرقي، وكانت أهمية جزر البليار آنذاك باعتبارها محطة على الطرق البحرية بين القسطنطينية وأملاكها في شبه جزيرة أيبرية من جهة، وبين الأقاليم البيزنطية في الشمال الإفريقي وبين شتى أرجاء الامبراطورية البيزنطية في الحوض الغربي للمتوسط من جهة ثانية، غير أن الوضع تغير منذ أن فقدت بيزنطية ممتلكاتها في إقليم « باطقة » Batica في جنوب شبه جزيرة أيبريا، بعد أن استولى الملك القوطي سونتيلا على هذا الإقليم وضمه إلى مملكته سنة ٦٢٤ م. ولم تعد جزر البليار منذ ذلك التاريخ محطة في طريق بحري استراتيجي وإنما أصبحت نهاية لهذا الطريق، ولم يعن ذلك فقدها لأهميتها الاستراتيجية ولكن قيمتها تغيرت، فقد تحولت إلى رأس حربة لامبراطورية فقدت ما بقي لها من أراض في هذا الطرف القصيّ من الغرب(٧). وفي هذه الفترة التي كانت فيها جزر البليار تخضع للحكم البيزنطي ظهر في الجزيرة العربية في مكة المكرمة أكرم بقاعها وأقدسها

(١) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، وأسد رستم: الروم، ص ١٨٧، وأومان: الامبراطورية البيزنطية، ص ٦٩.
(٢) أومان: الامبراطورية البيزنطية، ص٥٧.
(٣) تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩.
(٥) المرجع السابق: ص ١١ - ١٢.
(٦) د. حسين مؤنس: تاريخ المغرب، ص ١٥.
(٧) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩١.

نبي عربي كريم يدعو لرسالة الإسلام وهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب صلوات الله عليه وسلامه وكان ذلك حوالي سنة ٦١٠ م وأشرق على الإنسانية جمعاء فجر جديد[١].

الفترة الثانية لتاريخ جزر البليار تحت الحكم البيزنطي

تمتعت جزر البليار في هذه الفترة بشبه استقلال، نظراً لكونها في أقصى الحدود الغربية للامبراطورية البيزنطية مما حمل بيزنطية التي انشغلت في التصدي للزحف الإسلامي في المشرق والمغرب على أن تعطي هذه الجزر حرية للتحرك والتصرف إزاء ما كان يتهددها من أخطار ولا سيما بعد زحف القوات الإسلامية المظفرة براً وبحراً عبر الشمال الإفريقي[٢]. وكانت جزر البليار وسردانية وقرسقة تشكل في هذه الفترة خطاً دفاعياً في مواجهة الزحف الإسلامي عبر الحوض الغربي للمتوسط تجاه شمال افريقية وشواطىء اسبانيا[٣] بالتنسيق مع القيادة البحرية العليا في صقلية، فقد كان حاكم صقلية آنذاك هو القائد العام للبحرية البيزنطية في الحوض الغربي للمتوسط[٤]. وفي هذه الفترة كان زحف القوات الإسلامية المظفر براً وبحراً عبر الشمال الافريقي والبحر المتوسط في طريقها إلى جزر البليار.

---

(١) حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٧٨، وعمر فروخ: العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٢.

(٣) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ١٤١.

(٤) المرجع السابق: ص ١١٣ - ١١٤.

الفصل الأوّل

المحاولات الإسلامية الأولى لفتح جزر البليار
٧٩ - ٢٩٠ هـ = ٦٩٨ - ٩٠٣ م

القوات الإسلامية في طريقها للبليار

بينما كانت جزر البليار تخضع للحكم البيزنطي، أشرق على بطاح مكة فجر الدعوة الإسلامية التي جمعت شمل القبائل العربية ونقلتها من الظلمات إلى النور، وجعلت من تلك النفوس المؤمنة بالله ورسالة نبيه هداة الدين الحق ولإعلاء كلمة الله بين الأمم وحملة مشاعل الإيمان إلى الإنسانية جمعاء.

فبعد أن بلّغ الرسول العظيم رسالة ربه وأدى الأمانة على أحسن الوجوه وأكملها ووضع الأساس الراسخ للدولة الإسلامية العتيدة اختاره الحق إلى جواره وذهب إلى لقاء ربه راضياً مرضياً في ١٣ ربيع الأول ١١ هـ = ٨ يونيو ٦٣٢ م وترك من بعده خير أمة أخرجت للناس جمع الإسلام فيما بينها ووحد صفوفها وجعل منها قوة هائلة تهاوت أمامها الامبراطورية البيزنطية في بضع سنين[١]، فما إن أهل عام ١٣ هـ = ٦٣٤ م حتى اندفعت القوات الإسلامية من بلاد الحجاز شمالاً إلى سواحل البحر المتوسط مهد الحضارة الإنسانية لنقل رسالة الإسلام إلى كافة الأمم، وبعد عامين من الملاحم البطولية انهار الحكم البيزنطي في بلاد الشام وتم القضاء نهائياً على الجيوب البيزنطية الساحلية في عام ١٨ هـ = ٦٣٩ م وارتفعت رايات الإسلام خفاقة على ثغور الحوض الشرقي للبحر المتوسط من غزة جنوباً إلى انطاكية شمالاً[٢]. ولم يتوقف هذا المد الجارف عند

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٩٤، وتاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٢٧. د. عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٧٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٥ وما بعدها.
وتاريخ اليعقوبي: ص ١٣٣ وما بعدها.
وتاريخ الطبري: ج ٣، ص ٣٨٧ وما بعدها وص ٣٩٤ وما بعدها.
ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٤٠٣ وما بعدها وص ٥٦١ - ٥٦٢.
وابن خلدون: العبر، ج ٢، ص ٤٦٤ وما بعدها.
ود. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ٦٤ - ٦٥.

حدود الشام الجنوبية بل تجاوزها إلى مصر التي استقر فيها الحكم الإسلامي خلال عامين ١٩ - ٢١ هـ = ٦٣٩ - ٦٤١ م[١].

وما إن استقرت أقدام المسلمين في أرض الكنانة حتى اندفعت طلائعهم المظفرة غرباً عبر سواحل افريقية الشمالية ٢١ هـ = ٦٤١ م وكأن هناك قوة تدفعها للسيطرة على سواحل البحر المتوسط وتحول بينها وبين التوقف[٢]. وبعد سبعة وخمسين عاماً من الملاحم البطولية الخالدة والتضحيات الأسطورية الفريدة استقرت أقدام المسلمين في برقة وطرابلس وافريقية ٧٨ هـ = ٦٩٧ م[٣] في فترة ولاية القائد حسان بن النعمان الغساني الذي حقق انتصارات باهرة على البيزنطيين وحلفائهم من البربر ، تمكّن على أثرها من فتح قرطاجنة عاصمة افريقية، وتوّج انتصاراته بهزيمة آخر حملة بيزنطية لاستعادة افريقية من أيدي المسلمين بقيادة البطريق يوحنا ٧٨ هـ = ٦٩٧ م وزال الحكم البيزنطي من افريقية، واندثرت قرطاجنة وتحولت إلى خرائب[٤]. ولم تتوقف انجازات حسان بن النعمان في « افريقية » على ترسيخ دعائم الحكم الإسلامي وتدوين

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٤ وما بعدها.
وتاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٤٨ - ١٥٤.
وتاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٠٢ وما بعدها.
وابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٥٦٤ وما بعدها.
ود. حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٣٣٧ وما بعدها.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، ص ٣٣.
والبلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٥. وتاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٥٦.
وابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٠. والبيان المغرب: ج ١، ص ٨.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، ص ٢٩ - ٦٤.
والبلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٥ - ٢٣١.
وتاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٠٤، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٧٠.
والبكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص ٤، ٣٨.
وتاريخ اليعقوبي: ص ١٦٥، ٢٢٩. وابن عذاري: البيان المغرب ج ١، ص ٨ - ٣٥.
ابن خلدون: العبر ٢، ج٢، ص١٠٠٣ - ١٠٠٦ وج٣، ص ١٩٤ وج ٤، ص٣٩٨ - ٤٠١، وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١، ص١٥٢.
والناصري: الاستقصا ج١، ص ٨٠ - ٩٤. ود. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ١١٦ وما بعدها. ود. العدوي: الأمويون والبيزنطيون ص ٢٤٨ - ٢٤٩. ود. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ١٦٧ - ١٧٣.
وأرشيبالد لويس: القوى التجارية والبحرية، ص ٩٧ - ١٠٠.

(٤) المالكي: رياض النفوس، ص ٣٨. وابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٨ - ٣٩. وأومان: الامبراطورية البيزنطية، ص ٣٩. ود. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٥٣ - ٢٥٤. ود. العدوي: الامويون والبيزنطيون، ص ٢٥٧ - ٢٥٨. وأرشيبالد لويس: القوى التجارية والبحرية ص ٢٩٦. G. Ostvogorsky: History of the Byzantine State, p. 140-141.

الدواوين ولكنه تجاوز ذلك إلى تدعيم القوات البحرية في افريقية، بإنشاء دار الصناعة في ترشيش « تونس » لبناء الأساطيل البحرية[١].

وكانت القوات البرية الإسلامية الزاحفة عبر الشمال الافريقي تعتمد في إسنادها البحري منذ عام ٢٨ هـ = ٦٤٨ م على أساطيل مصر التي ظلت بالرغم من إنشاء دار صناعة في تونس تقدم الدعم والإسناد حتى تم فتح جميع بلاد المغرب[٢]. ويذكر اليعقوبي بأن حسان بن النعمان «.. غزا في البحر .. » سنة ٧٧ هـ = ٦٩٦ م[٣] مما يؤكد وجود نشاط بحري في افريقية في فترة ولايته، خاصة بعد إنشاء دار الصناعة في ترشيش. ويعود الفضل إلى هذه القوات البحرية في هزيمة أسطول البطريق يوحنا الذي قام بآخر حملة بيزنطية لاستعادة قرطاجنة من أيدي المسلمين سنة ٧٨ هـ = ٦٩٧ م[٤]. وبالرغم من الإنجازات الكبرى التي حققها حسان بن النعمان فقد عزله عبد العزيز بن مروان عامل مصر وولى مكانه موسى بن نصير. وقد تضاربت الأقوال في تاريخ تولية موسى بن نصير عاملاً على افريقية، فبينما يذكر اليعقوبي بأن تاريخ توليته كان في عام ٧٧ هـ = ٦٩٦ م[٥] تذكر مصادر أخرى بأن ذلك كان في عام ٧٨ هـ = ٦٩٧ م[٦]، إلا أن الأرجح في نظرنا هو أن تاريخ استدعاء حسان بن النعمان من قبل عامل مصر عبد العزيز بن مروان وعزله كان في نهاية عام ٧٨ هـ = ٦٩٧ م[٧] وأن تاريخ تولية موسى بن نصير عاملاً على افريقية كان في مطلع عام ٧٩ هـ = ٦٩٨ م لتطابقه مع تسلسل الأحداث السابقة واللاحقة وإجماع نخبة من المؤرخين على صحة هذا التاريخ[٨].

---

(١) المالكي: رياض النفوس ص ٩٧. والبكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب ص ٣٨ - ٣٩. والحميري: الروض المعطار ص ٢٦٥ - ٢٦٦. والتجاني: رحلة التجاني ص ٧٦. والوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية ج ٤، ص ٣٦٠ - ٣٦٣.

(٢) د. أحمد مختار العبادي ود. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٢٨ - ٣٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٨١.

(٤) ج. أوستروجورسكي: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٦) أخبار مجموعة، ص ٣. وابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٥٣٩. وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١٩٨.

(٧) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، ص ٦٥. وتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٧٧.

(٨) ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، ص ٦٨. وتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٩٨. والإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: ج ٥، ص ٥٠.
والحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٣٨. والضبي: بغية الملتمس ص ٤٥٧. وابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٤٤.
وابن الابار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٣٣٢.

البليار في فترة الزحف الإسلامي المظفر

كانت جزر البليار في هذه الفترة حلقة في سلسلة من القواعد البحرية البيزنطية لمواجهة الزحف الإسلامي عبر الحوض الغربي للبحر المتوسط تجاه ساحل افريقية الشمالي وسواحل اسبانيا المطلة على البحر المتوسط، وكانت هذه القواعد البحرية تشمل بالإضافة إلى جزر البليار سردانية وقرسقة[1] وقاعدة سبتة في مرطانية الطنجية التي كانت تتحكم في طريق العبور البحري الضيق بين عدوتي المغرب والأندلس، وقد أطلق العرب على هذا المعبر البحري اسم «بحر الزقاق» و«مضيق جبل طارق» بعد فتح الأندلس، وكان عامل مرطانية الطنجية آنذاك الحاكم البيزنطي «الاكزاركوس Exarcus يوليان[2]».

وكانت جزر البليار وفقاً للتقسيمات الإدارية البيزنطية تابعة مباشرة لجزيرة سردانية الإقليم السابع في ولاية افريقية البيزنطية[3]، وكان يقوم بأعباء السلطة الإدارية والشئون المدنية في جزيرة سردانية وملحقاتها حاكم مدني يدعى بالبرايزيس Priaeses، أما السلطة العسكرية فكان يتولاها قائد عسكري يدعى بالدوق Dux[4]؛ وأرجّح أنه كان يوجد لجزر البليار أسوة ببقية الأقاليم البيزنطية حكام محليون يدعى كل منهم «بالاكساركوس» Exarcus كما كان بالنسبة لسبتة في مرطانية الطنجية[5] وكانت جميع القواعد البحرية البيزنطية في الحوض الغربي للبحر المتوسط تابعة لحاكم صقلية نائب القائد الأعلى للبحرية البيزنطية[6]، ونظراً لانشغال القيادة العليا البيزنطية في التصدي للزحف الإسلامي المظفر في المشرق والمغرب فقد منحت جزر البليار نوعاً من الاستقلال من أجل أن تتيح لها حرية التحرك والتصرف إزاء ما كان يتهددها من أخطار لصعوبة إمدادها بعون خارجي لكونها في أقصى الحدود الغربية للإمبراطورية البيزنطية، وشيئاً فشيئاً تناقص اهتمام البيزنطيين بهذه المنطقة القصيّة تاركة إياها لمصيرها المحتوم بعد سقوط قرطاجنة في أيدي المسلمين وزوال الحكم البيزنطي نهائياً من أفريقية ٧٨ هـ = ٦٩٨ م[7]. ومنذ ذلك الحين اعتمدت القيادات البحرية في جزر البليار وبقية الجزر البيزنطية في الحوض الغربي للمتوسط على نفسها في مواجهة الزحف الإسلامي وأصبح لها أساطيلها الخاصة وكذلك دور

---

(١) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص١٤١.
(٢) ابن الكردبوس: كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ٤٣ وسيديو: تاريخ العرب العام، ص ١٥٨. ود. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٤.
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ص ١١ - ١٢. ود. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ١٥.
(٤) دائرة المعارف البريطانية، ج ١٩، ص ١٠٧٣ لسنة ١٩٦٩.
(٥) د. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٥٤.
(٦) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص١١٣ - ١١٤.
(٧) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩١ - ٩٢.

صناعتها وميزانيتها المالية. وكانت نفقات الأساطيل والقوات البرية لهذه الجزر تدفع من قبل السكان، كما كان يفرض عليهم العمل كبحارة على سفن الأسطول وتقديم سفن النقل والمؤن والهبات العينية لمواجهة احتياجات القوات البرية والبحرية وأعباء الدفاع، ونصّب حكام جزر البليار أنفسهم ملوكاً واستقل كل منهم في الجزيرة التي كان يحكمها[1].

سياسة موسى بن نصير البحرية وعوامل نجاحها:

٧٩ - ٩٤ هـ = ٦٩٨ - ٧١٣.

لقد وعى موسى بن نصير منذ وصوله إلى افريقية في جادى الأولى ٧٩ هـ = يونيو ٦٩٨ م[2] بما عرف عنه من خبرة واسعة بشئون البحر المتوسط[3] ما تشكله جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط ومنها جزر البليار من خطر على استقرار دعائم الحكم الإسلامي في بلاد المغرب وما تمثله من عوائق خطيرة تقف عثرة في سبيل تحقيق أهدافه الكبرى التي كان على رأسها استكمال فتح بلاد المغرب وفرض الهيمنة الإسلامية على الحوض الغربي للبحر المتوسط ومن ثم فتح الأندلس[4]؛ وليس هذا غريباً على من نشأ تحت كنف بني أمية وتمرّس في بلاد الشام على شئون البحر، فقد كان أبوه نصير رئيس حرس معاوية ابن أبي سفيان مؤسس صرح البحر الإسلامية[5]. لهذا يمكننا القول بأن طليعة الحملات البحرية الإسلامية على جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط في فترة استكمال موسى بن نصير لفتح بلاد المغرب ٧٩ - ٨٩ هـ = ٦٩٨ - ٧٠٨ م لم تكن عملاً ارتجالياً أو بمحض الصدفة والاتفاق كما كان شائعاً من قبل بل كانت حلقات في خطة محكمة تهدف إلى إحكام السيطرة على بلاد المغرب والتمهيد لفتح الأندلس. ويقول المؤرخ الميورقي روسليو بوردوي بهذا الصدد «.. ينبغي التخلي تماماً عن الفكرة التي كانت سائدة من قبل، التي كانت ترد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس لمحض الصدفة والاتفاق، ولكن الدراسة الجادة لتلك الفترة بالاعتماد على الوثائق المعاصرة والمعتمدة أثبتت بشكل قاطع بأن سياسة الدولة الأموية كانت واعية بضرورة إعداد أسطول قوي ومدرب للتغلب على البيزنطيين، وأن فتح الأمويين لشمال افريقية وشبه جزيرة أيبرية لم يكن إلا جزءاً من مخطط طويل المدى يهدف لإضعاف العالم

---

(١) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٣.
(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٠.
(٣) د. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١ - ١٢.
(٤) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٣.
(٥) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق الحجي ص ١٣٣ - ١٣٤. ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٠٢. ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١ - ١٢.

البيزنطي وحرمانه من موارده الاقتصادية، وعلى ضوء هذا يجب تفسير الحملات البحرية الإسلامية على جزر البليار وبقية جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط وفقاً لخطة محكمة مترابطة الحلقات مهدت لها عدة عوامل رئيسية.. »[1].

وكان من أبرز العوامل التي مهدت لنجاح سياسة موسى بن نصير البحرية – مما مكنه من استكمال فتح بلاد المغرب والهيمنة على معظم الحوض الغربي للبحر المتوسط وفتح جزر البليار مما مهد السبيل لفتح الأندلس – هي ما يلي:

أ- براعة موسى بن نصير ومواهبه التي أهلته بأن يصبح من أعظم القادة الذين ظهروا في صدر الدولة الأموية، فقد جمع بين قيادة القوات البرية والبحرية، فكما كان قائداً برياً عظيماً كان قائداً بحرياً جريئاً خبيراً بشئون البحر المتوسط عالماً بسواحله وجزره ومسالكه وطرقه، عارفاً بأجوائه وتقلباته متمرساً بركوبه بصيراً بأساطيله وأنواع السفن وتسليحها وتجهيزها، بارعاً في إعداد الخطط حازماً في تنفيذها مما حقق على يديه أعظم الفتوحات[2].

ب- تجنيد موسى بن نصير لمن دخل في الإسلام من الافارقة والبربر والروم. لقد وفرت الأعداد الهائلة من الأفارقة والبربر الذين دخلوا في الإسلام لموسى بن نصير مستودعاً بشرياً لا ينضب وحشداً هائلاً من القوات المؤهلة للقتال، وقام بإدخالهم في جيوشه البرية وإلحاق ذوي الخبرة البحرية منهم في أساطيله، كسباً لنصرتهم وتصريفاً لطاقاتهم وإشغالاً لهم عن الفتنة، وتجنب بذلك الاعتماد الكامل على الامدادات من مصر والشام التي يتطلب وصولها وقتاً طويلاً ونفقات باهظة، وهذا مما مكنه من تحقيق أروع الانتصارات في البر والبحر[3].

جـ- إسناد أساطيل مصر المتواصل لقوات موسى بن نصير البرية بالتعاون مع أساطيل افريقية التي تم بناؤها في دار الصناعة في ترشيش، وظلت أساطيل مصر تقدم العون والاسناد حتى أصبحت افريقية في غنى عن أي عون خارجي بعد استكمال فتح المغرب[4].

د- إنشاء الأساطيل في دار الصناعة في ترشيش « تونس ».

منذ وصول موسى بن نصير إلى افريقية ٧٩ هـ = ٦٩٨ م[5] أولى عنايته لدار الصناعة في تونس « ترشيش » التي أنشأها حسان بن النعمان وقام بتوسيعها مما ضاعف من إنتاجها في صناعة

---

(١) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٣.
(٢) د. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١ – ١٢.
(٣) أخبار مجموعة: ص ٤.
والإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٦.
ود. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٨.
(٤) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٢٨ – ٣٠.
(٥) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٠.

السفن ومختلف المعدات والتجهيزات العسكرية[1]، وعمّر مدينة ترشيش التي دعيت باسم « تونس » سنة ٨٠ هـ = ٦٩٩ م[2] وأمر بإنشاء مائة سفينة في دار الصناعة في تونس[3]. وقام خبراء بناء السفن من الأقباط الذين أرسلهم عامل مصر عبد العزيز بن مروان إلى افريقية ببنائها كما أسهم البربر بتزويد دار الصناعة بالأخشاب الجيدة الملائمة لصناعة السفن وتجهيزاتها[4].

وقد اشتهر الأقباط في بداية العهد الإسلامي في مصر بصناعة السفن، وكانت دار الصناعة في الاسكندرية تقوم ببناء مختلف أنواع السفن التجارية والحربية البيزنطية[5] ومن أشهر أنواع السفن الحربية البيزنطية التي انتقلت صناعتها إلى المسلمين في المشرق والمغرب « الدرومون » و « الاكاتيا » و « القرابيز » و « الغراب »[6].

وقد تفاعلت التقاليد المصرية العريقة في صناعة الأساطيل البحرية مع الخبرات المكتسبة في افريقية جيلاً بعد جيل، وكانت حصيلة ذلك ازدهار صناعة الأساطيل في « افريقية » وكافة بلاد المغرب، وتنوعها وابتكار أنواع جديدة مما أضفى على « افريقية » منذ بداية عهدها الإسلامي شهرة واسعة في صناعة الأساطيل والنشاط البحري. ويعلل ابن خلدون هذه الطفرة البحرية بقوله « .. فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم، وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته فشرهوا إلى الجهاد وأنشأوا السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر.. »[7].

طليعة الحملات البحرية الإسلامية على البليار وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط

كانت القفزة البحرية الأولى لأسطول افريقية الجديد وأساطيل مصر المساندة في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد وصول موسى بن نصير إلى افريقية[8] فما إن وصل إلى هناك حتى أخذ

---

(١) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٣١ و ٣٤.
(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ١٣٢ و ١٤٣.
(٣) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٧.
(٤) البكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص ٣٨ – ٣٩.
(٥) د. سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ص ٧٤ – ٧٥.
(٦) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٣٦٦.
(٧) مقدمة ابن خلدون: ص ٤٤٨ – ٤٤٩.
(٨) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٣.
وارثر فوس: يابسة ومنورقة، ص ٢٦.

في إرسال الحملات البرية الواحدة تلو الأخرى من أجل استكمال فتح بلاد المغرب[1]. وفي نفس الوقت الذي كانت فيه القوات البرية الإسلامية تزحف غرباً من افريقية عبر المغرب الأوسط تجاه المحيط الأطلسي، كان موسى بن نصير يرسل الحملة البحرية تلو الأخرى للإغارة على جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط لتأمين تقدم قواته وحماية خطوط امداده الخلفية وللقضاء على القواعد البحرية البيزنطية التي تهدد جناحه الأيمن، واستنزاف القوات البحرية البيزنطية لاستكمال فتح بلاد المغرب دون أي عائق والتمهيد لقواته البرية والبحرية للعبور إلى بلاد الأندلس[2]، وكان بذلك ينفذ وصية معاوية بن أبي سفيان الذي عاش في كنفه وتمرّس على البحرية في عهده التي يقول فيها: « شدوا على خناق الروم فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم.. »[3].

وقد شدّ موسى بن نصير على خناق الروم بغارات بحرية متعاقبة على قواعدهم البحرية في صقلية وقوصرة وسردانية، وعلى جزر البليار التي كانت آنذاك تابعة اسمياً للبيزنطيين بعد أن نصّب حكامها أنفسهم ملوكاً واستقل كل منهم في الجزيرة التي كان يحكمها[4] وكانت طليعة الغارات والنشاطات البحرية الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط هي ما يلي:

أ- غارة بحرية على جزيرة يابسة إحدى جزر البليار ٧٩ - ٨٠ هـ = ٦٩٨ م:

أغار أحد الأساطيل الإسلامية المساندة لقوات موسى بن نصير الزاحفة عبر المغرب الأوسط على جزيرة يابسة[5] التي تقع في أقصى جنوب أرخبيل جزر البليار على بعد ٢٥٦ كم عن ساحل المغرب الأوسط[6] لتدمير القوى المعادية في هذه الجزيرة وكفّ أذاها لمنع تعرضها للقوات الإسلامية البرية[7].

ب- غارة بحرية على جزيرة قوصرة ٨١ هـ = ٦٩٩ - ٧٠٠ م. أغار أحد أساطيل مصر المساندة بقيادة عبد الملك بن قطن بأمر من موسى بن نصير على جزيرة قوصرة البيزنطية التي تقع بين جزيرة صقلية وساحل « إفريقية » وقام بتدمير القواعد البحرية البيزنطية المتقدمة فيها لمنع

---

(١) أخبار مجموعة، ص ٤ وما بعدها. وابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس ص ٦٩ وما بعدها. وتاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٧٨ وما بعدها. والإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٥٢ وما بعدها. والبيان المغرب، ج ١، ص ٤٣ وما بعدها.

(٢) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٣.
ود. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٣٠.

(٤) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩١ - ٩٣.

(٥) آرثر فوس: يابسة ومنورقة، ص ٢٦.

(٦) دليل جزر البليار السياحي لعام ١٩٧٨، ص ١١.

(٧) آرثر فوس: يابسة ومنورقة، ص ٢٦.

تعرض أساطيلها لقاعدة ترشيش « تونس » البحرية وقطع خطوط إمداد قوات موسى بن نصير المتجهة غرباً عبر بلاد المغرب الأوسط[1].

جـ- قدوم أسطول مصر المساند بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير ٨٣ هـ = ٧٠١ - ٧٠٢ إلى إفريقية لمواكبة القوات الإسلامية البرية وإسنادها في زحفها المظفر « .. نجده في طالعة أهل مصر.. »[2].

د- غارة بحرية على جزيرة صقلية بقيادة عطاء بن رافع على رأس أسطول مصر المساند شوال ٨٤ هـ = أكتوبر ٧٠٣ م، وكان عبد العزيز بن مروان قد أرسله لغزو جزيرة سردانية، وبعد رسوّه في ثغر سوسة بساحل إفريقية نصحه موسى بن نصير بتأجيل غارته لحلول فصل الشتاء ولكنه لم يصغ لنصيحته، وأغار على جزيرة صقلية المجاورة. وبالرغم من تحقيقه بعض الانتصارات إلا أن أسطوله تعرض إلى عاصفة عاتية أثناء عودته إلى « إفريقية » مما أدى إلى غرق عطاء بن رافع مع معظم أسطوله ولجأ من نجا من السفن والبحارة إلى قاعدة تونس البحرية ودار صناعتها التي أصبحت بعد إنشائها الملجأ الأمين للأساطيل الإسلامية عند تعرضها للخطر « ومشتى إذا هبت الأنواء والأرياح.. »[3]. وكان عمال مصر يتابعون حملات الإسناد البحرية المرسلة إلى إفريقية ويستفسرون عن أخبارها وما أنجزته من مهمات وما وقع في صفوفها من خسائر، وعدد من عاد منهم سالماً إلى مصر، وعدد من تخلّف من البحارة في إفريقية، بعد إنجاز الحملة البحرية للمهمة المكلفة بها[4].

هـ- غارة بحرية على جزر البليار سنة ٨٤ هـ = ٧٠٣ م بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير عاد منها ظافراً بعد أن أصاب غنائم وافرة[5].

و- غارات بحرية واسعة النطاق على جزر صقلية وسردانية والبليار سنة ٨٥ هـ = ٧٠٤ م بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير[6]. وقد ذكر صاحب الإمامة والسياسة بأن عبد الله بن موسى بن

---

(١) البكرى: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص ٤٥.
وفتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ص ١٨٨ - ١٩٠.
وأرشيبالدلويس: القوى البحرية والتجارية، ص ١٢٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ٥٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٧.

(٤) علي محمد فهمي: البحرية في شرق البحر المتوسط، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ من كتاب تاريخ البحرية المصرية - جامعة الاسكندرية.

(٥) ليفي بروفينسال: تاريخ أسبانيا الإسلامية، حاشية « ١ »، ص ٢٠٠. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٦) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٩٣ نقلًا عن أماري: المسلمون في صقلية مجلد « ١ »، ص ٢٨٤.

نصير أغار على جزيرة صقلية في سنة ٨٥ هـ = ٧٠٤ م وعاد منها بغنائم كثيرة[١].

ز- غارة بحرية على سرقوسة كبرى قواعد جزيرة صقلية البحرية في شتاء ٨٦ هـ = ٧٠٥ م بقيادة عياش بن أخيل قائد أسطول إفريقية الذي « .. شتا في البحر وأصاب مدينة سرقوسة.. فغنمها وجميع ما بها وقفل سالماً غانماً.. »[٢].

ح- غارة بحرية على « أولية » إحدى مدن جزيرة صقلية الساحلية سنة ٨٦ هـ = ٧٠٥ م بقيادة المغيرة بن أبي بردة، تمكن خلالها من اقتحام هذه المدينة وفتحها[٣].

ط- غارة بحرية على جزر البليار سنة ٨٦ هـ = ٧٠٥ م بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير عاد منها بعدد كبير من الأسرى وكميات وافرة من الغنائم[٤].

ي- غارتان بحريتان على جزيرة سردانية ٨٧ هـ = ٧٠٦ م.

الأولى منهما بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير الذي استولى على بلدة فيها وغنمها وعاد منها سالماً[٥]. والحملة الثانية بقيادة عبد الله بن حذيفة الأزدي الذي عاد منها غانماً[٦].

وفي عام ٨٨ هـ = ٧٠٧ م كان موسى بن نصير يقوم بآخر حملاته البرية لاستكمال فتح بلاد المغرب، وفي العام التالي ٨٩ هـ = ٧٠٨ م تمّ فتح جميع بلاد المغرب وقام موسى بن نصير بتولية طارق بن زياد على طنجة في عدوة المغرب على بحر الزقاق « .. وجعل معه جيشاً كثيفاً جلهم من البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن الكريم.. » وعاد إلى إفريقية للإعداد لقفزة كبرى عبر بحر الزقاق لفتح بلاد الأندلس[٧]، ومهد لهذا الفتح بحملتين بحريتين ،الأولى منهما على جزيرة سردانية سنة ٨٩ هـ = ٧٠٨ م بقيادة عبد الله بن مرة على رأس أسطول مصر المساند وعاد منها منتصراً غانماً بعد أن أوقع خسائر فادحة في صفوف قواتها، وبصحبته ثلاثة آلاف أسير[٨]. وكانت هذه الحملة هي آخر حملات أسطول مصر المساند في الحوض الغربي للبحر المتوسط الذي ظل يواصل تقديم العون والإسناد البحري إلى قوات « إفريقية » منذ عام ٢٨ هـ = ٦٤٨ م وحتى عام

(١) الإمامة والسياسة: ج٢، ص٥٨.
(٢) الإمامة والسياسة: ج٢، ص٥٨ والبيان المغرب: ج١، ص٤٢.
(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص٣٠٠.
(٤) ليفي بروفينسال: تاريخ أسبانيا الإسلامية، ج١، حاشية « ١ »، ص٢٠٠ وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص١٨٧.
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٠.
والحميري: الروض المعطار، ص٣١٥.
(٦) تاريخ خليفة بن خياط: ص٣٠٠.
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٢ - ٤٣.
وابن الأثير: الكامل ج٤، ص٥٤٠ - ٥٤٢.
(٨) الإمامة والسياسة، ج٣، ص٥٨.

٨٩ هـ = ٧٠٨ م الذي وصل فيه إنتاج دار الصناعة في ترشيش « تونس » من السفن إلى حد كبير أصبحت بفضله بحرية « إفريقية » في غنى عن أي عون خارجي[١]. أما الحملة البحرية الثانية التي مهدت السبيل لعبور القوات الإسلامية بحر الزقاق لفتح الأندلس دون أي عائق أو تدخل خارجي، فقد كانت لفتح جزر البليار، ليس من أجل الاستقرار فيها وتمصيرها بل من أجل تدمير القوى المعادية فيها ومنع تعرضها للقوات البحرية الإسلامية المساندة في وقت كانت فيه القوات البرية الإسلامية المرابطة في طنجة تتهيأ للعبور عبر بحر الزقاق « مضيق جبل طارق » لفتح بلاد الأندلس[٢].

الفتح الإسلامي الأول للبليار ٨٩ هـ = ٧٠٨ م.

لم يكن الفتح الإسلامي لجزر البليار قفزة في الهواء أو عملاً ارتجالياً أو مغامرة عابرة بل كان حلقة في سلسلة من الإنجازات المتتابعة مهدت لها عدة عوامل رئيسية سبق ذكرها كانت محصلتها النهائية فتح الأندلس[٣]، فبعد أن شلت الأساطيل البحرية في صقلية وسردانية وجزر البليار بعد الغارات البحرية التي سبق ذكرها من سنة ٧٩ - ٨٩ هـ = ٦٩٨ - ٧٠٨ م، وبعد زحف القوات البرية الإسلامية المظفر ووصول طلائعها خلال نفس الفترة إلى طنجة في عدوة المغرب ومرابطتها هناك بقيادة طارق بن زياد استعداداً لعبور بحر الزقاق إلى بلاد الأندلس[٤]، قام موسى بن نصير بإرسال ابنه عبد الله على رأس حملة بحرية لفتح جزر البليار[٥] لإزالة آخر عائق بحري في وجه أساطيله[٦] التي كانت تتجمع آنذاك في ثغور المغرب وإفريقية استعداداً لنقل القوات البرية إلى بلاد الأندلس وتوفير الحماية لها ومساندتها في زحفها[٧].

وأقدم مصدرين إسلاميين عن الفتح الإسلامي الأول لجزر البليار هما تاريخ خليفة بن

(١) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٢٨ - ٢٩.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي، ص١٥.
وروسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٣.
و د. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ١٦٩ - ١٧٠.
ودائرة المعارف الإسلامية: ج٣، ص٣٠٨.
(٣) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٣.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٢ - ٤٣.
وابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٥٤٠.
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٢.
(٦) القوى البحرية والتجارية، ص٢٣٧.
(٧) الإمامة والسياسة، ج٢، ص٦٠ وأخبار مجموعة، ص٧.
ونفح الطيب، ج١، ص٢٥٧.

خياط[1] والإمامة والسياسة[2].

ويذكر خليفة بن خياط عن هذا الفتح ما يلي في حوادث عام ٨٩ هـ = ٧٠٨ م « .. وفيها أغزى موسى بن نصير ابنه عبد الله بن موسى فأتى ميورقة ومنورقة - جزيرتين بين صقلية والأندلس - وافتتحها، وهذه الغزاة تدعى غزوة الأشراف، كان معه أشراف الناس.. »[3].

وتؤكد الروايات المأخوذة عن مخطوطات الإمامة والسياسة[4] وطبعاته القديمة[5] ما ذكره خليفة بن خياط في روايته الآنفة الذكر عن هذا الفتح، ولكن الطبعات الحديثة المتداولة لكتاب الإمامة والسياسة تفتقر إلى الدقة حيث يرد فيها الرواية التالية عن الفتح الإسلامي الأول لجزر البليار في حوادث عام ٨٩ هـ = ٧٠٨ م. « عقد موسى على بحر إفريقية.. حتى نزل بميورقة فافتتحها.. »[6] يوحي ظاهر هذا النص بأن الذي قام بهذه الحملة هو موسى بن نصير وأنه عقدها لنفسه وليس لابنه عبد الله كما تجمع معظم النصوص السابقة واللاحقة، وأرجح بأن النص الأصلي

---

(١) خليفة بن خياط : مؤرخ عراقي ولد في البصرة وعاش فيها، توفي على أرجح الروايات في عام ٢٤٠ هـ ويعتبر تأريخه « أقدم تأريخ حولي وصل إلينا حيث فقدت كتب الحوليات التي ألفت قبله.. »، ومما يجعل تاريخ خليفة بن خياط مصدراً من المصادر المعتمدة الموثوقة « ما أولاه النقاد وعلماء الجرح والتعديل لمؤلفه من ثقة ». (مقدمة تاريخ خليفة بن خياط من ص٣ - ١٤).

(٢) يذكر الدكتور محمود علي مكي بأن مؤلف « الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة هو معارك بن مروان ابن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير وأنه ألف هذا الكتاب في القرن الثالث للهجرة للإشادة بالدور الذي قام به جده موسى بن نصير، وقد توصل الدكتور مكي إلى هذه النتيجة في أحد أبحاثه القيمة بعد أن عرض آراء الباحثين المحدثين، والحجج التي استند إليها لتدعيم وجهة نظره. (د. محمود علي مكي : مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد. مج ٥ لسنة ١٩٥٧، ص١٥٧، ٢٤٨.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٢.

(٤) يذكر المؤرخ الباروكمبانير في كتابه : « تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي » المطبوع في بالمادي ميورقة سنة ١٨٨٨ م بأن مرجعه عن الحملة الإسلامية الكبرى على جزر البليار بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير سنة ٨٩ هـ = ٧٠٨ م هو كتاب « تاريخ الأسر الإسلامية الحاكمة » للمؤرخ بسكوال جاينجوس طبعة لندن سنة ١٨٤٢ م وأن المؤلف ذكر في ملاحق الجزء الأول وفي المقدمة « بأنه استقصى معلوماته عن حملة ٨٩ هـ = ٧٠٨ م على جزر البليار بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير من مخطوط منسوب لابن قتيبة الدنيوري ».

(الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار : حواشي ص١٤ - ١٥).

(٥) الإمامة والسياسة الملحق بتاريخ ابن القوطية، ص١٤١، طبعة ريبيرا، مدريد لسنة ١٩٢٦، وعنه أخذ المؤرخ الميورقي روسليو بوردوي روايته عن هذه الحملة في « مقالة العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٣ » فصله من مجلة ميورقة المجلد العاشر سنة ١٩٧٣، ص ٧٧ - ٩٩.

(٦) الإمامة والسياسة : ج٢، ص٩٩ تحقيق د. طه محمد الزيني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت : لبنان.

كان كما يلي : « عقد موسى على بحر إفريقية (لابنه عبد الله) حتى نزل بميورقة فافتتحها » وأن الناسخ سها في بعض المخطوطات عن فقرة « لابنه عبد الله » وطبعت في بعض الطبعات المتداولة حالياً بهذا الشكل المقتضب. ومما يؤكد هذا القول هو أن المؤرخين من المستشرقين الذين استقوا معلوماتهم من النسخ الأصلية المخطوطة لكتاب الإمامة والسياسة ومنهم بسكوال جاينجوس وعنه أخذ الباروكمبانير المؤرخ الميورقي ذكروا بأن قائد الحملة البحرية على جزر البليار في عام ٨٩ هـ = ٧٠٨ م هو عبد الله بن موسى بن نصير ونسبوا هذه الرواية إلى صاحب الإمامة والسياسة[1].

وقد أجمعت معظم المصادر والمراجع التي تمكنت من الاطلاع عليها على أن عبد الله بن موسى بن نصير هو الفاتح الأول لجزر البليار[2] باستثناء القليل منها التي تنسب هذا الفتح لموسى ابن نصير[3]، كما أجمع العديد منها بأن تاريخ هذا الفتح كان في عام ٨٩ هـ = ٧٠٨ م، باستثناء ابن خلدون ومن لفّ لفّه من المؤرخين الذين ذكروا بأن تاريخ فتح عبد الله بن موسى بن نصير لجزر البليار كان في عام ٨٨ هـ = ٧٠٨ م[4]. وأغفل بعضها ذكر تاريخ هذا الفتح[5] الذي لم يسفر عن

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ص١٤ - ١٥.

(٢) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٦.
ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص٥٣٩.
ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٤٠٢. الحافظ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٠٩.
الحافظ الذهبي : كتاب دول الإسلام، ج١، ص٦٢ والعبر في خبر من غبر، ج١، ص١٠٤.
وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، ص٩٨.
المقري : نفح الطيب، ج١، ص٢٧٩.
الناصري : الاستقصا، ج١، ص٩٦.
الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ص١٤ - ١٥.
دائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ج٣، ص٣٠٨.
ليفي بروفينسال : تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص١٠ - ١٢.
روسليو برودوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٣.
د. السيد عبد العزيز سالم و د. أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص١٢٥.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج١، ص٤٥.
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية، ص١٠١.

(٤) ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٤٠٢.
والحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج١، ص١٠٤.

(٥) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٦.
والمقري : نفح الطيب، ج١، ص٢٧٩.

حكم إسلامي مستقر في هذه الجزر[1]. وعاد عبد الله بن موسى بن نصير من حملته على جزر البليار إلى « إفريقية » بغنائم وافرة وعدد كبير من الأسرى[2]، وكان من بين الأسرى الذين جلبهم عبد الله بن موسى بن نصير من حملته المظفرة على جزر البليار « ملك ميورقة ومنورقة » كما يقول ابن عذاري[3] ويرجح بعض المؤرخين المحدثين بأن الملك المشار إليه لم يكن سوى الحاكم البيزنطي لهذه الجزر[4] التي كانت تتمتع بشبه استقلال منذ الزحف الإسلامي الكاسح عبر الشمال الإفريقي[5]، وفي رواية أخرى « ملوك ميورقة ومنورقة .. »[6] ويعلق المؤرخ الميورقي روسليو بوردوي على هذه الرواية بقوله « بأن هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا حكاماً بيزنطيين شبه مستقلين ، نصّبوا أنفسهم ملوكاً على جزر البليار في وقت كانت تمر فيه الامبراطورية البيزنطية في فترة من الضعف والانهيار ،وقد يكون من بينهم بعض أساقفة جزر البليار أو زعمائها الدينيين الذين كانوا يديرون شئون الطوائف، ويدعم هذا الرأي الدراسات التي أجريت عن الطوائف المسيحية في هذه الجزر »[7].وكان لهذه الجزر قبيل الفتح الإسلامي الأول ثلاثة أسقفيات أرثوذكسية إحداها في ميورقة والأخرى في منورقة والثالثة في يابسة[8] وكانت هذه الأسقفيات تتبع في التشكيلات الكنيسة الشرقية آنذاك لرئيس الأساقفة في مرطانية الطنجية[9] وكان هؤلاء الأساقفة يهيمنون على الحياة العامة في جزر البليار ويشرفون على شئون الطوائف مما أوجد تماسكاً قوياً بين السكان في مواجهة الزحف الإسلامي[10]. فلم يكن المسيحيون في هذه الجزر يعتبرون أساقفتهم مجرد رمز للسلطة الروحية بل كانوا يعتبرونهم كذلك ممثلين للسلطة الزمنية[11] ولما كان من المؤكد بأن التقسيمات الكنسية لجزر البليار ظلت قائمة حتى النصف الثاني من القرن الخامس

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ، ص١٥ .
(٢) ابن الأثير: الكامل ، ج٤ ، ص٥٣٩ - ٥٤٠ .
وابن خلدون: العبر، ج٤ ، ص٤٠٢ .
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج١ ، ص٤٥ .
(٤) د . السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص١٦٩ .
وأرشيبالد لويس: القوى البحْرية والتجارية ، ص١٠١ .
(٥) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٢ .
(٦) الإمامة والسياسة الملحق بتاريخ ابن القوطية ، طبعة ريبيرا مدريد سنة ١٩٢٦ ، ص١٤١ .
(٧) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٣ .
(٨) المرجع السابق : ص٢٠ .
(٩) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص٨٨ . مجلة الأندلس. العدد « ٣٧ » لسنة ١٩٧٢ .
(١٠) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٢٧ .
(١١) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٢٢ .

للهجرة = النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد فإن لهذا الرأي وجاهة وحظاً كبيراً من الصحة[1].

ويزعم المؤرخ القطلاني جوان بنمليس Juan Binimeles بأن جزر البليار كانت قبيل الفتح الإسلامي الأول تحت حكم القوط حكام شبه جزيرة أيبرية آنذاك وأنهم أطلقوا على جزيرة ميورقة « جزيرة القوط الكبرى » Gotia Major وعلى جزيرة منورقة « جزيرة القوط الصغرى » Gotia Minor وأنه كان يوجد في تقسيم الأسقفيات المنسوب إلى الملك القوطي وامبا Wamba أسقفية فرعية باسم « جزر البليار » تابعة لأسقفية طركونة Torragana في شمال شرق أسبانيا[2].

ويدحض المؤرخ الميورقي الباروكمبانير هذه الرواية ويؤكد بطلانها وأن هذه الادعاءات ليست سوى اختراع من مؤرخين لم يلتزموا الدقة ولم يتقيدوا في رواياتهم بالنزاهة والأمانة، ويؤكد وجهة النظر الآنفة الذكر للمؤرخ الميورقي روسليو بوردوي التي تميل إلى ترجيحها ، وهي أن جزر البليار كانت تتمتع قبل الحملات البحرية الإسلامية عليها بشبه استقلال وتبعية اسمية للبيزنطيين[3].

وكان فتح جزر البليار وفرض نوع من الهيمنة الإسلامية عليها حلقة في سلسلة من الإنجازات المترابطة والمتتابعة كانت محصلتها النهائية فتح بلاد الأندلس[4].وقد تعاون القائدان العظيمان موسى بن نصير وطارق بن زياد في فتح معظم أرجاء هذه البلاد الشاسعة ٩١ - ٩٤ هـ = ٧١١ - ٧١٣ م[5] وكان الاكزاركوس بوليان الحاكم البيزنطي لمرطانية الطنجية يقدم العون والإسناد للمسلمين[6] منذ دخوله معهم في عهد ٩٠ هـ = ٧١٠ م أصبح بمقتضاه أهل مرطانية من المعاهدين[7] وفي سنة ٩٤ هـ = ٧١٣ م استخلف موسى بن نصير على بلاد الأندلس ابنه عبد العزيز[8] الذي قام بفتح إقليم « تدمير » في شرق الأندلس صلحاً ، وعقد معاهدة مع تدمير الحاكم القوطي الذي دعي هذا الإقليم باسمه وأصبح أهله بمقتضى هذه المعاهدة من

---

(١) المرجع السابق: ص ٩٣ .
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي حاشية « ١ » ، ص١٠ .
(٣) المرجع السابق: ص٩ - ١١ .
(٤) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٣ - ٩٤ .
(٥) د . أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. ص١٣ وما بعدها .
(٦) أخبار مجموعة: ص٧ .
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦ .
د. حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص٥٤ .
(٨) تاريخ خليفة بن خياط : ص٣٠٧ .
وابن عذاري: البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٣ .

المعاهدين في شهر رجب ٩٤ هـ = أبريل ٧١٣ م وهي من أقدم المعاهدات الإسلامية التي وصلتنا نصوصها كاملة[١].

العهد الأول بين المسلمين وأهل البليار

لم يرد أي ذكر لجزر البليار في المصادر الإسلامية التي بين أيدينا بعد الفتح الإسلامي الأول طيلة مائة وأربعين سنة، وفجأة ودون أي مقدمات أو تمهيد ذكرت هذه المصادر بأن أهل جزر البليار نقضوا العهد وأغاروا على السفن الإسلامية ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م[٢]، ولكن المصادر الفرنجية تشير إلى أن هذا النقض للعهد لم يكن الأول من نوعه فقد سبقه نقض آخر في عام ١٦١ هـ = ٧٧٨ م[٣]، وأن أهل هذه الجزر كانوا من المعاهدين منذ الفتح الإسلامي الأول وفق عهد وقعه ممثلون عنهم مع المسلمين، تمتعوا بموجبه بنظام شبه مستقل مقابل دفع جزية محددة ومسالمة المسلمين وعدم الإضرار بهم، وهو وضع شبيه بوضع إقليم تدمير في شرق الأندلس[٤] الذي وقّع أميره «تدمير» عهداً مماثلًا مع عبد العزيز بن موسى بن نصير عامل الأندلس في شهر رجب ٩٤ هـ = أبريل ٧١٣ م[٥]، وتضيف المراجع الفرنجية إلى أن أهل هذه الجزر ظلوا على عهدهم مع المسلمين وفي معزل عن الصراعات في الحوض الغربي للبحر المتوسط محتفظين بكيانهم وممتلكاتهم متمتعين بشبه استقلال[٦] إلى أن نقضوا هذا العهد وأغاروا على السفن الإسلامية بتحريض من الفرنجة ١٦١ هـ = ٧٧٨ م[٧].

ومما يدعم الروايات الفرنجية الآنفة الذكر ويجعلها مقبولة لدينا الوقائع والقرائن والأدلة التالية:

أ- وجود تماثل في بنود الالتزامات التي تعهد أهل تدمير بتنفيذها بموجب اتفاقية عام

(١) العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ص٤ - ٥.
والحميري: الروض المعطار، ص١٣٢.

(٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص٢ - ٤.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.

(٣) شكيب أرسلان: - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ص١٨٢ - ١٨٣.

(٤) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٤.

(٥) العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ص٤ - ٥.
والحميري: الروض المعطار، ص١٣٢.

(٦) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص٨٧.

(٧) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ص١٨٢ - ١٨٣.

٩٤ هـ = ٧١٣ م التي وصلتنا نصوصها[١] ونصوص العهد الإسلامي الثالث مع أهل جزر البليار ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م الذي ذكر ابن عذاري «فصولاً منه» وكان بمثابة تجديد للعهد الإسلامي الثاني الذي لم تصلنا نصوصه. ونظراً لأن الهدف كان متماثلاً في مثل هذه العهود لهذا فإن من المرجّح أن العهد الإسلامي الأول بين المسلمين وأهل جزر البليار كان مماثلاً في نصه وروحه مع العهود اللاحقة[٢].

ب- توقيع الأكزاركوس يوليان حاكم مرطانية الطنجية عهداً مع المسلمين عن نفسه ورعيته سنة ٩٠ هـ = ٧٠٩ م بعد فتح جزر البليار بعام واحد[٣] وتوقيع القائد القوطي تدمير عهداً مماثلاً بعد خمس سنوات من فتح جزر البليار ٩٤ هـ = ٧١٣ م يشير إلى أن المسلمين كانوا يوثقون علاقاتهم مع أهل البلاد المفتوحة بعهود تحدد حقوقهم والتزاماتهم لضمان سلامة المسلمين وأمنهم وتدعيم نفوذهم وما ينطبق على مرطانية الطنجية المواجهة لجزر البليار وإقليم تدمير المحاذي لجزر البليار في شرق الأندلس ينطبق على هذه الجزر، التي كانت تشكل خطراً كبيراً على سواحل بلاد المغرب والأندلس، إذا ما تركت بعد فتحها دون ضمان بعدم تعرضها بالأذى للمسلمين وفقاً لعهد يفرض على أهلها التزامات، يضمن سلامة السواحل الإسلامية وتحرك القوات البحرية دون أي عائق، مقابل تمتعهم بحريتهم واستقلالهم. وهذا مما يدعم الرأي القائل بأن أهل جزر البليار كانوا من المعاهدين منذ فتح هذه الجزر في عام ٨٩ هـ = ٧٠٨ م[٤].

(١) الالتزامات التي تعهد بها تدمير عن نفسه ورعيته مقابل تمتعهم بالحرية وشبه استقلال في شهر رجب ٩٤ هـ = أبريل ٧١٣ م:
أ. دفع جزية سنوية حددتها الاتفاقية بكل دقة وما يدفعه الحر والعبد من رعايا إقليم تدمير.
ب. التقيد بتنفيذ الالتزامات والملازمة للطاعة.
جـ. التعهد بحفظ العهد وأن لا يحل ما انعقد.
د. أن لا يكتموا عن المسلمين خبراً علموه يضر بمصلحتهم.
هـ. عدم التعرض بالأذى للمسلمين (العذري: نصوص عن الأندلس ص٤ - ٥. والحميري: الروض المعطار، ص١٣٢).

(٢) الالتزامات التي فرضها المسلمون على أهل جزر البليار سنة ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م التي هي بمثابة تجديد لنصوص العهد الثاني الذي نقضوه سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م بتعرضهم للسفن الإسلامية، ونرجح بأنها مماثلة روحاً ونصاً للعهد الإسلامي الأول:
أ- دفع الجزية المقررة. ب- الملازمة للطاعة. جـ- الوفاء بالعهد. د- النصيحة للمسلمين. هـ- الكف عن إيقاع الأذى بالمسلمين.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦. وابن الأثير: الكامل ج ٤ ص٥٦١.
ود. حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٥٤.

(٤) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٤.

جـ- لم يرد أي ذكر لجزر البليار في النشاطات البحرية التي قامت بها الأساطيل الإسلامية خلال فترة فتح الأندلس ٩١ - ٩٤ هـ = ٧١١ - ٧١٣ م[1] بالرغم من تعرض جزيرة سردانية إلى غارة بحرية عنيفة في تلك الفترة سنة ٩٢ هـ = ٧١٢ م مما يدل على مسالمة أهل جزر البليار للمسلمين[2].

د- لم يتعرض أسطول إفريقية بقيادة عياش بن أخيل لجزر البليار منذ أن « .. دخل الأندلس غازياً .. » سنة ٩٢ هـ = ٧١٢ م وحتى قدومه منها .. « بالسفن إلى إفريقية سنة ١٠٠ هـ = ٧١٨ م » مما يشير إلى جنوح أهلها للسلم[3].

و- لم يرد أي ذكر لحملة بحرية وجهت إلى جزر البليار في الحملات البحرية المتعاقبة على جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط لا في الحملات الموجهة من إفريقية ١٠٠ - ١٣٥ هـ = ٧١٨ - ٧٥٣ م[4] ولا من سواحل الأندلس ٩٤ - ١٦١ هـ = ٧١٣ - ٧٧٨ م[5] مما يشير إلى أن أهل البليار ظلوا محافظين على العهد حتى عام ١٦١ هـ = ٧٧٨ م[6].

---

(١) أخبار مجموعة: ص٦ - ٧ و ١٥ ، والإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص٦١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، والضبّي: بغية الملتمس ، ص٦٢ . وابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ، ص٥ - ٦ . ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٧ . وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ص٣٦ - ٣٨ . وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية ، ص١٠٢ .

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس ، ص٨٠ . وابن الأثير: الكامل ، ج٤ ص٥٦٧ ، وياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٠٩ .

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس ، ص٤٥ ، ٣٢٢ ، ٧٣٧ . والضبّي: بغية الملتمس ، ص٤٣٠ - ٤٣٢ .

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس ، ص ٩١ . والمالكي: رياض النفوس ص٩ ، وتاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ .
وابن عذاري: البيان المغرب ، ج١ ، ص٤٩ - ٥٣ وص٥٨ - ٦٥ .
وابن الأثير: الكامل ، ج٥ ، ص١٤٦ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ٣١١ ، ٣١٣ .
والحميري: الروض المعطار ، ص٣١٥ ، وابن خلدون: العبر ج٤ ، ص٤٠٧ .
وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص٣٨ - ٤٠ .

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٣١ وما بعدها . وأخبار مجموعة ص١٩ . والبيان المغرب: ج٢ ، ص٣١ . والروض المعطار ، ص٨٠ - ٨١ . شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ص١٤٣ - ١٤٧ . ود. حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٢٨٣ - ٢٩٢ . والمسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص٦٧ - ٦٨ و ص١٢٦ . وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية ص١١٩ وص ١٦٠ .
وفيليب حتي وآخرون: تاريخ العرب ، ص٥٧٧ .

(٦) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ص١٨٢ - ١٨٣ .

نقض أهل البليار للعهد الأول وتحالفهم مع الفرنجة

ظل أهل البليار منذ الفتح الإسلامي الأول لجزرهم ٨٩ هـ = ٧٠٨ م يعيشون في أمن وسلام متمتعين بحريتهم محتفظين بكيانهم في ظل نظام شبه مستقل[1] وفق عهد وقعه ممثلون عنهم مع المسلمين تعهدوا فيه بدفع الجزية وعدم الإضرار بالمسلمين[2]. وبعد انهيار الحكم الأموي في بلاد المشرق والمغرب واستيلاء عبد الرحمن الداخل على بلاد الأندلس ١٣٨ هـ = ٧٥٦ م[3] استغل أهل جزر البليار تمزق الجبهة الإسلامية في بلاد المغرب وانشغال الأمير عبد الرحمن الداخل في القضاء على العصاة والخارجين في بلاد الأندلس[4] وركود النشاط البحري الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ عام ١٣٥ هـ = ٧٥٣ م ولمدة نصف قرن ، بعد أن استولى الخوارج الصفرية والإباضية على إفريقية وعاثوا فيها فساداً مما عطّل قاعدة تونس البحرية وشلّ فعالية أساطيل إفريقية[5] فقاموا بنقض العهد ١٦١ هـ = ٧٧٨ م وأغاروا على السفن والثغور الأندلسية بالتحالف مع الفرنجة الذين تعاظمت قوتهم آنذاك بزعامة شارلمان ، ووجد أهل جزر البليار في هذه القوة المسيحية الجديدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط حليفاً قوياً في عدوانهم على بلاد الأندلس[6] التي كانت تتعرض آنذاك لهجوم فرنجي واسع النطاق بالتعاون مع بعض الخارجين على الإمارة الأموية وعلى رأسهم سليمان بن يقظان الأعرابي ، عامل برشلونة والحسين بن يحيى الأنصاري عامل سرقسطة كبرى قواعد الثغر الأعلى الإسلامي[7]. وتذكر المصادر الفرنجية وجود علاقات واتصالات بين العباسيين والفرنجة تهدف إلى القضاء على عبد الرحمن الداخل العدو المشترك للطرفين . وكان نزول عبد الرحمن بن حبيب الفهري الصقلبي على رأس قواته في ساحل تدمير في شرق الأندلس بتحريض من عامل العباسيين في إفريقية إحدى نتائج

---

(١) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص٨٧ .

(٢) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٤ .

(٣) أخبار مجموعة: ص٦٧ ، وعبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص٤٠ - ٤٢ .
وابن عذاري: البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤٠ .
وابن خلدون: العبر ، ج٤ ، ص٢٦٠ - ٢٦٢ .

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج٢ ، ص٥٠ - ٥٨ .
وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص٤٠ .

(٥) ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية ، ص١٠٧ - ١٠٨ .
وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص٤٠ - ٤٣ .

(٦) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ص١٨٢ - ١٨٣ .

(٧) ابن خلدون: العبر ، ج٤ ، ص٢٦٨ - ٢٦٩ . ومحمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس: العصر الأول: القسم الأول ص١٦١ وما بعدها .

هذه الاتصالات وحصيلة للتنسيق بين الأطراف المعادية للإمارة الأموية[1] .وإن ما حدث من ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري المرتبطة بالخلافة العباسية في إقليم تدمير في شرق الأندلس وما رافق ذلك من محاولة شارلمان غزو شمال الأندلس بالتعاون مع بعض الخارجين على الإمارة الأموية في الأندلس يجعل من الممكن الظن بأن هناك صلة بين هذه الأحداث ونقض أهل جزر البليار للعهد ،كما تشير إلى ذلك المصادر الفرنجية[2].وإن عدم وجود أي نصوص عن جزر البليار في المصادر العربية الإسلامية في هذه الفترة بالذات هو الذي يلجئنا إلى سد هذه الفجوة التاريخية بما يؤخذ من كتابات المدونات المسيحية والمؤرخين الأوروبيين واستخدامها بحذر شديد بعد توثيقها من المصادر العربية الإسلامية ما أمكننا ذلك .

وتشير مصادرنا العربية الإسلامية إلى أن نزول قوات عبد الرحمن بن حبيب الفهري في إقليم تدمير في شرق الأندلس والمحاذي لجزر البليار كان في عام ١٦١ هـ = ٧٧٨ م ،وأن أعداداً كبيرة من بربر شرق الأندلس ناصرته في دعوته للعباسيين[3].ولكن فشل شارلمان في تحقيق أي نصر على القوات الأندلسية في الثغر الأعلى الإسلامي اضطره للانسحاب من شمال الأندلس في شوال ١٦١ هـ = يوليو ٧٧٨ م[4] مما مكن الأمير عبد الرحمن الداخل من حرق أسطول عبد الرحمن بن حبيب الفهري ١٦٢ هـ = ٧٧٩ م بساحل تدمير ومطاردة قواته التي اعتصمت في مرتفعات بلنسية والإجهاز عليها بعد مقتل قائدها غيلة على يد مشكار البربري[5] وإخضاع جميع الثائرين في الثغر الأعلى حتى جبال البرتات « البرانس » على حدود بلاد الفرنجة الجنوبية . وبالرغم من انحدار قوات شارلمان وحلفائه في حملته الفاشلة على الثغر الأعلى الإسلامي في شمال بلاد الأندلس[6] ، فقد واصل أهل جزر البليار عدوانهم على السفن والثغور الساحلية الأندلسية بتحريض من الفرنجة كما تذكر المدونات الفرنجية وأنهم حققوا بعض الانتصارات على المسلمين .ويقول المؤرخ الفرنسي رينو بهذا الصدد نقلًا عن النصوص الفرنجية المعاصرة في « مجموعة الدون بوكة » :

« بأن أهل جزر البليار تغلبوا على المسلمين في بعض الوقائع وأخذوا منهم بضع رايات

---

(١) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ص١٨٢ . ومحمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس : العصر الأول : القسم الأول ، ص١٦١ .
(٢) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٨٢ - ١٨٣ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٥٥ .
وابن خلدون : العبر ، ج٢ ، ص٢٦٨ .
(٤) عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس : العصر الأول - القسم الأول ص١٦١ وما بعدها .
(٥) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص١١ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٥٦ . وابن خلدون العبر ج١ ، ص٢٦٨ .
(٦) دولة الإسلام في الأندلس : العصر الأول - القسم الأول ، ص١٦١ وما بعدها .

أرسلوها إلى شارلمان أمبراطور الفرنجة كدليل على صدق تحالفهم معه ضد مسلمي الأندلس . . »
مما حفز الأمير عبد الرحمن الداخل على الاهتمام بإنشاء الأساطيل البحرية وتجديد دور الصناعة في ثغور الأندلس ومراسيها في طركونة وطرطوشة وقرطاجنة الحلفاء وإشبيلية من أجل تدعيم البحرية الأندلسية لمجابهة هؤلاء المعتدين[1] .وقد وجد عوناً كبيراً من المرابطين وغزاة البحر الذين اتخذوا لهم رباطات وقواعد بحرية على طول الساحل الشرقي لبلاد الأندلس .مما أدى إلى تعزيز قوة الأساطيل الأندلسية بجماعات من أصلب المقاتلين الذين كرسوا حياتهم للجهاد والتصدي للغزاة ببطولة خارقة كانت السمة المميزة لهذه الجماعات الفدائية من المرابطين[2] .
وكانت أكثر قواعد هؤلاء الغزاة من المرابطين انتشاراً في بداية عهد الأمراء من بني أمية في الأندلس ما بين أكيلة Aquila ولقنت Alicante في شرق الأندلس وكان من أهم قواعدهم البحرية في جنوب شرق الأندلس جزيرة « اسكمبرة » Escombro الحصينة في مدخل خليج قرطاجنة الحلفاء[3] ومرسى أشكوبز[4] ، ويدعو الحميري هؤلاء المرابطين من غزاة البحر « بالبحريين » ويذكر بأن قوتهم الرئيسية تركزت في مطلع العهد الأموي في الأندلس في المنطقة المحيطة بطرطوشة في الثغر الأعلى الإسلامي ومن هناك كانوا ينطلقون في أساطيلهم لغزو « سواحل أفرنجة »[5] ،وكانت أساطيل الثغر الأعلى في طرطوشة وطركونة تقوم بحماية حدود الأندلس الشمالية من هجمات الفرنجة الكارولنجيين وتغير بين الحين والآخر على ثغور الفرنجة وتطارد أساطيلهم عبر الحوض الغربي للبحر المتوسط[6] . وقد أسهم غزاة البحر من المرابطين والمتطوعة بدور خطير في تاريخ البحرية الأندلسية وكانوا عنصراً هاماً من عناصر نجاح الحملات البحرية الأندلسية على جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط وثغوره الساحلية ، ويعملون جنباً لحسابهم وجنباً آخر يتعاونون مع أمراء الأندلس وينضمون لأساطيل الإمارة[7] . وقد صب هؤلاء الغزاة من المرابطين بالتعاون مع أساطيل الإمارة الأموية في الأندلس جام غضبهم على

---

(١) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ص١٨٢ .
(٢) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢٦ .
وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص٤٠ - ٤١ .
ود . إبراهيم العدوي : الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ص١٤٤ - ١٤٥ .
(٣) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط .
ود . إبراهيم العدوي : الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ص١٤٤ - ١٤٥ .
(٤) البكري : المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، ص٨١ .
(٥) الحميري : الروض المعطار ، ص٨٠ .
(٦) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٠ .
(٧) الحميري : الروض المعطار ، ص٨٠ - ٨١ .
ود . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢٦ وما بعدها .

جزر البليار لنقض أهلها للعهد وعدوانهم على السفن والثغور الأندلسية « أخذت الأساطيل الأندلسية في الإغارة على جزيرة ميورقة ومنورقة ويابسة ، فكانوا يغادونها القتال ويراوحونها ويسبون من أهلهـا النساء والأطفـال ويقتلون المقـاتلـين ولم يكونوا يعفّون إلا عن الشيوخ والعاجزين والمرضى والمقعدين »[١] .

وفي نفس الفترة التي كانت تغير فيها سفن غزاة البحر من قواعدها في شرق الأندلس على جزر البليار بعد نقض أهلها للعهد ١٦١ هـ = ٧٧٨ م[٢] كان أسطول الثغر الأعلى الإسلامي يغير من قواعده في طرطوشة وطركونة على ثغر مرسيليا في جنوب بلاد الفرنجة وعلى قواعد الفرنجة البحرية في إيطاليا منذ عام ١٦١ هـ = ٧٧٨ م . وفي سنة ١٧٧ هـ = ٧٩٣ م تعرضت أربونة في جنوب غرب بلاد الفرنجة إلى غارة بحرية عنيفة[٣] في الوقت الذي كانت فيه القوات البرية الأندلسية بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث تجتاح جنوب بلاد الفرنجة وتحاصر معقل أربونة الحصين ، مما مكنها نتيجة للإسناد البحري كما نرجح من الاستيلاء على أربونة ١٧٧ هـ = ٧٩٣ م[٤] .

ونتيجة للحملات البحرية الأندلسية المتلاحقة على جزر البليار انهارت قوات هذه الجزر خاصة بعد أن تعرضت إلى هجومين بحريين كبيرين الأول منهما في عام ١٨١ هـ = ٧٩٧ م[٥] ، والثاني وكان أشد عنفاً في عام ١٨٢ هـ = ٧٩٨ م مما دفع أهلها الذين لم يعد في وسعهم التصدي لهذه الحملات البحرية إلى الاستغاثة بشارلمان أمبراطور الفرنجة ووضعوا أنفسهم تحت حمايته[٦] . ولم يتمكن شارلمان من إغاثة أهل جزر البليار إلا في عام ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م لانشغاله من سنة ١٦١ - ١٨١ هـ = ٧٧٨ - ٧٩٧ م في حرب برية واسعة النطاق لدحر السكسون والآفار الذين أغاروا على بلاده ، ولوجود أقوى فرقه العسكرية وأقوى أساطيله البحرية خلال هذه الفترة في إيطاليا تحت قيادة ابنه لويس[٧] لمحاربة البيونطيين من أجل السيطرة على إيطاليا[٨] ، كما

---

(١) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ص١٨١ - ١٨٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٨٢ .
(٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٠ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢٧١ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ، ص١٥ .
(٦) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٥ .
وشكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٨٢ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٣ - ١٦٤ .
(٧) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٦٦ .
(٨) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٠٦ .

انشغلت قوات الفرنجة البرية والبحرية من سنة ١٨٢ - ١٨٣ هـ = ٧٩٨ م - ٧٩٩ م في الإغارة على شمال الأندلس من أجل الاستيلاء على الثغر الأعلى الإسلامي ، وتمكنت نتيجة لانقسام الجبهة الإسلامية من الاستيلاء على جرندة « جيرونة » واوزونة وسلسونة ، وكوّنت من هذه المدن ولاية فرنجية دعيت بالمارك الفرنجي « الثغر الفرنجي »[١] . وما إن انتهى شارلمان من عملياته الحربية في الثغر الأعلى الإسلامي حتى سارع إلى إرسال قوات بحرية وبرية كبيرة إلى جزر البليار ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م لمنع المسلمين من اتخاذها قواعد لغاراتهم البحرية على شواطىء إيطاليا وثغور جنوب بلاد الفرنجة ، وأصبحت جزر البليار منذ عام ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م تحت حماية الفرنجة[٢] .

البليار تحت حماية الفرنجة

يحيط الغموض بتاريخ جزر البليار في هذه الفترة وتتناقض الروايات في المصادر الفرنجية واللاتينية المعاصرة[٣] ، ولا نجد في المصادر العربية الإسلامية التي بين أيدينا ما يميط اللثام عن هذا الغموض وينير أمامنا السبيل ، مما يلجئنا إلى سد هذه الفجوة بما يؤخذ من نصوص المدونات الفرنجية واللاتينية والمؤرخين الأوروبيين والأمريكيين ، فبينما يذكر ايجنارد في تاريخه عن شارلمان بأن الفرنجة استولوا على جزر البليار ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م[٤] وأن برنارد بن بيبن حفيد شارلمان ولّي ملكاً على هذه الجزر[٥] ، تشكك مصادر أخرى في وجود حكم فرنجي مباشر في هذه الجزر « بعد انتهاء الحملة التأديبية التي وجهها الامبراطور الفرنجي لجزر البليار لمعاقبة القراصنة المسلمين (على حد قولهم) » . وتنفي الروايات الفرنجية خبر تولي برنارد ابن بيبن حفيد شارلمان ملكاً على جزر البليار وتذكر بأن هذه الجزر كانت تحت حماية الفرنجة وحليفاً لهم منذ عام ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م وهي السنة التي تمكنت فيها القوات التي أرسلها شارلمان من إبعاد المغيرين من غزاة البحر الأندلسيين عنها[٦] ، ولكنها لم تتمكن من وقف غاراتهم عليها . ففي عام

---

(١) عنان : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الأول ص٢٣٢ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٥ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٣ - ١٦٤ .
ود . سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، ص٢٠٤ ، وحاشية « ٢ » .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٦ .
وكليليا سارنللي : مجاهد العامري ، ص١٨٧ .
(٤) د . سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، حاشية « ٢ » ، ص٢٠٤ .
(٥) كليليا سارنللي : مجاهد العامري ، ص١٨٧ .
(٦) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٨٢ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٣ - ١٦٤ .

١٨٥ هـ = ٨٠١ م الذي سقطت فيه برشلونة أعظم موانىء الثغر الأعلى الإسلامي في يد الفرنجة[١] أغارت قطع من البحرية الأندلسية على جزر البليار ،ويذكر المؤرخ الأسباني خوان داميتو Juan Damito ما يلي عن هذه الغارة « .. في عام ١٨٥ هـ = ٨٠١ م أغار أسطول أندلسي كبير على جزر البليار وقام بتخريبها على نحو خطير ، وكانت نتيجة هذه الغارة وضع البذرة الأولى للحكم الإسلامي البغيض في هذه الجزر . .(على حد قوله) »[٢] .ويبدو بأن جماعات من غزاة البحر من مسلمي الأندلس أخذت في الاستقرار تدريجياً في هذه الجزر[٣] .وكانت أساطيل هؤلاء الغزاة تغير على « سواحل أفرنجة »[٤] وقواعد الفرنجة البحرية وفي إيطاليا وجزر سردانية وقرسقة ، تنتصر حيناً وتهزم حيناً آخر[٥] .وكان الصراع بين هؤلاء الغزاة والفرنجة مريراً من أجل الهيمنة على جزر البليار ، وقد تعرض أحد أساطيل هؤلاء الغزاة إلى هزيمة بحرية كبيرة أمام ساحل ميورقة ١٩٨ هـ = ٨١٣ م في مواجهة أسطول فرنجي بقيادة كونت انبورش « امبورياس »[٦] . وقد انتقم غزاة البحر والمتطوعة لهذه الهزيمة وقاموا من قاعدتهم البحرية في طركونة في الثغر الأعلى الإسلامي بغارة بحرية على جزيرتي ميورقة ويابسة ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م ولم توضح المصادر الفرنجية واللاتينية نتيجة هذه الغارة[٧] واكتفى أرشيبالد لويس بذكر ما يلي عن هذه الغارة :« في عام ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م حدثت غزوة على جزر البليار التي كانت تحت حماية الفرنجة آنذاك »[٨] .وفي سنة ٢٠١ هـ = ٨١٦ م عقد ولي العهد عبد الرحمن بن الحكم عقد متاركة مع الفرنجة في أكس لاشابل بالنيابة عن والده مع ملك الفرنجة لويس التقي وتوقفت الحرب بين البلدين ثم تجددت بعنف سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م ، هزم فيها الفرنجة في البر والبحر وعزلوا عن الثغر الفرنجي[٩] .

الفتح الإسلامي الثاني للبليار

تشير مصادرنا الإسلامية إلى أن أهل جزر البليار كانوا من المعاهدين في عهد أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم ، وأنهم نقضوا هذا العهد سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م مما عرضهم لعقاب رادع

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٢ ، ص١٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢٧٣ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٣ .
(٣) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢١ .
(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص٨٠ .
(٥) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٤ - ١٦٦ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٧ .
(٧) المرجع السابق : ص١٨ .
(٨) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٤ .
(٩) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٨٦ - ١٩٢ .

ناشدوه على أثر ذلك أن يجدد لهم عهده ، فعطف عليهم ولبّى مطلبهم سنة ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م[١] مما يدل على أن جزر البليار قد فتحت للمرة الثانية قبل دخول أهلها في عهد ثان مع أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم ، الذي بويع بالإمارة بعد وفاة والده سنة ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م[٢] . وهنا نتساءل ، متى كان تاريخ الفتح الإسلامي الثاني لجزر البليار؟

من المؤسف أن لا نجد في المصادر الإسلامية التي بين أيدينا إجابة شافية على هذا التساؤل مما يلجئنا إلى الرجوع إلى المراجع الأجنبية التي تفيد بأن الضعف استولى على البحرية الفرنجية بعد موت شارلمان[٣] ولم يتمكن ابنه لويس التقي من مواجهة القوات الأندلسية في الحرب التي نشبت في عام ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م في شمال الأندلس وأسفرت عن هزيمة القوات الفرنجية وعزل « الثغر الفرنجي » المحاذي للثغر الأعلى الإسلامي وقطع اتصالاته ببلاد الفرنجة ، ونظراً لضعف عزيمة امبراطور الفرنجة لويس التقي وسوء إدارته فقد نشبت الحرب الأهلية في بلاده وانتشرت فيها المجاعة والأوبئة واجتاح سواحلها القراصنة[٤] وأصبحت جزر البليار التي كانت تحت حماية الفرنجة[٥] معزولة ولم يعد في وسعهم مساندتها في مواجهة الحملات البحرية الأندلسية ، مما مكن غزاة البحر من أهل الأندلس من فتح هذه الجزر للمرة الثانية والاستقرار فيها سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م[٦] ، ونظراً لأن مصادرنا الإسلامية تؤكد بأن أهل جزر البليار كانوا من المعاهدين بعد عام ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م الذي ولّي فيه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أميراً على بلاد الأندلس وحتى نقضهم لهذا العهد ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م[٧] ، فإننا نميل إلى الظن بأن التاريخ الذي ذكرته المراجع الفرنجية عن الفتح الإسلامي الثاني لجزر البليار على جانب من الصحة .

العهد الثاني بين المسلمين وأهل البليار

يستخلص من المصادر التي بين أيدينا بأن الأمير عبد الرحمن بن الحكم هو الذي عقد العهد

(١) ابن حيان : المقتبس تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨١ .
(٣) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٩٢ - ١٩٥ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٨٤ .
(٤) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٩١ - ١٩٤ .
(٥) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٤ .
(٦) سيديو : تاريخ العرب العام ، ص٢٦٩ .
(٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام ،القسم الخاص بالأندلس ، ص١٨١ .

الثاني مع أهل جزر البليار وعندما نقضوه سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م جدّده لهم بعهد ثالث سنة ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م بعد أن نالوا ما يستحقونه من عقاب رادع[1] ، وبما أن تاريخ تولية عبد الرحمن بن الحكم أميراً على بلاد الأندلس كان في عام ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م[2] ، بعد تاريخ الفتح الثاني لجزر البليار بعام واحد[3] ، فيمكننا القول بأن تاريخ توقيع العهد الثاني كان في عام ٢٠٦ هـ = ٨٢١ م وهي السنة الأولى من ولاية الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، أو بعد هذا التاريخ بفترة وجيزة على أبعد تقدير . ونظراً لأن بنود العهد الثالث بين الأمير عبد الرحمن بن الحكم وأهل جزر البليار هي بمثابة تجديد لنصوص العهد الثاني الذي نقضوه سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م[4] ، فمعنى ذلك أن البنود التالية التي ذكرها ابن عذاري من العهد الثالث الموقع في عام ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م مطابقة إلى حد كبير نصاً وروحاً لبنود العهد الثاني :

أ- دفع الجزية المقررة .

ب- الملازمة للطاعة .

جـ- الوفاء بالعهد .

د- النصيحة للمسلمين .

و- الكف عن إيقاع الأذى بالمسلمين[5] .

البليار خلال فترة العهد الثاني

ارتبطت جزر البليار خلال هذه الفترة مع بلاد الأندلس بعلاقات ودية وتجارية[6] كما حظيت أساطيل المسلمين بامتيازات مكنتها من اتخاذ ثغور هذه الجزر قواعد لأساطيلها ورباطات لفرق المجاهدين البحرية ، مما أتاح المجال لغزاة البحر الأندلسيين القيام بحملات بحرية واسعة النطاق[7] . ومما ساعد على حرية تحرك الأساطيل الأندلسية عبر حوض البحر المتوسط

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ .
ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨١ .
(٣) سيديو : تاريخ العرب العام ، ص٢٦٩ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
(٦) ليفي بروفينسال : تاريخ أسبانيا الإسلامية ، ص١٤٠ .
وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٨٧ .
(٧) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٨ .
وشكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٩٤ - ١٩٥ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

ظهور قوة بحرية إسلامية جديدة في « إفريقية » هي البحرية الأغلبية وذلك بعد تولية الخليفة العباسي هارون الرشيد إبراهيم بن الأغلب أميراً على إفريقية ١٨٤ هـ = ٨٠٠ م مما أعاد التوازن الاستراتيجي في حوض البحر المتوسط[1] الذي رجحت فيه كفة المسلمين ، بعد أن تمكن غزاة البحر من أهل الأندلس من فتح جزيرة أقريطش ٢١٢ هـ = ٨٢٧ م بقيادة أبي حفص عمر البلوطي واتخاذها قاعدة للجهاد البحري في شرق البحر المتوسط ووسطه[2] .

وبالرغم من الخلاف السياسي بين الأغالبة في إفريقية والأمويين في بلاد الأندلس فقد جمع الجهاد بين الأفارقة والأندلسيين ، ففي عام ٢١٤ هـ = ٨٢٩ م أسهم غزاة البحر من مجاهدي الأندلس تحت قيادة القائد البحري أصبغ بن وكيل « فرغلوش » ونائبه سليمان بن عافية الطرطوشي بمساندة قوات الأغالبة في فتح جزيرة صقلية ، وكان عدد سفن الأسطول الأندلسي المساند ثلاثمائة سفينة مما يدل دلالة واضحة على ما وصلت إليه أساطيل غزاة البحر الأندلسيين من ضخامة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، ويعود الفضل في وصول الأساطيل الأندلسية إلى وسط البحر المتوسط وشرقه إلى وجود نوع من الهيمنة الإسلامية على جزر البليار نظراً لكون أهلها من المعاهدين آنذاك[3] مما مكن غزاة البحر والمتطوعة النين كانوا يحتشدون في تلك الفترة في عدد من القواعد البحرية في شرق الأندلس ، من اتخاذ هذه الجزر محطات لأساطيلهم في رحلاتها الطويلة عبر البحر المتوسط في ذهابها وإيابها ، تتزود منها بالمؤن وتلجأ إليها عند الخطر وتصلح في ثغورها سفنها إذا ما أصابها عطب ، ومن رباطاتها كانت تتزود بالفرق المدربة على الجهاد في البحر[4] .

وتشير بعض المصادر والمراجع المسيحية إلى النشاط البحري العارم لغزاة البحر من مجاهدي الأندلس في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد دخول أهل جزر البليار في عهد ثان مع المسلمين ، مما أتاح المجال لهؤلاء الغزاة من الاستقرار في هذه الجزر واتخاذ ثغورها وخلجانها

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٢ ، ص١٦ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٦٢ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٧٧ .
والحميري : الروض المعطار ، ص٤٢٥ .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢٧٤ .
وفاسيليف : العرب والروم ، ص٥٦ .
والسيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٢٦٥ .
(٣) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٤ .
(٤) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٨ .
وشكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٩٥ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

الصالحة للملاحة قواعد لأساطيلهم ، والإغارة منها على ثغور جنوب بلاد الفرنجة وساحل إيطاليا الغربي وجزيرتي سردانية وقرسقة ، ويقول المؤرخ الفرنسي رينو بهذا الصدد في حوادث عام ٢٢٤ هـ = ٨٣٨ م « .. سار أسطول للمسلمين من طركونة ومعه أساطيل أخرى من جزيرتي ميورقة ويابسة إلى مرسيليا وأنزلوا العساكر بنواحيها واستولوا على ضواحيها .. » وعادوا من حملتهم بعدد كبير من الأسرى وغنائم وافرة[١] . ويذكر نفس الراوية المؤرخ الميورقي الباروكمبانير[٢] ويضيف المؤرخ الأمريكي أرشيبالد لويس إلى الرواية الآنفة الذكر بأن غزاة البحر كانوا ينطلقون في أساطيلهم من ثغور شرق الأندلس ويرسون في جزر البليار من أجل التزود بفرق خاصة مدربة على الجهاد البحري من قواعد الغزاة المرابطين في هذه الجزر لمساندتهم في حملاتهم على الثغور المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٣] ، وتحاول المصادر الفرنجية إعطاء صورة غير موضوعية عن هؤلاء الغزاة مستندة في ذلك على روايات كنسية منها على سبيل المثال ما يزعمه المؤرخ رينو ، بأنه على أثر الغارة البحرية الأندلسية على مارسيليا ٢٢٤ هـ = ٨٣٨ م « .. قامت القديسة أوزيبيا رئيسة دير الراهبات في مرسيليا مع أربعين راهبة بتشويه أنفسهن حتى يصبحن بمأمن من تجاوز الغزاة والاعتداء عليهن .. »[٤] .

وفي عام ٢٢٦ هـ = ٨٤٠ م تمكن غزاة البحر بعد غارات بحرية متلاحقة من إخضاع جزيرة قرسقة[٥] ، ويذكر الحميري في هذا الصدد عند حديثه عن جزيرة قرسقة « .. وغنمها المسلمون أيام عبد الرحمن بن الحكم .. »[٦] كما خضعت لهم جزيرة سردانية سنة ٢٢٧ هـ = ٨٤١ م[٧] مما مكنهم من الإغارة على آرل وما حولها من حوض الرون في جنوب شرق بلاد الفرنجة ٢٢٨ هـ = ٨٤٢ م[٨] .

وفي الوقت الذي وصل فيه النشاط البحري للغزاة والمجاهدين من أهل الأندلس إلى ذروته في الحوض الغربي للبحر المتوسط تعرضت سواحل الأندلس الغربية والجنوبية للمرة الأولى إلى غارات بحرية واسعة النطاق من قبل أساطيل النورمان « الفايكنج » ٢٢٩ - ٢٣٠ هـ = ٨٤٣ - ٨٤٤ م ، وقد أطلق الأندلسيون على هؤلاء الغزاة البحريين الذين قدموا إلى

---

(١) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ص١٩٥ .

(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ، ص١٨ .

(٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤) شكيب أرسلان : رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص١٩٥ .

(٥) سيديو : تاريخ العرب العام ، ص٢٦٩ .

(٦) الحميري : الروض المعطار ، ص٤٥٥ .

(٧) د . طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص٧٥ .

(٨) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

بلاد الأندلس من شمال أوروبا اسم « الأردمانيين » حيناً « والمجوس » حيناً آخر ، وقد تمكنت قوات الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالتعاون مع غزاة البحر والمتطوعة الذين جندهم في أساطيله من دحر هؤلاء الغزاة بعد معاناة كبيرة وخسائر فادحة[١] . وكان من أهم نتائج هذه الغزوة البحرية النرمندية عناية الأمير عبد الرحمن بن الحكم بدور الصناعة في ثغور الأندلس وإنشاء الأساطيل البحرية وتجنيد غزاة البحر والمتطوعة فيها[٢] وأصبح للإمارة الأموية في عهده قوة بحرية كبيرة وصل عدد قطعها في ثغور شرق الأندلس وحدها ثلاثمائة قطعة[٣] .

وقد ظهرت نتائج تعاون غزاة البحر مع الإمارة الأموية وتجنيدهم في أساطيلها[٤] في النشاط البحري الواسع النطاق للأساطيل الأندلسية . ففي عام ٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م أغار أسطول أندلسي على مارسيليا[٥] وركز غزاة البحر هجماتهم على مدينة رومة انطلاقاً من جزيرتي قرسقة وسردانية[٦] . وقد تعرضت رومة إلى أعنف حملاتهم سنة ٢٣٣ هـ = ٨٤٦ - ٨٤٧ م وكادت تسقط في أيديهم بعد الاستيلاء على ضواحيها لولا حصانة أسوارها[٧] .

وفي العام التالي سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م نقض أهل جزر البليار العهد الثاني نتيجة لاعتدائهم على السفن الإسلامية وأسفر ذلك العدوان عن تعرض جزرهم لغارات بحرية عنيفة وفتحت عنوة للمرة الثالثة[٨] .

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٨٥ - ٨٨ .
والعذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص٩٨ - ٩٩ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٧ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٤٩ .
وابن الخطيب : كتاب أعمال الأعلام - القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٠ .
والحميري : الروض المعطار ، ص٤٦١ والكسندر سيبل : أخبار أمم المجوس ، ص٥ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٨٨ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٨٨ .

(٥) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٦) د . طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص٧٥ .

(٧) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ص٢١٦ ، وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص١٣٣ .

(٨) المقتبس : تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ج١ ، ص٤٩ ، وابن الخطيب : كتاب أعمال الأعلام : القسم الخاص بالأندلس ص١٨ .

نقض أهل البليار للعهد الثاني

لم توضح مصادرنا الإسلامية سبب نقض أهل جزر البليار للعهد الثاني ومجاهرتهم بالعداء للمسلمين ، واكتفت بالإشارة إلى « نقضهم العهد وإضرارهم بمن يمر إليهم من مراكب المسلمين . . »[١] مما يدل على أن هذا العدوان المفاجىء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنشاط البحري لغزاة البحر من أهل الأندلس في الحوض الغربي للبحر المتوسط « الذين كانوا يجوبون في تلك الفترة مياه أسبانيا الشرقية طلباً للغنيمة والسبي ويثخنون في الثغور النصرانية . . »[٢] في ساحل إيطاليا الغربي وكادت رومة عاصمة البابوية أن تسقط في أيديهم ٢٣٣ هـ = ٨٤٦ - ٨٤٧ م ،[٣] كما تعرضت ثغور بلاد الفرنجة الجنوبية من مرسيليا حتى جنوة إلى غاراتهم الكاسحة من ٢٣٢ - ٢٣٤ هـ = ٨٤٥ - ٨٤٨ م[٤] .وفي نفس الفترة تمكنت القوات الأندلسية من اجتياح معظم « الثغر الفرنجي » المحاذي للثغر الأعلى الإسلامي في شمال الأندلس بمعاونة القائد الفرنجي غليالم بن برناط من غليالم الذي انضم مع قواته للمسلمين[٥] .ونظراً لتبعية أساقفة جزر البليار وزعمائها الدينيين الذين كانوا يحكمون هذه الجزر آنذاك[٦] لأبرشية جرندة « جيرونة » في الثغر الفرنجي التي كانت تخضع سياسياً للفرنجة وتتبع كنسياً للبابوية[٧] فإنني أرجح بأن أساقفة هذه الجزر وحكامها نقضوا العهد الثاني استجابة لتحريض الفرنجة من جهة والبابوية من جهة أخرى . ومما يؤكد هذا القول ، ظهور حركة ما يسمى « بالاستشهاد المسيحي » في تلك الفترة بتحريض من الكنيسة والفرنجة ، وهي حركة مريبة تدعو المعاهدين من النصارى إلى التمرد على الحكم الإسلامي ، وقد بلغت حداً كبيراً من التحدي إلى درجة تمرد فيها قطاع واسع من غلاة المتعصبين من المعاهدين على الإمارة الأموية في عاصمتها قرطبة[٨] .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي . ص٢ .
ابن عذاري : البيان المغرب ، ص٨٩ .

(٢) عنان : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الأول ، ص٢٦٢ - ٣٦٣ .

(٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢١٦ .
وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص١٣٣ .

(٤) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٠٢ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ٢ - ٣ وحاشية « ٨ » ص٤١٢ .
وشكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٠٢ . وعنان : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الأول ، ص٢٦٢ .

(٦) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٢٢ ، ٢٧ ، ٩٣ .

(٧) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ، ص١٢١ - ١٢٢ .

(٨) شكيب ارسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٠٢ - ٢٠٤ .
عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول - القسم الأول ، ص ٢٦٤ - ٢٦٧ .

الفتح الإسلامي الثالث للبليار

ما إن بلغ إلى مسامع الأمير عبد الرحمن بن الحكم نقض أهل البليار للعهد « الثاني » وعدوانهم على السفن الإسلامية حتى أمر بتجهيز ثلاثمائة سفينة لنقل المقاتلين وغزاة البحر والمتطوعة للإغارة على هذه الجزر وقمع ثورة أهلها وإعادتهم إلى حظيرة الطاعة ، وقد حققت هذه الحملة نجاحاً باهراً ، وتمكنت القوات الأندلسية على أثره من فتح جزر البليار عنوة « للمرة الثالثة » ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م[١] تحت قيادة ابن ميمون عامل بلنسية[٢] ، ويقول ابن حيان في هذا الصدد « ففتح الله عليهم وأظفرهم بهم فأصابوا سباياهم وفتحوا أكثر جزائرهم . . »[٣] ونتيجة للخسائر الفادحة التي وقعت في صفوفهم أعلنوا طاعتهم وقبولهم الصلح[٤] ؛ واستجاب ابن ميمون قائد الحملة لمطلبهم وأرسل إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ينبئه بما حققه من فتح وما جمعه من غنائم وأسرى ، فسارع أمير الأندلس إلى إرسال أحد فتيانه الصقالبة ويدعى شنظير الخصيّ « . . إلى ابن ميمون ليحضر تحصيل الغنائم ويقبض الخمس ، وكان قد صالح بعض أهل تلك الحصون على ثلث أموالهم وأنفسهم وأحصيت ريعهم وأموالهم وقبض منهم ما عليه صولحوا . . »[٥] وفي العام التالي ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م دخل أهل جزر البليار في عهد ثالث مع المسلمين[٦] .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ٢ - ٣ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٩ .
ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٤٩ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام - القسم الخاص بالأندلس ص١٨ . الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار تحت الحكم الإسلامي ، ص١٩ وحاشية « ١٦ » في نفس الصفحة ودائرة المعارف الإسلامية زايبولد - ج٣ ، ص٣٠٧ - ٣٠٨ وليفي بروفينسال : تاريخ أسبانيا الإسلامية ص١٤٠ . و د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ص١٢١ - ١٢٢ . وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص١٢٥ . و د . أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٥٩ - ٢٦٠ . وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٠ . وعنان : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الأول ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .
و د . إبراهيم طرخان : المسلمون في أوربا ، ص٧٠ - ٧١ .
و د . عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص٢٦٠ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق . محمود علي مكي ، ص٣ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٣ .

(٦) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .

العهد الثالث بين المسلمين وأهل البليار

دفع أهل جزر البليار ثمناً غالياً لنقضهم العهد «الثاني» ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م فقد تعرضوا إلى خسائر فادحة وفتحت جزرهم عنوة، ولم يجدوا مفراً من الإذعان للطاعة، وأرسلوا للأمير عبد الرحمن بن الحكم كتاباً من جزيرة ميورقة يناشدونه فيه الصفح عنهم وتجديد العهد لهم. فعطف عليهم واستجاب لمطلبهم بعد أن نالوا ما يستحقونه من عقاب رادع. ويشير ابن حيان في حوادث عام ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ - ٨٥٠ م إلى هذا الكتاب قائلاً «وفيها ورد كتاب أهل ميورقة على الأمير عبد الرحمن بن الحكم مستغيثين مما دهمهم من سخطه مستقيلين لعثراتهم لديه راغبين في صفحه وإقالته فعطف عليهم وأقالهم ذلتهم وأجابهم إلى مسألتهم وأعطاهم ذمته وجدّد لهم عهده»[1]، ويتضح من هذا النص ما يلي:

أ- إن وصول كتاب استرحام إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم من جزيرة ميورقة كبرى جزر البليار يدل على وجود سلطة عليا في هذه الجزيرة تتمتع بصلاحيات واسعة تمكّنها من توقيع العهود بالنيابة عن أهل جزر البليار، مما يدل على أنها كانت تشرف على شئون جميع الجزر في أوقات الحرب والسلم.

ب- يدل مضمون الكتاب المشار إليه إلى ما تعرض له أهل جزر البليار من عقوبة رادعة على نقضهم للعهد «الثاني» مما أجبرهم على الاستغاثة بالأمير عبد الرحمن بن الحكم طالبين الصفح وتجديد العهد الذي نقضوه.

جـ- استجابة أمير الأندلس إلى استرحام أهل جزر البليار وتجديد العهد لهم يدل كما ذكرنا على أنه هو الذي عقد معهم العهد الثاني كما يقول ابن حيان «.. وأجابهم إلى مسألتهم وأعطاهم ذمته وجدد لهم عهده..» ويذكر ابن عذاري في حوادث عام ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ - ٨٥٠ م فقرات من كتاب الأمير عبد الرحمن بن الحكم لأهل جزر البليار جواباً على استرحامهم به ومناشدتهم له تجديد عهده لهم، يتضح من مضمونها نص كتاب أهل جزر البليار لأمير الأندلس وما تعرضوا له من عقوبة رادعة وما تعهدوا بتنفيذه من التزامات كانت بمثابة تجديد لالتزاماتهم السابقة في العهد الثاني[2].

وفيما يلي الفقرات التي ذكرها ابن عذاري من كتاب الأمير عبد الرحمن بن الحكم لأهل البليار: «أما بعد فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم لجهادكم وإصابتهم ما أصابوه من ذراريكم وأموالكم والمبلغ الذي بلغوه منكم وما أشفيتم عليه من

(١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص٤.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.

الهلاك، وسألتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروههم والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم، ورجوتم أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم وقمعكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه، وقد أعطيناكم عهد الله وذمته..»[1]، ويتضح من هذا النص ما يلي:

أ- ما أصاب أهل البليار من خسائر في الأموال والأرواح حتى أشرفوا على الهلاك، مما أجبرهم على التسليم واستجداء الأمير عبد الرحمن بن الحكم العفو عنهم وتجديد عهده لهم.

ب- إن تعهد مرسلي الكتاب لأمير الأندلس بالطاعة نيابة عن الجماعة يدل على وجود شخصيات ذات نفوذ تتمتع بسلطات واسعة على جميع سكان جزر البليار وقد يكونون عدداً من أساقفة هذه الجزر وزعمائها الدينيين الذين كانوا يشرفون على شئون الطوائف[2] ويتمتعون بالسلطتين الروحية والزمنية ويهيمنون على الحياة العامة في جزر البليار مما أوجد تماسكاً قوياً بين السكان في مواجهة الحملات البحرية الإسلامية عبر عهود طويلة[3].

جـ- تتماثل بنود العهد «الثالث» التي ذكر ابن عذاري بعضاً منها وهي دفع الجزية، الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروههم والوفاء بالعهد مع بنود العهد «الثاني» لأنها بمثابة تجديد لها[4] كما تتماثل كذلك نصاً وروحاً مع بنود العهد الذي وقعه عبد العزيز بن موسى بن نصير مع أهل تدمير[5]؛ وإن صحّت الفرضية الآنفة الذكر بأن العهد الأول بين المسلمين وأهل جزر البليار الذي لم تصلنا نصوصه يماثل العهد بين المسلمين وأهل تدمير[6] فمعنى ذلك أن جميع نصوص العهود الثلاثة الأولى بين المسلمين وأهل جزر البليار متماثلة إلى حد كبير.

وهكذا جنح أهل جزر البليار للسلم، وظلوا على العهد حتى وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم وتولية ابنه محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ هـ = ٨٥٢ م بعد ثلاث سنوات من دخولهم في عهد ثالث مع المسلمين[7].

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٢) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٣.
(٣) المرجع السابق، ٢٢.
(٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص٤، وابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.
(٥) العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص٤ - ٥. والحميري: الروض المعطار، ص١٣٢.
(٦) روسليو، بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٩٤.
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٩٠، ٩٢.

البليار في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

يحيط الغموض بتاريخ جزر البليار في هذه الفترة، ولم يرد لها أي ذكر في جميع المصادر والمراجع التي تمكنت من الاطلاع عليها حتى عام ٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م الذي أغار فيه النورمان على هذه الجزر وأوقعوا فيها دماراً مروعاً وأخذوا عدداً كبيراً من أهلها أسرى، بعد أن استصفوا ثرواتها وهم في طريقهم إلى جنوب بلاد الفرنجة وساحل إيطاليا الغربي[1] بعد إغارتهم على سواحل الأندلس الغربية والجنوبية والشرقية وعلى ثغر نكور في شمال المغرب الأقصى، حيث عاثوا تدميراً وقتلاً ونهباً وأسراً سنة ٢٤٥ هـ = ٨٥٩م[2]. ولا نجد أي إشارة لاجتياح النورمان ثانية للبليار أثناء عودتهم من حملاتهم البحرية الواسعة النطاق على ثغور جنوب بلاد الفرنجة وساحل ايطاليا الغربي، ويقول ابن حيان في هذا الصدد «.. ثم تقدم المجوس «النورمان» إلى افرنجة فشتوا فيها وأصابوا الذراري والأموال وتغلبوا على مدينة سكنوها حتى انصرفوا إلى ريف الأندلس، وقد ذهب من مراكبهم أكثر من أربعين، فلقيتهم المراكب التي كان قد أعدها لهم قرقماشيش بن شكوح وخشخاش ومعهما نيم النقط وأصناف العدة البحرية والرماة.. والنشاب.. فأصابوا مركبين من مراكبهم في ريف شذونة فيها أموال كثيرة وأمتعة، وصدمهم ابن شكوح وخشخاش صاحبه رئيسا أسطول السلطان «محمد بن عبد الرحمن» وقاتلاهم حتى غلباهم على مركبين آخرين فأحرقاهما بجميع ما فيهما، فحمي المجوس «النورمان» عند ذلك على خشخاش وأحدقوا به وصادمهم بصدر مركبه حتى استشهد..» ونتيجة لهذه المقاومة الضارية من الأساطيل الأندلسية تراجعت فلول أسطول النورمان عن سواحل بلاد الأندلس[3] وعبرت مضيق جبل طارق في طريقها إلى قواعدها في بريتاني في شمال

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠ – ٢١.
ود. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى. ج١، ص٢٤٤ – ٢٤٥.
وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص٢٣١.
وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص١٦٥.
ودومينك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص٨٧. مجلة الأندلس، العدد ٣٧، سنة ١٩٧٢.
(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٨.
وابن حيان: المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي ص٣٠٨ – ٣٠٩.
والعذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص١١٨ – ١١٩.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٩٦ – ٩٧. وابن الأثير: الكامل ج٧، ص٩٠. والحميري: الروض المعطار: ص٢٢٣ و ٥٧٦ – ٥٧٧.
وابن خلدون: العبر، ج٢، ص٢٨٤.
(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص٣٠٨ – ٣٠٩.

غرب بلاد الفرنجة سنة ٢٤٨ هـ = ٨٦٢م[1]. وبعد انسحاب النورمان من الحوض الغربي للبحر المتوسط يعود الغموض يخيم من جديد على تاريخ جزر البليار، وفجأة ودون أي تمهيد أو مقدمات يذكر محمد الزهري في كتابه الجغرافية خبراً غريباً يدعو للدهشة وهو فتح البليار «للمرة الرابعة» في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن دون أن يذكر تاريخ هذا الفتح والأسباب التي أدت إلى حصوله[2].

الفتح الإسلامي الرابع للبليار
في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

يذكر صاحب كتاب الجغرافية النص الفريد التالي عن فتح جزر البليار «للمرة الرابعة» عند حديثه عن مدينة ميورقة يقول فيه «وفي هذه المدينة أعاجيب البناء، فيها برج عظيم على حافة البحر يكشف على مسافة يومين في البحر، وفيها المعقل العظيم المشيد الذي ليس في معمور الأرض مثله، وهو الحصن المعروف بحصن الأرون، وقد ذكر أهل ميورقة أنه لما فتحت هذه الجزيرة في مدة محمد بن (عبد الرحمن) الأمير الخامس من بني أمية في الأندلس أن الروم بقوا في هذا الحصن بعد أخذها ثمانية أعوام وخمسة أشهر، لا يقدر عليهم أحد حتى نفد ما كان عندهم من الطعام. فعند ذلك عبطوا، وهذا الحصن قد ارتفع في الهواء من حجر صلد في رأسه عين ماء سائلة..»[3]، يتضح من هذا النص ما يلي:

أ- بأن جزيرة ميورقة «وملحقاتها» قد فتحت للمرة الرابعة، فإن صحت هذه الرواية فمعنى ذلك أن أهل جزر البليار قد نقضوا العهد للمرة الثالثة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، فما سبب هذا النقض المفترض للعهد؟ ومتى كان تاريخ الفتح «الرابع»؟ لم يزودنا الزهري الذي انفرد بهذه الرواية بأي إجابة على هذه التساؤلات، ونظراً للاضطراب الذي يعتري هذا النص فإننا نتساءل ما إذا كان من الممكن أن تكون رواية الزهري تتعلق بالفتح «الثالث» لهذه الجزر ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم؟

إننا نستبعد ذلك نظراً لأن من الثابت من مصادرنا الإسلامية أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم قد منح أهل هذه الجزر بعد عام واحد من فتحها للمرة الثالثة سنة ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ – ٨٥٠ م «العهد الثالث» الذي سبق ذكره بعد أن أشرفوا على الهلاك

(١) د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٢٤٥.
(٢) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ص١٢٩.
(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

واستجاب لاستغاثتهم به[1] وهذا مما يتنافى مع ما ذكره الزهري عن مقاومة أحد حصون ميورقة ما يزيد عن ثمانية أعوام.

ويرجح المؤرخ الميورقي روسليو بوردوي بأن رواية الزهري تتعلق بأحداث الفتح النهائي اللاحق لهذه الجزر في عهد الأمير عبدالله بن محمد بقيادة عصام الخولاني ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م[2] ولكن رواية ابن خلدون الفريدة عن هذا الفتح المشار إليه تؤكد بأن حصار ميورقة لم يستغرق من القائد عصام الخولاني سوى فترة وجيزة حيث أنه يقول « فحاصرها أياماً وفتحوها حصناً حصناً إلى أن كمل فتحها . . » مما ينفي نفياً قاطعاً أي علاقة لرواية الزهري عن فتح جزر البليار بعد مقاومة ضارية بالفتح النهائي اللاحق الذي لم يستغرق سوى أيام معدودات[3].

وبناء على ما سبق ذكره فليس أمامنا إلا أن نقبل رواية الزهري على علاتها بالرغم من أنه أمر يدعو للدهشة حقاً أن يقوم أهل البليار بالثورة على الإمارة الأموية في الأندلس بعدما تعرضوا له في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم من سبي وقتل حتى أشرفوا على الهلاك لولا صفحه عنهم وتجديده عهده لهم ٢٣٤ - ٢٣٥ هـ = ٨٤٨ - ٨٥٠ م[4] وبعدما تعرضوا له من إبادة وأسر جماعي من قراصنة النورمان ٢٤٥ هـ = ٨٥٩م[5]. وأكثر من ذلك كله هو أن يتحدى أهل البليار الإمارة الأموية تحدياً صارخاً في وقت كانت فيه الأساطيل الأندلسية في ذروة قوتها وتتجول قطعاتها على طول السواحل الأندلسية « ما بين حائط افرنجة في الشرق إلى حائط جليقية في الغرب . . »[6]. وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن « شديد الاستخبار عن الثغور والتطلع إلى ما يحدث فيها وإرسال البعثات للبحث عن مصالحها . . »[7]، فكانت لا تجري ببحر جارية إلا عن معرفته وتحت إشرافه . . »[8] لاهتمامه بشئون البحر والعناية بدور الصناعة وبناء الأساطيل وتجنيد غزاة البحر والمتطوعة في أساطيل الإمارة أسوة بما كان يتبعه والده

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
(٢) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٦ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٢ - ٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢١ - ٢٢ .
(٦) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٣٠٨ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٩٦ .
(٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص١٣٢ .
(٨) المصدر السابق ، ص١٣٣ - ١٣٤ وحاشية « ٤ » ، ص١٣٣ .

بهذا الشأن[1]. خاصة بعد إعلان بجانة كبرى قواعد غزاة البحر ومحارسها في جنوب شرق الأندلس عن طاعتها له ٢٧١ هـ = ٨٨٤ م ومناشدتهم إياه « أن يسجل لرجل منهم ويعقد له بالتأمير عليهم وعقد لهم ما أرادوا . . »[2] وولى عليهم والياً منهم هو عمر بن أسود الغساني الذي ظل يدين له بالطاعة ويعلمه عن كافة النشاطات البحرية على طول ساحل الأندلس الشرقي[3].

ب- يتضح من نص الزهري مدى حصانة مدينة ميورقة العاصمة ، وأن وجود برج فيها يكشف السفن المعادية على مسافة يومين في البحر ، وتحصينات هائلة كحصن الأرون يدل على وجود سلطة عليا وحكومة مركزية تتمتع بالاستقلال إلى حد كبير مما مكنها أن تبني هذه الأبراج والحصون في وقت كانت تعقد فيه باتفاقات مع الإمارة الأموية وفقاً لنصوص العهد « الثالث » الآنف الذكر الذي عقده الأمير عبد الرحمن بن الحكم مع ممثلي هذه الجزر ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ - ٨٥٠ م[4].

جـ- إن وجود تحصينات هائلة في جزيرة ميورقة كحصن الأرون[5] وبرج الاستطلاع الشامخ الذي يكشف السفن على مسافة شاسعة يدل على وجود تنظيمات عسكرية وإدارية دقيقة ، وعلى ما كانت تتمتع به جزر البليار من ثروات وافرة وازدهار اقتصادي مما مكن أساقفة هذه الجزر ورؤساء الطوائف الدينية فيها الذين كانوا يشرفون آنذاك على شئون الحكم[6] من بناء مثل هذه الحصون ذات التكاليف الباهظة ودفع نفقات حامياتها العسكرية الكبيرة ، كما أن وجود مثل هذه المعاقل والحصون والأبراج ومقاومتها ما يزيد عن ثمانية أعوام كما يقول الزهري تدل على أن رواية « مدونة سان سابستيان اللاتينية » عن إخلاء جزيرة

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٣١١ ، والعذري : نصوص الأندلس ، ص١١٩ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٠٣ - ١٠٤ .
(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص٧٩ - ٨٠ و ص ٥٣٧ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص١٣٣ - ١٣٤ وحاشية ١٣٣/٤ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٩ .
(٥) حصن الأرون Alaro : كشفت الحفريات في ألارو : Alaro عن وجود تحصينات منيعة تقوم على أسس رومانية قديمة وعن بقايا خزفية تدل دلالة واضحة على أنه كان في هذا الموقع تجمع روماني الأصل ، سكنه بعد ذلك المسلمون بعد تكييفه حسب ظروفهم الخاصة واحتياجاتهم الدفاعية (روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٦).
وظل حصن الأرون Alaro من أشد معاقل جزيرة ميورقة حصانة طيلة عهودها الإسلامية وقد صمد لحصار ثمانية شهور في مواجهة آخر الحملات الصليبية على ميورقة ولم يسقط إلا نتيجة لخيانة ابن عابد عامل بلانسه ٦٢٧ هـ = ١٢٣٠ م
Clements R. Markham. The Story of Majorca and Minorca, p. 28.
(٦) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٢٢ ، ٢٧ ، ٩٣ .

ميورقة من سكانها بالقوة المسلحة من قبل قراصنة النورمان في غارتهم البحرية على البليار ٢٤٥ هـ = ٨٠٩ م ، رواية مبالغ فيها إلى حد كبير[١] .وعلى أي حال فإن صحت رواية الزهري عن الفتح الإسلامي « الرابع » للبليار في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن فالأرجح أنه كان بعد عام ٢٦٣ هـ = ٨٧٥ م الذي نشبت فيه الفتن الداخلية في بلاد الأندلس وظلت مستعرة حتى وفاته في ٢٧٣ هـ = ٨٨٦ م[٢] في وقت كانت فيه الإمارة الأموية في الأندلس تتصدى لعدوان الإمارات والممالك الاسبانية المسيحية في شمال شبه جزيرة أيبرية[٣] .

وربما تكون البابوية التي كانت تتعرض ممتلكاتها في إيطاليا إلى الغارات البحرية الأندلسية ، قد قامت بتحريض أهل جزر البليار على نقض العهد مع المسلمين والاعتداء على سفنهم مما عرضهم إلى نقمة الأمير محمد بن عبد الرحمن وفتح جزرهم عنوة « للمرة الرابعة » ، خاصة وأن رومة كانت تتعرض إلى خطر الاجتياح في سنة ٢٥٩ هـ = ٨٧٢ م مما اضطر البابا يوحنا الثامن أن يدفع لغزاة البحر الأندلسيين مائة ألف مثقال من الذهب مقابل انسحابهم من ضواحي روما ، وتوقع هذا البابا أن يجد عوناً من شارل الأصلع Charles Le Chauve ملك بلاد الفرنجة لإنقاذه من هذا الخطر الداهم وتخليصه من دفع الجزية لغزاة البحر الأندلسيين فقام بتتويجه امبراطوراً في روما سنة ٢٦٣ هـ = ٨٧٥ م ولكنه لم يجد البابوية نفعاً فقد كان معدوم الكفاءة يحكم بلاداً مزقتها الحروب والمنازعات وتوفي في سنة ٢٦٥ هـ = ٨٧٧ م دون أن يقدم أي عون للبابوية[٤] نظراً لأنه كان يرتبط بعقد صلح مع الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وكانت بينهما مراسلات ومهاداة أشارت إليها العديدة من مصادرنا ودعته باسمه الفرنجي مصحفاً « قرولش » Charles Le Chauve[٥] .

ومهما يكن الأمر فقد توفي الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٧٣ هـ = ٨٨٦ م وخلفه ابنه المنذر الذي لم يطل حكمه فقد توفي سنة ٢٧٥ هـ = ٨٨٨ م وهو يحاصر معاقل عمر بن حفصون كبير العصاة في جنوب شرق الأندلس وتولى الإمارة من بعده أخوه الأمير عبد الله بن محمد والفتنة

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢١ - ٢٢ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٠٢ وما بعدها .
(٣) ابن الأثير : الكامل : ج٧ ، ص١٠٩ - ١١٠ .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٤٦٤ .
(٤) د . طرخان : المسلمون في أوروبا ، ص١٦٤ - ١٦٥ .
(٥) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ، ص١٣٠ - ١٣١ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٨٠ .

على أشدها في بلاد الأندلس[١] ، وفي عهده فتحت جزر البليار « للمرة الخامسة » واستقرت فيها دعائم الحكم الإسلامي بعد مرور حوالي مائتي عام على فتحها الأول[٢].

البليار قبيل الفتح الإسلامي الخامس والأخير

إن من الظواهر التي تلفت النظر حقاً هو أن الفتح الخامس والأخير للبليار وتوطيد دعائم الإسلام فيها وضمها نهائياً لحظيرة الإمارة الأموية في الأندلس ، تمّ في فترة بلغت فيها هذه الإمارة ذروة الضعف والتمزق في عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي « امتلأت الأندلس في أيامه بالفتن وصار في كل جهة متغلب »[٣] .. « وتألب أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة على أهل الإسلام الذين صاروا بين قتيل ومحروب .. وانقطع الجهاد إلى دار الحرب وصارت بلاد الأندلس الثغر المخوف .. »[٤] . ويمكن تعليل هذه الظاهرة بأن جميع الذين قاموا بفتح جزر البليار « للمرة الخامسة » في عام ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م[٥] الذي بلغت فيه الإمارة الأموية في الأندلس ذروة الانهيار ، كانوا كما يقول الدكتور حسين مؤنس من المتطوعة والمرابطة والمجاهدين .. « الذين استنفرهم الأمير عبد الله بن محمد من ثغور الأندلس الشرقية التي كانت تدين له بالولاء[٦] .وكانت جزر البليار قبيل فتحها النهائي تعيش في ظل نظام شبه مستقل وتخضع سياسياً للإمارة الأموية في الأندلس[٧] وفق عهد « رابع » لم تصلنا نصوصه بعد فتحها « للمرة الرابعة » في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[٨] .لهذا كان غزاة البحر من ثغور الأندلس الشرقية يجدون في هذه الجزر كافة التسهيلات البحرية ويلجأون إليها عند الخطر ويبقون فيها كما يشاؤون بين أهلها من المعاهدين دون أن يعترضهم معترض[٩] .

وبالرغم من تبعية البليار السياسية للإمارة الأموية في الأندلس قبيل فتحها « الخامس » والأخير إلا أنها كانت من الناحية الكنسية تتبع لأبرشية جرندة «Gerona» في الثغر الإفرنجي « إمارة قطلونية » ؛ويتضح ذلك من مرسوم بابوي صدر في عام ٢٧٥ هـ = ٨٨٨ م ورد فيه اسم

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١١٣ - ١٢٠ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٢ ، ص٣٥٣ .
(٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص٦ .
والحميدي : جذوة المقتبس ، ص١٢ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص١٦ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٢١ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ .
(٦) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١١٥ - ١١٦ .
(٧) دومنيك اورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص٨٧ - ٨٨ .
(٨) محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص١٢٩ .
(٩) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ .

جزيرتي ميورقة ومنورقة كأسقفيتين تابعتين لأبرشية جرندة[1] .ويعود الفضل الأول في الفتح النهائي لجزر البليار لغزاة البحر الأندلسيين الذين غطى نشاطهم البحري العام الحوض الغربي للبحر المتوسط في عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي كانوا يدينون له بالولاء[2].

النشاط البحري الأندلسي
في عهد الأمير عبد الله بن محمد

بالرغم من خروج معظم أقاليم الأندلس عن طاعة الإمارة الأموية في عهد الأمير عبد الله بن محمد[3] إلا أن عهده تميّز بنشاط بحري واسع النطاق نظراً لولاء الثغور الأندلسية التالية وقواعد غزاة البحر فيها للإمارة الأموية:

أ – الثغر الأعلى وقواعده البحرية الكبرى

استغل الأمير عبد الله الصراع على السلطة في الثغر الأعلى بين أسرة تجيب العربية ذات النفوذ الواسع وبني فرتون أقوى الأسر المستعربة في فرض هيمنة على الإمارة الأموية على هذا الإقليم الاستراتيجي، فما إن أعلن محمد بن عبد الرحمن التجيبي خضوعه للإمارة الأموية حتى استجاب الأمير عبد الله إلى طلبه وولاه عاملاً على سرقسطة كبرى قواعد الثغر الأعلى وظل على الطاعة، إلى ما بعد وفاة عبد الله، كما ولى على تطيلة وطرسونة من قواعد الثغر الأعلى لب بن محمد بن فرتون ليضمن ولاء كلتا الأسرتين ويضرب إحداهما بالأخرى إن خرجت على الطاعة[4].

وفي شعبان سنة ٢٧٥ هـ = ديسمبر ٨٨٨ م وهي السنة الأولى من ولاية الأمير عبد الله، ناشد أهل طرطوشة «قاصية الثغر الأعلى»، وقاعدته البحرية الكبرى الأمير عبد الله أن يولي عليهم عاملاً من قبله فاستجاب لمطلبهم وولى عليهم عبد الحكم بن سعيد بن عبد السلام[5]، وفي ذي الحجة ٢٧٨ هـ = ٨٩٢ م ولى الأمير عبد الله على مدينة طرطوشة «قاصية أرض الأندلس الشرقية» أبا عثمان عبد الله بن محمدٌ بن أبي عبده مكان عبد الحكم بن سعيد بن عبد السلام[6]

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٣٥٣.
(٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٥٣، ٨٧.
ود. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص١١٥ – ١١٦.
(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص١٩ – ٣٣.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٢١ وما بعدها.
(٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص١٦ – ٢١.
والعذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص٣٧ – ٤٢.
(٥) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٥٢.
(٦) المصدر السابق، ص١٠٦.

وظلت طرطوشة كبرى قواعد الثغر الأعلى البحرية على ولائها للإمارة الأموية طيلة عهد الأمير عبد الله بن محمد، وكان عاملها في أول مرسوم بعمال الأندلس ذكره ابن حيان، في عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله، الذي تولى حكم الأندلس بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد، هو عثمان بن عبد الله بن محمد بن أبي عبده[1].

ب – بجانة ومحارسها ورباطاتها في جنوب شرق الأندلس

في السنة الأولى من ولاية الأمير عبد الله بن محمد سنة ٢٧٥ هـ = ٨٨٨ م جدد البحريون في بجانة ولاءهم للإمارة الأموية وناشدوا الأمير عبد الله أن يسمح لهم بالتوسع في العمران في بجانة وما حولها وأن يولي عليهم رجلاً منهم اختاروه بأنفسهم[2] يدعى عبد الرزاق بن عيسى، اشتهر بحسن سيرته وحزمه. ونظراً للدور الهام الذي كانت تقوم به بجانة ورباطاتها ومحارسها في النشاط البحري الأندلسي وفي الدفاع عن ساحل الأندلس الشرقي فقد استجاب الأمير عبد الله بن محمد إلى مطلب البحريين في هذه القاعدة البحرية الكبرى. «وكان ذلك من أعظم أسباب اجتماع الناس إلى بجانة من الآفاق واغتباطهم بحلولها وسكونها إلى ضبط أميرها عبد الرزاق لحمايته للأموال وسعيه في توسعة العمارة..»[3].وفي فترة ولايته ازداد العمران في بجانة وما حولها لتكاثر الوافدين إليها من شتى أنحاء الأندلس، وبلغ عدد حصونها قرابة العشرين حصناً. من أهمها وادي بجانة والحامة والخابية ومرشانة وعالية وبني طارق وحصن ناشر.. «حموها وأوطنوها، هم ومن نزل بهم، وجاءهم الناس من كل جانب وأمنوا عندهم وكثروا ببلدهم..»[4]. وكانت المرية من أعظم رباطات بجانة ومحارسها، ونظراً لموقعها الحصين فقد أصبحت منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر كبرى ثغور الأندلس البحرية[5].ومما عزز النشاط البحري الأندلسي في ثغور الأندلس الشرقية خاصة في بجانة وما حولها لجوء أعداد كبيرة من الأندلسيين من شتى أنحاء الأندلس إلى هذه الثغور، ويقول الحميري بهذا الصدد عند حديثه عن بجانة ما يلي: «.. فأمها الناس من كل جهة وانجفلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت إذ ذاك شاملة، فكانت أمناً لمن قصدها وحرماً لمن لجأ إليها، وكانت الميرة تجلب إليها من «عدوة المغرب» وكذلك ضروب المرافق والتجارات، وكان ذلك من الأسباب الداعية إلى قصدها واستيطانها..». وظلت بجانة على ولائها للأمير عبد الله بن محمد ولحفيده عبد الرحمن

(١) ابن حيان: المقتبس «الجزء الخامس» نشرة: ب. شالميتا – ف كورينطي م. صبح. ص٢٥٣.
(٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٥٣.
(٣) المصدر السابق: ص٨٨.
(٤) نفس المصدر، ص٥٣.
(٥) العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص٨٦.
والحميري: الروض المعطار، ص٥٣٧ – ٥٣٨.

الناصر من بعده[١] . ولم يتوقف نشاط غزاة البحر في ثغور الأندلس الشرقية وعلى رأسها بجانة عند حد التجارة بل تجاوز ذلك إلى إنشاء عدد كبير من القواعد البحرية في سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط وجزره كان من أشهرها في الشمال الإفريقي مرسى تنس[٢] ومرسى الدجاج[٣] ومرسى بونة ومرسى الخرز[٤] ومرسى وهران[٥] . كما استقر هؤلاء الغزاة في إقليم البروفانس في جنوب شرق بلاد الفرنجة واتخذوا من معقل فراكسنت Fraxinet على خليج سان تروبيز San Trobez قاعدة كبرى لغزواتهم البحرية لموقعها الحصين في ذروة جبل أطلق عليه الفرنجة اسم جبل مورُوس Mauros أي « جبل المسلمين » ، وكان ذلك ما بين عامي ٢٧٥ - ٢٧٨ هـ = ٨٨٨ - ٨٩١ م[٦] ،وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون على هذا الجبل الحصين اسم « جبل القلال » ، وقد وصفه الأصطخري بالمنعة وأنه كان بمثابة معقل للمسلمين في « وجوه الإفرنجة لا يقدر عليهم لامتناع مواضعهم »[٧] .ويضيف ابن حوقل إلى ذلك قائلاً « ولجبل القلال الذي بنواحي إفرنجة بأيدي المجاهدين عمارة وحرث ومياه وأراض تقوت من لجأ إليهم فلما وقع إليه المسلمون عمروه وصاروا في وجوه الإفرنجة »[٨] ،ويحدد ياقوت الحموي موقع جبل القلال بأنه بمحاذاة لمبارديا « الإنكبردة » في شمال إيطاليا وهو تحديد صحيح من الناحية الجغرافية[٩] .ويوضح المؤرخ الفرنسي رينو سبب تسمية هذا الجبل باسم « القلال » قائلاً بأن ذلك يعود إلى الشكل الهرمي لهذا الجبل ولكونه سلسلة وعرة بعضها أعلى من بعض[١٠] .

وقد صحف المؤرخون المسلمون اسم فراكسنت اللاتيني إلى « فرخشنيط »[١١] وأصبح هذا المعقل الخطير بعد فتح جزر البليار واستقرار دعائم الإسلام فيها عملاً من أعمال جزيرة ميورقة وارتبط بتاريخ البليار[١٢] . وقد أثار النشاط البحري الأندلسي في الثغور الأندلسية الشرقية قلق الفرنجة في الثغر الأعلى الفرنجي « إمارة قطلونية » ، لهذا قام شنير ، قومس « أنبوريش » في عام ٢٧٧ هـ = ٨٩٠ م بالإغارة على ثغر بجانة .وبالرغم من أن بجانة كانت تتعرض آنذاك إلى

---

(١) الحميري : الروض المعطار ، ص٧٩ .

(٢) البكري : المغرب في جغرافية إفريقية والمغرب ، ص ٦١ .

(٣) المصدر السابق ، ص٦٥ .

(٤) نفس المصدر ص٥٥ .

(٥) نفس المصدر ص ٧٠ .

(٦) شكيب أرسلان - تاريخ غزوات العرب - رينو - ص٢٠٥ - ٢٠٨ . وكيلر : ص٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٧) أبو اسحق إبراهيم محمد الفارسي الاصطخري : المسالك والممالك ، ص٥١ .

(٨) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٨٤ - ١٨٥ .

(٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٧٣ .

(١٠) شكيب أرسلان - تاريخ غزوات العرب - رينو - ص ٢٠٧ - ٢١٣ .

(١١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٤٥٤ .

(١٢) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ص١٨٤ - ١٨٥ .

هجوم بري من قوات سعيد بن حودى أمير العرب في البيرة ، إلا أن غزاة البحر تمكنوا من صد المهجومين وانسحب شنير «Suner» على رأس أسطوله المكون من خمس عشرة سفينة بعد عقد متاركة بين الطرفين[١] . وقد انتقم حماة الثغر الأعلى الإسلامي لهذه الغارة على يد لب بن محمد عامل تطيلة وطرسونة الذي أغار على برشلونة وأحرق حصن أورة بعد أن هزم غيفريد « ويفير يدو » والد شنير قومس الثغر الفرنجي « أمير قطلونية » وأصابه بجراح خطيرة توفي على أثرها وخلفه ابنه شنير ٢٨٤ هـ = ٨٩٧ م[٢] ؛ وقد وصل نشاط غزاة البحر الأندلسيين إلى ذروته في عهد الأمير عبد الله بن محمد في عام ٢٩٠ هـ =٩٠٣ م الذي تحقق فيه أعظم إنجاز في عهده على يد غزاة البحر والمتطوعة والمرابطين ، وهو الفتح النهائي لجزر البليار وضمها لحظيرة الدولة الأموية في الأندلس[٣] .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونيا ، ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص١٢٦ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ . ود . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ص١١٥ - ١١٦ .

الفصل الثّاني

جزر البليار في عهد الدولة الأموية بالأندلس
٢٩٠ - ٤٠٥ هـ = ٩٠٣ - ١٠١٥ م

الفتح الإسلامي الخامس للبليار

بعد مرور حوالي مائتي عام على الفتح الأول لجزر البليار ٨٩ هـ = ٧٠٨ م على يد عبد الله ابن موسى بن نصير كما ذكرنا في حينه[1] وبعد أحداث غطت قرنين من الزمان فصّلناها في مواضعها ، قام القائد عصام الخولاني بفتح هذه الجزر « للمرة الخامسة والأخيرة » في عام ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م ، وأصبحت هذه الجزر منذ ذلك الحين بلداً إسلامياً وإقليماً من أقاليم الإمارة الأموية في الأندلس[2] ، ونظراً لأن أوضح النصوص وأكثرها شمولاً عن هذا الفتح في المصادر التي بين أيدينا هو النص الذي ذكره ابن خلدون ، لهذا سنعتمد عليه ونحلله ونعلق عليه لتوضيح ملابسات هذا الفتح مع الإشارة عند الضرورة إلى النصوص الأخرى . يقول ابن خلدون في نصه المشار إليه ما يلي :

« كان فتح ميورقة (وملحقاتها) سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م على يد عصام الخولاني ، وذلك أنه خرج حاجاً في سفينة اتخذها لنفسه ، فعصفت به الريح فأرسوا بجزيرة ميورقة وطال مقامهم هنالك ، واختبروا من أحوالهم ما أطمعهم في فتحها ، فلما رجع بعد فرضه أخبر الأمير (عبد الله ابن محمد) بما رأى فيها ، وكان من أهل الغناء عنده في مثلها فبعث معه القطائع في البحر ونفر الناس معه إلى الجهاد فحاصرها أياماً وفتحوها حصناً حصناً إلى أن كمل فتحها . . »[3] .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٠٢ ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري .
(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص٥٦٧ ، وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ (ويذكر د . حسين مؤنس بأنه عثر للبكري على نص يقول فيه بأن فتح الجزائر الشرقية « البليار » كان في عهد الأمير عبد الله بن محمد سابع أمراء المروانيين بالأندلس على يد رجل أندلسي يدعى عصام الخولاني وكان رجال الأسطول والفاتحون جميعاً من المطوعة والمرابطة : د . مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢٢) . ويشير ليفي بروفنسال لرواية البكري (تاريخ أسبانيا الإسلامية) ج١ ، ص٣٩٥ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ .

يتضح من هذا النص الفريد ما يلي :

أ - أن تاريخ الفتح النهائي لجزر البليار ودخولها حظيرة الدولة الأموية كان في عام ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م[1] .

ب - كان عصام الخولاني أحد الرؤساء البحريين المجاهدين ، ونرجح بأنه أبحر في سفينته لتأدية فريضة الحج من إحدى القواعد البحرية في الثغر الأعلى الإسلامي ومن ثغر طرطوشة على وجه الخصوص لوقوع ميورقة على الطريق الملاحي بين موانىء الثغر الأعلى وعلى رأسها طرطوشة وبلاد المشرق من جهة[2] ، ولوجود أحفاد لعصام الخولاني في الثغر الأعلى وقاعدته الكبرى سرقسطة بعد مضي ما يزيد على القرنين على وفاته كأبي الحسن علي بن مسعود بن علي بن مسعود بن إسحق بن إبراهيم بن عصام الخولاني السرقسطي المتوفى ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م[3] وأخيه عصام بن مسعود المتوفى ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م وكانا من كبار القضاة والفقهاء في الثغر الأعلى الإسلامي والبليار[4] .

جـ - يدل رسو القائد البحري عصام الخولاني في سفينته المتجهة إلى بلاد المشرق ، في جزيرة ميورقة وإطالة بقائه فيها على وجود علاقات ودية بين أهل هذه الجزيرة والبحارة الأندلسيين ، وإلّا لما اطمأنوا حتى لمجرد الرسو فيها فكيف بإطالة الإقامة مما يؤكد وجود « عهد ما » ينظم العلاقات بين مسلمي الأندلس وأهل البليار بعد فتحها « للمرة الرابعة » في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[5] .

د - يتضح من الفقرة التالية من نص ابن خلدون الآنف الذكر « واختبروا من أحوالهم ما أطمعهم في فتحها » بأن القائد عصام الخولاني ومن رافقه في سفينته من البحارة ، درسوا وضع جزيرة ميورقة أثناء إقامتهم فيها وتبين لهم من خلال اطّلاعهم على أحوال أهلها ما شجعهم على التطلّع إلى فتحها وضمها إلى الدولة الأموية التي كانوا يدينون لها بالولاء ، وربما يكون ما شجعهم على التطلع إلى ذلك هو ضعف حامياتها العسكرية وثرواتها الوافرة ، ولأهميتها الكبرى كقواعد بحرية دائمة للأساطيل الأندلسية ، ولموقعها الاستراتيجي الهام في مواجهة سواحل الأندلس ، ولكونها المقر الرئيسي لأساطيل ثغور الأندلس الشرقية المتجهة شرقاً إلى كافة ثغور البحر المتوسط ، في وقت بلغ فيه نشاط غزاة البحر الأندلسيين إلى ذروته في عهد الأمير عبد

---

(١) الحميري : الروض المعطار ، ص٥٦٧ ، وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ .
(٢) د . تقي الدين عارف الدوري : صقلية - علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية - ص١٦٨ .
(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي : القسم الأول من السفر الخامس لكتابي الموصول والصلة ، ص٤٠٨ ، ترجمة رقم ٦٨٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص١٤٨ ، ترجمة رقم ٣٠٣ .
(٥) محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص١٢٩ .

الله بن محمد وانتشرت قواعدهم البحرية في سواحل بلاد المغرب وجنوب بلاد الفرنجة كما ذكرنا في حينه[١].

هـ - يتضح من الفقرة التالية من هذا النص.. « فلما رجع (عصام الخولاني) من تأدية فرضه أخبر الأمير (عبد الله بن محمد) بما رأى فيها (في جزيرة ميورقة) وكان من أهل الغناء عنده في مثلها فبعث معه القطائع في البحر ونفر الناس معه إلى الجهاد.. » بأن عصام الخولاني أعلم الأمير عبد الله بما شاهده في جزيرة ميورقة بعد عودته من تأدية فريضة الحج، وأقنعه بذرائع استند إليها بضرورة فتح هذه الجزر وسهولة تحقيق ذلك؛ وربما يكون من بين هذه الذرائع نقض أهل هذه الجزر للعهد أو عزمهم على ذلك، وأن هناك خطراً يتهدد المسلمين من بقاء هذه الجزر تحت حكم أساقفتها الذين كانوا يخضعون آنذاك لأبرشية جرندة Gerona التابعة لإمارة قطلونية[٢] التي كانت تشتبك في تلك الفترة في حروب برية وبحرية متواصلة مع القوات الموالية للإمارة الأموية في الأندلس في بجانة والثغر الأعلى الإسلامي[٣].

ويدل قول ابن خلدون « .. وكان من أهل الغناء[٤] عنده في مثلها.. » بأن القائد عصام الخولاني كان مقرّباً من الأمير عبد الله بن محمد وأهلاً لثقته، لما قدمه للإمارة الأموية من خدمات كان فيها مخلصاً ونافعاً، لهذا أذن له بفتح جزر البليار تحت علم الإمارة الأموية.. « وبعث معه القطائع في البحر ونفر الناس معه إلى الجهاد.. »[٥] بعد أن تأكد الأمير الأموي بالأدلة القاطعة بشرعية هذا الإجراء، لأن العهود في الإسلام تعتمد في إسنادها على كتاب الله وسنة رسوله ولا يجوز نقضها إلا بحجج بينة وأدلة قاطعة تؤكد نقض المعاهدين للعهد، دون أي عذر مقنع يبرر عملهم[٦]. ونظراً لأن معظم بلاد الأندلس آنذاك كانت خارجة عن طاعة الأمير

---

(١) البكري: المغرب في جغرافية إفريقية والمغرب، ص٥٥ - ٧٠.
وشكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب، ص٢٠٥ - ٢٠٨.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢١.
وروسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٢٢، ٢٧.
(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٨٩ و١٢٦.
(٤) الغناء: بالفتح والمد - النفع - (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ص٤٨٣).
(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٣.
(٦) وضع كبار الفقهاء منذ العهود الإسلامية الأولى أحكاماً تتعلق « بالعهد » استنبطوها من كتاب الله وسنة رسوله وكان من بين هؤلاء الفقهاء أمام الشام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي الذي كان يقول بأن نقض الصلح مع المعاهدين.. « لا يستقيم إلا بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم.. » وكان الإمام مالك بن أنس يدعو إلى « .. عدم التعجل بنقض العهد ومنابذة المعاهدين حتى تتجه الحجة عليهم.. » مستنداً في ذلك إلى قوله تعالى « .. فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم.. » (سورة التوبة/آية ٣) وإلى ما روي عن رسول الله من أحاديث تتعلق بحفظ العهد (البلاذري: فتوح البلدان، ص١٦٠ - ١٦٢. والحميري: الروض المعطار، ص٤٥٤). وكان أمراء الأندلس منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل يعتمدون في إصدار أحكامهم على مذهب الإمام مالك =

عبد الله بن محمد باستثناء العاصمة قرطبة وما حولها وبعض الثغور الشرقية[١] فإننا نرجح بأن أمير الأندلس استنفر المجاهدين والمتطوعة والمرابطين لفتح جزر البليار في العاصمة قرطبة وأرباضها، ومن الثغور الشرقية الموالية للإمارة الأموية وعلى رأسها بجانة ومحارسها ورباطاتها[٢]، والثغر الأعلى الإسلامي[٣] وكبرى قواعده البحرية في طرطوشة[٤]، لهذا كان رجال الأسطول والفاتحون جميعاً من المتطوعة والمرابطة والمجاهدين.. كما يقول الدكتور حسين مؤنس[٥]، كما كان الرعيل الأول من المسلمين الذين استقروا في جزر البليار بعد فتحها النهائي من قرطبة وثغور الأندلس الشرقية[٦].

و- يتضح من الفقرة التالية لنص ابن خلدون.. « فحاصرها أياماً وفتحوها حصناً إلى أن كمل فتحها.. » بأن عمليات الفتح لم تستغرق فترة طويلة بعد أيام معدودات من الحصار، ويرجّح الدكتور حسين مؤنس وجود جاليات إسلامية في هذه الجزر استقرت فيها قبل فتحها النهائي على مراحل[٧].

ولا شك بأن وجود مثل هذه الجاليات كان عوناً كبيراً للقائد عصام الخولاني في فتح جزر البليار خلال فترة وجيزة.

ز- يذكر ابن خلدون في نصه الآنف الذكر فتح جزيرة ميورقة ولم يشر إلى بقية جزر البليار فهل اعتبرها تبعاً لميورقة كبرى هذه الجزر ومن ملحقاتها؟

إن هذا هو ما نرجحه من قراءة النص الكامل لابن خلدون عن هذا الفتح والنصوص اللاحقة التي يتضح منها بأنه يعني « الجزائر الشرقية » (البليار) بأجمعها وليس جزيرة ميورقة وحدها، ويؤكد ذلك العنوان الرئيسي في أعلى النص وذكر ولاة جزر البليار واحداً بعد الآخر حتى نهاية العهود الإسلامية في هذه الجزر[٨] وقد اتّبع نفس الأسلوب ابن سعيد المغربي

= بشكل عام وعلى مذهب الإمام الاوزاعي في المسائل التي تتعلق بأحكام الحرب والجهاد. (د. أحمد مختار العبادي: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص٤٤، ٤٦، ٥٥).
(١) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٩ وما بعدها. وابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٣ وما بعدها.
(٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٥٣، ٨٨ والحميري: الروض المعطار ص٨٠.
(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا ص١٧، ٢٠، ٢١، ٨٦، ١٠٥، ١٢٦.
والعذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص٣٧ - ٣٨.
(٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٥٢، ١٠٦.
(٥) د. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص١٢٢.
(٦) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص٨٧.
(٧) د. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص١٢١.
(٨) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٣ - ٣٥٦.

فقد تحدث عن ولاة جزر البليار عند إشارته لجزيرة ميورقة[1] لكونها كبرى هذه الجزر وبقية الجزر الأخرى تبع لها نظراً لأن جزيرة ميورقة « أمهم وإليها مع الأيام خراجهم . . » على حد قول الحميري[2].

وهكذا استقر الحكم الإسلامي في جزر البليار بعد مائتي عام من الحملات البحرية وتقلّب أهلها بين قبول العهد ونقضه ، وأصبحت هذه الجزر منذ ذلك الحين معقلاً إسلامياً في مواجهة القوى المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[3].

تمصير البليار وانتشار الإسلام فيها

استقر الحكم الإسلامي في جزر البليار بعد فتحها « للمرة الخامسة والأخيرة » على يد القائد البحري عصام الخولاني ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م وأصبحت إقليماً إسلامياً يتبع مباشرة لحكومة قرطبة ، وولّى الأمير عبدالله بن محمد ، عصاماً الخولاني عاملاً عليها ؛ ويقول ابن خلدون بهذا الصدد . . « وكتب عصام بالفتح إلى الأمير عبدالله فكتب له بولايتها فوليها عشر سنين وبنى المساجد والفنادق والحمامات . . »[4] في مدينة اختطها لنفسه واتخذها عاصمة لإمارته على خليج بحري واسع في موقع استراتيجي خطير ، على آثار إحدى المدن الرومانية المندثرة ، وكان تخطيطها يماثل إلى حد كبير تخطيط مدينة بغداد ، وقد دعيت باسم « مدينة ميورقة » ولا يزال الكثير من معالمها حتى اليوم يشكّل الجزء القديم من « بالما دي ميورقة » العاصمة الإقليمية لجزر البليار[5]. وكانت الأغلبية الساحقة من سكان هذه الجزر في بداية الفتح « الخامس » ، من النصارى الذين كانوا يتبعون كنسيًّا أبرشية جرندة « جيرونة » في إقليم قطلونية[6] ، والى جانب هؤلاء كانت هناك جاليات يهودية تعيش في هذه الجزر خاصة في جزيرتي ميورقة ومنورقة[7] وجماعات إسلامية استقرّت فيها على مراحل قبل فتحها الأخير ودخولها في حظيرة الإمارة الأموية[8]. وازدادت أعداد المسلمين في هذه الجزر ، نتيجة لاستقرار المتطوعة والمجاهدين الذين فتحوا هذه الجزر فيها ، ولانتشار الإسلام بين أهلها ، ولقدوم جماعات كبيرة من المسلمين إليها بعد فتحها

---

(١) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٦٦ - ٤٦٧ .
(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص٥٤٧ ، ٥٦٧ ، ٦١٦ .
(٣) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص٩٣ - ٩٤ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ .
(٥) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص٨٧ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢١ .
(٧) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٨٨ .
(٨) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢١ .

النهائي من بلاد الأندلس ، خاصة من العاصمة قرطبة ومن ثغور شرق الأندلس[1] ، وقد وصل عدد المسلمين في جزر البليار بعد عشر سنوات من فتحها وتمصيرها « ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م » إلى حد مكّنهم من القيام بأنفسهم باختيار أميرهم « عبدالله بن عصام » ، وقد أقرّهم الأمير عبدالله بن محمد على اختيارهم[2] ،ونظراً لحاجة المسلمين الذين تكاثروا في جزر البليار إلى من يقضي بينهم فقد استقضى عليهم عبد الرحمن الناصر الذي تبوأ سدة الإمارة بعد وفاة جده الأمير عبدالله ، أول القضاة سنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٦ م[3].

وكان للوافدين إلى جزر البليار من الفقهاء والعلماء ، خاصة من الثغور الشرقية ، الفضل الأول في ترسيخ دعائم الإسلام وبذر بذور الحضارة الإسلامية في هذه الجزر[4] التي أصبحت بمثابة خط الدفاع الأمامي عن بلاد الأندلس في مواجهة القوى المسيحية المتربصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط[5] ، ويؤكد هذا القول الرحالة ابن حوقل الذي زار جزيرة ميورقة سنة ٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م في بداية عهدها الإسلامي[6] حيث يقول بأن أهل ميورقة يقفون وحدهم في وجه الافرنجة[7].

ويذكر في نص آخر عن جزيرة ميورقة وقاعدتها الأمامية في جبل القلال « فرخشنيط » Fraxinet ما يلي : « جزيرة خطيرة لصاحب الأندلس وكذلك جبل القلال « فرخشنيط » مضاف إلى ذلك العمل . . ذات خصب ونتاج وفير . . وعدة وعتاد وقوة على الجهاد وكثرة في التجارة ووفرة في العمارة »[8]. وبالرغم من انتشار الإسلام الواسع النطاق في جزر البليار فقد ظلت التقسيمات الكنسية قائمة في هذه الجزر ، حتى منتصف القرن الحادي عشر للميلاد = منتصف القرن الخامس للهجرة ، وتمتّعت الأقليات المسيحية حتى هذا التاريخ برعاية المسلمين وحمايتهم[9] ،ومع ذلك نجد من بين المؤرخين الاسبان من يعزو انتشار الإسلام في هذه الجزر إلى

---

(١) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص٩٣ - ٩٤ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ .
(٣) ابن الأبار : التكملة ، ج٢ ، ص٧٥٤ ترجمة رقم ١٨٦٧ طبعة عزت العطار الحسيني .
(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص٣٤٢ ترجمة رقم ١٠٠٥ و ص٢٢٩ ترجمة رقم ٦٩٤ .
(٥) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص٩٣ - ٩٤ .
(٦) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٠٤ .
(٧) المصدر السابق ، ص١١٠ .
(٨) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٨٤ - ١٨٥ .
(٩) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٨٣ - ٨٤ .
وعنان : دول الطوائف ، ص٢٠٣ .
وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٦٩ - ١٧٠ .

أساليب القهر والتنكيل التي اتبعها ولاة جزر البليار مع النصارى من أهل هذه الجزر[١]، وهي مزاعم لا أساس لها من الصحة ولا تعتمد على أي سند تاريخي معتمد ولكنها كما صرح كمبانير مجرد « استنتاج لا مفر منه »[٢].

لقد ذهل المؤرخون النصارى من سرعة انتشار الإسلام في جزر البليار وتحول النصارى من المعاهدين إلى مجرد أقليات، فلم يجدوا تعليلاً لذلك سوى اتهام ولاة جزر البليار باضطهاد النصارى وتحويلهم عن دينهم بالقوة، وهي أحكام استنتاجية بنيت على أسس خاطئة دون دليل أو برهان، ومن بين هؤلاء المؤرخين المؤرخ الميورقي الباروكمبانير الذي يقول في هذا الصدد: « .. لسوء حظ سكان جزر البليار فإن الحكم الإسلامي لها أتى متأخراً عن حكمهم للمناطق الاسبانية الأخرى الذي كان في بدايته حافلاً بمظاهر الروح الإنسانية والتسامح، إلا أنه بمرور الزمن أصبح المسلمون يحكمون بطريقة استبدادية وقد أتى فتح البليار في هذه المرحلة الثانية التي تحول معها الحكم الإسلامي من التسامح إلى التعصب ومن المعاملة الطيبة إلى الاضطهاد والتنكيل.. »[٣].

ويستشهد الباروكمبانير بروايات غير موضوعية للمؤرخ الهولندي دوزي عن سوء معاملة المسلمين للمعاهدين من النصارى[٤] ويتابع اتهامه لولاة جزر البليار باضطهاد النصارى وقسرهم على الدخول في الإسلام قائلاً: « وإذا كان علينا أن نعترف بأن حكام جزر البليار الأولين كانوا على قدر كبير من المهارة التنظيمية والإدارية وعلى درجة عالية من الثقافة، فإن علينا أن نعترف كذلك بأنهم كانوا كبقية حكام الأقاليم الاسبانية الأخرى في معاملتهم لأهل جزر البليار من النصارى، الذين كانوا يلاقون من الاضطهاد والمعاملة السيئة ما لاقى إخوانهم في شتى أنحاء اسبانيا.. »[٥]، ويشعر الباروكمبانير الذي عرف بموضوعيته بأن أحكامه قياسية مرتجلة لا ترتكز على أي دليل أو برهان إنما مجرّد استنتاجات بناها على روايات غير موضوعية عن عهود لاحقة، حيث يقول: « وإن ما ذكرناه عن سوء معاملة المسلمين لأهل جزر البليار في عهدها الإسلامي الأول هو مجرد استنتاج لا مفر لنا منه طالما لم تسعفنا الوثائق والبراهين الأخرى بما ينقض هذا الحكم.. »[٦]، وبهذه الخاتمة ينقض الباروكمبانير بنفسه كافة اتهاماته

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٤٩ – ٥٤.
(٢) المصدر السابق، ص٥٤.
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٤٩.
(٤) المصدر السابق، حاشية « ١٠ »، ص٥٢، نقلاً عن المؤرخ الهولندي دوزي « تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى الفتح المرابطي » المجلد الثاني، ص٤٦ – ٤٨ لندن: بريل، ١٨٦١.
(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٤٩.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٥٤.

السابقة التي لا ترتكز على أي أساس أو دليل. وكان المؤرخ الميورقي روسليو بوردوي موضوعياً بعض الشيء في تحليله لسرعة انتشار الإسلام في جزر البليار بقوله: « بأن سبب ذلك يعود إلى كون سكان جزر البليار كما تدل على ذلك آثارهم شعباً متهيئاً لتمثّل الحضارات الآتية من الخارج.. »[١]، وإن كنا لسنا بحاجة إلى مثل هذا التعليل لتبرئة ولاة البليار في عهدها الإسلامي الأول من هذه الاتهامات، فقد اشتهر هؤلاء الولاة بجهادهم وتمسكهم بالدين مما لا يمكن معه أن يخالفوا أمر الله، بإكراه الذميين على الدخول في الإسلام[٢].

ولاة البليار في عهدها الإسلامي الأول

اعتمد المؤرخون على نص فريد لابن خلدون عن ولاة جزر البليار في عهدها الإسلامي الأول، ولكن العثور على نصوص أخرى عن ولاة آخرين لهذه الجزر في مصادر إسلامية أخرى معتمدة، جعل من الواجب علينا أن نحاول ما أمكننا التوفيق بين نص ابن خلدون، وما ذكرته المصادر الأخرى، والخروج بقائمة متكاملة لولاة البليار في عهد الدولة الأموية في الأندلس، وكانت حصيلة جهودنا في حدود النصوص المتوفرة هي ما يلي:

أ - عصام الخولاني

يذكر ابن خلدون بأن عصام الخولاني أرسل إلى الأمير عبدالله بن محمد كتاباً يعلمه فيه بفتح جزر البليار فولّاه عليها، وظل عاملاً فيها إلى أن توفي سنة ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م بعد عشر سنوات من توليته[٣].

ب - عبدالله بن عصام الخولاني

ولّاه الأمير عبدالله بن محمد عاملاً على جزر البليار بعد وفاة والده عصام الخولاني تلبية لرغبة أهل الحل والعقد في هذه الجزر ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م، وفي نفس العام توفي الأمير عبدالله بن محمد وبويع بالإمارة من بعده حفيده عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله، وبقي عبدالله بن عصام عاملاً على البليار « .. إلى أن زهد وترهب وركب البحر إلى الشرق حاجاً وانقطع خبره.. »[٤].

---

(١) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص٨٣.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٣.
(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٤) يذكر ابن خلدون بأن انقطاع خبر عبد الله بن عصام بعد ذهابه إلى بلاد المشرق لتأدية فريضة الحج كان في عام ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م وترك فجوة لم يحدد فيها ولاة جزر البليار في الفترة ما بين مغادرة عبد الله ابن عصام لهذه الجزر لتأدية فريضة الحج وتاريخ انقطاع خبره (ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٣). =

ج - أحمد بن محمد بن الياس

يذكر ابن حيان في قائمة عمال بلاد الأندلس لعام ٣١٨ هـ بأن الخليفة عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الناصر لدين الله ولّى على جزر البليار « الجزائر الشرقية » أحمد بن محمد بن الياس في شعبان ٣١٨ هـ = أغسطس ٩٣٠ م[١]، وأنه عزله عنها وولى مكانه أحمد بن محمد بن الطلياري في عام ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م[٢].

د - أحمد بن محمد بن الطلياري

ولّاه الخليفة عبد الرحمن الناصر عاملاً على جزر البليار « الجزائر الشرقية » في عام ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م[٣] وعزله عنها في العام التالي ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م وولى مكانه أحمد بن عمر[٤].

هـ - أحمد بن عمر

ضمّ له الخليفة الناصر عمل البليار ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م بالإضافة إلى عمل سبتة في عدوة المغرب الذي ولّاه عليه في عام ٣١٩ هـ = ٩٣١ م لإرتباط كلا العملين بالنشاط البحري الأندلسي وفي التصدي للفاطميين في عدوة المغرب، وعزله الخليفة الناصر عنهما معاً في عام ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م[٥].

و - عمر بن عبد العزيز ومحمد بن أحمد معاً

ولّاهما الخليفة عبد الرحمن الناصر معا مكان أحمد بن عمر في عمل سبتة في عدوة المغرب ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م، كما ولّاهما على كافة الثغور الأندلسية المواجهة لسواحل الأندلس، ونرجح

= وكان لنشر الجزء الخامس من المقتبس لابن حيان من قبل المعهد الأسباني الغربي للثقافة في مدريد ١٩٧٩ فضل كبير في ملء جزء كبير من هذه الفجوة.

(١) ابن حيان : المقتبس، ج ٥، تحقيق : ب شالميتا - ف كورنطي - م صبح المعهد الأسباني الغربي للثقافة في مدريد، ١٩٧٩ م، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص٣٣٢.

(٣) نفس المصدر، ص، ٣٢٢.

(٤) نفس المصدر، ص، ٣٥٦.

(٥) ذكر ابن حيان بأن تاريخ تولية أحمد بن عمر عاملًا على جزر البليار كان في عام ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م (المقتبس ج ٥، ص٣٥٦). وكان الخليفة الناصر قد ولّاه على سبتة في عدوة المغرب في عام ٣١٩ هـ = ٩٣١ م (المقتبس ج ٥، ص٣١٥). ولا نجد أي ذكر لأحمد بن عمر في قائمة عمال الأندلس في عام ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م (المقتبس، ج ٥، ص٣٧٦ - ٣٧٨)، ويذكر ابن حيان في قائمة عمال ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م نصاً بعزل أحمد بن عمر عن سبتة (المقتبس، ج ٥، ص ٣٩١). ونظرا لعزله عن سبتة في عام ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م وتوليته عاملًا على مجريط « مدريد » (المقتبس، ج ٥، ص٤٧١) فإنني أرجح عزله عن جزر البليار في العام لأنه كان يتولى كلا العملين (المقتبس، ج ٥، ص٢٩١، ٣٥٦).

بأن جزر البليار كانت من بين هذه الثغور بالرغم من أن ابن حيان قد سها عن ذكرها خلال هذه الفترة[١].

ز - محمد بن عبد الملك بن عبدوس

لم يذكر ابن حيان تاريخ توليته وإنما ذكر تاريخ عزله قائلاً في حوادث عام ٣٢٩ هـ = ٩٤١ م ما يلي : « ومحمد بن عبد الملك بن عبدوس عزل عن الجزائر الشرقية (البليار) بجعفر بن عثمان . . »[٢].

ونرجح بأن تاريخ توليته كان في عام ٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م الذي عزل فيه كل من عمر بن عبد العزيز ومحمد بن أحمد عن عمل سبتة الذي كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجزر البليار[٣]، وكان الخليفة الناصر يولي نفس العمال لكلا العملين منذ ازدياد النشاط البحري الفاطمي ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٤].

ح - جعفر بن عثمان المصحفي

ولّاه الخليفة عبد الرحمن الناصر عاملاً على جزر البليار « الجزائر الشرقية » في عام ٣٢٩ هـ = ٩٤١ م[٥]. ونظراً لخبرة جعفر بن عثمان المصحفي بشؤون الحوض الغربي للبحر المتوسط وسواحله وجزره[٦] فقد ولّاه الخليفة الناصر قائداً لجزر البليار في رمضان ٣٣٣ هـ = إبريل ٩٤٥ م[٧] لتنسيق تحركات أساطيلها مع أساطيل ثغور شرق الأندلس، لمهاجمة سواحل المغرب

---

(١) يذكر ابن حيان عزل أحمد بن عمر عن سبتة في عام ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م وتولية عمر بن عبد العزيز ومحمد بن أحمد مكانه (المقتبس، ج ٥، ص ٣٩١). ونظراً لأن أحمد بن عمر كان يتولى عمل البليار مع عمل سبتة وولي بعد عزله عاملاً على مجريط (المقتبس، ج ٥، ص ٤٧١)، فمعنى ذلك أنه عزل عن عمل البليار وتولى مكانه عمر بن عبد العزيز ومحمد بن أحمد، كما توليا عمل سبتة وظلا عاملين على كلا العملين بالإضافة إلى الجزيرة الخضراء وكورة ريّة (المقتبس، ج ٥، ص٣٩١) إلى أن عزلا عنهما معاً كما نرجح ٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م، وقد سها ابن حيان عن ذكر جزر البليار وأشار إلى عزلهما عن سبتة ٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م (المقتبس، ج ٥، ص٤٤٨).

(٢) ابن حيان : المقتبس، ج ٥، ص ٤٧٢.

(٣) المصدر السابق ٤٤٨.

(٤) ابن الأثير : الكامل، ج ٨، ص ٣١٠ وابن عذاري : البيان المغرب ج ١، ص ٢٠٩ وابن خلدون : الغبر، ج ٤، ص ٨٤.

(٥) ابن حيان : المقتبس، ج ٥، ص ٤٧٢.

(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٤٧.

(٧) ابن الأبّار : التكملة، ج ١، ص ١٣ ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي : السفر الأول من كتاب الذيل والتكملة للموصول والصلة، ص ١١٦.

وتقديم العون للثائرين على الفاطميين في بلاد المغرب[١]؛ وولى رشيق الصقلبي عاملاً على هذه الجزر للإشراف على شؤونها الداخلية[٢]، بالتعاون مع جعفر بن عثمان المصحفي الذي ظل قائداً عاماً لجزر البليار حتى وفاة الخليفة الناصر ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م ومبايعة ابنه الحكم المستنصر خليفة على بلاد الأندلس الذي استدعى جعفر بن عثمان من جزر البليار وولاه سدّة الوزارة[٣].

ط - رشيق الصقلبي

ولاه الخليفة الناصر عاملاً على جزر البليار في عام ٣٣٣ هـ = ٩٤٥ م بعد تولية جعفر بن عثمان قائداً عاماً لهذه الجزر وظل عاملاً عليها إلى أن توفي غريقاً في البحر في عام ٣٤٣ هـ = ٩٥٥ م[٤].

ي - الموفق الصقلبي

من كبار موالي الخليفة عبد الرحمن الناصر، وأحد قادة أساطيله، ولّاه عاملاً على جزر البليار «الجزائر الشرقية» في عام ٣٤٣ هـ = ٩٥٥ م بعد غرق رشيق كما نرجح[٥]. وكانت سياسة الخليفة الناصر هي إبعاد العرب من ذوي العصبية عن تسلّم مراكز القيادة في بلاد الأندلس والاعتماد على مواليه من الصقالبة لكونهم أكثر طوعاً وأقل تطلعاً إلى السلطة[٦]، وكان

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٤٧.

(٢) لم يرد تاريخ تولية رشيق الصقلبي على جزر البليار في المصادر التي بين أيدينا ونرجح بأن تاريخ توليته كان في عام ٣٣٣ هـ = ٩٤٥ م الذي وُلّي فيه جعفر بن عثمان قائداً عاماً لهذه الجزر (ابن الأبار: التكملة ج ١، ص ١٣) فقد كان من النظر الإدارية المتبعة في عهد الخليفة الناصر في الفترة التي اشتدّ فيها التهديد الفاطمي لسواحل بلاد الاندلس، تولية عمال من الصقالبة على جزر البليار للإشراف على شئونها الداخلية، بجانب قائد عام لهذه الجزر للإشراف على الشئون الخارجية وقيادة الاساطيل (دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ص ٨٨).

(٣) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٤١ - نشرة دوزي في لندن، ١٨٨١ م.
ودوزي: تاريخ مسلمي اسبانيا، ج٣، ص ١٥١.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٤٧.

(٤) ابن الأبار: التكملة، ج ١، ص ١٣ ومحمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الأوسي المراكشي: السفر الأول من كتاب الذيل والتكملة للموصول والصلة، ص ١١٦.

(٥) ذكر ابن خلدون اسم الموفق في قائمته عن عمال جزر البليار، بعد أن أشار إلى انقطاع أخبار العامل الثاني عبد الله بن عصام بعد ذهابه لتأدية فريضة الحج، وقد تمكنا من تغطية هذه الفجوة في حدود النصوص المتوفرة حتى وفاة العامل رشيق الصقلبي ٣٤٣ هـ = ٩٥٥ م (التكملة، ج ١، ص ١٣). ولم أعثر على اسم لأي عامل لهذه الجزر بعد وفاة رشيق، وأرجح بأن الخليفة الناصر ولّى الموفق بعد وفاة رشيق وكان أحد مواليه (ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣). وكانت وفاة الناصر سنة ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م (ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٣٢).

(٦) أخبار مجموعة: ص ١٥٥.

الموفق من بين هؤلاء الموالي الصقالبة، اعتنى منذ توليته عاملاً على جزر البليار ببناء الأساطيل، وقام بغزوات عديدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط واجتاح ثغور الفرنجة مراراً إلى أن توفي سنة ٣٥٩ هـ = ٩٦٩ م في عهد الخليفة الحكم المستنصر[١].

ك - كوثر الصلبي

ولّاه الخليفة الحكم المستنصر عاملاً على جزر البليار بعد وفاة الموفق ٣٥٩ هـ = ٩٦٩ م وكان كوثر أحد موالي الخليفة الحكم، اشتهر بجهاده في البحر وعنايته الفائقة بالأساطيل البحرية، وظل طيلة فترة ولايته على جزر البليار يقوم بالحملة البحرية تلو الأخرى على الثغور المسيحية في سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط وجزره إلى أن توفي سنة ٣٨٩ هـ = ٩٩٨ م في عهد المنصور محمد بن أبي عامر[٢] الذي استبد بحكم بلاد الأندلس، وحجر على الخليفة هشام المؤيد وفرض عليه أن يعتزل في قصره[٣].

ل - مقاتل الصقلبي

من موالي المنصور محمد بن أبي عامر ومن كبار قادة أساطيله، ولّاه عاملًا على جزر البليار بعد وفاة كوثر ٣٨٩ هـ = ٩٩٨ م، وكان يقدم له ما يحتاج إليه من عون وإسناد لتدعيم أسطوله في جزر البليار، لمواصلة حملاته البحرية على الثغور المسيحية في سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط وجزره[٤]. وقد واصل الحاجب عبد الملك المظفر سياسة والده المنصور في مساندة مقاتل عامل البليار في جهاده البحري وتدعيم أسطوله[٥] نظراً لما قدمه من خدمات جليلة في مساندة القوات الأندلسية البرية في غاراتها على إمارة قطلونية وذلك بفرض حصار بحري على سواحلها وثغورها[٦]، ولم يتوقف مقاتل عن جهاده في البحر إلى أن توفي سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م والفتنة على أشدها في بلاد الأندلس[٧] عقب ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار على العامريين واغتصابه الحكم من الخليفة هشام المؤيد[٨]. واستغل مجاهد العامري الفتنة التي نشبت في بلاد الأندلس

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٣.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣.

(٥) يذكر ابن خلدون بأن لقب ابن محمد بن أبي عامر الذي تولى الحجابة من بعده هو «المؤيد» (العبر ج ٤، ص ٣٥٣). والصحيح أن هذا اللقب كان للخليفة هشام المؤيد (ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٥٣). وكان عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر الذي ولي الحجابة بعد موت أبيه المنصور ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م يلقب «بالمظفر وسيف الدولة»، (ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٣، ١٥).

(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٤٤ - ٤٦.

(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣.

(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣ ص ٥٠ وما بعدها.

آنذاك واستولى على جزر البليار ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م واستقل بحكمها بعد انهيار الخلافة الأموية في بلاد الأندلس[1] .

دور البليار في عهد الدولة الأموية بالأندلس

أصبحت جزر البليار بعد دخولها حظيرة الدولة الأموية خط الدفاع الأمامي عن بلاد الأندلس وقاعدة كبرى للأساطيل الأندلسية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[2] .

ورسخت جذور الإسلام بين أهلها واصطبغوا بالصبغة الإسلامية الكاملة[3] بفضل الرعيل الأول من عمالها الذين عرفوا بتمسكهم بالعقيدة الإسلامية وجهادهم لإعلاء كلمة الله بين الأمم[4] ومهارتهم التنظيمية والإدارية[5] وعنايتهم بتخطيط المدن الإسلامية وبناء المساجد في شتى أرجائها[6] ونشر المعرفة بين أهلها لما تميزوا به من ثقافة عالية[7] .

وبفضل جهودهم في هذا المضار أثمرت بذور الحضارة الإسلامية في هذه الجزر وأخذ أبناؤها بمقاليد العلم، وأسهموا بدور كبير في التراث الإسلامي كما يتضح من القسم الحضاري من هذا البحث[8]. ولم تقتصر المؤثرات الحضارية الإسلامية في جزر البليار على النهضة الفكرية في مختلف المجالات، بل شملت كذلك شتى النواحي الاقتصادية، لعناية عمالها بالزراعة والتجارة والصناعة[9] .

ونظراً لما تميزت به هذه الجزر من ثروات وافرة وازدهار اقتصادي وتنظيم اجتماعي متكامل

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠ .
ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤ .
(٢) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ٩٣ - ٩٤ .
(٣) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ض ٩٧ .
(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣ .
(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٥٤ .
(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣ .
ودومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ٨٧ .
(٧) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٥٤ .
(٨) ظهر عدد من العلماء من أهل جزر البليار في فترة مبكرة من تاريخها الإسلامي منهم على سبيل المثال عبد الله الهمذاني الميورقي (ابن بشكوال: الصلة/ ١ ص ١١٠) وعصام بن محمد بن عصام الخولاني (محمد بن محمد ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: السفر الخامس/ ١، ص ١٤٨) وسنوضح ما أسهمت به جزر البليار في التراث الإسلامي في القسم الحضاري من هذا البحث.
(٩) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
ودائرة المعارف البريطانية، ج ٢، ص ١٠٧٥، لسنة ١٩٦٩ .

منذ بداية عهدها الإسلامي[1]، وما احتوت عليه غاباتها من خشب الصنوبر الجيد الصالح لبناء مختلف أنواع السفن خاصة في جزيرة يابسة[2]، وما تميزت به من موقع استراتيجي فريد يتحكم في طرق الملاحة البحرية عبر الحوض الغربي للبحر المتوسط، ولما عرف عن أهلها من روح المغامرة والخبرة المتوارثة بشؤون البحر[3]، وما اشتهر به عمالها في عهدها الإسلامي الأول من التعلّق بالجهاد والعناية الفائقة ببناء الأساطيل[4]، فقد أسهمت جزر البليار بدور رئيسي في النشاط البحري الأندلسي تحت حكم الدولة الأموية في الأندلس، وقد تمثّل هذا النشاط في الميادين الرئيسية التالية:

أ- التصدي للتوسع الفاطمي.
ب- مساندة عمل جبل القلال « فرخشنيط » التابع لميورقة.
جـ- التصدي للفرنجة في إمارة قطلونية.

إسهام أساطيل البليار في التصدي للتوسع الفاطمي

تمكن الفاطميون من تأسيس مملكة لهم في الشمال الإفريقي بعد أن أوقع داعيتهم أبو عبد الله الشيعي الهزيمة بقوات زيادة الله آخر ملوك الأغالبة واستولى على تونس « إفريقية » ٢٩٦ هـ = ٩٠٩ م[5]. وفي نفس العام وصل عبد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين إلى مدينة رقادة في إفريقية ومعه ابنه أبو القاسم وكبار قادته وأنصاره[6] واجتاح الفاطميون بلاد المغرب دون أن تحرك الإمارة الأموية في عهد الأمير عبد الله بن محمد ساكناً، لانشغال قواتها في التصدّي للعصاة والخارجين على الإمارة الأموية[7]، وفي عام ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م وضع الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي أساس مدينة المهدية الميناء البحري الحصين بساحل المغرب الأوسط[8]، وأخذ

---

(١) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٧ .
(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٩، ٥٦٧، ٦١٦ .
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٤٤ - ٤٦ .
(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣ .
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٤٥ - ٤٧ .
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٧٤ .
(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥٨ .
وابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٨١ .
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٢١ .
وابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٢٨٨ .
(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٦٩ .
وابن خلدون: العبر ج ٤ ص ٧٩ .

يتطلع إلى الاستيلاء على بلاد الأندلس وأرسل إليها الدعاة والجواسيس لكسب الأنصار وتنسيق التعاون مع الثائرين على حكومة قرطبة[١].

وفي هذا الجو الحافل بالأخطار تولى حكم الأندلس الذي مزقته الفتن الداخلية، الأمير عبد الرحمن بن محمد حفيد الأمير عبد الله في شهر ربيع الأول ٣٠٠ هـ = أكتوبر ٩١٢ م[٢]، وقد أولى عنايته منذ توليته لدفع هذا الخطر الداهم عن بلاد الأندلس، بإعداد الأساطيل لمنع الفاطميين من عبور بحر الزقاق إلى عدوة الأندلس، ولقطع أي اتصال بينهم وبين الخارجين على الإمارة الأموية في جنوب الأندلس وعلى رأسهم عمر بن حفصون[٣] واستعان في تحقيق ذلك بأساطيل الأقاليم التي كانت تدين له بالطاعة، وعلى رأسها جزر البليار تحت حكم عاملها عبد الله بن عصام الخولاني الذي ظل على ولائه للإمارة الأموية[٤]، وبجانة ومحارسها التي حافظت على طاعتها لأمير الأندلس[٥] الذي ولى عليها وعلى أعمالها قاسم ابن علي في شعبان ٣٠١ هـ = مارس ٩١٤م، وبعد وفاته ولّى مكانه أخاه مسعود بن علي في ذي القعدة ٣٠١ هـ = مايو ٩١٤ م[٦]. هذا بالإضافة إلى مالقة التي تمسكت بطاعة الأمير عبد الرحمن بن محمد[٧] وإشبيلية التي أعلنت طاعتها للإمارة الأموية في جمادى الأولى ٣٠١ هـ = ديسمبر ٩١٣ م[٨] والجزيرة الخضراء التي دخلها أمير الأندلس عبد الرحمن بن محمد على رأس قواته بعد أن قضى على العصاة فيها في ذي القعدة ٣٠١ هـ = مايو ٩١٤ م واتخذها قاعدة كبرى للأساطيل الأندلسية المؤتلفة من أجل إحكام سيطرته على المعابر البحرية بين عدوة المغرب وعدوة الأندلس[٩].

---

(١) د. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ج ٥، ص ٢٠٥.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٥٨.
مجهول المؤلف: أوراق من عهد الناصر/ تحقيق ليفي بروفنسال ص ٢٨.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٨٧ – ٨٨.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٦٥.
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٠٣.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٣.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٨٠.

(٦) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٩٨.

(٧) المصدر السابق، ص٨٦.

(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٦٣.
مجهول المؤلف: أوراق من عهد الناصر/تحقيق ليفي بروفنسال ص٤١.

(٩) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٨٧. وابن عذاري: البيان المغرب ج٢، ص١٦٥.
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٠٣.

وقد تمكنت الأساطيل الأندلسية المؤتلفة التي قدمت من الأقاليم التي أعلنت طاعتها للإمارة الأموية، من قطع الاتصالات بين الفاطميين في عدوة المغرب والمتمردين على الحكم الأموي في عدوة الأندلس وعلى رأسهم عمر بن حفصون كبير العصاة، وأحرقت السفن التي كانت تنقل الإمدادات إلى المتمردين، وأحكمت بذلك سيطرتها على المعابر البحرية المحاذية للسواحل الأندلسية من الجزيرة الخضراء جنوباً إلى إقليم تدمير المحاذي لجزر البليار شرقاً. ويقول ابن حيان بهذا الصدد بأنه «لم تعد تجري في البحر جارية إلا لأهل الطاعة، وملك (الأمير عبد الرحمن بن محمد) البحر منذ هذا الوقت وأحكم شأنه وأمن ضرر السفن المختلفة فيه وغلب بذلك على الساحل كله..»[١]. وبهذه السياسة البحرية الحكيمة نجح الأمير عبد الرحمن بن محمد في إبعاد الفاطميين عن بلاد الأندلس إلى حين، وانشغل الفاطميون بدورهم بمشاكل إفريقية ووجهوا أنظارهم إلى التوسع شرقاً وأرسلوا أولى حملاتهم إلى مصر ٣٠١ هـ = ٩١٣ م[٢]، وبعد عدة حملات برية وبحرية فشلت مساعي عبد الله المهدي في الاستيلاء على مصر[٣] وعاد الفاطميون ثانية إلى التوسع غرباً ٣٠٨ هـ = ٩٢٠ م واجتاحوا بلاد المغرب الأوسط[٤]، وفي عام ٣١٥ هـ = ٩٢٧ م اجتاحوا بلاد المغرب الأقصى وأخذوا يتطلعون للاستيلاء على بلاد الأندلس[٥]، وكان الأمير عبد الرحمن بن محمد قد أعدّ نفسه لمثل هذه المجابهة خاصة بعد أن تخلص من كبير العصاة في جنوب الأندلس عمر بن حفصون واستولى على معامله في ببشتر محرم ٣١٦ هـ = ٩٢٨ م[٦]، وفي نفس العام أعلن نفسه خليفة وتسمى «بالناصر لدين الله أمير المؤمنين»[٧]، وفي العام التالي دانت له جميع ثغور شرق الأندلس بالطاعة ٣١٧ هـ = ٩٢٩ م[٨]، وقام بتولية القائد البحري أحمد بن محمد بن الياس عاملًا على إقليم تدمير في شرق الأندلس ٣١٧ هـ = ٩٢٩ م[٩]، وفي شعبان سنة ٣١٨ هـ = أغسطس ٩٣٠ م ولّاه على

---

(١) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٨٧ – ٨٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٧٨.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٧٤. وابن خلدون: العبر ج٤ ص١٨٢.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٨٣ – ١٩١.
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٨١ – ٨٢.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٨٢. وابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٧٩.

(٦) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢١٥. مجهول المؤلف: أوراق من عهد الناصر: تحقيق ليفي بروفنسال ص ص٧٥ – ٧٨.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٩٥ وما بعدها.

(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٩٨.

(٨) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٤٩ – ٢٥٠.

(٩) المصدر السابق ص٢٥٤. وأوراق من عهد الناصر: ص٨٤.

جزر البليار وجمع بين العملين لتنسيق تحركات الأساطيل الأندلسية من جزر البليار وثغور شرق الأندلس لمواجهة التهديد الفاطمي للثغور الأندلسية[١] . وقد حققت الأساطيل الأندلسية المؤتلفة أول انتصاراتها على الفاطميين بالاستيلاء على ثغر سبتة المنيع في عدوة المغرب ربيع الأول ٣١٩ هـ = مارس ٩٣١ م[٢] ، وفي نفس العام في جمادى الأولى ٣١٩ هـ = مايو ٩٣١ م قاد عامل البليار أحمد بن محمد بن الياس الأساطيل الأندلسية المؤتلفة بالتعاون مع القائد سعيد بن يونس وأغارا على ثغور المغرب لمناصرة « موسى بن أبي العافية » عامل المغرب الأقصى[٣] الذي خلع طاعة الفاطميين وأعلن ولاءه للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله[٤] .

وكان موسى بن أبي العافية « صاحب المغرب » قد أعلن طاعته للخليفة عبد الرحمن الناصر ٣١٩ هـ = ٩٣١ م مما أدى إلى نشوب الحرب بينه وبين الحسن بن أبي العيش الحسني حليف الفاطميين[٥] ، وتقبل الناصر طاعة ابن أبي العافية وأمده بالأموال لمحاربة الفاطميين وأنصارهم في عدوة المغرب[٦] ، وأمر قائد أساطيل جزر البليار وإقليم تدمير في شرق الأندلس ، القائد أحمد بن محمد بن الياس ، الذي جمع بين العملين معاً ، بتقديم العون البحري لموسى بن أبي العافية بالتعاون مع أساطيل بجانة ومحارسها ، وعلى رأسها المرية وأسطول الجزيرة الخضراء . ويروي ابن حيان بأسلوبه الرائع خبر هذه الحملة بشكل مفصّل ، ضمّنه معلومات قيمة عن أسطول جزر البليار ، يقول فيه ما يلي تحت عنوان « خبر الأسطول » في حوادث عام ٣١٩ هـ = ٩٣١ م « .. وفيها أغزى الناصر لدين الله الأسطول إلى أرض العدوة في أقيم عدّة وعدة وأكمل عتاد وآلة ، وكان أفخم أسطول أجراه ملك .. وتكاملت قطعه وتواترت عدده وانتهى عدد قطعه إلى مائة وعشرين قطعة من الحمّالة والفتّاشة وقوارب الخدمة ، وعدّة من ركبه سبعة آلاف ، خمسة آلاف من البحريين وألف من الحشم ، وغزا من أهل بجانة والمرية تطوعاً وفي مراكبهم تسعة رجال على رأسهم محمد بن رماحس .. وكان القواد عليهم ، أحمد بن محمد بن الياس وسعيد بن يونس بن سعديل ، فجاز هذا الأسطول البحر لمرسى الجزيرة الخضراء .. في جمادى الأولى ٣١٩ هـ = مايو ٩٣١ م .. واحتل على أبي العيش الحسني في جزيرة أرشقول .. وأتى القتال والتبديد على كثير من رجاله .. وحال الشتاء دونهم وانصرف الأسطول عنهم »[٧] .وظلت أساطيل جزر البليار

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٨٥ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٣٠٤ . والبيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٤ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣١٢ - ٣١٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٥ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٨٢ .
(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٠٧ . وابن خلدون : العبر ج٤ ، ص٨٢ .
(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص١٩٩ - ٢٠٠ .
(٧) ابن حيان : المقتبس ،ج٥ ، ص٣١٢ - ٣١٣ .

تقدم الدعم والإسناد لحلفاء الأمويين في بلاد المغرب وعلى رأسهم موسى بن أبي العافية « صاحب المغرب »[١] ومحمد بن خزر أمير مغراوة ورئيس قبيلة زناتة[٢] طيلة فترة ولاية أحمد بن محمد بن الياس لجزر البليار ٣١٨ - ٣٢١ هـ = ٩٣٠ - ٩٣٣م[٣] .وفي سنة ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م توفي الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي وتولى الخلافة من بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عبد الله وتلقب بالقائم بأمر الله ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ = ٩٣٤ - ٩٤٥ م[٤] ، واتسع نطاق النشاط البحري الفاطمي في بداية عهده[٥] وكان عامل جزر البليار آنذاك أحمد بن محمد بن الطليار ٣٢١ - ٣٢٢ هـ = ٩٣٣ - ٩٣٤ م[٦] ، وقام الخليفة الناصر بعزل ابن الطليار عن عمل البليار وولى عامل سبتة أحمد بن عمر[٧] على جزر البليار وجمع بين العملين معاً ٣٢٢ - ٣٢٤ هـ = ٩٣٣ - ٩٣٦م لتنسيق تحركات الأساطيل الأندلسية بين جزر البليار وسبتة[٨] ،وأصبحت جزر البليار في فترة ولاية أحمد بن عمر المركز الرئيسي لتجمع الأساطيل الأندلسية في الحوض الغربي للبحر المتوسط بحكم موقعها المتوسط بين ثغور شرق الأندلس في طرطوشة وتدمير وبجانة ومالقة وقواعد البحرية الأندلسية في الجزيرة الخضراء وسبتة[٩] لمواجهة تحركات الأساطيل الفاطمية التي وصلت في نشاطها البحري إلى جنوب بلاد الفرنجة[١٠] .

ففي سنة ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م جهز الخليفة الفاطمي أبو القاسم محمد القائم بأمر الله أسطولاً تحت قيادة يعقوب بن إسحق ، وبلغ عدد سفنه الحربية ثلاثين سفينة ، ووجّهه إلى الغزو في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ووصل في نشاطه إلى جنوة في شمال غرب إيطاليا وتمكن من اقتحامها والاستيلاء عليها . وأغار على ثغور جنوب بلاد الفرنجة وعلى جزيرتي سردانية وقرسقة[١١] ، وأصبحت جزر البليار مهددة بخطر الاجتياح الفاطمي فأمر الخليفة عبد الرحمن

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٥ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٦٥ وما بعدها .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٠٦ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٨٥ ، ٣٣٢ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٩ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٢٨٤ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٨٤ .
(٦) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٣٢ ، ٣٥٦ .
(٧) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣١٥ . وابن عذاري : البيان المغرب ج١ .
(٨) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٥٦ ، ٣٩١ .
(٩) المصدر السابق ، ٣٦٦ - ٣٦٩ .
(١٠) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٨٤ .
(١١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٢٠٩ . وابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٣١٠ ، وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٨٤ ، وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٤ - ٢٣٥ .

الناصر قائد أسطول المرية عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة بمساندة أسطول البليار ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م ، فتوجه إلى ميورقة على رأس أسطوله « .. وتفقد جزيرة ميورقة الإسلامية وكسر بها لاستتام نظره فيها » على حد قول ابن حيان ، ولما اطمأن على عدم وجود أي خطر يتهددها توجه على رأس أسطوله ورابط على مقربة منها في ثغر طرطوشة[١] ، وبينما كان راسياً هناك أغارت القوات الفاطمية بقيادة ميسور الصقلبي على بلاد المغرب الأقصى وحاصرت موسى بن أبي العافية حليف الناصر لدين الله وتمكنت من هزيمته بالتعاون مع الأمراء الأدارسة بني محمد بن القاسم في عدوة المغرب ، وهم حسن وقنون (القاسم) وإبراهيم ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م[٢] .

فصدرت الأوامر للقائد عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة من الخليفة عبد الرحمن الناصر ، التوجه إلى عدوة المغرب لمساندة موسى بن أبي العافية والدفاع عن طنجة وسبتة في مواجهة الهجوم الفاطمي ، ونفّذ ابن أبي حمامة أمر الخليفة الأموي ، وتوجه على رأس أسطول المرية وأسطول طرطوشة عبر جزيرة ميورقة في شهر رمضان ٣٢٣ هـ = أغسطس ٩٣٥ م إلى عدوة المغرب ، ورست الأساطيل الأندلسية المؤتلفة ما بين سبتة وطنجة في شهر شوال ٣٢٣ هـ = سبتمبر ٩٣٥ م وظلت تقدم العون والإسناد للقوات الأموية في القاعدتين والحلفاء الأمويين في عدوة المغرب إلى أن حل فصل الشتاء ، حيث عادت إلى قواعدها في شهر صفر ٣٢٤ هـ = يناير ٩٣٦م[٣] . ونتيجة لنجاح الأدارسة في السيطرة على بلاد المغرب الأقصى تحت حكم قنون (القاسم) بن محمد ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م ولجوء موسى ابن أبي العافية وأنصاره إلى الصحراء[٤] .

ولّى الخليفة عبد الرحمن الناصر القائدين عمر بن عبد العزيز ومحمد بن أحمد معاً على القواعد البحرية الأندلسية في سبتة في عدوة المغرب والجزيرة الخضراء ومالقة في كورة رية والبليار كما يتضح من فحوى نصوص ابن حيان سنة ٣٢٤ - ٣٢٧ هـ = ٩٣٦ - ٩٣٩ م ، من أجل حشد أساطيل هذه الثغور في عمليات مشتركة تحت قيادة موحدة[٥] في مواجهة الأدارسة في المغرب الأقصى[٦] ولمساندة حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد الذي أعلن الثورة على الفاطميين

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٦٨ - ٣٦٩ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٢٠٩ - ٢١٠ .
والبيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٩ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٨٣ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٦٨ - ٣٦٩ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٢٠٩ - ٢١٠ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٨٣ .
(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٩١ ، ٤٤٨ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٨٣ .

٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م في إفريقية ، وامتدت ثورته إلى كافة أرجاء بلاد المغرب ، مما استنزف القوات الفاطمية وشلّ فعالية أساطيلها[١] كما ثار أهل صقلية على الفاطميين سنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٦ م واستمرت هذه الثورة أربع سنوات[٢] .

وفي سنة ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م قامت الأساطيل الأندلسية المؤتلفة بغارات واسعة النطاق على ثغور بلاد المغرب الأقصى ، بعد أن تجمعت في قاعدة سبتة واندفعت منها كما يقول ابن حيان إلى « .. مليلة ونكور فافتتحتهما ثم جرى إلى جراوة فافتتحها أيضاً ، فاعتز بذلك موسى بن أبي العافية ، وسارت إليه هذه المدائن ، فاستقلّ من نكبته وقرع هذا الأسطول أعداء الدولة قرعاً شديداً واستتم في غزاته هذه ستة أشهر وقفل .. »[٣] وتلاحقت انتصارات الأمويين وحلفائهم في بلاد المغرب الأقصى وانسحبت القوات الفاطمية إلى إفريقية ، لمجابهة أنصار أبي يزيد مخلد بن كيداد في إفريقية والمغرب الأوسط ، الذين حققوا انتصارات باهرة على القوات الفاطمية ، وتوقف النشاط البحري الفاطمي عقب هذه الهزائم ، ورابطت قطعة في المهدية لمساندة القوات البرية الفاطمية في التصدي للثائرين من أنصار أبي يزيد مخلد بن كيداد[٤] . وأعلن الأمراء الأدارسة في بلاد المغرب الاقصى وعلى رأسهم ابراهيم بن محمد الحسني بيعتهم للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ومسالمة حليفه موسى بن أبي العافية[٥] ، وبلغ الانهيار في القوات الفاطمية إلى حدّ انضمام عليّ بن حميد المكناسي ، قائد القوات مع عدد كبير من رجاله إلى الأمويين ولجوئه إلى محمد بن خزر عظيم زناتة وحليف الخليفة الناصر ٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م[٦] . وكان الأمويون في الأندلس يتابعون ما يجري في بلاد المغرب وينتظرون الوقت المناسب لتوجيه ضربة قاصمة للفاطميين ، وما إن شعر الخليفة الناصر بتدهور وضع الفاطميين في « إفريقية » حتى قام بإعداد العدة لمجابهتهم براً وبحراً وقام بتولية جعفر بن عثمان المصحفي عاملاً على جزر البليار ٣٢٩ هـ = ٩٤١ م وعزل عنها محمد بن عبد الملك بن عبدوس[٧] ، كما ولّى على بجّانة وقاعدتها الكبرى المرية محمد بن رماحس ٣٢٩ هـ = ٩٤١ م[٨]

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٩ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٨٤ وما بعدها .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٣٣٧ - ٣٣٩ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٨٢ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤١٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٢١٥ وما بعدها ، وج٢ ، ص٢٠٩ وما بعدها .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٨٤ وما بعدها .
(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٩٠ .
(٦) المصدر السابق ، ص٤٥٩ .
(٧) نفس المصدر ، ص٤٧٢ .
(٨) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص٨١ .

قائد الأساطيل الأندلسية في عهد الناصر[١]، وأمر جعفر بن عثمان المصحفي عامل البليار بتنسيق التعاون بين أسطول البليار وأساطيل المرية وبجّانة تحت قيادة محمد بن رماحس قائد الأساطيل الأندلسية لمهاجمة سواحل « إفريقية » وإنزال قوات لمعاونة الثائرين على الفاطميين[٢] . وفي سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م كلّف الخليفة الناصر ابنه وولي عهده الحكم بالإشراف على النشاط البحري في بجّانة[٣]، واتخذ محمد بن رماحس ثغر المرية قاعدة لأساطيله وتفرغ للقيادة البحرية[٤]، وتمكّن بالتعاون مع أسطول البليار تحت قيادة جعفر بن عثمان المصحفي من تحقيق انتصارات باهرة على الفاطميين في إفريقية[٥] مما مكّن مخلد بن كيداد من إيقاع هزيمة كاسحة بالقوات الفاطمية في معركة وادي الملح ٣٣٣ هـ = ٩٤٥ م[٦] تمكّن على أثرها من الاستيلاء على القيروان وأرسل سفارة لقرطبة لمبايعة الناصر بالخلافة في شوال ٣٣٣ هـ = ٩٤٥ م[٧] . وقام الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على أثر هذه الأحداث الخطيرة في إفريقية بتولية جعفر بن عثمان المصحفي قائداً عاماً لجزر البليار في جمادى الثانية سنة ٣٣٣ هـ = ٩٤٥ م وولّى رشيق أحد مواليه الصقالبة عاملاً على هذه الجزر[٨] من أجل أن يتفرغ قائد جزر البليار جعفر بن عثمان لمساندة حركة أبي يزيد مخلد بن كيداد لمعرفته الكبيرة بسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط ولخبرته الواسعة بشئونه[٩]، وذلك بالتعاون مع قائد الأساطيل الأندلسية محمد بن رماحس وتحت إشراف ولي العهد الحكم بن الناصر الذي كلفه والده بتولي عمل بجّانة ومحارسها[١٠] كبرى قواعد الأسطول الأندلسي في جنوب شرق الأندلس[١١] . ونتيجة للعلاقات الحميمة بين الحكم بن الناصر عامل بجّانة وجعفر بن عثمان المصحفي قائد البليار[١٢] والتعاون الوثيق بين المصحفي ومحمد بن رماحس، قائد الأساطيل الأندلسية الذي اتخذ المرية فى بجّانة قاعدة لأساطيله[١٣] ، فقد تمكّنت الأساطيل الأندلسية من تقديم العون والإسناد لأبي مخلد بن

---

(١) ابن خلدون : المقدّمة ، ص٤٤٩ - ٤٥٠ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٧ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ج٥ ؛ ص٤٨٨ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ص٤٤٩ - ٤٥٠ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٧ .
(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ،ج١ ، ص٢١٨ .
(٧) البيان المغرب ،ج٢ ص٢١٢ . وابن الأثير : الكامل ج٨ ، ص٤٢٤ وما بعدها .
(٨) ابن الأبار : التكملة ، ج١ ، ص١٣ طبعة عزت العطّار الحسني .
(٩) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٧ .
(١٠) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٤٨٨ .
(١١) الحميري : الروض المعطار ، ص٧٩ - ٨٠ .
(١٢) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج١ ، ص٢٥٧ .
(١٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص٤٤٩ - ٤٥٠ .

كيداد وقامت بإنزال قوات أندلسية على سواحل إفريقية[١] ممّا مكّنه من محاصرة الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله في عاصمته المهدية وتوفي محصوراً فيها ٣٣٤ هـ = ٩٤٦ م وخلفه ابنه إسماعيل المنصور[٢] . وازدادت العلاقات رسوخاً بين أبي يزيد مخلد بن كيداد والخلافة الأموية في الأندلس ، وتوالت سفارته على قرطبة لتأكيد طاعته للخلافة الأموية ولإعلام الخليفة الناصر بأخبار انتصاراته على الفاطميين في عامي ٣٣٤ هـ = ٩٤٥ م و ٣٣٥ = ٩٤٦ م[٣] . ولكن أحداثاً خطيرة وقعت في أفريقية في محرم سنة ٣٣٦ هـ = يوليو ٩٤٧ م أدّت إلى مقتل أبي يزيد مخلد بن كيداد على يد الخليفة الفاطمي إسماعيل المنصور[٤] وعلى أثر ذلك كلّف الخليفة الناصر جعفر بن عثمان المصحفي قائد البليار ، الذي كان موضع ثقته وثقة ولي عهده الحكم ، بإعادة تنظيم أساطيل البليار وإصلاح ما فسد من حالها ، استعداداً لجولة أخرى من الصراع البحري مع الفاطميين ٣٣٦ هـ = ٩٤٧ م[٥] ، واستغل البيزنطيون الصراع الدامي بين الأمويين والفاطميين ، وقام الامبراطور قسطنطين السابع بإرسال سفارة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٣٦ هـ = ٩٤٧ م لعقد معاهدة صداقة وتحالف ضد الفاطميين[٦] . واستقبل الناصر السفارة البيزنطية استقبالاً حافلاً ، وبعد انصرافهم بعث معهم سفيره هشام بن كليب لتأكيد المودة وتوثيق الروابط ورجع السفير من مهمته سنة ٣٣٨ هـ = ٩٥٠ م وفي صحبته رسل الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع[٧].

واستمر الصراع الدامي بين الأمويين والفاطميين واشتدت العلاقات تأزماً في عام ٣٤٤ هـ = ٩٥٥ م وأدت إلى اشتباكات بحرية وأعمال تدمير وتخريب واسعة النطاق لسواحل البلدين ، امتدت إلى ما بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وتولّي ابنه الحكم المستنصر من

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٧ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ،ج١ ، ص٢١٨ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢١٢ - ٢١٤ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٢١٨ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٤٤١ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢١٥ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٠٩ .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٦٤ .
ود . السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٣٩٥ - ٤٣٢ .
(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢١٥ .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣١٠ .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٦٤ .

بعد ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م[١] ، وقد استغل البيزنطيون هذا الصراع وحاولوا عدة مرّات استعادة جزيرة صقلية من أيدي الفاطميين ، ولكنهم صدوا عنها بعنف بعد أن تعرضوا لهزائم بحرية متعاقبة[٢] ، وبعد أن فشل البيزنطيون في حملاتهم البحرية على صقلية عقدوا هدنة مع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله للحيلولة دون تدخل الفاطميين في جزيرة اقريطش « كريت » التي كانوا يتطلعون إلى الاستيلاء عليها . ولكن هذه السياسة لم تحل دون إرسال الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حملة لمساندة أقريطش المحاصرة ولكنها لم تجد نفعاً في مواجهة الأساطيل البيزنطية المتفوقة عدة وعدداً[٣] ، ويقال بأن أمير أقريطش الإسلامية عبد العزيز بن شعيب ، أرسل سفارة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر يستنجد به لإنقاذه من الحصار البيزنطي ، وأن الناصر تأثّر مما سمعه وأرسل وفداً إلى الخندق عاصمة أقريطش لدراسة ما يمكن عمله ، لإنقاذ الجزيرة من الأساطيل البيزنطية التي أطبقت عليها ، وعاد الوفد إلى قرطبة بعد أن وعد أميرها بتقديم العون . ولكن الناصر توفي سنة ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م قبل أن يتمكن من إغاثة أقريطش ، واقتحم نقفور فوكاس قائد القوات البحرية البيزنطية مدينة الخندق بعد حصار دام خمسة أعوام ، وقضى قضاءً مبرماً على مسلمي أقريطش نتيجة لتمزق الجبهة الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٤] . وكان القائد المشرف على شؤون البليار والنشاطات البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط حتى نهاية عهد الخليفة الناصر ، القائد والكاتب الشهير جعفر بن عثمان المصحفي ، ونظراً لما قدّمه من خدمات جليلة للخلافة الأموية في صراعها ضد الفاطميين ، فقد قام الخليفة الحكم المستنصر باستدعائه من جزيرة ميورقة وقلده سدّة الوزارة ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م[٥] ، بعد زوال الخطر الفاطمي وتوجيه الفاطميين أنظارهم إلى مصر ، التي تم

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢١٥ – ٢٢٣ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٥١٣ .
ود . أحمد مختار العبادي : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ج٥ ، ص٢٠٨ – ٢٠٩ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٤٧٣ – ٤٧٤ ، ٤٩٣ – ٤٩٤ .
ود . تقي الدين عارف الدوري : صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية ص١١٤ – ١١٩ .
(٣) أبو حنيفة بن محمد الإسماعيلي : المجالس والمسايرات – أربعة نصوص – الأول من ورقة ٢٤٤ إلى ورقة ٢٥٤ ، والثاني من ٤١١ إلى ٤١٦ ، والثالث من ٤١٦ – ٤٢٠ ، والرابع من ٤٢١ – ٤٢٣ عن « قضية إقريطش في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، تحقيق فرحات الدشراوي ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثاني سنة ١٩٦٥ .
(٤) د . السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٤٣٨ . وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٤ – ٢٣٥ .
(٥) دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ، ج٣ ، ص١٥١ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٧ .

فتحها على يد جوهر الصقلي في شعبان ٣٥٨ هـ = يونيو ٩٦٨ م[١] . وفي عام ٣٦١ هـ = ٩٧٣ م انتقل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر ، واتخذ القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية ، وولّى على بلاد المغرب يوسف بلكين بن زيري . واتجهت الخلافة الفاطمية منذ ذلك الحين في سياستها نحو بلاد المشرق[٢] كما انشغل يوسف بلكين بن زيري عامل الفاطميين على إفريقية وبلاد المغرب الأوسط وأعقابه من بعده ، بالمشاكل الداخلية المتلاحقة ، وخضعت بلاد المغرب الأقصى للخلافة الأموية في الأندلس[٣] ، وانتهى بذلك الصراع الدامي بين الفاطميين والأمويين في الحوض الغربي للبحر المتوسط الذي أسهمت فيه أساطيل جزر البليار بنصيب وافر بحكم موقعها الاستراتيجي وإمكانياتها البحرية الكبيرة .

مساندة أساطيل البليار لعمل جبل القلال ، « معقل فرخشنيط » التابع لميورقة

بالإضافة إلى مساندة أساطيل البليار للخلافة الأموية في بلاد الأندلس في صراعها المصيري ضد الفاطميين في عدوة المغرب ، فقد قامت بدعم وإسناد معقل فرخشنيط « فراكسنيت » Fraxinet في « جبل القلال » المطل على خليج سان تروبيز San Trobez في إقليم البروفانس في مكان القرية الحالية المعروفة باسم غارد فرينيه ؛ وقد أسس الأندلسيون من غزاة البحر معقل فرخشنيط « فراكسنت » سنة ٢٧٥ هـ = ٨٨٨ م على سفح جبل حصين أطلق عليه الفرنجة اسم « جبل المسلمين » Maurus[٤] وقد عرف في المصادر الإسلامية باسم « جبل القلال »[٥] ، وقد دعا ابن حيان هذا المعقل باسم « فرخشنيط » وهو تعريب لاسمه اللاتيني « فراكسنت » Fraxinet[٦] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٥٩٠ . وابن عذاري : البيان المغرب ج١ ، ص٢٢٨ . وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص١٠٠ .
(٢) د . أحمد مختار العبادي : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ج٥ ، ص٢٠٨ – ٢٠٩ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ، قطعة من عهد الحكم المستنصر : تحقيق د . الحجي ص١٥٠ وما بعدها . وابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٥٩٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٦٥ . وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢٣٩ وما بعدها .
(٤) شكيب أرسلان – رينو – تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ص٢٠٧ وما بعدها .
شكيب أرسلان – كيلر – تاريخ غزوات العرب ، ص٣٠٧ وما بعدها .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٠ وما بعدها .
(٥) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص٥١ .
وابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ .
وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٧٣ .
(٦) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٤٥٤ .

وقد أصبح معقل فرخشنيط في جبل التلال والقواعد التابعة له في جزيرة كامرج وماجلون في إقليم البروفانس في جنوب شرق بلاد الفرنجة[١] عملاً من أعمال ميورقة[٢] بعد فتح جزر البليار علي يد عصام الخولاني ٢٩٠ هـ=٩٠٣ م[٣] وكان يشرف على عمل جبل القلال وكبرى معاقله « فرخشنيط » والأقاليم التابعة له في جنوب شرق بلاد الفرنجة عامل يحمل في التنظيم الإداري الأندلسي اسم « قائد فرخشنيط »[٤]وكان يتبع لعامل جزر البليار[٥]. ونتيجة للإمدادات المتواصلة للمجاهدين المسلمين بعد فتح جزر البليار واستقرار دعائم الحكم الإسلامي فيها ، فقد تمكنوا من اجتياح غربي لمبارديا في شمال إيطاليا بعد عبور إقليم دوفيني سنة ٢٩٤ هـ=٩٠٦ م ، واجتازوا ممر « مونت سيني » أعظم ممرات جبال الألب ، وقطعوا الاتصالات بين بلاد الفرنجة وإيطاليا ورسخت أقدامهم في تلك الأقاليم الوعرة منذ ذلك الحين[٦].

وقد أطلق الدكتور مؤنس على هذه الملحمة الخالدة في تاريخنا الإسلامي التي ظلّ صداها يتردد في أعماق أوروبا ما يقارب المائة عام اسم« أوديسة فراكسنت » Fraxinet « فرخشنيط » لما تميزت به من بطولات باهرة وزحف أسطوري[٧]. ففي عام ٢٩٦ هـ=٩٠٨ م في فترة ولاية عصام الخولاني لجزر البليار اجتاح أسطول « فرخشنيط » ساحل البروفانس وأغار على مرسيليا وانضمت إلى الغزاة جموع من المغامرين الفرنجة طمعاً في الغنائم[٨]، وفي فترة ولاية عبد الله بن عصام الخولاني لجزر البليار ٣٠٠ – ٣١٨ هـ= ٩١٢ – ٩٣٠ م[٩] واصل هؤلاء الغزاة حملاتهم الكاسحة على ثغور بلاد الفرنجة الجنوبية واجتاحوا فريجوس وطولون[١٠]، كما أغاروا على ثغور إيطاليا الغربية من جنوة حتى نابولي[١١]، وفي عام ٣١٨ هـ= ٩٣٠ م وصل نشاط الغزاة

(١) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٠ .
(٢) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٠٤ ، ١١٠ ، ١٨٤ – ١٨٥ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٤٥٤ .
(٥) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ .
(٦) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢٩ – ١٣٠ .
(٧) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٢٩ .
(٨) شكيب أرسلان – رينو – تاريخ غزوات العرب ، ص٢٢٣ .
(٩) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٢٨٥ .
وابن خلدون:العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ .
(١٠) شكيب أرسلان – رينو – تاريخ غزوات العرب ، ص٢٢٣ .
(١١) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣٠ – ١٣١ .
وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٨٤ ، ١٩٩ .

عبر أوروبا إلى ذروته ، وسيطروا على منطقة واسعة ممتدة من ممر مونت سيني في ذرى جبال الألب إلى جنوب بلاد الفرنجة على ساحل البحر المتوسط[١] ، وفي فترة ولاية أحمد بن محمد بن الياس القائد البحري الشهير لجزر البليار ٣١٨ – ٣٢١ هـ= ٩١٢ – ٩٣٠ م[٢] ازداد النشاط البحري لقائد أسطول فرخشنيط ، الذي كان يتبع لعامل جزر البليار ويتلقى منه العون[٣] مما مكنه من القيام بحملات بحرية واسعة شملت ثغور جنوة ولوني وبيزة وأمالفي وجايتا وساليرنو ونابولي في غرب إيطاليا ، وفريجوس ومرسيليا وطولون في جنوب بلاد الفرنجة ، هذا بالإضافة إلى جزيرتي سردانية وقرسقة ، مما أصاب المدن الساحلية الإيطالية بصفة خاصة ، بالكساد ، وشلّ نشاطها البحري والتجاري ، فقاموا بالاستنجاد بالبيزنطيين لمواجهة أساطيل فرخشنيط Fraxinet ، ولبّى البيزنطيون هذا النداء طمعاً في إعادة نفوذهم على إيطاليا ، وأرسلوا أسطولاً بحرياً ضخماً فرض الحصار على معقل فرخشنيط الإسلامي ، ولكنهم عجزوا عن تحقيق أي نصر ، لضراوة مقاومة حامية الحصن مما اضطرهم إلى الانسحاب بعد أن تعرضوا إلى خسائر فادحة[٤]، وفي فترة ولاية أحمد بن محمد بن الطليار لجزر البليار ٣٢١– ٣٢٢ هـ= ٩٣٣– ٩٣٤ م[٥] قام المجاهدون من قاعدة فرخشنيط بغارات واسعة على حوض الرون وأعماق برغندية ، وقد اتبعوا في حروبهم أسلوباً عسكرياً يشبه حرب المغاورين في الثغور الإسلامية ، حيث كان جلّ اعتمادهم على فرق خفيفة التسليح ذات كفاءة عالية تقوم بهجمات سريعة خاطفة بينما تكون القوة الضاربة الرئيسية متحصنة في موقع منيع وتتلقى الإسناد والدعم بشكل متواصل من القاعدة الرئيسية في فرخشنيط[٦].

وفي فترة ولاية أحمد بن عمر لجزر البليار ٣٢٢ – ٣٢٤ هـ= ٩٣٤ – ٩٣٦ م ، ازداد نشاط الأسطول الفاطمي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ففي عام ٣٢٣ هـ=٩٣٥ م قام أحد الأساطيل الفاطمية تحت قيادة يعقوب بن إسحق بالإغارة على ثغور إيطاليا الغربية واقتحم

(١) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٠ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٢٨٥ ، ٢٣٢ .
(٣) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ .
(٤) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣٠ – ١٣١ .
شكيب أرسلان – كيلر – تاريخ غزوات العرب ، ص٣١٨ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٢٣٤ .
وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٨٤ – ١٨٥ .
(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٢٢ ، ٣٥٦ .
(٦) شكيب أرسلان – كيلر – تاريخ غزوات العرب ، ص٣٠٩ .
ود . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣٠ – ١٣١ .

مدينة جنوة ، كما أغار على ثغور جنوب شرق بلاد الفرنجة التي كانت آنذاك تحت سلطة عامل فرخشنيط ، وأثناء عودته إلى قاعدته في المهدية أغار يعقوب بن إسحق على جزيرتي سردانية وقرسقة[1] ، ونظراً لانشغال أساطيل جزر البليار وثغور شرق الأندلس آنذاك في مواجهة التهديد الفاطمي[2] فقد توقفت غارات أسطول فرخشنيط على ثغور إيطاليا الغربية وجزيرتي سردانية وقرسقة للتصدي للأساطيل الفاطمية التي وصلت غاراتها إلى جنوب شرق بلاد الفرنجة ، خط الدفاع الأمامي لجزر البليار في معقل فرخشنيط ، ونتيجة لذلك تحسنت العلاقات بين إمارات وممالك إيطاليا ، وجزيرتي سردانية وقرسقة مع بلاد الأندلس ، وعقدت هذه الإمارات والممالك المسيحية معاهدات سلام مع الخليفة عبد الرحمن الناصر في فترة لاحقة ، من أجل مواجهة الفاطميين العدو المشترك للطرفين[3] .

ووجّه غزاة فرخشنيط أنظارهم إلى أعماق بلاد الفرنجة ، وتوغلوا عبر معابر الألب الجبلية إلى إقليم فاليه في سويسرة ، وقد شجعهم على ذلك كما يقول المؤرخ الفرنسي رينو ، الهجرة الواسعة التي قام بها السكان في لمبارديا والبروفانس وبرغندية وحوض الرون ، وفرار أساقفة هذه الأقاليم إلى فاليه في جنوب سويسرة ومعهم كنوز كنائسهم وأديرتهم[4] .

ويقول المؤرخ السويسري كيلر « بأن العرب شنّوا الغارة على سويسرة الألمانية بعد اجتياحهم فاليه ، في عام ٣٢٥ هـ = ٩٣٦ م وفقاً لوثائق أسقفية كور في سويسرة . . » .

ويرجح عبور أولئك المجاهدين عبر جبال الألب من ناحيتين ، قسم منهم اجتاز معابر جبال الألب الشرقية واتجه إلى بلدة زاسين شرقي سويسرة ، والقسم الآخر اجتاز معابر الألب الغربية عبر وادي الرون[5]

ويعزو المؤرخ كيلر انتصارات المجاهدين الباهرة إلى ما تميزوا به من شجاعة وما أوقعوه في نفوس السكان من رعب ، ولانشغال هوجو مركيز البروفانس وملك لمبارديا في حرب طاحنة مع

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٢٠٩ . وابن خلدون : العبر ج٤ ، ص٨٤ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٤٧٨ ، ٤٨٥ . وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣١٠
والمقري : نفح الطيب ج١ ، ص٣٧ وحاشية « ١ » .
ود . أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ج٥ ، ص٢٠٧ وما بعدها .

(٤) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢١٩ ، ٢٢١ .

(٥) شكيب أرسلان - كيلر - تاريخ غزوات العرب ، ص٣١٥ .

صهره « البريك » بطريق روما[1] .

وقد توغلت جماعات من هؤلاء المجاهدين شمال جبال الألب ووصلت إلى سانت جالن St Galen في سويسرة ٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م[2] مما دفع هرمان أمير سويسرا الألمانية إلى مناشدة الامبراطور أوتو الأول في المجلس الامبراطوري الذي انعقد في عام ٣٢٩ هـ = ٩٤٠ م بتعويض أسقف كور عما لحقه من اجتياح الغزاة العرب[3] .وكان عامل البليار في هذه الفترة ٣٢٧ - ٣٢٩ هـ = ٩٣٩ - ٩٤١ م محمد بن عبد الملك بن عبدوس[4] ، وكان يرسل العون والإمداد إلى عامل فرخشنيط التابع لعمل ميورقة[5] ويرسل إليه التعليمات الصادرة عن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر . وكان عامل فرخشنيط آنذاك هو نصر بن أحمد القائد بفرخشنيط ، كما يقول ابن حيان في حوادث عام ٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م تحت عنوان « سلم الفرنجة » الذي أرسلت التعليمات بشأنه إلى « نصر بن أحمد القائد بفرخشنيط وإلى عمال الجزائر الشرقية (البليار) والمراسي الساحلية بأرض الأندلس . . من أجل تأمين جميع المختلفين . . ممن سولم من هذه الأمة على دمائهم وأموالهم وكل ما تضمنته سفنهم ، يتصرّفون مع تجارتهم حيث شاؤوا فوردت مراكبهم إلى الأندلس وعظم الانتفاع بهم . . »[6] .

ولم تكن إمارة قطلونية الإمارة المسيحية الوحيدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط التي وقّعت عهود السلام مع الخلافة الأموية في بلاد الأندلس آنذاك ، فقد عقدت معاهدات مماثلة إمارة تسكانة الإيطالية ووفد سفيرها على بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر بتعليمات من أميرها « جاويدو بن أدلبرت » لتوقيع معاهدة سلام مع الخلافة الأموية في بلاد الأندلس[7] ، وعلى أثر توقيع هذه المعاهدة وفد تجار أمالفي كبري ثغور إمارة تسكانة بحراً إلى ثغور الأندلس الشرقية ، عبر جزر البليار كما أرجح لأنها على الطريق الملاحي بين ثغور ايطاليا الغربية وثغور الأندلس الشرقية وكان ذلك في عام ٣٣٠ هـ = ٩٤١ - ٩٤٢ م[8] ، في فترة ولاية جعفر بن عثمان المصحفي

---

(١) شكيب أرسلان - كيلر - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، ص٣١٥ .

(٢) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣٠ .

(٣) شكيب أرسلان - كيلر - تاريخ غزوات العرب ، ص٣١٦ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٤٧٢ .

(٥) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ .

(٦) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٤٥٤ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣١٠ .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٧ وحاشية « ١ » .

(٨) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٤٧٨ .

لجزر البليار ٣٢٩ - ٣٣٣ هـ = ٩٤١ - ٩٤٥ م[١] .

ويذكر ابن حيان خبراً طريفاً عن وصول تجار من أمالفي كبرى ثغور إمارة تسكانة الإيطالية مع بضائعهم إلى بلاد الأندلس بعد توقيع هذه الإمارة معاهدة سلام مع الخلافة الأموية في الأندلس ، يقول فيه في حوادث عام ٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م « .. وفي عقب جمادى الآخرة كان وصول تجار الملفيين لقرطبة ، أتوا الأندلس في البحر طلب التجارة فيها ، بما عندهم من الأمتعة ، ولم يعلم لهم قبل الناصر لدين الله دخول .. فعلقوا بأمان السلطان وجاءوا بغريب ما في بلدهم من رفيع الديباج وفاخر البرفير وغير ذلك من نفيس المتع .... واتصل اختلافهم إلى الأندلس فيما بعد وعظمت المنفعة بهم .. »[٢]. ومما يدل على رسوخ العلاقات التجارية بين أمالفي وبلاد الأندلس هو إطلاق اسم « الملف » على قماش الصوف الفاخر الذي كان يجلبه تجار أمالفي إلى الأندلس حتى عهود متأخرة[٣]. وكان للكساد التجاري الذي أصاب ثغر أمالفي في تسكانة كبقية ثغور ساحل إيطاليا الغربي بسبب غارات أساطيل فرخشنيط قاعدة ميورقة المتقدمة في بلاد الفرنجة على هذه الثغور ، أكبر الأثر على تطلع الإمارات الإيطالية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط على التطلع إلى عقد معاهدات سلام مع الخلافة الأموية في الأندلس ، لضمان أمنها وسلامتها وتوفير الأسواق التجارية لبضائعها[٤] ، وقد رحبت الخلافة الأموية بعقد معاهدات السلام مع الإمارات الإيطالية وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط ، من أجل التفرّغ لمجابهة الخطر الفاطمي في عدوة المغرب ، كما وجدت في هذه الإمارات حلفاء لمواجهة الأساطيل الفاطمية التي كانت تهدّد ثغور إيطاليا الغربية وتغير عليها بين الحين والآخر[٥] ، ونتيجة لنجاح إمارة تسكانة في عقد معاهدة سلام مع الخلافة الأموية في الأندلس[٦] ، قامت جزيرة سردانية التي عانت من غارات الأساطيل الفاطمية[٧] بعقد معاهدة سلام مماثلة مع الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ويذكر ابن حيان ما يلي بهذا الصدد في حوادث عام ٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م « وفي

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ .
وابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ١٣ ، طبعة عزت العطار الحسيني .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٧٨ .
(٣) المصدر السابق ، حاشية « ١ » ، ص ٤٨٥ .
(٤) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٨٤ .
(٦) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٧٨ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٠ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧ وحاشية « ١ » .
(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣١٠ . وابن عذاري : البيان المغرب ج ١ ص ٢٠٩ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٨٤ .

يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذي الحجة قدم إلى باب الناصر لدين الله رسول لصاحب سردانية يخطب الصلح والألفة ، وقدم معه تجار أهل ملفظ (أمالفي) بضروب من تجارتهم النفيسة من سبائك الفضة والديباج وغير ذلك ، مما أحرزت منه الفائدة وحسنت به المنفعة »[١] .

كما عقد هوجو مركيز البروفانس وملك لمبارديا معاهدة صداقة وتحالف مع الخليفة عبد الرحمن الناصر لمواجهة الفاطميين العدو المشترك للطرفين[٢] ، الذين كان هوجو يتطلع إلى الانتقام منهم بعد غارتهم على جنوة واجتياحها ونهبها[٣] ، ومن أجل ضمان سلامة بلاده من غارات أساطيل فرخشنيط التي كانت تهدد جنوة كبرى ثغور لمبارديا « الإنكبردة » بشكل دائم[٤] لوقوعها بمحاذاة جبل القلال[٥] ومعقله الحصين فرخشنيط قاعدة ميورقة البحرية الأمامية[٦] ، وقد قام الملك هوجو بهذه الخطوة بعد أن فشل في اقتحام فرخشنيط بالتعاون مع أسطول بحري بيزنطي ٣٣١ هـ = ٩٤٢ م[٧] نتيجة للمساندة الكبيرة التي قدمتها أساطيل الأندلس بقيادة القائد العام للأساطيل الأندلسية المؤتلفة محمد بن رماحس الذي اتخذ قاعدة المرية البحرية في بجّانة مركزاً لقيادته[٨] ، تحت إشراف الحكم بن الناصر ولي العهد عامل بجّانة[٩] ، وبالتعاون مع عامل البليار جعفر بن عثمان المصحفي الذي كان موضع ثقة الخليفة عبد الرحمن وولي عهده[١٠] ومستشارهما في الشئون البحرية لمعرفته الواسعة بسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط وثغوره وجزره[١١] . وكانت جزر البليار تساند معقل فرخشنيط في جبل القلال التابع لها بالتعاون مع أساطيل الثغور الشرقية . وقد تنبه الدكتور العبادي إلى الدور المساند الذي كانت تقوم به أساطيل الأندلس المؤتلفة في مساندة معقل « فرخشنيط » في جبل القلال عند

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٨٥ .
(٢) د . أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ . ويذكر ابن خلدون وصول سفارة « هوجو » إلى الناصر ويدعوه باسم « أقوه » ملك الفرنجة وراء المغرب (العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٠) . بينما يدعوه المقري باسم « أوقه » (هوجو مركيز البروفانس) كما يقول محقق النفح (نفح الطيب ج ١ ، ص ٣٦٥ وحاشية « ٥ ») .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ ص ٢٠٩ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٨٤ .
(٤) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .
(٦) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ص ٤٥٤ . وابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص ١٨٥ .
(٧) شكيب أرسلان - كيلر - تاريخ غزوات العرب ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .
ود . السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٤٢٦ .
(٨) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .
(٩) ابن حيان : المقتبس . ج ٥ ، ص ٤٨٨ .
(١٠) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .
(١١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٧ .

تعرضه لأي خطر خارجي وقد أشار إلى نص للعذري بهذا الصدد[1] يقول فيه في حوادث عام ٣٣١ هـ = ٩٤٢ م « وغزا محمد بن رماحس إلى إفرنجة مع غالب بن عبد الرحمن وسهيل بن أسيد في ثلاثين مركباً حربية وستة شواني وفصلوا من المرية.. ولما تخلوا من جزيرة (ميورقة) وتوسطوا الغدير وكشفوا إفرنجة دارت عليهم ريح عاصف فرقتهم فتعلق محمد بن رماحس في تسعة مراكب إلى شرقي القيطنة[2]، ودخل مرساها.. وغنم مراكب لأهل أنينوة وساحلها وحارب مشينة وتغلب على بعض أرباضها وانصرف عنها وتعلق القائدان غالب وسهيل إلى ساحل منبسط فغنم المسلمون وانصرفوا إلى المريّة.. »[3].

وكان من أبرز نتائج معاهدة الصلح التي وقعها سفراء هوجو مركيز البروفانس وملك لمبارديا مع الخليفة عبد الرحمن الناصر، مهادنة مسلمي معقل فرخشنيط للملك هوجو، بناء على تعليمات الخليفة الناصر، ورسوخ العلاقات الودية بين الطرفين إلى درجة أفضت إلى عقد هوجو تحالفاً مع المسلمين في معقل فرخشنيط والأقاليم التابعة له لمواجهة بيرانجه، منافسه على عرش لمبارديا[4]، وازدادت جرأة المجاهدين في فرخشنيط بعد الاعتراف بهم كقوة شرعية من قبل الملك هوجو ملك لمبارديا الذي انتصر على منافسه بيرانجه، بفضل ما قدّموه له من دعم عسكري، واستقرت جماعات منهم في نيس (في الريفييرا الفرنسية) وفي حوض الرون[5] وعمروا تلك النواحي وزرعوا أراضيها واعتمدوا على نتاجها في قوتهم، ولتوفير احتياجات من يفد إليهم من المجاهدين[6] من جزر البليار وثغور الأندلس الشرقية وعدوة المغرب، فقد كان الجهاد يجذب كل المرابطين من أهل الأندلس والمغرب لمساندة المجاهدين في معقل « فرخشنيط » بجبل القلال والأقاليم التابعة له، في جهادهم ضد الفرنجة[7].

وازداد مركز المجاهدين في فرخشنيط رسوخاً بعد توقيع سفراء امبراطور بيزنطية قسطنطين السابع معاهدة صداقة وتحالف مع الخليفة عبد الرحمن الناصر[8] فقد وقّعت بيزنطية معاهدة

(١) د. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧١.

(٢) القيطنة: مدينة عامرة في جزيرة سردانية (الروض المعطار وحاشية ٨، ص٣١٤). وكانت سردانية ترتبط بمعاهدة سلام مع الدولة الأموية منذ ٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م (ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٨٥).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص٨١.

(٤) شكيب أرسلان - كيلر - تاريخ غزوات العرب، ص٣١٨ - ٣١٩.
ود. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص٤٢٦.

(٥) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٣ - ٢٢٤.

(٦) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص١٨٥.

(٧) شكيب أرسلان - كيلر - تاريخ غزوات العرب، ص٣٠٧.
ود. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص١٣٠.

(٨) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٠٩ - ٣١٠.
والمقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٤. والدولة البيزنطية ص٣٩٥ - ٤٣٢.

مماثلة مع مسلمي فرخشنيط ٣٤٥ هـ = ٩٥٦ م، وزال بذلك تهديد الأساطيل البيزنطية لمعقل فرخشنيط[1]، وبعد عقد هذه المعاهدات اطمأن المجاهدون على سلامة معقلهم الرئيسي في فرخشنيط من أي تهديد خارجي، واندفعوا بقوة عبر سويسرة حتى حدود ألمانيا، وكانوا يتجولون في جميع أنحاء سويسرة دون أن تتمكن أي قوة محلية من التصدي لهم، ويقول أحد المؤرخين الذين عاصروا تلك الأحداث عن أولئك المجاهدين.. « بأنهم صاروا أشبه ما يكون بالماعز الجبلي في خفة أقدامهم وسهولة سيرهم على سفوح الجبال.. » كما بنوا في تلك المرتفعات أبراجاً وحصوناً ما تزال آثارها موجودة حتى الآن[2].

وقد أدّى اجتياح قوات فرخشنيط الإسلامية لسويسرة ووصول طلائعها إلى نهر الراين، إلى اشتباك هذه القوات في معركة ضارية مع جحافل المجر « الهنغاريين » البربرية[3] الذين كانوا يغيرون آنذاك على شرق سويسرة بعد اجتياحهم لبفاريا في شرق ألمانيا ٣٤٣ هـ = ٩٥٤ م، وبالرغم من المذبحة المروعة التي تعرضت لها القوات الإسلامية المرابطة على الراين في مجابهة الحشود الهائلة لقبائل المجر الوثنية المتوحشة، إلا أنها تمكّنت في نهاية المطاف من وقف الاجتياح المجري لسويسرة وظلت تتحكم في مرتفعات الألب الغربية[4]، وأرجّح بأن هذه الاشتباكات بين قوات فرخشنيط وقبائل المجر لم تكن الأولى من نوعها فقد كان الاجتياح المجري لبلاد الفرنجة في نفس الوقت الذي كانت تجتاح فيه القوات الإسلامية بلاد الفرنجة في طريقها إلى سويسرة[5].

ويشير ابن حيان في أحد نصوصه الفريدة إلى اجتياح الترك « المجر »[6] لبلاد الفرنجة وإغارتهم على الثغر الأعلى الإسلامي وتراجعهم بالرغم من حشودهم الهائلة بعد أن جوبهوا

(١) د. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص٤٢٦.

(٢) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٧.

(٣) المجر: الهنغاريون من الشعوب التركية الرعوية، عبرت إلى البلقان بعد أن تعرّضت إلى هجوم الشعوب التركية المجاورة لها ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م واستقرت في حوض الدانيوب وعاشت على السلب والنهب (دائرة المعارف الأمريكية، ج١٤، ص٥٠٩ لسنة ١٩٦٢). اجتاحوا ألمانيا في عهد الأباطرة كونراد الأول ٩١١ - ٩١٨، وهنري الأول « العياد » ٩١٩ - ٩٣٦ م، وأوتو الأول الكبير ٩٣٦ - ٩٧٣ م، وقد تمكن أوتو الأول من إنزال هزيمة ساحقة بالمجر « الهنغاريين » في موقعة لنخفيلد على مقربة من أوجزبرج (٣٤٣ هـ = ٩٥٤ م) (د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ص٢٩٤ - ٣٠١).

(٤) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب - رينو - ص٢٢٦، و - كيلر - ص٣٢٢.

(٥) المرجع السابق، ص٢٢٠.

(٦) يذكر ابن حيان خبر اجتياح المجر للثغر الأعلى في حوادث عام ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م تحت عنوان « خبر ظهور الترك بالثغر الأعلى ». (ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٨١) ويروي ابن حيان رواية طريفة عن هجرة هؤلاء المجر « الترك » من بلاد الشرق الأقصى إلى أوروبا واستقرارهم على نهر الطونة، وقد وصفهم وصفاً شيّقاً يستحق عناية الباحثين. (ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٨٢).

بمقاومة ضارية[1]، ونتيجة لاستنزاف قوات فرخشنيط الإسلامية للقوات المجرية الغازية ٣٤٣ هـ = ٩٥٤ م[2] فقد تمكن الامبراطور أوتو الأول « الكبير » من إيقاع هزيمة ساحقة بهذه القوات على مشارف مدينة أوجزبرج في عام ٣٤٤ هـ = ٩٥٥ م في معركة لنخفيلد، ومنذ ذلك الحين توقفت قبائل المجر عن الإغارة على ألمانيا واستقروا في حوض الدانوب الأدنى وكوّنوا لهم دولة هناك[3]. وبعد زوال خطر الاجتياح المجري عن بلاد الجرمان أولى الامبراطور أوتو الأول عنايته لوقف التوسع الإسلامي عبر سويسرة[4].

فقد أدّى اجتياح قوات فرخشنيط الإسلامية لسويسرة ووصول طلائعها إلى نهر الراين، إلى توجس الامبراطور الألماني أوتو الأول خيفة من هذا الخطر الداهم على ممتلكاته، نظراً لكون سويسرة آنذاك تحت حمايته، وقام بإرسال سفراء إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر لمناشدته كبح جماح المجاهدين الأندلسيين وثنيهم عن التقدم في ممتلكاته وحثهم على التراجع عنها[5] باعتباره « .. الحامي لمستعمرة فراكسنت (فرخشنيط) العربية .. »[6]. وكان من أبرز سفراء الجرمان الذين وفدوا على بلاط الخليفة الناصر لتحقيق هذا المطلب في عام ٣٤٥ هـ = ٩٥٦ م يوحنا الجورزيني، وقام الخليفة الأموي باستقبال هذا السفير وطلب منه إبلاغ الامبراطور أوتو الأول بأن هذه الجماعات من المجاهدين .. « لا تخضع له ولا تأتمر بأوامره وإنما تعمل مستقلة عن حكومة قرطبة .. »[7]. بينما يؤكد المؤرخ الألماني ليتوبرايد الذي كان معاصراً لتلك الأحداث .. « بأن حصون المجاهدين الأندلسيين وقواعدهم في بلاد الفرنجة وإيطاليا وسويسرة كانت تحت حماية الخليفة نفسه .. »[8]، وهذا ما تؤكده المصادر الإسلامية المعاصرة كابن حوقل الذي يذكر بأن جبل القلال « فرخشنيط » كان يتبع لعمل ميورقة[9] وأن تعليمات الخليفة الناصر كانت

---

(١) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٨١ – ٤٨٣.
(٢) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب – كيلر – ٣٢٢.
(٣) د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٣٠١.
(٤) شكيب أرسلان – تاريخ غزوات العرب – رينو – ص٢٢٧.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢١٨.
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣١٠.
والمقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٥.
وشكيب ارسلان: رينو – تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٧ – ٢٣٤.
وعنان: دولة الإسلام في الأندلس – العصر الأول – القسم الثاني ص٤٣٠.
(٦) شكيب أرسلان: رينو – تاريخ غزوات العرب، ص٢٢٨.
(٧) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس – العصر الأول – القسم الثاني ص٤٣٠.
(٨) شكيب أرسلان – رينو – تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٣.
(٩) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص١٨٥.

تصل إلى « قائد فرخشنيط » لتنفيذها كما يقول ابن حيان[1].

ومن الغريب أن المؤرخ ليتوبرايد أهدى إلى السفير الأندلسي « رثموندو Recemundo » المعروف بربيع بن زيد كتابه عن تاريخ تلك الفترة، أثناء قدومه إلى بلاط الامبراطور أوتو الأول مبعوثاً من قبل الخليفة الناصر، لإقناع أمبراطور الجرمان بعدم تبعية معقل فرخشنيط للخلافة الأموية في الأندلس، وعاد من سفارته بعد عامين. ونتيجة لفشل الامبراطور أوتو الأول في وقف اجتياح المجاهدين الأندلسيين لبلاده بالطرق الدبلوماسية، فقد اتخذ أولى الخطوات العسكرية لمجابهة المسلمين في عمل فرخشنيط بالاستيلاء على لمبارديا في شمال إيطاليا وتعبئة السكان في حرب صليبية لمحاربة المسلمين[2]، وقام البابا يوحنا الثاني عشر بعد فشل مساعيه الدبلوماسية لدى الخليفة الناصر في وقف الزحف الإسلامي على أوروبا[3]، بتتويج أوتو الأول (الكبير) امبراطوراً، على أمل أن تتزعم الامبراطورية الرومانية المقدسة، قيادة القوى المسيحية لمواجهة التوسع الإسلامي في أوروبا، ولكن انشغال امبراطور الجرمان بمشاكل إيطاليا ومعارضة الامبراطور البيزنطي نقفور فوكاس للتدخل الجرماني في شئون إيطاليا، لم يتح له المجال لتحقيق تطلعات البابوية[4] حتى عام ٣٥٧ هـ = ٩٦٨ م الذي أعلن فيه الحرب الصليبية على المسلمين في معقل فرخشنيط والأقاليم التابعة له[5].

سقوط معقل فرخشنيط في جبل القلال بيد الفرنجة

ما إن أعلن الامبراطور أوتو الأول الكبير الحرب الصليبية على المسلمين في معقل فرخشنيط بجبل القلال والأقاليم التابعة له في جنوب بلاد الفرنجة، وشمال إيطاليا وسويسرة ٣٥٧ هـ = ٩٦٨ م[6] حتى عمّت موجة من الحماسة العارمة شتى أنحاء أوروبا وقامت البابوية لحركة تجميع القوى المسيحية بالتعاون مع الحركات الدينية وعلى رأسها الحركة الكلونية. وقام القسس والرهبان بتحريض السكان وحشد القوى لمحاربة المسلمين[7]. وعمّت الثورة في عهد

---

(١) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٤٥٤.
(٢) شكيب أرسلان – رينو – تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٣ – ٢٣٦.
(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣١٠.
والمقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٦.
ومحمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس – العصر الأول – القسم الثاني، ص٤١٧.
(٤) د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٢٩٨.
(٥) شكيب أرسلان – رينو – تاريخ غزوات العرب، ص٢٣٨.
(٦) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٧) شكيب أرسلان – كيلر – تاريخ غزوات العرب، ص٣٢٣.
ود. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٢٩٨.
ود. طرخان: المسلمون في أوروبا، ص١٧٦.

الخليفة الأموي الحكم المستنصر شتى أنحاء عمل فرخشنيط من ساحل البحر المتوسط في جنوب بلاد الفرنجة إلى نهر الراين على حدود بلاد الجرمان[١]. وبالرغم من الحملات البحرية التي قام بها الموفق عامل جزر البليار على ثغور الفرنجة ٣٤٣ - ٣٥٩ هـ = ٩٥٥ - ٩٧١ م[٢] لمساندة جبل القلال « فرخشنيط » التابع لعمل ميورقة[٣]، وما قام به العامل كوثر الذي تولى عمل البليار بعد الموفق ٣٥٩ - ٣٨٩ هـ = ٩٦٩ - ٩٩٨ م . . « . . وجرى على سنن الموفق في جهاده . . »[٤] إلّا أن الخلافة الأموية في الأندلس لم تلق بثقلها في المعركة ، لهذا تمكنت القوى المسيحية المتحالفة التي حشدتها البابوية من استئصال قوات فرخشنيط الإسلامية المنتشرة في سويسرة ولمبارديا وبرغنديه وحوض الرون والبروفانس ، وكانت الضربة القاصمة للقوات الإسلامية المدافعة عن معقل فرخشنيط في معركة تورتور Tourtour التي فنيت فيها معظم القوات الإسلامية أمام الحشود الهائلة للجرمان والفرنجة والطليان ، وأحدقت القوات المسيحية المتحالفة بالمعقل الإسلامي وفرضت عليه الحصار بقيادة غليوم كونت البروفانس ، وبعد مقاومة ضارية ودفاع بطولي سقط معقل فرخشنيط Fraxinet في جبل القلال ٣٦٥ هـ = ٩٧٥ م[٥] والتجأ من بقي حياً من حامية المعقل إلى المرتفعات والغابات المحيطة « بجبل القلال » وواصلوا المقاومة هناك . ويقول بعض مؤرخي الفرنجة بأن أعداداً كبيرة من هؤلاء المجاهدين اعتصمت في جبال الألب وظلت تتصدى للفرنجة إلى ما بعد عام ٣٩١ هـ = ١٠٠٠ م[٦] . وقد تولى مطاردتهم قائد يدعى جيرو لدوس ، وهكذا انهار هذا السد المنيع في وجه الفرنجة دون أن تحرك الخلافة الأموية ساكناً[٧].

أثر سقوط معقل فرخشنيط على مصير البليار

إن مما يثير الحيرة والدهشة حقاً هو تجاهل مصادرنا الإسلامية للمصير المفجع لمعقل فرخشنيط

(١) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٤١ .
ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ .
(٣) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص١٨٥ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ .
(٥) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٤١ - ٢٤٦ .
شكيب أرسلان - كيلر - تاريخ غزوات العرب ، ص٣٢٥ - ٣٢٦ .
د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣١ .
ومحمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الثاني ص٤٣١ - ٤٣٢ .
(٦) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٤٦ .
(٧) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الثاني ص٤٣٢ .

الذي ظلّ سداً منيعاً في وجه الفرنجة والبابوية والإمارات الإيطالية ما يقارب المائة عام[١]، ويبدو بأن الخلافة الأموية في الأندلس لم تول هذا المعقل الخطير جلّ اهتمامها ولم تقدر مدى ما يشكل سقوطه في يد الفرنجة من خطر على بلاد الأندلس عامّة وعلى جزر البليار بصفة خاصة ، فبالرغم من اشتراك الجرمان في الحرب الصليبية التي أعلنتها البابوية على معقل فرخشنيط الإسلامي في عهد أوتو الأول الكبير وحتى وفاته في عام ٣٦٣ هـ = ٩٧٣ م[٢] واعتلاء ابنه أوتو الثاني ٩٧٣ - ٩٨٣ م الذي سار على سياسة والده في محاربة المسلمين في إيطاليا « وشن حرب دينية عليهم . . تعتبر أساساً للحروب الصليبية في نهاية القرن التالي . . »[٣] ، فقد كان الحكم المستنصر على علاقة وديّة مع هؤلاء الجرمان واستقبل سفير أوتو الثاني استقبالاً ودياً ٣٦٣ هـ = ٩٧٣ م في الوقت الذي كان يتعرض فيه معقل فرخشنيط الإسلامي لهجوم كاسح من قوات جرمانية وفرنجية وإيطالية . ويقول ابن حيان عن هذه السفارة في حوادث عام ٣٦٣ هـ = ٩٧٣ م ما يلي : « أوصل السفير كتاب هوتو (أوتو الثاني) إلى الحكم المستنصر مجدداً لعهده مؤكداً لعقده . . »[٤] .

لقد كان الشغل الشاغل للحكم المستنصر هو محاربة الفاطميين في عدوة المغرب ، وبعد انتقال مركز الخلافة الفاطمية إلى مصر انهمكت الأساطيل الأندلسية في مساندة القوات البرية الأندلسية في حربها ضد الأمراء الأدارسة في عدوة المغرب الأقصى ، وفي التصدي لأساطيل النورمان (المجوس) الذين أغاروا على ثغور الأندلس في عهده[٥] ، وهكذا سقط معقل فرخشنيط ٣٦٥ هـ = ٩٧٥ م دون أن يلقى من الخلافة الأموية في الأندلس ما يستحقه من اهتمام[٦] .

لقد كان لهذه السياسة التي أدت إلى سقوط معقل فرخشنيط نتائج خطيرة تركت آثاراً عميقة على تاريخ البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط لعدة قرون ، وكان من أبرزها وأكثرها تأثيراً على مصير جزر البليار وسواحل الأندلس الشرقية وسواحل المغرب بصفة

(١) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣٠ .
وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٣٨ .
ود . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣١ .
(٣) د . سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص٣٠٦ - ٣٠٩ .
(٤) ابن حيان : قطعة من عهد الحكم المستنصر/تحقيق د . الحجي ص١٦٨ - ١٦٩ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٣٦ - ٢٤٩ .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣١٤ .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٨٣ .
(٦) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب ، ص٢٤١ - ٢٤٦ .
ود . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص١٣٠ - ١٣١ .

خاصة ، النهوض البحري للجمهوريات الايطالية وخاصة في جنوة وبيزة وما صحبه من نشاط بحري عارم شمل سواحل بلاد الفرنجة الجنوبية والغربية[١] .

فبعد سقوط معقل فرخشنيط وزوال الرعب الذي خلّفه في نفوس سكان ثغور غرب إيطاليا وجنوب فرنسا ، عادت دور الصناعة في هذه الثغور إلى العمل بنشاط في بناء الأساطيل بتشجيع من البابوية ، وقام الأمراء المسيحيون في غرب إيطاليا وجنوب بلاد الفرنجة بإنشاء القناطر والأبراج والاستحكامات العسكرية[٢] ، وقد تنبه المؤرخون المسلمون إلى هذه النهضة البحرية التي عمّت ثغور إيطاليا الغربية وخاصة جنوه وبيزة « بيجه » بعد انهيار المعاقل الإسلامية التي كانت تتصدى لهم[٣] .

وأصبحت القوة البحرية لبيزة وجنوة في عام ٣٩١ هـ = ١٠٠٠ م قوية إلى درجة أنها تزعمتا حملات بحرية صليبية كان هدفها الاستيلاء على جزر البليار ومهاجمة السواحل الإسلامية في شرق الأندلس وشمال المغرب ، لوقف حركة الانتشار الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط وللحصول على الغنائم . وكان لحركة الإصلاح الكلوني والحركات المسيحية الأخرى التي عمّت أنحاء أوروبا بتشجيع من البابوية أثر كبير على تعبئة القوى المسيحية في حرب صليبية لمناهضة المسلمين[٤] ، ولكن عوامل أخرى أعاقت التحرك البحري لبيزة وجنوة وثغور الفرنجة حيناً من الزمن ، وكان من أبرزها قوة البحرية الإسلامية في صقلية ، فقد كان الأمراء الكلبيون قادة هذه الجزر ، يملكون أساطيل قوية استخدموها ببراعة وبسالة في التصدي لبحرية بيزة وجنوة بالتعاون مع البحرية الزيرية في إفريقية « تونس »[٥] ، كما خفف من حدة اندفاع الأساطيل الإيطالية والفرنجية في غاراتها على جزر البليار بعد سقوط قاعدتها البحرية المتقدمة في معقل فرخشنيط ، قوة أساطيل هذه الجزر تحت قيادة عمالها الذين تصدوا بشجاعة للأساطيل المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وهم كوثر ٣٥٩ - ٣٨٩ هـ = ٩٦٩ - ٩٩٨ م ومقاتل ٣٨٩ - ٤٠٣ هـ = ٩٩٨ - ١٠١٢ م . وبعد انهيار الخلافة الأموية في قرطبة استولى على جزر البليار مجاهد العامري ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م وظهرت في عهده وعهود أعقابه من بعده في هذه الجزر وفي ثغور شرق الأندلس قوة بحرية هائلة تصدت للأساطيل الإيطالية والفرنجية فترة من

---

(١) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٣٤٤ وما بعدها .
وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٨٤ - ١٨٥ .
(٣) محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص٧٧ - ٧٨ .
(٤) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٣٤٤ وما بعدها .
(٥) المرجع السابق ، ص٣٠٦ - ٣٠٧ .

الزمن قبل سقوط جزر البليار في يد القوات الصليبية المتحالفة للمرة الأولى[١] .

ولم تقتصر نتائج سقوط معقل فرخشنيط على النتائج الآنفة الذكر بل تجاوزتها إلى نتائج أشد خطورة ، فقد تمكنت الحركات الدينية المسيحية تحت إشراف البابوية وعلى رأسها الحركة الكلونية من تعبئة الشعوب المسيحية في أوروبا لحرب المسلمين في بلاد المشرق والمغرب ، ولهذا فليس من باب الصدفة أن تتزعم بلاد الفرنجة بالتعاون مع الجمهوريات البحرية الإيطالية الحروب الصليبية بعد إعلان البابا أوربان الثاني الحرب على المسلمين في مجمع كليرمون ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م وأن تكون نهاية القرن الخامس للهجرة هي بداية انطلاق تلك الحملات المدمرة على بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأن تكون جزر البليار من أولى ضحاياها[٢] .

دور مسلمي البليار في التصدي للفرنجة في إمارة قطلونية

ظل الثغر الفرنجي في شمال شبه جزيرة إيبيرية يشكل خطراً على الإمارة الأموية منذ أن استولى الفرنجة في عهد شارلمان على برشلونة وما حولها ١٨٥ هـ = ٨٠١ م ، وأطلقوا على هذا الإقليم الذي انتزعوه من الثغر الأعلى الإسلامي اسم « الثغر الفرنجي »[٣] . ولم يأل أمراء الأندلس جهداً في الإغارة على برشلونة كبرى قواعد الثغر الفرنجي ولكنهم أخفقوا في الاستيلاء عليها ، وظل هذا الثغر شوكة في خاصرة الثغر الأعلى الإسلامي[٤] ، وازداد خطره منذ أن نشبت الفتنة في بلاد الأندلس في نهاية عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وانشغل أمراء الأندلس بالتصدي للعصاة والخارجين على الإمارة[٥] .

وفي هذه الفترة بالذات استقل القومس « الكونت » غيفريد « ويفريدو » Wifredo الملقب بـ (فلوسو) Velleso بالثغر الفرنجي ٢٦١ - ٢٨٤ هـ = ٨٧٤ - ٨٩٧ م ، ودعيت هذه الإمارة

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ - ٣٥٤ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١١٩ .
وارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٣٠٦ - ٣٠٧ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٩٤ - ٩٥ .
د . سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ص٣٩٩ وما بعدها .
(٣) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٢ ، ص١٤ . الثغر الأعلى الإسلامي ص٢٦٦ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٧٤ وما بعدها .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٢٧٦ وما بعدها .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٠٤ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٤١١ ، ٤٢٠ ، ٤٣٥ .

الفرنجية منذ ذلك الحين باسم « إمارة قطلونية » Catalonia[1] .

واستغل غيفريد أمير قطلونية الأوضاع المتردية في عهد الأمير عبد الله بن محمد وانشغاله في ردع العصاة وإعادتهم إلى حظيرة الطاعة ، وأخذ في إرسال الحملات البحرية للإغارة على ثغور الأندلس الشرقية وقاعدتها الكبرى بجّانة[2] . وقام غزاة البحر في هذه الثغور بدورهم في الإغارة على ثغور إمارة قطلونية[3] وقاموا بأعظم إنجاز في تاريخهم باستيلائهم على جزر البليار ٢٩٠ هـ = ٩٠٣م[4] . وأصبحت إمارة قطلونية مطوّقة من ناحية البحر بعمال الثغر الأعلى الذين ظلوا يغيرون على هذه الإمارة ، إلى أن أعلنت خضوعها للخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٢٨ هـ = ٩٤٠[5] ، كما كانت محاصرة بحراً من جزر البليار لوقوعها على مقربة منها وإحداقها بثغورها الساحلية . وقد أسهم المسلمون في جزر البليار بنصيب وافر في إخضاع هذه الإمارة العاتية لما تميزوا به دائماً من روح المغامرة والقوة ووفرة العتاد والجلد على الجهاد[6] .

ففي عام ٣٢١ هـ = ٩٣٢ م تمكن الخليفة عبد الرحمن الناصر من تثبيت دعائم الحكم الأموي في معظم أرجاء بلاد الأندلس وزال خطر الاجتياح الفاطمي لثغور الأندلس نهائياً ، بعد تدعيم القواعد البحرية الأندلسية في عدوتي الأندلس والمغرب[7] ، وكان الخليفة الأموي يتحين الفرصة لإخضاع إمارة قطلونية التي كانت تتحرش بالثغر الأعلى الإسلامي ، لهذا أصدر أوامره إلى عامل بجّانة أحمد بن عيسى بن أبي عبده . . « بإصلاح الأسطول المستقر بدار الصناعة في المرية وإصلاحه والزيادة فيه وإعداد آلاته وجميع ما يحتاج إليه » للإغارة على سواحل إمارة قطلونية بالتنسيق مع أساطيل جزر البليار وطرطوشة . وبعد أن أعد عامل بجّانة أسطول المرية خير إعداد ، أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر القائد البحري سعيد بن يونس في عام ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م بقيادة أحد أساطيل المريّة ، وكان مكوناً من عشرة مراكب حربية وخمسة شواني والتوجه إلى جزيرة ميورقة للانضمام إلى أسطولها والتوجه من هذه الجزيرة إلى طرطوشة المحاذية لإمارة قطلونية والإغارة على ثغورها الساحلية بالتعاون مع أسطول طرطوشة . ونفذ

---

(١) د. السامرائي : الثغر الأعلى الإسلامي ، ص٢٦٦ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونيا ، ص١٢٦ .
(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص٨٠ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ .
(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٤٥٤ .
والعذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص٤٨٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٤٣ – ١٦٤ .
ود. السامرائي : الثغر الأعلى الإسلامي ، ص١٧٧ – ١٧٨ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٤ – ٤٦ .
(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٩٥ – ٢٠٥ . وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٠٣ – ٣٠٦ .

القائد سعيد بن يونس أمر الخليفة ، وتوجه على رأس أسطوله من المرية إلى ميورقة ، وبعد انضمام أسطول البليار إلى أسطوله أبحر من ميورقة « . . يريد بلد أفرنجة (إمارة قطلونية) فأصابه . . مخرجه من جزيرة ميورقة هول ارتج به البحر فعطب من مراكبه شيني واحد وقارب ، واتجهت سائر المراكب إلى طرطوشة . . »[1] . كما أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر أسطول المرية المتحرك الذي كان يتولى حراسة ساحل الأندلس الشرقي بالتوجه إلى ميورقة لمساندة الأسطول المهاجم وتأمين سلامة جزر البليار من أي تهديد خارجي ، في فترة وجود أسطولها في ثغر طرطوشة للإغارة على سواحل قطلونية ، وقام القائد البحري عمرو بن مسلمة الباجي قائد أسطول المريّة المتحرك بالتوجه إلى جزر البليار على رأس عشرة مراكب حربية وثلاثة شواني . . . « . . فصار إلى الجزائر الشرقية (البليار) ميورقة وما يليها ، فتجول هنالك محترساً إلى أن ضاق الوقت وعاد قافلاً إلى المرية . . » ولم تحقق أساطيل المرية والبليار وطرطوشة أي نصر يذكر في حملة عام ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م وعاد كل منها إلى قاعدته استعداداً لجولة أخرى من الصراع[2] .

وفي عام ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م تمرد آل تجيب أمراء الثغر الأعلى وقاعدته الكبرى سرقسطة المحاذية لإمارة قطلونية ، وقام الخليفة عبد الرحمن الناصر بنفسه بقيادة حملة كبرى لإخضاع هؤلاء العصاة . وبعد جهود مضنية تمكن من إخضاع جميع معاقلهم باستثناء سرقسطة التي استعان عاملها محمد بن هاشم التجيبي بالنصارى الشكنس والقطلان في الدفاع عن حصونها الفائقة المنعة مما أعجز الخليفة الناصر عن اقتحامها[3] . ولحرص الناصر على منع القطلان من استغلال فتنة الثغر الأعلى وإمداد محمد بن هاشم التجيبي المتحصّن في سرقسطة بأي عون عسكري[4] ، فقد أمر قائد أسطول المرية عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة سنة ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م بالإغارة على ثغور قطلونية بالتعاون مع أسطول البليار وأسطول طرطوشة[5] ، وكان عامل البليار في عام ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م القائد أحمد بن عمر ، ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر عاملاً على هذه الجزر بعد أن عزل عنها أحمد بن محمد الطليار ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م[6] ، وكان عامل مدينة طرطوشة وثغرها آنذاك القائد البحري أحمد بن محمد بن الياس عامل جزر البليار الأسبق[7] . ويذكر ابن حيان النص الفريد التالي الذي يتّضح منه مدى التعاون بين أساطيل المرية والبليار وطرطوشة

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٢٣ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٢٤ .
(٣) ابن حيان : المقتبس ج٥ ، ص٣٥٧ وما بعدها .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٠٤ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٧٩ .
(٥) المصدر السابق ، ص٣٦٦ – ٣٦٨ .
(٦) نفس المصدر ، ص٢٥٦ .
(٧) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص٦٧ – ٧٠ .

في الإغارة على ثغور قطلونية حيث يقول في حوادث ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م « وفيها غزا الأسطول إلى بلد الفرنجة (إمارة قطلونية) وقائده عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة ، وكانت عدة مراكبه أربعين مركباً عشرين منها حرّاقات، وفيها النفط وآلات البحرية ، وعشرين فيها الرجالة والمقاتلة؛ وكانت عدة ركابه من الجند ألف رجل ، ومن البحريين ألفين ، وكان ركوبهم من مدينة المريّة في رجب ٣٢٣ هـ = يونيو ٩٣٥ م ، فبدأ القائد ابن أبي حمامة يتفقد ميورقة الإسلامية فكسر بها لاستتام نظره فيها . . » . ويتابع ابن حيان نصّه الآنف الذكر ويصف اندفاع أساطيل المرية والبليار وطرطوشة وغاراتها على ثغور قطلونية الساحلية ويقول « . . ثم اندفع القائد عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة من آخر مراسي ميورقة يوم الجمعة لأربع بقين من رجب وأوفى على بالش . . ودارت معركة عظيمة انهزم الإفرنج على أثرها . . وتقدم الأسطول إلى بلدة أنيش وهي دار صناعتهم ومرفأ مراكبهم ، فأحدق المسلمون بها براً وبحراً وأحرقوا مرساها . . » . ويتابع ابن حيان وصف الغارات على ثغور قطلونية إلى أن وصلت طلائع الأسطول المظفّر إلى برشلونة عاصمة إمارة قطلونية قائلًا « . . ثم تقدم الأسطول إلى برشلونة . . ودارت بينهم وبين المسلمين حرب عظيمة انهزم فيها الإفرنج . . وعاد الأسطول قافلًا إلى طرطوشة قاصية بلد الإسلام غانماً . . »[1] .

وبالرغم مما أوقعته الأساطيل الأندلسية من دمار وخسائر فادحة في ثغور قطلونية في حملة عام ٣٢٣ هـ = ٩٣٥ م البحرية الواسعة النطاق ، إلّا أن أمير قطلونية شنير بن ويفريدو لم يرتدع عن التحرش بالثغر الأعلى الإسلامي مستغلًا انشغال القوات الأندلسية في حصار محمد بن هاشم التجيبي في سرقسطة ، تحت قيادة أحمد بن محمد بن الياس ، ويقول ابن حيان في هذا الصدد في حوادث عام ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م « وجاشت الفرنجة بالثغر الأعلى راجين انتهاز فرصة يصيبونها فخرجوا على المسلمين مع صاحب برشلونة في جمع كثير ، فجرّد إليهم القائد أحمد بن محمد بن الياس المرابط على حصار مدينة سرقسطة فيمن كان معه من جند السلطان ورجال الثغر . . » وأوقع بالفرنجة هزيمة كاسحة ولّوا على أثرها الأدبار في شوال ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م ، وقد مدحه الشاعر الأندلسي أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد بقصيدة طويلة يقول في أحد أبياتها :

ولما أحاط ابن الياسُ بهم يئسوا   من الحياة وعيضوا الحتف والهبلا

واستكان الفرنجة بعد هذه الهزيمة الساحقة[2] وانشغلت الأساطيل الأندلسية المؤتلفة في مساندة ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد على الفاطميين التي نشبت في إفريقية ٣٢٤ هـ = ٩٣٦م[3] .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٣٦٦ - ٣٦٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص٣٧٩ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٩ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٧ .

وأولى الناصر عنايته لإخضاع سرقسطة آخر المعاقل الإسلامية العاصية في الثغر الأعلى الإسلامي ، وتمكن من إخضاعها بعد استسلام عاملها محمد بن هاشم التجيبي في محرم ٣٢٦ هـ = نوفمبر ٩٣٧ م[1] ، وبعد هزيمة الخندق المفجعة ٣٢٧ هـ = ٩٣٨ م التي هزم فيها جيش الخلافة الأموية بقيادة الخليفة عبد الرحمن شرّ هزيمة على يد ملك ليون وجليقيه رذمير بن أردون[2] ، عادت إمارة قطلونية إلى التحرش بالثغر الأعلى الإسلامي فقامت الأساطيل الأندلسية المؤتلفة بحملات متعاقبة على ثغور قطلونية تحت قيادة محمد بن رماحس عامل بجانة وقائد الأساطيل الأندلسية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكان آخر حملاته على برشلونة في عام ٣٢٨ هـ = ٩٤٠م[3] . ونتيجة للهزائم المتلاحقة والخسائر الفادحة التي تعرضت لها إمارة قطلونية اضطرّ أميرها شنير بن غيفريد (سونير بن وفريدو) إلى توقيع معاهدة سلام مع ممثلي الخلافة الأموية وعلى رأسهم حسداي بن اسحق الإسرائيلي الكاتب وفقاً للشروط التي فرضها الخليفة الناصر في شوال ٣٢٨ هـ = يوليو ٩٤٠ م[4] ، وتراجع قائد الأساطيل الأندلسية محمد بن رماحس ، وقائد أسطول المرية المتحرّك إبراهيم بن عبد الرحمن البجّاني عن مهاجمة برشلونة ، بعد أن علما من حسداي بن إسحق الإسرائيلي بتوقيع الفرنجة على معاهدة سلام مع سفراء الخليفة عبد الرحمن الناصر[5] .

كما وقّع عقد الصلح مع ممثلي الخلافة الأموية بالاضافة إلى شنير Sunier أمير قطلونية ، وولداه ميرون وبوريل وكبار الاقطاعيين في إمارته[6] . وأرسل شنير ابنه ميرون إلى بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر لتوثيق عقد الصلح[7] ، وقد ناشد أنجه فيكونت آرلس أحد كبار الاقطاعيين في إمارة قطلونية وأحد الموقعين على عقد السلام ، الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، بتأمين إقليمه الساحلي من عدوان أساطيل جزر البليار وقاعدتها المتقدمة فرخشنيط

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٤١٩ .
ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٠٨ .
(٢) أخبار مجموعة : ١٥٥ - ١٥٦ . والمسعودي : مروج الذهب ج٢ ، ص٣٧ - ٣٨ .
ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٤٣٢ وما بعدها .
ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص٣٥٧ .
(٣) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص٨١ .
(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٤٥٤ .
(٥) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص٨١ ، ٨٥ .
(٦) كان من كبار الإقطاعيين في إمارة قطلونية الذين وقعوا عقد السلام مع الخلافة الأموية أنجة فيكونت آرلس وماري ويكيلا أرملة أودون فيكونت أربونة « التي أرسلت إلى بلاط الخليفة الناصر سفارة على رأسها برناط الإسرائيلي ثقتها بغرائب من طرائف بلدها المستحسنة فقبلها الناصر وكافأها بأنفس منها وأكرم رسلها . . » (ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص٤٥٤ - ٤٥٥ والحواشي) .
(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣١١ .

« فراكسنيت » Fraxinet في جنوب شرق بلاد الفرنجة ، فأنفذ الخليفة الناصر عهد السلام الذي تمّ توقيعه مع ممثلي إمارة قطلونية . . « . . إلى نصر بن أحمد القائد بفرخشنيط « فراكسنيت » وإلى عمال الجزائر الشرقية (البليار) والمراسي الساحلية بأرض الأندلس بتأمين جميع المختلفين من بلد أنجه وغيره ممن سولم من هذه الأمة ، على دمائهم وأموالهم وكل ما تضمنته سفنهم ، يتصرّفون في تجارتهم حيث شاؤوا ، فوردت مراكبهم إلى الأندلس من هذا الوقت وعظم الانتفاع بهم . . »[1] .

وكان عامل جزر البليار آنذاك (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) محمد بن عبد الملك بن عبدوس وعزل عنها ٣٢٩ هـ = ٩٤١ م وولّي مكانه جعفر بن عثمان المصحفي[2] .

وجنح الفرنجة في إمارة قطلونية إلى السلم بعد توقيع معاهدة السلام مع الخلافة الأموية في الأندلس ٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م ، ولم تشر مصادرنا الإسلامية إلى نقضهم للعهد حتى بداية عهد الخليفة الحكم المستنصر ، الذي استخلف بعد وفاة والده الناصر في شهر صفر ٣٥٠ هـ = أكتوبر ٩٦١ م[3] .

وكان هذا النقض للعهد في شهر رجب ٣٥٣ هـ = يوليو ٩٦٤ م ، حيث أغارت قوات إمارة قطلونية على الثغر الأعلى الإسلامي وعاثت فيه فساداً وتدميراً[4] .

وما إن بلغت الأنباء إلى الخليفة الحكم المستنصر بعدوان إمارة قطلونية على الثغر الأعلى الإسلامي ، حتى توجه بنفسه إلى المريّة ، كبرى قواعد البحرية الأندلسية في جنوب شرق الأندلس ، للإشراف على تنسيق تحركات أساطيل الثغور الشرقية ، لمساندة قوات أحمد بن يعلى ، عامل الثغر الأعلى في مواجهة قوات إمارة قطلونية . وقد انضم أسطول المريّة الذي جدده الحكم المستنصر وزاد في عدده واستكثر من عدده حتى بلغ عدد قطعه ثلاثمائة[5] إلى أسطول جزر البليار بقيادة الموفق الصقلي[6] . واتجه الأسطولان إلى طرطوشة حيث انضم إليهما أسطولها

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧٢ . وفي عام ٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م الذي عقدت فيه معاهدة السلام بين سفراء الخليفة عبد الرحمن الناصر والفرنجة في إمارة قطلونية (المقتبس ج ٥ ، ص ٤٥٤) أهدى غرماز أسقف جرندة للحكم ابن عبد الرحمن الناصر ولي العهد كتاباً عن « تاريخ ملوك الفرنجة » . (المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٦) .
(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٥٨ - ٥٩ .
(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .
(٥) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

بقيادة عامل الثغر الأعلى القائد البحري أحمد بن يعلى ، وقد تمكنت الأساطيل الأندلسية المؤتلفة بالتعاون مع القوات البرية الأندلسية المرابطة في الثغر الأعلى بقيادة يحيى بن محمد التجيبي من دحر الفرنجة في إمارة قطلونية ٣٥٣ هـ = ٩٦٤ م « . . وورد كتاب أحمد بن يعلى إلى الحكم المستنصر في طرطوشة بنصر الله وصنعه الكريم . . »[1] . واستكان الفرنجة في إمارة قطلونية بعد الهزائم المتلاحقة التي أوقعتها في صفوفهم القوات البرية والبحرية الأندلسية ، وأرسلوا إلى الخليفة الحكم المستنصر سفارة لمناشدته تجديد العهد . ويقول ابن حيان في هذا الصدد في حوادث عام ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م « . . وبعث قوامس (كونتات) الفرنجة بريل (بوريل Borrel)وميرون Miron أبناء شونير Sunier ملك « أمير » برشلونة وطركونة وغيرهما يسألان تجديد العهد وإقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية قيمة . . فقبل هديتهم وعقد لهم على أن يهدموا الحصون التي بقرب الثغور وعلى أن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم . . »[2] . وقد أسهمت أساطيل جزر البليار بدور كبير في هزيمة قوات إمارة قطلونية في عهد الخليفة الحكم المستنصر تحت قيادة عاملها الموفق الصقلي ٣٤٣ - ٣٥٩ هـ = ٩٥٥ - ٩٦٩ م الذي أنشأ « الأساطيل وغزا بلاد الإفرنج »[3] في إمارة قطلونية وفي الثغور الجنوبية لبلاد الفرنجة . ويذكر المؤرخ الميورقي الباروكمبانير « بأن الموفق عامل جزر البليار أنشأ أسطولاً كبيراً استخدمه في مهاجمة البلاد المسيحية كإمارة قطلونية ، بل إنه وصل في حملاته البحرية إلى الشواطىء الفرنسية . . » ويضيف إلى ذلك قائلاً . . « إن من الطبيعي أن يسهم المسلمون الميورقيون في مثل هذه الأعمال العسكرية بحكم قربهم من شواطىء قطلونية وبحكم ما تميزوا به دائماً من روح المغامرة ومن الرغبة في المشاركة في الجهاد . . »[4] .

وظلت إمارة قطلونية تسالم الخلافة الأموية في الأندلس حتى نهاية عهد الحكم المستنصر وترسل السفارة تلو السفارة لإعلان طاعتها . وكان من أبرز السفارات التي ذكرها ابن حيان بالتفصيل السفارة التي أرسلها الكونت بريل « بوريل » Borrel ابن شنير Sunier إلى العاصمة قرطبة في عام ٣٦٠ هـ = ٩٧١ م لإعلان طاعته وولائه[5] وسفارة عام ٣٦٣ هـ = ٩٧٣ م التي أرسلها الكونت بوريل Borrel إلى بلاط الحكم المستنصر لنفس الغرض[6] . وبعد وفاة الحكم المستنصر ٣٦٦ هـ = ٩٧٦ م بويع من بعده لابنه المعتوه هشام المؤيد[7] ، وأصبح مصير الخلافة الأموية بل

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .
(٤) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٤ - ٤٦ .
(٥) ابن حيان : قطعة من عهد الحكم المستنصر ، ص ٢٠ ، تحقيق د . الحجي ص ٢٠ وحاشية « ١ » .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٢ .
(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

مصير بلاد الأندلس بأسرها في يد الصقالبة حرّاس القصر وعلى رأسهم فائق وجؤذر ، وفي يد الطامعين في السلطة وعلى رأسهم محمد بن أبي عامر ، وجعفر بن عثمان المصحفي والقائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن ، وصبح البشكنسية أم الخليفة القاصر هشام المؤيد ، واستطاع محمد بن أبي عامر بذكائه وجرأته وطموحه أن يصل إلى أعلى المراتب وأن يقضي على كل القوى المناوئة ، وحجز على الخليفة هشام المؤيد ، وتلقب بالمنصور ودعي باسمه على منابر الأندلس[1] .

ونفي فائق كبير الصقالبة بقصر الخلافة بالزهراء إلى جزيرة ميورقة[2] وكان كبير فتيانه ورئيس حرّاسه « الميورقي » من هذه الجزيرة[3] ، وقام المنصور محمد بن أبي عامر باثنتين وخمسين حملة على ممالك وإمارات أسبانيا المسيحية ومن بينها إمارة قطلونية وانتصر في جميع هذه الحملات[4] .

وقد أسهمت أساطيل جزر البليار بدور كبير في مساندة قوات المنصور بن أبي عامر البرية في حملاتها على إمارة قطلونية[5] .وكان يحكم هذه الجزر في فترة استبداد المنصور بن أبي عامر بحكم الأندلس ، العامل كوثر ٣٥٩ - ٣٨٩ هـ = ٩٦٩ - ٩٩٨ م ، ويذكر عنه ابن خلدون ما يلي « .. ولّى الحكم المستنصر بعد وفاة الموفق عامل الجزائر الشرقية (البليار) الذي أنشأ الأساطيل وغزا بلاد الفرنجة .. كوثر من مواليه ، فجرى على سنن الموفق في جهاده ، وهلك ٣٨٩ هـ = ٩٩٨ م » وبعد وفاته ولّى مكانه مقاتل أحد كبار مواليه .. ويذكر عنه ابن خلدون ما يلي « .. كان كثير الغزو والجهاد وكان المنصور وابنه المظفر يمدانه في جهاده إلى أن هلك مقاتل ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م أزمان الفتنة[6] .

ويذكر المؤرخ الأسباني دياخو Diago ، بأن أسطول جزر البليار ضرب حصاراً بحرياً على برشلونة وأسهم في اقتحامها مرتين في عهد الخليفة هشام المؤيد ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ = ٩٧٦ -

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥١ وما بعدها .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حُلى المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٨ - ٣٢١ .
ود . خالد الصوفي : تاريخ العرب في اسبانيا - عصر المنصور - ص ٣٩ - ٤١ ، ٦٦ - ٦٧ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤١٠ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ . والمقري : نفح الطيب ج ١ ، ص ٣٩٨ ، ٤٠٢ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٤ - ٤٦ .
ودومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٨٨ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

١٠٠٨ م ، ويؤكد نفس الرواية المؤرخ الأسباني ثوريتا Zurita[1] . وتتفق مصادرنا الإسلامية مع ما ورد في المصدرين الآنفي الذكر ، فمن المعروف بأن المنصور محمد بن أبي عامر أغار على برشلونة ثلاث مرات ولم يقتحمها إلا في المرة الثالثة ؛ وكانت غارته الأولى في شهر شوال ٣٦٧ هـ = مايو ٩٧٨ م « صائفةً جمع بها بين بنبلونة وبسيط برشلونة .. » ،كما كانت غارته الثانية أيضاً على « بسيط برشلونة » في محرم ٣٧٤ هـ = يونيو ٩٨٤ م[2] ، وقد تمكن في غارته الثالثة في ذي الحجة ٣٧٤ هـ = مايو ٩٨٥ م من اقتحام مدينة برشلونة وفتحها ، بمساندة القوات البحرية في منتصف شهر صفر ٣٧٥ هـ = يوليو ٩٨٥ م ، بعد سحق كل مقاومة وقلب المدينة رأساً على عقب وتدميرها تدميراً شديداً . وقد أدى الحريق الذي شب فيها بفعل القذائف الملتهبة إلى إخلائها من سكانها الذين فروا منها وتركتها القوات الأندلسية قاعاً صفصفاً[3] ،وقد أسهم أسطول جزر البليار في هذه الحملة بالتعاون مع أسطول طرطوشة بفرض حصار بحري على مدينة برشلونة[4] ، وكان قائد أسطول البليار كوثر الصقلبي الذي اشتهر بجهاده ضد الفرنجة[5] .

ففي الوقت الذي أقتحم فيه المنصور المدينة بقواته البرية ، اقتحمت القوات البحرية التي أنزلتها أساطيل طرطوشة إلى الساحل ، مدينة برشلونة من ناحية البحر ؛ وتذكر بعض المدونات الفرنجية بأن أسطول البليار عاد بعد هذه الحملة المظفرة إلى جزيرة ميورقة محمّلًا بعدد كبير من الأسرى والسبايا ، وتزعم بأنه كان من السبايا راعية دير سان بيدرو دي لا بويلاس San Pedro del Puellas مع راهبات الدير ، كما أسر الفيكونت أدلر قائد حامية برشلونة وقضى في الأسر أعواماً عديدة[6] . وقد أحاط الغموض بمصير بوريل الثاني أمير قطلونية ، وزعمت بعض المصادر أنه توفي في المعركة[7] . ولكن الرواية التي تأكدت صحتها هي أنه فرّ من المعركة وتوفي سنة

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٥ - ٤٦ .
(٢) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ٧٥ ، ٧٩ .
(٣) العذري : نصوص عن الأندلس ، ص ٨٠ ، وابن الأبَّار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٥١ - ٢٥٣ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ وأعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٤٩١ . وعنان : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الثاني ، ص ٤٩١ . ود . خالد الصوفي : تاريخ العرب في اسبانيا/عصر المنصور الأندلسي ، ص ١٢٧ .
(٤) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٥ .
ودومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٨٨ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٥ .
(٧) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق د . العبادي صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد مج ١٣ لسنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ . ص ٦٣ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٥ .

٣٨٢ هـ = ٩٩٢ م ، بعد الفتح الأول لبرشلونة في عهد المنصور بن أبي عامر بسبع سنين[١] ، وكان الفتح الثاني لبرشلونة الذي أسهم فيه أسطول البليار بدور بارز على يد الحاجب عبد الملك المظفر وابن المنصور[٢] الذي استبد بحكم بلاد الأندلس بعد وفاة والده المنصور في رمضان ٣٩٢ هـ = أغسطس ١٠٠٢ م ، وقلده الخليفة هشام المؤيد الوزارة والحجابة وتلقب بالمظفر وسيف الدولة ، وغزا سبع غزوات كانت الأولى منها إلى برشلونة كبرى قواعد إمارة قطلونية في شعبان ٣٩٣ هـ = يونيو ١٠٠٣ م[٣] .

ويعود سبب قيام الحاجب عبد الملك المظفر بحملة كبرى إلى إمارة قطلونية ، إلى إهمال والده المنصور لشأن برشلونة بعد اقتحامها وتدميرها ، فلم يترك فيها أي حامية عسكرية ، مما مكن قوات قطلونية من تجميع صفوفها واستعادتها والتحصن فيها بمساعدة قوات بحرية فرنجية[٤] والتحرش بالثغر الأعلى الإسلامي بعد وفاة المنصور محمد بن أبي عامر مما اضطر عبد الملك المظفر إلى إعداد حملة كبيرة للإغارة على برشلونة في شهر رجب ٣٩٣ هـ = مايو ١٠٠٣ م واستطاع بعد معركة عنيفة من اقتحام أسوار برشلونة والاستيلاء على حصني ممقصّر ومدنيش في شهر شعبان ٣٩٣ هـ = يونيو ١٠٠٣ م ، وعاثت قواته في بسيط برشلونة ، وشتّى أرجاء إمارة قطلونية ، وتمكنت على أثر ذلك من فتح ستة حصون وتدمير خمسة وثمانين حصناً ، وعادت مكللة بالنصر في شهر شوال ٣٩٣ هـ = أغسطس ١٠٠٣ م وقد ترك عبد الملك المظفر في الحصون المفتوحة حاميات إسلامية لإحكام سيطرته على إمارة قطلونية[٥] ، وكان أسطول ميورقة بقيادة مقاتل ، عامل جزر البليار يساند الحاجب المظفر في حملته المظفرة على الفرنجة في إمارة قطلونية[٦] . وأسهم الميورقيون في اقتحام مدينة برشلونة كما أسهموا من قبل في حملة المنصور محمد بن أبي عامر بالتعاون مع أسطول طرطوشة ، ويعلّق المؤرخ الميورقي الباروكمبانير على هذه الرواية بقوله : « إن من الطبيعي أن يسهم المسلمون الميورقيون بمثل هذه الأعمال العسكرية بحكم قربهم من شواطىء إمارة قطلونية وما تميزوا به دائماً من روح المغامرة والرغبة في المشاركة في الجهاد ضد

---

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، حاشية « ١ » ص٦٣ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٥ – ٤٦ .
(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص١٧ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص٢١ .
وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٠١ – ٢٠٢ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص٤ – ٨ .
(٤) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس – العصر الأول – القسم الثاني ، ص٤٩٥ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص٤ – ٨ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٢٠١ – ٢٠٢ . وابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٦٧٨ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص٨٤ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٣ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٥ – ٤٦ .

المسيحيين . . »[١] .

وما كاد أن يصل الحاجب عبد الملك المظفر إلى بلاطه بالزاهرة عائداً من حملته المظفرة على إمارة قطلونية ، حتى وفد عليه رسل الكونت رامون بوريل الثالث يطلبون عقد الصلح وتجديد العهد ، وكانت آخر سفارة من نوعها استقبلت فيها رسل النصارى من إمارة قطلونية بالأبهة والفخامة المعتادة في قصر الزاهرة[٢] .

فقد نشبت في بلاد الأندلس فتنة داهمة عقب وفاة الحاجب عبد الملك المظفر وتولية أخيه الأحمق شنجول من بعده ، أدت إلى تمزق بلاد الأندلس مما كان له أفدح الآثار على مصير جزر البليار[٣] .

تمزق الأندلس إلى ممالك طوائف وأثر ذلك على البليار

بعد وفاة الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور في شهر صفر ٣٩٩ هـ = اكتوبر ١٠٠٨ م[٤] ، تولى أخوه عبد الرحمن الحجابة من بعده وتلقّب بالناصر وبالمأمون وكان يدعى « بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة . . »[٥] وقد غلب عليه لقب شنجول Sanchuelo[٦] ، وكان وبالاً على الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس ، فقد دفعه حمقه وطيشه إلى التطلع إلى الخلافة ، وهدّد الخليفة هشام المؤيد بالفتك به ، إن لم ينصبه ولياً لعهده وخليفة من بعده[٧] . وسرعان ما استجاب الخليفة الأموي الضعيف إلى طلبه وولّاه عهده في يوم مشهود حضره أهل الحل والعقد

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٤٥ – ٤٦ .
(٢) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة المجلد الأول – القسم الرابع ، ص٩٤ .
(٣) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص٦٧ وما بعدها ، تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد مج ١٣ لسنة ١٩٦٥ – ١٩٦٦ .
ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٨٤ وما بعدها .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٤٩٨ وما بعدها .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ج٣ ص١٥ – ١٦ . وابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٦٧٩ .
والمقري : نفح الطيب ج١ ص٤٢٤ .
(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص٨٩ – ٩٠ .
(٦) شنجول : Sanchuelo – تصغير لاسم سانشو « شانجة » ، وقد أطلقت هذا الاسم على عبد الرحمن بن المنصور أمه عبده « بنت شانجة النصراني لكونه أشبه الناس بجده شانجة » سانشو غرسية ملك نفارا « نبرة » Sancho Garces II (ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص٣٨ .
وابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق د . أحمد مختار العبادي حاشية « ٥ » ، ص٦٦) .
(٧) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص٦٧ ، تحقيق د . أحمد مختار العبادي .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص٣٩ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٦٧٩ .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٤٢٤ .

في قرطبة عاصمة الخلافة[١] ، وبعد أن ارتكب شنجول هذه الحماقة لم يطل به الأمر ، فقد كانت النفوس معبأة بالحقد والنقمة على بني عامر وشيعتهم ، لاستبدادهم بالحكم في الأندلس وحجرهم على الخليفة هشام المؤيد وإبعادهم العرب عن مناصب الدولة واستعانتهم بالصقالبة والبربر في توطيد دعائم حكمهم[٢] . ولاحت الفرصة المواتية للانقضاض عليهم بينما كان شنجول بعيداً عن العاصمة قرطبة على رأس حملة عسكرية في جليقية؛ وتزعم حركة الثورة المناهضة للعامريين أمير أموي من القتال يدعى محمد بن هشام بن عبد الجبار ، أغتال العامريون والده في حركة مماثلة ، أجهضت في مهدها ، ونجح ابن عبد الجبار في الإطاحة بشنجول بعد أن تخلّى عنه أنصاره ، وقتله وصلبه في جمادى الآخرة ٣٩٩ هـ = فبراير ١٠٠٩م ،وخلع هشام المؤيد وأخفاه ، وادعى أنه مات ، وأعلن نفسه خليفة باسم المهدي[٣] .ونشبت منذ ذلك الحين فتنة داهمة في قرطبة عاصمة الخلافة سرعان ما عمّت شتى أرجاء الأندلس وأسفرت عن زوال الحكم الأموي في بلاد الأندلس بعد خلع هشام بن محمد المعتد بالله آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس في ذي الحجة ٤٢٢ هـ = ديسمبر ١٠٣١ م ، وعن تمزّق بلاد الأندلس إلى دويلات متصارعة عرفت باسم « دول ملوك الطوائف »[٤]وتشتت بنو أمية في شتى الأقطار ومنهم من لجأ إلى جزر البليار وطال مقامهم فيها ، ذكر ابن حزم أسماء بعض أعقابهم في هذه الجزر[٥] ، وكان يحكم جزر البليار عند نشوب الفتنة الداهمة في الأندلس ، مقاتل الصقلي حتى سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م[٦] ، التي قتل فيها الخليفة هشام المؤيد[٧] .

وما إن انتثر عقد الخلافة الأموية في بلاد الأندلس ، حتى استولى على كل ناحية منها متغلب من ملوك الطوائف الذين تلقبوا بألقاب الخلافة[٨] .وكان من بين هؤلاء الملوك مجاهد العامري

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٢١ - ٣٢٣ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٧٨ ، ٢٩٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٢٠ .
(٣) الحميدي : جذوة المقتبسْ ، ص١٧ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص٢١ .
وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٨٦ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص٥٣ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٢٣ - ٣٢٤ .
والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٤٢٦ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٥١ - ١٥٣ ، ٢٨٧ . وابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٨٤ وما بعدها . والمقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص٤٩٨ .
(٥) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٩٩ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٣ - ٣٥٤ .
(٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص١٢٠ .
(٨) ابن الكردبوس : قطعة من الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص٦٨ . =

أحد كبار موالي بني عامر ، الذي نجح بما عرف عنه من ذكاء وشجاعة وطموح ، في تأسيس مملكة له ولأعقابه في ثغر دانية بشرق الأندلس وفي جزر البليار ، وتلقب بالموفق وأبي الجيش[١] . وأصبحت مملكة دانية وجزر البليار تحت حكم الأسرة المجاهدية العامرية ، من أعظم دول ملوك الطوائف في الأندلس ، وكبرى قواعد الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٢] .

= وابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - القسم الثالث - المجلد الأول ، ص ١٣ وما بعدها . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ١٥١ - ١٥٣ ، ٢٨٧ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٨٤ وما بعدها ، وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص١٤٤ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٣٦ وما بعدها . وأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٥ ، ص٢٤٨ .
(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٣٥٢ ، ترجمة رقم ٨٢٩ . وابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - القسم الثالث - ج ١ ، ص٢٢ - ٢٤ .
والضبّي : بغية الملتمس ، ص٤٧٢ ، ترجمة رقم ١٣٨٠ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٥٤ وما بعدها . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ى٢ ، ص٤٠١ . وابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٩٠ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص٣٥٤ وما بعدها .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص٢١٧ وما بعدها .
والقلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٥ ، ص٢٥٦ وما بعدها .
(٢) شكيب أرسلان - تاريخ غزوات العرب - رينو - ص٢٥٧ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٧٠ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٣١٣ .

الفصل الثالث

المملكة المجاهدية العامرية في دانية والبليار

الفترة الأولى

عهد مجاهد العامري

٤٠٠ - ٤٣٦ هـ = ١٠٠٩ - ١٠٤٥ م

مجاهد العامري - أصله ونشأته

يحيط الغموض بأصل مجاهد فحيناً يدعى بالصقلبي [١]، وحيناً آخر يدعى بالرومي [٢]، وحيث أن مدلول كلمة صقلب «Esclave» بمعنى الرقيق كان يشمل الأرقاء الذين كانوا يجلبون إلى البلاد الإسلامية، من شتى أنحاء أوروبا المسيحية بما فيها أسبانيا [٣]، ونظراً لأن كلمة رومي كانت تطلق في المصطلح الأندلسي على من تعود أصولهم إلى جذور أسبانية [٤]، لهذا فإنني أرجح ما ذكره المستشرق أماري Amari من أن مجاهد العامري من أصل أسباني [٥]. ويؤكد هذا الرأي المؤرخ الإيطالي سفورزا Sforze [٦]، كما تؤكده رسالة الكاتب الشعوبي أحمد بن غرسية الأسباني

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٧١ و٧٧.
ود. أحمد مختار العبادي: الصقالبة في اسبانيا، ص٢١.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائفُ، ص١٨٨.
(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١١٧.
وياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٧، ص٨٠.
(٣) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص١٠٦. وشكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ج١، ص٤٦ - ٤٧، وحاشية ١/٤٦.
ود. أحمد مختار العبادي: الصقالبة في اسبانيا، ض٨ - ٩.
(٤) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص١٢٤.
(٥) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص١٨٨.
(٦) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص١٢٤.

الأصل الذي عاش في كنف مجاهد [١]، حيث يقول في إحدى فقرات رسالته مدافعاً عن الأصل الرومي «الأسباني» لآل مجاهد «أرومة رومية وجرثومة أصفرية» [٢]. وقد دعي مجاهد بالعامري لأنه كان أحد موالي بني عامر [٣]، نشأ في قرطبة [٤] تحت رعاية المنصور بن أبي عامر الذي اعتنى بتربيته وتعليمه [٥]. وبرع مجاهد في علوم القرآن والحديث واللغة العربية [٦]، فقد انشغل بالدراسة من صباه مع أعرق فتيان قرطبة أصالة ومكانة، ويدلنا على ذلك رسالة أبي عامر عبد الملك بن شهيد من أعرق الأسر القرطبية ومن الأدباء البلغاء [٧]، التي يقول فيها مخاطباً مجاهد العامري «كنا تربي صحبة وحليفي صبوة قد تخلينا عن الأنساب وانتسبنا إلى الآداب» [٨].

كما برع مجاهد العامري بالفروسية فجمع بين السيف والقلم، مما حفز كاتباً أديباً هو أحمد بن برد «من أهل بيت علم ورياسة» في قرطبة أن يكتب رسالة في السيف والقلم والمفاخرة بينهما [٩]، باسم مجاهد الذي جمع بين رفعة العلم ومجد الفروسية [١٠]. ومما يدعو للتساؤل هو أن اسم والد مجاهد العامري «عبد الله» في إحدى الروايات [١١] وفي رواية أخرى يوسف بن علي [١٢]، فهل كان والد مجاهد قبل اعتناقه الإسلام واتخاذه اسم «عبد الله» أو «يوسف» من النصارى الإسبان، الذين أعلنوا ولاءهم للمنصور بن أبي عامر قبل أن يعتقه عبد الرحمن بن المنصور كما

---

(١) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٠٦ - ٤٠٧.
(٢) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث، المجلد الثاني ص٧٠٧. ود. أحمد مختار العبادي: الصقالبة في اسبانيا، ص٣١.
(٣) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١١٧. وابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٥٥. وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤.
(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص٣٥٣. بغية الملتمس، ص٤٧٢.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤.
(٦) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - القسم الثالث - المجلد الأول ص٢٣. وابن خلدون: العبر ج٤ ص٣٥٤.
(٧) الحميدي: جذوة المقتبس ص١٣٣ ترجمة رقم ٢٣٢.
(٨) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - القسم الأول/المجلد الأول ص١٩٣.
(٩) الحميدي: جذوة المقتبس، ص١١٥ ترجمة رقم ١٩٢.
والضبّي: بغية الملتمس، ص١٦٤ - ١٦٥ ترجمة رقم ٣٥٤.
(١٠) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥ ص٤١.
(١١) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٤٠١.
والحميري: الروض المعطار، ص٥٣٩.
(١٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص١٨٨.

يقول الأستاذ عنان[١]. إن هناك شواهد عديدة مماثلة في التاريخ الأندلسي منها على سبيل المثال والد «نصر الفتى» أحد موالي بني أمية في الأندلس، الذي ظلّ «أعجمي اللسان» (أسباني) بينما وصل ابنه «أبو الفتح نصر الخصي» إلى أرفع مكانة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[٢]. أم أن مجاهد العامري أحد الأرقاء نسب نفسه لأب مسلم لرفع مكانته بين رعاياه المسلمين عندما أصبح من كبار ملوك الطوائف كما تقول كليليا سارنللي[٣]... ولو فرضنا ما قالته المؤرخة الإيطالية كليليا صحيحاً، فكيف نفسّر وجود أم له تدعى جود وكانت نصرانية وظلّت على دينها مع أخت لها، كما كان له أخ وأخوات عاشوا تحت رعايته وكانوا مسلمين[٤]، كما كان له ابن أخ يدعى عبد الله ولّاه عاملًا على البليار[٥].

فإن صحّت هذه الروايات فمعنى ذلك أن مجاهد العامري نشأ في أسرة مسلمة تحت رعاية أب مسلم، وإن ظلّت والدته جود على دينها، وأن ولاءه لبني عامر كان نتيجة لكون والده قبل عتقه من مواليهم كما يقول الأستاذ عنان[٦].

ومهما يكن الأمر فقد تمكن مجاهد العامري بما عرف عنه من همة وصلابة، وما تميز به من طموح وشجاعة وفروسية، أن يؤسس له ولأعقابه من بعده مملكة في «دانية والبليار» وأن يصل إلى مكانة عظمى في تاريخ الأندلس، بل وفي تاريخ الحوض الغربي للبحر المتوسط بأجمعه[٧].

---

(١) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص١٨٨.
(٢) الخشني: قضاة قرطبة، ص٦٤.
وابن حيان: المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص٨ وحاشية ٤٩ ص٤٣٩ - ٤٤٠.
(٣) كليليا سارنللي تشرّكوا: مجاهد العامري، ص١٢٤ - ١٢٥ وحاشية ١٢٥/١.
(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٥٦٧.
وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص٢٢١.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤.
(٦) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص١٨٨.
(٧) الحميدي: جذوة المقتبس، ص٣٥٣ - ٣٥٤ ترجمة رقم ٨٢٩.
وابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث، المجلد الأول، ص٢٢ - ٢٤.
والضبّي: بغية الملتمس، ص٤٧٢ - ٤٧٣ ترجمة رقم ١٣٨٠.
وعبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٢٧.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج٣ ص١٥٥ - ١٥٦. وابن الأثير: الكامل ج٩ ص٢٩٠.
والحميري: الروض المعطار، ص٣١٤.
وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢ ص٤٠١.
وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ص٢١٧ - ٢٢١.
=
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤.

استيلاء مجاهد العامري على دانية ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م

كان مجاهد العامري قبل نشوب الفتنة في بلاد الأندلس ٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م أحد كبار فتيان الحاجب عبد الملك المظفر[١]، وبعد وفاته أصبح كبير فتيان أخيه الحاجب عبد الرحمن الناصر الملقب بشنجول[٢]، وقد تخلّى مجاهد العامري كبقية كبار قادة الجيش الأندلسي عن شنجول، عند نشوب الفتنة في قرطبة بقيادة محمد بن هشام عبد الجبار المهدي، لسوء تصرفات شنجول وحماقته[٣]. وظلّ في قرطبة يتابع الأحداث الدامية في عاصمة الخلافة ويتحين الفرص لتحقيق طموحه إلى المجد والسؤدد. ولاحت الفرصة المواتية بعد مقتل الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي على يد الموالي العامرية، وعودة الخليفة هشام المؤيد إلى سدة الخلافة، وفي نفس اليوم الذي قتل فيه الخليفة المهدي، غادر مجاهد العامري قرطبة على رأس جماعة من أتباعه إلى شرق الأندلس لتحقيق طموحاته في إرساء صرح مملكة له ولأعقابه[٤]، وكان ذلك في الثمن من ذي الحجة ٤٠٠ هـ = ٢٤ يوليو ١٠١٠ م[٥]. وبعد جهود مضنية نجح مجاهد العامري في الاستيلاء على ثغر دانية وما حولها في شرق الأندلس، وكوّن نواة مملكة في هذا الإقليم الاستراتيجي المطل على الحوض الغربي للبحر المتوسط والمحاذي لجزر البليار[٦]، وأعلن بيعته للخليفة هشام المؤيد الذي أقرّه على ولايته وسكّ عملة في ألوطة[٧] تحمل اسمه واسم الخليفة هشام المؤيد في عامي ٤٠٢ هـ = ١٠١١ م و ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م[٨]. وقد جذبت شهرة مجاهد العلمية أعداداً كبيرة من الأندلسيين إلى دانية خاصة من العاصمة قرطبة، التي كان يعاني أهلها من الحرب الأهلية آنذاك. كما جذبت فروسيته فرسان الأندلس الذين وفدوا على دانية

= والقلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٥، ص٢٥٦.
وشكيب ارسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب، ص٢٥٧.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البااليار، ص٦٩ - ٧٠.
(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص١٠٤.
(٢) الحميدي: جذوة المقتبس ص٣٥٢ - ٣٥٣. والضبّي: بغية الملتمس، ص٤٧٢.
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ج٣، ص٦٨ وما بعدها.
(٤) ابن خلدون: العبر ج٤ ص٣٥٤.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٠٠.
(٦) ابن الأثير: الكامل ج٩، ص٢٩٠. وابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١١٦، ١٥٥.
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤.
(٧) ألوطة: بلدة شمال دانية على الطريق بينها وبين سرقسطة. (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٢، ص١٢٧).
(٨) أنطونيو بريتوفيفس: ملوك الطوائف، ص١٣٤.
وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص١٤٥ - ١٤٧ والحواشي ١، ١٤٦/٢.

زرافات ووحداناً ، وكان مجاهد يختار منهم من اشتهروا بالفروسية والشجاعة ويضمهم إلى جيشه الذي أصبح بفضل براعته العسكرية من أعظم جيوش الأندلس في عهد ملوك الطوائف[1] .

كما دفعته همته إلى إنشاء أسطول بحري في دار الصناعة في دانية ، يعتبر من أقوى الأساطيل الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط في مطلع القرن الخامس للهجرة ، ويعود الفضل في ذلك إلى عراقة سكان ساحل الأندلس الشرقي في البحرية وتوفر غابات الصنوبر الجيد في المناطق المحيطة بدانية ، خاصة في الجبال المحيطة بحصن قلصة ، وما كانت تدره الزراعة والتجارة عليه من ثروات وافرة . وأصبح مرسى السمان المنيع في دانية الفائقة الحصانة قاعدة أسطول مجاهد العامري الذي كان يتطلع إلى تأسيس مملكة مترامية الأطراف تشمل شرق الأندلس وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط[2] . ومن أجل تحقيق تطلعاته وإضفاء الشرعية على حكمه بعد مقتل الخليفة هشام المؤيد ذا القعدة ٤٠٣ هـ = مايو ١٠١٣ م[3] واستشراء الفتنة في قرطبة بعد اقتحامها من قبل البربر واعتلاء .سليمان بن حكم المستعين بالله سدة الخلافة على يد البربر[4] ، قام مجاهد العامري بمبايعة أمير أموي يدعى عبد الله المعيطي خليفة في مملكته[5] .

مبايعة مجاهد العامري لعبد الله المعيطي خليفة في مملكته

سبق مجاهد العامري غيره من ملوك الطوائف في استغلال عواطف أهل الأندلس الذين كانوا يتطلعون إلى خليفة أموي قوي يلتفون تحت رايته ، لما كان للخلافة الأموية في الأندلس من ذكريات عزيزة على نفوسهم وأمجاد يعتزّون بها ، فبالرغم من مقتل الخليفة هشام على يد محمد ابن سليمان بن المستعين بالله في ذي القعدة ٤٠٣ هـ = مايو ١٠١٣ م فقد ظل أهل الأندلس يلهجون بذكره بعد أن أخفى قاتلوه أثره مما أحاط الغموض بمصيره[6] . وظل اسمه يتردد على المنابر

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث/المجلد الأول ، ص٢٢ – ٢٤ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢١٨ .
(٢) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص١٩ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٠٠ .
الإدريسي : صفة المغرب والسودان ومصر والأندلس ، ص١٩٥ .
والحميري : الروض المعطار ، ص٢٣٢ .
وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٣٤ .
(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص١٢٠ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص١١٢ – ١١٣ .
(٥) ابن بشكوال : الصلة/القسم الأول ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ .
(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص١٢٠ .

قرابة الخمسين سنة بعد وفاته ، وظهر عدد من الأدعياء الذين استغلهم ملوك الطوائف وأعلنوا البيعة لهم[1] ، وقد أطلق الأوربيون على هذه الظاهرة اسم « سراب الخلافة » La fiction Califale[2]. وقد استغل مجاهد العامري هذا التطلع إلى خليفة أموي وأعلن بيعته لأمير أموي يدعى عبد الله بن عبد الله المعيطي قدم إلى دانية من قرطبة ومعه « خلق كثير . . » وكان فقيهاً لامعاً من « أهل النبل والشرف والذكاء . . »[3]. وأسقط في يد سليمان بن حكم المستعين بالله ، الذي نصّبه البربر خليفة في قرطبة عندما بلغه مبايعة مجاهد العامري للمعيطي خليفة في شرق الأندلس ، ولم يحرّك ساكناً لعبور علي بن حمود الإدريسي أمير سبتة على رأس قواته إلى مالقة في جنوب شرق الأندلس وادعائه أن الخليفة هشام المؤيد ولاه عهده وأنه المطالب بدمه وبالخلافة من بعده[4] ، وهذا مما مكّن مجاهد العامري من مبايعة أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الله المعيطي خليفة في دانية وملحقاتها في شرق الأندلس ولقّبه بالمنتصر بالله « وأثبت اسمه في سكته وإعلامه . . » ، وأطلق الخليفة عبد الله المعيطي المنتصر بالله على مجاهد العامري لقب « ذي الوزارتين »[5] ، وكان ذلك في شهر جمادي الثاني ٤٠٥ هـ = نوفمبر ١٠١٤ م[6] . وقد عثر على نقود سكت في ألوطة شمال دانية في عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م تحمل اسم الخليفة المعيطي ومجاهد العامري ، مما يؤكد دقة المعلومات التاريخية في المصادر الإسلامية عن تاريخ بيعة المعيطي[7] . وبعد خمسة أشهر من مبايعة عبد الله المعيطي المنتصر بالله خليفة في دانية ، أبحر مع مجاهد العامري على رأس أسطول بحري كبير للاستيلاء على جزر البليار[8] .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢١٣ .
(٢) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص٤٠ .
(٣) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول/ المجلد الأول ص٤١ .
وابن بشكوال : الصلة/القسم الأول ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص١١٥ – ١١٦ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٩٠ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٢٠ .
وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٤ .
والصفدي : مخطوط الوافي بالوفيات ، ج١٣ (رقم ٤٢٢٧) ، ص١٢٧ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص١١٦ .
(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٩٠ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٩٠ .
(٧) أنطونيو بريتو فيفس : ملوك الطوائف ، ص١٨١ .
(٨) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص١١٦ .

استيلاء مجاهد العامري على جزر البليار

أجمعت جميع المصادر التي بين أيدينا على أن مجاهد العامري استولى على جزر البليار « الجزائر الشرقية »[1] واختلفت في التفاصيل ، وأقدم النصوص التي عثرنا عليها بهذا الصدد هو ما ذكره الحميدي الميورقي وكان معاصراً لمجاهد العامري ونقل عنه الضبّي ، يقول فيه بأن مجاهد العامري استولى على جزر البليار بعد نشوب الفتنة في بلاد الأندلس ، وبعد استيلائه عليها توجه منها على رأس أسطوله في حملة بحرية على جزيرة سردانية ٤٠٦ هـ = ١٠١٦ م[2] ، بينما يذكر ابن عذاري النص المتناقض التالي الذي كان سبباً في البلبلة التي وقع فيها بعض المؤرخين المعاصرين ، يقول في الفقرة الأولى ، من هذا النصّ بأن مجاهد العامري استولى على مدينة دانية في بداية الفتنة التي نشبت في الأندلس ، وهذا ما أجمعت عليه المصادر والمراجع واعتمدناه ولا خلاف عليه ، ولكنه يضيف في فقرة أخرى بأن المنصور بن أبي عامر ولّى مجاهد العامري عاملاً على دانية[3] ، وإذا ما علمنا بأن المنصور بن أبي عامر توفي في عام ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م[4] ، لتبين لنا مدى تناقض هذا النص. ويزيد ابن عذاري نصه تعقيداً في فقرة لاحقة يقول فيها بأن مجاهد العامري كان عاملاً على جزر البليار عندما نشبت الفتنة في الأندلس ، فقام بتدعيم مركزه في هذه الجزر ، وتوجّه منها إلى دانية واستولى عليها ولقب نفسه بالموفق بالله. وهنا نقع في الحيرة من هذا التناقض الواضح في هذا النص ، ونتساءل أي الروايات هي الأصح ، استيلاء مجاهد على دانية في بداية الفتنة ، أم أن المنصور بن أبي عامر هو الذي ولّاه على دانية ، أم أنه كان عند نشوب الفتنة في بلاد الأندلس عاملاً على جزر البليار؟ ويزيد ابن عذاري نصّه هذا تعقيداً في الفقرة الأخيرة ، وهي الأصح في نظرنا ، حيث يقول بأن مجاهداً العامري توجه من دانية إلى جزر البليار واستولى عليها[5] . ويؤكد ابن

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ . وابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ٢٢ . والضبّي : بغيةُ الملتمس ، ص ٤٧٣ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١٦ و ١٥٥ . وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ ، ٤٦٦ . وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٨ . وابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٨٣ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٨ و ٣٥٤ . والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٥٤ . ومآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٥٥ . ورينو - تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٥٧ . وأماري : المكتبة الصقلية ، ص ٣ ، والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٧٠ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٤٧٣ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٤) المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

عذاري نفسه وجهة نظرنا حيث يقول في نص آخر في حوادث عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٥ م بأن عبد الله المعيطي الذي بايعه مجاهد العامري خليفة في مملكته أقام خمسة أشهر في دانية بعد مبايعته بالخلافة ، ثم صحب مجاهد العامري في حملة بحرية للاستيلاء على جزر البليار[1] ، وهذا ما يؤكده ابن الأثير وما نرجحه[2] . أما ابن خلدون فلم يحدد بدقة تاريخ استيلاء مجاهد العامري على جزر البليار ، واكتفى بالقول في أحد نصوصه بأن مجاهد العامري استولى على دانية والجزائر الشرقية « البليار » في بداية الفتنة الأندلسية[3] . كما ذكر ابن خلدون نصاً آخر يذكر فيه خبر استيلاء مجاهد العامري على دانية واستقلاله ، ومن ثم استيلائه على جزر البليار ، واستبداده بحكمها في عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م[4] . وقد أدى سوء فهم هذا النص عند بعض المؤرخين القدامى ومنهم القلقشندي على سبيل المثال ، إلى تقديرات خاطئة ، فقد ذكر في مآثر الأنافة بأن مجاهد العامري استولى على جزر البليار « ميورقة ومنورقة ويابسة » في عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م[5] . ولكنه تنبه إلى خطأه في صبح الأعشى ، حيث ذكر بأن مجاهد العامري استولى على جزر البليار دون أن يحدد التاريخ ، وأضاف إلى ذلك قائلاً « .. واستقل بملكها في سنة ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م[6] » . ونظراً لإجماع معظم المصادر القديمة والمراجع الحديثة التي تمكنا من الاطلاع عليها ، على أن مجاهد العامري استولى على جزر البليار في شهر ذي القعدة ٤٠٥ هـ = مايو ١٠١٥ م فقد اعتمدنا هذا التاريخ[7] ، الذي ارتبطت فيه جزر البليار ارتباطاً مباشراً بمجاهد العامري إلى أن أخذ في تولية ولاة عليها كان أولهم ابن أخيه عبد الله ، وكان ذلك في عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م[8] . واتخذ مجاهد العامري من هذه الجزر بعد استيلائه عليها قواعد بحرية لأساطيله للإغارة منها على سردانية وقرسقة وثغور ساحل إيطاليا الغربي وجنوب بلاد الفرنجة وإمارة قطلونية[9] ، وكانت أولى حملاته البحرية من البليار على جزيرة سردانية ،

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٢٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

(٥) القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٥٥ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٥ ، ص ٣٥٤ .

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١٦ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٢٩٠ . وأمادي : المكتبة الصقلية ، ص ٣ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٦٩ - ٧٠ . ود . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٦ . ود . أحمد مختار العبادي : الصقالبة في إسبانيا ، ص ٢٤ . وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣١٣ . ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٨٩ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٨٨ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٣٥٤ .

(٩) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٧٠ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

وقد استغرق إعداد الحملة خمسة أشهر، وانطلق الأسطول الإسلامي العتيد إلى سردانية في ربيع الأول ٤٠٦ هـ = أغسطس ١٠١٥ م ليسجل ملحمة من ملاحم البطولة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، في وقت تغيّرت فيه موازين القوى البحرية ورجحت كفة الأساطيل المسيحية تحت علم البابوية[١].

حملة أسطول دانية والبليار على جزيرة سردانية

أبحر مجاهد العامري على رأس أسطوله من جزر البليار إلى سردانية في شهر ربيع الأول ٤٠٦ هـ = أغسطس ١٠١٥ م[٢]، وكان يطمح إلى جعل الحوض الغربي للبحر المتوسط بحراً إسلامياً[٣]. وقد أشار أبو طالب عبد الجبار المعروف بالمتنبي الأندلسي في أرجوزته الشهيرة عن ملوك الطوائف إلى هذه الحملة بقوله:

ومنهم مجاهد اللبيب سلطانه رسى بمرسى دانية ثم غزا حتى سردانية[٤]

وكان الأسطول الذي قاده مجاهد العامري لفتح سردانية من أكبر الأساطيل البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط آنذاك، فقد كان يتكون من مائة وعشرين قطعة بحرية، وبلغ عدد الفرسان الذين اشتركوا في هذه الحملة قرابة الألف فارس، بالإضافة إلى عدد كبير من الغزاة والمتطوعة والبحارة الأشداء الذين تمرسوا في البحر وخبروا مسالكه وخاضوا حروبه[٥].

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٥٣، وابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع المجلد الأول، ص ٢٦٥. والضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٧٢. وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١١٦. وابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٠١. والحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤. وابن خلدون: المقدمة، ص ٤٥٠. وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٩. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٠ - ٧١. ود. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ١١٦ - ١١٧. ود. السيد عبد العزيز سالم ود. العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٢٠٣ - ٢٠٤. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٩٠ - ١٩٣. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٩٧ - ٢٠٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٩٠. وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١١٦. والباروكمبانير، تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٠.

(٣) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٩٧ ود. أحمد مختار العبادي: الصقالبة في إسبانيا، ص ٢٤.

(٤) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة، القسم الأول/ المجلد الثاني، ص ٩١٦، و ص ٩٤٣. وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٤٨ - ١٤٩. وزين الدين بن عمر بن مظفر (ابن الوردي): تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٤٥٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠. وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١١٦ وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٩. وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣١٣.

وكان يقود سفينة القيادة أبو خرّوب كبير القادة البحريين[١]، وتحققت الخطوة الأولى من طموحات مجاهد بنزول قواته في سردانية واستيلائه على معظم أرجائها بعد معارك عنيفة قتل فيها وأسر عدد كبير من سكانها مما سيكون له أثر كبير على مصير هذه الحملة. ولم تغفل مصادرنا الإسلامية هذه النقطة الهامة، ويقول ابن الأثير في هذا الصدد عند حديثه عن فتح جزيرة سردانية «وقتل مجاهد بها خلقاً كبيراً من النصارى وسبى مثلهم..»[٢]. ويقول ابن الخطيب «وغنم مجاهد من سردانية وسبى ما لا يأخذه الحصر إلى أن كسد في زمانه السبي وخسّت فيه الأثمان»[٣]. كما تجمع المصادر الفرنجية واللاتينية على عنف المعارك التي خاضها السردانيون بقيادة «مالوت» Maloot دفاعاً عن حريتهم والخسائر الفادحة التي وقعت في صفوفهم. وكانت أعنف المعارك التي خاضها السردانيون في مواجهة قوات مجاهد العامري على مقربة من كلياري Cagliari عاصمة سردانية التي قتل فيها مالوت قائد القوات السردانية وفنيت معظم قواته وأسرت البقية. وبعد هذا النصر الحاسم الذي حققه مجاهد العامري، عبرت قواته إلى المعاقل الجبلية واستولت على معظمها، ودعّم انتصاره ببناء سلسلة من القواعد والحصون لمواجهة أي تمرد من السكان[٤]، الذين اشتهروا بشجاعتهم وتعلقهم بالحرية[٥].

واستكان سكان جزيرة سردانية بعد مقاومة ضارية، وأعلن بعض حكام الأقاليم ولاءهم لمجاهد العامري، وتعهدوا بدفع الجزية مما شجع مجاهد على أن يختط مدينة إسلامية اتخذها مركزاً لحكمه واستقر فيها مع أسرته، ولكنه أساء الاختيار، فقد كان موقع المدينة في منطقة موبوءة جرداء قليلة الإنتاج، في مكان إحدى المدن القديمة التي اندثرت وهجرها أهلها، كما يتضح من النص التالي للحميري الذي يقول فيه: «وكان أبو الجيش مجاهد العامري قد دخل سردانية وافتتح أكثرها وجدّد إحدى مدنها فأصاب المسلمين فيها جوع ووباء..»[٦]، نظراً لوجود المستنقعات على شاطئها مما جعلها مرتعاً خصيباً لشتّى أنواع الأوبئة[٧]. ودون تبصر للعواقب قام مجاهد العامري بإرسال حملات بحرية من جزيرة سردانية للإغارة على ساحل إيطاليا الغربي من جنوة حتى بيزة، في وقت تغيّرت فيه موازين القوى البحرية بعد سقوط معقل فرخشنيط Fraxinet الإسلامي وأصبحت ثغور إيطاليا الغربية المنضوية تحت علم البابوية

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٥٣ - ٣٥٤. والضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٧٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٩.

(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧١ وما بعدها. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٩٧، وما بعدها.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤.

(٦) الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤.

(٧) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٩٣.

تشكل قوة بحرية كبرى[1]. فما إن علم البابا بندكت الثامن باستيلاء أحد أساطيل مجاهد العامري على ثغر لوني في شمال غرب إيطاليا، حتى قرر العزم على حشد القوى المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط لمجابهة أساطيل دانية والبليار، وأعلن الحرب الصليبية على المسلمين، ولبّت الجمهوريات البحرية الإيطالية وعلى رأسها بيزة وجنوة نداء البابا بندكت الثامن، الذي نجح في عقد تحالف بينها. وقد نجح هذا الحلف البحري المسيحي في طرد القوات الإسلامية من ثغر لوني وعادت فلولها إلى جزيرة سردانية. ولم يكتف البابا بندكت بهذا النجاح، وقام بإصدار مرسوم كنسي إلى الجمهوريات البحرية الإيطالية والفرنجة في ثغور البروفانس وإمارة قطلونية بحشد قواها لطرد قوات مجاهد العامري من جزيرة سردانية[2]. وفي الوقت الذي كانت تحتشد فيه الأساطيل المسيحية لمهاجمة القوات الإسلامية في سردانية، كان عملاء البابا بندكت الثامن يحثون أهل سردانية على مقاومة الغزاة ويعدونهم بالعون العاجل، فقام السردانيون بثورة جامحة لم تتمكن قوات مجاهد العامري من قمعها[3]، وزاد من صعوبة موقفه وقوع تمرّد غامض في صفوف قواته كما يقول الحميدي... «واختلفت عليه أهواء الجند..»[4]، لما عانوه من الخسائر ومن الجوع والوباء[5]. وبينما كان مجاهد العامري يحاول جاهداً قمع مقاومة أهل سردانية ومعالجة التمرد الذي وقع في صفوفه وصلت إليه أنباء الحشود البحرية المسيحية التي كانت في طريقها إلى جزيرة سردانية من إيطاليا وبلاد الفرنجة، ويقول ابن الأثير في هذا الصدد: «فسار إليه الفرنج والروم..». ويذكر ابن الخطيب بأن «ملوك الأرض الكبيرة» (إيطاليا) «تداعوا على مجاهد العامري واستجاشوا وبلغه من أمرهم ما لا يطيقه..»، فوقع في حيرة من أمره، وقرر بعد تردد مغادرة جزيرة سردانية[6].

تدمير أسطول دانية والبليار وانسحاب فلوله لميورقة

نتيجة لصعوبة موقف مجاهد في جزيرة سردانية والتهديد الذي كانت تتعرض له قواته من ثوار الجزيرة من جهة، ومن الأساطيل المسيحية التي كانت في طريقها إلى جزيرة سردانية من

(١) أرشيبالد لويس: القوى التجاريّة والبحرية، ص ٣١٤. ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣١١ - ٣١٣. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٩٩.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٣. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٩٢. ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣١٢.
(٣) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٠٣.
(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٥٣. والضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٧٣.
(٥) الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤.
(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٩.

جهة ثانية، فقد قرر الانسحاب على رأس قواته إلى جزر البليار[1]، على أمل أن يعود ثانية إلى جزيرة سردانية، «بعد تفرق من يشغّب عليه..»[2]، وبعد تغيّر الأوضاع في الجزيرة وزوال الوباء الذي تفشي في المدينة التي اختطّها فيها[3]. وكان إبحار أسطول مجاهد من سردانية في ظروف غير مواتية في شهر ابريل الذي تهب فيه على شواطىء جزيرة سردانية رياح المسترال الشمالية الغربية العنيفة[4]. وفي الوقت الذي كان فيه «أبو خرّوب» قائد الأسطول يحاول جاهداً الانسحاب إلى جزر البليار رغم معاكسة الرياح، فوجىء بالأساطيل المسيحية المتحالفة تقطع عليه الطريق. «..وجاءت أمداد الروم وقد عزم على الخروج» كما يقول الحميدي، ويؤكد نفس الرواية ابن الخطيب نقلاً عن ابن حيان، حيث يقول «فأعجله العدو عن القفول واللحاق بدار ملكه في ميورقة وقطع به..». وحاول مجاهد العامري تجنب الاشتباك مع الأساطيل المسيحية المتحالفة، ولكن رياح المسترال الشمالية الغربية المعاكسة أعاقت أسطوله المنقل بالحمولة، فقد كان فيه من أسرى سردانية وحدهم ثمانية آلاف[5]. لهذا أمر مجاهد العامري باللجوء إلى أحد المراسي الساحلية حتى تخف حدّة الرياح التي كانت تعصف بسفن أسطوله. وبالرغم من معارضة أبي خرّوب قائد الأسطول وتحذيره لمجاهد من مغبة الرسو في ذلك المرسى المكشوف، ومع ذلك فقد أصرّ مجاهد العامري على رأيه، مما أدى إلى تحطيم عدد كبير من سفن الأسطول، دفعت بها الرياح العنيفة إلى جزيرة على مقربة من ذلك المرسى، حيث تحطمت هناك وغرق من فيها، وقد أطلق المسلمون على هذه الجزيرة اسم «جزيرة الشهداء»[6]. وأرجح بأن هذه الجزيرة تقع في مضيق بونيفاشيو الذي يفصل سردانية عن قرسقة نظراً لكثرة الجزر الصغيرة في هذا المضيق على مقربة من ساحل سردانية الشمالي وساحل قرسقة الجنوبي. ومما يؤكد هذا القول ما ذكره المؤرخ الفرنسي ماس لاتري Mas Latri بأن مجاهد العامري كان يتحكم في مضيق بونيفاشيو وأنه قام بالاستيلاء على الأجزاء الجنوبية من جزيرة قرسقة لتأمين عبور قواته البحرية ذهاباً وإياباً إلى قواعدها الخلفية في جزر البليار[7]. كما أن تدمير أسطول مجاهد في منطقة ضيقة أعاقت تحركه، في وقت كانت تهب فيه الرياح

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٩.
(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٥٣. والضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٧٢.
(٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٩. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٩١.
(٤) دائرة المعارف البريطانية، ج ١٩، ص ٩٩٢ لعام ١٩٦٢ م.
(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٥٣. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٩.
(٦) الضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٧٢. والحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤.
(٧) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٩٨ - ١٩٩. ودائرة المعارف البريطانية، ج ١٩، ص ٥٥٠ لعام ١٩٦٩.

الشمالية الغربية المعاكسة بعنف ، مما دفع سفنه إلى جزيرة صغيرة على مقربة من أحد المراسي الساحلية وفقاً للروايات الإسلامية ، يؤكد بأن المعركة البحرية بين أسطول مجاهد العامري والأساطيل المسيحية المتحالفة كانت في مضيق بونيفاشيو الضيّق ، فهو طريق الإياب بين سردانية إلى البليار كما أنه أنسب مكان للأساطيل المسيحية لقطع الطريق على أسطول مجاهد الذي وقع بين نارين ، معاكسة الرياح الغربية لتحركه غرباً ، وقطع الأساطيل المسيحية الطريق عليه وهي قابعة في مراسيها المحمية من الرياح[1] .

ويصف أبو الفتوح الجرجاني الذي صحب مجاهد العامري في حملته إلى سردانية[2] تدمير أسطول مجاهد قائلاً : « كنت مع أبي الجيش مجاهد أيام غزاته في سردانية فدخل في المراكب في مرسى نهاه عنه أبو خرّوب رئيس البحريين فلم يقبل منه ،فلما حصل في ذلك المرسى هبّت ريح جعلت تقذف مراكب المسلمين مركباً مركباً إلى الريف ، والروم وقوف لا شغل لهم إلا الأسر والقتل للمسلمين . . »[3]. وهكذا تعاونت الطبيعة القاسية والقوات المسيحية المتحالفة من الإيطاليين والفرنجة والسردانيين في تدمير أسطول دانية والبليار ، وقتل وأسر معظم بحارته ومقاتليه ، في ذلك المعبر البحري الضيق ، ولم يكن في وسع قادة الأسطول الخروج من هذا المأزق ، فقد كانت الرياح الشمالية الغربية تعيق تحرك السفن غرباً ، والأساطيل المسيحية المتربصة تقطع عليه الطريق من مكامنها وتدمر السفينة تلو الأخرى ، والبعض الآخر تدفعها الرياح إلى سواحل المضيق حيث كانت ترابط قوات سردانية وقرسقية على الساحلين المتقابلين على طول مضيق بونيفاشيو كما نرجح ، وكلما جنحت سفينة إلى الشاطىء سارعوا إلى أسر بحارتها أو قتلهم[4] ، ويصف أبو الفتوح الجرجاني حرج موقف مجاهد قائلاً : « . . وكلما سقط مركب في أيديهم جعل مجاهد يبكي من القهر حسرة على أسطوله وأسفاً على جنوده ، وكان أبو خرّوب رئيس البحريين ينشد متشفياً بمجاهد لأنه لم يصغ لتحذيراته ورسا في ذلك المرسى المشئوم :

بكـى دوبـل لا أرقـأ الله دمعـه ... ألا إنمـا يبكي من الـذلّ دوبـل

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ . والحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٨٤ ترجمة رقم ١٨٤ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٢٥٣ . ترجمة رقم ٦٠٢ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .

(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٤٧٢ .

(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٩ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

ويردد قائلاً : « قد كنت حذرته من الدخول هنا فلم يقبل »[1] .

وقد ورد في العديد من مصادرنا الإسلامية وصف مثير لهذه الفاجعة التي حلّت بأسطول مجاهد وتدمير معظم سفنه والاستيلاء على عدد منها وأسر وقتل العديد من بحارته ومقاتليه ، وكان من بين الأسرى بعض زوجات مجاهد العامري وبناته وأمه جود وكانت نصرانية ، وولده علي وكان وحيده آنذاك ، وأحد إخوته[2] .

وتذكر بعض المصادر اللاتينية والفرنجية على أن الأساطيل المسيحية المؤتلفة تحت علم البابوية هي التي أسرت نساء مجاهد وبناته وأمه جود النصرانية وابنه الوحيد علي في إحدى سفن الأسطول التي وقعت في أيديهم[3] . ويذكر البعض الآخر بأن جود هي إحدى زوجات مجاهد العامري ووالدة ابنه علي[4] . وينفرد المؤرخ الميورقي الباروكمبانير بالرواية التالية التي يقول فيها بأن علي بن مجاهد أسر في الهجوم الذي شنّه أهل سردانية على قوات مجاهد في ثورتهم المفاجئة التي أجبروه فيها على اللجوء إلى أسطوله ومغادرة الجزيرة[5] ، بينما يذكر المؤرخ البيزي أنريكو Enrico اعتزازاً منه ببلده بيزة بأن البيزيين هم الذين أسروا علي بن مجاهد وأنهم أهدوه إلى حليفهم هنري الثاني امبراطور ألمانيا[6] ، وهذا ما ذكره ابن الخطيب نقلاً عن نص لابن حيان يقول فيه : « بأن علي بن مجاهد وقع في سهم صاحب الألمانيين وهم أمة من الفرنجة تلي الصقالبة . . »[7] كما وقع في الأسر أحد إخوة مجاهد[8] .

ويذكر الشاعر المؤرخ البيزي « أنريكو » في ملحمته عن هزيمة أسطول مجاهد العامري ما يلي «في كتابه الشهير باسم ميوليكينوس Maiolichinus » :

وبعد أن احتل البيزيُّون السهل والوعر .

يحكى بأن الملك موجيتو Mugetto (مجاهد) .

فرّ بعد موت أكثر أتباعه من المعركة .

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٤٧٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٦٧ وج ٩ ص ٢٩٠ . والحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٩ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ و ٤٥٠ .

(٣) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٣٦ ، ٢٠٦ ، ٢٥٣ .

(٤) د . أحمد مختار العبادي : الصقالبة في إسبانيا ، ص ٢٥ – ٢٦ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٣٦ .

(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٧٣ – ٧٤ .

(٦) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ٢٥٣ ، وحاشية « ٤ » . ص ١٩١ .

(٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٩ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٦٧ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٣٦ ، حاشية « ١ » .

وانصرف الملك الهمجي بعد أسر ابنه وزوجته .
ويقال بأن بيزة المنتصرة .
أهدت ابنه إلى ملك الجرمان[1] .

وقد تمكن مجاهد العامري من « افتكاك من أسر له من بناته ونسائه واخواته في مدة قريبة ، إلاّ والدته فقد اختارت أهل ملتها وتبعتها أختها فأعرض عنهما . . » . أما ابنه علي الذي كان في السابعة من عمره عند أسره وكان ابن مجاهد الوحيد آنذاك ، فقد بقي في الأسر سبعة عشر عاماً[2] .

وعاد القائد المنكوب والأب المفجوع مجاهد العامري إلى ميورقة يجرّ أذيال الهزيمة ، ويروي أبو الفتوح الجرجاني خاتمة تلك الملحمة الدامية قائلاً « فبجريعة الذُّفّ ما تخلصنا في يسير من المراكب . . »[3] ، ولم يبق من ذلك الأسطول العتيد سوى خمسة مراكب وأربعة قوارب ، انسحب بها مجاهد من دوامة المعركة في مواجهة الرياح العاصفة بكل صعوبة إلى ميورقة التي وصلها في شهر ذي الحجة ٤٠٦ هـ = إبريل ١٠١٦ م[4] .

عزل الخليفة عبد الله المعيطي المنتصر بالله

وصل مجاهد العامري بفلول قواته إلى جزيرة ميورقة في نهاية شهر ذي الحجة ٤٠٦ هـ = إبريل - مايو ١٠١٦ م[5] بعد ثمانية أيام من انسحابه من المعركة البحرية الدامية ، في مواجهة الأساطيل المسيحية المتحالفة في مضيق بونيفاشيو بين سردانية وقرسقة[6] ، وما إن اقترب من ساحل ميورقة حتى واجه مشكلة كبرى تتطلب حلّاً عاجلاً ، فقد استغل الخليفة عبد الله المعيطي غياب مجاهد العامري خلال فترة حملته على سردانية التي استغرقت عشرة أشهر ، وجمع الأنصار حوله وأعلن عزل مجاهد واستبدّ بالحكم في مملكة دانية والبليار ، واتفق مع أنصاره على قتل مجاهد إذا ما عاد سالماً من حملته على سردانية[7] ، وسكّ دراهم في عام

(١) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ٢٥٣ حاشية « ٢ » وحاشية « ٤ » ص ١٩١ .
(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٩ - ٢٢١ .
(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٣ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٤٧٢ .
(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢٠ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .
(٦) د . أحمد مختار العبادي : الصقالبة في إسبانيا ، ص ٢٤ - ٢٥ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .
(٧) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢٠ .
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤ .

٤٠٦ هـ = ١٠١٦ م أثناء غياب مجاهد في سردانية تحمل اسمه فقط « الإمام عبد الله أمير المؤمنين » خلافاً للدراهم التي سكت في عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٥ م قبل مغادرة مجاهد لميورقة في طريقه لسردانية التي تحمل اسم الخليفة المعيطي ومجاهد العامري معاً[1] .

وبالرغم مما أصاب مجاهد من كوارث في حملته على سردانية فقد تمكن من التغلّب على الخليفة المعيطي وأنصاره بمن بقي معه من المقاتلين والبحارة في خمس سفن وأربعة قوارب[2] ، وبمساندة أهل جزيرة ميورقة النين وقفوا إلى جانبه[3] وآزروه في استعادة عرشه واعتقال الخليفة المعيطي في عملية مفاجئة لم يكن يتوقعها . ويصف ابن الخطيب كيفية اعتقاله نقلاً عن ابن حيان قائلاً : « بأن مجاهد العامري بادر المعيطي عند وصوله إلى الساحل وهو ذاهل عنه وهجم عليه وأقامه من مجلسه وقبض عليه وعلى من شايعه من أنصاره ، وتسلّم منه سلطانه وعاقبه على سوء ما كافأه به وعدّد عليه يده . . » ، ولكن المعيطي لم يتخاذل بالرغم من عنف المفاجأة وتصدى لمجاهد بشجاعة قائلاً « لقد بلغني ما أحدثته بعدي من العبث بالناس والاستئثار بالفيء والمجاهرة بالمعاصي فلم يسعني انتظارك وأردت قبض يدك عن ظلم العباد وعلى ذلك بايعتني ولا هوادة لك . . »[4] . ولكن ذلك لم يجده نفعاً بعد أن تخلّى عنه أنصاره وقام مجاهد بإعلان خلعه ونفاه في سفينة إلى ثغر بجاية في المغرب الأوسط ، وعاش بقية عمره هناك مغموراً يتقوّت من تعليم صبيان قبيلة كتامة البربرية إلى أن توفي ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م[5] .

استبداد مجاهد العامري بحكم البليار

اختفى اسم الخليفة عبد الله المعيطي المنتصر بالله بعد خلعه ونفيه في نهاية ذي الحجة ٤٠٦ هـ = إبريل - مايو ١٠١٦ م[6] ، واستبد مجاهد العامري بحكم البليار ولم يشر أي مصدر أو مرجع تُمكّنا من الاطلاع عليه إلى ذكر ولاة لهذه الجزر منذ عودة مجاهد من حملته على سردانية في مطلع عام ٤٠٧ هـ = مايو ١٠١٦ م وحتى عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م . فهل كان ذلك سهواً أو إغفالاً لأسماء هؤلاء الولاة أم أن هناك مصادر فقدناها أو أنها ما زالت في طيّ الغيب ، أشارت إلى هذا الموضوع؟

(١) انطونيو بريتوفيفس: ملوك الطوائف، ص ١٨١ .
(٢) ابن الخطيب: أعمال الاعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢٠ ؛
(٣) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤ .
(٤) ابن الخطيب: أعمال الاعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢٠ .
(٥) ابن بشكوال: الصلة/القسم الأول، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ترجمة رقم ٥٩٣ .
وابن الخطيب: أعمال الاعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢٠ .
(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠ .
وابن الخطيب: أعمال الاعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢٠ .

وتنتابنا الحيرة من هذا التساؤل، ولا نجد ما يعيننا على الإجابة عليه سوى نصين غامضين أحدهما لابن خلدون يتضح من فحواه بأن مجاهد العامري ظل يحكم هذه الجزر بعد عودته من سردانية حكماً مباشراً حتى ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م[١]. والنص الآخر لابن الخطيب الذي يقول «وكان مجاهد العامري شديد الوطأة على رعيته سام أهل الجزائر (الشرقية) «البليار» الخسف، فسطا بوجوههم ورؤسائهم وألزم قلوبهم الرهب، لمّا خاف على دولته، بغريب من السياسة حتى لقد حظر عليهم رماكهم السامية، وكانت عمدة أموالهم، فكتبها منعوتة، فلا تكاد الرمكة تنتج مهراً، حتى يكتب على ربّه تبعته ويلزمه بتربيته، والقيام عليه إلى أن يصلح للرياضة، فيقبض منه عند ذلك، ويعطي خمسة دنانير دراهم ولا تزاد عليها ولا يبرأ منه إن نفق، فلقد قطع أُذن رجل لقطعه أذن مهر..»[٢].

يتضح من النصين الآنفي الذكر ما يلي:

أ- حكم مجاهد العامري المباشر لجزر البليار ومدى قسوته على أهلها بعد عودته من سردانية وحتى عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م، وهذا أمر يدعو للحيرة والتساؤل، فقد وقف أهل هذه الجزر إلى جانبه وناصروه ضد المعيطي عندما تآمر عليه[٣]، فما الذي دعا مجاهد إلى مثل هذه التصرفات التي تخلو من الرحمة؟ وهو المشهور بعلمه وأدبه وشجاعته وفروسيته ودهائه وذكائه[٤]. ترى هل كان سبب ذلك يعود إلى حاجته الماسّة للأموال لإعادة بناء أسطوله الذي دُمِّر أمام شواطىء سردانية؟ أم أن حاجته إلى الخيول لتزويد فرسانه بها هي السبب في هذا التعسف؟ نظراً لاشتباكه في حروب متواصلة، بعد عودته من سردانية وحتى وفاته[٥]. تصعب الإجابة على هذه التساؤلات لعدم توفر المصادر التي يمكن الاستناد إليها.

ب- يذكر ابن الخطيب في نصه الآنف الذكر بأن مجاهد العامري فرض حكماً إرهابياً على جزر البليار وظلم رعيتها وعسف برؤسائها لخوفه منهم على دولته، فهل كان سبب ذلك يعود إلى قيامهم بثورة عليه لم تصلنا أخبارها، لسبب نجهله أغفلته مصادرنا الإسلامية؟ وهل كان حكم مجاهد العامري المباشر لجزر البليار حتى عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م كما يقول ابن خلدون[٦]،

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤.
(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٨.
(٣) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤.
(٤) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث/المجلد الأول، ص ٢٢ - ٢٤. وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١١٦.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٥٦، ١٦٤، ١٧٤، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٤.
(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤.

يعود إلى محاولته تثبيت دعائم حكمه في هذه الجزر؟ مجرد تساؤلات تصعب الإجابة عليها، ولا نجد بين أيدينا ما يمكننا من إماطة اللثام عن هذا الغموض الذي خيّم على جزر البليار في فترة حكم مجاهد المباشر لهذه الجزر.

جـ- يستهجن ابن الخطيب السياسة التي اتبعها مجاهد العامري مع أهل جزر البليار، ويصفها بالغرابة[١]، وربما يعود سبب هذه السياسة الغريبة إلى طبيعة مجاهد المتقلبة من جهة وإلى هزيمته المروعة في سردانية من جهة ثانية، نظراً لما تركته في نفسه من مرارة وعدم ثقة بمن حوله، والشك في كل حركة واعتبارها عصياناً عليه وانتقاضاً لطاعته وتمرداً على سلطته، لما عاناه من تمرد جنوده في سردانية وخروجهم على طاعته، وربما تكون هذه الأسباب مجتمعة هي السبب الرئيسي في غرابة تصرفات مجاهد وتناقضها، بالرغم مما فطر عليه من ذكاء وألمعية وشجاعة وفروسية، ويؤكد هذا التناقض في طبيعة مجاهد العامري ما ذكره ابن بسّام نقلاً عن ابن حيان حيث يقول: «أكثر مجاهد التخليط في أمره فطوراً ناسكاً معتكفاً متبرئاً من الباطل يعكف على دفاتر يقرؤها، وتارة يعود خليعاً فاتكاً لا يساتر بلهو ولا لذّة ولا يستفيق من شراب وبطالة، ولا يأنس بشيء من الجد والحقيقة، وله ولغيره من ملوك الطوائف في هذا الباب أخبار مأثورة..»[٢].

وبالرغم من هذه السياسة الغريبة التي اتبعها مجاهد العامري مع سكان جزر البليار، فقد أولى هذه الجزر عنايته وأعاد بناء أسطولها الذي دمرته العواصف والأساطيل البحرية المسيحية المتحالفة أمام ساحل سردانية في فترة وجيزة، وظلّت جزر البليار في عهده، تقف كالطود الشامخ دفاعاً عن ساحل الأندلس الشرقي وتقوم أساطيلها دون انقطاع بغارات متواصلة على ثغور إمارة قطلونية وجنوب بلاد الفرنجة وساحل إيطاليا الغربي وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط، وظل اسم مجاهد العامري أسطورة من أساطير الحوض الغربي للبحر المتوسط لعدة قرون، وأحاطته هالة من البطولة مما جعل مؤرخي الفرنجة والطليان ينسبون إليه جميع المعارك البحرية التي خاضتها أساطيل جزر البليار في الحوض الغربي للبحر المتوسط حتى بعد وفاته، وقد ذكرت المصادر الفرنجية واللاتينية عدة حملات قامت بها أساطيل البليار من عام ٤٠٩ - ٤١٣ هـ = ١٠١٨ - ١٠٢٢ م ونسبتها إلى مجاهد العامري[٣]، وبالرغم من أن جزر البليار كانت آنذاك تحت الحكم المباشر لمجاهد العامري إن صحّت رواية ابن خلدون، إلا أننا

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢١٨.
(٢) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول، ص ٢٣ - ٢٤.
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٣ - ٧٥ و٨٣ - ٨٤. وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣١٤. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٩٤. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

نرجح أن الذي قاد هذه الأساطيل هم قادة البليار البحريون، نظراً لانشغال مجاهد العامري آنذاك في حروب برية متواصلة في شرق الأندلس[1].

حملات أساطيل البليار في الحوض الغربي للبحر المتوسط

أ- تذكر المصادر الفرنجية واللاتينية بأن أسطول البليار أغار على ثغر برشلونة عاصمة إمارة قطلونية سنة ٤٠٩ هـ = ١٠١٨ م[2]، ويعود سبب هذه الغارة إلى النزاع الذي نشب بين مجاهد العامري ملك دانية والبليار، ولبيب العامري أمير طرطوشة على ثغر بلنسية بعد موت أميرها مبارك العامري ٤٠٩ هـ = ١٠١٨ م، ولجوء لبيب العامري إلى حماية إمارة قطلونية واستعانته بقواتها لمواجهة قوات مجاهد العامري، مما أدى إلى توتر العلاقات بين مجاهد[3] والكونتيسة أرمنسيدا Ermenseda الوصية على ابنها الكونت رامون الأول من آل برنجار «ريمنده» Ramone I، ووقوع اشتباكات بحرية بين أساطيل مجاهد العامري وأساطيل إمارة قطلونية، وبالرغم من حدة هجوم أحد أساطيل مجاهد على ثغر برشلونة ٤٠٩ هـ = ١٠١٨ م، إلا أن حامية الثغر تمكنت من دحر الهجوم بمساندة فرقة من المرتزقة الفرنجة والنورمان بقيادة روجر دي تويني Ruggero di Toeni مما أضطر مجاهد العامري إلى عقد هدنة مع إمارة قطلونية[4]، من أجل التفرغ لمجابهة الأساطيل البيزية والجنوية والفرنجية التي كانت تغير آنذاك على الثغور الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[5].

ب- أغار أحد أساطيل البليار ودانية على ثغر أربونة في جنوب غرب بلاد الفرنجة ٤١٠ هـ = ١٠١٩ - ١٠٢٠ م لحماية جزر البليار وثغور ساحل الأندلس من عدوان الفرنجة[6].

جـ- تنسب المدونة البيزية إلى مجاهد العامري غزوات بحرية واسعة النطاق في غربي البحر

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٥٦، وص ١٦٤. وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٤.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٨٣ - ٨٤. وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣١٤.

(٣) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ص ٢٠. وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٦٣ - ١٦٤. وذيل البيان المغرب/ مجهول المؤلف، ص ٣٠٢. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٨٣ - ٨٤.

(٤) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٥) د. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ١١٧.

(٦) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب، ص ٢٥٦. وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣١٤.

المتوسط على رأس أساطيل البليار[1]، ومنها حملة بحرية قام بها أحد أساطيل البليار بقيادة مجاهد على قلعة كستروم خوانيس Castrum Joannis سنة ٤١١ هـ = ١٠٢٠ م وتمكن من الاستيلاء عليها، وكانت هذه القلعة إحدى ممتلكات أسقف ميلان[2].

د- تذكر المدونة البيزية بأن أساطيل البليار أغارت على سردانية مرتين بعد حملة ٤٠٦ هـ = ١٠١٦ م الفاشلة، إحداهما في عام ٤١١ هـ = ١٠٢٠ م، والثانية في عام ٤١٢ هـ = ١٠٢١ م بقيادة مجاهد العامري[3]، والأرجح أن الذي قام بهذه الحملات من جزر البليار - إن صحّت روايات المدونة البيزية - قادة أساطيل هذه الجزر، لأن مجاهد العامري ظل مشتبكاً في حروب برية متواصلة في شرق الأندلس بعد عودته من حملته على سردانية ٤٠٧ هـ = ١٠١٦ م وحتى وفاته، ولم تشر مراجعنا الإسلامية التي أسهبت بذكر حملاته البرية بأي إشارة إلى قيامه بحملة بحرية بعد حملة سردانية الفاشلة[4].

لقد أضفت المصادر الفرنجية واللاتينية هالة من البطولة على مجاهد العامري ونسبت إليه كل ما قامت به أساطيل البليار من حملات بحرية حتى بعد وفاته[5]، ويعود سبب ترسيخ هذه الروايات الخيالية في عقول المؤرخين الأوروبيين إلى ما قامت به أساطيل البليار تحت قيادة عمالها في عهد مجاهد العامري منذ عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م وحتى وفاته سنة ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م من بطولات، وما حققته من أمجاد بحرية[6].

ولاة البليار في عهد مجاهد العامري

إن نص ابن خلدون عن ولاة البليار في عهد مجاهد العامري هو النص الوحيد الذي تمكنت من العثور عليه، ولهذا سنضطر إلى الاعتماد عليه بالرغم مما يشوبه من غموض وما يفتقر إليه من دقة، وسنحاول ما أمكننا مناقشته وتفسيره بكل حذر، ونفي أو تأكيد ما ورد فيه بالاستناد إلى نصوص أخرى. وكما ذكرنا في حينه، أغفل ابن خلدون أي ذكر لولاة جزر البليار منذ استيلاء مجاهد العامري عليها وبصحبته عبد الله المعيطي المنتصر بالله في ذي القعدة

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٣ - ٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٣ - ٧٥. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٩٤. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٠٨.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٣ - ١٦٤. وذيل البيان المغرب/ مجهول المؤلف، ص ٣٠٢. وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٤.

(٥) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٩٤. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٠٨.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

٤٠٥ هـ = مايو ١٠١٥ م[١] ، وحتى عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م الذي ولّى فيه مجاهد أول عامل لهذه الجزر ، باستثناء الإشارة إلى استبداد الخليفة عبد الله المعيطي المنتصر بالله بحكم البليار في فترة غياب مجاهد العامري في حملته البحرية على سردانية[٢] من ربيع الأول وحتى ذي الحجة من عام ٤٠٦ هـ = من أغسطس ١٠١٥ إلى إبريل ١٠١٦ م[٣] ، ولم نجد مخرجاً لتعليل هذا الإغفال لأسماء عمال جزر البليار خلال هذه الفترة ، سوى الترجيح بأن مجاهد العامري ظل يحكم هذه الجزر حكماً مباشراً منذ عودته إلى جزر البليار من سردانية وحتى عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م ، كما يتضح من فحوى نص ابن خلدون المشار إليه. ويذكر في الفقرة التالية من هذا النص بأن مجاهد العامري ولّى على « الجزائر الشرقية » (جزر البليار) في عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م « .. عبد الله ابن أخيه ، فولي خمس عشرة سنة ثم هلك .. وولّى عليها بعد ابن أخيه مولاه الأعلى ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م .... وكان صاحب غزو وجهاد في البحر ، ولما هلك مجاهد استأذن ابنه علياً في الزيارة فأذن له ... ». وبعد هذه الفقرة يذكر ابن خلدون عاملين آخرين للبليار تولّى كل منهما الحكم في هذه الجزر خمس سنوات قبل سقوط دانية[٤] ، في يد المقتدر بن هود في عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م[٥] . يتضح من نص ابن خلدون الآنف الذكر ما يلي :

أ- ولّى مجاهد العامري عبد الله ابن أخيه عاملاً على جزر البليار في عام ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م وكان أول عماله على هذه الجزر وظلّ في عمله خمس عشرة سنة إلى أن توفي عام ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م[٦] .

ب- بعد وفاة عبد الله ولّى مجاهد العامري على جزر البليار مولاه الأغلب في عام ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م. وبعد هذه الفقرة يصبح النص مشوشاً حيث يقول فيه « ولما هلك مجاهد العامري ... » ، وكان ذلك في عام ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م ، استأذن الأغلب ابن مجاهد وخليفته علي إقبال الدولة في تأدية فريضة الحج « واستعفاه من عمله » فأذن له[٧] ، ولو أخذنا هذا النص على حرفيته ، فمعنى ذلك أن تاريخ مغادرة الأغلب لجزر البليار لتأدية فريضة الحج واستعفاءه من عمله ، كان بعد وفاة مجاهد العامري بفترة وجيزة كما توهم البعض ، ومنهم الأستاذ عنان

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١٦ . وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٦٧ ، وج ٩ ، ص ٢٩٠ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١٦ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
(٥) الضبّي : بغية الملتمس ، ص ١٦٣ . والعذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٦ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ص ٢٢٢ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

الذي ذكر بأن ذهاب الأغلب لتأدية فريضة الحج كان في عام ٤٣٧ هـ = ١٠٤٧ م ، أي بعد وفاة مجاهد العامري بسنة واحدة[١] وهو ما يتناقض مع الفقرة التالية لنص ابن خلدون التي يتضح منها بأن الأغلب استعفى من عمله وتوجه إلى المشرق لتأدية فريضة الحج قبل سقوط دانية في يد المقتدر بن هود بعشر سنوات ، فقد ولّى علي إقبال الدولة بن مجاهد عاملين على هذه الجزر بعد الأغلب وقبل سقوط دانية ، حكم كل منهما خمس سنوات[٢] ، ونظراً لأن من الثابت بأن سقوط دانية في يد المقتدر بن هود كان في عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م[٣] فمعنى ذلك ، إن صحّت رواية ابن خلدون ، أن الأغلب بقي عاملاً على جزر البليار حتى عام ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م ، وفيه استعفى من عمله وغادر البليار لتأدية فريضة الحج ، وهو ما أميل لترجيحه نظراً لعثوري على نص لابن بسام الشنتريني يدل بشكل قاطع على أن الأغلب غادر جزر البليار بعد موت مجاهد العامري بفترة طويلة ، وهذا النص هو عبارة عن فقرة من رسالة للوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم أحد وزراء علي إقبال الدولة بن مجاهد موجهة إلى الأغلب عامل البليار[٤] ، يذكر كاتبها في إحدى فقراتها بأنه علم أثناء وجوده في غرناطة بوفاة المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ملك بلنسية وملحقاتها ، وحيث أن وفاة المنصور عبد العزيز بن أبي عامر كانت في ذي الحجة ٤٥٢ هـ = ديسمبر ١٠٦٠ م[٥] ، فمعنى ذلك أن الأغلب كان ما زال على رأس عمله في جزر البليار في العام المذكور ، مما يجعلنا نميل إلى ترجيح الفقرة التفسيرية من نص ابن خلدون التي يتضح من فحواها بأن الأغلب اعتزل الحكم وتوجه للحج قبل عشر سنوات من استيلاء المقتدر بن هود على دانية ، أي أنه ظل عاملاً على جزر البليار حتى عام ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م ، وعلى فترتين ، الأولى منهما في عهد مجاهد العامري في عام ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م وحتى وفاة مجاهد العامري ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م[٦] ، والفترة الثانية في عهد علي إقبال الدولة بن مجاهد من ٤٣٦ - ٤٥٨ هـ = ١٠٤٥ - ١٠٧٦ م .

نستخلص مما سبق ذكره بأن عمال جزر البليار في عهد مجاهد العامري وفقاً لرواية ابن

---

(١) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢٢ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ . والقلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .
(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول. ص ٤٢٧ - ٤٤٨ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .
(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ٤٣٩ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

خلدون هم التالية أسماؤهم :

أ - عبد الله بن أخي مجاهد العامري

لم يذكر ابن خلدون شيئاً عن جهاد عبد الله العامري ضد الفرنجة والجمهوريات البحرية الإيطالية خلال فترة ولايته لجزر البليار، بالرغم من أن المصادر الفرنجية واللاتينية أشارت بشكل عام إلى غارات أساطيل البليار خلال هذه الفترة على الثغور الفرنجية والقطلانية والإيطالية وجزيرتي سردانية وقرسقة، ولكن هذه المصادر ذكرت بأن قائد هذه الحملات هو مجاهد العامري الذي كان اسمه على حد قولها يثير الرعب في كافة الثغور المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[1]، وحتى مصادرنا الإسلامية ظلّت تنسب نشاطات جزر البليار البحرية لمجاهد العامري «صاحب الجزائر الشرقية» وليس لعمال هذه الجزر وقادتها البحريين، ويتضح ذلك من الحرب البرية والبحرية التي نشبت بين مجاهد العامري ملك دانية والبليار وخيران العامري ملك المرية ومرسية، نتيجة لتعمق الخلاف بينهما بعد أن عادا مخذولين من حملتهما المشتركة على قرطبة في ربيع الثاني ٤١٧ هـ = يونيو ١٠٢٦ م[2]، فبالرغم من أن مجاهد العامري كان في هذه الحرب قائد القوات البرية[3]، إلا أنه باعتباره «صاحب الجزائر الشرقية (البليار)، فقد نسبت إليه نشاطات أساطيل جزر البليار التي كانت تساند قواته البرية في حربها ضد خيران العامري ملك المرية ومرسية، ويقول ابن حزم في هذا الصدد «وجيّش الموفق أبو الحسن مجاهد صاحب الجزائر «البليار» الجيوش وقرّب العساكر وتحوشيت السبل واحترس البحر بالأساطيل»[4].

ومهما يكن الأمر فقد أغفلت مصادرنا الإسلامية دور عبد الله العامري الذي تولّى عمل البليار وقت جمحت فيه الأساطيل المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط. ومما خفف من حدة الهجمة الشرسة على جزر البليار خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخها قوتها البحرية من جهة، والخلاف الحاد الذي نشب بين بيزة وجنوة من أجل السيطرة على سردانية من جهة ثانية[5]، ومساندة أساطيل بني زيري أمراء افريقية وأساطيل الكلبيين في صقلية الإسلامية،

(١) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب، ص ٢٥٦ - ٢٥٧. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٣ - ٧٥، وص ٨٣ - ٨٤.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٣ - ١٤٥.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ١١٦ - ١١٧. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ١٩٣ وما بعدها. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٦١.

(٤) ابن حزم: طوق الحمامة، ص ٢١٧.

(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٨٣ - ٨٤. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص (...) ودائرة المعارف البريطانية، ج ١٩، ص ٩٩٣ - ٩٩٤ لعام ١٩٦٢.

لجزر البليار في التصدي للأساطيل المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط من جهة ثالثة، مما خفّف العبء عن هذه الجزر في صراعها البحري المصيري[1]، ومكّن عاملها عبد الله العامري من الدفاع عنها حتى وفاته وتولية الأغلب عاملاً على جزر البليار من بعده ٤٢٨ هـ = ١٠٣٦ م[2].

ب - الأغلب مولى مجاهد العامري (الفترة الأولى)

ولّى مجاهد العامري على جزر البليار بعد وفاة عبد الله بن أخيه ٤٢٨ هـ = ١٠٣٦ م مولاه الأغلب، ويذكر ابن خلدون بأنه «كان صاحب غزو وجهاد في البحر»[3]، وكانت توليته في وقت عاثت فيه الأساطيل المسيحية في الثغور الإسلامية المطلّة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، تدميراً وحرقاً ونهباً وقتلاً وأسراً، وتعرضت جزر البليار إلى عدة «غارات قرصنية»[4] تصدى لها الأغلب بكل عزم وبسالة، ورد الغزاة على أعقابهم مدحورين، فقد كان جندياً شجاعاً وبحاراً متمرساً، ولم يكتف بمجابهة الغزاة ودحرهم بل تجاوز ذلك إلى «.. الإغارة بسفنه على الشواطىء النصرانية في قطلونية والبروفانس»[5]. وفي نهاية فترة ولاية الأغلب الأولى أصبحت البحرية الإيطالية خطراً داهماً على جزر البليار نتيجة لتدهور قوة البحرية الزيرية في افريقية[6]، واستنزاف البحرية الإسلامية في صقلية، مما شجع أساطيل بيزة وجنوة على احتراف القرصنة ونهب التجارة، ووقف حركة الملاحة. وتعرضت سواحل جزر البليار إلى غارات عنيفة من أساطيل بيزة وجنوة[7]، تصدى لها الأغلب ودحر الغزاة وطاردهم إلى عقر دارهم[8]. وفي هذه الفترة التي كانت تخوض فيها أساطيل البليار تحت قيادة الأغلب معارك بحرية ضارية في مواجهة الغزاة، توفي مجاهد العامري وذهب إلى لقاء ربه ٤٣٦ هـ = ١٠٤٦ م، بعد أن قضى معظم حياته في حروب متواصلة مع بعض جيرانه من ملوك الطوائف في شرق الأندلس بعد عودته من حملته الفاشلة على سردانية[9]، وبالرغم من نزعته

(١) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية. ص ٣٠٨ - ٣١٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٥٥.

(٤) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٥) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ٢٠٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٣٤٦ - ٣٤٩. وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٤٦، ٣٧١ - ٣٧٥. ود. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ١١٧ - ١١٩.

(٧) أرشيبالد لويس: القوى البحريةوالتجارية، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٨) د. السيد عبد العزيز سالم ود. أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٩) ابن خلدون: العبر ج ٤، ص ٣٥٤.

العسكرية فقد ارتبط مع البعض الآخر من ملوك الطوائف في عهده برباط وثيق من المودة والمصاهرة[١] ، وبالرغم مما اتسمت به سياسته الداخلية من عنف وقسوة في بعض الأحيان[٢] ، إلا أن سياسته الخارجية اتسمت بالحكمة والبراعة في الدبلوماسية ، فقد ارتبط بعلاقات وطيدة مع بني زيري في افريقية[٣] ، ومع بني حماد في المغرب الأوسط[٤] ، ومع الفاطميين في مصر[٥] ، وعمّت شهرته في بلاد المغرب والمشرق .

وفاة مجاهد العامري وتولية ابنه علي إقبال الدولة

لقد عاش مجاهد العامري حياة حافلة جمع فيها بين السيف والقلم ، وكانت جزر البليار ودانية في عهده من المراكز العلمية الهامة في غرب العالم الإسلامي ، وأسهمت بنصيب وافر في التراث الإسلامي بفضل تشجيعه[٦] .

ولقد استحق عن جدارة الرسالة التي أهداها إليه الكاتب الأديب أحمد بن برد في « السيف والقلم والمفاخرة بينهما » . . « اللذان جمعهما الله لمجاهد الكريم ، الموفق أبي الجيش مولى المعالي ومسترقها ومستوجب المكارم ومستحقها . . » ، لقد كان فريداً في عصره في كل ناحية ، في شكله وشجاعته وفروسيته وخبرته العسكرية الواسعة ، وفي علمه وأدبه ، في ميزاته وسلبياته ، فقد جمع شتى التناقضات بشكل متكامل ، لهذا كان عظيماً رغم سلبياته ، عالماً جليلاً رغم هفواته ، قائداً باسلاً رغم نزواته ، لقد كان بحق صورة صادقة عن العصر الذي عاش فيه ، ودخل التاريخ من أوسع أبوابه[٧] . وأضفى الخيال على اسمه هالة من البطولة ، وتناقل سكان الثغور المسيحية في

---

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثاني/المجلد الأول ، ص ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ . وص ٩٦ - ٩٧ . والقسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٢٣ . وديوان ابن زيدون : ص ٢٨٧ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ . وابن الأبار : التكملة ، ص ٦٠٨ ترجمة رقم ٢/١١٥ نشرة قديرة . والحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ . وابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٣ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ وحاشية « ١ » .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس والمغرب ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن الأبار : التكملة ج ١ ، ص ٤٢ طبعة عزت العطار الحسيني وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .

(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع المجلد الأول ، ص ٢٦٥ .

(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ، ص ٣٩٨ .

(٦) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ص ٢٢ - ٢٤ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٦ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٧ - ٢٢١ .

(٧) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١١٥ ، ترجمة رقم ١٩٢ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ١٦٤ - ١٦٥ . ترجمة رقم ٣٥٤ . وابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الأول/ المجلد الأول ، ص ١٩٣ ، وص ٥٢٣ والقسم الرابع ج ١ ، ص ٢٣ . وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤١ . وابن الخطيب : =

الحوض الغربي للبحر المتوسط أخبار حملاته جيلاً بعد جيل ، وظل اسمه أسطورة من الأساطير في الحوض الغربي للبحر المتوسط لعدة قرون بعد وفاته[١] . وخلفه على عرش مملكة دانية والبليار ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م ابنه علي إقبال الدولة ، فكان خير خلف لخير سلف[٢] .

الفترة الثانية
عهد علي إقبال الدولة
٤٣٦ - ٤٦٨ هـ = ١٠٤٥ - ١٠٧٦ م

نشأته الأولى

عاش علي بن مجاهد منذ نشأته الأولى وحتى وفاته حياة حافلة بأغرب الأحداث ، فقد ولد في عام ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م[٣] ، وفي الثامن من ذي الحجة ٤٠٠ هـ = ٢٤ يوليو ١٠١٠ م غادر والده قرطبة إلى شرق الأندلس لتأسيس دعائم مملكة له هناك ، وقد نجح في الاستيلاء على دانية في مطلع عام ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م[٤] ، وعاش علي بن مجاهد طفولته الأولى في دانية كما كان

= أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٨ . وابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٨٣ . والعبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ وحاشية « ١ » .

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٧٣ - ٧٥ . ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٩٤ . وكليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ . ود . أحمد مختار العبادي : الصقالبة في إسبانيا ، ص ٢٦ .

(٣) كان علي بن مجاهد في السابعة من عمره في ذي الحجة ٤٠٦ هـ = ابريل ١٠١٦ م عندما أسره البيزيون في حملة والده مجاهد على سردانية .
(ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١) .

(٤) غادر مجاهد العامري قرطبة على رأس قواته إلى شرق الأندلس في يوم مقتل الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي (ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٣٥٤) . وكان مقتل الخليفة المهدي على يد الموالي العامرية وعودة الخليفة هشام المؤيد إلى سدة الخلافة في ٨ ذي الحجة = ٢٤ يوليو ١٠١٠ م (ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ، ص ١٠٠) ، وبعد مغادرة مجاهد العامري لقرطبة توجه إلى طرطوشة ، وعندما أخفق في الاستيلاء عليها غادرها إلى دانية في مطلع عام ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م كما نرجح . (ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤) .

يعيش بقية الأمراء في عصر ملوك الطوائف المغرق في الترف والبذخ والمغالاة في كل شيء ، وبرز اسم هذا الطفل على مسرح التاريخ بعد حملة والده مجاهد العامري على جزيرة سردانية في شهر ربيع الأول ٤٠٦ هـ = أغسطس ١٠١٥ م[١] ، حيث أقام هناك مع والدته في المدينة التي أنشأها والده مجاهد في جزيرة سردانية[٢]. وعندما تعرض أسطول البليار ودانية إلى هزيمة ساحقة في مواجهة حلف بحري مسيحي بعد انسحابه من سردانية في ذي الحجة ٤٠٦ هـ = ابريل ١٠١٦ م[٣] ، وقع علي بن مجاهد في الأسر ، وكان في السابعة من عمره[٤] مع أمه وأخواته وعماته وعمه وجدته لأبيه جود النصرانية وإحدى أخواتها[٥]. وقد فرح البيزيون عندما علموا أن من بين حشود الأسرى الذين وقعوا في أيديهم « علي بن مجاهد العامري » وأرسلوه إلى حليفهم امبراطور المانيا هنري الثاني لينالوا حظوة لديه[٦]. وقد تمكن مجاهد العامري بعد عودته إلى جزر البليار من حملته الفاشلة على سردانية من إطلاق سراح « نسائه وبناته وأخواته من الأسر » ، بعد فترة وجيزة ، أما والدته جود النصرانية فقد اختارت أهل ملتها وتبعتها أختها فأعرض عنهما . . ، أما ابنه علي . . « فقد أعياه فداؤه . . » بالرغم من أنه تعهد للوسطاء بدفع عشرة الآف دينار مقابل إطلاق سراحه ، وظل في الأسر رهينة ستة عشر عاماً[٧].

وفي سنة ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م نجحت مساعي القائد بن حماد أمير المغرب الأوسط في تخليص علي بن مجاهد من الأسر[٨] ، نظراً لما كان لبني حماد من علاقة وثيقة بالبابوية والجمهوريات البحرية الإيطالية ، وصلت إلى ذروتها في عهد الناصر بن علناس[٩]. وكان الوسيط الذي سعى جاهداً في تخليص علي بن مجاهد من الأسر هو أحد كبار البيزيين في بلاط الامبراطور الألماني هنري الثاني ، وقام ابنه ويدعى بـ « البتزوني Albitzone » بإعادته إلى أبيه في دانية ونال بذلك حظوة كبرى لدى مجاهد العامري وأصبح من أقرب المقربين إليه ، كما ارتبط علي بن

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ص ١١٦ . وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٢٩٠ .
(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٦٨ وج ٩ ، ص ٢٩٠ .
(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ص ٥٦٨ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ص ٢١٩ .
(٦) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ٢٥٠ .
(٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٩ – ٢٢١ .
(٨) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع/ المجلد الأول ، ص ٢٦٥ .
وأبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٩) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٨ .

مجاهد برباط وثيق مع بطرس بن البتزوني Pietro الذي أصبح أسقفاً لبيزة كبرى جمهوريات ايطاليا البحرية[١].

وكان علي بن مجاهد عند وصوله إلى دانية في سفينة بيزية عبر جزيرة ميورقة شابا في الثالثة والعشرين من عمره يرتدي ملابس الجرمان الذين عاش بينهم ستة عشر عاماً ، ويتحدث بلغتهم ، ويصفه ابن الخطيب عند وصوله من الأسر بقوله وكان « فتى كاهلاً يتكلم بلسان الروم الذين ربي بينهم ويتزيا بزيهم ويقول بقولهم »[٢] ، ويتحامل عليه ابن بسام قائلاً « ونشأ علجاً متجهماً وأعجم طمطما »[٣].

وسرعان ما استجاب هذا « الأعجم » لمؤدبيه وأظهر نباهة أثارت إعجاب أبيه! ولم تخف على مجاهد اللبيب ألمعية هذا الفتى وما يتحلى به من مواهب ، فأولاه عنايته واعتنى بتعليمه وتأديبه[٤].

وكانت دانية وجزر البليار في عهد مجاهد من المراكز الأدبية والعلمية ذات الشهرة الواسعة ، تزخر بالمكتبات وتحفل بالعلماء والأدباء والفقهاء ، مما وفر لعلي بن مجاهد إمكانيات كبيرة للتزود من منابع التراث الإسلامي في رحاب والده مجاهد « أديب ملوك عصره » على يد الفقيه المحدّث المقرىء ابن عبد البر النمري والعالم اللغوي المؤرخ ابن معمّر اللغوي وابن سيده النحوي وأمثالهم من كبار العلماء الذين توافدوا على بلاط مجاهد العامري من كافة أرجاء الأندلس[٥]. وتعلّق هذا الفتى بالإسلام وآمن به عن اقتناع ، فما إن عرض عليه والده الدخول في الإسلام حتى استجاب إليه ، « وحسن إسلامه وختنه فأصابه من ذلك مرض شديد . . »[٦] ، وازدادت ثقة والده به وأرسله في سفارة إلى المعز بن باديس أمير افريقية بصحبة القاضي أحمد

(١) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .
(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٣) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ، ص ٢٦٥ .
(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٥) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ص ٢٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٨ – ٢٢١ .
(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .

ابن الحسن الغساني كبير قضاة البليار ودانية[١] . ومن شدة إعجاب والده به قرر أن يجعله ولياً لعهده بدلاً من أخيه حسن سعد الدولة[٢] .

تولية علي بن مجاهد العهد واعتلاؤه العرش

نظراً لوقوع علي بن مجاهد في الأسر واخفاق والده في إطلاق سراحه حتى عام ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م[٣] ، فقد ولّى مجاهد العامري ابنه الأصغر حسن سعد الدولة ولياً لعهده ، وسك النقود باسمه ، وقد عثر على نقود تعود إلى عهد مجاهد تحمل اسم سعد الدولة سكت في دانية سنة ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م وهي السنة التي أطلق فيها سراح أخيه الأكبر علي ، كما عثر على نقود تحمل اسم سعد الدولة حتى عام ٤٣٤ هـ = ١٠٤٣ م . ومما يدعو للدهشة والتساؤل أن جميع النقود التي سكت في دانية وميورقة منذ عام ٤٠٦ هـ = ١٠١٦ م وحتى عام ٤٣٤ هـ = ١٠٤٣ م لا تحمل اسم مجاهد ملك دانية والبليار[٤] ، ويمكن تعليل عدم وجود اسم مجاهد في سكة عام ٤٠٦ هـ = ١٠١٦ م بتمرد الخليفة عبدالله المعيطي المنتصر بالله وعزله لمجاهد العامري وإغفاله لاسمه على السكة[٥] ، ولكن من الصعب تعليل عدم وجود اسم مجاهد على النقود التي سكت في دانية بعد هذا التاريخ وحتى عام ٤٣٤ هـ = ١٠٤٣ م ، وكذلك تعليل وجود أسماء شخصيات مجهولة لا نعرف عنها شيئاً حتى الآن وهي أسماء أحمد[٦] ويحيى وعبدالله وجهور مع اسم حسن سعد الدولة ولي العهد ، مما يدل على أن حسن سعد الدولة ظل ولياً للعهد حتى عام ٤٣٤ هـ = ١٠٤٣ م[٧] . وفي نفس العام جعل مجاهد العامري ابنه علي إقبال الدولة بمنزلة أخيه حسن سعد الدولة[٨] . وقد عثر على دينار من عهد مجاهد العامري يحمل اسمه ، واسم ولي العهد

---

(١) العذري . نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٥ – ١٦ .
وابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ٤٦ طبعة عزت العطار الحسني .
ومحمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة/ القسم الأول/ السفر الأول ، ص ٩٤ .
وأعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٧ . وأعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ص ٢٢١ .
(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٤) انطونيو بريتو فيفس : ملوك الطوائف ، ص ٣٤ – ٣٦ و١٢٢ – ١٢٣ وص ١٨١ – ١٩٢ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢٠ . وانطونيو بريتو فيفس : ملوك الطوائف ، ص ٣٥ و١٨١ .
(٦) ربما يكون « أحمد » المشار إليه هو « أحمد بن رشيق » الذي يذكر عنه الحميدي الميورقي ما يلي : « وبلغ من رياسة الدنيا أرفع منزلة وقدمه الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد العامري على كل من في دولته » (الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٢٢ – ١٢٣ ، ترجمة رقم ٢٠٨) .
(٧) انطونيو بريتو فيفس : ملوك الطوائف ، ص ١٢٢ وص ١٩١ – ١٩٢ .
(٨) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .

حسن سعد الدولة واسم أخيه علي إقبال الدولة ، من سكة عام ٤٣٤ هـ = ١٠٤٣ م كما عثر على درهم سك في ميورقة في عام ٤٣٥ هـ = ١٠٤٤ م ، ودراهم سكت في دانية في نفس العام تحمل أسماء مجاهد وولديه حسن وعلي من جهة ، واسم الخليفة المزعوم هشام المؤيد ، وآخر الدراهم التي عثر عليها من عهد مجاهد العامري سكت في دانية في عام ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م وتماثل دراهم عام ٤٣٥ هـ = ١٠٤٥ م[١] .

وفي نفس هذا العام توفي مجاهد العامري[٢] . وتدل هذه النقود على أن مجاهد العامري اعتبر ولديه حسن وعلي بمنزلة واحدة اعتباراً من عام ٤٣٤ هـ = ١٠٤٣ م وحتى عام ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م الذي توفي فيه مجاهد ، وقبل وفاته ببضعة شهور « قلّد مجاهد ابنه علي إقبال الدولة الأمر من بعده صارفاً إياه عن ولده حسن »[٣] .

كما تدل هذه النقود على أن مجاهد العامري كان يعترف بالدعي المشبّه بهشام المؤيد خليفته ، ولم يكن سوى مؤذن من إحدى قرى اشبيلية يدعى « خلف الحصري » ، ادعى أمير اشبيلية محمد بن اسماعيل بن عياد على أنه الخليفة هشام المؤيد وتبارى ملوك الطوائف في بيعته[٤] .

وقد أدى ترشيح مجاهد العامري لابنه علي إقبال الدولة ولياً لعهده وملكاً على دانية والبليار من بعده ، إلى تأريج العداء بينه وبين أخيه حسن سعد الدولة الذي بيّت الغدر بأخيه علي ، وصمّم على الوصول إلى الملك الذي حرم منه على جثته . وفي سنة ٤٣٧ هـ = ١٠٤٦ م وقبل مضي سنة واحدة على وفاة مجاهد العامري واعتلاء ابنه علي إقبال الدولة عرش مملكة دانية والبليار[٥] ، تآمر سعد الدولة مع زوج أخته المعتضد بن عبّاد أمير اشبيلية على قتل أخيه علي ، بالرغم من كل المحاولات التي بذلها لاسترضائه وأرسل معه المعتضد قاتلاً محترفاً يدعى « سلمة » ، وحاول حسن سعد الدولة اغتيال أخيه بالتعاون مع « سلمة » أثناء مروره في زقاق ضيق بعد خروجه من صلاة الجمعة من جامع دانية وفشلت المحاولة ، وأسفرت عن مقتل « سلمة » وهروب حسن سعد الدولة إلى بلنسية من أحد أبواب دانية وهو يصرخ « غدرنا يا

---

(١) انطونيو بريتوفيفس : ملوك الطوائف ، ص ٣٤ – ٣٦ وص ١٢٢ – ١٢٣ وص ١٩٢ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الأول/ المجلد الثاني ص ٩٤٢ – ٩٤٣ ، والقسم الثاني/ المجلد الأول ص ٣٧ – ٣٨ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٤٤ و٢٤٩ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .

مسلمين »! والتجأ الغادر إلى زوج أخته الثانية[١] السيدة أسماء بنت مجاهد العامري ، زوجة ملك بلنسية وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد المنصور بن أبي عامر[٢] ، حيث عاش هناك بقية عمره محتقراً ، ونجا علي إقبال الدولة بالرغم من إصابته بطعنتين من خنجر أخيه ، وحمل إلى قصره وهو في حالة غيبوبة من كثرة ما نزفت جراحه ، وتعافى في اليوم التالي واستعاد قوته وسرعان ما التأمت جراحه ، واستقر له الملك دون منازع[٣]. وبالرغم من نشأته الأولى في بيئة مسيحية وما تعرّض له من أحداث ، فقد كان أنبل ملوك عصره المغرق في الغدر والقسوة وسفك الدماء ، وأكثرهم تعلقاً بالإسلام وتطبيق تعاليمه ، وليس أدل على ذلك من وصف عبد الواحد المراكشي له بقوله « لا أعلم في المتغلبين على جهات الأندلس أصون منه نفساً ولا أطهر عرضاً ولا أنقى ساحة ، كان لا يشرب الخمر ولا يقرب من يشربها وكان مؤثراً للعلوم الشرعية مكرّماً لأهلها »[٤]. وكان علي إقبال الدولة يختلف عن والده مجاهد اختلافاً بيّناً في سياسته الداخلية ، فبينما كان جلّ اهتمام مجاهد في الحروب وتحقيق الانتصارات والتطلع إلى المجد العسكري وتوسيع نطاق مملكته[٥] ، انصبّ اهتمام أبنه علي إقبال الدولة بالدرجة الأولى على تنشيط حركة التجارة وتدعيم الازدهار الاقتصادي في مملكته وجمع الأموال وتكديسها[٦]. وقد تماثلا في الذكاء وتكريم العلم وأهله وتشجيع العلماء والأدباء في دانية والبليار ، وفي الارتباط بعلاقات داخلية وخارجية واسعة ، والاهتمام بتدعيم مملكة دانية والبليار ، وإن اختلفا في الأسلوب وتباينا في الفضائل[٧] ، وكان لسياسة علي إقبال الدولة السلمية في الداخل

---

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثاني/ المجلد الأول ص ٢٤ ، ٢٩ والقسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ١٧ ، ٧٠ وص ١٦٩ - ١٧٠ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٢) ابن الأبار: التكملة ، ص ٦٠٨ ، ترجمة رقم ٢ / ١١٥ نشرة قديرة .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .
(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٢٧ .
(٥) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ص ٢٢ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
(٦) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ص ٢٦٥ .
ومذكرات الأمير عبدالله المعروفة بكتاب التبيان ، ص ٧٧ - ٧٨ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
(٧) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ٣٩٧ - ٤٠٣ . =

أكبر الأثر على مصيره ومصير أبنائه وضياع ملكه[١] . أما سياسته الخارجية فكانت ناجحة جداً مما دعمّ جزر البليار أحبّ أرجاء مملكته إلى نفسه في صراعها المصيري تحت حكم عمالها في عهده[٢].

ولاة البليار في عهد علي إقبال الدولة

تمكّن علي إقبال الدولة بما عرف عنه من ذكاء وألمعية وبراعة في الدبلوماسية من تدعيم مكانته في الداخل والخارج وجعل من المملكة المجاهدية بجناحيها في البر الاسباني وفي جزر البليار مملكة مزدهرة قوية راسخة الدعائم ، وبالرغم من عنايته الفائقة بدانية وملحقاتها في شرق الأندلس ، إلا أنّه كان يعتبر جزر البليار أفضل أجزاء مملكته ، لهذا أولاها عنايته واهتم بتعزيز أساطيلها وتقوية دفاعاتها وأوكل إدارة شئونها لعمال مهرة ، عرفوا بشجاعتهم ، وتمرسوا على شئون البحر مما مكنهم من الدفاع عنها والإسهام بدور بارز في الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وتحقيق أروع الانتصارات في وقت اختلت فيه موازين القوى البحرية ورجحت كفة الأساطيل المسيحية[٣].

وكان آخر ولاة جزر البليار في عهد مجاهد العامري « مولاه الأغلب » الذي وُلّي عاملاً على هذه الجزر ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م وظل عاملاً عليها حتى وفاة مجاهد ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م . وعندما تبوأ علي إقبال الدولة أقرّ الأغلب في عمله إلى أن استأذنه بتأدية فريضة الحج في عام ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م ، كما يتضح من فحوى نص ابن خلدون . وتعاقب من بعد الأغلب الولاة على هذه الجزر في عهد علي إقبال الدولة حتى استيلاء المقتدر بن هود على دانية ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م[٤] وزوال ملك علي إقبال الدولة[٥] ، واستقلال عبدالله المرتضى أغلب بجزر البليار[٦] ، وكان ولاة البليار على التعاقب في عهد علي إقبال الدولة هم ما يلي :

= وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ج ٢ ، ص ٤٠١ وابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ وص ٢٢٨ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ . ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢١٨ - ٢٢٢ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٣ - ٨٤ ، وارشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ص ٣٧١ - ٣٧٣ ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
(٥) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ٨١ - ٨٢ .
(٦) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ ، والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر =

أ - الأغلب (الفترة الثانية)

تمرّس على شئون البحر في فترة توليته عاملاً على البليار في عهد مجاهد العامري ٤٢٨ - ٤٣٦ هـ = ١٠٣٦ - ١٠٤٥ م وأسهم بدور كبير في الدفاع عن جزر البليار والتصدي للغارات البحرية التي كانت تشنها أساطيل بيزة وجنوة والبروفانس على سواحل هذه الجزر، وطارد الغزاة على رأس أسطوله إلى عقر دارهم[١].

وتشيد الرواية الإسلامية « بالأغلب مولى مجاهد وصاحب ميورقة » وتبرز دوره في الجهاد البحري والتصدي للأساطيل المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وفي الإغارة على قواعدها البحرية ؛ ويقول ابن خلدون في هذا الصدد : « وكان الأغلب صاحب غزو وجهاد في البحر »[٢]. وقد عزّز علي إقبال الدولة موقف الأغلب في جهاده لما أجراه من اتصالات دبلوماسية مع أمير افريقية المعز بن باديس ٤٦٠ - ٤٥٤ هـ = ١٠١٩ - ١٠٦٣ م[٣] لتوحيد الجبهة الإسلامية في مواجهة عدوان الأساطيل المسيحية، ويتضح ذلك من رسائل علي إقبال الدولة للمعز بن باديس، وقد ذكر ابن بسام الشنتريني رسالتين من هذه الرسائل إحداهما من إنشاء الكاتب محمد بن سعيد التاكرني[٤]، والثانية من ترسيل الوزير الكاتب عبد العزيز محمد بن أرقم النمري[٥].

وبالرغم من الأعباء الملقاة على بحرية « بني زيري » في افريقية في الدفاع عن صقلية الإسلامية، فقد أسهمت بدور هام في تعزيز أساطيل جزر البليار ومساندتها بشكل مباشر وغير مباشر في التصدي للأساطيل المسيحية، خاصة أساطيل بيزة وجنوة التي احترفت القرصنة منذ عام ٤٣٤ هـ = ١٠٤٣ م، ووصلت بها الجرأة إلى حد تطاولت فيه على ثغر بونة بساحل افريقية وعلى ثغور ساحل الأندلس الشرقي، وجمع البيزيون والجنويون ثروات طائلة من عمليات

= البليار، ص ٨١، ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف، ص ٢٠٢ .

(١) ابن خلدون : العبر، ج ٤، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

ود . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ١١٧ . وأرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٣٤٦، ٣٧٣ .

ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف، ص ٢٠٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر، ج ٤، ص ٣٥٥ .

(٣) ابن الأبار : الحلة السيراء، ج ٢، ص ٢١ .

وأبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٤٩ .

(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٥) المصدر السابق، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

القرصنة ونهب الثغور الإسلامية[١]. كما قامت الأساطيل المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط بغارات مماثلة على جزر البليار، ولكن أساطيل الأغلب كانت لها بالمرصاد[٢]، ولم يكتف الأغلب بالدفاع عن جزر البليار، ولكنه تجاوز ذلك إلى مطاردة الأساطيل المعتدية والإغارة على قواعدها في سواحل قطلونية والبروفانس[٣]. ففي سنة ٤٣٨ هـ = ١٠٤٧ م أغار على جزر لارين Lerins في جنوب شرق البروفانس في بلاد الفرنجة وتمكن من الاستيلاء عليها، واتخذ من جزيرتي سانت اونورا وسانت مرجريت قواعد لأسطول البليار لقطع الطريق على الأساطيل الفرنجية والبيزية والجنوية[٤]. وقام الأغلب بعدة غارات على جزيرة سردانية وتمكن من الاستيلاء عليها ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م[٥].

استيلاء الأغلب على جزيرة سردانية

حقق الأغلب عامل البليار نصراً باهراً على أساطيل بيزة ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م تمكن على أثره من استعادة جزيرة سردانية من أيدي البيزيين[٦]، وتذكر المدونة البيزية ما يلي في حوادث عام ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م : « غزا مجاهد (والأصح الأغلب) جزيرة سردانية بجيش كبير وتمكن من الاستيلاء عليها وأنشأ فيها عدداً من المدن وقام البابا ليو التاسع بتكوين حلف بحري مسيحي بزعامة بيزة لطرد المسلمين من جزيرة سردانية، وهاجم البيزيون القوات الإسلامية في الجزيرة بعد أن أذن لهم المقر البابوي، الذي منحهم شرف حمل راية القديس بطرس « سان بيدرو »، ونجحوا في هزيمة القوات الإسلامية التي انسحبت من سردانية، ونتيجة لما بذلته أساطيل بيزة من جهود في تحقيق هذا النصر، فقد منح المقر البابوي لبيزة السيادة على جزيرة سردانية، وقامت بيزة بدورها بإعلان سيادة الامبراطورية الرومانية المقدسة على سردانية تكريماً لامبراطور الجرمان على ما قدمه من عون كان له أكبر الأثر على ما حققته الأساطيل المسيحية من نصر على المسلمين في هذه الجزيرة »[٧].

---

(١) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٤٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٧٣ .

(٣) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف، ص ٢٠٢ .

(٤) شكيب أرسلان - رينو - تاريخ غزوات العرب، ص ٢٥٦ وحاشية « ١ »، وينسب رينو قيادة هذه الحملات البحرية لمجاهد العامري الذي توفي ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م قبل إغارة أسطول البليار على جزر لارين بعامين (ابن خلدون : العبر، ج ٤، ص ٣٥٤).

(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٤ - ٧٥ .

وأرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية، ص ٣٧١ .

(٦) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري، ص ٢٠٧ .

(٧) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٤ - ٧٥ .

ويعلل أرشيبالدلويس استعادة أساطيل البليار لسردانية بالمنازعات التي نشبت بين الجنويين والبيزيين، مما مكن الأمير علي بن مجاهد[1] صاحب دانية والبليار من استعادة هذه الجزيرة، ويضيف إلى ذلك بأن بيزة وجنوة اتفقتا في عام ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م نتيجة لمساعي البابا ليو التاسع على «طرد القراصنة الأندلسيين من جزيرة سردانية» على حد قوله[2].

وتذكر كليليا سارنللي بأن المصادر اللاتينية تنسب فتح سردانية في عام ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م إلى مجاهد العامري، بالرغم من أن مجاهد توفي قبل هذا الفتح بخمس سنوات، وتعلل إخفاق القوات الإسلامية في إخضاع جزيرة سردانية في حملة عام ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م بثورة سكان الجزيرة من جهة واشتباك هذه القوات مع حلف بحري مسيحي بزعامة بيزة كبرى جمهوريات ايطاليا البحرية تحت علم البابوية، وقد نجح هذا الحلف بمساندة ثوار جزيرة سردانية في «طرد العرب من سردانية إلى الأبد» على حد قولها، واستولت بيزة على الجزيرة، وكانت نتيجة ذلك نشوب حروب بحرية بينها وبين جنوة التي كانت تتطلع إلى الاستحواذ على سردانية، وانتهت في نهاية المطاف بهزيمة بيزة[3]. ويعتبر الدكتور مؤنس بأن ضياع جزيرة سردانية من أيدي المسلمين كان الخطوة الأولى لضياع سيادتهم على غرب البحر المتوسط[4]. ومما زاد من ضعف الجبهة الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد سقوط سردانية في قبضة بيزة هو ضعف البحرية الزيرية نتيجة لاكتساح أعراب بني هلال وسليم أرجاء افريقية، بتحريض من الحسن ابن علي اليازوري وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ٤٢٧ – ٤٨٧ هـ = ١٠٣٥ – ١٠٩٤ م انتقاماً من أمير افريقية المعز بن باديس لخروجه على الفاطميين، وإعلان طاعته للخليفة العباسي القائم بأمر الله ٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م. ووقف الدعاء للخليفة الفاطمي في عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م والدعاء على منابر افريقية للعباسيين[5]. وكانت نتيجة هجوم هؤلاء الأعراب على «افريقية» وعيثهم فيها فساداً ٤٤٣ هـ = ١٠٥٢ م واقتحامهم للقيروان

---

(١) لم أعثر في أي مصدر تمكنت من الاطلاع عليه بأن علي بن مجاهد قام بحملات بحرية والأرجح أن الذي قام بالحملة البحرية على سردانية هو الأغلب عامل البليار في مطلع عهد علي بن مجاهد، وكان الأغلب كما يقول ابن خلدون «صاحب غزو وجهاد في البحر» (العبر، ج ٤، ص ٣٥٥).

(٢) أرشيبالدلويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٧١.

(٣) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٤) د. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ١١٧ – ١١٨.

(٥) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ص ٨٧ – ٨٩.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٧٥ – ٢٧٧.
وابن الأبار: التكملة، ج ١، ص ٤٢ طبعة عزت العطار الحسيني.
ورحلة التجاني: ص ٢٦٥. والناصري: الاستقصا، ج ٢، ص ١٦٥.
ود. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

٤٤٩ هـ = ١٠٥٨ م، اختلال موازين القوى البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ورجوح كفة الأساطيل المسيحية إلى حد خطير نتيجة لانهيار البحرية الزيرية بعد سقوط جميع قواعدها البحرية في يد الأعراب، باستثناء ثغر المهدية الذي اعتصم فيه أمير افريقية المعز بن باديس بعد تعرضه لهزائم مدمرة أمام جحافل الأعراب المخربة[1]، مما اضطر بني زيري إلى توقيع معاهدات سلام مع الجمهوريات البحرية الإيطالية والبابوية[2]، وكان بنو حماد في المغرب الأوسط يتبعون نفس السياسة في مهادنة الجمهوريات البحرية الإيطالية والبابوية[3].

ونتيجة لتخاذل بني زيري في افريقية وبني حماد في المغرب الأوسط وانشغال جزيرة صقلية الإسلامية وثغور الأندلس الشرقية بالتصدي لغارات الأساطيل المسيحية، فقد وقع عبء الدفاع عن السيادة الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط على جزر البليار التي أصبحت وحدها في مجابهة الأساطيل الإيطالية والفرنجية والقطلانية مما عرضها لأخطار داهمة[4]. وتعرضت البليار إلى غارات بحرية متلاحقة[5]، بعد استعادة بيزة لجزيرة سردانية ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م[6]، ومسالمة بني زيري للنورمان الذين كانوا يجتاحون جزيرة صقلية، وتخليهم عن نصرة هذه الجزيرة الإسلامية التي كانت تشكل الدرع الواقي لسواحل افريقية والجناح الأيمن لجزر البليار. ويشير أرشيبالدلويس إلى أهمية جزيرتي صقلية وسردانية وجزر البليار في الدفاع عن الثغور الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط بما يلي: «طالما بقيت صقلية وجزر البليار في أيدي المسلمين، وطالما بقيت جزيرة سردانية على حيادها، فقد توافرت للأندلس وافريقية الحماية»[7].

أما جزيرة صقلية فقد كانت تواجه آنذاك غارات بحرية كاسحة من الأساطيل الإيطالية وتتعرض إلى الاجتياح النورمندي، مما ضعضع قواها ودمر أساطيلها البحرية، وأصبحت سردانية بعد أن استعادتها بيزة ٤٤١ هـ = ١٠٥٠ م من قواعد العدوان على الثغور الإسلامية في غرب البحر المتوسط، ولم يبق في الميدان سوى جزر البليار التي جابهت وحدها «عدة غارات

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٨٨ وص ٢٩٤.
وابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٥٦٨ – ٥٦٩.

(٢) د. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ١١٧ – ١١٩. أرشيبالدلويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٧٣.

(٣) د. حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص ١١٨ – ١١٩.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٧ – ١١٩.

(٥) أرشيبالدلويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٧٢ – ٣٧٣.

(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٧٤ – ٧٥.
وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٧) أرشيبالدلويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٢٢، ٣٧١.

قرصنية » من الأساطيل المسيحية التي هيمنت على مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وأخذت تفرض الأتاوات الضخمة على الثغور الإسلامية في ساحل الأندلس الشرقي . وقد خضعت بلنسية والمرية لهذا الابتزاز ، ودفعت للجمهوريات الإيطالية مبالغ طائلة لحماية سكانها من القتل والأسر والسلب والنهب[١] . وإن صمود جزر البليار في وجه هذه الهجمة الشرسة مفخرة للأغلب الذي دافع بشموخ عن هذه الجزر إلى أن استعفى من عمله[٢] . وأرجح بأن علي إقبال الدولة اضطر لتوقيع معاهدة صداقة مع إمارة قطلونية في شوال ٤٤٩ هـ = ديسمبر ١٠٥٧ م ، اعترف بموجبها بحق أسقف برشلونة في الإشراف الكنسي على الرعايا المسيحيين في جزر البليار ودانية ليتجنب خطر الحصار من قطلونية غرباً والبروفانس في بلاد الفرنجة شمالاً ، والجمهوريات الإيطالية شرقاً[٣] . وبالإضافة إلى الدور البطولي الذي قام به الأغلب في الدفاع عن ثغور المملكة المجاهدية العامرية في مواجهة الأساطيل المسيحية المتفوقة ، فقد أسهم كذلك في تأمين سلامة الخط الملاحي بين هذه الثغور وميناء الاسكندرية ، مما وفر الازدهار الاقتصادي للبليار ودانية[٤] .

دور أساطيل البليار في تأمين سلامة السفن التجارية

إن من الظواهر التي تسترعي النظر في فترة ولاية الأغلب الثانية للبليار هي وجود خط ملاحي بين ثغور المملكة المجاهدية العامرية في « البليار ودانية » وميناء الاسكندرية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[٥] ، وكانت الشحنات التجارية والهدايا والتحف ترسل في سفن حربية « حربيات » خوفاً من تعرض الأساطيل الإيطالية لها عبر طريقها إلى الاسكندرية[٦] .

(١) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧١ – ٣٧٥ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٣ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ٢٠٣ .
وكليليا سارنللى تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .
(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ص ٣٩٥ – ٣٩٧ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .
والحلل الموشية في الأخبار المراكشية : مجهول المؤلف ، ص ٥٥ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالاندلس ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ . ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ . والحلل الموشية في الأخبار المراكشية : مجهول المؤلف ، ص ٥٥ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ص ٢٢١ – ٢٢٢ .
(٦) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ٣٩٥ – ٣٩٧ .

وكان الأغلب عامل جزر البليار وقائد أساطيلها[١] ينفذ أوامر علي إقبال الدولة « ملك البليار ودانية » في تأمين وصول هذه السفن إلى مصر وتوفير الحماية اللازمة لها عبر طريقها الطويل من شرق الأندلس إلى الاسكندرية ، فقد كانت التجارة وجمع الأموال وتنمية موارد المملكة المجاهدية العامرية الاقتصادية هي أكثر الاهتمامات التي أولاها علي إقبال الدولة منتهى عنايته ، وكانت من أبرز صفاته ، ويصفه ابن بسام الشنتريني في تحامل ظاهر قائلاً : « كانت همته في خراج يجبيه لا في معقل يحتبيه ، وهمّه المتجر ينّميه لا المفخر يحميه ، أصعب خلق الله بلبوس ومطعم واصباه إلى دينار ودرهم . . »[٢] .

ويذكر عنه الأمير عبدالله الصنهاجي أمير غرناطة في مذكراته وكان معاصراً له « بأنه كان يحب المال ويغالي في جمعه »[٣] . ويصفه ابن سعيد المغربي قائلاً : « كانت همته في التجارة وجمع الأموال »[٤] . ويؤكد ابن الخطيب براعة علي إقبال في جمع المال ويذكر بأنه « كان ناجحاً في أبواب الجباية والاكتساب »[٥] . لهذا استغل حاجة مصر للغلال في وقت عمّت فيه المجاعة في مصر في السنة الأولى من « الجوع العظيم » ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م ، التي ارتفعت فيها الأسعار في مصر وتبع « الغلاء وباء وكانت بداية ما يسمى بالشدة الكبرى » ، وعمّ الجوع أرجاء مصر ٤٤٧ هـ = ١٠٥٤ م وانعدمت الغلال[٦] وزادت حدة الوباء وهبط النيل في العام التالي واستشرى القحط وأكل الناس الميتة من الجوع[٧] . وما إن وصلت هذه الأنباء المروعة من مصر إلى علي إقبال الدولة حتى قام في عام ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م بإرسال سفن مشحونة بالغلال من ثغور مملكته في البليار وشرق الأندلس إلى ميناء الاسكندرية وعادت من هناك « مملوءة ياقوتاً وجوهراً وذهباً »[٨] !

وغطّى علي إقبال الدولة تطلّعه إلى الأرباح الطائلة والمغانم الوافرة التي كان يجنيها من

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .
(٢) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ، ص ٢٦٥ .
(٣) مذكرات الأمير عبدالله المسماة بالتبيان ، ص ٧٧ – ٧٨ .
(٤) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .
(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ .
(٦) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .
(٧) أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدّواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ج ٦/ الدرة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية ، ص ٣٦٩ .
(٨) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ .
ود . أحمد مختار العبادي : الصقالبة في اسبانيا ، ص ٢٦ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .

إرسال شحنات الغلال إلى مصر[١] بالتظاهر بموالاة الخلافة الفاطمية والإعلان عن عزمه الدعاء للخليفة الفاطمي المستنصر بالله على منابر مملكته[٢]. ويعلق الدكتور محمود علي مكي على ذلك قائلاً: « بأن هذه إشارة عظيمة القيمة يفهم منها بأن علي بن مجاهد قد دعا للفاطميين »[٣]، وهو ما يفهم في الواقع من رسالة على إقبال الدولة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله[٤]. ونظراً لرسوخ المذهب المالكي في دانية والبليار أسوة ببقية بلاد الأندلس التي « كانت المالكية فيها عصب الحياة » كما يقول الدكتور مكي[٥]، وحيث أن الدوافع الرئيسية من وراء إرسال علي إقبال الدولة الغلال إلى مصر هو جني الأرباح الطائلة لما عرف عنه من براعة في التجارة، وحب لجمع الأموال وتكديسها[٦]، لهذا فإنني أرجح بأن وعد علي إقبال الدولة بالدعاء للخليفة الفاطمي على منابر مملكته كان مجرد كلمات معسولة، ووعدا يصعب عليه تنفيذه، حتى لو أخلص النية في ذلك، فقد تغلغل المذهب المالكي في نفوس أهل البليار ودانية إلى درجة يصعب فيها إن لم يكن يستحيل الدعوة إلى المذهب الشيعي والدعاء للخليفة الفاطمي، من قبل علي إقبال الدولة بالذات الذي عرف عنه تعلقه بالمذهب المالكي وتكريمه لعلماء المالكية[٧]، منذ أن أرسله والده في سفارة إلى المعز بن باديس أمير افريقية بصحبة كبير قضاة البليار ودانية « أحمد بن الحسن الغساني »، وكان لهذه السفارة أكبر الأثر على تحول المعز بن باديس إلى المذهب المالكي[٨]، وإعلان طاعته للخليفة العباسي القائم بأمر الله ٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م ووقف الدعاء للخليفة المستنصر بالله الفاطمي ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م[٩] بعد وصول معتمد الخليفة العباسي « أبي الفضل

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٢٨.
وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢١ – ٢٢٢.
(٢) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ص ٣٩٥ – ٣٩٧.
(٣) د. محمود علي مكي: العلاقات بين مصر الفاطمية والأندلس خلال القرن الحادي عشر للميلاد، ص ٢٣.
(٤) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ص ٣٩٥ – ٣٩٧.
(٥) يحيى بن عمر: كتاب أحكام السوق/ نص جديد في الحسبة: تحقيق د. محمود علي مكي = صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد – المجلد الرابع، العدد ١ – ٢، ص ٥٩.
(٦) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٠١.
وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢١ – ٢٢٢.
(٧) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٢٧.
(٨) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ج ٤، ص ٧٥٦ – ٧٥٧.
وابن الأبار: التكملة، ج ١، ص ٤٦ طبعة عزت العطار الحسيني.
ومحمد الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة/ القسم الأول السفر الأول، ص ٩٤.
وابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢١.
(٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٧٥ – ٢٧٧.

محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي » إلى القيروان بعام واحد[١].

ومما يؤكد بأن علي إقبال الدولة لم يعترف فعلاً بالمستنصر بالله الفاطمي خليفة في مملكة دانية والبليار ولم يدع له على منابرها بالرغم من أنه وعد بذلك في رسالته الأولى للخليفة الفاطمي[٢]، النقود التي سكت في دانية وميورقة في عهد علي إقبال الدولة، حيث أنها تحمل اسمه واسم ولديه محمد معز الدولة والفتح (ولي العهد) وعبد الملك (سراج الدولة)، بالإضافة إلى اسم الخليفة المزيف « هشام المؤيد »[٣]، وبعد إعلان المعتضد بن عبّاد، أمير إشبيلية، موت الخليفة المزعوم « هشام المؤيد »[٤]، نجد على النقود التي سكّت في دانية وميورقة حتى نهاية عهد علي إقبال الدولة ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م، بالإضافة إلى اسم علي إقبال الدولة واسم ولديه محمد وعبد الملك اسم « الإمام عبد الله » الذي يشير بشكل عام إلى الخليفة العباسي مكان الإمام الوهمي « هشام المؤيد »[٥]، بعد أن أعلن عن موته للمرة الثالثة[٦]، كما يؤكد ذلك أيضاً أنه بمجرد توقف شحنات الغلال إلى مصر وانقطاع الاتصالات والمراسلات بين علي إقبال الدولة والخليفة الفاطمي المستنصر بالله ووزرائه[٧]، زال نهائياً أي تأثير فاطمي من « دانية والبليار » هذا وإن

---

(١) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول، ص ٨٩.
ومما يلفت النظر حقاً النص التالي لابن بسام الذي يقول فيه « وفي عام ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م صرف المعز بن باديس خطبته إلى صاحب مصر (المستنصر بالله) ونبذ العباسية » مما أدى إلى توجه أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي معتمد الخليفة العباسي القائم بأمر الله في افريقية، إلى بلدة سوسة بساحل افريقية وإيقاع الفتنة بين القيسية واليمنية من أهلها والتوجه بعد ذلك إلى المغرب الأوسط ومنه إلى دانية حيث بعث له ابن مجاهد « علي إقبال الدولة » عند نزوله إلى البر في ثغر دانية « بلحم وأرباع دقيق فصرفها في وجه رسوله وتعجل الارتحال إلى بلنسية فلقي براً ».
(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول، ص ٨٩).
(٢) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول، ص ٣٩٥ – ٣٩٧.
(٣) انطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٤٩.
(٥) انطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣.
(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٥٩.
(٧) أرسل علي إقبال الدولة ست رسائل للخليفة الفاطمي ووزرائه ذكر ابن بسام في الذخيرة فقرات منها (الذخيرة: القسم الثالث/ المجلد الأول ص ٣٩٥ – ٤٠٣) يراجع بالنسبة لوزراء الخليفة الفاطمي المستنصر بالله المشار إليهم في رسائل علي اقبال الدولة كتاب « كنز الدرر وجامع الغرر ج ٦ » الدرة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية، تأليف أبي بكر بن عبدالله بن أيبك الدوّاداري من ص ٣٦٠ – ٣٩٨. وهذه الرسائل المشار إليها هي من ترسيل وزير علي إقبال الدولة وكاتبه « أبي الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن أرقم النمري »، يمدح في الرسالة الأولى منها الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ويدعي انجذابه إلى الدعوة الفاطمية وعزمه على الدعاء لها، ويشير في ختامها إلى أنه أرسل شحنة من الهدايا والطرائف في حربي من أسطوله بقيادة « أبي الحسن كوثر » (الذخيرة/ القسم الثالث مج ١، ص ٣٩٥ – ٣٩٧). ويذكر ابن الأبار بأن تاريخ هذه الرسالة كان في =

وجد أصلاً ، وظل سكان المملكة المجاهدية العامرية على تمسكهم بالمذهب المالكي كبقية بلاد الأندلس[١].

الخاتمة المشرفة للأغلب

نجح الأغلب في فترة ولايته الثانية بما عرف عنه من جرأة وشجاعة وخبرة واسعة بشئون البحر والحروب البحرية[٢] في تأمين سلامة أساطيل البليار ودانية التجارية على الطرق الملاحية المعرّضة للعدوان عبر البحر المتوسط ، وفي حماية ثغور المملكة المجاهدية العامرية من غارات الأساطيل المسيحية المتربصة التي كانت تكيل الضربات لجزر البليار حيناً[٣]، ولجزيرة صقلية الإسلامية المهددة بالاجتياح حيناً آخر ، وكان من أعنف الغارات التي تعرّضت لها هذه الجزيرة الغارة العنيفة التي شنتها أساطيل بيزة على بلرم Palermo العاصمة في عام ٤٥٤ هـ = ١٠٦٣ م ، وقد تيمن البيزيون بما حصلوا عليه من مغانم وقاموا بتأسيس كاتدرائية بلدهم الشهيرة ذات البرج المائل والباقية حتى اليوم ، بالثروات الطائلة التي حصلوا عليها من غارتهم[٤].

ومما لا شك فيه هو أن الأغلب خاض معارك بحرية عديدة دفاعاً عن جزر البليار وحقق النصر فيها على الأساطيل الإيطالية التي أغارت عدة مرات على البليار في فترة ولايته

= عام ٤٥٢ هـ = ١٠٦٠ م (التكملة ، ص ٦٢٢ ترجمة رقم ١٧٥٥) . أما الرسالة الثانية فلأحد وزراء الخليفة المستنصر بالله الفاطمي لم يذكره كاتب هذه الرسائل بالاسم ، وتتضمن مدحاً وتزلفاً لهذا الوزير ، وعلى وعد بهدية قيمة في « حربي » للخليفة الفاطمي ووزيره المخاطب (الذخيرة القسم الثالث مج ١ ص ٣٩٧) . وتتضمن الرسالة الثالثة مدحاً « بالخلافة العظمى » وإشارة إلى إرسال مركب إلى مصر يحمل هدية حافلة للخليفة الفاطمي (الذخيرة/ القسم الثالث مج ١ ، ص ٣٩٨ – ٤٠٠) . وفي الرسالة الرابعة يعلن علي إقبال الدولة ولاءه وطاعته للخلافة الفاطمية (الذخيرة/ القسم الثالث مج ١ ص ٤٠٠ – ٤٠١) . أما الرسالة الخامسة فقد حملها أبو مروان بن نجية لأحد وزراء الخليفة الفاطمي لا تختلف في أسلوبها عن الرسائل السابقة وتتضمن مدحاً زائفاً وتزلفاً للخلافة الفاطمية (الذخيرة/ القسم الثالث مج ١ ص ٤٠٢ – ٤٠٣) . والرسالة السادسة إلى وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله على نفس منوال الرسائل السابقة من المدح المبالغ فيه والتزلف (الذخيرة/ القسم الثالث مج ١ ص ٤٠٣) .

(١) يحيى بن عمر : كتاب أحكام السوق/ نص جديد في الحسبة/ تحقيق د . محمود علي مكي = صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية/ مدريد ، ج ٤ ص ٥٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٣) ارشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ص ٣٧٢ – ٣٧٣ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .

(٤) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٩ .

الثانية ، وطارد الغزاة إلى عقر دارهم[١] . وإن بقاء هذه الجزر تحت الراية الإسلامية حتى استعفاء الأغلب من عمله وتولية صهره سليمان بن مشكيان عاملاً على البليار مكانه ، لأكبر دليل على ما قام به الأغلب من دور بطولي في الدفاع عن البليار[٢] ، في الوقت الذي تخاذل فيه بنو حمّاد أمراء المغرب الأوسط ، خاصة في عهد خامس أمرائهم الناصر بن علناس ٤٥٤ – ٤٨١ هـ = ١٠٦٢ – ١٠٨٨ م ، الذي ارتبط بعلاقات حميمة مع الجمهوريات البحرية الإيطالية ، وبعلاقات ودية وصداقة مع البابا جريجوري السابع وصلت إلى حد السماح بإقامة أسقف لقرطاجنة في بلاده ، ومعاملة المسيحيين في مملكته في المغرب الأوسط معاملة مميزة تتسم بمنتهى التخاذل والاستسلام ؛ ففي الوقت الذي كانت فيه الأساطيل الإيطالية تغير على ثغور صقلية والبليار تحت علم البابوية ، قام الناصر بن علناس بإطلاق جميع الأسرى المسيحيين في مملكته ، وقد كتب له البابا جريجوري السابع رسالة استهلها بقوله « من الأسقف جريجوري السابع خادم خدام الله إلى الناصر ملك مرطانية من الولاية السطيفية في افريقية ، السلام والبركة الرسولية . . » وتدل بقية الرسالة على دهاء هذا البابا وحنكته وتطلعاته الصليبية وسعيه الحثيث لتمزيق الجبهة الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٣].

ومما يزيدنا قناعة بالدور المشرف الذي قام به الأغلب في التصدي للأساطيل المسيحية في غرب البحر المتوسط أنه ظلّ يجاهد حتى نهاية فترة ولايته الثانية ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م[٤]، وحيداً معزولاً عن أي سند خارجي ، فلم يكن الناصر بن علناس أمير المغرب الأوسط المتخاذل الوحيد[٥]، عن نصرة أهل جزيرة صقلية التي اجتاحها النورمان منذ عام ٤٥٣ هـ = ١٠٦١ ، وعاثوا فيها تدميراً وقتلاً وأسراً[٦]، وعن نصرة البليار المهددة بالاجتياح[٧]، فقد تخلّى بنو زيري أمراء افريقية عن صقلية وانسحبت قواتهم منها وتركوها تواجه العدوان النورمندي

---

(١) د . السيد عبد العزيز سالم ود . أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .
وممد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
وأرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ – ٣٧٣ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٣) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .

(٥) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٦) د . عبد العزيز سالم ود . أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٩٩ . وأرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٣ – ٣٧٥ .

(٧) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ – ٣٧٣ .

وحدها ، وتعهدوا بعدم التدخل بشئون صقلية وعدم التعرض للأساطيل الايطالية وتوقفوا عن الجهاد في البحر ، وتفرغوا لمواجهة هجمات الأعراب الذين اجتاحوا جميع افريقية باستثناء المهدية التي تحصّن بها الزيريون[1] .

كما توقف النشاط البحري في ثغور الأندلس الشرقية باستثناء دانية بعد أن انهارت بحرية المرية وبلنسية ، مما اضطرهما إلى دفع اتاوات ضخمة للجمهوريات الايطالية مقابل عدم التعرض لهما[2] ، ولم يبق في ميدان الجهاد البحري الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط في منتصف القرن الخامس للهجرة سوى ثغور المملكة المجاهدية العامرية في دانية والبليار . ومما يؤسف له أن المصادر الإسلامية التي بين أيدينا لا تذكر أي تفاصيل عن جهاد الأغلب بالرغم من أنها تشيد بدوره البطولي في الجهاد البحري حتى نهاية فترة ولايته الثانية ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م ، ومغادرته البليار لتأدية فريضة الحج في إحدى سفن أسطوله العتيد عبر الطريق الملاحي إلى الاسكندرية ومنها عبر البر إلى الحجاز . وهكذا اختتم الأغلب الفترة الثانية من جهاده في البليار هذه الخاتمة المشرفة بعد أن سجل صحائف مجد خالدة في تاريخ البحرية الإسلامية ، وبعد عودته من تأدية فرضه استدعاه علي إقبال الدولة وألحّ عليه أن يتولى عمل البليار ، ولكنه استعفاه فقبل عذره وأعفاه ، وولى مكانه صهره سليمان بن مشكيان ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م الذي كان نائباً عنه أثناء غيابه لتأدية فريضة الحج[3] . ومما يضفي على الأغلب هالة أخرى من المجد والرفعة ، أنه لم يكن مجاهداً وبحاراً جريئاً واقتصادياً بارعاً ومؤمناً متمسكاً بتعاليم الإسلام فحسب ، ولكنه كان بالإضافة إلى جميع مواهبه وصفاته الآنفة الذكر أديباً لامعاً يشجع العلماء والأدباء ، فتوافدوا على ساحته ورفعوا من مكانته ، وليس أدل على ما وصل إليه من رفعة ومكانة من الرسالة التي خاطب بها « أبو عبدالله محمد بن مسلم » وزير علي إقبال الدولة وكاتبه « الأغلب صاحب ميورقة »[4] .

ب - سليمان بن مشكيان

ثاني عمال جزر البليار في عهد علي إقبال الدولة ، ويقول ابن خلدون في خبر توليته .. « بأن الأغلب استأذن علي إقبال الدولة في الزيارة فأذن له ، وقدّم على الجزيرة (ميورقة

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٨٩ وما بعدها .
وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٦٦ وما بعدها .
وتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .
والقوى البحرية التجارية ، ص ٣٧٣ .
(٢) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ . محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ص ٤٢٧ - ٤٤٨ .
ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

وملحقاتها) صهره سليمان بن مشكيان نائباً عنه .. » ، وبعد عودة الأغلب من تأدية فريضة الحج كلّفه علي إقبال الدولة بالعودة إلى تولي عمل البليار ولكن الأغلب استعفاه فاستجاب علي إقبال الدولة لمطلبه وأعفاه وولى مكانه صهره سليمان بن مشكيان عاملاً أصيلاً على جزر البليار ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م ، واستمر في عمله خمس سنوات[1] . إن تولية سليمان بن مشكيان صهر الأغلب نائباً عنه ثم عاملاً للبليار يدل على أهليته لهذا المنصب ، وعلى تمرُّسه في الجهاد البحري ، مما مكنه من الدفاع عن البليار وحمايتها في وقت سيطرت فيه الأساطيل البحرية المسيحية على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ولم يبق صامداً في مواجهتها سوى جزر البليار التي وقفت وحدها تدافع بشموخ عن حياضها وعن أمن وسلامة ساحل الأندلس الشرقي[2] . وبالرغم من افتقارنا إلى معلومات تفصيلية عن الدور البطولي الذي قام به سليمان بن مشكيان في الدفاع عن جزر البليار في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخها ، إلا أن صمود هذه الجزر في مواجهة الأساطيل المسيحية المتفوقة هو أصدق دليل على البطولات الأسطورية التي قامت بها أساطيل البليار تحت قيادة عاملها سليمان بن مشكيان حتى وفاته ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م[3] . وقام علي إقبال الدولة بتولية عبد الله المرتضي عاملاً على البليار مكانه[4] .

جـ - عبد الله المرتضي أغلب (عاملاً على البليار)

تولى عمل جزر البليار في وقت اشتدت فيه غارات الأساطيل المسيحية على هذه الجزر[5] ، وظل عبد الله المرتضى يدافع ببسالة عن البليار حتى سقوط دانية في يد المقتدر بن هود ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م . وقد أحاط الغموض بتاريخ عبد الله المرتضى بالرغم من أنه حكم جزر البليار خمس سنوات كعامل عليها ، وبعد سقوط دانية بيد المقتدر بن هود وانهيار المملكة المجاهدية العامرية استقل بهذه الجزر ، حتى أن مؤرخاً كبيراً كابن خلدون أغفل ذكره[6] .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٢) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ . أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ - ٣٧٥ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ . محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٤) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨١ . ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ج ٣ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ . محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٥) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٦) يذكر ابن خلدون اسم مبشر الدولة مكان عبد الله المرتضى (العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥) . بالرغم من أن الثابت أن مبشر بن سليمان تولى ملكاً على جزر البليار بعد عبد الله المرتضى (الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٨٤) . فبعد أن تولى عبد الله المرتضى عاملاً على جزر البليار بخمس سنوات انهارت المملكة المجاهدية العامرية واستقل المرتضى بحكم البليار ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م
=

وأرجح بأن عبد الله المرتضى هو أحد أبناء « الأغلب » عامل البليار الأسبق ، ويدعوني إلى هذا الترجيح الأدلة التالية :

١ - رواية السلفي التالية التي يقول فيها « سمعت الفقيه أبا الحسن عدل بن محمد بن عدل الغافقي الأندلسي في الاسكندرية يقول ، **كتب ابن الأغلب صاحب ميورقة** إلى ابن رشيق القيرواني يستدعيه في البحر فأجابه بهذين البيتين :

أمرتـــني بركوب البحر مغـــترراً	عليــك غـــيري فـــأمره بـــذا الراء
مـــا أنـــت نوح فتنجيـــني سفينتـــه	ولست عيسى أنـــا أمشي عـــلى المـــاء[١]

ونظراً لأن ابن رشيق القيرواني توفي في إحدى الروايات في عام ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م[٢] في صقلية ، فمعنى ذلك ، إن صحّت رواية السلفي أن عبد الله المرتضى هو « ابن الأغلب » ، الذي أرسل إلى ابن رشيق القيرواني يستدعيه من صقلية في السنة الأولى من ولايته لجزر البليار ، لكن ابن رشيق اعتذر عن تلبية دعوته بسبب خوفه من ركوب البحر نظراً لسيطرة الأساطيل المسيحية على الطرق الملاحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط آنذاك[٣] . وبالرغم من الأخطار التي كانت تتعرض لها السفن الإسلامية التي تبحر من صقلية إلى البليار وبالعكس ، فإننا نجد إشارات عديدة إلى وجود علاقات بين صقلية وميورقة في عهد علي إقبال الدولة وانتقال بعض المجاهدين بين الجزيرتين للإسهام في حركة الجهاد ، هذا بالإضافة إلى العلاقات الثقافية بين صقلية والبليار ، ويذكر ابن بشكوال روايات عن لجوء بعض علماء وأدباء صقلية إلى جزر البليار والبر الأندلسي[٤] .

٢ - يدعو ابن سعيد المغربي عبد الله المرتضى باسم (المرتضى « أغلب ») ويذكر أنه كان والياً على ميورقة « وملحقاتها » ثم « غلب عليها » واستقل بها وتولى الملك من بعده على هذه الجزر مبشر ناصر الدولة[٥] .

= (ابن سعيد المغربي : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨١ ، ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ج ٣ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢) .

(١) د . إحسان عباس : أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي ص ٩٨ .

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني ، أديب شاعر انتقل من المهدية في افريقية إلى صقلية ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م وتوفي في جزيرة صقلية ، في سنة ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م ، ومن أشهر مؤلفاته العمدة في النقد وقراضة الذهب في الشعر . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، ود . عبد الرحمن ياغي : ديوان ابن رشيق : التعريف بالشاعر ، ص ٧ وما بعدها) .

(٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧١ - ٣٧٥ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٧٤ ، ١٧٧ ، ٢٠٦ ، وج ٢ ، ص ٦١٣ .

(٥) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

٣ - وجود قطعة من النقود سكت في جزيرة ميورقة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م في فترة استقلال « عبد الله المرتضى » بجزر البليار تؤكد بأنه « ابن الأغلب » .

على الوجه :

المرتضى لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

الدرهم بمدينة ميورقة سنة ثمانين وأربعمائة .

وعلى الظهر : ابن أغلب[١] .

وكان استقلال عبد الله المرتضى بن أغلب بجزر البليار بعد انهيار المملكة المجاهدية العامرية ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ نتيجة لسياسة علي إقبال الدولة السلمية[٢] .

سياسة علي إقبال الدولة السلمية وأثرها على انهيار مملكته

ارتبطت المملكة المجاهدية العامرية بعلاقات ودية مع الممالك والإمارات المسيحية في شبه جزيرة إيبرية منذ نهاية عهد مجاهد العامري ، وكان بين علي إقبال الدولة ومملكة قشتالة[٣] ، علاقات تتسم بالمودة دون أي خضوع أو تنازل من جانبه ، نظراً لحصانة دانية وبعد البليار عن متناول قشتالة[٤] ، كما كان بين المملكة المجاهدية العامرية وإمارة قطلونية النصرانية علاقات سلمية منذ عهد مجاهد العامري . ومما يدل على مدى عمق هذه العلاقات اعتراف مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة من بعده بالسلطة الروحية لأسقف برشلونة « غلبرت » (جيزلا برتو Gislaberto)[٥] على جميع الرعايا المسيحيين من المستعربين في البليار ودانية[٦] . ومن المرجح أن سياسة علي إقبال الدولة الودية للغاية مع رعاياه النصارى تعود إلى تأثره بنشأته الأولى في بيئة مسيحية طيلة ستة عشر عاماً ، بعد أسره في سردانية من قبل البيزيين الذين قدموه إلى حليفهم إمبراطور ألمانيا هنري الثاني ، وعاش علي إقبال الدولة في بلاطه حتى عام

---

(١) انطونيو بريتو فيفس : ملوك الطوائف ، ص ١٢٣ ، ١٩٤ .

(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء ، ص ١٢٢ . تحقيق د . أحمد مختار العبادي . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ . ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

(٣) كان معاصراً لعلي إقبال الدولة من ملوك قشتالة فرناندو الأول وابنه ألفونسو السادس ، وكان لهما دور خطير في إخضاع ملوك الطوائف المتخاذلين . ولولا نصرة القوات المرابطية لانهار الأندلس نهائياً في نهاية القرن الخامس للهجرة (محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ - ٤٠١) .

(٤) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .

(٥) غلبرت : جيزلا برتو Gislaberto أحد أبناء كونت برشلونة أودالارت Udalart عين اسقفا لبرشلونة عاصمة إمارة قطلونية في عام ٤٢٧ هـ = ١٠٣٥ م (كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص ١٦٩ ، وحاشية « ٤ ») .

(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٣ .

٤٢٣ هـ = ١٠٣٠ م[١]، الذي استطاع فيه أحد مستشاري هنري الثاني من وضعه تحت رعايته وأهداه إلى ابنه الذي يدعى بالبتزوني Albitzone[٢]. ونتيجة لمساعي بني حماد أمراء المغرب الأوسط أنقذ علي إقبال الدولة في الأسر[٣]، وأعاده البتزوني إلى والده مجاهد العامري[٤] في سفينة إلى دانية عبر جزيرة ميورقة[٥]، ونشأت صداقة حميمة بين علي إقبال الدولة وبطرس Pietro ابن البتزوني الذي أصبح أسقفاً لبيزة كبرى جمهوريات إيطاليا البحرية[٦]. وقد أدى تعاطف علي إقبال الدولة مع النصارى إلى إقدامه على إصدار وثيقة خطيرة في ٢٦ شوال ٤٤٩ هـ = ٢٦ ديسمبر ١٠٥٨ م وهي عبارة عن خطاب مرسل إلى غلبرت Gislaberto أسقف برشلونة يعترف فيها علي إقبال الدولة بالإشراف الروحي «الذي كان أبوه مجاهد قد منحه للأسقف» على مسيحيي البليار ودانية وأعمالها شريطة الاعتراف بسلطته الزمنية والخطبة باسمه في الكنائس[٧].

وما زالت هذه الوثيقة الخطيرة محفوظة في أرشيف الفاتيكان بروما حتى اليوم، ويوجد منها نسخة في مجموعة وثائق كاتدرائية برشلونة عثر عليها المؤرخ الإسباني دياخو Diago، وقام المؤرخان الإسبانيان لاماركا La Marca وفلوريث Florez بنشرها، وهي من قسمين أحدهما باللاتينية وترجمته ما يلي: «إن كاتدرائية القديسة أيولاليا Eulalia قد نالت السيطرة الروحية على جزر البليار من مجاهد بواسطة الأسقف جيزلا برتو Gislaberto (غلبرت)، كما نالت فيما بعد نفس السيطرة على دانية وأعمالها من علي إقبال الدولة، وإن علياً قد قبل هذه السيطرة كما وافق عليها أبناؤه وكبار رجال دولته». وفي نهاية النص اللاتيني توقيعات الأساقفة الذين قدموا من أماكن متعددة إلى إمارة قطلونية بمناسبة تقديس كاتدرائية برشلونة[٨].

أما القسم الآخر من هذه الوثيقة المحفوظ في أرشيف مكتبة الفاتيكان في رومة فهو ما يلي

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢١. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.
(٢) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.
(٣) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول، ص ٢٦٥.
(٤) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.
(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢١.
(٦) كليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٥٥.
(٧) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٨٣. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ٢٠٣.
(٨) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٨٣. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

بالحرف الواحد: «أشهده إقبال الدولة أيّده الله على أنه أجاب غلبرت الأسقف ببرشلونة إلى أن يكون مذكوراً في خطب النصارى في بيعهم بجميع أعماله وهو ما انعقد بالخط الأعلى في ٢٦ شوال ٤٤٩ هـ = ٢٦ ديسمبر ١٠٥٧ م» وما يلي أسماء الشهود[١]. وهكذا أدخل علي إقبال الدولة بسياسته السلمية النفوذ الأجنبي إلى مملكته وأصبحت كنيسة برشلونة وأسقفيتها تشرف على جميع المسيحيين من المستعربين في البليار ودانية مما يدل على مدى تعاطف علي إقبال الدولة مع المسيحيين من جهة ومدى عمق علاقاته بكونت برشلونة[٢] رامون برنجار الأول ٤٣٦ - ٤٦٨ هـ = ١٠٣٥ - ١٠٧٦ م الذي كان يسعى جاهداً إلى توسيع نطاق إمارته على حساب جيرانه من ملوك الطوائف المتخاذلين بعد أن اتسعت إمارة قطلونية في عهده بضم أرقلة Urgel وشرطانية Cerdana وولاية قرقشونة الفرنجية Carcassone إلى إمارته. وكان لضم هذه الولاية الفرنجية نتائج خطيرة، فقد أعادت الصلات الوثيقة من جديد بين إمارة قطلونية (المارك الإسباني القديم) «الثغر الفرنجي» وجنوب بلاد الفرنجة حيث اندفع من هناك إلى إمارة قطلونية حشود المشاة والفرسان الفرنجة، تؤرجهم الأحقاد والروح الصليبية، مما كان له أخطر النتائج على مصير الأندلس عامة[٣]، وعلى جزر البليار بصفة خاصة، فقد تزعمت إمارة قطلونية بعد فترة وجيزة من انهيار المملكة المجاهدية العامرية في دانية والبليار قيادة الحملات الصليبية على جزر البليار، وكان النصارى من المستعربين في هذه الجزر عيوناً وأرصاداً لإمارة قطلونية التي كانوا يخضعون لها روحياً نتيجة لسياسة علي إقبال الدولة السلمية، مما كان له أكبر الأثر على المصير المفجع للبليار بعد فترة وجيزة من انهيار المملكة المجاهدية العامرية[٤].

ولم تتوقف سياسة علي إقبال الدولة السلمية عند حد التأثير على مصير جزر البليار فحُسب، ولكنها كانت بالإضافة إلى ذلك سبباً في ضياع ملكه وسقوط عاصمته دانية في يد المقتدر بن هود أمير سرقسطة[٥]، فقد كان جل اهتمام علي إقبال الدولة كما ذكرنا في التجارة

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٨٣ - ٨٤. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ٢٠٣ وأنطونيو بريتوفيفس: ملوك الطوائف، ص ٣٦. وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٦٩ - ١٧٠، ٢٦٦ - ٢٦٧.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٨٣ - ٨٤. وأنطونيو بريتوفيفس: ملوك الطوائف، ص ٣٦.
(٣) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ٤٠٧.
(٤) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٢ - ١٢٤. وابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٣٥٥.
(٥) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول، ص ٢٦٥. وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥.

وجمع المال[١] ، وتكدست في قصر الحبور في دانية[٢] ثروات طائلة أطمعت فيه ملوك الطوائف في عهده ، الذين لم يكن يردعهم رادع ولا يرعون حرمة ولا يتقيدون بأي عهد أوميثاق . وبالرغم من ذلك فقد سعى علي إقبال الدولة جاهداً لكسبهم إلى جانبه بالطرق السلمية ، وقد عاب عليه ابن بسّام هذه السياسة قائلاً : « فلما خفق علمه وتمكن في مكان أبيه قدمه ألقى السلم وأغمد السيف وشام القلم » . وحاول تجنب الاشتباك مع ملوك الطوائف في عصره بشتى الوسائل ، ومنها المصاهرة . ويقول ابن بسام بهذا الصدد « ورزق علي إقبال الدولة بنات أحسن من الشموس وأفتن من الطواويس فتبارى ملوك الطوائف في الأندلس الزواج منهن . . واغتنم هو ذلك وأذكاهن عليهم عيوناً . . . فقل ملك منهم إلّا وقد علق له حبل واتصل بينه وبينه نسل »[٣]، وقد زوّج إحداهن للمعتمد بن عباد أمير إشبيلية[٤]، وزوّج الثانية لأحمد معز الدولة بن صمادح ولي عهد المرية[٥] ، وزوّج الثالثة للناصر عبيد الله بن المنصور عبد العزيز بن أبي عامر أحد أبناء أمير بلنسية[٦] . وهكذا دواليك حتى السابعة منهن ، وكان علي إقبال الدولة قد تزوج من إحدى بنات المقتدر بن هود أمير سرقسطة كبرى قواعد الثغر الأعلى الإسلامي ، وكان هذا الزواج وبالاً عليه وعلى مملكته ، فلم يرع ابن هود حرمة المصاهرة وطمع في مملكة صهره وفي ثرواته الطائلة ، واستغل خلافاً نشب بسبب أحد حصون الحدود وأغار على دانية واستولى عليها ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م[٧]، ولم يجد علي إقبال الدولة من إصهاره العديدين الذين اصطنعهم لنكبات الدهر عدّة ، نصيراً له في محنته[٨]!

---

(١) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠١ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

(٢) قصر الحبور : أعظم قصور دانية وأجملها في عهد مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة ، وظلت شهرته حتى العصر المرابطي ، وقد وصفه محمد الزهري « بالقصر العظيم الذي لم ير مثله » . (محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ١٠٣) .

(٣) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٥ – ٢٦٦ .

(٤) المصدر السابق : القسم الثاني/المجلد الأول ، ص ٥٢١ .

(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ، ص ١٢٧ – ١٢٨ وص ١٣٠ – ١٣١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ . وابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٨٩ – ٩٠ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ١٩٢ . والصفدي : الوافي بالوفيات ج ٥ ، ص ٤٦ .

(٦) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول ، ص ١٦٥ وحاشية « ٢ » .

(٧) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٦ . والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٥ – ٢٦٧ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ ، ٢٢٨ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٨) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٢٦ .

استيلاء المقتدر بن هود على دانية

أجمعت جميع المصادر التي تمكنت من الاطلاع عليها بأن المقتدر بن هود استولى على دانية في عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م[١] ، باستثناء ابن بسام صاحب الذخيرة الذي يذكر بأن ذلك كان في عام ٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م[٢]، ولا خلاف على هذه النقطة الفرعية ، إنّما الخلاف في النقطتين الرئيسيتين التاليتين وهما :

١ – كيفية الاستيلاء على دانية ، وهل كان ذلك بالخديعة والمكر ، أم نتيجة للغلبة والقهر؟

٢ – مصير علي إقبال الدولة وأولاده وأهله .

كيفية الاستيلاء على دانية

يذكر ابن بسام بأن المقتدر بن هود أمير سرقسطة لم يتورع عن التحرّش بالمملكة المجاهدية بالرغم من حرمة المصاهرة بينه وبين زوج ابنته علي إقبال الدولة ، وطالب صهره ببعض القلاع من أجل إلحاقها بطرطوشة[٣]، التي ضمها المقتدر بن هود إلى مملكته بعد أن تنازل له عنها نبيل العامري ٤٥٢ هـ = ١٠٦٠ م[٤]. وتحاشياً لتوسيع شقة الخلاف تنازل علي إقبال الدولة عن هذه القلاع وكتب إلى عمالها بإخلائها ، ولكن علي إقبال الدولة كما يذكر ابن بسام لم يتقيد بالاتفاق «وأرسل إلى عمال تلك البلاد يحثهم على القتال » ، فلما علم المقتدر بن هود بذلك زحف على رأس قواته إلى دانية قاعدة ملك علي إقبال الدولة ، واحتاط جميع ملوك الطوائف في شرق الأندلس لهذا الزحف المفاجىء باستثناء علي إقبال الدولة الذي لم يكن يتصور أن يصل الخلاف بينه وبين المقتدر بن هود إلى حد محاصرة دانية والإطباق عليها من جميع الجهات ، لما بينهما من صهر ونسب من جهة ، ولاطمئنانه إلى حصانة دانية[٥]. وقد أدت تصورات علي إقبال الدولة الخاطئة إلى نتائج خطيرة ، فقد فرض المقتدر بن هود الحصار على دانية وضيق عليها الخناق[٦] ، ويصف ابن بسام وصفاً شيقاً تلك الملابسات الغريبة التي أدت إلى زوال ملك علي إقبال الدولة بشكل مفاجىء في يوم واحد! قائلاً : «لم يرع أهل دانية إلاّ تصهال الخيل ، وقد

---

(١) الضبيّ : بغية الملتمس ، ص ١٦٣ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ ، ٢٢٨ . وابن خلدون :
العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢٢ . والقلقشندي :
صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٢) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ، ص ٢٦٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ .

(٥) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ و٢٢٨ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص
بالأندلس ، ص ٢٢٨ .

انصبّ عليها انصباب السيل » ، فاستولى الجزع على أهل المدينة لهذا الهجوم المفاجىء ، فقام علي إقبال الدولة على الفور بإرسال ابنه وولي عهده معز الدولة لمقابلة جده المقتدر بن هود لعله يثنيه عن هذا العدوان غير المتوقع[١].

ويصف ابن بسام بأسلوبه الشيق المفاوضات التي أجراها معز الدولة بن علي إقبال الدولة مع جده المقتدر بن هود ، وما آلت إليه نتيجة جبنه وجهله قائلاً : « فجاء معز الدولة إلى ابن هود مدلاً بقديم صهره عاثراً في إدبار أمره وانقطاع ذكره ، ثقيل السمع ضيق الذرع ، قد غُذِّي بالترف واللين . . فطفق ابن هود يقرع عصا الوعيد . . . ومعز الدولة يقول : أي عم ، تبلغ رضاك! ومتى اختلفنا عليك أو خالفناك! وقال له ابن هود فيما قال : والله لا أريم العرصة حتى يسهل مرامها ويخلى في يدي زمامها . . يعني تلك المعاقل . . فقال له معز الدولة الجبان الجاهل وظنه يريد دانية : أي عم! وأين تنقلنا وإلى من تكلنا! » وكانت نتيجة تصرف الأحمق معز الدولة مدمرة ومفجعة ، فبالرغم من أن كل ما كان يطمح إليه ابن هود هو الاستيلاء على الحصون والمعاقل المجاورة لطرطوشة المختلف عليها ، إلا أن الجبن والتخاذل والجهل صوّر لمعز الدولة أن ابن هود يطمع في دانية[٢]. ومع أن أحمد بن هود المقتدر بالله كان من أكثر ملوك الطوائف في عهده سفكاً للدماء وأشدهم عنفاً وأكثرهم طمعاً[٣]، إلا أنه لم يكن يطمح في الاستيلاء على دانية ، وكان كل ما يسعى إليه في بداية الأمر ضم بعض معاقل الحدود المجاورة لطرطوشة ، ولكن وزيره الخبيث أبا المطرّف عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى تنبه إلى ما وقع فيه معز الدولة من سوء فهم . . « فغمز يد المقتدر بن هود وقال له : غرة فاهتبلها وعثرة فلا تقلها ، قد ألقى الرجل بيده وخلى بينك وبين بلده ، فعمل ابن هود على ذلك وأخذ في إحكام ما هنالك فما متع النهار إلاّ وأشرقت آياتها واهتزت في يمنى يديه قناتها ورجع بابن مجاهد غنيمة باردة »[٤].

وتجمع معظم المصادر والمراجع على أن المقتدر بن هود تمكن من الاستيلاء على دانية وأخذ عليا وأهله معه إلى سرقسطة حيث أقطعهم ما يمونهم ويكفي حاجاتهم وذلك في شعبان ٤٦٨ هـ = إبريل ١٠٧٦ م ، وأنه اختلفت بعض الشيء في التفاصيل[٥].

---

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ وحاشية « ٥ »
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٩ .
(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
(٥) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٦ . والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/ المجلد الأول ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ١٦٣ ، ومذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان ، ص ٧٧ - ٧٨ ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ و٢٢٨ ، وابن خلدون :=

وإن مما يدعو للدهشة والتساؤل هو كيفية استيلاء المقتدر بن هود على دانية التي اشتهرت بحصانتها الفائقة[١] في يوم واحد[٢]! فهل كان ذلك بالغلبة والقهر أم نتيجة للخديعة والمكر؟

باستعراض النصوص التالية يمكننا الإجابة على هذا التساؤل. يقول العذري بهذا الصدد وكان معاصراً لعلي إقبال الدولة ، بأن المقتدر بن هود « غلب على دانية وأعمالها وأخرج علي ابن مجاهد منها . . »[٣]. ويؤكد الضبّي الرواية الآنفة الذكر[٤]، أما ابن عذاري فيذكر بأن المقتدر بن هود حاصر دانية حصاراً شديداً وضيق عليها الخناق مما اضطر علي إقبال الدولة إلى مفاوضته ، والتعهد بتسليمه دانية والتنازل عن قصره وما فيه من رياش فاخر ، وثروات طائلة مقابل ضمان سلامته وسلامة أولاده وأهله ، فقبل المقتدر بذلك ، وحمله معه إلى سرقسطة مع أسرته وأقطعه هناك إقطاعاً يكفي احتياجاته[٥].

ويذكر نفس الرواية ابن الخطيب[٦]، بينما يذكر ابن خلدون روايتين يقول في الأولى بأن ابن هود استولى على دانية بالقوة وأسر علي إقبال الدولة ونقله معه إلى سرقسطة ، ويقول في الرواية الثانية بأن علي إقبال الدولة ، تمكن من الفرار ولجأ إلى بني حماد أمراء المغرب الأوسط وعاش في كنفهم في ثغر بجاية إلى أن توفي ٤٧٤ هـ = ١٠٨٢ م[٧].

يتضح من النصوص الآنفة الذكر بأن استيلاء المقتدر بن هود على دانية كان بالغلبة والقهر ، وهذا ما يتعارض مع نص ابن بسام الآنف الذكر الذي يتضح من فحواه بأن الاستيلاء على دانية كان نتيجة للخديعة والغدر[٨]، ويؤكد رواية ابن بسام النص التالي للأمير عبد الله الصنهاجي أمير غرناطة ، وكان معاصراً لعلي إقبال الدولة ، حيث يقول في مذكراته « بأن المقتدر بن هود حصل على مدينة دانية بغفلة من صاحبها عن الرجال وحبه في الأموال ،

= العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، وابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢٢ . والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ج ٣ ، ص ٣٠٨ ، ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٨ .
(١) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٩ . والحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ . وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ .
(٢) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ و ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .
(٣) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٦ .
(٤) الضبّي : بغية الملتمس ، ص ١٦٣ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ح ٣ ، ص ١٥٨ وص ٢٢٨ .
(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢٢ .
(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
(٨) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

ونتيجة لمداخلات من قبل وزيره ابن الريولة الخارج عليه إلى سرقسطة ، فعمل ابن هود حتى أتاه على غفلة ودخل المدينة بلا مشقة وحصل منها على عظائم الأموال . . » ، ويضيف إلى ذلك قائلاً . . « بأن المقتدر بن هود أسر علياً بعد استيلائه على دانية وأخذه معه إلى سرقسطة حيث عاش هناك مكرماً حتى وفاته[1] » .

ونظراً للتناقض الواضح بين النصوص الآنفة الذكر فسنحاول ما أمكننا ذلك التوفيق بينها والخروج بنتائج منطقية مقنعة :

١ - تؤكد جميع المصادر الآنفة الذكر بأن دانية سقطت في يد المقتدر بن هود وإن اختلفت في كيفية سقوطها .

٢ - يذكر ابن بسام بأن الخديعة والغدر وعنصر المفاجأة والمكر كانت العامل الرئيسي في سقوط دانية في يد ابن هود ، ويؤكد روايته الأمير عبد الله الصنهاجي في مذكراته ، وهو ما نميل إلى ترجيحه ، وأن المقاومة التي أبدتها حامية المدينة كما أشارت بعض المصادر كانت قصيرة الأمد ، كما يتضح من نص ابن بسام « فما متع النهار إلّا وأشرقت آياتها واهتزت في يمنى يديه قناتها »[2] . ويؤكد رواية ابن بسام مقطوعة شعرية أنشدها أبو الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري للمقتدر بن هود بعد استيلائه على دانية ، يتضح منها بأن الهجوم الحاسم على دانية كان في الليل فما أصبح الصباح ، حتى استسلمت المدينة للمقتدر بن هود ، حيث يقول من جملة أبيات :

هديت العسكر الجرار ليلاً ... فأهديت الظباة إلى الهوادي
ملأت الفضاء فضاء ليل ... محت فيه الظبا شكل السواد
وكان مرام دانية عزيزاً ... فهان على المسوّمة الجياد[3]

ولا يمكن تفسير سقوط دانية الحصينة بهذه السرعة إلاّ بأحد أمرين ، الأول منهما هو وجود تواطؤ بين المقتدر بن هود وأنصار له في دانية « لغفلة علي إقبال الدولة عن الرجال وحبه في الأموال »[4]، ولتعلقه بالسلم وإهماله حماية الحصون[5]. والأمر الثاني هو وجود مؤامرات

(١) مذكرات الأمير عبد الله المساة بكتاب التبيان ، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٢) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٨ .
(٣) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، تراجع ترجمة الحصري في نفس المصدر ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
(٤) مذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان ، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٥) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول ، ص ٢٦٥ .

حيكت في الظلام لم يتيقظ لها علي إقبال الدولة[1] ، واعتمد على حصانة عاصمته دانية[2]، وعلى إسناد قواته البرية في دانية وملحقاتها في شرق الأندلس وعلى دعم قواته البحرية الكبيرة في ثغر دانية والبليار[3] ، بالإضافة إلى اعتماده على نصرة أصهاره وحلفائه من ملوك الطوائف[4] ، واطمئنانه إلى أن المقتدر بن هود بالرغم من قسوته المعروفة وطمعه المتأصل[5] ، سوف يرعى حرمة المصاهرة وأنه لن يصل إلى حد التطلع إلى الاستيلاء على عاصمة ملك « زوج ابنته » ، مما دفعه إلى إرسال ابنه وولي عهده معز الدولة لمفاوضة جده ، فتوجه إليه مطمئناً « مدلاً بقديم صهره »[6] .

ومع اقتناعنا بأهمية الفرضيات السابقة التي كانت ولا شك مجتمعة ، من العوامل الرئيسية التي مهدت لاستيلاء ابن هود على دانية ، ولكنها وحدها لا تكفي لتعليل استيلاء ابن هود على عاصمة مملكة من كبريات ممالك الطوائف عرفت بحصانتها الفائقة في يوم وليلة ، فلا بد أن هناك عوامل أخرى غامضة وخطيرة أدت إلى انهيار دانية بهذه السرعة الغريبة ، وربما يكون أحدها هو احتجاز ابن هود لمعز الدولة بن علي وولي عهده عندما توجه إليه لمفاوضته[7]. مجرد فرضية يشجعنا على طرحها ما عرف عن ابن هود من غدر ووحشية ، فلم يكن يتورع عن ارتكاب أحط الجرائم وأكثرها قسوة وعنفاً في سبيل تحقيق طموحاته[8]، ولكن اعتقال أي شخص مهما بلغت مكانته لا تؤدي إلى سقوط مدينة حصينة كدانية بهذه السرعة الأسطورية .

وتظل الأسئلة الملحة التالية دون جواب مقنع وهي ، لماذا لم تصمد دانية للحصار بما عرف عنها من حصانة؟ لماذا لم تتحرك القوات البرية في حصون المملكة المجاهدية العامرية في شرق الأندلس لفك الحصار عن عاصمة المملكة؟ لماذا شلّت فعالية أسطول ثغر دانية وأساطيل البليار؟ لماذا توقف القتال بعد ليلة واحدة من هجوم ساحق وفي الصباح استسلمت المدينة؟ لا شك أن هناك حلقة مفقودة في سلسلة الأحداث والوقائع لو عثرنا عليها لاتضحت لنا الصورة وزال الغموض الذي غلّف الأحداث التي أحاطت بسقوط دانية بغطاء كثيف . ونجد طرفاً من هذه الحلقة فيما ذكره الأمير عبد الله في مذكراته ، حيث يقول بأن ابن الريولة وزير علي إقبال

(١) مذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان ، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٢) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٢ . والحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ . ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠١ - ٢٠٣ .
(٤) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٦ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٩ .
(٦) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٧ .
(٧) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
(٨) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ وص ٢٢٩ .

الدولة قام بدور خطير في سقوط دانية بعد هروبه إلى سرقسطة وتعاونه مع المقتدر بن هود[1] ، ولا بد أن يكون لرجل بمثل هذا المركز الخطير أنصار وأعوان في دانية أسهموا بدور ما في تحطيم دفاعات المدينة واستسلامها بهذه السرعة ، كما أنه وهو المطلع على دخائل الأمور في المدينة ونقاط الضعف في تحصيناتها وقواتها المدافعة ، لا بد أن يكون قد نصح المقتدر بن هود في اقتحام المدينة في هجوم مفاجيء من ثغرات حدّدها وأن يكون قد دبّر الأمر مع أنصاره في الداخل ، وإلا لما سقطت دانية الحصينة بهذا الشكل ، ولما دخلها ابن هود « بلا مشقة » كما يقول الأمير عبد الله الصنهاجي في مذكراته[2] . وقد اتضح لنا بأنه بالإضافة إلى العوامل الآنفة الذكر فإن العامل الرئيسي « والحلقة المفقودة » في سقوط دانية بهذه السرعة هي مقتل علي إقبال الدولة في الساعات الأولى من الحصار خلافاً لما أجمعت عليه المصادر الآنفة الذكر عن مصيره[3] .

مصير علي إقبال الدولة

تجمع معظم المصادر والمراجع التي بين أيدينا مع اختلاف طفيف في التفاصيل على أن علي إقبال الدولة استسلم للمقتدر بن هود في شهر شعبان ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م شريطة تأمينه في نفسه وأهله وولده ، وتعهد بأن يترك له مقابل ذلك أمواله وقصره بفرشه وأثاثه ، وقبل المقتدر بن هود بهذا الشرط ، ودخل دانية الحصينة دون مشقة وحصل منها على ثروات طائلة كان من بينها التحف والجوهرات التي حصل عليها علي إقبال الدولة من مصر مقابل شحنات الغلال التي أرسلها في « سنة الجوع العظيم » . وبعد أن وطّد المقتدر بن هود دعائم حكمه في دانية ، عاد إلى قاعدة ملكه وبصحبته صهره علي إقبال الدولة مع أهله وولده واقطعه في سرقسطة ما يكفيه لتغطية احتياجاته وعاش بقية عمره في سرقسطة إلى أن توفي ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م[4] . ولم يجد علي إقبال الدولة من حلفائه وأصهاره أي عون يذكر[5] ، واكتفى المعتصم بن صمادح أمير

---

(١) مذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان ، ص٧٧ – ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٣) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ، ص ٨١ .

(٤) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص١٦ . وابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/ المجلد الأول ، ص٢٦٦ – ٢٦٨ ، ومذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان ، ص٧٧ – ٧٨ ، والضبّي : بغية الملتمس ، ص ١٦٣ ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ و٢٢٨ ، وابن خلدون : ج ٤ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس. ص ٢٢٢ ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص٢٥٦ .

(٥) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص٢٦٦ .

المرية وأعمالها بإرسال رسول إلى المقتدر بن هود يناشده سحب قواته من دانية ، وتوقفت جهوده عند هذا الحد ، أما بقية حلفاء علي إقبال الدولة وأصهاره من ملوك الطوائف ، فقد وقفوا على الحياد ، ولم يحركوا ساكناً[1] . وهذه الرواية معتمدة في جميع المراجع الحديثة التي تمكنت من الاطلاع عليها[2] .

ويذكر ابن خلدون رواية أخرى عن مصير علي إقبال الدولة يقول فيها ، بأنه تمكن من الفرار من دانية ولجأ إلى بجاية في المغرب الأوسط حيث عاش هناك في كنف أمرائها بني حماد حتى وفاته ٤٧٤ هـ = ١٠٨٦ م ، وهذه الرواية غير منطقية ولا يسندها الواقع فلو صح فرار علي إقبال الدولة لكان لجأ إلى جزر البليار التي ظلت على ولائها له ولأهله من بعده[3] ، وهي أقرب إلى دانية من بجّاية في المغرب الأوسط إلى درجة يمكن فيها مشاهدة جزيرة يابسة من جبل قاعون Mongo المحاذي لدانية بالعين المجردة[4] . ويؤيد هذا القول ما ذكره ابن خلدون نفسه في فقرة لاحقة ، يقول فيها بأن عامل جزر البليار آنذاك[5] بعث رسله إلى دانية لإحضار عائلة سيّده علي إقبال الدولة لتعيش في كنفه وتحت رعايته في جزيرة ميورقة ، وقد وصلت إلى هناك بالفعل وعاشت في رحابه معززة مكرّمة[6] .

وهنا نتساءل كيف يمكننا أن نوفق بين هذه الروايات المتناقضة ونزيل الغموض الذي خيّم على مصير علي إقبال الدولة وأهله وولده ، حيث أن من غير المنطقي أن يعيش علي إقبال الدولة وحده تحت رعاية بني حماد في بجاية بالمغرب الأوسط ، في الوقت الذي كانت فيه أسرته وفقاً لرواية ابن خلدون تعيش في كنف عاملها الذي ظل على ولائه لعلي إقبال الدولة[7] ، بينما كان سراج الدولة بن علي إقبال الدولة يتصدى لابن هود حتى مقتله بحصن شقورة في شرق

---

(١) كليليا سارنللي تشركوا : مجاهد العامري ، ص١٩٦ .

(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٠ . ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ج٣ ، ص٣٠٨ . ود . أحمد مختار العبادي : الصقالبة في أسبانيا ، ص٢٦ . ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص٢٠٨ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٣٢ وحاشية « ١ » .

(٥) يذكر ابن خلدون بأن الوالي الذي استقل بجزر البليار بعد سقوط دانية وأعمالها في يد المقتدر بن هود ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٦ ، وجلب عائلة سيّده علي إقبال الدولة إلى البليار لتعيش تحت رعايته معززة مكرمة هو « مبشر ناصر الدولة » (العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥) ، والصحيح أن الذي استقل بهذه الجزر هو عبد الله المرتضى ابن أغلب (ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٦) . وأن مبشر ناصر الدولة تولّى ملكاً على جزر البليار المستقلة بعد وفاة عبد الله المرتضى (الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان : ص ٢٨٤) .

(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

الأندلس ٤٦٩ هـ = ١٠٧٧ م[١] مسموماً بمؤامرة دبرها له المقتدر بن هود[٢]. وفي رواية أخرى أنه توفي حتف أنفه[٣]. أما الابن الثاني لعلي إقبال الدولة وولي عهده « معز الدولة » فقد أحاط الغموض بمصيره[٤].

وإن عثورنا على النص الفريد التالي الذي يحدد مصير علي إقبال الدولة وابنه معز الدولة تحديداً واضحاً يتناقض كل التناقض مع الروايات الآنفة الذكر، سيكون عوناً لنا على التوفيق بين الروايات المتناقضة وإزالة الغموض الذي أحاط بمصير علي إقبال الدولة وأهله وأبنائه، والنص المشار إليه هو عبارة عن فقرة من رسالة كتبها أمير مرسية وأعمالها أبو عبد الرحمن محمد ابن أحمد ابن طاهر[٥]، أعتقد أنها تنشر لأول مرة، يقول فيها مخاطباً أحد ملوك الطوائف في عهده « كتابي عن ورود الخبر الصحيح بالتغلّب على دانية وتثقيف قصبتها وتملك معز الدولة استنقذه الله »! يتّضح من هذه الفقرة بأن معز الدولة بن علي إقبال الدولة أصبح من الناحية الرسمية ملكاً ولكنه كان أسيراً لا حول له ولا قوة! مما يدل على حصول أمر خطير لوالده علي إقبال الدولة، يوضحه لنا أبو عبد الرحمن بن طاهر في بقية النص الآنف الذكر حيث يقول:

« وهجوم المنيّة على علي إقبال الدولة – رحمه الله – فأعجب يا سيدي من انتفاض الحال بغتة... وذهاب دولة السؤدد والسرور على بعد مرامها وشدة أركانها وعزّ سلطانها أعاذنا الله من سوء القضاء، وجعلنا في حيّز الاحتماء، ولما ورد هذا الخبر الذي يورد المنون ويسهرّ العيون، طيّرت به إليك على شرط ما بيننا من التساهم في الأمور في القليل والكثير، والله يقي جانبك ويكفيه ويذب عن قطرك ويحميه بقدرته.. »[٦].

إن لهذا النص أهمية كبرى، فلو تأكدّت صحته من مصادر أخرى لزال الغموض الذي يكتنف سقوط مدينة دانية، لأنه يزيل الغشاوة عن عامل رئيسي من عوامل سقوط هذه المدينة الحصينة بسرعة مذهلة، وهو موت علي إقبال الدولة في ظروف غامضة لم يوضحها ابن طاهر، وأي حادث أكثر مأساوية من مقتل الملك أثناء حصار عاصمة ملكه مما أوقع البلبلة في الصفوف، ومكّن الغزاة من استغلال تلك الفرصة المواتية، واجتياح أسوار المدينة ليلاً،

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ١٤٩.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤.
(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ١٤٩.
(٤) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول، ص ٢٦٦ – ٢٢٨.
(٥) أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر: تراجع ترجمته في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول، ص ٢٤ وما بعدها. والضبّي: بغية الملتمس، ص ٥٠ – ٥١ ترجمة رقم ٢٣. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٤٧ – ٢٤٨. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٠٢.
(٦) ابن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول، ص ٨١ – ٨٢.

وتثقيف قصبتها المنيعة[١] بالتعاون مع عناصر متآمرة داخل المدينة[٢]. وإن ما يجعل لهذا النص قيمة خاصة هو أن كاتبه محمد بن أحمد بن طاهر أحد ملوك الطوائف الذين عاصروا تلك الأحداث، وكان يحكم عند كتابته هذا النص في شعبان ٤٦٨ هـ = أبريل ١٠٧٦ م مدينة مرسية وأعمالها قبل أن يستولي عليها على التعاقب أبو بكر ابن عمّار وعبد الرحمن بن رشيق[٣]. ويتضح من فحوى هذا النص بأنه عبارة عن فقرة من رسالة كتبها أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد ابن طاهر أمير مرسية لأحد ملوك الطوائف في عصره لم يذكر ابن بسام[٤]، ولم أجد أي نص مباشر آخر يؤكد رواية ابن بسّام عن مقتل علي إقبال الدولة، ولكن هناك بعض النصوص التي تؤكد هذه الرواية بشكل غير مباشر، وتضيف مزيداً من التفاصيل عن معز الدولة ومصيره.

مصير معز الدولة بن علي إقبال الدولة وولي عهده

يتضح من دراسة النقود التي سكّت في ميورقة ودانية في عهد علي إقبال الدولة بأن من بين الأسماء التي يحملها درهم سكّ في ميورقة في عام ٤٣٨ هـ = ١٠٤٧ م اسم علي إقبال الدولة وبجانبه اسم ابنه محمد، وعلى درهم آخر سك في دانية ٤٤٦ هـ = ١٠٥٨ م اسم إقبال الدولة واسم ابنه معز الدولة، ودرهم ثالث سك في دانية في عام ٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م قبل سنة واحدة من سقوط دانية في يد المقتدر بن هود يحمل اسم علي إقبال الدولة واسم ابنه معز الدولة الفتح. يتضح من الدراهم التي سبق ذكرها بان اسم أحد أبناء علي إقبال الدولة هو « محمد معز الدولة »، الملقّب بالفتح[٥]. وقد أكّد ابن بسام في ذخيرته بأن ولي عهد إقبال الدولة هو « معز الدولة »، ووصفه بأنه « قليل الطبع ثقيل السمع، ضيّق الذرع قد غذي بالترف واللين.. ». كما وصفه « بالجاهل الجبان » وكان جهله وجبنه سبباً من أسباب ضياع ملك أبيه كما ذكرنا في حينه[٦]، بينما نجد في « معز الدولة » مدحاً زائفاً في الرسالة الشعوبية التي كتبها أحمد بن غرسية كاتب علي إقبال الدولة إلى أبي جعفر أحمد بن محمد الجزار الشاعر[٧]، يلومه فيها على امتناعه عن مدح « معز الدولة » ولي العهد، ويهجو ابن الجزار ويهجو العرب قاطبة، ويتباهى

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة، والقسم الرابع/ المجلد الأول، ص ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨.
(٢) مذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان، ص ٧٧ – ٧٨.
(٣) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول، ص ٢٤ وما بعدها. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ١٧٩ وما بعدها.
(٤) ابن بسّام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثالث/ المجلد الأول، ص ٨١ – ٨٢.
(٥) أنطونيو بريتوفيفس: ملوك الطوائف، ص ١٩٣.
(٦) ابن بسّام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ص ٢٦٧.
(٧) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الثاني، ص ٧٠٤ وحاشية « ٤ ». وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٠٦.

بأصله الرومي « البشكنسي » وأصل أولياء نعمته آل مجاهد الإسباني ، كما ذكرنا في موضعه ، ويمدح سيده معز الدولة بن علي إقبال الدولة مدحاً زائفاً يقول فيه « سهمنا النفيس وشهمنا الرئيس معز الدولة المولى الأعظم والموئل الأعصم »[١] .

ويتضح من عدة مصادر بأن « محمد معز الدولة الفتح » ابن علي إقبال الدولة وولي عهده كان يكنى « بأبي عامر » ، ويذكر ابن بسّام قصيدة لأبي عبد الله محمد بن خلصة الشذوني أحد كبار شعراء علي إقبال الدولة وكتّابه ، في رثاء « أم معز الدولة » يقول في أحد أبياتها مخاطباً معز الدولة :

يـــا أبـــا عـــامر عزاء جيـــلاً فـــإليـــكم يعزّ العزاء الجميـــل[٢]

ويذكر ابن الأثير بأنه بعد موت علي بن مجاهد « ولي بعده ابنه أبو عامر ولم يكن مثل أبيه وجده »[٣]، كما يذكر ميخائيل أماري نفس الرواية الآنفة الذكر نقلاً عن ذيل اللباب[٤]، ويؤكد النويري هذه الرواية ويضيف إليها فقرة هامة يقول فيها « بأن المقتدر بن هود تغلّب على أبي عامر وطرده »[٥] . فإن صحّت هذه الرواية فمعنى ذلك أنه تبين للمقتدر بن هود بعد وقوع معز الدولة في أسره[٦] ، بأنه ليس على شاكلة أبيه وجده في الشجاعة والذكاء ، معدوم المواهب ، لا يشكل أي خطورة فقام بطرده[٧]، ونظراً لعدم وجود أي مصدر بين أيدينا يؤكد مصير محمد معز الدولة الفتح ، لهذا فليس أمامنا سوى طرح الفرضيات التالية ، وترجيح إحداها على الأخرى دون أي إمكانية للجزم بأي منها لعدم وجود مصدر يؤكد ذلك ، أما الفرضية الأولى فهي أن يكون المقتدر بن هود قد صحب « محمد معز الدولة الفتح » معه بعد أسره إلى سرقسطة ، وأقطعه هناك واختلط الأمر على المؤرخين الذين ذكروا بأن الأسير هو علي إقبال الدولة[٨] . والأرجح أن الأسير المشار إليه هو معز الدولة كما يؤكد ذلك ابن بسام حيث يقول : « فملك معز الدولة استنقذه الله بعد هجوم المنية على إقبال الدولة رحمه الله »[٩] . والفرضية الثانية أن يكون

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الثاني ، ص ٧١٣ .
(٢) المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٢٢ ، ٣٩٩ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ،ج ٩ ، ص ٢٩٠ – ٢٩١ .
(٤) ميخائيل أمادي : المكتبة الصقلية ، ص ٤ .
(٥) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٥٤٧ « معارف عامة » ورقة ٦٠) .
(٦) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ، ص ٨٢ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ – ٢٩١ .
(٨) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٦ .
(٩) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ، ص ٨٢ .

المقتدر بن هود قد طرد معز الدولة من سرقسطة فتوجّه منها إلى بجاية في المغرب الأوسط حيث عاش هناك تحت رعاية بني حماد ، ونسب هذا اللجوء لوالده علي إقبال الدولة[١] . والفرضية الثالثة أن يكون معز الدولة قد لجأ إلى ميورقة ليعيش هناك في كنف عاملها الذي « بعث إلى دانية في تسليم أهل سيّده فبعثوا إليه بهم وأولادهم جميلاً »[٢] . والفرضية الرابعة والأخيرة وهي الأرجح في نظرنا أن يكون محمد معز الدولة الفتح قد لجأ إلى إحدى أخواته السبع من زوجات ملوك الطوائف في الأندلس ، ومما يشجعنا على هذا الترجيح رواية للفتح بن خاقان يذكر فيها بأنه التقى بأحد أبناء علي إقبال الدولة في بلاط المعتمد بن عباد أثناء زيارته لإشبيلية ، وكانت زيارة الفتح بن خاقان لعاصمة بني عبّاد بعد سقوط دانية في يد المقتدر بن هود لعدة سنوات[٣]. ومهما يكن الأمر فقد اختفى اسم « محمد معز الدولة » من التاريخ بعد سقوط دانية وانهيار ملك أبيه ، وقام أخوه سراج الدولة بالتصدي لابن هود بمساعدة الفرنجة في إمارة قطلونية[٤].

مقتل سراج الدولة بن علي إقبال الدولة
واستقلال عبد الله المرتضى أغلب بجزر البليار

يوجد على النقود التي سكّت في عهد علي إقبال الدولة اسم آخر غير اسمه واسم الخليفة المزيّف « هشام المؤيد » ، واسم ابنه وولي عهده « محمد معز الدولة الفتح » ، وهذا الاسم المجهول هو « عبد الملك »[٥] ، وربما يكون اسم ثاني أبناء علي إقبال الدولة الذي عرف باسم سراج الدولة[٦] . ويذكر الأمير عبد الله الصنهاجي أمير غرناطة في مذكراته بأن سراج الدولة كان في حياة أبيه علي إقبال الدولة والياً على مدينة بيّاسة ، ولكنه طرد منها بعد أن استولى عليها جده باديس بن حبّوس المظفر بالله[٧] .أمير غرناطة وعظيم ملوك البربر في عصر ملوك الطوائف[٨] ، كما يذكر بأن أحد عبيد سراج الدولة تمكن من الاستيلاء على مدينة شقورة وكانت من ممتلكات المعتمد بن عبّاد أمير إشبيلية وقدّمها لسيده سراج الدولة[٩] . بينما يقول ابن الأبار بأن علي إقبال الدولة هو الذي ولّى ابنه سراج الدولة عاملاً على شقورة ، وأنه ظلّ

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٧ .
(٤) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ص ١٤٩ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
(٥) أنطونيو بريتوفيفس : ملوك الطوائف ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .
(٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ص ١٤٩ . وابن خلدون :العبر ، ج ٤ ،ص ٣٥٤ .
(٧) مذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان ، ص ٢٧٨ .
(٨) محمد عبد الله عنان : ص ١٢٧ .
(٩) مذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان ، ص ٣٢٥ .

معتصماً فيها بعد زوال ملك أبيه[١] واستعان بالفرنجة في إمارة قطلونية، وتمكن بالمساعدات التي قدّمها له كونت برشلونة رامون برنجار الأول من استعادة بعض حصون أعمال دانية، مما جعل المقتدر بن هود يتوجّس منه خيفة، وكلّف بعض أعوانه بتدبير مؤامرة لقتله، ونجح المتآمرون في اغتياله بعد أن دسّوا له السم في طعامه ٤٦٩ هـ = ١٠٧٧ م بعد حوالي سنة واحدة من وفاة أبيه[٢]. بينما يقول ابن الأبار بأن سراج الدولة توفي حتف أنفه وتولّى شؤون شقورة من بعده والإشراف على أهله عبدان من عبيد أبيه من سبي سردانية هما إبراهيم وعبد الجبار ابنا سهل[٣].

وهكذا زالت المملكة المجاهدية من البر الإسباني في شرق الأندلس وبقي جناحها الثاني في جزر البليار تحت حكم عاملها عبد الله المرتضى بن أغلب الذي أعلن استقلاله بهذه الجزر[٤]، وأحضر عائلة سيّده علي إقبال الدولة إلى ميورقة حيث عاشت هناك معززة مكرّمة تحت رعايته[٥]. وبدأت جزر البليار منذ ذلك الحين مرحلة جديدة من تاريخها تحت حكم ملك جزر البليار المستقلة عبد الله المرتضى أغلب.

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص١٤٩.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص٣٥٤. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٣٠٩.
(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص١٤٩.
(٤) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص٤٠٦. ودائرة المعارف الإسلامية – زايبولد – ج ٣، ص٣٠٨.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص٣٥٥.

الفصل الرابع

جزر البليار المستقلة

المرحلة الأولى
عهد عبد الله المرتضى أغلب
٤٦٨ – ٤٨٦ هـ = ١٠٧٦ – ١٠٩٣ م

استقلال عبد الله المرتضى أغلب بحكم جزر البليار

بعد سقوط دانية في يدر المقتدر بن هود ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م[١]، ووفاة علي إقبال الدولة ملك «دانية والبليار»، وأسر ابنه وولي عهده محمد معز الدولة الفتح[٢]، ووفاة ابنه الثاني سراج الدولة[٣]، استقلّ عامل جزر البليار عبد الله المرتضى أغلب بحكم هذه الجزر[٤]. ولم يتخلّ عن «أهل سيّده» علي إقبال الدولة في محنتهم «وبعث إلى دانية في تسلمهم فبعثوا إليه بهم»[٥].

ومن المؤسف أن مصادرنا الإسلامية لا تزودنا بمعلومات وافية عن عبد الله المرتضى، ولا نجد إلا النزر اليسير من الإشارات العابرة عن فترة حكمه[٦]. وبالرغم من إشادة المصادر اللاتينية

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب ج٣، ص١٥٨. وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص٣٥٤.
(٢) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول، ص٨١.
(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص١٤٩. وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص٣٥٤.
(٤) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص٤٦٦ – ٤٦٧. ودائرة المعارف الإسلامية – زايبولد – ص٣٠٨.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص٣٥٥. «وينسب ابن خلدون ذلك إلى مبشر بن سليمان ناصر الدولة وهو خطأ واضح».
(٦) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ص١٢٢. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص٤٦٦ – ٤٦٧. والفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص١٣١، ٢٨٤.

والفرنجية ببطولته وصلابته في الدفاع عن استقلال جزر البليار في مواجهة الهجمات المتلاحقة للأساطيل الإيطالية والفرنجية والقطلانية[١]، ومع ذلك فقد تجاهله مؤرخونا حتى إن مؤرخاً كبيراً كابن خلدون أغفل ذكره كلياً[٢].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك إلى غموض بعض النصوص النادرة عن عبد الله المرتضى، واشتمال البعض الآخر على أخطاء تاريخية، مما يقتضي دراستها بإمعان والاعتماد عليها بحذر. ومن أبرز هذه النصوص النصّان التاليان: الأول منهما لابن الكردبوس الذي يقول عنه ما يلي عند حديثه عن الحملة الصليبية المؤتلفة على جزر البليار «وكان والي جزر البليار قبل حلول العدو بنواحيها المرتضى من أهل الأندلس، ثار فيها عند انقطاع دولة بني أمية بالأندلس، حين ثار من سواه، ثم توفي وقام بالأمر من بعده خصي من خصيانه اسمه مبشر تلقّب بناصر الدولة[٣]»، أما بالنسبة لقوله بأن عبد الله المرتضى قد تولى حكم جزر البليار منذ زوال الحكم الأموي من بلاد الأندلس «٤٢٢ هـ = ١٠٣١ م»[٤] فهو خطأ واضح، فقد سبق أن ذكرنا أسماء ولاة هذه الجزر في عهد مجاهد العامري وعهد ابنه علي إقبال الدولة حتى تولية عبد الله المرتضى في عام ٤٦٣ هـ = ١٠٧٢ م عاملاً على هذه الجزر، وكان استقلاله بحكمها في عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م، بعد سقوط دانية في يد المقتدر بن هود[٥]، ووفاة علي إقبال الدولة وأسر ابنه معز الدولة[٦].

أما بالنسبة لبقية نص ابن الكردبوس الآنف الذكر عن تولية مبشر ناصر الدولة بعد عبد الله المرتضى فقد ثبتت صحته من بعض النصوص العربية واللاتينية التي تمكّنا من الاطلاع عليها[٧].

والنص الثاني عن المرتضى هو لابن سعيد المغربي الذي يقول فيه: «وملك ميورقة في مدة ملوك الطوائف مجاهد العامري، الذي كان يحكم أيضاً مدينة دانية، ولما مات غلب عليها مولاه المرتضى أغلب، وكان واليه عليها، ثم مات فوليها مبشر ناصر الدولة..»[٨]. لقد أغفل ابن

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٨٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٥ «وينسب ابن خلدون ما قام به عبد الله المرتضى إلى مبشر بن سليمان ناصر الدولة، ويخلط بين الاسمين».

(٣) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ص١٢٢.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب ج٣ ص١٤٥ وص١٥١ - ١٥٢.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤ - ٣٥٥.

(٦) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول، ص٨١.

(٧) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص٢٨٤، وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٦ - ٤٦٧، والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٨٧ - ٩٢.

(٨) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ج٢، ص٤٦٦ - ٤٦٧.

سعيد ذكر علي إقبال الدولة في نصّه الآنف الذكر، ولو أنه أضاف اسم علي إقبال الدولة إلى هذا النص قائلاً: «ولما مات علي إقبال الدولة غلب عليها مولاه المرتضى أغلب، وكان واليه عليها..»، لكن نصه شاملاً وصحيحاً، وقد ذكر ابن سعيد نفسه في نص آخر بأن علي إقبال الدولة ابن مجاهد العامري تولى الملك بعد «أبيه مجاهد بن عبد الله ملك الجزر»[١].

الأهمية التاريخية للنقود البليارية المسكوكة في عهد عبد الله المرتضى أغلب

كان من الممكن أن يظل اسم عبد الله المرتضى مجهولاً إلى حد كبير لولا العثور على مجموعة من النقود تعود إلى عهده، وعهد مبشر بن سليمان الذي تولى الملك على البليار من بعده[٢]. ويعود تاريخ النقود التي سكت في ميورقة في عهد عبد الله المرتضى إلى الفترة من ٤٨٠ هـ - ٤٨٦ هـ = ١٠٨٧ - ١٠٩٤ م وجميعها دراهم ذات شكل موحّد، وتحمل إلى جانب اسم «عبد الله» ولقبه «المرتضى» تسمية «ابن أغلب». ومما يستوقف النظر أن جميع هذه النقود تتميز بأناقة نادرة المثال، إزاء الخشونة والبداوة التي تتسم بها النقود المضروبة في جزيرة ميورقة في عهد مجاهد العامري[٣].

ويتضح من هذه النقود بأن عبد الله المرتضى أغلب ظلّ يحكم جزر البليار حكماً مستقلاً حتى وفاته عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٢ م، وكان آخر درهم سكّ باسمه في هذا العام يحمل ما يلي:

على الوجه: المرتضى

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

عبد الله

على الإطار الدائري: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة ميورقة سنة ست وثماني وأربع ماية.

على الظهر: ابن أغلب[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٠١.

(٢) Tratado De Numismatica-Arabigo-Espanola-Por Don Francisco Codera Y. Zaidin-Madrid: Libreria De Murelo-Calle de Alcala Num. 7, 1879, p. 174.

Antonio Priet Y, Vivies: Los Reyes De Taifas, p. 123.

(٣) فرنسيسكو قديرة زيدين: مؤلف في علم النميات العربية - الأسبانية، مدريد - مكتبة م - موريلو - شارع القلعة رقم ٧ - طبعة سنة ١٨٧٩، ص١٧٤.

وأنطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص١٢٣، مدريد، طبعة سنة ١٩٢٦.

(٤) المرجعان السابقان (الأول) ص١٧٧، ١٨١ (الثاني) ص١٩٤ - ١٩٥.

ومما يلفت النظر أن أول نقود وصلتنا من عهد المرتضى سكت في عام ٤٨٠ = ١٠٨٧ م[١]، بالرغم من أنه استبد بحكم جزر البليار بعد سقوط دانية ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م، كما ذكرنا في حينه[٢]. مما يجعلنا نميل إلى ترجيح أنه لم يعلن استقلاله بهذه الجزر حتى عام ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م، بعد الزحف المرابطي على بلاد الأندلس وانتصار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الحاسم في معركة الزلاقة على قوات أسبانيا المسيحية بقيادة ألفونسو السادس، بعام واحد[٣]. كما يتضح من وجود نقود سكت في ميورقة في عام ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م تحمل اسم مبشر ناصر الدولة[٤]، بالاضافة إلى نقود أخرى سكت في نفس العام تحمل اسم عبد الله المرتضى[٥]، بأن عبد الله المرتضى ولّى مبشر ناصر الدولة عهده، وليس كما تخيل بعض الباحثين ومنهم على سبيل المثال الباروكمبانير الميورقي، بأن مبشر ناصر الدولة استغل الثقة التي أولاه إياها عبد الله المرتضى، وتجاوز حدود سلطاته، وأعلن الثورة على سيّده المرتضى وانتزع منه السلطة وأعلن نفسه ملكاً على ميورقة وملحقاتها، ويعلل الباروكمبانير رأيه الآنف الذكر قائلاً «إن لم يكن الأمر كذلك، فكيف نفسر وجود نقود تحمل اسم الأميرين في عامين متتالين ٤٨٤ هـ و ٤٨٥ هـ، بينما لا نجد في عام ٤٨٦ هـ سوى نقود تحمل اسم عبد الله المرتضى وحده»[٦].

وأعتقد بأن الباروكمبانير المؤرخ الميورقي قد بالغ إلى حد كبير في تفسير هذه الظاهرة، فلقد كان من المتعارف عليه في عهد ملوك الطوائف أن تسك العملات باسم ولي العهد وبعض الشخصيات ذات النفوذ، ومنها على سبيل المثال مجموعة النقود التي تعود لعهد مجاهد العامري، فإنها تحمل إلى جانب ولي العهد «سعد الدولة» أسماء بعض الشخصيات مثل أحمد ويحيى وجهور وعبد الله، ولا نجد عليها اسم «مجاهد»[٧]، بالرغم أنه من المؤكد والثابت بأن مجاهد العامري كان صاحب السلطة العليا في جزر البليار ودانية وملحقاتهما حتى وفاته

---

(١) نفس المرجعين السابقين (الأول) ص١٧٤ (الثاني) ص١٢٣.
(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٦ - ٤٦٧.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢٠٢.
ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ض٣٢٣.
(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٥١.
وابن أبي زرع: روض القرطاس، ج١، ص٥٢ - ٦٠ (طبعة الفلالي).
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩٢ - ٩٣.
(٥) فرنسيسكو قديرة زيدين: مؤلف في علم النميّات العربية الإسبانية، ص١٧٧.
وأنطونيو بريتوفيفس: ملوك الطوائف، ص١٩٥.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩٢ - ٩٣.
(٧) أنطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص١٢٢، ١٩٢.

٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م[١]. كما عثر على نقود من عهد مجاهد العامري سكت في دانية في عام ٤٣٢ هـ تحمل اسم ابنه وولي عهده «سعد الدولة» بجانب اسم «جهور». بينما نجد على النقود التي سكت في ميورقة في عام ٤٣٥ هـ وفي دانية ٤٣٦ هـ أسماء مجاهد وولديه حسن سعد الدولة وعلي إقبال الدولة، بالإضافة إلى اسم الخليفة المزعوم هشام المؤيد[٢].

وقياساً على ما سبق ذكره فليس غريباً أن نجد نقوداً من عهد عبد الله المرتضى تحمل اسم مبشر ناصر الدولة لكونه أقرب المقربين إليه وأعظم رجال دولته[٣]، وربما يكون قد اصطفاه ولياً لعهده منذ عام ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م، ولهذا قامت دار السكة في ميورقة بسك نقود يحمل بعضها اسم عبد الله المرتضى والبعض الآخر مبشر ناصر الدولة في عامي ٤٨٤ هـ و ٤٨٥ هـ. أما بالنسبة لوجود نقود سكت في ميورقة في عام ٤٨٦ هـ تحمل اسم عبد الله المرتضى وحده، فليس أمراً غريباً أن تسك النقود باسم أمير البلاد، بل إن وجودها ينفي نفياً قاطعاً قيام مبشر ابن سليمان بالثورة على سيّده المرتضى، كما أنها تؤكد بقاء عبد الله المرتضى أغلب ملكاً على جزر البليار المستقلة حتى عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م، فلو حصلت ثورة من هذا القبيل على حد ادعاء الباروكمبانير، لما اكتفى عبد الله المرتضي بقمعها فحسب، بل لكان قضى نهائياً على القائم بها، ولو كان الأمر كذلك لما خلف مبشر بن سليمان ناصر الدولة سيده المرتضى على عرش البليار بعد وفاته عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م، حيث إن من الثابت قطعاً تولي مبشر ناصر الدولة الملك في البليار بعد وفاة عبد الله المرتضى[٤]، والباروكمبانير نفسه يؤكد ذلك، مما ينفي نفياً قاطعاً تقديراته الخاطئة عن قيام مبشر بن سليمان بالثورة على سيده عبد الله المرتضى[٥].

وتؤكد مصادرنا الإسلامية إخلاص مبشر بن سليمان ناصر الدولة لسيده عبد الله المرتضى في

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٤.
(٢) أنطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص١٢٢، ١٩٢.
(٣) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١٢٢ وحاشية «٤»، تحقيق د. أحمد مختار العبادي.
(٤) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص٢٨٤.
وابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١٢٢ - ١٢٣.
وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٦ - ٤٧٦.
وفرنسيسكو قديرة زيدين: مؤلف في علم النميات العربية - الأسبانية، ص١٧٤، ١٧٧، ١٨١.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩١.
وأنطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص١٢٣ و ص١٩٤ - ١٩٦.
ودائرة المعارف الإسلامية: ج٣ - زايبولد - ص٣٠٨.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢٠٢.
(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩١.

حياته[1] ، ووفاءه لذكراه بعد وفاته ، وتكريمه لأهله ، ورعايته لهم ، ويقول الفتح بن خاقان بهذا الصدد : « وكان المرتضى رحمه الله هو الذي أورث ناصر الدولة الملك ونظم بلبته ذلك السلك ، فلم يكفر يده ، ولم ينثن عن مجازاة ما قلده ، ولم يزل يتعهد سافتته ويعتقدها ، ويبر من كان يوالي دولته ويعتقدها ، إلى أن ماتت أخت المرتضى ، فاحتفل في جنازتها احتفالاً شكر فيه فعله ، ومشى إلى لحدها وما ركب إلا نعله ، وندب الشعراء إلى رثائها وتأبينها وإيضاح فضائلها وتبيينها ، وقام أبو بكر (محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة) على قبرها وقال :

أبنت الهدى جدّدت منعًى على منعى   مضى المرتضى أصلًا واتبعتــه فرعــا
جرى الموت جري الريـح في منبتيكمـا   فــأذواك ريحــانــاً وكسّره نبعــا
عــلى نسق جــاء المصــاب وإنمــا   تقــدم وتراً واتبعتــه شفعــا[2]

يتضح من النص الآنف الذكر مدى عمق العلاقة ورسوخ المودة بين مبشر ناصر الدولة وسيده عبد الله المرتضى وولائه له وإخلاصه لذكراه إلى حد لم ينس فيه واجبه تجاه أهل سيده حتى بعد وفاته. ويقول ابن سعيد المغربي « ولما مات المرتضى وليها (أي ميورقة وذواتها) مبشر ناصر الدولة فدام بها ملكه وأحسن التدبير ، وقصده الفضلاء منهم ابن اللبانة ، وله فيه مدائح كثيرة »[3]، ويقول في بيت من إحدى قصائده يمدح المرتضى وخليفته مبشر ناصر الدولة :

والبحر يسكن خيفـــة من نـــاصر   أرضى الريــاسة بعــد موت المرتضى[4]

وكان ابن اللبانة يتطلع منذ زوال ملك بني عباد في إشبيلية إلى اللجوء لميورقة عند عبد الله المرتضى بن أغلب نصير الشعراء والأدباء ، ويتضح ذلك من إحدى قصائده في رثاء بني عبّاد ، التي يقول في جملة أبيات منها :

رغــد من العيش مــا لي أرتقيــه ولي   عنــد ابن أغلــب أكنــاف بسيطــات
إن لم يكن عنــده كوني فــلا سعــة   للرزق عنــدي ولا لــلأنس ساعــات
هنــاك آوي من النعمــي إلى كنــف   فيــه ظــلال وأمواه وجنـــات
بــين الحصــار وبــين المرتضى عمر   ذاك الحصــار من المحظور منجــاة[5]

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص١٢٢ - ١٢٣ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٦٦ - ٤٦٧ .
(٢) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان : ص٢٨٤ .
(٣) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٦٦ - ٤٦٧ .
(٤) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص٢٨٤ .
(٥) المصدر السابق : ص٣٣ - ٣٤ .

ولم يتح لابن اللبانة فرصة التوجه إلى ميورقة إلا بعد وفاة المرتضى بثلاث سنوات ٤٨٩ هـ ، وأصبح من كبار شعراء مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، وعاش بقية عمره في جزيرة ميورقة يمدح أميرها إلى أن توفي (٥٠٧ هـ) قبيل الاجتياح الصليبي لجزر البليار[1] .

دفاع عبد الله المرتضى البطولي عن البليار

استقل عبد الله المرتضى بحكم جزر البليار ٤٦٨ - ٤٨٦ هـ = ١٠٧٦ - ١٠٩٣ م[2] ، في وقت سيطرت فيه الأساطيل الإيطالية والفرنجية والقطلانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ولم تعد هناك أي قوة بحرية إسلامية بوسعها التصدي لهذه القوات البحرية المتفوقة سوى أساطيل جزر البليار[3] . فقد كانت جزيرة صقلية الإسلامية آنذاك تتعرض لغزو نرمندي كاسح ، وتتساقط مدنها الواحدة بعد الأخرى في أيدي الغزاة ، إلى أن انهارت كلياً خلال ثلاثين عاماً ٤٥٣ - ٤٨٣ هـ = ١٠٦١ - ١٠٩٠ م[4] . وكانت بحرية بني زيري في إفريقية تعاني من الضعف بعد تدمير الأعراب لثغورها ونشر الخراب والدمار في شتى أرجائها ، مما اضطر تميم بن المعز بن باديس إلى التخلي نهائياً عن نصرة صقلية وتركها تواجه مصيرها المفجع وحدها ، وقام بتوقيع معاهدة صلح مع روجر جسكارد النورمندي الذي كان يجتاح جزيرة صقلية آنذاك ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م من أجل عدم التعرض للمهدية الثغر الوحيد في ساحل إفريقية الذي بقي في يد بني زيري[5] .

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الثاني ص٦٦٦ - ٧٠٢ .
والفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص٢٨٢ - ٣٠٠ .
،وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢١١ - ٢١٧ وحاشية « ١ » ص٢١٢ .
وابن الأبار : التكملة ، ص٤٠١ ترجمة رقم ١١٦٢ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٠٩ - ٤١٣ . ورايات المبرزين : ص١٢٠ .
والعماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ج٢ ، ص١٠٧ - ١٣٩ .
وابن الخطيب : جيش التوشيح ، ص٢٤٢ - ٢٤٣ .
(٢) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٦٦ - ٤٦٧ .
وفرنسيسكو قديرة زيدين : مؤلف في علم النميات العربية - الأسبانية ، ص١٧٤ - ١٨١ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٩١ - ٩٣ .
وأنطونيو بريتو فيفس : ملوك الطوائف ، ص١٢٣ و ١٩٤ - ١٩٦ .
ودائرة المعارف الإسلامية : ج٣ - زايبولد - ص٣٠٨ .
ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص٢٠٢ .
ود. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٤٢٣ .
(٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٤) ميخائيل أماري : المكتبة الصقلية/عن نزهة المشتاق للإدريسي ، ص٢٦ .
(٥) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص٣٨٦ .

وبالرغم من كل مساعي بني زيري السلمية ، فقد كادت المهدية أن تسقط نهائياً في يد حلف صليبي من بيزة وجنوة وأمالفي بزعامة البابا فكتور الثالث ، مما اضطر تميم بن المعز أمير إفريقية أن يدفع للقراصنة الايطاليين مائة ألف دينار مقابل انسحابهم من المهدية ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م ، وعادوا بغنائمهم وسبيهم دون أن يعترضهم معترض(١) . كما وقّع الناصر بن علناس الحمّادي أمير المغرب الأوسط معاهدات صلح مع الجمهوريات البحرية الإيطالية ، ومع النورمان في صقلية ، ومع البابوية في رومة ، ومنح النصارى امتيازات كبيرة في مملكته(٢) .
وهذا مما مكن الأساطيل الإيطالية أن تعيث فساداً في الحوض الغربي للبحر المتوسط وتفرض الأتاوى الضخمة على ثغور ساحل الأندلس الشرقي ، التي انهارت قواتها البحرية ولم يعد في وسعها التصدي للغزاة . وقد اضطرت مدينة المرية في جنوب شرق الأندلس إلى دفع إتاوة مقدارها « ١١٣ » ألف دينار للقراصنة الطليان لوقف اجتياحهم للمدينة ، كما حمت مدينة بلنسية نفسها من السلب والنهب بدفع ثلاثين ألف دينار(٣) .

وكانت القوة البحرية الإسلامية الوحيدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط التي تصدت ببسالة لغارات الأساطيل الإيطالية والقطلانية والفرنجية وردتها مدحورة ، هي أساطيل جزر البليار ، ونتيجة لهذا الصمود حافظت جزر البليار على استقلالها طيلة عهد المرتضى ولم تسقط في يد الغزاة للمرة الأولى إلا في نهاية عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة(٤) .

وهذا مما يضفي هالة من المجد والفخار على هذا القائد الباسل الذي تمكن من الصمود وحده في مواجهة أعتى الهجمات ، ولقد أشادت المصادر الفرنجية واللاتينية ببطولة عبد الله المرتضى وصلابته في الدفاع عن البليار في مواجهة الهجمات المتلاحقة للأساطيل الإيطالية والفرنجية والقطلانية(٥) ، في وقت سيطرت فيه الأساطيل المسيحية على الحوض الغربي للبحر المتوسط ،

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠١ .
وابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٦٥ . ورحلة التجّاني ، ص ٣٣١ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٩ . ود . السيد عبد العزيز سالم ود . أحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ص ٢٠٥ .
(٢) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٨ - ١١٩ .
(٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٦ ، و ص ١١٩ والملحق « ٤ » ، ص ٢٧٢ .
وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
ودائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ - زايبولد - ص ٣٠٨ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٦ .

وكادت بلاد الأندلس أن تنهار نهائياً أمام زحف قوات أسبانيا المسيحية ، لولا عون المرابطين البواسل بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، الذين أعادوا للإسلام عزته في غرب العالم الإسلامي(١) .

علاقة عبد الله المرتضى بالمرابطين

في الوقت الذي كانت فيه الأساطيل المسيحية تجتاح الثغور الإسلامية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، كانت قوات ممالك وإمارات أسبانيا المسيحية وعلى رأسها مملكة ليون وقشتالة تجتاح ممالك الطوائف المنهارة في بلاد الأندلس ، وقد توج الفونسو السادس ملك ليون وقشتالة انتصاراته بالاستيلاء على طليطلة معقل الأندلس الحصين ، من القادر بالله بن ذي النون ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م ، وفرض الجزية على ملوك الطوائف المتخاذلين ، وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على جميع بلاد الأندلس(٢) . واستنجد ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عبّاد أمير إشبيلية بالمرابطين تحت قيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، الذي استطاع ترسيخ دعائم دولة إسلامية مجاهدة في المغربين الأقصى والأوسط . واستجاب أمير المسلمين لاستغاثة ملوك الطوائف ، وعبرت القوات المرابطية بحر الزقاق « مضيق جبل طارق » إلى عدوة الأندلس في ربيع الأول ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م ، وتمكنت هذه القوات الإسلامية الفتية من تحقيق نصر ساحق على قوات أسبانيا المسيحية في معركة الزلاقة الحاسمة في شهر رجب ٤٧٩ هـ = سبتمبر ١٠٨٦ م(٣) .

ولم يستثمر القائد العظيم يوسف بن تاشفين نصره الباهر في معركة الزلاقة باستعادة طليطلة قلب الأندلس وحصنها الحصين ، وعاد إلى بلاد المغرب . ونتيجة لذلك تمكن ألفونسو السادس ملك ليون وقشتالة من إعادة تنظيم قواته والتحرش بممالك الطوائف المنهارة ، مما اضطر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الجواز ثانية لبلاد الأندلس على رأس قواته من المرابطين البواسل ٤٨١ هـ = ١٠٨٨ م لنصرة المسلمين في الثغور الأندلسية المهددة بالاجتياح . وقد اتضح لأمير المسلمين بعد جوازه الثاني مدى تخاذل ملوك الطوائف وانهيارهم عندما عجزوا جميعاً عن اقتحام « حصن لبيط » الذي اعتصمت فيه قوات من ليون وقشتالة وأخذت في الإغارة على ثغور جنوب شرق الأندلس . وما إن شعر يوسف بن تاشفين بالمؤامرات التي كان يحيكها ملوك الطوائف لطعن المرابطين في الظهر حتى فضل الانسحاب على الاشتباك في معركة غير مأمونة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥١ . وابن أبي زرع : روض القرطاس ج ١ ص ٥٢ - ٦٠ . وأرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٧٢ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٤٢ ، وابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٣٤٨ .
(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج ١ ، ص ٥٢ - ٦٠ طبعة الفلاني .

العواقب، وترك حامية مرابطة من أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة داود بن عائشة، لحماية ثغور شرق الأندلس، وعاد على رأس قواته الضاربة ثانية لبلاد المغرب بعد أن تيقن بأن لا جدوى من التعاون مع ملوك الطوائف[1].

وفي جواز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الثالث لبلاد الأندلس ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م، قرر التخلص من ملوك الطوائف المتخاذلين، وقام بإنجاز هذه المهمة الخطيرة عامله على بلاد الأندلس القائد الباسل سيري بن أبي بكر اللمتوني، الذي استطاع إنقاذ الأندلس من خطر اجتياح قوات أسبانيا المسيحية، ومن ملوك الطوائف الذين وضحت خيانتهم وتآمرهم ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣[2].

ولم يتعرض المرابطون لجزر البليار وأميرها المجاهد عبد الله المرتضى أغلب ولخليفته من بعده مبشر بن سليمان ناصر الدولة، ووجدوا في هذه الجزر وفي قادتها المجاهدين المخلصين السد المنيع لثغور شرق الأندلس من أي عدوان بحري مسيحي[3]. ولم يلتفتوا لتحريض يوسف بن محمد بن الجد[4] على انتزاع جزر البليار من عبد الله المرتضى، الذي عرّض به ابن الجد في مقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات ذكرها صاحب الذخيرة[5]. كما ذكر له رسالة يخاطب فيها عمه بإشبيلية مرسلة من جزيرة ميورقة التي كان يقيم فيها، ويتباكى في هذه الرسالة على ملوك الطوائف المتخاذلين «عند تناثر عقد رؤساء الجزيرة» على يد المرابطين[6]. بينما يعرّض بالمجاهد الباسل عبد الله المرتضى أغلب الذي شهد له الأعداء بالبسالة والشجاعة والحميّة وأشادوا بدفاعه البطولي عن جزر البليار[7]. وظل عبد الله المرتضى على علاقة ودية بالمرابطين حتى وفاته

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٥١ وما بعدها.
وابن أبي زرع: روض القرطاس، ج١، ص٦٦ وما بعدها.
والحلل الموشية: مجهول المؤلف، ص٤٧.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٣٢٩ وما بعدها.

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ج١، ص٦٩ وما بعدها.
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٤٨ وما بعدها. ودول الطوائف ص٣٣٧ وما بعدها.

(٣) د. محمود علي مكي: وثائق جديدة من عصر المرابطين، ص١٥٨.
ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٢٣.

(٤) تراجع ترجمته في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثاني/المجلد الثاني ص٥٥٦ والحواشي ٣، ٤. وفي المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٤٠.

(٥) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ص٩٤.

(٦) المصدر السابق: القسم الثاني/المجلد الثاني/، ص٥٥٨ – ٥٥٩.

(٧) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٨٦.

٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م وتولية مبشر بن سليمان ملكا على البليار من بعده، وفي عهد مبشر ازدادت علاقة البليار بالمرابطين رسوخاً وتنوعت أوجه التعاون في مواجهة العدو المشترك[1].

وفاة عبد الله المرتضى وتولية ولي عهده مبشر ابن سليمان ملكاً على البليار من بعده

يبدو بأن عبد الله المرتضى لم يعقب ذكوراً، وإلا لكان خلفه أحدهم في الحكم بعد وفاته، وقد أشارت المصادر التي بين أيدينا إلى أختين من أخواته وإلى صهر من أصهاره، وقد رثى ابن اللبانة إحدى هاتين الأختين بعد وفاتها في عهد مبشر بن سليمان الذي أكرمها حيّة ورعى ذكراها بعد مماتها، واحتفل بجنازتها احتفالاً كبيراً، عرفاناً منه بأيادي أخيها البيضاء عليه، مما يوضح مكانة المرتضى الكبرى لديه[2]. أما الأخت الثانية فقد أشادت بذكرها المدونة البيزية، ولكنها في نفس الوقت تروي عنها روايات ملفقة[3]. وقد أشار الفتح بن خاقان إشارة عابرة إلى أحد أصهار المرتضى، وتحدث عن لقاءاته في مرسية بشرق الأندلس مع «ابن جمال الخلافة» صاحب صقلية وذي الوزارتين أبي بكر محمد بن أحمد بن رحيم أحد عظماء مرسية[4].

وكان عبد الله المرتضى أغلب قد أولى ثقته لمبشر بن سليمان وولاه عهده، ويحدثنا ابن الكردبوس عن أصل مبشر بن سليمان قائلاً: «وكان أصل مبشر بن سليمان ناصر الدولة من قلعة

---

(١) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٧.
ود. محمود علي مكي: وثائق جديدة من عصر المرابطين، ص١٥٨.
ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٢٣.

(٢) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص٢٨٤.

(٣) تتحدث المدونة البيزية عن إحدى أخوات المرتضى عند ذكرها لاقتحام القوات الصليبية المؤتلفة لأسوار القصبة في ميورقة ٥٠٨ هـ = ١١١٦ م، وتذكر عنها النص التالي الذي يتضح من فحواه مدى التلفيق في محتواه:

«.. وتقدم البيزيون إلى ميورقة الثالثة التي كانت فيما مضى للملك المرتضى واستولوا على المدينة (بضم الميم وفتح الدال) وأسروا أخت المرتضى ومعها عدد من أبنائها وبناتها وأحفادها، ولما كانت تلك السيدة بشهادة الأسرى المسيحيين في ميورقة امرأة عاقلة رحيمة، وطالما عاملت الأسرى برفق وخففت الآلام عنهم، فقد أطلق البيزيون سراحها هي وأفراد أسرتها ولم يبق من هذه الأسرة في ميورقة إلا إحدى بنات هذه السيدة التي أصبحت ملكة ميورقة بعد ذلك. أما أخت المرتضى فقد آثرت الهجرة من ميورقة ورافقت الجيش البيزي إلى بيزة مع بقية أفراد أسرتها».

(الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، الملحق «٥»، ص٢٨٩).

(٤) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص١٣١.

الحمير[1] من نظر لاردة (في الثغر الأعلى الإسلامي) سباه العدو صغيراً وخصاه فوجّه المرتضى رسولاً إلى الروم[2] في بعض مآربه ، فاستحسن الرسول عقل الفتى مبشر ونبل ذاته ، ففداه وقدم به على المرتضى ، فسرّ به وقرّبه ووجد عنده حسن خدمة الملوك ما تمناه »[3].

ويذكر المؤرخ الميورقي الباروكمبانير نصاً مماثلاً لنص ابن الكردبوس عن مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، يذكر فيه بأن أصله من قلعة الحمير Casteldasens في منطقة لاردة Lerida في الثغر الأعلى الإسلامي ، وأنه أسر في طفولته بأيدي المسيحيين ، وظل في برشلونة إلى أن أتيحت له الفرصة في لقاء سفير المرتضى الذي كان قد توجه إلى بلاط كونت برشلونة ليسوي أموراً خاصة بالعلاقات بين البلدين ، ويبدو بأن سفير المرتضى قد أعجب بثقافة مبشر وذكائه ، فقام بفدائه وحمله معه إلى ميورقة وقدمه إلى المرتضى ، الذي أعجب به إعجاباً كبيراً ومنحه ثقته ، وقد قابل ذلك مبشر بالامتنان والعرفان بالجميل ، فأخلص في خدمة سيده المرتضى ، الذي أولاه بمرور الزمن مزيداً من عنايته ومنحه أقصى درجات ثقته وجعله ولياً لعهده وأجاز له سك النقود باسمه ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م[4].

وبعد وفاة عبد الله المرتضى أغلب ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م تولى مبشر بن سليمان ناصر الدولة الملك في جزر البليار من بعده[5].

---

(١) قلعة الحمير : Casteldasens ومعناها بالقطلانية نفس المعنى بالعربية « قلعة الحمير » وهي مركز قضائي في مقاطعة لاردة . (ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، حاشية « ٦ » ، ص١٢٢) .

(٢) الروم : كانت تطلق هذه التسمية على النصارى الإسبان وتشير هنا إلى القطلان في برشلونة (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، حاشية « ١ » ، ص١٢٣) .

(٣) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص١٢٢ – ١٢٣ .

(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ض٩٢ – ٩٣ .

(٥) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص٢٨٤ .
وابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص١٢٢ – ١٢٣ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص٤٦٦ – ٤٦٧ .
وفرنسيسكو قديرة زيد : مؤلف في علم النميّات العربية – الأسبانية ، ص ١٧٤ ، و ص١٧٧ ، ١٨١ .
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٩١ .
وأنطونيو بريتو فيفس : ملوك الطوائف ، ص ١٢٣ وص١٩٤ – ١٩٦ .
ودائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ – زايبولد – ص٣٠٨ .
ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص٢٠٢ .

المرحلة الثانية

عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة

٤٨٦ – ٥٠٩ هـ = ١٠٩٣ – ١١١٥ م

تولية مبشر بن سليمان ناصر الدولة ملكاً على جزر البليار

اعتلى مبشر بن سليمان ناصر الدولة عرش جزر البليار ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م بعد موت سيده عبد الله المرتضى أغلب[1] في وقت سيطرت فيه القوات المرابطية على معظم بلاد الأندلس[2] ، وخاصة على شرق الأندلس المحاذي لجزر البليار ، باستثناء ثغر بلنسية ، حيث تمكن أحد المغامرين القشتاليين من العتاة وقطاع الطرق ، ويدعى في المصادر الإسلامية بالقنبيطور[3] من الاستيلاء عليها ٤٨٧ هـ = ١٠٩٣ م ، وأعادها المرابطون البواسل لحظيرة الإسلام بقيادة القائد المرابطي المجاهد مزدلي ٤٩٥ هـ = ١١٠٢ م ، وأصبحت منذ ذلك الحين خط الدفاع الخلفي عن جزر البليار[4] .

ولم تعترض القوات المرابطية لثغرين من ثغور الأندلس ، الأول منهما الثغر الأعلى الإسلامي تحت حكم بني هود لصلابتهم في الدفاع عن هذه المنطقة الاستراتيجية ، ولتظاهرهم بالولاء لأمير

---

(١) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٦٧ .
ودائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص٣٠٨ .
ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص٢٠٢ .

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج١ ، ص٦٩ وما بعدها .

(٣) القنبيطور : فارس قشتالي مغامر يدعى « رودريجو دياث بيبار Rodrigo Diaz Vivar وقد أطلق عليه المسلمون في مصادرهم اسم القنبيطور من لقبه بالقشتالية Elcam Peador أي المحارب الباسل أو « المبارز » لجرأته وقسوته وعنفه ، فقد تجرد من كل مبدأ ، فكان يؤجر نفسه حيناً لملوك النصارى وحيناً آخر لملوك الطوائف دون أي اعتبار ديني أو قومي ، وكان المرتزقة من المسلمين النين يعملون تحت رايته يلقبونه بالسيد Elcid ، وقد تمكن هذا المغامر من استغلال الفوضى في بلنسية في نهاية عهد ملوك الطوائف واستولى عليها ، وظلت تحت حكم هذه الطاغية وزوجته خمينا من بعده ثمانية أعوام يسومان أهلها الذل والهوان ، حتى تمكن القائد المرابطي مزدلي من تحرير بلنسية ، وأعادها إلى حظيرة الإسلام في شعبان ٤٩٥ هـ = مايو ١١٠٢ م ، وأصبح خط الدفاع الخلفي لجزر البليار مؤمناً ومحمياً بحلفائهم المرابطين . (ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٤ « قطعة من تاريخ المرابطين ، ص٤٢ وما بعدها » . ومحمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص٢٣١ ، وما بعدها .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٤ ، « قطعة من تاريخ المرابطين » ، ص٣٣ – ٤٣ .

المسلمين يوسف بن تاشفين، وإتحافه بهداياهم، لهذا تركهم وشأنهم طيلة فترة حياته، ولم يتدخل في شئونهم، وأوصى أعقابه بأن لا يتعرضوا لبني هود ما داموا يدافعون عن الثغر الأعلى الإسلامي بكل إخلاص وولاء، بما عرف عنهم من بسالة وخبرة في الحروب[1]. ولم يتعرض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كذلك لجزر البليار تحت حكم عبد الله المرتضى بن أغلب وخليفته مبشر بن سليمان ناصر الدولة ولم يتدخل في شئونهما ووطد علاقته بهما لبطولتهما في الدفاع عن جزر البليار التي كانت بمثابة السد المنيع والدرع الواقي لثغور ساحل الأندلس الشرقي في مواجهة الأساطيل المسيحية المتربصة[2].

وكانت أساطيل بيزة وجنوة دائمة الإغارة على ثغور أسبانيا الشرقية بالتحالف مع ملوك وأمراء أسبانيا المسيحية[3]. وقامت بعدة غارات على جزر البليار وردت عنها مدحورة[4]. فقد كانت أساطيل البليار لها بالمرصاد، مما حمى ثغور ساحل الأندلس الشرقي الخاضع للمرابطين من أي عدوان خارجي، نتيجة للتعاون المشترك بين مبشر بن سليمان ناصر الدولة «ملك البليار» وقادة الثغور المرابطية في شرق الأندلس[5]. وقد أشادت الرواية الإسلامية ببطولة مبشر وجهاده في البحر، ويقول ابن خلدون بهذا الصدد: «ولم يزل مبشر يردد الغزو إلى أرض العدو إلى أن جمع طاغية برشلونة الجموع ونازل ميورقة»[6]. ولم تغفل الرواية الإسلامية الإشادة كذلك بخصال مبشر الحميدة وسمو همته وعدله وحسن تدبيره ونبله وكرمه، ويصفه ابن الكردبوس بقوله «وكان سامي الهمم حميد الشيم كثير الفضائل والكرم»[7]. ويذكر ابن سعيد المغربي بأن مبشر بن سليمان ناصر الدولة اعتلى عرش جزر البليار بعد عبد الله المرتضى «وأقرّ العدل وأحسن الحكومة وأرضى الرعية..»، لهذا «دام بها ملكه، وأحسن التدبير، وقصده الفضلاء، ولم يخلعه الملثمون (المرابطون) منها»[8]. ولم تقف مواهبه عند حد

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤ «قطعة من تاريخ المرابطين»، ص٤٣ وما بعدها. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢٩١.
(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٧.
ود. محمود علي مكي: وثائق جديدة من عصر المرابطين، ص١٥٨.
ود. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٢٣.
(٣) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢٤٠.
(٤) ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص٣٧٢ - ٣٧٣.
(٥) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١٢٢ - ١٢٣.
ود. محمود علي مكي: وثائق جديدة من عصر المرابطين، ص١٨٥.
(٦) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٥.
(٧) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١٢٢ - ١٢٣.
تحقيق د. أحمد مختار العبادي.
(٨) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٧.

العدالة والشجاعة والبسالة، فقد تميز كذلك بتشجيع العلم والأدب، وتكريم العلماء والأدباء، لهذا ازدهر العلم في جزر البليار في عهده حتى فشا بين مماليكه وأصبحت جزيرة ميورقة في عهده حرماً آمناً لكل قاصد نزيه، ولكل عالم رشيد وفقيه سديد، وأديب لامع، يقصدها الشعراء والأدباء والعلماء والفقهاء، فيلقاهم بحسن برّه ويضفي عليهم من كرمه وطيب لقياه مما خلّد على الدهر ذكراه، فقد عبأوا المجاهدين والمقاتلة والمتطوعة تحت رايته وأسهموا في نصرته[1].

وكان بلاطه في قصر الناصرية بمدينة ميورقة أشبه ببلاط عظماء الملوك، صرحاً آمناً لكل وافد ولكل عالم رائد، لهذا ازدهر العلم في رحابه ووقف الشعراء والأدباء على أبوابه، فكان يلقاهم أحسن لقاء ويجيزهم خير الجزاء[2]. ومن كبار الشعراء الذين وفدوا إلى حماه محمد بن عيسى الداني المعروف «بابن اللبانة» وكان قدومه إلى ميورقة في أواخر شعبان ٤٨٩ هـ = أغسطس ١٠٩٦ م، فأحسن لقاءه ورعاه وقرّبه إليه وجعله من رجال حاشيته وأصفيائه، وقد أثمرت هذه المودة في قلب ابن اللبانة وأزهرت فرائد من شعره في مدح مبشر بن سليمان ناصر الدولة[3]، ويصف في بيت من إحدى مدائحه في مبشر وفود الشعراء في رحاب قصر الناصرية قائلاً:

ولما حللت الناصرية أقبلت ... إليك وفود الشعر وفداً على وفد[4]

وقد أبرز الشعراء الذين وفدوا إلى بلاطه مدى عنايته بقوات جزر البليار البحرية والبرية، في الوقت الذي كانت تتعرض فيه هذه الجزر إلى غارات الأساطيل الصليبية وتقوم أساطيلها بالتصدي للغزاة والإغارة على ثغورهم[5].

---

(١) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص٦٧ - ٧٦.
(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٧.
والعماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٣، ص٣٩٣ - ٣٩٧.
(٣) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢١١ - ٢١٧ وحاشية «٢»، ص٢١٢.
(٤) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الثاني ص٦٨٢.
(٥) العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص١٢٧.
وعبد الواحد المراكشي: المعجب تلخيص أخبار المغرب، ص٢١٥ - ٢١٦.
وابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٧٩.
وديوان ابن حمديس الصقلي/تصحيح وتقديم د. إحسان عباس، ص٣٣٠ والتمهيد ص١٢.

عناية مبشر بن سليمان ناصر الدولة بقوات البليار البحرية والبرية

منذ أن اعتلى مبشر بن سليمان ناصر الدولة عرش جزر البليار ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م[١]، وحتى نهاية عهده والحرب البحرية بين أساطيل البليار وأساطيل البيزيين والجنويين والفرنجة، والنورمان في صقلية، وإمارة قطلونية متواصلة دون هوادة، وكانت سجالاً بين الطرفين فحيناً كانت الأساطيل المسيحية تغير على جزر البليار وتعيث فيها تدميراً وتخريباً، وحيناً آخر كانت أساطيل البليار تغير على ثغور الغزاة بالمثل[٢]، وتعود من حملاتها البحرية ظافرة بغنائم وافرة وعدد كبير من الأسرى. وكانت عودة الأساطيل في مواسم الغزو البحري سالمة غانمة، مناسبة هامة في ثغور البليار، يحتفل بها السكان احتفالاً كبيراً، ويصف ابن اللبانة مراكب الغزو بعد عودتها غانمة في يوم عيد إلى ثغر ميورقة في إحدى مدائحه لمبشر ناصر الدولة:

لـك المنشآت الجـاريـات كـأنهـا   ضواري شواهـين عـلى المـاء حوّم
هي الغيد وافت منك في العيد عيدها   فمن موسم في موسم طيّ موسم[٣]

وكانت عناية أمير البليار ببناء الأساطيل فائقة فهي عماد حياة جزر البليار ودرعها الواقي ومصدر رزق لسكانها بما تجلبه من غنائم، ويقول ابن اللبانة بهذا الصدد من جملة أبيات في مدح مبشر ناصر الدولة:

كـأن عـلاك أفـلاك وفلـك   بـأرزاق الـبريـة جـاريـات
ومهمـا اهتز جيشك نحو جيش   فـأنـت سنـانـه وهو القنـاة[٤]

كما يصف ابن اللبانة عناية مبشر بالأسطول واحتفاله به في يوم المهرجان[٥] قائلاً:

---

(١) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢٠٢.
ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ج٣، ص٣٠٨.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠١ - ١٠٢.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢١٠ - ٢١١.

(٣) العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص١٢٧.

(٤) ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٧٩.

(٥) يوم المهرجان: من الأعياد الشهيرة في جزر البليار وكافة أنحاء بلاد الأندلس وهو اليوم الذي ينتصف فيه العام، وكان يحتفل به في الرابع والعشرين من شهر يونيو من كل عام. وبالرغم من أنه من الأعياد المسيحية، إلا أن الاحتفال به شاع لدى المسلمين، فمن المعروف أن هذا العيد هو عيد القديس يحيى المعمدان «سان خوان»، ولكن الاسم الذي اشتهر به هو «العنصرة». وكان الناس على اختلاف عقائدهم الدينية يحتفلون بهذا العيد في كل بيت في جزر البليار والبر الأندلسي، معدِّين أطعمة خاصة تصحبها طقوس معينة، وكانوا يتناولون بهذه المناسبة من الأطعمة والأشربة ما لم يعتادوا تناوله طيلة العام ويلبسون الملابس =

بشرى بيوم المهرجـان فـإنـه   يوم عليـه من احتفـائـك رونـق
طـارت بنـات المـاء وريشهـا   ريش الغراب وغـير ذلـك شوذق
وعـلى الخليـج كتيبـة جرارة   مثـل الخليـج كـلاهمـا يتـدفـق
وبنو الحروب عـلى الجواريّ الـتي   تجري كمـا تجري الجيـاد السبـق
مـلأ الكمـاة ظهورهـا وبطونهـا   فـأتـت كمـا يـأتي السحـاب المغـدق
عجبـاً لهـا! مـا خلـت قبـل عيـانهـا   أن يحمـل الأسد الضواري زورق[١]!

يتضح من هذه القصيدة مدى عناية مبشر ناصر الدولة بالأسطول واهتمامه بتدريب أفراده، ومدى ما وصلوا إليه من براعة في مناوراتهم البحرية عبر خليج مدينة ميورقة، بالتنسيق مع فرق المقاتلين المحمولة استعداداً للجهاد، فهم حماة البلاد ودرعها في وجه الأساطيل الغازية. كما كان أسطول البليار مصدر رزق للسكان ومورداً لا ينضب معينه لخزينة البلاد، وقد أتاحت الثروات الوافرة التي كانت تجلبها الأساطيل من غزواتها لمبشر ناصر الدولة إمكانيات كبرى للاهتمام بالعمران وتشييد القلاع والحصون وبناء القصور الزاهرة، وقد مدحه ابن اللبانة قائلاً:

وعمّرت بـالإحسان أفـق ميورقـة   وبنيـت فيهـا مـا بنـى الإسكنـدر
فكـأنهـا بغـداد أتـت رشيـدهـا   ووزيرهـا ولـه السلامـة جعفر[٢]

وبقدر ما اهتم مبشر ببناء الأساطيل وتشييد القلاع والحصون، فقد أولى عناية كبرى لقواته البرية وجهّز فرقاً من الفرسان زودها بخيول كان يجلبها من بلاد المغرب والأندلس، وكانت أفضل الهدايا التي يعتز بقبولها الخيول الأصيلة لفرسانه، وقد وصف الشاعر الصقلي عبد الجبار ابن حمديس الذي وفد على بلاط مبشر ناصر الدولة، خيلا أهديت لأمير البليار وصفاً شيّقاً يتضح من فحواه مدى عنايته بفرق فرسانه وإعدادها إعداداً جيداً لمجابهة ما يمكن أن تتعرض له جزر البليار من أخطار[٣]. كما أولى مبشر ناصر الدولة عنايته الفائقة لرباطات المجاهدين في ثغور البليار الساحلية؛ وكان يعاقب من تسول له نفسه الإساءة إلى سمعة تلك الرباطات وإشاعة

=الجديدة. وكان الاحتفال بهذا العيد فرصة للطبقات الفقيرة للشعور بالبهجة لما كان يصحبه من احتفالات صاخبة وعروض خاصة وعامة في شتى مجالات الحياة مما حمل الفقهاء على شن حملة على هذه التقاليد.
(ليفي بروفنسال: تاريخ أسبانيا الإسلامية، ج٣، ص٣٧ - ٣٨).
ود. محمود على مكي/حواشي المقتبس لابن حيان/القسم الثالث (تحت الطبع).
Fernando de la Granja: Fiestas Charistianas en al-Andalus-Al-Andalus, 1959, p 1-53.

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢١٥ - ٢١٦.
(٢) ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٧٩.
(٣) ديوان ابن حمديس الصقلي: تصحيح وتقديم د. إحسان عباس، ص٣٣٠ والتمهيد، ص١٢.

الفوضى في الثغور، لحرصه الشديد على توفير الأمن والاستقرار في ثغور البليار، حتى تقوم حشود المرابطة والمتطوعة في رباطات الثغور الساحلية بواجبها خير قيام، في التصدي لأي غزو محتمل، فبالرغم من تقديره للعلماء والأدباء، فقد قام بنفي الشاعر أحمد بن محمد بن البنّي من إحدى رباطات الساحل بجزيرة ميورقة لتطرفه في هجائه وعدم تحفظه في سلوكه، لحرص أمير البليار الشديد على أمن البلاد وسلامتها وتلاحم قواها[1]. خاصة بعد أن أعلن البابا أوربان الثاني الحرب الصليبية على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في مجمع كليرمون ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م[2].

دور البليار في كبح جماح الزحف الصليبي

بينما كانت جزر البليار تنعم بالاستقرار والازدهار والقوة والمنعة تحت حكم أميرها مبشر ابن سليمان ناصر الدولة[3]، وقعت في بلاد المشرق الإسلامي أحداث خطيرة قدّر لها أن تكون المفجّر للحروب الصليبية التي عمّت بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين. فقد استغلّ البابا أوربان الثاني Urban II استغاثة الامبراطور البيزنطي اليكسوس كومنين بالبابوية، لمساندته في وقف اجتياح سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى للأقاليم الشرقية للامبراطورية البيزنطية، وقام بدعوة ممثلين عن كافة القوى المسيحية في أوروبا بمساعدة الحركات الدينية وعلى رأسها الحركة الكلونية إلى مجمع ديني عقد في كليرمون في بلاد الفرنجة، أعلن فيه الحرب الصليبية على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م[4]. وانطلقت الجحافل البربرية المضلّلة المعبأة بالحقد، في حملات برية وبحرية متتابعة على بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين تلبية لنداء

---

(١) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص٦٧، و ص٣٤٤ - ٣٤٥.
وعبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٣٥ - ٢٣٦.
والعماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص٣٦٦ - ٣٦٧ وج٣، ص٥٣٦. وابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٢٤.
والسمعاني: الأنساب: ج١، ص٨٨ وحاشية رقم «١».
وأخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي، ص٨٧.
والمقري: نفح الطيب، ج٣، ص٤٨٧، وج٤، ص٢٣٠ وحاشية «١» ص٢٢٨.

(٢) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس/ترجمة وتقديم د. حسن حبشي: المقدمة، ص١ وما بعدها، و ص١٧.

(٣) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان. ص٧٦.
وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٧٦.
والمقري: نفح الطيب، ج١، ص٦٥٩.

(٤) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتقديم د. حسن حبشي ص١٧ وحاشية «٤». ود. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٤٣٨.

البابوية[1]. واصطلت جزر البليار بنار هذه الهجمة الشرسة وجابهتها ببطولة خارقة وطاردت أساطيلها المدربة، الغزاة إلى عقر دارهم في غارات متلاحقة على ثغور بيزة وجنوة في إقليم ليجوريا بساحل إيطاليا الغربي، وعلى ثغور جنوب بلاد الفرنجة، وعلى جزيرة سردانية التابعة لبيزة، وعلى جزيرة صقلية النورمندية، ووصلت في غاراتها ومطاردتها للأساطيل الصليبية المتجهة إلى المشرق وقطع الطريق عليها حتى بلاد اليونان[2]. وكان يساند أساطيل البليار في التصدي للأساطيل الصليبية، البحرية الزيرية في ثغر المهدية في إفريقية، التي نشطت فيها حركة الجهاد البحري في عهد يحيى بن تميم ٥٠١ - ٥٠٩ هـ = ١١٠٧ - ١١١٦ م[3]. بفضل الأعداد الكبيرة من مسلمي صقلية الذين لجأوا إلى إفريقية بعد اجتياح النورمان لصقلية الإسلامية واستيلائهم عليها[4]. وكان لهذا التعاون الوثيق بين البحريتين الإسلاميتين بمساندة المرابطين، أكبر الأثر على دعم كل منهما للأخرى في مواجهة الأساطيل الصليبية ودحرها وإشغالها في الجبهة الغربية[5]، والحيلولة دون تقديم هذه الأساطيل لأي عون بحري فعّال للقوات الصليبية المتجهة إلى بلاد الشام[6]. مما اضطر هذه القوات إلى تجنب المسالك البحرية في حملتها الأولى على بلاد المشرق، والزحف على الطريق البري الطويل من بلاد الفرنجة وإيطاليا عبر البلقان إلى القسطنطينية ومنها إلى بلاد الشام عبر آسيا الصغرى، مما كان يعرّض هذه القوات إلى خسائر كبيرة واشتباكات عديدة مع مختلف الشعوب على طول الطريق قبل أن تصل منهكة إلى ساحل الشام، ودون أي سند بحري فعال[7]، مما حدّ من قدراتها وضيّق من نطاق عملياتها ومكّن معظم ثغور الشام الساحلية من الصمود فترة طويلة واستنزاف القوات المغيرة[8] في وقت كانت فيه الجبهة المشرقية أحوج ما تكون فيه إلى التماسك والصمود[9].

---

(١) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، المقدمة، ص٥. وأوروبا العصور الوسطى ج١، ص٤٣٨ - ٤٣٩.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٢ - ١٠٣.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢١٠ - ٢١١.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٣٠٢ - ٣٠٥.
وابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٢٧ - ٣٢٩.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص٨٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٥٣٠، ٦١١. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩٧ - ١١١ والملحق «٥»، ص٢٨٥.
ود. محمود علي مكي: وثائق جديدة عن عصر المرابطين، ص١٢٧ - ١٢٩، ١٥٨.

(٦) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص٧٩ - ٨٠، ١١٥.

(٧) المصدر السابق: ص١٨، ٧٩ - ٨٠، ١١٥.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٠٠، ٣٢٤، ٣٤٣، ٣٧٢، ٤١١.

(٩) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص٦٣ وحاشية «٤».
وابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٢٧٢ - ٢٧٣.

=

لقد كان للجهاد البطولي لأساطيل البليار ضد الأساطيل الصليبية ومطاردتها وقطع الطريق عليها والإغارة على ثغورها[1] بمساندة أساطيل بني زيري في إفريقية[2] وبدعم من المرابطين في ثغور شرق الأندلس وشمال بلاد المغرب الأقصى[3]، أثر كبير على كبح جماح الزحف الصليبي، وإشغال معظم الأساطيل الإيطالية والفرنجية في الجبهة الغربية، لهذا لم تتمكن من الوصول إلى ثغور الشام المحاصرة، لمساندة القوات البرية الصليبية في اجتياحها، سوى أعداد قليلة من السفن الصليبية، وكانت تولي الأدبار عند تعرضها لأي خطر، وسرعان ما تنهار لدى مجابهتها لأي اشتباك[4]. وكانت من القلة وضعف الإمكانيات إلى حد كانت فيه بحاجة دائمة إلى قوات برية لحمايتها في مراسي الشام[5]، مما ساعد على صمود معظم ثغور الشام الساحلية واستنزاف القوات الصليبية التي ظلت حبيسة في الشريط الساحلي الضيق فترة من الزمن[6] تماسكت فيها الجبهة الإسلامية في بلاد المشرق قبل أن تتسلل القوات الصليبية إلى داخل بلاد الشام وترسّخ أقدامهم فيها، لهذا ما إن عمّت الصحوة الإسلامية أرجاء المشرق حتى كان من السهل التصدّي للغزاة[7] والقضاء على الإمارة الصليبية في الرها[8] وثغر عسقلان ما زال صامداً[9].

ونظراً لما أسهمت فيه أساطيل البليار وبني زيري في إفريقية بمساندة المرابطين من دور كبير في كبح جماح الغزو الصليبي على بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين، لتحكم هذه الأساطيل بالمسالك البحرية عبر البحر المتوسط، فقد أصبحت الهدف الرئيسي للحملات الصليبية تحت علم

= وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص١٤١ - ١٤٢.
وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص٣٦١ - ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٨١.

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٢ - ١٠٣.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢١٠ - ٢١١.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص٣٠٢ - ٣٠٥.
وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص٣٢٧ - ٣٢٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص٥٣٠، ٦١١. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩٧ - ١١١ وملحق «٥»، ص٢٨٥. ود. محمود علي مكي: وثائق جديدة عن عصر المرابطين، ص١٢٧ - ١٢٩، ١٥٨.

(٤) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص٧٩ - ٨٠.

(٥) المصدر السابق: ص١١٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٠٠، ٣٢٤، ٣٤٣، ٣٧٢، ٤١١.

(٧) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص١٢٠ - ١٢٥.
وابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص٢٨٦، ٣٠٠، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٩٤، ٤٨٥، ٤٩٢، ٥٠١، ٥٠٩، ٥١٢ والكامل ج١١، ص٤٠، ٩٨.
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص١٤٣ - ١٤٦.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٩٨.

(٩) المصدر السابق، ص١٨٨.

البابوية، وأصاب القراصنة الطليان والفرنجة والقطلان والنورمان غضب وحشي من إغارة أساطيل البليار والمهدية على ثغورهم والتعرض لأساطيلهم وشل عمليات إسنادهم للقوات الصليبية بساحل الشام[1] التي كانوا يحصلون مقابلها على ثلث الغنائم بالإضافة إلى امتيازات تجارية كبيرة من أي ثغر يتم الاستيلاء عليه بمساندتهم البحرية[2]. وقاموا بالإغارة على المهدية في إفريقية وفشلوا في الاستيلاء عليها[3]. وظلت المهدية صامدة في وجه الغزاة حتى نهاية عهد المرابطين، الذين ظلوا يقدمون الدعم والإسناد لبني زيري حتى انهاروا، وانهارت معهم المهدية[4]، ووجه الصليبيون الحملة تلو الحملة على جزر البليار إلى أن سقطت في أيديهم بعد دفاع بطولي مجيد وملحمة أسطورية من أروع ملاحم التاريخ الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط[5].

الحملات الصليبية على البليار

تعرّضت جزر البليار طيلة عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة لعدة حملات صليبية تمكن أهلها البواسل من التصدي لها ودحرها ومطاردة الغزاة إلى عقر دارهم، مما أثار نقمة البابوية على هذه الجزر الإسلامية التي كانت تقف كالطور الشامخ في وجه أساطيل أوروبا المسيحية مجتمعة وتطارد الأساطيل الصليبية عبر البحر المتوسط وتقطع عليها الطريق وتدمرها، وتغير على الثغور والجزر المسيحية في غرب البحر المتوسط ووسطه بجرأة منقطعة النظير، مما أعاق المد الصليبي في بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين[6]، بعد إعلان البابا أوربان الثاني الحرب

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص٣٠٢ - ٣٠٥.
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص٣٥٥ والعبر ج٦، ص٣٢٧ - ٣٢٩.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٢ - ١٠٣.
ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢١٠ - ٢١١.
ود. أحمد مختار العبادي ود. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٢١٠ و٢٤٢ - ٢٤٥.

(٢) ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص٣٨٢.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٣٠٢ - ٣٠٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٥٣٠، ٦١١ والكامل ج١١، ص١٢٥.

(٥) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١٢٢ - ١٢٤.
ابن القطان: جزء من نظم الجمان، ص٢٠.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٣٠٥.
والحميري: الروض المعطار، ص٥٦٧.
وابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٥ وج٦، ص٣٨٧، ٥٠٥.

(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩٣ - ٩٥.
وأرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص٣٧٢ - ٣٧٣.

=

الصليبية على المسلمين في شرق العالم الإسلامي ومغربه[1]. وعندما أخفقت الحملات الصليبية الأولى على جزر البليار، قام البابا باسكال الثاني[2] بإصدار نداء إلى القوى البحرية المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط بالتجمع تحت راية البابوية لحرب المسلمين في جزر البليار والاستيلاء على هذه الجزر العاصية ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م[3]. ومما يدعو للدهشة عدم وجود أي ذكر للحملات الصليبية الأولى على البليار التي ردت عنها مدحورة حتى عام ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م[4] في المصادر الإسلامية التي بين أيدينا مما يلجئنا إلى سد هذه الفجوة من المصادر اللاتينية والفرنجية والقطلانية والأسبانية التي لم تذكر عن هذه الحملات الفاشلة سوى النصوص المقتضبة التالية:

أ - حملة الكونت أرمنجول Aremengol

أشارت المصادر القطلانية إلى حملة صليبية غامضة قام بها أرمنجول كونت أورجل «ورجله» Urgel من إمارة قطلونية على جزر البليار، وكانت حملة فاشلة كما يتضح من النص التالي للمؤرخ الميورقي الباروكمبانير الذي يقول فيه: «بأن أحداثاً غامضة وخطيرة وقعت في جزر البليار أثناء حكم مبشر بن سليمان ناصر الدولة، ومن بين هذه الأحداث، حملة بحرية قام بها الكونت أرمنجول الذي يطلق عليه بعض المؤرخين اسم الميورقي Elde Mellorca؛ وقد توفي هذا الكونت أثناء قيامه بهذه الحملة». ولم يوضح كمبانير تاريخ هذه الحملة والظروف التي أحاطت بها ومصيرها. وأرجح بأن مسلمي البليار قضوا عليها قضاء مبرماً، لهذا صمتت المصادر المسيحية عن ذكر أي تفاصيل عنها[5].

ب - حملة الكونت رامون برنجار الثالث

على البليار بالتحالف مع البيزيين

تدّعي بعض المصادر الاسبانية اعتماداً على نصوص لاتينية بأن البيزيين استطاعوا بالتعاون مع قوات قطلونية بقيادة أمير قطلونية الكونت رامون برنجار الثالث Ramon Berenguer III الاستيلاء على جزيرة ميورقة ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م، وأن أمير قطلونية هو الذي تولّى قيادة هذه

= ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف، ص٢١٠ - ٢١١.

(١) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص١٧ وحاشية «٤».
ود. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٤٣١ - ٤٣٩.

(٢) البابا باسكال الثاني: تولى السدة البابوية ١٠٩٩ - ١١٢٨ م (د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٦٦١).

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٢ - ١٠٣.

(٤) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص٣٧٢ - ٣٧٣.

(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩٣ - ٩٤.

القوات التي كانت تتألف في معظمها من البيزيين، وتزعم بأن هذه الحملة أسفرت عن قتل أمير جزر البليار وأسر عائلته. ومما لا شك فيه هو أن الرواية الآنفة الذكر ملفقة، وقد فنّدها المؤرخ الميورقي الباروكمبانير وأثبت بطلانها[1]. وأرجح بأنها لم تكن أكثر من غزوة بحرية فاشلة قام بها البيزيون بالتعاون مع القطلان، وبعد نجاحهم في الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى على البليار ٥٠٨ هـ = ١١١٥ - ١١١٦ م خلطوا بين أحداث الحملتين بشكل سافر لا يخفى على الباحث المدقق، نظراً للتقارب الزمني بين الحملتين، وسيتضح من سرد أحداث الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى اللاحق بطلان ما تدعيه المصادر الاسبانية عن هذه الحملة من انتصارات وهمية[2].

كما تؤكد مصادرنا الإسلامية التي أشارت إلى هذه الفترة بطلان هذه الادعاءات، ونجد في قلائد العقيان وصفاً لمعالم جزيرة ميورقة والأمن والسلام المخيم على ربوعها تحت حكم أميرها الشهم الشجاع مبشر ناصر الدولة في سنة ٥٠٣ هـ = ١٠٠٩ م وهي السنة التي زار فيها الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان جزيرة ميورقة ومدح أميرها مبشر ناصر الدولة الذي أحسن لقياه وأكرمه وآواه وعاش في رحابه وتحت كنفه في قصر الناصرية في سعادة غامرة. بعد هذه الحملة الفاشلة بعام واحد[3].

وتجمع جميع المصادر التي تمكنا من الاطلاع عليها بأن جميع الحملات الصليبية على جزيرة ميورقة ردت عنها مدحورة حتى عام ٥٠٨ هـ = ١١١٥ - ١١١٦ م، الذي تمكنت فيه الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى من اجتياح ميورقة والاستيلاء على عاصمتها، وأن مبشر ناصر الدولة توفي أثناء فترة الحصار الذي فرضه الغزاة على «مدينة ميورقة» العاصمة قبل اجتياحها بحوالي أربعة شهور[4].

(١) المصدر السابق: ص ٩٩.

(٢) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣ - ١٢٤.
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٩، والملحق «٤»، ص ٢٧٢.

(٣) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص ٧٦.
والمقري: نفح الطيب، ج ١، ص ٦٥٩ - ٦٦١.

(٤) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣ - ١٢٤.
وابن القطان: جزء من نظم الجمان، تحقيق د. محمود علي مكي، ص ٢٠.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠٥.
والحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧.
وابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٧٩، وص ٨٧ طبعة الفلالي.
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥، وج ٦، ص ٣٨٧.
والقلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٥٦.
=

جـ - الحملة الصليبية النورمندية على البليار
بقيادة سيجارد الأول ملك النرويج

بينما كانت بلاد الشام تتعرض لعدوان الحملة الصليبية الأولى، التي أخفقت حتى عام ٥٠٢ هـ = ١١٠٥ م في اجتياح معظم الثغور الساحلية الحصينة[١]، أبحر في نفس العام من سواحل النرويج على رأس أسطول بحري كبير الملك سيجارد الأول Siguard I ابن ماجنوس الثالث Magnus III في طريقه إلى ساحل الشام لمساندة القوات الصليبية[٢]، تلبية لنداء البابا أوربان الثاني Urban II في محاربة المسلمين في مغرب العالم الإسلامي ومشرقه[٣].

وبعد أن قضى الملك النورمندي فصل الشتاء في انجلترا، توجه على رأس أسطوله جنوباً نحو ساحل جليقية Galicia في شمال غرب شبه جزيرة ايبرية، وبالرغم من تظاهره بمظهر الفارس الصليبي الذي نذر نفسه لمحاربة المسلمين، إلا أنه كشف عن خبيئة نفسه، واتخاذه المظهر الديني الكاذب ستاراً للنهب والسلب، فقد اختلق ذريعة لتبرير مهاجمته لقصر حاكم مقاطعة جليقية المسيحية التابعة لمملكة ليون وقشتالة الاسبانية، ونهب القصر والمنطقة المحيطة به، على رأس قوة بحرية محمولة في ستين سفينة، وبعد أن جمع ما أمكنه من الغنائم توجه نحو ساحل الأندلس الغربي المطل على المحيط الأطلسي، وهاجم مدن شنترة Cintra ولشبونة «أشبونة» Lisbon وقصر أبي دانس Alcacer dosal[٤].

ولم تكن هذه القواعد قد خضعت بعد للحكم المرابطي، فبالرغم من قضاء المرابطين على بني الأفطس حكام غرب الأندلس في عصر ملوك الطوائف[٥] واستيلائهم على بطليوس عاصمة مملكتهم منذ عام ٤٨٨ هـ = ١٠٩٤ م، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على شنترة وأشبونة وقصر أبي دانس وبقية القواعد الإسلامية في غرب الأندلس حتى عام ٥٠٤ هـ = ١١١١ م، على يد القائد سير بن أبي بكر اللمتوني[٦].

وكان لعزلة قواعد غرب الأندلس قبل الفتح المرابطي أكبر الأثر على إقدام سيجارد الأول

= والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٩. والملحق «٤» ص ٢٧٢ - ٢٧٣، والملحق «٥»، ص ٢٨٩.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٦٠ وما بعدها.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩٤.
(٣) مجهول المؤلف: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١٧ وحاشية «٤» ود. سعيد عاشور: اوروبا العصور الوسطى، ج ١، ص ٤٣٨ - ٤٣٩.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩٤ - ٩٥.
(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٢٨.
(٦) محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الأول، ص ٧٠.

على مهاجمتها ونهبها، وبعد أن عاث على رأس أسطوله في ساحل الأندلس الغربي عبر مضيق جبل طارق في طريقه إلى البحر المتوسط، وأثناء عبوره المضيق اشتبك في معركة بحرية مع أسطول إسلامي اضطر على أثرها إلى الابتعاد عن سواحل الأندلس[١].

وما إن ابتعد الأسطول الورمندي عن سواحل الأندلس حتى تراءت له جزيرة فرمنتيرة Formentera إحدى جزر البليار الصغيرة، وبالرغم من أن مساحة هذه الجزيرة «٣٧» ميلاً مربعاً[٢]، إلا أنها كانت فائقة الحصانة محاطة بسور منيع، وقد أعاقت تضاريسها الوعرة القوات البحرية النورمندية عن الرسو على شواطئها، بالإضافة إلى أن حامية الجزيرة المتحصنة في مرتفعات مولا الصخرية كانت تمطر سفن النورمان المغيرة بوابل من السهام والنبال والحجارة، وعندما يئس الملك سيجار الأول من اقتحام أسوار فرمنتيرة المنيعة بالقوة عمد إلى الحيلة وأمر مجموعات من جنوده بالصعود إلى الصخور المطلة على أسوار الجزيرة وإطلاق الأسهم النارية وكتل الصخور على الحامية الإسلامية المدافعة عن السور الأول.

وبعد جهود مضنية تمكن الرماة من فتح ثغرة في الأسوار الخارجية، عبرت منها القوات النورمندية بقيادة الملك سيجارد الأول إلى داخل الجزيرة، والتجأت حامية السور الأول بعد قتال عنيف إلى أحد الكهوف، وقام البرابرة النورمان بوضع أكداس من الحطب على باب ذلك الكهف وأشعلوا فيها النار وقضوا على من فيه، وتقدمت القوات النورمندية نحو السور الثاني للجزيرة، وبعد هجمات متلاحقة وخسائر فادحة في الجانبين تمكنت من اقتحامه، وانطلق الغزاة كالوحوش الضارية يقتلون وينهبون ويحرقون، وتمكن الملك سيجارد الأول من الحصول على غنائم وافرة من جزيرة فرمنتيرة لم يتمكن خلال حياته الطويلة من الحصول على ما يماثلها في كميتها وقيمتها. وبعد أن استصفى هذا القائد البربري أموال جزيرة فرمنتيرة وأوقع بسكانها مجزرة وحشية، أغار على أطراف جزيرة يابسة المجاورة وغادرها مسرعاً إلى جزيرة منورقة. وما إن جوبه بمقاومة ضارية حتى ابتعد عنها واتجه إلى جزيرة صقلية[٣] التي كانت تخضع للحكم النورمندي منذ أن استولى عليها المرتزقة النورمان في جنوب ايطاليا في عام ٤٨٤ هـ = ١٠٩٠ م، بعد قتال دام حوالي ثلاثين سنة[٤]. وكان يحكمها آنذاك روجر الثاني من أسرة هوتفيل النورمندية[٥]، التي أسهمت بدور كبير في الحملة صليبية الأولى، مما مكن

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩٦.
(٢) دائرة المعارف الامريكية: ج ١١ لعام ١٩٦٣، ص ٤٨٨.
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩٦.
(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ١٩٣ وما بعدها.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠٧.
والوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج ٢، ص ٤٦٩.

بوهمند أحد أمراء هذه الأسرة من تأسيس أول إمارة صليبية بساحل الشام، له ولأعقابه في انطاكية ٤٩٢ هـ = ١٠٩٨ م[١]. وفي جزيرة صقلية اصطنع الملك سيجارد ملك النرويج، لقب المحارب الصليبي نفاقاً وتمويها، وبعد أن استراحت قواته في هذه الجزيرة توجه على رأس أسطوله إلى ساحل الشام ليشترك في الجزرة الدامية مع قوات الحملة الصليبية الأولى ٥٠٣ هـ = ١١٠٩م. وكان لوصول هذه القوات البحرية النورمندية[٢]، بالإضافة إلى أسطول كبير من بلاد الفرنجة بقيادة « برتراند بن ريموند الصنجيلي » أكبر الأثر على سقوط ثغور طرابلس وبيروت وجبيل وبانياس بساحل الشام في يد القوات الصليبية ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م، وسقوط ثغر صيدا ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م[٣].

د- الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى على البليار

أخفقت جميع الأساطيل المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط في تحقيق أي نصر حاسم على أساطيل جزر البليار طيلة عهد مبشر ناصر الدولة وحتى عام ٥٠٧ هـ = ١١١٤ م. وبالرغم من الغارات المتواصلة التي قامت بها الأساطيل الايطالية والفرنجية والقطلانية والنورمندية على ثغور جزر البليار وما أحدثته فيها من نهب وقتل وأسر ودمار، فقد ظلت هذه الجزر صامدة في وجه الغزاة ولم تتوقف أساطيلها عن الإغارة على ثغور ايطاليا الغربية وجزيرة صقلية النورمندية وجنوب بلاد الفرنجة وجزيرة سردانية وإمارة قطلونية، مما أعاق حركة المد الصليبي في بلاد شرق العالم الإسلامي ومغربه[٤]. ولهذا قام البابا باسكال الثاني ١٠٩٩ - ١١٢٨ م[٥] بإصدار نداء إلى جمهورية بيزة كبرى جمهوريات ايطاليا البحرية في عام ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م، بقيادة حملة بحرية كبرى للاستيلاء على جزر البليار تحت إشراف رئيس أساقفة بيزة بيترومورسيني Pedro de Pisa « للقضاء على مسلمي البليار وتطهير البحر المتوسط منهم، لما كانوا يقومون به من أعمال نهب وتخريب على سواحل ايطاليا وبلاد الفرنجة وسردانية وصقلية واليونان »[٦].

---

(١) د. سعيد عاشور: اوروبا العصور الوسطى، ج ١، ص ٤٤٦.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٩٦.
(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٧٥ - ٤٧٦. د. عاشور: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٠٢ - ١٠٣. وارشيبالدلويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٧٢ - ٣٧٣. ومحمد عبدالله عنان: دول الطوائف، ص ٢١٠ - ٢١١.
(٥) د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج ١، ص ٦٦١.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٠٢ - ١٠٣. ودائرة المعارف البريطانية، ج ٧، ص ٩٥٥ لعام ١٩٦٢.

ولم تكن جمهورية بيزة بحاجة إلى مثل هذا النداء حتى تقوم أساطيلها بالإغارة على جزر البليار، فقد كانت مصالحها التجارية والأمنية تحتم عليها القضاء نهائياً على هذا المعقل الإسلامي الخطير في غرب البحر المتوسط، الذي كان يحول دون إلقاء ثقلها في الحرب الصليبية في بلاد المشرق، التي كانت تجني من الإسهام فيها مغانم وفيرة نظراً لحاجة القوات البرية الصليبية في جبهة المشرق إلى الاسناد البحري. وقد أصاب حكام هذه الجمهورية الإيطالية من الارستقراطيين والتجار والكهنة نهم جنوني وجشع رهيب للاستحواذ على ثروات بلاد المشرق الإسلامي[١]، بعد أن وصلتهم الأنباء من جبهة المشرق، بأن الجمهوريات الإيطالية التي تمكنت من الإسهام في الإستيلاء على بعض ثغور الشام، حصلت مقابل ذلك على ثلث الغنائم، بالإضافة إلى امتيازات تجارية عديدة[٢].

الاستعدادات الأولى

للحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى على البليار

بعد أن أصدر باسكال الثاني نداءه إلى جمهورية بيزة البحرية بإعداد حملة كبرى على جزر البليار ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م دبّ النشاط في دور صناعتها مما مكنها من حشد ثلاثمائة سفينة في ثغورها استعداداً للإغارة على البليار[٣]، وتوالت عليها حشود المقاتلين من شتى أنحاء ايطاليا للإسهام في هذه الحملة المرتقبة تلبية لنداء البابوية، وتتابعت الامدادات من رومه ومن لوكا[٤]، وانهالت التبرعات على جمهورية بيزة، وتعهدت البابوية بتغطية نفقات الحملة، واشترك مندوب من المقر البابوي في إعداد التجهيزات اللازمة يدعى برسون Boson، واستغلت جمهورية بيزة هذه الفرصة لفرض زعامتها على كافة الجمهوريات البحرية الإيطالية، وقامت بتوجيه دعوة إلى أهل جنوة للاشتراك في هذه الحملة، ولكن دعوتهم لم تلق استجابة[٥]، نظراً للمنافسة الحادة والعداء بين الجمهوريتين البحريتين الإيطاليتين[٦]. ويذكر المؤرخ الاسباني خوان داميتو بأن أهل جنوة لم يردوا على هذه الدعوة بغير التمنيات الطيبة، وحرصاً منهم على رضاء البابوية تظاهروا بالرغبة في الاشتراك في هذه الحملة، وطلبوا مهلة سنة كاملة، حتى

---

(١) دائرة المعارف البريطانية: ج ١٧ ص ١١٠٧ لعام ١٩٦٩.
(٢) د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى ج ١، ص ٤٤٩.
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٠٢ - ١٠٣.
(٤) قطعة من القصيدة الملحمية للشاعر لورنثو الفيروني - ملحق « ٥ » من كتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٧٤.
(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ص ١٠٣.
(٦) دائرة المعارف البريطانية، ج ١٠، ص ١١٧ لعام ١٩٦٢.

يتمكنوا من تجهيز قواتهم ، وظلوا يسوفون ولم يشتركوا قط في هذه الحملة[1] ، وبالرغم من ذلك نجد أن بعض المؤرخين الاسبان يطلقون اسم « الجنويين » على الغزاة الايطاليين الذين اشتركوا في هذه الحملة[2] . ومن الطريف أن يقع في نفس الخطأ بعض المؤرخين المسلمين ومن بينهم ابن الكردبوس الذي يذكر في أحد نصوصه ما يلي عام ٥٠٨ هـ = ١١١٤ - ١١١٥ م : « اجتمع أهل بيشة (بيزة Pisa) وجنوة Genoa وعمّروا ثلاثمائة مركب ، وخرجوا إلى جزيرة يابسة من عمل ميورقة[3] . . » . أما ابن خلدون فقد ذكر روايتين أشار في الأولى منهما إلى اشتراك الجنويين في هذه الحملة[4] ، وذكر في الثانية « بأن طاغية برشلونة (رامون برنجار الثالث) هو الذي جمع الجموع ونازل ميورقة »[5] .

بينما يطلق ابن القطان اسم « الروم » على قوات الحملة الصليبية المؤتلفة على جزر البليار[6] ، ويشاركه في هذه التسمية ابن عذاري[7] . وكان الجغرافيون المسلمون المعاصرون يطلقون على ثغور شمال غرب ايطاليا اسم « بلاد الرمانية »[8] . وكانوا يميزون بين أهل جنوة Genoa[9] وأهل « بيجة » بيشة - بيزة » Pisa[10] . وقد أصبح من المؤكد من المصادر الفرنجية

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٣ والملحق (٥) ، ص ٢٧٤ .

(٢) من بين هؤلاء المؤرخين الاسبان خوان داميتو Juan Dameto وديسكلوت Descolt ونياريتي Navarrete ، ويعلل الباروكمبانير ، المؤرخ الميورقي ذلك ، بأن أهل جزر البليار الذين سبقوا عهده ، كانوا يطلقون اسم الجنويين على جميع البحارة الإيطاليين ، دون أن يفرقوا بين أهل جنوة أو بيزة أو البندقية ، كما يطلق المؤرخون الاسبان على جميع المسلمين اسم « موروس : Moros » (تخطيط تاريخي لجزر البليار : حاشية ١٤ ص ١٠٣) .

(٣) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ص ٣٨٧ .

(٥) المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٦) ابن القطّان : جزء من كتاب نظم الجمان / تحقيق د. محمود علي مكي ، ص ٢٠ .

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٨) الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٧٥ وحاشية « ١ » ، وص ١٦٥ .

(٩) يذكر الزهري عن جنوة بأنها « من أعظم مدن الروم والافرنج . . » ثم يصف ملامح أهلها ويذكر انهم « لا يشبهون الروم في خلقتهم » . ومن شدة تماثل ملامحهم مع العرب يزعم بأن أصلهم من العرب المتنصّرة من أحفاد جبلة بن الأيهم الغساني ، ويدعوهم « بقريش الروم » لعراقتهم وبراعتهم في التجارة ، عبر البحر المتوسط بين سواحل الشام والأندلس ، ويصفهم « بالشدة في البحر » .
(الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٧٧ - ٧٨) .

(١٠) يدعو الزهري : بيزة باسم « بيجة » ، ويصف تحصيناتها البحرية الهائلة وحصانة ثغرها ، ويعزو ذلك إلى خوفهم من غارات الأساطيل البحرية الإسلامية ، ويصف براعة أهلها في البحر وصناعة الأسلحة والمعدّات البحرية قائلاً : « وأهلها أشدّ الناس بأساً في الحرب وأكثرهم هندسة وحيلاً ، وهم أقدر الناس على عمل المنجنيقات والأبراج . . . وفي قتال المراكب والرمي بالنفط ، وهم قوم فيهم خيانة وشؤم وحدّة وشدّة =

واللاتينية والقطلانية المعتمدة بأن قوات الحملة الصليبية المؤتلفة كانت تتكون في معظمها من البيزيين ، الذين اشتركوا في هذه الحملة البحرية الكبرى بثلاثمائة سفينة من أحجام مختلفة ، كما أسهمت البروفانس في جنوب بلاد الفرنجة وجزيرة سردانية التابعة لبيزة ، وإمارة قطلونية والثغور والقواعد التابعة لها في انبوريش « امبورياس » ومونبلييه وأربونة « ناربون » ، بقوات برية وبحرية في هذه الحملة ، مما رفع عدد السفن التي اشتركت فيها إلى خمسمائة سفينة[1] .

ولم أعثر على أي نص في مصدر إسلامي يحدد عدد السفن التي اشتركت في الحملة الصليبية الكبرى على البليار ، باستثناء نص ابن الكردبوس الفريد الذي ذكر فيه بأن عدد السفن الإيطالية التي اشتركت في هذه الحملة ، بلغ ثلاثمائة سفينة ، وهو الرقم الذي أكدته المصادر اللاتينية والفرنجية والقطلانية ، ولو أنه قصر هذا العدد من السفن على بيزة وحدها لكانت روايته في غاية الدقّة ، ولكنه نسب هذا العدد من السفن إلى بيزة وجنوة[2] . وبالرغم من عدم اشتراك جنوة في هذه الحملة وما قامت به من جهود لتعويقها وإفساد استعداداتها ، فقد نجح البيزيون في إعداد ثلاثمائة سفينة ، وأصبحت جاهزة للإبحار في مطلع ربيع الأول ٥٠٨ هـ = أوائل شهر أغسطس ١١٢٤ م[3] .

خط سير الحملة من ثغر بيزة
إلى ميناء بلانس في ساحل قطلونية

بعد أن تمّت جميع الاستعدادات اللازمة لإبحار الأسطول البيزي المكوّن من ثلاثمائة سفينة إلى جزر البليار ، منح البابا باسكال الثاني لواء البابوية (لواء روما الكاثوليكية) لقائد الحملة والمشرف على اعدادها بيترو مورسيني « بدرو بيزة » Pedro de Pisa مصرّحاً له باستخدامه ومنح « بركاته الرسولية » لقادة الحملة وجنودها ، وأذن لهم بالإبحار « لمحاربة أبناء هاجر الكفّار القاطنين بجزر البليار »[4] ! وفي مطلع ربيع الأول ٥٠٨ هـ الموافق السادس من شهر أغسطس

= وبأس . . . » . ثم يذكر أنواع الأسلحة التي كانوا يستخدمونها في حروبهم لوفرة الحديد عندهم ، ويمدح سيوفهم بصفة خاصة التي كانت تفوق السيوف الهندية في جودتها ، ويصف فرسانهم المدرعين قائلاً : « وان الفارس منهم يتدرّع هو وحصانه حتى لا يظهر منه شيء » . ثم يذكر مدى براعتهم في التجارة بين بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس ، وما كان لديهم من سفن كبيرة شديدة الحصانة والقوة ، خاصة الشياطي التي فاقت كافة أنواع السفن التي عرفت باسم « الغربان » . (الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٧٨) .

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٣ .

(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ .

(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٣ .

(٤) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، والملحق « ٥ » « قطعة من القصيدة الملحمية للشاعر لورنثو الفيروني » ، ص ٢٧٤ .
ودائرة المعارف البريطانية ، ج ٧ ، ص ٩٥٥ لعام ١٩٦٢ .

١١١٤ م ، أبحر الأسطول البيزي من خليج أرنو ، واتجه غرباً نحو جزيرة سردانية ، وأثناء رسوه في جزيرة سردانية التي كانت تتبع آنذاك لجمهورية بيزة ، انضمت إليه قوات بريّة وبحرية من سردانية ، وبعد أن استراح بحارة الأسطول في هذه الجزيرة ، واصل الأسطول البيزي مسيرته غرباً تجاه جزر البليار ، ويذكر الباروكمبانير « بأن بعض الأحداث التي وقعت أثناء مسيرة الأسطول البيزي عبر البحر المتوسط ، أدّت إلى تعطيل هذه المسيرة والتوقف في الطريق إلى البليار عدة مرّات . . » دون أن يوضّح هذه الأحداث التي يشير إليها ، كما لم يحدد الأماكن التي توقف فيها الأسطول البيزي[1]. ونجد بعض التوضيح للأحداث المشار إليها في إحدى المدونات اللاتينية تحت عنوان « حول غزو البيزيين لجزيرتي ميورقة ويابسة » حيث نجد ما يلي :

« وفي يوم عيد القديس سكستو San Sixto (٦ أغسطس ١١١٤ م) أبحر أسطول بيزة المؤلف من ثلاثمائة قطعة بحرية من خليج أرنو ، بهدف تخليص الأسرى المسيحيين من أيدي الكفار! ولدى وصوله إلى سواحل سردانية ألقى مراسيه في ميناء Capalbi (الرأس الأبيض) ، وهناك دبّت الخلافات بين قادة الحملة وظهر تفرق أهوائهم ، فبذل أهل الخير والصلاح جهودهم من أجل القضاء على الفتنة وتوحيد الصفوف ، واستقر الرأي على أن يعهد بقيادة الحملة إلى بعض القباطنة المهرة ، وأن يتوجهوا فوراً إلى جزيرة ميورقة »[2] .

وفي أواخر ربيع الأول ٥٠٨ هـ = الأول من شهر سبتمبر عام ١١١٤ م رسا الأسطول البيزي على ساحل ظنه القباطنة البيزيون بأنه من سواحل جزيرة ميورقة ، فنزلوا قواتهم وانطلقوا يقتلون ويخربون ، ثم تنبهوا بعد ذلك ما ارتكبوه من خطأ حينما علموا بأنهم كانوا في أرض مسيحية تتبع لإمارة « قومسية » برشلونة ، التي كان يحكمها آنذاك رامون برنجار الثالث ، وبعثوا بسفارة إلى قومس « كونت » برشلونة يعتذرون ويطلبون منه أن يشترك في الحملة الصليبية المؤتلفة ، ويضيف الباروكمبانير إلى ذلك ، النص التالي ، معللاً انضمام الكونت رامون برنجار الثالث للحملة الصليبية المؤتلفة ، الذي يقول فيه ، ولما كان أمير برشلونة هو الضحية الأولى لما كان يقوم به المسلمون البلياريون من غارات وأعمال قرصنية فإنه لم يتردد لحظة في قبول هذه الدعوة وأسرع إلى ميناء سان فيليودي جيشولز San Feliude Guixols ، وهو الميناء الذي كان قد توجه إليه الأسطول البيزي بعد نزوله في بلانس Blanes ، ومعه عدد كبير من الأساقفة ورجال الدين المسيحيين ، والأمراء الإقطاعيين ، وفرسان البلاط[3].

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٣ .

(٢) فرديناند أوجيلي : ايطاليا المقدسة ، المجلد العاشر - طبعة البندقية سنة ١٧٣٢ - الملحق الرابع لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار الذي يحمل عنوان « حكايات حول المآثر الرفيعة التي قام بها أهل بيزة حينما فتحوا مدينة ميورقة والمدن الأخرى المعادية » ، ص ٢٦٤ - ٢٧٣ .

(٣) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

اتفاقية سان فيليو دي جيشولز
وانضمام قوات فرنجية وقطلانية للحملة المؤتلفة

في أوائل ربيع الثاني ٥٠٨ هـ = التاسع من شهر سبتمبر ١١١٤ م ، عقد اجتماع موسّع بين رامون برنجار الثالث كونت برشلونة وكبار رجال دولته مع كبار قادة الحملة البحرية البيزية ، وفيه وصل المجتمعون إلى اتفاق مكتوب يقوم بمقتضاه البيزيون وحلفاؤهم أهل شبه الجزيرة الإيطالية بإسناد الرياسة الشرفية ، وحمل الراية البابوية الكبرى (باللاتينية Vexillifer) إلى قومس برشلونة Conde de Barcelona في كل العمليات العسكرية التي تقوم بها الحملة المؤتلفة ضد المسلمين البلياريين ، ومقابل الشرف الكبير الذي أضفاه البيزيون على الكونت رامون برنجار الثالث ، قام بتقديم وعد لقادة الحملة الصليبية المؤتلفة بأن يضمن لهم الحماية والأمن في جميع الأراضي التابعة لإمارته ، بالنسبة لأنفسهم وأموالهم براً وبحراً ، كما وعد بإعفائهم من أي رسوم أو مكوس ، كما أعفى سفنهم من قانون الغرق ، إذا ما تعرضت لأي عطب في سواحل بلاده[1] . وقد ألهب وصول الأسطول البيزي الحماسة في شتى أرجاء إمارة قطلونية والإمارات الفرنجية ما وراء جبال البرتات ، وانضم إلى هذه الحملة جيوم دي مونبلييه Guillaum de Montpeller واميركو دي نربونة Americo de Narbone والأمير رامون دي باس Ramon de Bas وقومس أنبوريش Conde de Ampurias ورايموندو دي بالتيو Raimundo de Baltio وعدد آخر من أمراء وكبراء بيزييه Beziers ونيم Nimes ومع هؤلاء عدد كبير من فرسانهم وأتباعهم وحشود من المتطوعين من كل أنحاء البروفانس ، وتوجهوا جميعاً إلى ميناء سالو Salou[2] .

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٥ - نشر هذا المستند بيفرير Pifrrer تحت عنوان ذكريات وآثار اسبانيا الجملية - المجلد الخاص بميورقة ، ص ١١٠ رقم (٢) .

(٢) ملحق (٤) لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٦٦ نقلاً عن نص لاتيني من كتاب فرديناندو اوجيلي / ايطاليا المقدسة - المجلد العاشر = البندقية سنة ١٧٢٢ / وعن قطعة من القصيدة الملحمية اللاتينية للشاعر لورينثو الفيروني حول فتح البيزيين لجزيرتي يابسة وميورقة ونص القصيدة في كتاب Al Marafoil المجلد السادس ص ١١٢ ، طبعة ميلانو بين سنتي ١٧٥٣ - ١٧٥١ (في ٢٥ مجلد) ، كما وردت في كتاب ايطاليا المقدسة / ملاحق المجلد العاشر ١٢٧ - ١٧٢) . ويعتبر الشاعر لورنثو الفيروني صاحب القصيدة الملحمية حول فتح البيزيين لجزيرتي يابسة وميورقة من شعراء ومؤرخي بيزة المشهورين وقد أتم الكتاب اللاتيني الشهير الذي يعرف باسم ميوليشنيوس Libr Mailichinus ، ولهذا الكتاب بالإضافة إلى شهرته الأدبية قيمة تاريخية كبيرة لأنه من المصادر النادرة عن الحروب بين قوات قطلونية وبيزة وملوك وأمراء جزر البليار منذ عهد مجاهد العامري حتى بداية الفتح المرابطي لهذه الجزر ، ويعتقد بأن مؤلف هذا الكتاب اللاتيني المشهور شخص يدعى « انريكو Enrico » اشترك في الحملة الصليبية الكبرى على جزر البليار وكتب الروايات الأولى عنها ، وتابع كتابتها من بعده لورنثو الفيروني (مجاهد العامري حاشية « ٤ » ص ١٩١) .

سفارة مبشر بن سليمان ناصر الدولة
إلى قادة الحملة الصليبية المؤتلفة في ميناء سالو

لم يكن ناصر الدولة « السامي الهمم الحميد الشيم الكثير الفضائل والكرم » الذي اشتهر بيقظته وحذره[1] ، بغافل عن الأخطار الداهمة المحدقة بجزر البليار ، فقد كانت سفن الاستطلاع في أسطوله البحري توافيه بأخبار تحرك الأسطول البيزي ، كما أن عيونه وأرصاده في إمارة قطلونية كانت تبلغه بمعلومات وافية عن الحشود الصليبية الضخمة التي كانت تتجمع في ميناء سالو Salou لمهاجمة جزر البليار . ويذكر المؤرخ البيزي ترونشي Tronci بهذا الصدد ما يلي : « ولما سمع الملك ناثاراي دي يولو Nazara deolo (وهو تحريف لاسم ناصر الدولة مبشر بن سليمان أمير جزر البليار) باقتراب الأسطول البيزي عقد اجتماعاً مع مستشاريه وقواده ، وانتهى المجتمعون في هذا المؤتمر ، إلى التصميم والعزم على قتال المسيحيين بكل ما لديهم من طاقة ، على أن ناصر الدولة أراد أن يصرف نظر قادة الحملة عن مهاجمة بلاده ، باتباع سياسة مهادنة بعض الشيء ، فأرسل إليهم سفراء التقوا بقائد الحملة المؤتلفة ووعدوه بتسليم ما لديهم من أسرى المسيحيين ، وكانوا يتجاوزون في ذلك الوقت ثلاثين ألفاً! كما أنهم عرضوا تعويضاً لقادة الحملة عما تكلفوه من نفقات ، ووعدوا بإمدادهم بالمؤن اللازمة لهم ، حتى يعودوا إلى بلادهم ، وذلك نظير الانصراف عن مواصلة الحملة ، ولكن الزعماء المسيحيين رفضوا هذا العرض . . »[2] .

نلاحظ من النص الآنف الذكر المبالغة الواضحة في عدد الأسرى المسيحيين في جزر البليار ، فلا يعقل إطلاقاً أن يصل عدد الأسرى في جزر محدودة الإمكانيات إلى ثلاثين ألف أسير من سبي الغزوات البحرية ، ومن المؤسف أن مراجع حديثة يفترض فيها تحرّي الحقيقة ، تذكر بأن عدد الأسرى المسيحيين الذين وجدهم البيزيون في مطامير جزيرتي يابسة وميورقة بلغ عشرين ألف أسير[3]! وهو رقم مبالغ فيه جداً اتخذه البيزيون ذريعة لتبرير هجومهم على جزر البليار ، ونجد ذلك واضحاً في إحدى المدونات اللاتينية التي تبرر الحملة البيزية على جزر البليار بما يلي : « في سنة ١١١٤ م فيما كانت بلاد المسيحية تستظل بظل البابا الأكبر باسكال الثاني Pascual II ، اشتعلت الحماسة المقدسة في نفوس أهل بيزا وغيرها من مدن توسكانا Toscana للقيام بعمل رادع ضد الخصي المدعو Nazaradeolo ناثاراي دي يولو (ناصر الدولة) ملك ميورقة ، وكان طاغية ، خبيثاً قاسي القلب ، يعامل الأسرى المسيحيين بقسوة بالغة ، حتى أن عدداً كبيراً منهم كانوا مودعين في مطامير سجونه يرسفون في الأغلال ويتعرضون لأشد ضروب التعذيب »[4] .

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء / تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٣ .
(٢) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
(٣) دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٧ ، ص ٩٥٥ لسنة ١٩٦٢ .
(٤) ملحق « ٤ » من كتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٦٤ .

كما نجد نفس الذرائع والحجج الواهية التي اتخذها البيزيون ستاراً لتبرير عدوانهم على جزر البليار في القصيدة الملحمية للشاعر لورنثو الفيروني التي يقول في مطلعها ما يلي : « كان المسلمون الميورقيون قد كرروا غاراتهم من قواعدهم البحرية في جزر البليار ، ضد سواحل ايطاليا وصقلية واليونان ، محرقين في تلك الغارات ما يصلون إليه من مدن وقرى وحصون ومعابد ، وكانوا يحملون معهم إلى بلادهم بعد كل غارة ، أعداداً كبيرة من الأسرى المسيحيين ، ويسيئون معاملتهم إلى أبعد حد وبقسوة هائلة ، وإزاء ذلك قام رئيس أساقفة بيزة بمناشدة البابا بأن يهبّ لحماية هؤلاء المسيحيين ، وأن يسمح بتنظيم حملة صليبية ضد أولئك الكفّار! وأصغى البابا المقدّس لهذا النداء واستجاب له ، ومنح لواءه الخاص ، لواء رومة الكاثوليكية ، لمنظمي الحملة مصرحاً لهم باستخدامه ، وشرع البيزيون في الاستعداد للحملة الكبيرة ، ووصلت إليهم امدادات من شتّى أنحاء ايطاليا ، باستثناء جنوة التي وعدت بالإسهام في الحملة ، ولكنها طلبت تأجيلها سنة ، إلا أن أهل جنوة أصبحوا بعد ذلك من أكبر عناصر تعويق الحملة وإفساد استعداداتها »[1] .

والواقع أن الدوافع الرئيسية لحملة بيزة البحرية الكبرى على البليار كانت من أجل القضاء على منافس تجاري خطير وعدو رهيب ، طالما أغار على ثغورها ، وتعرّض لأساطيلها ، وأوقع الخسائر الفادحة في صفوفها[2] ، وكانت بيزة تتطلع إلى الهيمنة على البحر المتوسط واحتكاره لنفسها والتحكم في النشاط التجاري ، عبر سواحله من مغربه إلى مشرقه[3] .

ومهما تكن الحجج التي تذرّعت بها جمهورية بيزة للاستيلاء على جزر البليار ، فقد حرّكت أساطيلها لمهاجمة هذه الجزر ، ولكن خطأ قباطنة الأسطول ، وجهلهم بالطرق البحرية ، جعلهم لا يميزون بين سواحل جزر البليار وساحل إمارة قطلونية المسيحية المجاورة! وهو خطأ لا يشرف المعلومات البحرية والخرائطية للاحيهم ، الذين لم يتنبّهوا إلى أنهم على ساحل إمارة مسيحية ، إلّا بعد أن ارتكبوا أعمال قتل ونهب واسعة النطاق في المنطقة المحيطة بميناء بلانس Blanes القطلاني . ولكن هذا الخطأ الذي نشأ عن جهل قادة الأسطول البيزي بالمسالك البحرية أدّى إلى نتيجة خطيرة! فقد انضمت إلى الأسطول الصليبي مائتا سفينة من إمارة قطلونية ، ومن البروفانس في جنوب بلاد الفرنجة ، بالإضافة إلى عدد كبير من الأمراء الإقطاعيين من القطلان والفرنجة مع فرسانهم واتباعهم ، كما وفّر للصليبيين قواعد إسناد قريبة من ساحل إمارة

(١) قطعة من القصيدة الملحمية للشاعر لورنثو الفيروني - ملحق « ٥ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٧٤ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠١ - ١٠٣ .
ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٠ - ٢١١ .
(٣) مجهول المؤلف : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس / ترجمة وتقديم د . حسن حبشي / المقدمة ، ص ٦ .

قطلونية المجاورة لجزر البليار ، ووقتاً كافياً لإعداد قواتهم وإصلاح سفنهم ، ووضع خطة الهجوم ، واختيار الوقت المناسب لتنفيذها[1].

وتجمعت تلك الحشود التي لم تكن تربطها رابطة سوى التطلع لنهب جزر البليار الإسلامية والاستحواذ على ثرواتها تحت ستار من الادعاءات الكاذبة ، بحجة انقاذ الأسرى النصارى من مطامير سجون جزر البليار ، والدفاع عن الكنيسة وتلبية نداء البابوية ، بمحاربتها أعداءها من المسلمين . وكانت نقطة التجمع كما ذكرنا في ثغر سالو على ساحل قطلونية Salou ، ولم تكن هناك ثمة قيادة حازمة تفرض سلطتها على ذلك اللفيف المتنافر من القوى العسكرية ، وساعد اضطراب البحر وسوء الأحوال الجوية على إعاقة تحرك القوات البحرية ، وشل الأساطيل المتجمعة في ميناء سالو فترة من الزمن[2]. ولعدم توفر التسهيلات الكافية لتلك الحشود الكبيرة في ميناء سالو Salou ، فقد قرر القادة العسكريون مغادرة ذلك الثغر والتوجه إلى برشلونة . وما إن استقر الجو المضطرب بعض الشيء ، بعد وصول القوات المؤتلفة إلى برشلونة ، حتى دبت الحماسة في صفوفها ، مما حفز قادتها على إصدار الأوامر لقباطنة الأساطيل المؤتلفة بالتوجه إلى ثغر سان ماتيو San Mateo في ربيع الثاني ٥٠٨ هـ = ٢٤ سبتمبر ١١١٤ م ، بعد أن قضوا ثلاثة أيام فقط في ثغر برشلونة ، ثم غادرت الأساطيل ثغر سان ماتيو في طريقها إلى جزر البليار ، ولكن ظروف الجو السيئة ردتها من جديد هذه المرة إلى مياه دانية التي كانت تسيطر عليها القوات المرابطية ، مما اضطر قادة الحملة إلى إصدار أوامرهم بالعودة ثانية إلى ثغر سالو Salou ، ونزل الجنود طلباً للمؤن والماء ، وأخيراً قررت قيادة القوات المؤتلفة العودة إلى برشلونة وقضاء فصل الشتاء هناك[3]. وقد أدت هذه التحركات التي سادتها الفوضى وعدم الضبط والربط . . لصعوبة السيطرة على أسطول ضخم مؤلف من عناصر متنافرة ، إلى عودة عدد من سفن البيزيين إلى بيزة ، كما فقدوا على الطريق بين سالو وبرشلونة عدداً كبيراً من السفن والرجال راحوا ضحية اضطراب البحر وعلو الأمواج . وفي برشلونة استقر سائر رجال الحملة ، طيلة فصل الشتاء مشتغلين بإصلاح ما تشعّث من سفنهم . وقد أدى وجود عدد كبير من الجنود والبحارة في ثغر برشلونة إلى حصول مجاعة عمت أرجاء قطلونية ، وقد قدم البيزيون مقادير كبيرة من الزاد والأطعمة من مخزون أسطولهم لأهل المنطقة لتخفيف حدة المجاعة ، بائعين إياها بالثمن أو مقايضة على بعض السلع والمتاجر[4]. وأثناء تجمع حشود القوات المؤتلفة

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .
(٢) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٧ .
(٣) ملحق « ٤ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
(نص لاتيني حول غزو البيزيين لجزيرتي ميورقة ويابسة) - وملحق « ٥ » قطعة من القصيدة الملحمية اللاتينية للشاعر لورنثو الفيروني حول فتح البيزيين لجزيرتي يابسة وميورقة ، ص ٢٦١ .
(٤) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٧ ، وملحق « ٥ » ، ص ٢٦١ .

في ثغر برشلونة لقضاء فصل الشتاء ، كانت هناك عشرون مركباً تقوم بمراقبة مياه جزر البليار ، كما وصلت سفن من مونبلييه Montpeller لتعزيز قوات الحملة . وحاولت جنوة التدخل لإعاقة الحملة البحرية المؤتلفة بالتنسيق مع مبشر بن سليمان ناصر الدولة أمير جزر البليار ، وقامت بارسال البرتو الجنوي كسفير للأمير مبشر بن سليمان ، الذي قام بزيارة لجزيرتي ميورقة ومنورقة بصفته عدواً لأهل بيزة وصديقاً للمسلمين! ولكن هؤلاء ارتابوا فيه على الرغم من تودده إليهم فردوه عنهم بغلظة وجفاء ، وحينئذ انضم إلى الحملة الراسية في مياه قطلونية[1]. وكان موقف القوات المرابطية في ثغور الأندلس الشمالية الشرقية مشرفاً كعادتها دائماً ، فقد بذلت كل الجهود الممكنة وقدّمت أفدح التضحيات لإجهاض الحملة الصليبية في مهدها بساحل قطلونية للحيلولة دون إغارتها على البليار[2].

موقف القوات المرابطية في ثغور الأندلس من الحشود الصليبية

كان المرابطون البواسل ذروة في التضحية والفداء ، ومثلاً أعلى يحتذى في الدفاع عن الإسلام ، فقد بذلوا كل الجهود وقدموا كل التضحيات دفاعاً عن الإسلام والمسلمين في مواجهة الهجمة الصليبية العاتية على غرب العالم الإسلامي ، وكانوا يعتبرون جزر البليار خط الدفاع الأمامي عن شرق الأندلس ، وسدّاً منيعاً في وجه الأساطيل الصليبية ، لهذا لم يتعرضوا لأميرها مبشر بن سليمان ناصر الدولة لبسالته في الدفاع عن عمله ، مما كان يحول دون إقدام جمهوريات ايطاليا البحرية على الاقتراب من ثغور الأندلس الشرقية[3]. ولم يكن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بغافل عن الدور الهام والخطير لجزر البليار ، وما يشكّله سقوطها في أيدي القوات الصليبية من خطر داهم على شرق الأندلس[4]. لهذا ما إن نزلت قوات الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى بساحل إمارة قطلونية في أواخر ربيع الأول ٥٠٨ هـ = سبتمبر ١١١٤ م ، حتى انطلقت الحملات المرابطية من ثغور الأندلس الشرقية ومن الثغر الأعلى الإسلامي لتشتيت هذه

(١) ملحق « ٥ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٦١ .
(٢) ابن الأبار: المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي / ترجمة رقم ٤٠ ، ص ٥٤ .
ومحمد بن محمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة/ السفر الأول/ القسم الأول ، ترجمة رقم ٧٦ ، ص ٧٧ - ٧٨ .
وابن أبي زرع : روض القرطاس ، طبعة الفلالي ، ص ٧٩ - ٨٨ .
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٩٧ - ١١٠ وملحق « ٥ » ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
وأمبروسيو هويثي ميرندة : تاريخ بلنسية الإسلامية ، ص ٣٨ ، ٤٢ - طبعة بلنسية ١٩٧٠ م .
(٣) د . محمود علي مكي : وثائق جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٨ .
(٤) محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس / القسم الأول ، ص ٧٧ .

القوات وتدميرها والحيلولة دون إبحارها إلى جزر البليار[1] ، وكان من أبرز قواد هذه الحملات على إمارة برشلونة القائد المرابطي الباسل محمد بن الحاج الذي ولاّه أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين عاملاً على الثغر الإسلامي ، بعد استيلاء المرابطين عليه في ذي القعدة ٥٠٣ هـ = يونيو ١١١٠ م[2] ، وأصبح منذ ذلك الحين من أعظم المعاقل الإسلامية في بلاد الأندلس في التصدي لإمارة قطلونية ، وما فيها من حشود صليبية . وليس من باب الصدفة أن يستشهد عامل سرقسطة محمد بن الحاج ، أثناء حملة قام بها على إمارة برشلونة في شهر ربيع الأول ٥٠٨ هـ = سبتمبر ١١١٤ م[3] ، وهو نفس الشهر الذي نزلت فيه قوات الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى بساحل إمارة قطلونية[4] . وتؤكد المصادر التي بين أيدينا بأن كبار ولاة الأندلس وقادتها من المرابطين الأشاوس في الثغر الأعلى وقاعدته سرقسطة ، وكافة ثغور شمال شرق الأندلس لم يكونوا غافلين عن تلك الحشود الصليبية التي تجمعت في ساحل قطلونية استعداداً لمهاجمة جزر البليار ، ويقول ابن أبي زرع بهذا الصدد : « وكان محمد بن الحاج من كبار قواد لمتونة ، سار من بلنسية إلى سرقسطة ، ودخلها وأخرج عنها بني هود وملكها ، وكتب بالفتح إلى أمير المسلمين ، ولم يزل بها إلى أن خرج غازياً إلى برشلونة واستشهد ، في سنة ٥٠٨ هـ = ١١١٤ م وتخلّص القائد محمد بن عائشة في نفر بالحيلة .. وولّى أمير المسلمين مكانه أبا بكر بن ابراهيم بن تافلويت »[5] .

ويدعو المؤرخون الاسبان المعركة التي استشهد فيها ابن الحاج عامل سرقسطة مع جماعة من كبار المجاهدين أثناء عودتهم من غارة على برشلونة باسم كونجيست دي مارتوريل Congost de Martorell[6] ، بينما يدعوها المؤرخون المسلمون باسم « وقيعة البورت » (أي الباب) ، ويقول الأوسي المراكشي في ترجمة أحمد بن ثابت بن عبدالله العوفي ما يؤكد ما سبق أن ذكرناه عن اشتباك القوات المرابطية بالقوات القطلانية أثناء احتشاد القوات الصليبية في برشلونة في شهر ربيع الأول ٥٠٨ هـ = سبتمبر ١١١٤ م[7] . حيث يذكر ما يلي : « واستشهد أحمد بن ثابت في

(١) ابن الأبار : المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ، ترجمة رقم (٤٠) ص ٥٤ .
ومحمد بن محمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة / السفر الأول /القسم الأول / ترجمة رقم ٧٦ ، ص ٧٧ – ٧٨ . وابن أبي زرع : روض القرطاس طبعة الفلالي ، ص ٧٩ – ٨٨ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٩٧ – ١١٠ وملحق (٥) ، ص ٢٨٠ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ (قطعة من تاريخ المرابطين) تحقيق د. احسان عباس ، ص ٥٥ .
(٣) محمد بن محمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة / السفر الأول / القسم الأول / ترجمة رقم ٨٦ ، ص ٧٧ – ٧٨ .
(٤) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .
(٥) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، طبعة الفلالي ، ص ٨٣ .
(٦) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٢٩ .
(٧) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

وقيعة البورت ، منصرف العساكر من غزو برشلونة مع أبي عبدالله بن الحاج وابن عائشة وابن تافلويت ، وقتل ابن الحاج منهم ، وذو الوزارتين أبو عبدالله بن الحاج الطرطوشي دليل المسلمين في تلك الغزو .. » ، بالإضافة إلى عدد آخر من القادة والمتطوعة من مسلمي الأندلس والفرسان المرابطين ، وذلك في شهر ربيع الأول ٥٠٨ هـ = سبتمبر ١١١٤ م[1] . ويؤكد هذه الرواية ابن الأبار في ترجمة ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، حيث يقول فيها ما يلي : « ولّي مرسية لأخيه علي ابن يوسف أمير المسلمين ، وكان عليها قبله أبو عبدالله المعروف بابن عائشة ، ولاه أبوهما يوسف ابن تاشفين لأول ما تملكها ، ولم يك في قواده مثله بأساً وشدة في نصرة الدين .. وله على الروم وقائع جمّة إلى أن اعتل بصره في صدوره عن غزوه برشلونة »[2] .

ولم تتوقف الحملات المرابطية بعد وقيعة البورت (كونجيست دي مارتوريل Congost de Martorell في ربيع الأول ٥٠٨ هـ = سبتمبر ١١١٤ م ، فقد واصل أبو بكر ابراهيم بن تافلويت عامل الثغر الأعلى بعد ابن الحاج الحملات العسكرية على برشلونة ، في الوقت الذي كانت فيه الحشود الصليبية تحتشد في ساحل إمارة قطلونية بانتظار حلول فصل الربيع لتحريك أساطيلها نحو جزر البليار للإغارة عليها ، ويقول ابن أبي زرع في هذا الصدد : « بأنه بعد استشهاد محمد بن الحاج عامل الثغر الأعلى في معركة البورت التي سبق ذكرها ، ولّى أمير المسلمين علي بن تاشفين مكانه أبا بكر ابراهيم بن تافلويت . . وكان عاملاً على مرسية ، فأجمع إليه من كان بها من الجند إلى جند سرقسطة ، وسار بها إلى برشلونة ، فنازلها وأقام عليها عشرين يوماً حتى هتكها وقطع ثمارها ، وانجادها وقراها ، فأتاه ابن رزمير (الفونسو المقاتل ملك ارغون) في جيوش كثيرة ، ومن بسيط برشلونة وبلاد أربونة ، فكانت بينهم حروب عظيمة مات بها خلق كثيرة من الروم واُستشهد من المسلمين نحو سبعمائة »[3] .

يتضح من النص الآنف الذكر مدى الجهود التي بذلها أبو بكر ابراهيم بن تافلويت[4] عامل

(١) محمد بن محمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة / السفر الأول / القسم الأول ، ترجمة رقم ٨٦ ، ص ٧٧ – ٧٨ .
(٢) ابن الأبار : المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ، ترجمة رقم ٤٠ ، ص ٥٤ .
(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس= طبعة الفلالي ، ص ٨٤ .
(٤) أبو بكر ابراهيم بن تافلويت « أبو يحيى المسوفي الصحراوي » من كبار أمراء المرابطين وعظماء قادتهم ، تزوج من إحدى أخوات أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين. وكان أبو بكر مثلاً أعلى في الشجاعة والكرم ، وتولّي مناصب رفيعة في عهد المرابطين ، وكان آخرها توليته عاملاً على سرقسطة كبرى قواعد الثغر الأعلى ، وظل يدافع عن الثغور الإسلامية في شمال شرق الأندلس ، يغير حيناً على برشلونة ويتصدى حيناً آخر لمملكة أرغون ، إلى أن توفي ٥١٠ هـ = ١١١٧ م .
(ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦١ – ٦٢ وحاشية « ٢ » ، ص ٦١ .
وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٨٤ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٠٤ – ٤٠٥) .

الثغر الأعلى في الإغارة على إمارة قطلونية لتشتيت الحشود الصليبية التي كانت تتجمّع في ساحلها استعداداً للإغارة على البليار ، ولإشغال أميرها « رامون برنجار الثالث » في الدفاع عن إمارته ، لاجباره عن التخلّي عن الحملة الصليبية الكبرى . كما يتضح من هذا النص أيضاً ، مدى التعاون بين الفرنجة القادمين من أربونة والقطلان وقوات مملكة أرغون تحت قيادة ملكها الفونسو المقاتل في التصدي للمرابطين[١] . وبالرغم من الأخطار المحدقة بالثغر الأعلى الإسلامي وثغور شمال شرق الأندلس من مملكة أرغون التي لم تتوقف عن الإغارة على هذه الثغور الإسلامية[٢] ، فقد ظل المرابطون يواصلون إسنادهم لجزر البليار المهددة بالاجتياح ، ولم يتوقف هذا الإسناد عند حد الإغارة على إمارة قطلونية أثناء احتشاد القوات الصليبية في ساحلها ، ولكنهم ظلوا يغيرون على إمارة قطلونية بعد توجه طلائع الأسطول الصليبي إلى جزيرة يابسة في شوال ٥٠٨ هـ = مارس ١١١٥ م وذلك لإجبار أميرها رامون برنار برنجار الثالث على الانسحاب من المعركة للدفاع عن إمارته ، لتخفيف حدة الهجوم الصليبي على جزر البليار[٣] . ويذكر المؤرخ الإسباني أمبروسيو هويثي ميرندة بأن المرابطين انتهزوا فرصة انشغال القطلان بالاشتراك مع أساطيل بيزة في غزو جزر البليار ، وقاموا بالهجوم على برشلونة بدلاً من أرغون التي كانت أقرب إليهم وأشد خطراً عليهم ، لإجهاض الحملة الصليبية على جزر البليار[٤] .

وقد بذل ابن أبي السداد عامل دانية وقائد أسطولها كل الجهود الممكنة في مطاردة الأساطيل الصليبية ومساندة حامية مدينة ميورقة المحاصرة[٥] . وبالرغم من الجهود الكثيرة والتضحيات الهائلة التي بذلها المرابطون لوقف الاجتياح الصليبي على جزر البليار واجهاض الحملة الصليبية في مهدها ، فقد أبحرت طلائع الأسطول الصليبي من ساحل قطلونية للإغارة على هذه الجزر في شوال ٥٠٨ هـ = مارس ١١١٥ م[٦] ، وارتكب الصليبيون أبشع المجازر قبل وصول الأساطيل المرابطة إليها ، بقيادة ابن تافر طاس الذي أعادها ثانية إلى حظيرة الإسلام[٧] .

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٨٤ ، طبعة الفلالي .
(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٩٧ - ١١٠ . وملحق « ٥ » ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
(٤) امبروسيو هويثي ميرندة : تاريخ بلنسية الإسلامية ، ص ٣٨ - طبعة بلنسية ١٩٧٠ م .
(٥) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٤ .
والملحق « ٥ » ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ملحق « ٥ » ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، (القصيدة الملحمية للشاعر لورنثو الفيروني) .
(٧) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ . وابن القطان : جزء من نظم الجمان / تحقيق د . محمود =

تحرك طلائع الأساطيل الصليبية
المحتشدة في برشلونة إلى جزر البليار

لا يوجد أي ذكر للمعارك البحرية والبرية الأولى التي تصدى فيها أهل جزر البليار ببسالة للغزاة الصليبيين في المصادر الإسلامية التي بين أيدينا ، ولهذا سنعتمد بكل حذر على المصادر اللاتينية ، التي بالرغم من تحاملها وتزييفها للوقائع في أغلب الأحيان ، فقد اعترفت بعنف مقاومة القوات البرية والبحرية الإسلامية في جزر البليار ، مما لم يمكّن القوات الصليبية المؤتلفة من إحراز أي نصر يذكر - إلا بعد مضي حوالي خمسة أشهر من شوال ٥٠٨ هـ = مطلع مارس ١١١٥ م إلى ٣ ربيع الأول ٥٠٩ هـ = ٢٨ يوليو ١١١٥ م ، مما يدل دلالة قاطعة على عنف وضراوة مقاومة مسلمي جزر البليار[١] . ويذكر الشاعر الإيطالي لورنثو الفيروني المناوشات البرية والبحرية الأولى من شوال إلى ذي القعدة ٥٠٨ هـ = مطلع مارس إلى منتصف أبريل ١١١٥ م قائلاً : « .. ولم يكد شهر مارس يقترب حتى خرجت مراكب البيزيين متجهة إلى جزيرة يابسة Ibiza ، ولكن مسلمي الجزيرة هاجموا أول طلائع الجنود البيزيين الذين نزلوا في سواحل جزيرتهم وقتلوهم عن آخرهم ، ويشتبك الفريقان في قتال عنيف . ويهاجم البيزيون جزيرة فرمنتيرة Formentera ويعملون فيها السلب والنهب ، ثم يعودون إلى يابسة ويتجدد القتال ويتمكن الإيطاليون من الاستحواذ على عدد كبير من الأسرى ومن الغنائم .. »[٢] . ثم يذكر نصاً آخر يشير إلى وصول مركبين بيزيين في مهمة غامضة لثغر بورتوبي الصغير ، الذي يقع جنوب غرب مدينة ميورقة الإسلامية عاصمة جزر البليار ، دون أن يوضح دوافع ونتائج هذه المهمة فيقول : « .. وفي منتصف أبريل يصل مركبان بيزيان إلى بورتوبي Portope في ميورقة ولكن خبر إنزال هؤلاء الجنود لا يغيب عن ملك الجزيرة الذي يبثّ سرايا الحراسة على كل سواحل جزيرته ، ويدعو الملك هؤلاء الجنود إلى القدوم لحضرته باسطاً لهم الأمان .. » . وهنا يتجاوز الشاعر الإيطالي حدود المنطق ويقول متبجحاً « .. ولكن القائد البيزي يرفض الدعوة ويبعث إلى الملك مهيباً به أن يقدم للقائه على ظهر مركبه! ويعرض عليه الملك أن يتفاوضا عن طريق رسائل مكتوبة ، ويقبل القائد البيزي هذا العرض .. »! ولم يشر الشاعر الإيطالي إلى نوع المفاوضات التي جرت بين القائد البحري البيزي ، وملك جزر البليار على حد زعمه ،

= علي مكي ، ص ٢٠ . والحميري : الروض المعطار ص ٥٦٧ . وابن أبي زرع : روض القرطاس ، طبعة الفلالي ، ص ٧٩ ، ٨٧ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام / القسم الخاص بالمغرب ، ص ٢٠٥ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ ، وج ٦ ، ص ٣٨٧ .

(١) ملحق « ٥ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار « القصيدة الملحمية للشاعر لورنثو الفيروني » ، ص٢٧٧ - ٢٧٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص٢٧٧ .

ويعود ثانية إلى ذكر حملات القرصنة على أطراف جزر البليار الصغيرة[1].

ويبدأ ذلك بإشارة غامضة إلى تحرك القائد البحري البيزي من بورتوبي Portope لجزيرة ميورقة إلى جزيرة قبريرة Cabrira الصخرية الصغيرة، التي تقع على مقربة من ميورقة كبرى جزر البليار. ثم يذكر توجّه قائد الحملة البحرية البيزية من جزيرة قبريرة إلى ميناء بلانسة Pollensa في شمال جزيرة ميورقة، ويضيف إلى ذلك قائلاً، بأن سكان الساحل الشمالي لجزيرة ميورقة هربوا إلى داخل الجزيرة عند قدوم الأسطول البيزي إلى ثغر بلانسة Pollensa ومعهم قطعان مواشيهم، ويتجنب ذكر المناوشات البرية والبحرية التي دارت في شمال جزيرة ميورقة وأجبرت الأسطول البيزي على التراجع والتوجه إلى جزيرة منورقة حيث أنزل قواته إلى الساحل، ويعترف الشاعر الإيطالي بتراجع القوات البيزية قائلاً: «.. ثم يتوجّه القائد البيزي إلى جزيرة منورقة وينزل بعض الجنود إلى الساحل، ولكن فرسان المسلمين ومشاتهم يهاجمونهم ويرغمونهم على الارتداد لسفنهم..»[2] ثم يبرّر تراجع الحملة البحرية البيزية إلى ساحل قطلونية بتناقص مؤن الأسطول، ثم يذكر ما يلي: «.. ويصل مركبان بيزيان إلى ساحل قطلونية ومعهما البشرى بقرب ورود إمدادات الرجال والمؤن من بيزة، ثم يصل بوسون المندوب البابوي، وينتهي أثناء ذلك فصل البرد، ويتوجه ثمانون مركباً مشحونة بالرجال والزاد من بيزة إلى قطلونية إمداداً للحملة، وتمر أمام أنظار الجنويين الذين كان ينازعهم شعور بالحسد والإعجاب، كذلك يصل القنصلان دودون Dodon وآتو Ato ومعهما توصية من البابا بأن يعملا على إطلاق سراح الرعايا المسيحيين الأسرى في سجون جزر البليار، وهي المهمة التي سلّم البابا من أجلها لقادة الحملة رايته وشعاره»[3]! وانتهت بذلك مرحلة المناوشات الأولى للحملة الاستطلاعية البحرية البيزية التي لم تحرز أي نصر يذكر نتيجة للمقاومة العنيفة التي جوبهت بها براً وبحراً، ويشير الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني ضمناً إلى دور أساطيل جزر البليار في التصدي للغزاة الصليبيين قائلاً: «.. وتسير دوريات من سفن الأسطول البيزي بحذاء شواطىء ميورقة.. وتقع اشتباكات بينها وبين المراكب الميورقية، يتبادل فيها الجانبان الهزيمة والنصر..»[4].

ومهما يكن الأمر فقد انتهت مرحلة المناوشات الأولى وأخذت القوات الصليبية الرئيسية تحتشد في ثغر برشلونة استعداداً لمهاجمة جزيرة يابسة بجميع قواتها البرية والبحرية في خمسمائة سفينة من مختلف الأحجام والأنواع[5].

(١) نفس المصدر، ص٢٧٧.

(٢) ملحق «٥» (القصيدة الملحمية للشاعر لورنثو الفيروني)، ص٢٧٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٧ - ٢٧٨.

(٤) نفس المصدر، ص٢٨٣.

(٥) ملحق «٤» لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار «حول غزو البيزيين لجزيرتي ميورقة ويابسة»، ص٢٥١، وملحق «٥»، ص٢٧٨.

استيلاء القوات الصليبية على جزيرة يابسة

انفرد ابن الكردبوس من بين المصادر الإسلامية التي بين أيدينا بإشارة عابرة عن استيلاء القوات الصليبية المؤتلفة على جزيرة يابسة يقول فيها: «اجتمع أهل بيشة «بيزة» وجنوة[1] وعمروا ثلاثمائة مركب وخرجوا إلى جزيرة يابسة من عمل ميورقة فغلبوها وسبوها وانتهبوها ثم انتقلوا إلى جزيرة ميورقة»[2]. بينما تذكر المصادر اللاتينية والأسبانية تفصيلات وافية عن استيلاء القوات الصليبية على يابسة، ولكن بشكل غير موضوعي يشوبه التحامل الواضح والمبالغة السافرة في أغلب الأحيان، ومنها على سبيل المثال ما تذكره المدونة اللاتينية «حول غزو البيزيين لجزيرة يابسة» التي يرد فيها ما يلي: «في يوم القديس يوحنا المعمدان ١٥ صفر ٥٠٩ هـ = ١٠ يوليو ١١١٥ م San Juan Bautista عادت القوات المؤتلفة إلى التجمع في ميناء سالو Salou بساحل إمارة قطلونية، ومن هناك بدأوا في التحرك في ظروف جوية مواتية، وكان على رأس الحملة بدرو رئيس أساقفة بيزة Pedro du Pisa وبوسون Boson مندوب الكرسي البابوي، وكبار الأمراء والقادة، وتوجهت الحملة إلى جزيرة يابسة Ibaza، ورست مراكب الأسطول أمام عاصمتها التي تحمل نفس الاسم، وهي مدينة مبنية على جبل عال تحميها أسوار شامخة من كل ناحية، وأبراج مراقبة مشحونة بالرجال، وتحيط بها خنادق سحيقة فضلاً عن مياه البحر نفسها.

واضطرب أهل المدينة عند نزول البيزيين إلى الشاطىء، ولكنهم كانوا واثقين من قدرة مدينتهم الحصينة على الصمود. وتجمّع عدد كبير من محاربيهم مدججين بالسلاح، ودبّ اليأس في نفوس القوات الصليبية لما رأوه من قوة أهل يابسة وقدرتهم الفائقة على القتال، ولكن البيزيين صبروا على القتال وفرضوا الحصار على مدينة يابسة لمدة شهر كامل، وبالرغم من بلاء أهل يابسة، فقد اقتحم البيزيون المدينة في يوم عيد القديس لورنثو San Lorenzo في ١٣ ربيع الأول ٥٠٩ هـ = ١٠ أغسطس ١١١٥ م، وأوقعوا بأهل مدينة يابسة مذبحة هائلة، واتبعوا ذلك بهدم أسوارها ودك حصونها وتخريب قصر الإمارة، وقذفوا بواليها الخبيث في قرارة السجن مكبلاً بالأغلال جزاء وفاقاً من الرب القديس على ما ارتكب في حق المسيحيين»[3]!

والنص الآنف الذكر موضوعي إلى حد كبير، لولا الفقرة الأخيرة، التي يحاول فيها المؤرخ

(١) سبق أن فندنا مزاعم اشتراك جنوة في الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى على جزر البليار لإجماع معظم المصادر المسيحية على ذلك.
(الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٣).

(٢) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د. أحمد مختار العبّادي، ص١٢٢.

(٣) ملحق «٤» لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار/المدونة اللاتينية «حول غزو البيزيين لجزيرتي ميورقة ويابسة»، ص٢٥١.

البيزي تصوير جمهورية بيزة كمدافعة عن المسيحية، وأن العناية الإلهية تقود خطاها تدليساً ونفاقاً وتمويهاً لتغطية مآربها الدنيئة في الاستحواذ على ثروات جزيرة يابسة، أما لورنثو الفيروني المؤرخ الشاعر فيقول ما يلي عن الحملة الصليبية المؤتلفة على جزيرة يابسة: «وبعد انتهاء فصل البرد.. يخرج الأسطول (من ساحل قطلونية) بقيادة المركب الذي يستقله بدرو Pedro كبير أساقفة بيزة، ويتزوّد في طريقه بالماء المستقى من نهر الأيبرو El Ebro. ولم يمض قليل حتى وصل الأسطول إلى يابسة وقد حمل الجنود معهم على ظهور السفن تسعمائة فرس. وجزيرة يابسة من أجمل جزر البحر وهي غنية بالموارد وافرة العمران، أما عساكرهم ففي النهاية من القوة والبأس، وتحمي معهم الجزيرة زهرة فرسان بجاية وخيرة مقاتلي الأندلس، وقائد جيوش يابسة رجل ذو بأس شديد يدعى أبا المنذر Abul Monzer وكان نصراني الأصل من مدينة جرندة Gerona[1]. لم يأت الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني بجديد في نصه الآنف الذكر، الذي يماثل ما سبق وأن ذكره المؤرخ البيزي عن الخطوات التمهيدية الأولى للاستيلاء على يابسة ووصفها ووصف حصونها، باستثناء ما ذكره عن اشتراك فرسان من بجاية في المغرب الأوسط ومن الأندلس في الدفاع عن يابسة، فإن صحت هذه الرواية فمعنى ذلك هو وجود تعاون بين بني حماد في المغرب الأوسط ومبشر ناصر الدولة، بالإضافة إلى وجود تعاون بين أمير البليار والمرابطين في الأندلس، وهو ما سبق أن أشرنا إليه[2]. ثم يواصل الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني وصف كيفية الاستيلاء على جزيرة يابسة يقول فيه ما يلي: «كان الظلام مخيماً على ميناء يابسة، بينما وصلت مراكب بيزة وكان مسلمو يابسة على استعداد للمواجهة، فلم تكد المراكب تلوح لهم حتى قذفوها من أعلى أسوارهم بسهامهم التي كانت تحمل شعلًا من القذائف، وفي اليوم التالي استخدم البيزيون آلات حصارهم ضد أسوار المدينة..»[3].

ويواصل الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني وصف العمليات العسكرية التي قامت بها القوات الصليبية لاقتحام أسوار يابسة وحصونها قائلًا: «واستطاعت إحدى الدبابات Untestudo أن تقترب من الأسوار. وفي يوم القديس San Victor ٣ ربيع الأول ٥٠٩ هـ = ٢٨ يوليو ١١١٥ م،

---

(١) ملحق «٥» لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار. «قصيدة لورنثو الفيروني الملحمية» ص٢٧٨.

(٢) ابن الأبار: المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي، ترجمة رقم ٤٠، ص٥٤.

ومحمد بن محمد الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة/السفر الأول/القسم الأول، ترجمة رقم ٧٦، ص٧٧ - ٧٨.

وابن أبي زرع: روض القرطاس، طبعة الفلالي، ص٧٩ - ٨٨.

والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٩٧ - ١١٠ وملحق «٥» ص٢٨٠ - ٢٨١ و ص٢٨٣ - ٢٨٤.

وامبروسيو هويثي ميرندة: تاريخ بلنسية الإسلامية، ص٣٨، ٤٢.

(٣) ملحق «٥»، ص٢٧٨.

انهار أحد الأبراج ونفذ البيزيون إلى داخل مدينة يابسة، وكان معهم رجل قطلاني من أصحاب الخبرة في استخدام أدوات القتال، وبدأت مذبحة هائلة في المسلمين. ولم يكد البيزيون يستولون على الصف الأول من قلاع المدينة حتى شرعوا في الاستيلاء على الصف الثاني، وبالفعل تمكنوا من اقتحام الأبراج وحاولوا تدمير الأسوار، وفي اليوم الثامن دكت آلات الحصار جانباً من السور ودمرت الأبراج الأمامية، وفي صباح اليوم التالي نفذ الجنود من الثغرات المفتوحة في الأسوار، وهرب المسلمون إلى القلاع العليا».

وفي ٨ ربيع الأول ٥٠٩ هـ = ٥ أغسطس ١١١٥ م استولى الجيش المحاصر على الصف الثاني من القلاع، وتقدم المهاجمون وقتل أبو المنذر Abul Munzer[1] بحربة اخترقت حنجرته، وعرض الوالي المسلم[2] على الغزاة الاستسلام، فقبل البيزيون عرضه. وفي يوم عيد القديس لورنثو San Lorenzo ١٣ ربيع الأول ٥٠٩ هـ = ١٠ أغسطس ١١١٥ م، تمّ تسليم المدينة على أن يؤمّن سكانها من المسلمين على أرواحهم، ورفعت أعلام بيزة المنتصرة على بقايا الأسوار، وشرعوا في سحق قلاع المدينة الباقية وتسويتها بالأرض. وحينما بدأ الغزاة في توزيع الغنائم ثارت خلافات شديدة نظراً لأن جمهور المقاتلين طالبوا بنصيب في الغنائم..». وبعد الاستيلاء على يابسة، ترك الصليبيون فيها حامية كبيرة وتوجهوا بقواتهم الرئيسية الضاربة في خمسمائة سفينة إلى جزيرة ميورقة في ٢٥ ربيع الأول ٥٠٩ = ٢٢ أغسطس ١١١٥ م[3].

حصار مدينة ميورقة ومقاومتها الأسطورية

أبحرت القوات الصليبية بعد استيلائها على يابسة إلى جزيرة ميورقة، وبعد يومين وصلت إلى سواحلها في يوم عيد القديس سان بارتولمي San Bartolme (٢٧ ربيع الأول ٥٠٩ هـ = ٢٤ أغسطس ١١١٥ م)[4]. ورست سفن الأسطول على بعد ستة أميال غربي مدينة ميورقة عاصمة كبرى جزر البليار، ونزلت القوات الصليبية المؤتلفة إلى البر وعسكرت في سهل على شاطىء البحر تغطيه أشجار الصنوبر[5].

---

(١) أبو المنذر Abul Munzer: قائد حامية مدينة يابسة، وقد سبق أن ذكره المؤرخ الشاعر لورنثو الفيروني ووصفه بأنه كان رجلًا ذا بأس شديد (ملحق «٥» ص٢٧٨).

(٢) تدعو المدونات المسيحية قائد حامية جزيرة يابسة الذي تصدى للحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى باسم Abunazare وربما كان تحريفاً لأبي نصر أو أبي ناصر.

(الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٧).

(٣) ملحق «٥» لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٧٨ - ٢٧٩.

(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٨. وملحق «٤» ص٢٦٧.

وملحق «٥»، ص٢٧٩.

(٥) ملحق «٥»، ص٢٧٩ «القصيدة الملحمية للشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني».

بينما يقول الباروكمبانير الميورقي بأن القوات الصليبية « نزلت إلى مرج فسيح تكسوه غابات الصنوبر على بعد ستة أميال شرقي مدينة ميورقة عاصمة جزر البليار وكبرى مدنها » ، ويضيف إلى ذلك قائلاً : بأن كثيراً من التفاصيل التي وردت في المصادر اللاتينية عن هذه الحملة قد ضخّمت تضخيماً كبيراً وأضفى عليها الخيال والبعد عن الموضوعية هالة من العظمة لا نظنها تستحقها ، مما يقتضي الباحث التعامل بحذر مع هذه الروايات ، التي تتسم بالمبالغة والتحيّز والبعد عن الواقع في أغلب الأحيان(١). وهذه شهادة تستحق التقدير من مؤرخ أسباني ميورقي . ومن المؤسف أن النصوص الوحيدة التي ذكرت هذه التفاصيل عن حصار مدينة ميورقة حتى سقوطها في أيدي القوات الصليبية هي المصادر اللاتينية . ونظراً لأن النصوص الإسلامية عن هذه الفترة مقتضبة إلى حد كبير ، واكتفت بالإشارة إلى إغارة القوات الصليبية على جزيرة ميورقة ومحاصرة عاصمتها « مدينة ميورقة » حصاراً شديداً ، حتى سقوطها النهائي وإبادة سكانها بعد مقاومة ضارية(٢) . . لهذا لا نجد أمامنا سوى المصادر اللاتينية لمعرفة أدق التفاصيل عن هذه الفترة الغامضة من تاريخ البليار . وسنحاول ما أمكننا استقصاء الحقائق الموضوعية من هذه المصادر ، ومن بينها القصيدة الملحمية للشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني الذي يصف الحشود الإسلامية المدافعة عن مدينة ميورقة ، والاشتباكات الأولى مع القوات الصليبية بعد نزولها إلى الشاطىء مباشرة بشكل مقتضب ، دون أن يشير إلى الخسائر التي أوقعتها القوات الإسلامية البحرية والبرية بالغزاة قبل أن يتمكنوا من النزول إلى البر والاقتراب من أسوار المدينة حيث يقول : « وبعد نزول القوات إلى شواطىء ميورقة أمر ملك الجزيرة بأن يحتشد أهل المدينة في السهل الذي نزل الغزاة بساحله لمنع القوات الصليبية من الاقتراب من أسوار مدينة ميورقة »(٣) .

بينما تذكر المدونة اللاتينية البيزية ما يلي عن المناوشات الأولى في جزيرة ميورقة « وبعون الله توجهت الحملة بعد أن أتمّت فتح يابسة إلى ميورقة ، فوصلت إلى سواحلها في (٢٧ ربيع الأول ٥٠٩ هـ = ٢٤ أغسطس ١١١٥ م) ، وفي اليوم التالي عقد القادة مجلس حرب ، تباحثوا فيه خطة القتال واستقر الرأي على أن يشرعوا في هجوم مركّز قوي على الساحل الشرقي ،

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٠٨ .
(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص١٢٢ - ١٢٤ .
ابن القطان : جزء من نظم الجمان تحقيق د . محمود علي مكي ، ص٢٠ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٣٠٥ . والحميري : الروض المعطار ص٥٦٧ .
وابن أبي زرع : روض القرطاس ، طبعة الفلالي ، ص٧٩ ، ٨٧ . وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٥ وج٦ ، ص٣٨٧ . والقلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ص٢٥٦ .
(٣) ملحق « ٥ » ، ص٢٦٥ .

وكانت مدينة ميورقة حصينة منيعة الأسوار والاستحكامات ، ذات خنادق عميقة كثيرة تحيط بأسوارها ، وفي اليوم الثالث اقترب البيزيون من أسوار المدينة والتحموا بقتال عنيف مع المسلمين ، وألحقوا بهم خسائر فادحة والجأوهم إلى الفرار والاختباء وراء أسوار مدينتهم وإغلاق أبوابها دونهم(١) .

يتضح من النص الآنف الذكر المبالغة والبعد عن الموضوعية وتجاهل قوة الخصم ومقاومته ، وكأنّ الطريق نحو أسوار مدينة ميورقة كان ممهداً بالورود أمام قوات بيزة! التي يحاول المؤرخ البيزي أن يضفي عليها هالة من المجد الزائف والبطولة الخارقة التي لا تستحقها وكأنها القوة الوحيدة في ميدان المعركة . بينما نجد المصادر الإسلامية موضوعية إلى حد كبير ، فهي تشير إلى ضراوة المقاومة وحدة الاشتباكات قبل فرض الحصار على مدينة ميورقة ، وما أبداه ملك البليار مبشر بن سليمان ناصر الدولة من بطولة ، وما قدمه من تضحيات قبل أن يتمكن الغزاة من الاقتراب من أسوار مدينة ميورقة(٢) .

أما الشاعر لورنثو الفيروني فلا يكتفي بإبراز بطولات قوات بيزة ، بل يشرك معها بقية القوات المؤتلفة في أمجاد وهمية ، ويتضح ذلك من وصفه التالي للعمليات العسكرية الأولى « بعد نزول القوات الصليبية المؤتلفة لساحل ميورقة . . يعمل الفرسان على تفتيش الأرض خوفاً من وجود كمين متربص ثم يطاردون عدداً من فرسان المسلمين إلى نبع ماء عذب يدعى « لويدو Luido . . وتقدم الجيش المؤتلف ونصب معسكره على مقربة من المدينة . . وشرع في مهاجمة المسلمين المنتشرين في البسائط والسهول خارج أسوار المدينة ، وقد اشترك في هذا القتال القائد القطلاني الذي كان يحمل أعلام فريقه وشعارهم ، وكذلك قومس انبوريش Conde de Ampurias الذي كان من قبل صديقاً وحليفاً لملك جزر البليار المسلم! وكان يحمل شعار برشلونة الفارس جيرارد ليمانو Gerarde Lemano . وبدت بطولة المهاجمين في كثير من المبارزات ، فقد استطاع قومس برشلونة (رامون برنجار الثالث) أن يطعن أحد فرسان المسلمين برمحه المذهب فيخترق جسده بطعنة واحدة ، وانسحب المسلمون ليحتموا وراء أسوار مدينتهم وأبوابها الحديدية . . »(٣) .

---

(١) ملحق « ٥ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار ص٢٦٧ « القصيدة الملحمية للشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني » .
(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص١٢٢ - ١٢٤ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٣٠٥ .
(٣) ملحق « ٥ » ، ص٢٧٩ - ٢٨٠ .

المقاومة الأسطورية لحامية مدينة ميورقة الإسلامية في النصوص اللاتينية

بالرغم من تحامل المصادر اللاتينية وتزييفها للوقائع ، إلا أنها أمام البطولات الأسطورية التي أبدتها الحامية الإسلامية المدافعة عن مدينة ميورقة ، اضطرت للاعتراف بضراوة المقاومة الإسلامية وبررت هزائمها بتآمر بعض القادة القطلان مع المسلمين من وراء ظهر قادة بيزة ، ونجد ذلك واضحاً في المدونة اللاتينية ، التي يقول فيها المؤرخ البيزي ما يلي : « .. ونصب البيزيون معسكرهم تحت أقدام الأسوار ، إلّا أن الوثنيين (المسلمين)! كانوا يناوشونهم القتال من حين لآخر ، ولكن شجاعة أهل بيزة كانت تلقنهم في كل مرة درساً قاسياً موقعة بهم مقتلة عنيفة . وتجلت براعة البيزيين في إقامة أبراج من الخشب ونصب مجانيق ثقيلة كانوا يمطرون منها الأسوار بوابل من القذائف ، حتى ألحقوا أضراراً جسيمة بحصون المدينة وأسوارها ، ومع ذلك لم يتمكنوا من النفاذ إلى المدينة ، **إذ أن مقاومة أهلها المحاصرين كانت ضارية وكانوا يقاتلون باستبسال فائق ، وما أكثر ما استطاع المسلمون إحراق ما نصب من أبراج خشبية وتخريب مجانيق البيزيين** ، مما جعل حدّة القتال تزداد يوماً بعد يوم ، ولكن الله ما كان ليسمح بفشل أهل ملته (النصارى) إزاء أولئك الكفار! فقد شدّ عزيمتهم وشحذ من بصيرتهم وألهمهم مواصلة القتال بمزيد من القوة والتصميم على النصر .. »[1] .

ويقول المؤرخ الشاعر لورنثو الفيروني في وصف الاشتباكات العسكرية أمام أسوار مدينة ميورقة ومقاومة حامية المدينة ما يلي : « بالرغم من الحصار الذي فرضته القوات المؤتلفة على مدينة ميورقة ، إلّا أنهم كانوا يخرجون بين الحين والآخر عدداً من فرسانهم ليهاجموا القوات المؤتلفة ، ثم تشجع المسلمون فأخرجوا جيشاً كبير العدد ، وكان على ميمنة الجيش القائد المسلم « النتي Alante ، وعلى الميسرة القائد قريش Corex بقيادة ملكهم « أبي الربيع » Burabe[2] . والتقى الجيشان في معركة حامية الوطيس وأبلى المسيحيون بلاء حسناً ، فقد مزق قومس برشلونة جيوش الأعداء المسلمين بعد أن ألقى في جنوده خطبة ملتهبة ، كذلك كان لفرسان أنبوريش Ampurias وروسيون Rosselion ، دور كبير في هزيمة المسلمين ، مما أدّى بهم إلى اللجوء مرة أخرى للاحتماء وراء الأسوار .. »[3] . ويحاول الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني تبرير

(١) ملحق « ٤ » ، ص٢٦٧ – ٢٦٨ .

(٢) كان أمير جزر البليار آنذاك هو مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، وبعد وفاته خلفه أبو الربيع سليمان بن لبون (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص١٢٣) . على أنه يمكن أن يفترض أن أبا الربيع كان في ذلك الوقت قائداً للقوات العسكرية ، أما بالنسبة للقائدين الآخرين اللذين يدعوهما الشاعر المؤرخ باسم قريش Corex والنتي Alante فلا يوجد في مصادرنا الإسلامية أي ذكر لهما والراجح أنهما من القادة صحف الشاعر اسميهما .

(٣) ملحق « ٥ » ، ص٢٨٠ .

هزائم القوات المؤتلفة بعدم تلاحم هذه القوات والتعريض بإخلاص القادة القطلان وعلى رأسهم أميرهم رامون برنجار الثالث ، وإيهامهم بالاتصال سراً بالمسلمين لعقده معاهدة صلح ، ويقول في هذا الصدد ما يلي : « .... ويحدث أن واحداً من قواد المسيحيين أدى به الضلال والخيانة إلى الكتابة سراً إلى ملك المسلمين ، ويتلقى منه ردوده سراً ، وكان ملك الأعداء يحاول أن يعقد حلفاً ومعاهدة صلح ، غير أن الشرط الذي أجمع على فرضه قواد الحملة كان تسليم كل أسرى النصارى ، وكان ذلك الملك المسلم الذي يدعونه ناصر الدولة Nazaradeole يعامل هؤلاء الأسرى بقسوة بشعة ، وكان يقتل الكثيرين منهم ، ولهذا فإنه لم يكن مستعداً لقبول ذلك الشرط .. »[1] .

يتضح من النص السابق ، تعريض الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني بالقادة القطلان واتصالهم سراً بأمير جزر البليار ، ويعلق المؤرخ الميورقي الباروكمبانير على ذلك قائلاً : « بأن قومس برشلونة (رامون برنجار الثالث) أقدم على الاشتراك في الحملة بقدر كبير من التجرد والوطنية ، ولكنه لم تكد تبدأ عمليات الحصار ، حتى وصلته رسائل من بلاده تذكر بأن الأمراء المسلمين الذين كانوا يحكمون المقاطعات المجاورة لبلاده في الأندلس قد انتهزوا فرصة غيابه ، فقاموا بعمليات غزو لأراضي إمارته ، وأنهم استولوا على مدينة تماريت Tamarit ، بل إنهم اقتربوا من العاصمة برشلونة[2] ، وهكذا لم يعد أمام أمير قطلونية ومعه قومس أمبورياس Ampurias إلا أن يعود كل منهما لبلده لحمايته من هجوم القوات الإسلامية ، ولكن البيزيين طلبوا إلى الأميرين أن يؤجلا عودتهما إلى بلادهما ، ووعدوا بمساعدتهما .. »[3] . أما بقية النص الآنف الذكر الذي ذكره الشاعر لورنثو الفيروني ، فهو تكرار للادعاءات الزائفة بأن دافع بيزة لقتال مسلمي البليار هو إنقاذ الأسرى المسيحيين ، وهو ادعاء كاذب ، فلم يطلق البيزيون سراح هؤلاء الأسرى بعد تخليصهم من الأسر ، وفرضوا على كل أسير منهم أن يدفع فدية مقابل إطلاق سراحه[4]!

وبعد أن يشيد الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني بالبطولات الزائفة للقوات الصليبية المؤتلفة ، يصيبه الإحباط ويبرّر تخاذل القوات الصليبية باستعدادات مدينة ميورقة الإسلامية ، وضخامة معداتها العسكرية ، حيث يقول : « .. وتمضي الأيام ويقرّب المسيحيون معسكرهم من أسوار المدينة ، ويدخل إلى نفوسهم شيء من اليأس ، حينما يرون عن كثب مناعة حصون المسلمين ومدى استعدادهم للقتال ، ولتحمل أهوال الحصار ، فقد تبين أن لديهم (٦٠,٠٠٠)

(١) المصدر السابق ، ص٢٨٠ – ٢٨١ .

(٢) سبق أن ذكرنا قيام القوات المرابطية بمهاجمة إمارة برشلونة .

(٣) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٠٩ .

(٤) دائرة المعارف البريطانية ، ج٧ ، ص٩٥٥ لعام ١٩٦٢ .

مقاتل و (٣٠٠٠) فرس ، ومائة آلة من العدد القوية لرمي القذائف الملتهبة لحرق أبراج الحصار ، و (٤٠٠٠) من رماة النبل إلى عدد كبير من قاذفي المجانيق ، ومئات المجانيق والقذائف المحرقة . . »[1] . وتتكرر الهجمات على أسوار مدينة ميورقة وحصونها ، ولكنها ظلت شامخة تتحدى الغزاة ، الذين يرسلون قوة عسكرية كبيرة لتعيث في جزيرة ميورقة فساداً ، « بحثاً عن الغلال وقطعان الماشية حتى يستعين بها جنود الحملة الصليبية لطعامهم » ، ثم تعود القوات المؤتلفة إلى تجميع صفوفها الممزقة من جديد . . « ويقيمون أبراجاً من الخشب لكي يلقوا بقذائفهم منها ، ولكن المسلمين استطاعوا أن يرفعوا على أسوارهم برجاً صغيراً أدق حجماً وأطول قامة من أبراجنا مشدوداً بالحبال ، ويصف فيه أحد رماة المسلمين ، وأخذ يلقي بنبله على رماتنا المختبئين في الأبراج الخشبية ، فأصاب منهم عدداً كبيراً ، غير أن بعض رماة الحملة الصليبية تمكنوا من قطع اثنين من الحبال التي كان يستند إليها برج الرامي المسلم ، وخشي هذا على نفسه فتعلق بالحبل الثالث حتى نجا ، وأخذت آلات الحصار تدكّ سور المدينة ، حتى فتحت فيه ثغرة ، وتقدم الجنود محاولين النفاذ من هذه الثغرة ، ولكن دون جدوى ، وحينئذ عمل القاذفون على توسيع الثغرة وتكرر الهجوم للنفاذ منها ، ولكنهم أصيبوا بهزيمة جديدة ، وساء أمر المحاصرين المسيحيين بعد أن تفشت فيهم الأمراض ، ومات بعضهم من جراء ذلك ، كما جرح أحد كبار القواد البيزيين . . »[2] . واقترب فصل الشتاء ومدينة ميورقة تتحدى الغزاة ، « . . ومضى المسيحيون وقد خافوا اقتراب فصل الشتاء يعملون دائبين على ترميم آلات الحصار ، وتشديد الهجوم براً وبحراً ، وانتساف بسائط المدينة ، وتدمير كل ما فيها من زروع ، والحيلولة دون وصول المؤن إلى المدينة ، وزادت ضراوة القتال . . » . ويحاول مبشر ناصر الدولة إنقاذ مدينة ميورقة التي أرهقها الحصار والقتال المتواصل . . ويبعث باقتراحات جديدة للتفاوض وإقرار السلم ، ولكنها لا تجد آذاناً صاغية . . مما زاد في عنف الهجمات الإسلامية » . . ففي إحدى الليالي تخرج فرقة من الميورقيين تحت ستار الظلام ، وتفاجىء الرماة البيزيين الذين كانوا يحرسون دبابة الحصار ، وهم نائمون بعد أن شربوا الخمر حتى الثمالة ، وقذفت هذه الفرقة بكتل من المواد المشتعلة في أركان الدبابة الخشبية ، فإذا بالنار تلتهمها وتحيلها إلى رماد ، ويثير الحادث حفيظة المعسكر البيزي ، فيعمل البيزيون على بناء برجين جديدين من الخشب[3] .

---

(١) ملحق « ٥ » ، ص ٢٨١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
(٣) ملحق « ٤ » ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

مهاجمة القوات المرابطية لإمارة برشلونة لإجبار أميرها على سحب قواته

قامت القوات المرابطية بحملات برية متلاحقة اجتاحت فيها إمارة برشلونة التي كانت معظم قواتها البرية والبحرية مشتبكة في قتال عنيف مع الحامية الإسلامية المدافعة عن مدينة ميورقة الإسلامية ، وكانت قوات هذه الإمارة الإسبانية بقيادة أميرها رامون برنجار الثالث إحدى القوى الرئيسية في الحملة الصليبية المؤتلفة على جزر البليار ، وقد لبّت القوات المرابطية في الثغر الأعلى وثغور شرق الأندلس نداء أمير البليار في مهاجمة إمارة برشلونة (قطلونية) ، حتى تتشتّت جهود المهاجين ويجبر أمير برشلونة على سحب أسطوله وقواته المحاصرة لمدينة ميورقة للدفاع عن إمارته . وكادت هذه الخطة تنجح ، لولا ضغط بقية قادة القوات المؤتلفة على أمير برشلونة واتهامه بالتخاذل والتفاوض سراً مع أمير البليار لعقد معاهدة صلح! مما اضطره لمواصلة القتال ، والاشتراك في الاستيلاء على مدينة ميورقة[1] .

وكانت أساطيل البليار التي وجدت في ثغور هذه الجزر قواعد بحرية تلجأ إليها ، تنقضّ على الأساطيل الصليبية لتخفف ضغط الحصار على مدينة ميورقة . وتغفل مصادرنا الإسلامية المعارك البحرية التي اشتبكت فيها أساطيل جزر البليار مع الأساطيل الصليبية ، بينما تتجاهلها المصادر المسيحية ، وتشير إليها إشارات عابرة نستشف منها أن أساطيل جزر البليار لم تتوقف عن التصدي للغزاة منذ بداية الغزو الصليبي ، وحتى انسحاب القوات الغازية ، ونجد إشارة واضحة إلى ذلك في النص التالي الذي ذكره الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني في ملحمته والذي يقول فيه ما يلي :

« . . ويرسل الميورقيون عشرين مركباً حربياً إلى يابسة . . » ، وكان ذلك قبيل عيد الميلاد في وقت اشتدت فيه الهجمات الصليبية على أسوار وحصون مدينة ميورقة ، ولم يوضح لورنثو الفيروني سبب توجه هذه السفن الحربية إلى يابسة ، ثم يستطرد قائلاً « . . ويعود مركبان من هذه المراكب إلى شواطىء ميورقة . . » ، ويدّعي بأن سفن الحراسة البيزية تمكنت من الاستيلاء عليهما[2] . ومهما يكن الأمر فإننا نستدل من النص الآنف الذكر بأن أساطيل جزر البليار الحربية كانت تتصدى للأساطيل الصليبية وتطاردها عبر البحر من ساحل جزيرة من هذه الجزر إلى أخرى .

ويؤكد هذا القول ما ذكره لورنثو الفيروني في نص لاحق يقول فيه « . . وتسير دوريات من سفن الأسطول البيزي بحذاء شواطىء ميورقة متربصة بكل سفينة تقترب ، وتقع اشتباكات

---

(١) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٩٧ - ٩٨ ، ١١٠ - ١١١ . وملحق « ٥ » ص ٢٨٢ .
(٢) الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٣ .

بينها وبين المراكب الميورقة، يتبادل فيها الجانبان الهزيمة والنصر»[1]. كما يذكر نصاً يقول فيه: «.. وتخرج من ساحل يابسة سفينة إسلامية متوجهة إلى بعض سواحل الأندلس وهي تحمل إحدى السيدات العربيات إلى بلدها ومعها ابن لها صغير السن فيهاجمها البيزيون.. ويقتلون كل من عليها من بحارة مسلمين بعد أن حاولوا المقاومة، إلا أن البيزيين يرعون حرمة السيدة وابنها الصغير»[2]!

يتضح من النصوص القليلة التي ذكرها لورنثو الفيروني عن تحركات السفن الإسلامية في جزر البليار بأن أسطول جزر البليار ظلّ طيلة فترة الحصار الرهيب الذي فرضته القوات الصليبية على مدينة ميورقة يقاوم الغزاة ببطولة خارقة، بالرغم من تفوق القوات المعادية في عددها واستعداداتها، مما اضطرّ مبشر ناصر الدولة أمير البليار أن يرسل رسولاً إلى أمير دانية المرابطي يناشده إرسال عون بحري يمكّن حامية مدينة ميورقة من التصدي للغزاة، وتدعيم قوة أسطول جزر البليار الإسلامي. وقد تنبه البيزيون إلى هذه السفارة، وعلموا بنتائجها، بعد أن تمكنوا من أسر المركب الذي أرسله أمير البليار إلى دانية أثناء عودته بعد أداء مهمته، ويقول لورنثو الفيروني في هذا الصدد: «ويرسل الملك الميورقي مركباً خفيفاً إلى دانية وفيه مبعوث له يحمل رسائل إلى الأمير الداني مستصرخاً إياه وطالباً إليه إمداده بما يعينه على التصدي للحصار، ويجيبه أمير دانية بأنه قد جهزّ له أسطولاً مزوداً بالرجال والعدة ومستعداً للإبحار في أقرب وقت..». ويضيف إلى ذلك ما يلي: «وتساق إلى المعسكر الصليبي السفن الإسلامية، ومن بينها مركب دانية الذي حمل جواب أميرها Butale (أبو طلحة)، وفيه يعلن إليه أنه قبل أن ينتهي الشهر فإن الإمدادات سوف تصل إليه..»[3]. ويذكر ابن الكردبوس بأن أبا السداد عامل دانية المرابطي وقائد أسطولها أسهم بدور كبير في مطاردة الأساطيل الصليبية، وتمكن من أسر وإغراق عدد منها[4].

إخفاق المساعي لعقد معاهدة صلح مع الغزاة
ووفاة أمير البليار مبشر بن سليمان ناصر الدولة

بالرغم من وصول بعض القطعات البحرية المرابطية من ثغر دانية لمساندة مسلمي جزر البليار، إلا أنها لم تستطع كسر حدة الحصار الذي أطبق على مدينة ميورقة التي انتشرت فيها

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٨٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢٨٥.
لم يوضح لنا الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني هوية هذه السيدة العربية التي أخلى سبيلها القراصنة البيزيون، الذين عرف عنهم القسوة والوحشية، ولم يعهد منهم مراعاة أي قيم إنسانية، فمن هي هذه السيدة؟
(٣) الملحق «٥»، ص٢٨٣ – ٢٨٤.
(٤) ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء. ص١٢٤.

المجاعة[1]. مما اضطر أمير البليار إلى إرسال سفارة إلى المعسكر الصليبي يعرض فيها الهدنة بعد أن شق الحصار على المحاصرين، ويتهم الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني «القوامس القطلانيين» بالتخاذل، وتحريض قادة المعسكر الصليبي على قبول الهدنة والاكتفاء بتخليص الأسرى النصارى من سجون جزيرة ميورقة، حيث يقول «وتظهر أصوات من داخل المعسكر المسيحي من جانب القوامس القطلانيين[2] تشير على البيزيين بأن يكتفوا بتخليص الأسرى النصارى من سجونهم، وبألا يطمعوا بأكثر من ذلك. بل بدت مظاهر الثورة والتمرد ضد القيادة العسكرية التي كان يضطلع بها آباء الكنيسة، فقد كانوا هم الذين يديرون العمليات العسكرية بأنفسهم! ولكن المتمردين يتلقون جواباً حاسماً، فيسكت على مضض أولئك القوامس (الكونتات) الذين ما كانوا يكفون عن طلب مبالغ باهظة من المال من آباء الكنيسة، فإذا حصلوا عليها أنفقوها في مآربهم الخاصة بالرغم من أنها مرصودة لحرب المسلمين..»[3].

وبعد أن علم البيزيون بعزم أمير دانية على إرسال أسطول مرابطي لمساندة مسلمي جزر البليار تناسوا اتهاماتهم للقوامس القطلان بالتخاذل والسعي لعقد هدنة مع أمير البليار، فقاموا هم أنفسهم بإرسال «سفارة» إلى الملك الميورقي، فيحسن هذا تلقيها ويعد السفراء «بأن يحمل إلى قادة الحملة قدراً كبيراً من ماله الخاص ومن خراج الجزيرة..» ويدعي لورنثو الفيروني بأن أمير البليار عرض على السفراء بالإضافة إلى وعده الآنف الذكر «.. بأن تكون بلاده بمثابة إقطاع بابوي..»[4]، وهو ما لا يمكن أن يعرضه أمير مسلم كمبشر ناصر الدولة الذي شهدت المدونات الإيطالية نفسها بصلابته واستبساله في الدفاع عن بلاده بإيمان صادق وعقيدة راسخة[5]. ويؤكد هذا القول ما ذكره الشاعر المؤرخ في تبرير نقض الاتفاق حيث يقول في فقرة لاحقة: «.. غير أن السفراء (الذين قبلوا بعرض أمير جزر البليار)، لم يكادوا يذهبون للبحثُ عن الأسرى في سجون ميورقة من نبلاء المسيحيين حتى بدا للملك الميورقي تغيير رأيه»[6].

ويعلل لورنثو الفيروني بأن تراجع أمير البليار بما ذكره في رسالته التي أرسلها إلى القادة

---

(١) الملحق «٥»، ص٢٨٣.
(٢) لم يذكر لورنثو الفيروني السبب في اتهامه للقوامس القطلان بالتخاذل والمطالبة بعقد الهدنة مع أمير البليار، ويعلل المؤرخ الميورقي الباروكمبانير سبب هذه الاتهامات بأنه يعود إلى جشع البيزيين ونقضهم للمواثيق وترويجهم للإشاعات في المعسكر الصليبي للنيل من شجاعة القطلان. (تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١١٢ – ١١٣).
(٣) المصدر السابق، ص٢٨٣ – ٢٨٤.
(٤) الملحق «٥»، ص٢٨٤.
(٥) تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١١٠.
(٦) الملحق «٥»، ص٢٧١.

البيزيين التي يقول فيها : « بأنه بعد أن استشار شيوخ مملكته ورجال الرأي تبين أن شريعته لا تبيح له أن تكون مملكته إقطاعاً للنصارى ، وأنه لا يجوز أن يدفع الجزية لهم » . وانقطعت المفاوضات وعاد القتال من جديد بصورة أشد عنفاً ، ويصف لورنثو الفيروني هذا القتال الوحشي والدمار المروع الذي أشرف على تنفيذه رجال الكنيسة قائلاً : « وتصدر أوامر القواد من رجال الكنيسة بأن يعمل الجنود على إحراق منازل المدينة ، وقتل كل من يستطيعون من سكانها ، ويعرضون خمس قطع فضة لكل من يقتل واحداً من المشاة ، وقطعتين ذهبيتين لكل من يقتل أحد الفرسان! ويحمل البيزيون على المدينة حملة ضارية يشعلون فيها الحرائق ، ويقتلون كل من تصل إليه أيديهم ، وترتفع خسائر المسلمين بصورة ملحوظة . وفي منتصف ديسمبر تزداد حدة العمليات العسكرية ويرسل الآباء القواد سفناً إلى الحامية الباقية في يابسة تحمل إليها مدداً من الرجال والأقوات والعدد »[1] . ويصف صاحب المدونة اللاتينية أعمال التدمير والقتل والحرق وانتساف البسائط وتدمير الزروع لتحطيم معنوية حامية مدينة ميورقة الإسلامية بما يلي : « ومضى المسيحيون وقد خافوا من اقتراب فصل الشتاء يعملون دائبين على ترميم آلات الحصار وتشديد الهجوم براً وبحراً وانتساف بسائط المدينة ، وتزداد ضراوة القتال إلى حد مخيف . . »[2]. ويحاول أمير البليار وضع حد لهذا القتال الرهيب والدمار المروع ويقوم بإرسال سفارة إلى المعسكر الصليبي للتفاوض من جديد من أجل عقد هدنة بين الطرفين ، « ويدعو الملك الميورقي بدرو رئيس أساقفة بيزة للتشاور معه ، ويتم بين الزعيمين اجتماع طويل ، إلا أنه لا يفضي إلى أي نتيجة ، ويعرض الملك المسلم على قائد البيزيين أن يسلم إليه كل الأسرى النصارى في أرضه ولكنه لا يعرض أكثر من ذلك » . وانقطعت المفاوضات ، وعاد بدرو رئيس أساقفة بيزة إلى المعسكر الصليبي ، ويقوم بإلهاب مشاعر المقاتلين ويحثهم على القتال ويبشرهم بقرب سقوط مدينة ميورقة . . « وتستمر عمليات الحصار ومعها الغارات الهجومية على داخل الجزيرة التي ينتشر فيها الموت والخراب . . »[3]. وحصد القتل والجوع والمرض أهل مدينة ميورقة الإسلامية ، وأصاب المرض أمير البليار الذي أرهقه وآلمه ما تعرض له شعبه من أهوال الحرب ، وتفشي المجاعة ، وانتشار المرض بين السكان الذين أرهقهم الحصار الطويل ، وويلات الحرب ، وانعدام الأقوات والدمار الشامل الذي أصاب المدينة ، وتوفي الأمير الباسل مبشر بن سليمان ناصر الدولة في شهر رجب ٥٠٩ هـ = ديسمبر ١١١٥ م وهو يشاهد عاصمة مملكته وقد غشيها الدمار والعدو يحاول جاهداً اقتحام الأسوار وقذائف المجانيق والرعادات تقصف المدينة ليل نهار ، وشبح الموت يخيم على مدينة ميورقة عروس البليار[4]. ويذكر ابن الكردبوس بأن

(١) المصدر السابق ، ص٢٨٤ .
(٢) الملحق « ٤ » ، ص٢٥٣ .
(٣) الملحق « ٥ » ، ص٢٨٥ .
(٤) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١١٠ ، والملحق « ٥ » ، ص٢٨٥ .

مبشر بن سليمان ناصر الدولة استنجد بالمرابطين قبل وفاته ، ولكن الأسطول المرابطي لم يصل إلى ميورقة ، إلا بعد سقوط المدينة في أيدي الغزاة[1] . بينما تذكر المصادر اللاتينية بأن الذي أرسل إلى المرابطين رسالة يطلب فيها مدداً عاجلاً لإنقاذ مدينة ميورقة هو (أبو الربيع سليمان ابن لبون) Burabe الذي خلف ناصر الدولة بعد وفاته في شهر رجب ٥٠٩ هـ = أواخر ديسمبر ١١١٥ م[2] .

المرحلة الثالثة
عهد أبي الربيع سليمان بن لبون
٥٠٩ هـ = ١١١٥ - ١١١٦ م

أمير البليار يستصرخ أمير المسلمين لفك الحصار عن مدينة ميورقة

يذكر ابن الكردبوس ما يلي : « وفي خلال الحصار كان ناصر الدولة قد كتب إلى أمير المسلمين (علي بن يوسف بن تاشفين) يستصرخه ويستنصره ، ووجه كتابه مع القائد أبي عبد الله ابن ميمون[3] ، وكان إذ ذاك عنده قائد غراب[4] بين يديه ، فلم يشعر العدو حتى خرج الغراب

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص١٢٣ - ١٢٤ .
(٢) الملحق « ٥ » ، ص٢٨٥ .
(٣) أبو عبد الله بن ميمون : « قائد بحري شهير من أهل مدينة دانية (المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٧٩) . وينتسب إلى أسرة ذات تاريخ عريق في البحرية ، فقد كان أحد أبناء هذه الأسرة الماجدة عاملاً على بلنسية في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني ، وأشرف على تحصيل غنائم جزر البليار عند فتحها الثالث في سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م (المقتبس/القسم الثاني ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص٣) . وأصبح أبو عبد الله ابن ميمون سليل هذه الأسرة العريقة في أمجادها البحرية قائداً في البحرية المرابطية وكان في ميورقة أثناء الحصار الصليبي . . » (وثائق تاريخية جديدة في عهد المرابطين ص١٥٩) وأرجح أن اسمه محمد بن ميمون (البيان المغرب ، ج٤ ، ص٦٢ ، ٦٧ ، والعبر ، ج٦ ، ص٣٣١) .
(٤) « غراب والجمع أغربة وغربان ، من المراكب الحربية الشديدة البأس التي استخدمها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى ، وقد دعيت بهذا الاسم لرقتها وطولها وسوادها لطلائها بالأطلية المانعة للماء كالزفت ، =

معمراً ليلاً من دار الصناعة عليه ، فانطلق في الحين يقفو أثره واتبعه نحو عشرة أميال والظلام قد ستره ، فلما قطع يأسه في الظفر به رجع خاسئاً على عقبه فوصل ابن ميمون بالكتاب إلى أمير المسلمين فأمر في الحين بتعمير ثلاثمائة قطعة وأن تلقى بعد شهر دفعة . . »[1] . بينما يذكر ابن القطان بأن عدد القطع التي أعدت وجهزت في دور الصناعة المرابطية بأمر من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين كانت « مائة وعشرين مركباً . . »[2] .

وتذكر المصادر اللاتينية خبر السفينة التي أرسلها أمير البليار ولكنها تدعي بأن الذي أرسلها هو أبو الربيع سليمان بن لبون Burabe لأن مبشر بن سليمان ناصر الدولة توفي في شهر رجب ٥٠٩ هـ = ديسمبر ١١١٥ م ، وأن إرسال السفينة كان في ١٩ شعبان ٥٠٩ هـ = ٨ يناير ١١١٦ م . ويقول لورنثو الفيروني عن السفينة التي أرسلها أمير البليار (بقيادة ابن ميمون) والتي سبق ذكرها ما يلي : « وفي اليوم الثامن من شهر يناير ١١١٦ م يرسل أبو الربيع سفينة إلى دانية وتحاول سفن البيزيين اللحاق بها ولكنها تفشل في ذلك . . »[3] . وإن صحت رواية الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني بأن تاريخ إرسال أمير البليار سفينة إلى دانية في ١٩ شعبان ٥٠٩ هـ = ٨ يناير ١١١٦ م[4] التي ذكر ابن الكردبوس بأن قائدها كان ابن ميمون ، وانه كان يحمل كتاباً من أمير البليار إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين يستصرخه فيه ويستنصره[5] ، فمعنى ذلك أن أسطول المرابطين لم يصل إلى جزر البليار **إلا بعد مضي ما يزيد عن أربعة شهور** ، فقد ظلت حامية ميورقة تقاوم ببسالة حتى اليوم الثامن عشر من ذي القعدة ٥٠٩ هـ = الثالث من إبريل ١١١٦ م[6] .

= فصارت تشبه بسوادها الغربان من الطير ، وكان مقدم هيكلها على شكل رأس غراب وهي تسير بالقلع والمجاذيف » ، (السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ص ٤) . ويقول الدكتور العبادي بهذا الصدد : « الغراب سفينة شراعية صغيرة من طبقة واحدة وذات صار أو صارين ، وتستخدم عادة في الأغراض العاجلة لسرعتها ، وقد انتقلت إلى الأوروبية باسم Corvette (ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، حاشية « ٤ » ، ص ٨٢٣) .

(١) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٣ .
(٢) ابن القطان : جزء من نظم الجمان ، ص ٢٠ .
(٣) الملحق (٥) ، ص ٢٨٥ .
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٥) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٣ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١١٩ .

اشتداد حدة القتال وانتشار الحرائق في مدينة ميورقة، اقتحام الغزاة للأسوار .

بالرغم من الهجمات الكاسحة والحملات العسكرية المتلاحقة على أسوار مدينة ميورقة فقد أخفق الغزاة في فتح أي ثغرة في أسوارها من منتصف شهر شعبان إلى ١٩ رمضان ٥٠٩ هـ = طيلة شهر يناير ١١١٦ م . وفي أواخر شهر شعبان من العام المذكور قامت حامية ميورقة الإسلامية بهجوم معاكس ، ويصف المؤرخ الشاعر ذلك الهجوم بما يلي : « في فجر ذلك اليوم تخرج فرقة من باب ساركولا Sarculo[1] ، ولكن القائد القطلاني الذي كان كامناً لهم في الوادي فاجأهم واشتبك معهم في قتال عنيف ، واشتدت حدة المعركة قريباً من الباب الناظر إلى بورتوبي Portope . ثم انطلقت حربة من أعلى السور قذف بها أحد الرماة المسلمين[2] ، فمزقت ذراع قومس برشلونة ، وتراجعت القوات المؤتلفة وهلل المسلمون فرحين من فوق السور » . وبعد أن أخفقت القوات المؤتلفة في فتح أي ثغرة في أسوار مدينة ميورقة المنيعة ، اتبعت أسلوباً جديداً في القتال وقامت « بإلقاء شعل من النار على بعض الأبراج الخشبية التي كان يستخدمها المسلمون من داخل الأسوار ، وانتقلت النار من برج إلى برج حتى انتشرت الحرائق في كل المدينة » ، ويضيف إلى ذلك صاحب المدونة اللاتينية نصاً آخر نستشف منه التمسح الكاذب بالدين ، يقول فيه بأن الحرائق انتشرت في جميع أنحاء مدينة ميورقة ، بفضل شفاعة العذراء مريم المقدسة التي كانت المسيحية تحتفل في ذلك اليوم بعيد تطهيرها في ١٦ رمضان ٥٠٩ هـ = ٢ فبراير ١١١٦ م[3] ، ولكن النار التي أشعلها البيزيون في أبراج مدينة ميورقة سرعان ما انتشرت في قطع الأخشاب المتناثرة حول أسوار المدينة وانتقلت بسرعة هائلة إلى المعسكر الصليبي وأحرقت جانباً كبيراً منه ، وانشغل الصليبيون بإطفاء الحرائق التي التهمت آلات الحصار والرعادات والمجانيق التي كانت تقذف مدينة ميورقة بشعل النار ، مما لم يمكنهم من تجميع صفوفهم والعودة ثانية إلى مهاجمة الأسوار إلا بعد ثلاثة أيام ، أي في ١٩ رمضان ٥٠٩ هـ = الموافق الخامس من شهر فبراير ١١١٦ م في يوم عيد القديسة أجيدا San Agueda . واستطاعت القوات الصليبية بعد عدة هجمات كاسحة متلاحقة استخدمت فيها المجانيق والرعادات والدبابات ، فتح ثلاث ثغرات في سور المدينة على مقربة من باب البحر تمكنوا عن طريقها من التسلل إلى داخل المدينة[4] .

---

(١) كان الباب الغربي لسور مدينة ميورقة يدعى في العهود الإسلامية باسم باب « بورتوبي » لمواجهته لثغر « بورتوبي » (ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص ٦٩) .
(٢) الملحق (٥) ، ص ٢٨٥ .
(٣) الملحق (٤) ، ص ٢٦٩ .
(٤) الملحق (٥) ، ص ٢٨٥ .

ويصف لورنثو الفيروني الخطة التي اتبعها الصليبيون لصدع أسوار المدينة وشلها قائلاً : « ويعمل البيزيون على ملء حفر الخنادق بقطع الخشب والحجارة وغصون الشجر حتى تستوي أرضها بأرض السهل وتقترب أبراج الحصار ، ويشتد هجوم البيزيين منها على أسوار المدينة حتى تمكنوا من صدعها وثلمها ، وفي ليلة الثاني من فبراير ١١١٦ م = ١٦ رمضان ٥٠٩ هـ ، أحرق البيزيون معسكرهم بأيدهم ، وبعد ذلك بثلاثة أيام في الخامس من شهر فبراير يوم عيد القديسة أجيدا San Agueda يقتحم المحاصرون الأسوار من ثلاث ثغرات فتحوها على مقربة من « باب البحر » ، ويمضي فريق منهم إزاء الأسوار حتى يقتلوا من عليها من المدافعين ، بينما يمضي فريق آخر يتقدمهم الفرسان إلى الميادين الواسعة »[١] .

تراجع القوات الصليبية مدحورة

اندفع الغزاة إلى داخل مدينة ميورقة بعد أن تمكنوا من فتح ثلاث ثغرات في أسوارها ، وسقطت في أيديهم أول قلعة حصينة مسورة من قلاع مدينة ميورقة الأربع الرئيسية التي كانت تدافع عن « باب البلد » أحد أبواب المدينة في ٢٠ رمضان ٥٠٩ = ٦ فبراير ١١١٦ م[٢] ، ولكن المقاومة الضارية والبطولة الخارقة لحامية مدينة ميورقة أجبرت الغزاة على التراجع بعد أن أوقعت في صفوفهم خسائر فادحة ، ويصف لورنثو الفيروني المقاومة الإسلامية الأسطورية للقوات الصليبية التي اقتحمت أسوار المدينة قائلاً : « ولكن المسلمين يمطرون الغزاة من المنازل بالحجارة والحراب القصيرة ، وهم يرون أنفسهم عاجزين عن استخدام سيوفهم ، فيضطرون إلى الانسحاب والتراجع إلى خارج المدينة ، ويقوم البرابرة (أي المسلمون)! بإحراق القنطرة التي أقامها البيزيون على الخندق ، ويحاول هؤلاء عبثاً إطفاء النيران ، ويصد المسلمون أيضاً الجنود البروفنساليين (من بروفانس جنوب فرنسا) الذين دخلوا المدينة من الثغرة الأولى المفتوحة في السور ، وتقع في صفوف هؤلاء الفرنسيين خسائر جسيمة ، ويفقد الجيش المسيحي الأمل في العودة لدخول المدينة ، ولكن آباء الكنيسة وقواد الجيش يحضون على استمرار القتال ، وتتكرر محاولات اقتحام المدينة من جديد عشر مرات متوالية ، إلا أنها تبوء كلها بالفشل . . »[٣] .

فيا لها من ملحمة بطولية أسطورية خالدة سجلت فيها حامية مدينة ميورقة الباسلة صحائف مجيدة بدماء شهدائها الأبرار ستظل صفحة مشرقة في تاريخ الكفاح الإسلامي المجيد ضد الغزاة عبر العصور .

(١) الملحق (٥) ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١١٨ . والملحق (٥) ص ٢٨٦ .
(٣) الملحق (٥) ، ص ٢٨٦ .

فشل آخر محاولة لعقد الصلح مع الغزاة

بالرغم من اخفاق القوات المؤتلفة في إحراز أي تقدم في حملاتها المتواصلة على أسوار مدينة ميورقة منذ أن تراجعت قواتها مدحورة بعد تسللها إلى داخل المدينة من ثلاث ثغرات في ٦ فبراير ١١١٦ م = ٢٠ رمضان ٥٠٩ هـ ، إلا أنها واصلت خططها بقوة وعنف ، « وتتكرر محاولات اقتحام المدينة من جديد عشر مرات متوالية ، إلا أنها تبوء بالفشل »[١] ، وقد أدت الخسائر الفادحة في صفوف القوات المؤتلفة أن ترتفع أصوات المطالبين بعقد الصلح ووضع حد لتلك الحرب الدموية التي لم تسفر عن أي نتيجة ، وكان على رأس المطالبين بقبول عقد الصلح الذي عرضه على الغزاة أمير البليار ، (قومس برشلونة وقومس أنبوريش وقومس البرتات وجيوم الفرنجي)[٢] .

وكانت الأنباء قد توالت على قومس (كونت) برشلونة بهجوم القوات المرابطية على إمارته ووصولها إلى مشارف برشلونة[٣] ، مما حفزه على قبول عقد الصلح الذي عرضه أمير البليار في وقت كانت تتعرض فيه القوات المؤتلفة إلى خسائر فادحة ، كما ذكرنا ، هذا بالإضافة إلى انعدام الثقة بين قيادات القوات الصليبية المؤتلفة ، فقد تبين لكونت برشلونة رامون برنجار الثالث بأن البيزيين ليسوا أكثر من حفنة جشعة من « أولئك التجار الإيطاليين الذين يصفهم التاريخ بالتعصب والانتهازية والأنانية والتكالب على جمع المال » ، مجردون من كل القيم الإنسانية بالرغم من ادعاءاتهم الكاذبة بأنهم حماة المسيحية ، التي اتخذوها ستاراً لإخفاء جشعهم ونهمهم الوحشي وتعطشهم لسفك الدماء[٤] . وتمكن قومس برشلونة بالتعاون مع القوامس الفرنجة من إقناع كبار قادة القوات الصليبية المؤتلفة بعقد مؤتمر لبحث شروط عقد الصلح التي عرضها أمير البليار ، وكان ذلك في ٢٢ فبراير ١١١٦ م = ٦ شوال ٥٠٩ هـ ، ويصف لورنثو الفيروني ما دار في ذلك الاجتماع وما أسفر عنه قائلاً ما يلي : « ويحتدم الجدل والخلاف بين من كانوا يرون الوصول إلى اتفاق مع العدو ، ومن كانوا مصممين على مواصلة القتال ، وكان رجال الدين ومعهم رئيس أساقفة بيزة من الدعاة إلى الحرب ومعهم معظم أفراد الجيش ، بينما كان قومس برشلونة وقومس أنبوريش وجيوم الفرنجي يودون الوصول إلى اتفاق سلمي ، بل إنهم حاولوا أن يثنوا رؤساء الكنيسة عن قرارهم بمواصلة الحرب بمختلف الطرق ، بالتوسلات الحارة وبعرض مقادير كبيرة من المال ، ولكن رجال الكنيسة يرفضون ويصدر القرار باستئناف الحرب ، فينسحب

(١) الملحق (٥) نفس الصفحة .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .
(٣) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١١١ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١١٧ .

قومس البرتات من ميدان المعركة معبراً عن امتعاضه . . »[1] .

وتصف المدونة اللاتينية فشل آخر محاولة لعقد الصلح بين أمير البليار وقادة الحملة الصليبية المؤتلفة بما يلي : « وكان من فضل الله وحسن توفيقه وإلهامه أن فشلت المفاوضات التي كان أمير برشلونة يحاول إجراءها مع ملك ميورقة المسلم من أجل توقيع معاهدة صلح . بينما كان كبير أساقفة بيزة والمندوب البابوي ومعهما رجال الكنيسة مشغولين بالإشراف على تنفيذ الخطط العسكرية ، وإذا بقومس برشلونة يفاوض مندوبي الملك المسلم على اتفاق سلام ، وحاول قومس برشلونة أن يقنع قواد الحملة من رجال الدين بمواصلة التفاوض ، وعندما كان يقرأ عليهم نصوص الاتفاق المبدئي وصل الفارس بدرو دي البيتون Pedro de Albiton وهو يصيح قائلاً : « إن المسيحيين قد فتحوا ثغرات واسعة في أسوار المدينة وأخذوا في اقتحامها . . »[2] .

اقتحام القوات الصليبية أسوار مدينة ميورقة وتحصيناتها

بينما كانت السفارة الأخيرة التي أرسلها أبو الربيع سليمان بن لبون Burabe تفاوض كبار القادة في المعسكر الصليبي ، استغل البيزيون هذه الفرصة التي توقفت فيها حامية مدينة ميورقة المجاهدة عن القتال بانتظار ما تسفر عنه المفاوضات من نتائج مرجوة ، واندفعوا نحو الأسوار مستخدمين كافة أنواع آلات الحصار ، واستطاعوا فتح عدة ثغرات في الأسوار ، وفشلت المفاوضات ، وهرع رجال الكنيسة المشتركون فيها إلى الخارج ومعهم القواد البيزيون لكي ينضموا إلى المقاتلين[3] .

ويصف لورنثو الفيروني اقتحام أسوار مدينة ميورقة بما يلي : « ويتوجه البيزيون إلى الثغرات المفتوحة في الأسوار ، وتنهال عليهم الحجارة مرتطمة بالتروس التي حملها الغزاة ، وأدت ضراوة المعركة إلى أن بعض الجبناء من جنود المسيحية ولوا الأدبار وجنحوا إلى الفرار ، غير أن نائب القومس (الفايكونت) أوجون Ugon تمكن من اقتحام المدينة من جديد ومعه عدد قليل من الرجال، ثم تبعه سائر الجيش ، وقد روى البيزيون بدمائهم طريق الفتح قبل أن يزيلوا الميورقيين المسلميْن عن مواقعهم التي كانوا يحمونها ببسالة فائقة . وامتلأت المعابد (الجوامع) بجثث القتلى ولجأ الناجون من القتل أو الأسر إلى حصن المدينة (قصبة المدينة) . . » ، « . . فيدخلونها ويحتمون بها ، وتجري أنهار الدم في المدينة ويستولي الغزاة على الأسوار والبيوت والمعابد (الجوامع) ويستخدمون وسائل جديدة للهجوم على الأحياء التي لا تزال تواصل المقاومة ، ويقرب البيزيون برجين من أبراج الحصار إلى جوار الباب المعروف

(١) الملحق (٥) ، ص ٢٨٧ .
(٢) الملحق (٤) ، ص ٢٦٩ .
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

باسم « الباب الجديد » Babalgedet وبرجين آخرين إلى جوار أسوار المدينة Almudaina « قصبة المدينة » فضلاً عن منجنيق أقبلوا يدكون به أسوار القصبة التي تعلوها الأبراج ويمتلىء الخندق بجثث المحاربين . . » . وفي ذلك اليوم المشئوم في السادس من شوال ٥٠٩ هـ = ٢٢ فبراير ١١١٦ م تسقط معظم تحصينات مدينة ميورقة الأمامية في أيدي الغزاة الذين يستولون على الأسوار الخارجية ويستعيدون القلعة المحصنة الأولى التي تراجعوا عنها في ٢٠ رمضان ٥٠٩ هـ = السادس من شهر فبراير ١١١٦ م التي كانت تحمي القوات المدافعة عن السور الخارجي ، ويستولون على القلعة المحصنة الثانية التي كانت تشرف على حماية التحصينات الداخلية لمدينة ميورقة ما بين الأسوار الخارجية وأسوار القصبة « المدينة »[1] .

ويصف صاحب المدونة اللاتينية البيزية المذبحة المروعة التي أوقعها الغزاة البرابرة بحامية مدينة ميورقة الإسلامية بتبجح وقح وتمسح كاذب بالمسيحية ، ويكرر الادعاء الباطل بأن الهدف من هذه الحملة الصليبية هو انقاذ الأسرى النصارى من سجون ميورقة قائلاً : « ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ، وما كان يسمح أن تستمر معاناة الأسرى المسيحيين في سجون ميورقة ، ولهذا فقد قوى عزائم المسيحيين البيزيين الشجعان ، وقوى عزيمتهم في المعركة الدائرة حتى سقطت تحصينات المدينة الأمامية كلها في أيديهم في عيد أمير حواريِّي المسيح في ٨ شوال ٥٠٩ هـ = ٢٢ فبراير ١١١٦ م ، **بعد أن ذبحوا آلافاً عديدة من المسلمين رجالاً ونساء** ، واستولوا على مقادير كبيرة من الغنائم والكنوز التي كان المسلمون يحتفظون بها في المدينة ، وبعد أن تم توزيع الغنائم والأسلاب بين المشتركين في القتال ، استدل البيزيون على سجون أسرى المسيحيين ، ففكوا قيودهم وأطلقوا سراحهم ، وهم يبكون بدموع غزيرة ابتهاجاً وفرحاً بنصر الله . . »[2] .

ويصف الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني ما قام به الغزاة من أعمال السلب والنهب ولم ينس بطبيعة الحال أن يغلف الدافع الرئيسي للحملة بذكر إطلاق سراح الأسرى من سجون مدينة ميورقة وما قام به قومس البرتات من بسط حمايته على يهود مدينة ميورقة . ومما لا شك فيه أن دوافع قومس البرتات لم تكن إنسانية ، وإنما كان الدافع إلى ذلك هو طمعه في أموالهم ، وربما لما قدموه من خدمات للقوات الغازية ، ويقول ما يلي بهذا الصدد : « . . وبسط قومس البرتات حمايته على من كان بميورقة من اليهود ، وانطلق الغزاة إلى سجون المدينة مطلقين سراح من كان فيها من المسيحيين وناهبين ما وجدوه في بيوت العاصمة وقصورها من ذهب وفضة وأحجار كريمة ، وخلع ثمينة من رفيع النسيج من كتان وأرجوان وديباج . . »[3] .

(١) الملحق (٤) ، ص ٢٧٠ .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) الملحق (٥) ص ٢٨٧ .

يتضح من النص الآنف الذكر ما سبق وذكرناه، بأن الدافع الرئيسي لهجوم القوات الصليبية المؤتلفة على جزر البليار هو بالدرجة الأولى من أجل القضاء على خصم تجاري قوي، والاستحواذ على ثروات هذه الجزر الغنية التي اشتهرت بمنتجاتها الزراعية بقدر ما اشتهرت بمنتوجاتها الصناعية من مختلف أنواع المنسوجات الدقيقة الثمينة والمصنوعات المعدنية الدقيقة والتحف العاجية والصناعات الجلدية وصناعة الورق والحلى الذهبية والبلاتينية والفضية[1].

اقتحام القوات الصليبية لأسوار القصبة وارتكاب أبشع المجازر الوحشية

بعد أن أجهزت القوات الصليبية على جميع من وقع في أيديهم من أهل مدينة ميورقة في القسمين الأول والثاني من هذه المدينة الفائقة الحصانة بوحشية غريبة نددت بها حتى المصادر المسيحية المعتدلة[2]، وقاموا بتوزيع الغنائم والأسلاب بين المشتركين في القتال، تقدموا نحو « مدينة ميورقة الثالثة »[3]، وهي قصبة مدينة ميورقة المحصنة والتي كان يطلق عليها اسم « حصن المدينة » (بضم الميم وفتح الدال) وفرضوا الحصار على هذه القصبة ذات التحصينات الهائلة وأخذوا في دك أسوارها بمختلف آلات الحصار عشرة أيام متواصلة[4].

وتصف المدونة اللاتينية البيزية اقتحام الغزاة لأسوار القصبة « ميورقة الثالثة » بما يلي: « .. وبعد أن هدأ انفجار الفرحة بهذا النصر العظيم وأطلق سراح جميع الأسرى المسيحيين - وكان هذا هو الهدف الرئيسي!، تقدم البيزيون إلى مدينة ميورقة الثالثة التي كانت فيما مضى مقراً للملك المرتضى، وقد تم فتح ثغرة في السور وكسرت أبوابه الحديدية واستولى المحاصرون على معقل المدينة تماماً في يوم ١٨ شوال ٥٠٩ هـ = الرابع من مارس ١١١٦ م. وفي المدينة أسرت أخت المرتضى المذكور ومعها عدد من أبنائها وبناتها وأحفادها، كما حصل البيزيون على مقادير هائلة من الذهب والفضة وأنواع النسيج الفاخر الغالي الثمن.. ». ويضيف صاحب المدونة اللاتينية إلى النص الآنف الذكر الفقرة الغامضة التالية والتي يقول فيها: « على أنه لما كانت تلك السيدة (أي أخت المرتضى) بشهادة الأسرى أنفسهم امرأة فاضلة رحيمة طالما عاملت الأسرى برفق، وخففت عنهم آلام الأسر، فقد أطلق البيزيون سراحها هي وأفراد أسرتها، ولم يبق من هذه الأسرة في ميورقة إلاّ ابنة لهذه السيدة، أصبحت الملكة بعد ذلك، أما

(١) سنذكر في الفصول الأخيرة من هذا البحث مختلف نواحي الحضارة في جزر البليار بالتفصيل.

(٢) خوري انطونيو كوندي = مج ٢، ص ٣٤٦، حاشية ١٣، ص ١١٨ من كتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار.

يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٤٢.

(٣) الملحق (٤) ص ٢٧٠.

(٤) الملحق (٤) ص ٢٧٠، والملحق (٥)، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

أخت المرتضى فقد آثرت الهجرة من ميورقة ورافقت الجيش البيزي، وانتقلت معهم إلى بلدهم بيزة، وهناك تركت ديانتها الوثنية هي وابنها الأصغر.. »[1]. وإن صحت هذه الرواية الآنفة الذكر فلا نجد لها تفسيراً سوى أن أخت المرتضى لم تجد وسيلة لإنقاذ أبنائها وبناتها وأحفادها من القتل على أيدي برابرة القوات الصليبية المؤتلفة، سوى إشباع نهمهم وجشعهم إلى الذهب والتحف الثمينة والمنسوجات الفاخرة، وقدمت لهم منها مقادير كبيرة وعرضت عليهم تقديم ما في قصرها من خبايا، ولا شك أنه كان من بين هؤلاء جماعة من تجار بيزة، الذين كانوا يشرفون على حكم تلك الجمهورية الإيطالية بالتعاون مع رجال الكنيسة الذين وجدوا في الإبقاء على حياة أخت أمير البليار الأسبق عبدالله المرتضى استثماراً يضمنون من ورائه الثروات الطائلة، وربما أسهم بعض خدم القصر وعبيده، ممن أسرهم غزاة البحر من بيزة، في عهود سابقة في التوسط لسبدتهم لدى هؤلاء التجار البيزيين، فاتخذوا ذلك ذريعة بحسن معاملتها للأسرى. أما حكاية بقاء إحدى بنات هذه السيدة في ميورقة، وأنها أصبحت الملكة فهو حديث خرافة، وأما بالنسبة لادعاء المؤرخ بأن أخت المرتضى، رافقت الجيش البيزي برغبتها هي وابنها الأصغر، فهي رواية مشكوك في صحتها، فلا يمكن لأي مسلمة أن ترافق جيشاً غازياً، دمّر بلدها وقضى على أهلها إلاّ مكرهة « مع بقية الأسرى الذين أخذهم البيزيون معهم إلى بيزة »، وربما أخذوها مع الأسرى للمباهاة بأنهم أسروا أخت المرتضى، بعد أن استولوا على كل ما كان بحيازتها من أموال ومقتنيات ثمينة، لعرضها في مواكب النصر في شوارع بيزة، مع بقية كبار الأسرى[2].

ويصف لورنثو الفيروني اقتحام أسوار القصبة والاستيلاء عليها قائلاً ما يلي: « فرض البيزيون الحصار على حصن المدينة، وشرعوا في ثلم أسوارها، فطلب المعتصمون الهدنة ولكن الغزاة يقتحمون الحصن من الثغرات التي فتحوها في الأسوار، ولم يكادوا يستولون على أحد أبراج الحصن، حتى رفعوا عليه رايتهم وهرب المسلمون إلى القلعة الرابعة التي تحمي القصر الملكي.. »[3]. وهكذا تمكنت القوات المؤتلفة من الاستيلاء على القصبة « مدينة ميورقة الثالثة » وقلعتها الهائلة « حصن المدينة » في ١٨ شوال ٥٠٩ هـ = الموافق السادس من شهر مارس ١١١٦ م، واعتصمت بقية حامية مدينة ميورقة في القلعة الكبرى التي كانت تشرف على حماية القصر الملكي، وهي القلعة الكبرى الرابعة في تحصينات مدينة ميورقة الهائلة[4].

استيلاء القوات الصليبية على القلعة الرابعة وأبراجها

بعد ملحمة من الملاحم الخالدة في تاريخ الكفاح الإسلامي المجيد ضد الغزاة، والبطولة

(١) الملحق « ٤ »، ص ٢٧٠.

(٢) دائرة المعارف البريطانية، ج ١٧، ص ٩٥٥ لسنة ١٩٦٢.

(٣) الملحق « ٥ »، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٤) تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٩، الملحق « ٥ »، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

الأسطورية النادرة، اضطرت حامية مدينة ميورقة الباسلة التي فقدت معظم مقاتليها إلى الاعتصام في قلعة القصر الملكي الكبرى وهي القلعة الرابعة في تحصينات مدينة ميورقة الإسلامية، ومن هذه القلعة ذات التحصينات الهائلة، ومن أبراجها الشامخة واصل الميورقيون الأشداء التصدي بشجاعة خارقة ضد حشود البرابرة الذين أسكرهم النصر، فازدادوا تعطشاً لسفك المزيد من الدماء دون أي رادع يردعهم سوى قذائف المقاتلين البواسل التي كانت تنهال عليهم من كل جهة من القلعة الملكية وأبراجها، فلقد تجرد أولئك البرابرة من كل شرف، ومن كل القيم الإنسانية، وتحولوا إلى وحوش ضارية مسعورة متعطشة إلى الدماء، ولا يتورعون عن الاعتراف بما سبق ذكره! يقول صاحب المدونة اللاتينية البيزية في وصف استيلاء القوات الصليبية على القلعة الرابعة ما يلي: «أما القلعة الرابعة التي كانت مبنية على مقربة من السدة الملكية المعروفة باسم «القصر» Alcazar، فقد استولى عليها البيزيون في يوم ٢٣ شوال ٥٠٩ هـ ١٠ مارس ١١١٦ م، وكان قد بقي فيها برجان لا يزال بعض المقاتلين المسلمين معتصمين بهما، مواصلين المقاومة بشجاعة نادرة. ولما استعصى عليهم اقتحام البرجين عملوا أخيراً على إضرام النار فيهما واستطاعوا أن يستولوا على أحدهما، أما الآخر، فقد صعد إليه أحد الأبطال البيزيين على سلم من الحبال بمساعدة مسيحي أخر، وقد تمكن من النفاذ إلى داخله، واستطاع هذا الرجل الشجاع أن يقتل وحده خمسة من المسلمين تحت أنظار الجيش المحاصر وإعجابه. وتم الاستيلاء على هذا البرج الثاني في ٣ ذي القعدة ٥٠٩ هـ= ١٩ مارس ١١١٦ م[1]. ونلاحظ مدى التناقض العجيب في هذا النص، فبينما يعترف صاحب المدونة اللاتينية مرغماً بمقاومة حامية القلعة الرابعة وأبراجها «بشجاعة نادرة»، يعود ثانية إلى تلفيق الأكاذيب وادعاء البطولات الوهمية. أما المؤرخ الشاعر لورنثو الفيروني، فإنه يصف كيفية استيلاء الغزاة على قلعة مدينة ميورقة الرابعة «قلعة القصر الملكي» بما يلي: «بعد استيلاء الغزاة على القصبة «حصن المدينة» اعتصم المسلمون في القلعة الكبرى التي تحمي القصر الملكي، ويقرب البيزيون برجي الحصار ويشرعون في تدمير الأسوار المحيطة بالقلعة، ويعود بعض المسلمين إلى طلب الأمان فلا يلقون جواباً لا بالإيجاب ولا بالنفي، ويسقط جانب من السور، فيلجأ البرابرة (المسلمون) إلى داخل القلعة المنيعة التي لا مثيل في حصانتها، والتي تحيط بها سبعة أبراج ضخمة، ويتقدم البيزيون بأبراج الحصار وبالدبابة، ويواصلون الهجوم، حتى يسقط ركن من القلعة في أيديهم، وينسحب المسلمون المكلفون بحمايته، ثم يسقط ركن آخر بعد مصرع من كانوا يحمونه من المسلمين، ويبقى برج حصين يعرف المحاصرون أنه لن يقدّر لهم الاستيلاء عليه إلا بسفك دماء كثيرة، فيحيط به الجيش البيزي بأكمله..»[2].

(١) الملحق «٤»، ص ٢٧١.
(٢) الملحق «٥»، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

ويواصل محاصرته وقذفه بشتى آلات الحصار، حتى تفنى حاميته، وتسقط القلعة الرابعة بأكملها في أيدي الغزاة في ٣ ذي القعدة ٥٠٩ هـ= ١٩ مارس ١١١٦ م[1].

وقوع أبي الربيع سليمان بن لبون أمير البليار في الأسر

ظل أبو الربيع سليمان بن لبون أمير البليار الذي خلف مبشر بن سليمان ناصر الدولة بعد وفاته، ينتظر قدوم الأسطول المرابطي لإنقاذ مدينة ميورقة المهددة بالسقوط ولكن دون جدوى، وكان مبشر ناصر الدولة[2] قد كتب أثناء الحصار إلى أمير المسلمين (علي بن يوسف بن تاشفين) يستصرخه ويستنصره كما ذكرنا، وأرسل كتابه مع أبي عبدالله بن ميمون القائد البحري المرابطي الشهير، الذي تمكن من الإفلات من مطاردة السفن الصليبية، «ووصل بالكتاب إلى أمير المسلمين، فأمر في الحين بتعمير ثلاثمائة قطعة وأن تلقى بعد شهر دفعة، فامتثل أمره في ذلك واندفعت بجملتها من هنالك..»[3]. ولكن الأسطول المرابطي تأخر في الوصول إلى مدينة ميورقة المهددة بالسقوط بالرغم من صدور الأوامر إلى دور الصناعة المرابطية من أمير المسلمين علي بن تاشفين «بتعمير ثلاثمائة قطعة وأن تلقى بعد شهر دفعة واحدة»، كما يذكر ابن الكردبوس في نصه الآنف الذكر، ولكن الأسطول المرابطي لم يصل إلا بعد سقوط مدينة ميورقة سقوطاً كاملاً في أيدي الغزاة[4]، لأسباب نجهلها حتى الآن، وقد اضطر أبو الربيع سليمان بن لبون بسبب تأخر وصول الامدادات المرابطية المنتظرة أن يقدم على مغامرة لم تكن محمودة العواقب، بعد أن سقطت القلعة الكبرى التي كانت تحمي القصر الملكي «القلعة الرابعة»، بعد انهيار أسوارها وعدة أبراج من أبراجها السبعة، في ٢٣ شوال ٥٠٩ هـ= ١٠ مارس ١١١٦ م، وتعرض بقية الأبراج إلى رمي متواصل بمختلف آلات الحصار، مما أدى إلى سقوطها في ٣ ذي القعدة ٥٠٩ هـ= ١٩ مارس ١١١٦ م رأى الملك الجديد Burabe (أبو الربيع سليمان بن لبون) أنه لم يبق في يده إلا قصر الإمارة، وأنه لن يكون في

(١) تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٩.
(٢) يدعي الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني بأن الذي أرسل المركب للاستنجاد بالمرابطين هو أبو الربيع بن سليمان، وكان ذلك في ٢٣ شعبان ٥٠٩ هـ= ٨ يناير ١١١٦ م.
الملحق «٥»، ص ٢٨٥.
(٣) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣.
ود. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٥٩.
(٤) ابن الكردبوس: جزء من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣.
وابن القطان: جزء من نظم الجمان، ص ٢٠.
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥ وج ٦، ص ٣٨٧ وحاشية (٢).
والحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧.

مقدوره مقاومة هذا الاجتياح المسيحي . .[(١)] ، ولم يجد أمامه بدًّا من الإقدام على مغامرة محفوفة بالمخاطر « وحاول أن يغادر جزيرة ميورقة مع بعض صحبه في مركب صغير ، ليسعى إلى طلب النجدة ، فأسره النصارى »[(٢)] . وتحاول المصادر اللاتينية المغرضة تصوير أبي الربيع بالهارب من المعركة ، ويقول صاحب المدونة اللاتينية البيزية بهذا الصدد : وبعد سقوط آخر الأبراج في قلعة القصر الملكي الكبرى « القلعة الرابعة » في ٣ ذي القعدة ٥٠٩ هـ = ١٩ مارس ١١١٦ م . . « كان ملك ميورقة ناصر الدولة Nazaradeolo قد توفي ، فانتخب أهل ميورقة ملكاً عليهم خلفاً له رجلاً يدعى Burabe (أبا الربيع سليمان ابن لبون) ، وقد رأى الملك الجديد أنه لم يبق في يده بعد الفتح البيزي الا قصر الإمارة ، وأنه لن يكون في مقدوره مقاومة هذا الاجتياح المسيحي ، فاستقر عزمه على الهرب بطريق البحر مع عدد من أعوانه ، بعد أن جمع ما خف حمله من كنوز وذخائر ، إلا أنه لم يكد يضع قدمه في المركب الصغير الذي أراد أن يتخذه مطية للهرب ، حتى قبض عليه وكبل بالإغلال . . »[(٣)] .

ويصف الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني محاولة أبي الربيع سليمان مغادرة جزيرة ميورقة بما يلي : « ويحاول الملك الميورقي الجديد الهرب من المدينة ، ومعه سبعة من كبار أعوانه ، ولكن القومس دودون الذي كان يحرس الميناء يقبض عليه ويحمله إلى المعسكر » . ويضيف إلى نصه الآنف الذكر نصاً غريباً يقول فيه « وينتخب الشعب الميورقي المسلم بعده القائد « النتي » Alante ملكاً عليهم ، غير أن هذا يوفق إلى حيلة غريبة للهرب وهي أنه نفخ قربتين بالهواء واستطاع بمعونتهما أن يقفز من السور ويهرب من ميورقة عن طريق البحر . . »[(٤)] . ولقد أنصف ابن الكردبوس أبا الربيع سليمان بن لبون ، مؤكداً بأنه بذل جهده في الدفاع عن عاصمة بلاده ، وأنه غامر بحياته وغادر الجزيرة في ظروف قاهرة ليطلب النجدة العاجلة من المرابطين ، عندما لم يبق سوى قصر الإمارة في يده ، وكان مهدداً بالسقوط ، فوقع أسيراً مع صحبه في يد الأعداء الذين كانوا يحدقون إحداقاً تاماً بمدينة ميورقة براً وبحراً .

ويقول ابن الكردبوس في هذا الصدد ، وبعد وفاة مبشر بن سليمان ناصر الدولة : « . . قام

(١) الملحق « ٤ » ، ص ٢٧١ ، الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٨ .
(٢) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٢ .
(٣) الملحق « ٤ » ، ص ٢٧١ .
(٤) الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٨ .
لا يوجد في النصوص الإسلامية أي إشارة إلى انتخاب أمير لجزر البليار بعد أسر أبي الربيع سليمان بن لبون ، فبعد أسره بحوالي أسبوعين فقط انهار قصر الإمارة آخر حصون مدينة ميورقة ، وربما يكون النتي Alante اسماً مصحفاً للقائد الذي تولى الدفاع عن قصر الإمارة ، أما حكاية هربه الطريفة التي أتبعها فهي من تخيلات الشاعر .

بالأمر من بعده قريبه القائد أبو الربيع سليمان بن لبون ، فحمى جهده حتى غلب عليه العدو وتملك البلد . . »[(١)] .

سقوط قصر الإمارة آخر معاقل مدينة ميورقة

يقول صاحب المدونة اللاتينية بهذا الصدد ما يلي : « وما إن أعلن خبر أسر ملك ميورقة المسلم حتى خرج أفراد الجيش المسيحي ، وقد أسكرهم الفرح متوجهين إلى قصر الإمارة ، وكان يحيط به خنادق عريضة ، وتقوم على أركانه قلاع هائلة ذات أبراج عالية واشتد القتال حول القصر ، غير أن المسيحيين استطاعوا أن يمدوا من أبراج الحصار الخشبية قناطر تصل إلى أسوار القصر ، وعلى هذه القناطر اجتاز الجنود إلى داخل القصر **فقتلوا عدداً كبيراً من الجنود المسلمين الذين كانوا يواصلون المقاومة فيه وألقوا بآخرين من أعلى السور إلى قيعان الخنادق السحيقة** ، ورفعوا في أعلاه راية بيزة المنتصرة وهتفوا شاكرين الله على ما يسّره لهم من فتح كبير ، وقد تم هذا الانتصار العظيم في يوم ١٨ ذي القعدة ٥٠٩ هـ = ٣ ابريل ١١١٦ م[(٢)] » .

ويصف الشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني كيفية اقتحام تحصينات قصر الإمارة وخنادقه وأبراجه بما يلي : « واصل البيزيون دك أسوار القصر ، وقاموا بملء الخنادق بالحجارة والأغصان ، وبعد جهود مضنية تمكنوا من ثقب الأسوار السميكة ، هذا بينما كان المسلمون المحاصرون يلقون بشعل النار من فوق الأسوار على الأبراج الخشبية . . »[(٣)] .

ويتابع لورنثو الفيروني وصفه لاقتحام القوات الصليبية لقصر الإمارة ، ويبرز دور قوات بيزة كعادته قائلاً ما يلي : « . . وكان البيزيون دائبين في إطفاء النار التي أحرقت الأبراج الخشبية عدة مرات ، وقاموا بقذف خطاطيف قوية على قمم الأبراج ، ثم عملوا على شدها بالحبال حتى هدموا كثيراً منها ، واشتعلت الحرائق بعد ذلك بأيام داخل تحصينات قصر الإمارة ، ودل على ذلك الدخان الكثيف الذي كان ينبعث منها ، واضطر المحاصرون إلى الانسحاب حتى تخمد الحرائق . . »[(٤)] .

بربرية الغزاة ووحشيتهم

تدمير مدينة ميورقة والقضاء على معظم سكانها

لقد أوقع البيزيون البرابرة وحلفاؤهم الفرنجة والقطلان بحامية قصر الإمارة ، ومن اعتصم

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء / تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٣ . ومحمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢١٢ .
(٢) الملحق « ٤ » ، ص ٢٧٢ .
(٣) الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .
(٤) الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٩ .

به ، ممن بقي حياً من أهل مدينة ميورقة مجزرة وحشية لا تقل عنفاً وضراوة عن مجازرهم السابقة في بقية أنحاء المدينة ، والتي ستظل وصمة عار في تاريخهم الملطخ بالدماء . وبالرغم من ذلك لم يتورع صاحب المدونة اللاتينية والشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني عن التباهي بهذه الأعمال الإجرامية ، وإضفاء هالة المجد الزائف على القتلة واللصوص وقطاع الطرق ، بأسلوب وقح يثير الاشمئزاز ويبعث على الغثيان . ويتجلى ما ذكرناه بوضوح فيما ذكره صاحب المدونة اللاتينية عن اقتحام قصر الإمارة ، الذي يقول فيه ما يلي : « **وفي القصر وجد المنتصرون عدداً من الأمراء والأميرات ، فقتلوا عدداً منهم ذبحاً ، وألقوا بآخرين من نوافذ القصر ، وأخذوا الباقين أسرى مصفدين بالأغلال** ، وأما الغنائم والذخائر من الذهب والفضة والتحف الجليلة والخلع الفاخرة ، فإنها كانت تجل عن الحصر ، ولكن كثيراً من هذه التحف والذخائر ذهبت في الحرائق نتيجة لإهمال الحراس.. وهكذا تم تدمير القصر الملكي ، وسحق كل تحصينات ميورقة واستحكاماتها ، ونصب البيزيون معسكرهم في بسيط المدينة ، واشتغلوا بتوزيع ما حازوه من غنائم ثمينة ، بعد أن احتجزوا لكنيسة بيزة قدراً كبيراً من الهدايا من النسيج الرفيع والخلع الفاخرة ، وأكواب الفضة والعاج والبللور ، وغير ذلك من أفخم ضروب الأثاث الملكي . . »[1] .

ويصف لورنثو الفيروني اقتحام الغزاة لقصر الإمارة بعد أن خمدت الحرائق ، « . . وخرج ساتشي Sachi[2] بعد ذلك من داخل القصر ، ومعه جنديان ، وإلى جواره أطفاله ، وحاول أن يرشو بعض البيزيين حتى يمكّنوه من الهرب ، ويخرج المسلمون وقد حملوا معهم كل ذخائرهم ، وهم يهددون بإلقاء أنفسهم في النيران بكل ما يملكون إذا لم يسمح لهم بالخروج آمنين إلى حيث شاؤوا . »[3] .

ويتابع لورنثو الفيروني وصفه لاقتحام الغزاة لقصر الإمارة قائلاً : « وبنى البيزيون قنطرتين كبيرتين ، ليجوزوا عليهما إلى داخل القصر الملكي ، ويشتد قتال بقية المسلمين في كل مكان ، ولكن البيزيين يسحقونهم سحقاً ، وتمكن الغزاة من اقتحام القلعة عنوة ، ويهرب بعض المسلمين عن طريق سلالم من الحبال ، ويقاتل آخرون بضراوة قبل أن يسقطوا قتلى ، ويعمل البيزيون على هدم الأسوار والمباني بعد نهبها ، وتأتي النيران على السقوف والبيوت المصنوعة من الخشب[4] » .

وبعد هذه الأعمال البربرية الموغلة في الوحشية يتبجّح صاحب المدونة البيزية قائلاً : « وهكذا تم تدمير القصر الملكي ، وسحق كل تحصينات ميورقة واستحكاماتها ، ونصب البيزيون

(١) ملحق « ٤ » ، ص ٢٧٢ .
(٢) لا يوجد في المصادر الإسلامية ما يمكننا من تبيّن حقيقة هذا الاسم أو حقيقة الخبر نفسه .
(٣) الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٩ .
(٤) المصدر السابق .

معسكرهم في بسيط المدينة ، واشتغلوا بتوزيع ما حازوه من غنائم ثمينة ، بعد أن احتجزوا لكنيسة بيزة قدراً كبيراً من الهدايا من النسيج الرفيع ، والخلع الفاخرة ، وأكواب الفضة والعاج والبللور ، وغير ذلك من أفخم ضروب الأثاث الملكي »[1] .

ولم ينج من القتل والأسر من أهل مدينة ميورقة إلّا من تمكن من الهرب إلى الجبال المحيطة بالمدينة[2] . وبعد أن استصفى الغزاة ثروات مدينة ميورقة دمروا ما تبقى منها وأحرقوها ، وأصبحت هذه المدينة أكواماً من الركام « محترقة سوداء مظلمة منطبقة »[3] . وعاثوا فساداً في بقية أرجاء جزيرة ميورقة . ويصف لورنثو الفيروني الفاجعة التي حلّت بأهل هذه الجزر قائلاً : « وينتشر القتل في سائر أنحاء جزيرة ميورقة ، ويعتبر الغزاة كل ساكنيها من رجال ونساء أسرى حرب ، ويستولون على عدد هائل من قطعان الماشية من أبقار وثيران وضأن إلى جانب الغنائم الكثيرة . . »[4] . وبعد عودة الغزاة من غاراتهم في شتى أرجاء جزيرة ميورقة إلى معسكرهم في بسيط مدينة ميورقة مع غنائمهم وأسراهم حلّ عيد الفصح ، وكان احتفالهم به باهراً نظراً « لما حققه الجيش المسيحي المظفر من نصر مؤزر بفضل شفاعة القديسين ، وبركات الحبر الأعظم البابا باسكال الثاني » كما يقول صاحب المدونة البيزية ، وكانت بداية الاحتفالات بهذه المناسبة في الحادي والعشرين من ذي القعدة ٥٠٩ هـ = الموافق السادس من ابريل ١١١٦ م[5] . وحتى هذا التاريخ لم يصل الأسطول المرابطي إلى جزر البليار المستباحة بالرغم من مضي قرابة الأربعة شهور على استنجاد أمير البليار بالمرابطين ، منذ أوائل شعبان ٥٠٩ هـ = مطلع يناير ١١١٦ م[6] . مما عمّق الفاجعة في نفوس المسلمين في بلاد الأندلس والمغرب الذين كانوا يتابعون الملحمة الدامية في البليار ، ونفوسهم تتمزق أسى وحسرة ، كما هزّ ضمائر الأدباء والشعراء ، الذين قاموا بمناشدة كبار المرابطين التوسط لدى أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين الإسراع في إنقاذ البليار من براثن الغزاة[7] .

فاجعة ميورقة في المصادر الإسلامية

بالرغم من إغفال المصادر الإسلامية للمعارك الدامية التي دارت رحاها في جزيرة ميورقة

(١) الملحق « ٤ » ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .
(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٤ .
والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .
(٣) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .
(٤) الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٩ .
(٥) الملحق « ٤ » ، ص ٢٧٣ .
(٦) الملحق « ٥ » ، ص ٢٨٥ .
(٧) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

بين قوات الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى وحاميات الجزيرة ، إلّا أنها أشارت بوضوح إلى دور البيزيين البارز في الاستيلاء على جزيرة ميورقة[١] ، الذين يصفهم الزهري « بالخيانة والشؤم والشدّة والبأس . . ، وبأنهم أقدر الناس على عمل المنجنيقات والأبراج وقتال المراكب والرمي بالنفط . . »[٢] . كما تنبهت مصادرنا الإسلامية إلى إسناد البيزيين الرياسة الشرفية للحملة الصليبية على البليار ، وحمل الراية البابوية ، إلى أمير قطلونية رامون برنجار الثالث ، عقب توقيع اتفاقية سان فيلودي جيشولز معه ، وانضمام قوات قطلونية بمقتضاها للقوات الصليبية منذ أوائل ربيع الثاني ٥٠٨ هـ = ٩ سبتمبر ١١١٤ م[٣] . ويصف الحميري المجزرة الوحشية الدامية التي أوقعها الغزاة بأهل مدينة ميورقة بعد اقتحامها بقيادة رامون برنجار الثالث أمير قطلونية قائلاً : « وتغلّب عليها العدو البرشلوني وخرّبها وهي المرة الأولى ، ودخل المدينة فلم يجد سوى العيال والأطفال والشيخ الفاني فأحال السيف عليهم »[٤] . ويذكر ابن خلدون بهذا الصدد ما يلي عند حديثه عن مبشر بن سليمان ناصر الدولة أمير البليار « ولم يزل يردد الغزو إلى أرض العدو ، إلى أن جمع طاغية برشلونة (رامون برنجار الثالث) الجموع ونازله بميورقة عشرة شهور ، ثم افتتحها واستباحها »[٥] . ويذكر القلقشندي نص ابن خلدون الآنف الذكر بالحرف الواحد[٦] . ويصف ابن عذاري دخول الغزاة إلى مدينة ميورقة عنوة ، والمجزرة الدامية التي أوقعها الغزاة البرابرة بسكان المدينة بعد اقتحامها قائلاً : « . . وقتلوا رجالها ، وسبوا ذراريها ونساءها بعد حصار شديد »[٧] . ويذكر ابن القطان رواية مماثلة عن دخول القوات الصليبية إلى مدينة ميورقة عنوة « . . وقتلهم من فيها وسبيهم أهلها ، واحتواؤهم على جميع ما فيها بعد حصار شديد »[٨] . ويصف ابن الكردبوس فاجعة مدينة ميورقة وما تعرض له أهلها من نكبات ، وما أصابها من دمار بعد دفاع بطولي مجيد ، بقيادة أميرها مبشر بن سليمان ناصر الدولة وخليفته بعد وفاته أثناء الحصار ، أبو الربيع سليمان بن لبون ، ويشير إلى إبادة معظم سكان المدينة وأسر البقية ، إلّا من تمكن من الفرار إلى الجبال المحيطة . ثم يذكر حرق الغزاة لعاصمة البليار ، ويصف ما حاق بها بعد حرقها قائلاً : « فلما وصل الأسطول (المرابطي) وجد المدينة خاوية على عروشها محترقة سوداء مظلمة منطبقة »[٩] .

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .
(٢) الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٧٨ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٥ .
(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٦) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .
(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
(٨) ابن القطان : جزء من نظم الجمان ، ص ٢٠ .
(٩) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

وقد أثار تأخر وصول الأسطول المرابطي إلى جزر البليار بالرغم من نداءات الاستغاثة بالمرابطين[١] ، نقمة عارمة في نفوس المسلمين في بلاد الأندلس والمغرب ، وعمّ الحزن والأسى في ثغور الأندلس الشرقية المجاورة لجزر البليار لتواتر الأنباء وتواصلها بما كان يتعرض له أهل هذه الجزر من مجازر دموية ، مما حفز الكاتب الأديب أبو جعفر أحمد بن عطية الطرطوشي الأصل الداني المنشأة ، ومن كبار كتاب الدولة المرابطية[٢] بكتابة رسالة إلى « أحد زعماء الدولة المرابطية » يناشده فيها التوسط لدى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من أجل الإسراع في انقاذ مسلمي البليار من المجزرة الدامية التي كانوا يتعرضون لها على أيدي الغزاة ، ويقول الفتح بن خاقان تمهيداً للرسالة المشار إليها ما يلي : « ولما تغلّب العدو على ميورقة كبته الله وجبرها ، وتحققت الكافة خبرها ، خاطب الفقيه (أبو جعفر أحمد بن عطية) أحد زعماء الدولة (المرابطية) وأدرج طيّ خطابه هذه المدرجة والشعر الموصول بها »[٣] ، ثم يذكر الفتح بن خاقان الذي زار ميورقة قبل العدوان الصليبي ، ووصف معالمها الجميلة ، ومدح أميرها مبشر بن سليمان ناصر الدولة الذي أحسن لقياه وأكرمه وآواه[٤] ، نصّ هذه الرسالة التي يقول فيها : « واني أقرّ الله عينك لأتردّد وقد قصّر عن تململي السليم ، والتجلّد وفي نفسي المقعد المقيم ، بهذا الصادم الهادم ، والنبأ القاصم ، الذي أطفأ نور الحياة وأخباه ، وأوجب أن ينادي كل مؤمن وأحرّ قلباه! أمر ميورقة! رأب الله بصرفها صدع الجزيرة ، وجبر بجبرها من جناح الإسلام كسيرة ، وثقف بغوث دمائها اضطراب مناده ، وأعاد بتلافيها ما غيض من نصره ومن إجلاده . فيالله! لما كان فيها من إعلان توحيده عاد همساً ، ويوم إيمان آض أمسا ، وبارقة كفر طلعت شمساً ، وصباح شرع أظلم بداجي الشرك وأمسى ، ونجوم أصبح حرمها منتهباً ، وفرقتها بيد المغلبة أيدي سبا ، وبمخفرات ، أدال السباء صباها ، ولأوجه عفّر منهم القتل سواعد وجباها ومزقهم السيف كل ممزّق . فللهِ أرحام هناك تشقق! رحمهم الله ماتوا كراماً ، ولقاهم نظرة وسروراً وسلاماً ، وختم لنا بعدهم بأحمد الخواتم ، وأسندنا من أمره إلى عاصم » ويختتم هذه الرسالة بمقطوعة شعرية مطلعها :

ونحو أمير المسلمين تطامحت ... نواظر آمال وأيدي رغائب[٥]

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
والملحق « ٥ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٨٥ .
(٢) أبو جعفر أحمد بن عطية : تراجع ترجمته في : قلائد العقيان للفتح بن خاقان ، ص ٢٣٩ . وابن الأبار : اعتاب الكتاب ، ص ٢٢٥ - ٢٢٩ . وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ . وابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٢٦٣ - ٢٧١ .
(٣) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٤٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٧٦ . والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٦٥٩ - ٦٦٠ .
(٥) قلائد العقيان ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

وبعد طول انتظار وصل الأسطول المرابطي إلى جزيرة ميورقة « فلما شعر العدو بخروج ذلك الأسطول أخلى وصدر عن الجزيرة وعينه بما احتمل من السبي قريرة .. »[١].

انسحاب القوات الصليبية من البليار

بعد سقوط آخر معاقل ميورقة في يد القوات الصليبية وتوزيع الغنائم على الغزاة ، انسحب أمير قطلونية رامون برنجار الثالث على رأس قواته من جزيرة ميورقة في ١٨ ذي القعدة ٥٠٩ هـ = ٣ ابريل ١١١٦ م[٢].

ومن المؤسف أن نجد مؤرخاً ميورقياً كالباروكمبانير ، الذي طالما تباكى على سوء معاملة عمال جزر البليار للنصارى المعاهدين في هذه الجزر ، مستنداً في مزاعمه هذه ، على روايات غير موضوعية للمؤرخ الهولندي دوزي فندناها في موضعها[٣]، لا يجد في إفناء شعب بأكمله ما يستحق النقد ، وكأنه أمر طبيعي ما دام الضحايا من المسلمين ، والأدهى من ذلك أن يعتبر الباروكمبانير الذي عرف بموضوعيته! جرائم القوات الصليبية ووحشيتها واجباً مقدساً تفرضه الكنيسة على رعاياها المخلصين ، أما مجال النقد في نظره فهو لنقض قادة بيزة لتعهداتهم إلى أمير قطلونية وتخليهم على حد قوله « عن المهمة الصليبية الجليلة » ، بأن يعملوا على الاحتفاظ بجزيرة ميورقة والدفاع عنها حتى يعود إليهم من جديد بعد صد الهجوم المرابطي على برشلونة عاصمة إمارته[٤]. ولكنه لم يعد! فقد هرب حلفاؤه البيزيون من ميورقة كما يهرب اللصوص عندما علموا بقدوم الأسطول المرابطي[٥] . ومما حزّ في نفس هذا المؤرخ الميورقي هو غباء أمير قطلونية وعدم خبرته التي جعلته يثق بالبيزيين الذين ينعتهم « بالتعصب والانتهازية والمادية » ، ويحاول جاهداً تبرئة هذا القومس القطلاني من تهمة الهروب من الميدان قائلاً : « بأن تركه لهذه الحملة بعد أن نجح في الاستيلاء على ميورقة ، لم يكن نتيجة جبن أو تخاذل ، وإنما كان يرجع إلى حسن نيته وطيبته! التي دفعته إلى أن يترك في أيدي هؤلاء الإيطاليين جزيرة ميورقة التي كلّف الاستيلاء عليها الكثير من الجهود والتضحيات دون أن يأخذ منهم ضمانات كافية »على حد قوله! حتى لا يهربوا منها دُونِ إذن من قومس برشلونة الذي هرب قبلهم! ، لهذا يعتبر كمبانير بأن البيزيين على حد زعمه « نقضوا العهود وخانوا القضية المقدسة »! ولا أدري متى

---

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٤ .
(٢) الملحق « ٤ » ، ص ٢٧٢ ، والملحق « ٥ » ، ص ٢٨٥ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٥٢ – ٥٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١١٤ – ١١٦ .
(٥) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء / تحقيق د . أحمد مختار العبّادي ، ص ١٢٤ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١١٩ حاشية « ١٣ » .
ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٤٢ .

كان قطاع الطرق واللصوص والقتلة من أهل العهود! وأي قداسة هذه التي يدعيها في قتل شعب وإفنائه ونهب ممتلكاته وتدمير مدنه وحرقها .

ولقد تجاوز الباروكمبانير كل الحدود عتبه على البيزيين الذين ينعتهم بالجشع والانتهازية واللصوصية أنهم لم ينشروا نور الإيمان في جزر البليار بعد إفناء معظم سكانها! ولأنهم لم يطهروا مياه البحر المتوسط وسواحله من القراصنة ، إنه عتاب مبالغ فيه وطلب يستحيل تنفيذه ، أن يطلب من القراصنة البيزيين أن يطهّروا البحر المتوسط من أنفسهم! ويقول كمبانير في هذا النص الغريب الذي لا يمت إلى الموضوعية بأدنى صلة « لقد خان البيزيون أمانة هذه القضية المقدسة ، ولم يحاولوا أن يعرّفوا المسلمين البلياريين بنور الإنجيل! وأن ينيروا سبيلهم إلى طريق العقيدة المسيحية القويم! كما لم يحاولوا أن يطهروا مياه البحر المتوسط وسواحله من أعمال القرصنة التي كان يقوم بها المسلمون! كل هذا أهملوه تماماً ولم يوجهوا عنايتهم إلّا إلى مصالحهم التجارية والمادية المباشرة ، وبالرغم من أنهم أطلقوا من مطامير ميورقة عدداً من الأسرى المسيحيين ، غير أن النتيجة التي انتهت إليها هذه الغزوة الصليبية في حملتها كانت قليلة الفائدة ، فقد هرب البيزيون من جزيرة ميورقة عندما علموا بقدوم الأسطول المرابطي[١] بقيادة ابن تافر طاس « تافر طست » الذي أعاد جزر البليار إلى حظيرة الإسلام تحت حكم المرابطين من لمتونة[٢] .

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١١٦ – ١١٧ .
(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .
وابن القطان : جزء من نظم الجمان ، ص ٣٠ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٧٩ ، ٨٧ . طبعة الفلالي .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ ، وج ٦ ، ص ٣٨٧ وص ٥٠٥ .
والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٥٦ .

الفصل الخامس

جزر البليار تحت حكم المرابطين من لمتونة

٥٠٩ - ٥٤٣ هـ = ١١١٦ - ١١٤٨ م

وصول الأسطول المرابطي إلى ميورقة بقيادة بن تافرطاس

بعد انسحاب أمير قطلونية رامون برنجار الثالث وأمراء الفرنجة ما وراء جبال البرتات على رأس قواتهم من جزيرة ميورقة بثلاثة أيام، حلّ عبد الفصح في (٢١ ذي القعدة ٥٠٩ هـ = ٦ أبريل ١١١٦ م)، واحتفل الغزاة بهذه المناسبة احتفالاً كبيراً. ويذكر صاحب المدونة البيزية بأنه بعد الانتهاء من هذه الاحتفالات « شحن جنود بيزة سفنهم بكل ما غنموه ومضوا عائدين إلى بلدهم وقد ملأ السرور قلوبهم »![1]. ويذكر المؤرخ الشاعر لورنثو الفيروني نفس الرواية الآنفة الذكر عن احتفالات الغزاة الباهرة بعيد الفصح في (٢١ ذي القعدة ٥٠٩ هـ = ٦ أبريل ١١١٦ م). ويضيف إلى روايته النص الغامض التالي وهو آخر النصوص في ملحمته، يقول فيه: « ويخرج الغزاة بطاليس Batales من سجنه وينصّب البيزيون ابنه على عرش ميورقة »[2]! « ويعود الغزاة بعد لك، كل فريق إلى وطنه، أما أبو الربيع Burabe أمير البليار فقد حمل أسيراً إلى بيزة حيث ظلوا يعرضونه هناك في شوارع المدينة افتخاراً وزهواً بهذه المأثرة الخالدة »[3]. يتضح من النصوص اللاتينية الآنفة الذكر بأن القوات الصليبية انسحبت من جزر البليار بعد أيام قليلة من إحتفالات عيد الفصح (أواخر ذي القعدة ٥٠٩ هـ = منتصف أبريل ١١١٦ م) دون أن تشير إلى أن انسحابها كان بسبب التخوف من الاشتباك بالأسطول

(١) الملحق « ٤ » ص ٢٧٢ « المدونة البيزية ».
(٢) لا يوجد في المصادر الإسلامية أي إشارة إلى هذا الاسم، أو إلى ما يدعيه لورنثو الفيروني من اختيار ابن بطاليس Batales (أبو طلحة) ملكاً على عرش ميورقة، وأغلب الظن أن هذه الأحداث هي اختراع من خيالات هذا الشاعر (الملحق « ٥ »، ص ٢٨٩).
(٣) الملحق « ٥ » ص ٢٨٩ « القصيدة الملحمية للشاعر المؤرخ لورنثو الفيروني ».

المرابطي في معركة غير مأمونة العواقب، وسفن أسطول بيزة وحلفائها مشحونة بالأسرى والغنائم، ويذكر المؤرخ الإسباني خوزي أنطونيو كوندي ما يلي بهذا الصدد: « وعندما أحسّ المسيحيون باقتراب السفن الإسلامية قاموا بالفرار خوفاً من أن يطردهم المسلمون بقوة السلاح، حاملين معهم كثيراً من الأسرى وكميات هائلة من الغنائم، بعد أن قتلوا عدداً كبيراً من المسلمين بوحشية غريبة »[1]. أما الباروكمبانير فيقول: « بأن المدونات الإسلامية تتفق مع ما نستنتجه من المدونات المسيحية من أن البيزيين قد آثروا الهروب بعد أن قاموا بتخريب مدينة ميورقة ونهب مدن الجزيرة وقراها »[2].

ويذكر المؤرخ الألماني جزيف اشباخ ما يلي عن قدوم الأسطول المرابطي، ووحشية القوات الصليبية وجبنها: « استولى القطلانيون على جزيرة ميورقة بمعاونة البروفينسيين والبيزيين، ولكنهم وصموا نصرهم بقتل أهلها من المسلمين، وسرعان ما حلّت ساعة الانتقام، وذلك أن المرابطين خشوا أن تغدو جزيرة ميورقة قاعدة لمهاجمة أملاكهم في بلنسية وفي إفريقية، فسيّروا أسطولاً إلى ميورقة واستردوها من البيزيين وحلفائهم الذين ولوا هاربين قبل وصول الأسطول المرابطي إلى ميورقة»[3].

وكان وصول الأسطول المرابطي إلى ميورقة (أواخر ذي القعدة ٥٠٩ هـ = منتصف أبريل ١١١٦ م) بقيادة تافرطاس (تافرطست) لإنقاذها من براثن الغزاة، بعد حوالي أربعة شهور من كتاب الاستغاثة الذي أرسله أمير البليار مبشر بن سليمان ناصر الدولة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، على يد أبي عبد الله محمد بن ميمون القائد البحري المرابطي الشهير[4] في ١٩ شعبان ٥٠٩ هـ = ٨ يناير ١١١٦ م[5]. وليس بعد شهر واحد كما أمر أمير المسلمين[6]. ولا ندري سبب تأخر وصول الأسطول المرابطي إلى ميورقة، بالرغم من معرفة المرابطين بالحصار الشديد المفروض عليها، وأنها كانت مهددة بالسقوط في أيدي الغزاة. ومهما يكن هذا السبب الغامض الذي أدّى إلى أفدح النتائج وأخطرها، فقد وصل الأسطول المرابطي بعد فوات الأوان إلى جزيرة ميورقة. ويذكر ابن القطان بأن عدد قطعه كان مائة وعشرين قطعة[7] بينما يحدّد ابن الكردبوس عددها بثلاثمائة، وهو الأرجح في نظرنا لأن عدد السفن البيزية

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، حاشية « ١٣ »، ص ١١٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١١٩.
(٣) جوزيف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين - ترجمة محمد عبد الله عنان، ص ١٤٢.
(٤) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ص١٢٣.
(٥) الملحق « ٥ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٨٥.
(٦) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣.
(٧) ابن القطان: جزء من نظم الجمان/تحقيق د. محمود علي مكي، ص ٢٠.

وحدها في ثغور ميورقة آنذاك كان ثلاثمائة سفينة[١]، ولا يعقل أن يهرب هذا العدد الكبير من السفن، بالإضافة إلى السفن الحليفة الأخرى لدى قدوم أسطول مرابطي من مائة وعشرين سفينة وفقاً لرواية ابن القطان. ولقد تنبهت مصادرنا الإسلامية إلى هروب البيزيين وحلفائهم من جزيرة ميورقة لدى سماعهم بقدوم الأسطول المرابطي، ويقول ابن القطان بأنه عندما وصلت مراكب المرابطين إلى « ميورقة وجدت العدو قد أخلاها »[٢]. بينما يذكر ابن الكردبوس بهذا الصدد « فلما شعر العدو بخروج الأسطول المرابطي أخلى عن الجزيرة (ميورقة) وعينه بما احتمل من السبي والأموال قريرة »[٣].

أما الحميري فيقول: « فلما قضى العدو وطره من جزيرة ميورقة أسرع بالرجوع إلى بلاده »[٤]. ويذكر ابن خلدون في أحد نصوصه ما يلي عند حديثه عن مبشر بن سليمان ناصر الدولة أمير البليار « وكان قد بعث بالصريخ إلى علي بن يوسف صاحب المغرب من لمتونة فلم يوافهم الأسطول بالمدد إلا بعد استيلاء العدو، فلما وصل الأسطول دفعوا العدو عنها.. »[٥]. ويذكر القلقشندي نفس الرواية[٦]، كما يذكر ابن خلدون في نص آخر بأن وصول الأسطول المرابطي كان بعد « أن أخذ العدو ميورقة، وغنم وأحرق وأقلع »[٧]! ويصف ابن الكردبوس مدينة ميورقة بعد وصول الأسطول المرابطي بقيادة ابن تافرطاش (تافرطيست) وهروب الأساطيل الصليبية لدى وصوله قائلاً: « فلما وصل الأسطول (المرابطي) وجد المدينة خاوية على عروشها محترقة سوداء مظلمة منطبقة، فعمّرها قائد الأسطول ابن تافرطاس بمن معه من المرابطين والمجاهدين وأصناف الناس، وجلب إليها من كان فرّ عنها إلى الجبال فاستوطنوها وسكنوها »[٨].

وهكذا عادت جزالبليار ثانية إلى حظيرة الإسلام تحت راية المرابطين البواسل الذين عمروها من جديد[٩]. أما الغزاة البرابرة فولّوا هاربين لدىقدوم الأسطول المرابطي يحملون في

---

(١) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٠٢ والملحق « ٥ »، ص ٢٧٤.
(٢) ابن القطان: جزء من نظمْ الجمان، ص ٢٠.
(٣) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٤.
(٤) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥.
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص٢٥٦.
(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٠٥.
(٨) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٤.
(٩) ابن الكردبوس: المصدر السابق نفس الصفحة، وابن عذاري: البيان المغرب ج ١، ص ٣٠٥. وابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٧٩، ٨٧، طبعة الفلالي وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٣٨٧.

سفنهم أعداداً كبيرة من الأسرى وأكداساً هائلة من الغنائم، وكان أبو الربيع سليمان بن لبون أمير البليار من بين الأسرى[١]. وظلّ البيزيون يعرضونه في احتفالاتهم إلى أن توفي في الأسر[٢]!

وتدَّعي بعض المراجع الأوروبية التي يفترض فيها الدقة والموضوعية، بأن البيزيين أنقذوا من مطامير سجون ميورقة عشرين ألف أسير مسيحي! وهو رقم مبالغ فيه إلى حد كبير، فمن المستحيل على ثلاثمائة سفينة بيزية أن تحمل هذا العدد الكبير من الأسرى، بالإضافة إلى المقاتلين والبحارة البيزيين والكميات الهائلة من الغنائم التي نهبوها والأعداد الكبيرة من الأسرى المسلمين[٣]. ويذكر الباروكمبانير بأن البيزيين لم ينقذوا من مطامير سجون يابسة وميورقة سوى عدد قليل من الأسرى المسيحيين، وأن جلّ اهتمامهم كان منصباً على الكسب والمغانم وتنمية مصالحهم التجارية، ويصمهم « بالتعصب والانتهازية والجشع والمادية والخيانة ونقض العهود »[٤]. ومن الطريف أن الزهري ينعتهم بنفس النعوت « وبالخيانة والشؤم »[٥]. فبالرغم من ادعائهم بأن الهدف الرئيسي من حملتهم الصليبية على جزر البليار تحت علم البابا باسكال كان من أجل إنقاذ الأسرى المسيحيين[٦]، إلا أنهم لم يطلقوا سراح هؤلاء الأسرى إلا مقابل فدية[٧]. ولم يسرق قراصنة بيزة ثروات جزر البليار فحسب، ولكنهم سرقوا كذلك خبراتها الفنية ومعارفها العلمية، واستخدموا الأسرى المسلمين في صناعاتهم وفي بناء كاتدرائيتهم الشهيرة ذات البرج المائل التي بنوها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد بما سلبوه فن الثغور الإسلامية. ويتضح ذلك من معالم العمران في كاتدرائية بيزة التي يختلط فيها الأسلوب الروماني بالإسلامي والبيزنطي[٨]. كما سلبوا « الخرائط الميورقية » التي تعلّموا منها من الخرائط البحرية[٩]. وكانوا قبل حملتهم الصليبية على جزر البليار لا يميزون بين سواحل هذه الجزر وساحل إمارة قطلونية[١٠]! وأهم من ذلك كله فقد سرق البيزيون من جزيرتي يابسة

---

(١) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٤.
(٢) الملحق « ٥ » لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٨٩. ودائرة المعارف البريطانية، مج ١٧، ص ٩٥٥ لعام ١٩٦٢.
(٣) دائرة المعارف البريطانية، مج ١٧، ص ٩٥٥ لعام ١٩٦٢.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١١٦ - ١١٧.
(٥) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٧٨.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٠٦ - ١٠٧ وملحق « ٤ » ص ٢٦٤.
(٧) دائرة المعارف البريطانية، مج ١٧، ص ٩٥٥ لعام ١٩٦٢.
(٨) المصدر السابق، مج ١٧، ص ١١٧ لعام ١٩٦٩.
(٩) خوان بيرنيط: الأصل العربي الإسباني لفن الخرائط البحرية/ مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، ص ٧١.
(١٠) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٠٤ - ١٠٥.

وميورقة بالإضافة إلى التحف الذهبية والعاجية والبللورية والمنسوجات الثمينة ، عدداً كبيراً من الكتب التي عثروا عليها في مكتباتها الحافلة ، وزعموا أنهم استردوا ما سرقه المسلمون البليارون من ثغورهم[١]!

كما نقلوا جميع الخبرات البليارية المكتسبة في مختلف أنواع الصناعات المعدنية والزجاجية والخزفية ، واستخدموا أسرى المسلمين من جزر البليار في هذه الصناعات ، وليس أدل على ذلك من اشتهار الخزف البيزي ذي البريق المعدني الذي اشتهرت به ميورقة باسم « الماجوليكة » نسبة إلى ميورقة ، وعمّ هذا الاسم في شتى أنحاء أوروبا[٢] .

ومهما يكن الأمر فقد استرجع المرابطون يابسة وميورقة من أيدي الغزاة[٣] ، الذين ولّوا هاربين لدى قدوم الأسطول لمرابطي بقيادة ابن تافرطاس (تافرطست) . ومن شدة هلعهم وارتباكهم بعد إقلاعهم العاجل من جزيرتي يابسة وميورقة ، أخطأت أربع سفن من أسطولهم الطريق وتوجهت شرقاً إلى دانية في ساحل الأندلس الشرقي ، بدلاً من أن تتجه إلى بيزة ، وتمكن أبو السداد عامل دانية وقائد أسطولها من إغراق واحدة منها وأسر الثلاث الأخرى وضمها لأسطوله[٤] .

واستقر الحكم المرابطي في جزر البليار بفضل الجهود التي بذلها ، ابن تافرطاس « تافرطست » قائد الأسطول ، الذي عمّر ما تخرب من هذه الجزر[٥] وأمّن من فرّ من سكانها إلى الجبال ، وأسكن فيها حشود المتطوعة والمرابطين والمجاهدين من رجال أسطوله ، وبعد أن أعاد ابن تافرطاس الأمن والاستقرار إلى ربوع البليار عاد على رأس أسطوله إلى « مكانه وموضع استيطانه »[٦] ، وأصبحت جزر البليار منذ ذلك الحين تحت الحكم المرابطي . ويذكر ابن أبي زرع بهذا الصدد « وفي سنة تسع وخمسمائة ملك أمير المسلمين علي بن يوسف الجزائر البحرية من شرق الأندلس »[٧] . ويحدد ابن القاضي هذه الجزائر بقوله « وملك أمير المسلمين (علي بن يوسف ابن تاشفين) . . من الجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة . . »[٨] . وكان استرجاعها من أيدي غزاة

---

(١) كليليا سارنللي تشيركوا : مجاهد العامري ، ص ٢١٤ .
(٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٥١٧ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ . وابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٧٩ ، ٨٧ طبعة الفلالي . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ ، وج ٦ ، ص ٣٨٧ ، ٥٠٥ .
(٤) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/ تحقيق د. أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٤ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ .
(٦) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٤ .
(٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٨٧ طبعة الفلالي ، وص ١٦٢ طبعة دار المنصور للطباعة والوراقة .
(٨) أحمد بن القاضي المكناسي : جذوة الاقتباس/القسم الثاني ، ص ٤٦٠ .

الحملة الصليبية البرابرة تلبية لصريخ أهل هذه الجزر وقياماً بالواجب المقدس في نصرة مسلمي الأندلس[١] ، الذي اتخذه المرابطون بما عرف عنهم من نقاء وحميّة نبراساً لهم وهدفاً سامياً يسعون جاهدين لتحقيقه ويضحون من أجله بكل ما لديهم من إمكانيات بشجاعة منقطعة النظير . . « فقد كانوا يختارون الموت على الانهزام ، ولا يحفظ لهم فرار من زحف . . وكانوا (في صمودهم) أثبت من الهضاب »[٢] . واتخذوا من كتاب الله وسنة رسوله نبراساً يستهدون به بما جبلوا عليه من فطرة نقية ، فقد كانوا كما يقول صاحب الحلل الموشية « أقواماً ربتهم الصحراء ، نيتهم صالحة ، لم تفسدها الحاضرة ولا مخالطة الأسافل »[٣] .

ومع ذلك فإننا نجد في « كتابات معظم المؤرخين الأوروبيين حملة ظالمة على المرابطين ، كان الدافع إليها إما التعصب الديني أو الكراهية التي كادت أن تكون « شخصية » ، ويتضح ذلك مما كتبه الباحث الهولندي الكبير راينهارت دوزي[٤] والمؤرخ الألماني جوزيف أشباخ الذي يزعم بأن المرابطين انتقموا للمسلمين من أهل جزر البليار . . « بقتل جميع سكانها النصارى . . »[٥] وقبل أن نناقش هذه المزاعم نود أن نشير إلى أن النصارى المعاهدين في الأندلس تمتعوا طيلة العهود الإسلامية بكافة الحقوق التي يوفرها المجتمع الإسلامي للذميين المسالمين والتي تمثلت بمختلف « ضروب الرعاية والتسامح » ، ومع ذلك لم يخلصوا في تعاملهم وكانوا يتحينون أي فرصة لطعن المسلمين وخيانتهم والتعاون مع أعدائهم ، وتوجد أمثلة لا حصر لها عن خياناتهم المتكررة في عهد ملوك الطوائف وإسهامهم في سقوط المدن الإسلامية في يد النصارى الإسبان[٦] . ووصل التسامح في عهد علي إقبال الدولة إلى درجة تنذر بمخاطر لا حصر لها ، فقد منح لرئيس أساقفة برشلونة حق الإشراف الروحي على رعايا جزر البليار ودانية من النصارى المعاهدين ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م[٧] ، بالرغم من عداء إمارة قطلونية الشرس لمسلمي الأندلس وتطلعها للتوسع على حسابهم وطمعها في الاستيلاء على جزر البليار . وقد رأينا مدى سرعة استجابتها للبيزيين في الاشتراك في الحملة الصليبية المؤتلفة على جزر البليار ، وما أسهمت به في دور خطير كان من العوامل الرئيسية التي مكنت أولئك البرابرة من الاستيلاء

---

(١) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص ١٢٣ . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ ، ٥٠٥ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١١ .
(٣) مجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص ٥٩ .
(٤) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١١٠ . د. حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين/صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مج ٢ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٥٧ – ٥٨ .
(٥) جوزيف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٤٢ – ١٤٣ .
(٦) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٤٠٨ – ٤١٠ .
(٧) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ملحق « ٣ » ، ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

على يابسة وميورقة وارتكاب المجازر الهمجية التي سبق ذكرها[1] . وبناء على ما سبق ذكره فإنني أرجح تعاون نصارى البليار من المعاهدين مع الغزاة الصليبيين ، إن صحت رواية جوزيف اشباخ الآنفة الذكر ، مما عرضهم بعد قدوم الأسطول المرابطي إلى جزيرة ميورقة إلى الانتقام ، وهذا أمر طبيعي تقره كل الشرائع والقوانين ، ليس لكونهم نصارى بل لكونهم خونة تنكروا لكل العهود والمواثيق . وبالرغم من ذلك فإنني أعتقد قياساً على أحداث لاحقة وقعت بعد حوالي عشر سنوات من تاريخ الفتح المرابطي لجزر البليار ، قام بها النصارى المعاهدون في شرق الأندلس وكورة غرناطة باستدعاء الفونسو المقاتل ملك أرغون وقدموا له العون ، وانضم الآلاف منهم إلى صفوف قواته وعاثوا فساداً وتدميراً ٥١٩ - ٥٢٠ هـ = ١١٢٥ - ١١٢٦ م ، وبالرغم من خيانتهم السافرة ونقضهم للعهود وخروجهم على الذمة ، فقد اكتفى أمير المسلمين علي بن تاشفين بعد استشارة كبار الفقهاء وعلى رأسهم ابن رشد الجد ، بنفي من ثبتت خيانته إلى مكناسة وسلا في عدوة المغرب[2] . وقياساً على ما سبق ذكره فإنني أعتقد بأن ما ذكره جوزيف اشباخ عن قتل المرابطين نصارى البليار فيه مبالغة كبيرة .

والأرجح أن ما حصل هو ملاحقة أهل جزر البليار للخونة من المعاهدين النصارى الذين نقضوا العهد وتعاونوا مع الغزاة وأسهموا في جرائمهم الوحشية بدافع من التعصب الديني ، وربما يكون بعض هؤلاء قد قتل بدافع الانتقام وليس بناء على سياسة عدائية للنصارى المعاهدين خططت لها الدولة المرابطية التي تستهدي بالقرآن الكريم في أحكامها وتبالغ في رعايتها لهؤلاء الخونة إلى درجة عرضت فيه أمن الأندلس للخطر في وقت كانت فيه الهمجية الصليبية في عنفوان قوتها وشراستها ، ولو اتبعت الأسلوب الذي اتبعه النصارى الإسبان في تعاملهم مع المسلمين لكان للإسلام في الأندلس تاريخ آخر! فقد دفع المسلمون ثمناً غالياً لعدالتهم وإنسانيتهم . ومهما يكن الأمر فقد غادر ابن تافرطاس جزر البليار في مطلع عام ٥١٠ هـ = مايو ١١١٦ م كما نرجح ، وترك مسؤولية الإشراف على هذه الجزر وحمايتها لأبي السداد « قائد البحر » في قاعدة دانية البحرية كما سيتضح لنا بعد مناقشة الرسالة المرابطية اللاحقة والتي ستكون خير عون لنا في توضيح الفترة الغامضة الأولى من تاريخ المرابطين وولاتهم في جزر البليار[3] .

اختلاف الروايات عن ولاة جزر البليار والمشرفين عليها

لم يمكث ابن تافرطاس قائد الأسطول المرابطي في جزر البليار سوى فترة وجيزة ، ولو فرضنا أنه بقي فيها شهراً وهي مدة كافية لإنجاز المهام التي سبق ذكرها . وكما ذكرنا فقد

(١) المصدر السابق : ص ١٠٥ وما بعدها .
(٢) مجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص ٦٦ - ٧٠ .
(٣) د . محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٥ .

وصلها بعد إقلاع الأساطيل الصليبية بفترة وجيزة ، أي حوالي منتصف إبريل وغادرها في منتصف مايو الذي يوافق مطلع شهر محرم ٥١٠ هـ ، وهو مجرد تقدير نميل إلى ترجيحه[1] . وهنا نقف أمام فترة مضطربة في مصادرنا الإسلامية ، وكان من الممكن أن يظل الغموض محيطاً بهذه الفترة لولا العثور على رسالة مرابطية هامة من إنشاء أبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجد الفهري[2] ، أرسلت إلى أول ولاة جزر البليار بأمر من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من مراكش قاعدة ملكه بتاريخ العشرين والحادي والعشرين من ربيع الأول ٥١٠ هـ « لتسع بقين من ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة » ، وقبل أن نذكر اسم هذا الوالي الذي أغفل جامع الرسائل المرابطية ذكره[3] والذي أسعفنا باسمه ابن عذاري في نصه الهام عن ولاة جزر البليار من لمتونة ومسوفة[4] ، سنناقش الرسالة المرابطية المشار إليها والتي سيتضح من مضمونها معرفة أسماء المشرفين على جزر البليار في الفترة من أوائل محرم ٥١٠ هـ = منتصف مايو ١١١٦ م وهو التاريخ الذي رجعنا أن يكون ابن تافرطاس غادر فيه جزر البليار ، وحتى العشرين والحادي والعشرين من ربيع الأول = ٢ ، ٣ أغسطس ١١١٦ م ، وهو تاريخ هذه الرسالة .

وفيما يلي نص الرسالة المشار إليها « وكتب أبو القاسم ابن الجد بولاية ميورقة قائلاً : « كتابنا أبقاك الله وأعزك بتقواه وأناف بك على ما تتمناه من حضرة مراكش - حرسها الله - لتسع بقين من ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة ، عندما ورد علينا الخبر اليقين بموت أبي السداد رحمه الله ، ورأينا - والله الموفق للصواب - أن نوليك جميع ما كان يتولاه على أنا ما كنا أقررنا له بميورقة - حرسها الله - إلا إقرار منعه ، وفي سبيل قلعه ، وغرضنا كان أن نولّي عليها من يصلح من أعيان الرجال ، فإنها بلدة كبيرة تحتاج إلى من يسوس أمرها ويحوط أهلها ، فتول ما وليناك منها ومن جميع ما كان تحت يد المذكور مضافاً إليها ، بصدر منشرح وأمل منفسح ، واستشعر تقوى الله سرك وجهرك ، واجعلها عماد امرك فعليها مدار الأعمال ، وبها صلاح الأحوال ،

(١) الملحق « ٤ » ص ٢٧٣ . والملحق « ٥ » ص ٢٨٩ لكتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار .
(٢) من أسرة بني الجد من كبار أعيان أشبيلية ولبلة ، التي برز فيها عدد كبير من كبار العلماء والأدباء والكتاب والوزراء ، ومن بين هؤلاء كان أبو القاسم ابن الجد الذي اشتهر بمعرفته الواسعة بعلم الحديث والفقه والأدب ، وكان من وزراء بني عباد في أشبيلية ، وبعد خلعهم على يد يوسف بن تاشفين ، اعتزل ابن الجد المناصب فترة من الزمن ، إلى أن استدعاه علي بن يوسف بن تاشفين لتولي الكتابة في ديوان رسائله فاستجاب إلى ذلك وبقي في هذا المنصب حتى وفاته ٥١٥ هـ = ١١٢١ م (ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الثاني/المجلد الأول ص ٢٨٥ ، وحاشية « ١١ » . ود . محمود علي مكي ، وثائق جديدة عن عصر المرابطين حواشي ص ١٨٥ - ١٨٦ .
(٣) د . محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين/تطوان - ١٩٦٠ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب/ القسم الثالث القسم الموحدي ، ص ٢١٥ ، عني بنشرة أمبروسي هويسي ميراندة بالتعاون مع محمد ابن تاويت ومحمد بن إبراهيم المكناسي ، تطوان - ١٩٦٠ .

وحسّن في أهل تلك الجزائر - جبرهم الله - سيرتك ، وأخلص في النصح لهم - والرفق بهم سريرتك ، وأكّد في إيثار العدل فيهم وسلوك طريق الحق بهم بصيرتك ، وسكّن بلين الكلمة وحسن النصفة أحوالهم ، وارفع بحزمك وعزمك في ضبط البلد أوصالهم ، واسع بحسن سياستك في استرجاع من خرج من جيرانهم ، واجتهد في صرفهم إلى أوطانهم حتى يكثر بفضل الله عددهم وينجبر بلدهم وانظروا في امر الأسطول المستخلص بدانية - حرسها الله - واستنب في ذلك من ترضاه ، وإذا وصل إليك خطابنا هذا فلا تتوقف عن النفوذ نحوهم واللحاق بهم ، فإنهم مستوحشون بانفرادهم ، ثم لا سيما بما أحدثه السفيه المعتوه ابن أبي السداد من إيحاشهم وترويعهم وبوصولك إليهم يستقيم أمرهم ، ويذهب ذعرهم إن شاء الله تعالى والسلام »[١] .

يتضح من الرسالة الآنفة الذكر ما يلي :

أ- انها بمثابة كتاب تولية للمرسل إليه (والذي أغفل جامع الرسائل المرابطية اسمه) بعد وفاة أبي السداد وتولي ابنه من بعده الإشراف على شؤون جزر البليار ، وإذا ما علمنا بأن أبا السداد المذكور كان « قائد البحر » في قاعدة دانية البحرية عند انسحاب القوات الصليبية المؤتلفة من جزر البليار ، حيث تمكن كما ذكرنا من إغراق سفينة بيزية ضلت السبيل وأسر ثلاث سفن وضمها لأسطوله[٢] ، فمعنى ذلك أن أبا السداد تولى شؤون جزر البليار بعد انسحاب الأسطول المرابطي إلى قاعدته بشكل مؤقت لأسباب دفاعية « إقرار منعه » كما ورد في نص الرسالة ، وتضيف إلى ذلك « وفي سبيل قلعه » أي عزله ، عندما يولي أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على جزر البليار .. « من يصلح من أعيان الرجال »[٣].

ويزيدنا قناعة بذلك تولية المكلف بولاية ميورقة وذواتها ، وبالإضافة إلى ذلك ما كان يتولاه أبو السداد ، وقد ورد ذلك في نص الرسالة كما يلي « فتول ما وليناك منها ومن جميع ما كان تحت يد المذكور مضافاً إليها .. » ويوضح في فقرة لاحقة ما كان يتولاه أبو السداد قائلاً « وانظروا في أمر الأسطول المستخلص بدانية .. واستنب في ذلك من ترضاه » .

ب- بعد وفاة أبي السداد قام أهل ميورقة بتولية ابنه من بعده دون الرجوع إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، على أمل أن يسوسهم بعدل واستقامة فيقرهم أمير المسلمين على اختيارهم ، ولكنه قسا في معاملتهم وأساء إليهم بما قام من تصرفات سيئة سببت « إيحاشهم وترويعهم » مما دعا أمير المسلمين أن يلقبه « بالسفيه المعتوه » وأن يطالب الوالي المكلف في « استرجاع من خرج » .. من أهل هذه الجزر بسبب سوء تصرفات ابن أبي السداد « وصرفهم

(١) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة من عهد المرابطين ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٤ .
(٣) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة من عهد المرابطين ، ص ١٨٥ -١٨٦ .

إلى أوطانهم حتى يكثر عددهم وينجبر بلدهم .. » كما يوصيه بأن يحسن معاملتهم وأن يخلص النصح لهم وأن يرفق بهم ويعدل بينهم .

جـ- حدّد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين لعامله على جزر البليار الطريق الذي يتوجب عليه اتباعه ، والنهج الذي ينبغي عليه سلوكه ، والدستور الذي يتوجب على كل مسلم التقيد به وتطبيق أحكامه ، ألا وهو كتاب الله وسنة رسوله كما يتضح من التوصية التالية ، « واستشعر تقوى الله سرّك وجهرك واجعلها عماد أمرك فعليها مدار الأعمال وبها صلاح الأحوال » هذه هي التقاليد المرابطية الأصيلة لمن عرفوا الإسلام على حقيقته وطبقوه بحرفيته ، فكان بذلك تاريخهم من أكثر صفحات التاريخ الإسلامي إشراقاً ، ومع ذلك لم يتورع مؤرخ عرف بموضوعيته وهو المؤرخ دوزي أن يظلمهم بتحامله الواضح وعدائه المستهجن وتحقيره الذي لا مبرر له حيث يدعوهم دائماً بالأفارقة القساة وبالبدو الرحل الذين اعتادوا على السلب والنهب[١] . لقد أعمى التعصب هذا العالم الكبير ولم ير في النور إلا ظلاماً!

د- كما يتضح من نص الرسالة الآنفة الذكر مدى عناية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بجزر البليار وتقديره لأهميتها ورغبته في اختيار من يصلح لولايتها كما يتضح من الفقرة التالية من هذه الرسالة : « وغرضنا كان أن نولي عليها من يصلح من أعيان الرجال فإنها بلدة كبيرة تحتاج إلى من يسوس أمرها ويحوط أهلها » . وهنا نتساءل : من هو الذي وقع عليه اختيار أمير المسلمين ولتوليته عاملاً على جزر البليار؟ في العشرين والحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ٥١٠ هـ = ٢ ، ٣ أغسطس ١١١٦ م ، بعد رحيل الأسطول المرابطي بقيادة ابن أبي تافرطاس ، وموت أبي السداد وسوء سيرة ابنه الذي تولى من بعده ، وبالرجوع إلى ما ذكره ابن عذاري يتضح لنا بأن أول الولاة الذين ولاهم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على جزر البليار كان وانودين بن سير الذي بقي عاملاً على هذه الجزر ثلاثة شهور[٢].

وقبل أن نذكر الولاة من لمتونة إلى مسّوفة[٣] الذين تعاقبوا على حكم جزر البليار في

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٢٤ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الثالث/ القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
(٣) لمتونة ومسوفة : من القبائل الصنهاجية الصحراوية وأكثرها قوة وعزة ومنعة ونقاء فطرة كانت صنهاجة تضم سبعين قبيلة (مجهول المؤلف: الحلل الموشية، ص ٧). وكانت الزعامة على قبائل صنهاجة الصحراوية في جنوب غرب بلاد المغرب الأقصى لقبيلة لمتونة . (ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالمغرب ، ص ٢٢٥) . وانتشرت الدعوة المرابطية بين قبائل صنهاجة على يد الفقيه المجاهد عبد الله بن ياسين (ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٤ - ١٥) .
وتولى زعامة القبائل الصنهاجية وقيادة المرابطين ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م يوسف بن تاشفين الذي أرسى دعائم حكم المرابطين من لمتونة (مجهول المؤلف : مفاخر البربر ، ص ٥٢ ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥٢ .
=

السنوات العشر الأولى من الحكم المرابطي ، سنذكر بعض نصوص ابن خلدون غير الدقيقة عن ولاة هذه الجزر في عهد المرابطين من لمتونة ، وما ذكره المؤرخ الإسباني الكبير قديرة في هذا الصدد ، محاولاً التوفيق بين نصوص ابن خلدون المشار إليها وما ذكره ابن الكردبوس وابن عذاري بهذا الصدد . ويمكن إيجاز ما ذكره ابن خلدون في نقطتين ، الأولى منهما أن أول ولاة جزر البليار في العهد المرابطي هو أنور (وانور) ابن أبي بكر اللمتوني ، وأنه ظل والياً على هذه الجزر حتى عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م ، وهي رواية غير صحيحة وسيتضح ذلك من الفقرات اللاحقة ، ويضيف ابن خلدون إلى روايته الآنفة الذكر بأن أهل هذه الجزر أعلنوا الثورة على عاملهم «أنور بن أبي بكر اللمتوني» عندما عسف بهم وفرض عليهم بناء مدينة أخرى غير مدينة ميورقة بعيدة عن البحر ، وتمكنوا من اعتقاله وتصفيده ، وطلبوا من أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين عزله وتولية عامل آخر عليهم فأعفاهم منه ، وهذه الرواية تفتقر إلى الدقة وسنحاول مناقشتها في فقرة لاحقة[1] . أما النقطة الثانية فهي تولية محمد بن علي بن يحيى المسوفي (ابن غانية)عاملاً على جزر البليار ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م[2] . وبالرغم من أن معظم المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الفترة أو أشاروا إليها ذكروا نفس الرواية[3] ، إلا أنني أعتقد بأنها بحاجة إلى مناقشة دقيقة نظراً للتناقض الواضح بين هذه الرواية وما ذكره عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد[4] .

وقد تنبه المؤرخ الإسباني الكبير قديرة إلى الأخطاء التاريخية في نصوص ابن خلدون الآنفة الذكر والتناقض الواضح بين هذه النصوص وما ذكره بهذا الصدد ابن الكردبوس وابن عذاري وحاول التوفيق بينها ، وخرج بالنتيجة التالية :

«تم فتح ميورقة بعد جلاء الجنويين[5] والبيزيين والقطلانيين عنها في سنة

= وكانت قبيلة مسّوفة الصنهاجية تلي قبيلة لمتونة في القوة والمنعة ، وكان من كبار رجالات يوسف بن تاشفين من هذه القبيلة الباسلة يحيى المسوفي ، وقد تربى ابنه علي تحت رعاية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وقام بتزويجه فتاة من أهل بيته تدعى «غانية» وأنجبت منه ولدين هما يحيى ومحمد ، وقد ولّى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين محمد بن علي المسوفي (ابن غانية) عاملاً على جزر البليار وقد حمل أبناء محمد المذكور وأحفاده الراية المرابطية في جزر البليار بعد انهيار المرابطين من لمتونة (ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ وج ٦ ، ص ٣٨٧ و ٣٩٠ وما بعدها).

(١) ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ ، و ٣٩١ ، و ص ٥٠٥ – ٥٠٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢١٥ . ويوسف اشباخ : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ١٤٩ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٣٧ . وألفريد بل : بنو غانية ، ص ٤ .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٢ – ٣٤٣ .

(٥) لم يشترك الجنويون في الحملة الصليبية المؤتلفة (تخطيط تاريخي لجزر البليار الملحق ص ١٨٣).

٥٠٩ هـ = ١١١٦ م على يد ابن تافرطاس (تافرطست) قائد الأسطول المرابطي الذي توجه لاستنقاذ الجزر الشرقية ، وكان أول ما فعله هذا القائد هو تأمين الجزر وإصلاح مدنها وبناؤها من جديد ، وقد رغّب ابن تافرطاس (تافرطست) جنوده وبحارته في الإقامة بالجزيرة والاستقرار بها وأعاد إليها أهلها الذين لاذوا بالجبال عند وقوع الغزو المسيحي ، ويبدو أن إقامة ابن تافرطاس على حكم الجزيرة كانت مؤقتة ريثما يتم تعيين عامل عليها . . »[1] . وقد اعتمد قديرة في نصه الآنف الذكر على ابن الكردبوس ، وقد سبق وأن ذكرنا ذلك واعتمدناه[2] ، ولكن قديرة يتجاهل الفترة الممتدة من مغادرة ابن تافرطاس لجزر البليار في مطلع عام ٥١٠ هـ = منتصف مايو ١١١٦ م على وجه التقريب ، وتولية أول ولاة جزر البليار بأمر من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، في كتاب التولية الذي كتبه أبو القاسم ابن الجد والمؤرخ «في العشرين أو الحادي والعشرين من ربيع الأول «لتسع بقين من ربيع الأول» ٥١٠ هـ = ٢ أو ٣ أغسطس ١١١٦ م ، وكان يتولى شؤون جزر البليار في هذه الفترة أبو السداد وابنه من بعده ، كما يتضح من مضمون الرسالة الآنفة الذكر »[3]. وبعد أن تجاهل حوالي الثلاثة الأشهر من تاريخ جزر البليار وولاتها انتقل فجأة إلى ذكر ولاة جزر البليار وفقاً لرواية ابن عذاري[4] ، وحاول أن يوفق بين ما ذكره ابن عذاري ونص ابن خلدون الآنف الذكر عن وانور «أنور» ابن أبي بكر اللمتوني[5] قائلاً في تتمة نصه السابق ما يلي : « . . وقد وصل هذا العامل بالفعل خلال نفس السنة وكان قائداً مرابطياً هو وانودين بن سير الذي ظل حاكماً لها فترة قصيرة لا تزيد على ثلاثة أشهر »[6]. وكان وصول هذا العامل كما يتضح من الرسالة المرابطية الآنفة الذكر بعد فترة وجيزة من تسلّمه هذه الرسالة ، التي كانت بمثابة كتاب تولية مؤرخ في ٢٠ – ٢١ من ربيع الأول/ ٢ ، ٣ أغسطس ١١١٦ م[7]. وقد ذكر ابن عذاري ما يلي بهذا الصدد عند ذكره لغزو النصارى لميورقة وذواتها . . « . . ثم استفتحها المرابطون ودخلها وانودين بن سير من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين فبقي بها ثلاثة أشهر . . »[8].

(١) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦١ . (عن قديرة : الحلال المرابطين ، ص ١٧٠ – ١٧١).

(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٤ .

(٣) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٦) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦١ (عن قديرة – الحلال المرابطين ، ص ١٧٠ – ١٧١).

(٧) المصدر السابق ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(٨) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ص ٢١٥ .

ويتابع ابن عذاري ذكره لولاة جزر البليار من لمتونة ومسوفة بعد وانودين بن سير قائلاً « .. ثم وليها من بعده أبو بكر بن تكراطات ثم وليها من بعده يانور بن محمد فقامت عليه الرعية فقتلوه، ثم وليها أبو بكر علي بن ورقاء فمات بها، ثم وليها محمد ابن غانية المسوفي حتى مات مقتولاً .. »[1]. وقد حاول قديرة التوفيق بين النص الآنف الذكر لابن عذاري وما ادّعاه ابن خلدون عن تولية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين لأنور « وانور » ابن أبي بكر اللمتوني لجزر البليار، منذ فتحها وحتى قيام أهل جزر البليار بالثورة عليه[2] وتولية محمد بن علي المسوفي مكانه ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م[3]، قائلاً ما يلي في ختام نصه الآنف الذكر بعد أن أشار إلى تولية وانودين بن سير أول ولاة جزر البليار .. «ثم خلفه أبو بكر تاكرانت[4]، وأعقب هذا وانور بن محمد[5] الذي ثار عليه أهل الجزيرة لأنه أمرهم ببناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر فتمكن الثوار من القبض عليه وصفّدوه وبعثوا إلى أمير المسلمين مبيّنين ما وقع، فقبل علي بن يوسف عذرهم[6]، وولّى عليهم في هذه الأثناء أبا بكر علي بن ورقاء الذي توفي على الأرجح في سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م[7]. وحينئذ عهد أمير المسلمين إلى محمد بن غانية[8]، وبالرغم من تناقض النصوص التي ذكرها عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد[9] والتي سنذكرها في موضعها مع النصوص الآنفة الذكر لابن خلدون، ومع ما ذكره ابن عذاري عن ولاة جزر البليار في السنوات

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٤، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٣) المصدر السابق، مج ٦، ص ٣٨٧، ٣٩١.

(٤) في نص ابن عذاري/القسم الموحدي، ص ٢١٥ «أبو بكر بن تاكراطات».

(٥) في نص ابن عذاري/القسم الموحدي يانور بن محمد وأنه مات مقتولاً.

(٦) يبدو بأن قديرة حاول أن يجد في ولاة جزر البليار الذين ذكرهم ابن عذاري من تنطبق عليه الرواية التي ذكرها ابن خلدون عن وانور « أنور » ابن أبي بكر اللمتوني الذي ثار عليه أهل ميورقة. (العبر، مج ٤، ص ٣٥٥ - ٣٦٦)، فوجد في يانور ابن محمد بعض التماثل في الاسم والخبر، فاعتبر أنه هو نفس الشخص الذي ذكره ابن خلدون.

(٧) ذكر ابن عذاري اسم أبي بكر علي بن ورقاء في قائمة ولاة جزر البليار من لمتونة بعد يانور بن محمد وأضاف إلى ذلك أنه مات في جزر البليار ولم يحدد تاريخ ذلك، (ابن عذاري: القسم الموحدي، ص ٢١٥). ونظراً لأن تاريخ تولية محمد بن علي المسوفي وثورة أهل جزر البليار على وانور بن أبي بكر اللمتوني في سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م فقد استنتج قديرة بأن وفاة ابن ورقاء كانت في نفس العام (العبر، مج ٤، ص ٣٥٦).

(٨) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٦١ - ١٦٢ (عن قديرة/ انحلال المرابطين، ص ١٧٠ - ١٧١). وقد ذكر ابن عذاري نفس الرواية دون أن يحدد تاريخ تولية محمد بن علي المسوفي ولكنه أشار إلى نقطة هامة، وهو أنه ظل والياً على جزر البليار حتى مقتله. (البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٥). أما ابن خلدون فقد ذكر تاريخ توليته ووفاته. (العبر، مج ٦، ص ٣٩١ وما بعدها).

(٩) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

العشر الأولى من الحكم المرابطي[1]، لا أجد أمامي وسيلة للتوفيق بين النصوص التي ذكرها ابن خلدون وابن عذاري وابن الكردبوس، أفضل من الأسلوب المنهجي السليم الذي اتبعه المؤرخ الكبير قديرة باستثناء الفجوات التي أشرنا إليها، وبناء على ذلك ستكون القائمة التالية لولاة جزر البليار، وفقاً للنصوص المتوفرة ومحاولة التوفيق بينها.

قائمة المشرفين
على جزر البليار وولاتها الأوائل

المشرفون على جزر البليار في بداية الفتح المرابطي

أ- قائد الأسطول البحري المرابطي **ابن تافرطاس** « تافرطست » من أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة ٥٠٩ هـ إلى مطلع عام ٥١٠ هـ على وجه التقريب[2].

ب- أبو السداد وابنه من أوائل محرم ٥١٠ هـ إلى تسلّم وانودين بن سير أول ولاة جزر البليار كتاب التولية المؤرخ ٢٠ أو ٢١ من ربيع الأول « لتسع بقين من ربيع الأول » ٥١٠ هـ = ٢ - ٣ أغسطس ١١١٦ م[3]، أي في بداية ربيع الثاني ٥١٠ هـ = حوالي منتصف أغسطس ١١١٦ م إذا أخذنا بعين الاعتبار الفترة الزمنية التي استغرقها وصول كتاب التولية إلى العامل المكلف من جهة، ومن جهة أخرى المدة التي قضاها للوصول إلى مركز عمله في جزر البليار سواء كان ذلك من بلاد المغرب أو الأندلس.

ولاة جزر البليار في السنوات العشر الأولى من الحكم المرابطي

أ- **وانودين بن سير** من مطلع ربيع الثاني ٥١٠ هـ إلى مطلع شهر رجب ٥١٠ هـ = من حوالي منتصف شهر أغسطس إلى حوالي منتصف شهر نوفمبر ١١١٦ م، فقد تولّى حكم جزر البليار ثلاثة شهور كما يقول ابن عذاري في نصه التالي: « ودخلها (أي جزر البليار) وانودين

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٥.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٩، والملحق « ٤ »، ص ٢٧٣، والملحق « ٥ »، ص ٢٨٩.

(٣) د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين، ص ١٨٥. وابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٤. وابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٥.

ابن سير فبقي بها ثلاثة أشهر »[١] ، وكان أول ولاة جزر البليار الذين ولّاهم عليها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بشكل رسمي وكان له دوره العسكري الهام في التاريخ المرابطي بعد عزله عن ولاية جزر البليار وتوليته على سجلماسة في مرحلة لاحقة ، فقد اشترك في معركة البحيرة ضد الموحدين الثاني من جادى الأولى ٥٢٤ هـ = ١٣ أبريل ١١٣٠ م[٢] .

ب - **أبو بكر بن تكرطات**[٣] ، ولم يذكر ابن عذاري مدة ولايته ولم أجد ذلك في أي نص آخر تمكنت من الاطلاع عليه ، ويدعوه قديرة ما يلي : « أبو بكر تاكرانت » وأعتقد أن قديرة اعتمد على ابن عذاري في أسماء الولاة الأوائل لجزر البليار في العهد المرابطي وأن سبب الاختلاف في التسمية ربما يعود إلى التصحيف في اسم هذا العامل في النسخة التي اطلع عليها قديرة[٤] .

جـ - **يانور بن محمد** ، « .. قامت عليه الرعية وقتلوه »[٥] ، بينما يذكر قديرة بأن اسمه وانور بن محمد[٦] ، ونظراً لأنه الوالي الوحيد من ولاة جزر البليار - الأوائل - في العهد المرابطي الذين تعرضوا للقتل حسب رواية ابن عذاري وللقبض عليه وتصفيده حسب رواية ابن خلدون الآنفة الذكر[٧] ، فقد اعتبر قديرة بأن العامل الذي ذكره ابن خلدون باسم أنور (وانور) ابن أبي بكر اللمتوني هو وانور بن محمد وفقاً لتسميته له ، أو يانور بن محمد كما ذكره ابن عذاري ، وأعتقد أن قديرة اعتمد على نص ابن خلدون التالي ، الذي لا يختلف عن نصه الآنف الذكر عن أنور بن أبي بكر اللمتوني[٨] ، ولكنه يتميز بأنه أكثر تفصيلاً والذي يقول فيه : « .. وبعث علي بن يوسف والياً عليها (أي جزر البليار) وانور بن أبي بكر من رجالات لمتونة ومعه خمسمائة فارس في عسكره فأرهف لهم حدة ، وأرادهم في بناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر فامتنعوا وقتل مقدمهم فثاروا به وحبسوه ومضوا إلى علي بن يوسف فأعفاهم منه وولى عليهم محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية ، وكان أخوه يحيى على غرب الأندلس ، وكان نزله بإشبيلية واستعمل محمد أخاه على قرطبة ، فكتب إليه علي بن يوسف يأمره بصرف أخيه محمد إلى ولاية ميورقة فارتحل إليها من قرطبة .. »[٩] . ولا أجد مفراً من الترجيح بأن يانور بن محمد الذي

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
(٢) ابن القطان : جزء من نظم الجمان ، ص ١١٨ وحاشية « ٢ » .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
(٤) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ، ص ١٦١ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
(٦) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ، ص ١٦١ .
(٧) ابن خلدون : العبر ، مج ٤ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، وج ٦ ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ .
(٨) ابن خلدون : مج ٤ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
(٩) المصدر السابق ، مج ٦ ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ .

ذكره ابن عذاري هو نفس الشخص الذي ذكره ابن خلدون باسم آخر ربما بسبب تصحيف الرواة وهو « وانور بن أبي بكر » ، كما اعتبره قديرة ، حتى نعثر على نصوص أخرى تؤكد ذلك أو تنفيه ، ولو أخذنا هذا الترجيح على علّاته فكيف نفسر وجود عامل آخر لجزر البليار بعد « يانور بن محمد » هو أبو بكر علي بن ورقاء « الذي مات بجزر البليار » كما يقول ابن عذاري[١] ، بينما نص ابن خلدون الآنف الذكر واضح وصريح بأن محمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية هو الذي تولى حكم جزر البليار بعد (وانور بن أبي بكر) الذي رجّحنا بأنه هو نفس العامل الذي ذكره ابن عذاري باسم « يانور بن محمد »[٢] . لا نجد أمامنا ثمة وسيلة لتفسير ذلك ان صحت رواية ابن خلدون ، إلّا أن نقول بأن ابن خلدون أغفل اسم أبي بكر علي بن ورقاء ، والذي يبدو بأن فترة ولايته كانت قصيرة وأنه توفي عقب توليته[٣] ، وكانت ما تزال المشاكل التي سببها سوء تصرف وانور بن أبي بكر (وانور بن محمد) قائمة بحاجة إلى حلول عاجلة ، مما جعل أمير المسلمين يختار عاملاً موثوقاً لحلّها ، وهو محمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية ، وهذا ما دعا ابن خلدون أن يربط ما بين اسمه واسم وانور بن أبي بكر .

د - **أبو بكر علي بن ورقاء** ، لم يذكر ابن عذاري عن هذا العامل سوى فقرة موجزة يقول فيها بأنه توفي في جزر البليار ونظراً لأن تاريخ تولية محمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية كان بعد وفاة أبي بكر علي بن ورقاء كما يقول ابن عذاري[٤] ، وفي عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م كما يذكر ابن خلدون في نصه الآنف الذكر[٥] ، فمعنى ذلك أن ولاية ابن ورقاء لجزر البليار كانت في فترة حرجة من تاريخ المرابطين في شرق الأندلس بصفة خاصة ، ففي تلك الفترة ٥١٩ - ٥٢٠ هـ = ١١٢٥ - ١١٢٦ م كان شرق الأندلس يتعرض لهجمة شرسة من قوات ابن ردمير (الفونسو المقاتل) ملك أرغون بالتعاون مع النصارى المعاهدين من كورة غرناطة ، الذين انضم إلى صفوف قواته منهم اثنا عشر ألف مقاتل ، مما شجّعه على الزحف على رأس أربعة آلاف من فرسانه وقام بمهاجمة بلنسية في شعبان ٥١٩ هـ = سبتمبر ١١٢٥ م وكان والياً عليها كما يقول صاحب الحلل الموشية « .. الشيخ أبو محمد يدر بن ورقاء بجماعة من المرابطين ، وقام بها يقاتلها مدة وفي أثناء ذلك وصله عدد وافر من النصارى المعاهدين .. واجتاز على جزيرة شقر .. ثم رحل منها إلى دانية .. وشق بلاد المشرق مرحلة مرحلة .. ولم يصل ابن ردمير (الفونسو المقاتل) إلى غرناطة حتى كان معه خمسون ألفاً .. في يوم عيد الأضحى (١٠ ذي الحجة ٥١٩ هـ = ٧ يناير ١١٢٦ م » .. وعاث الفونسو المقاتل في كورة غرناطة فساداً وتدميراً وأسراً

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، مج ٦ ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٥) ابن خلدون : العبر ، مج ٦ ، ص ٣٩١ .

وقتلاً(١)، وعاد إلى قاعدة ملكه في سرقسطة، التي كان قد استولى عليها سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م(٢)، والقوات المرابطية تطارده « .. حتى وصل إلى بلاده وهو يفخر بما ناله في سفره من هزيمة المسلمين وفتكه في بلادهم وكثرة ما أسر وغنم. وكان مقامه في بلاد الأندلس صادراً وواردا سنة وثلاثة أشهر.. » وكان هذا هو السبب الذي توجّه من أجله أبو الوليد ابن رشد الجد إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، لمناشدته بترحيل من تثبت خيانته من النصارى المعاهدين إلى عدوة المغرب فأخذ بقوله وأمر ولاته بالأندلس بتنفيذه(٣).

يتضح مما سبق ذكره مدى ما كانت تتعرض له بلاد شرق الأندلس من بلنسية شمالاً إلى أعماق كورة غرناطة جنوباً من تدمير وقتل وأسر على يد الفونسو المقاتل بالتعاون مع النصارى المعاهدين، وما أوقعته في صفوف القوات المرابطية من خسائر، وما عمّ شرق الأندلس من فوضى واضطراب طيلة سنة وثلاثة أشهر، في الوقت الذي كانت فيه ثورة داهمة في جزر البليار سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م بسبب سوء « تصرفات » وانور بن محمد، الذي يدعوه ابن خلدون « بأنور بن أبي بكر » كما ذكرنا(٤) مما يجعلني أميل إلى ترجيح أن تولية أبي بكر علي بن ورقاء كانت من قبل الشيخ « أبي محمد يدر بن ورقاء » الذي كان آنذاك عاملاً على بلنسية وذواتها في شرق الأندلس، كما يتضح من نص الحلل الموشية الآنف الذكر(٥).

ويبدو أن يدر بن ورقاء استناب قريبه أبا بكر بن ورقاء على جزر البليار لمعالجة ذيول الثورة الفاشية، فيها، بانتظار تعليمات أمير المسلمين علي بن تاشفين، وقبل أن ينجز ابن ورقاء المهمة المكلّف بها توفي فجأة في جزر البليار في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م، كما يرجح قديرة(٦). وهي مجرد فرضيات تحتمل الصواب والخطأ ومحاولة من جانبنا لتفسير إغفال ابن خلدون لأبي بكر علي بن ورقاء. ومهما يكن الأمر فقد أصدر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أمره بتولية محمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية، عاملاً على جزر البليار ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م لثقته في مقدرته على معالجة ذيول ثورة أهل جزر البليار على العامل أنور (وانور) بن أبي بكر اللمتوني كما يدعوه ابن خلدون(٧)، (ويانور بن محمد) كما يسميه ابن عذاري(٨).

---

(١) مجهول المؤلف: الحلل الموشية، ص ٦٧ – ٦٨.
(٢) الناصري: الاستقصا، ج ٢، ص ٦٦ – ٦٧.
(٣) مجهول المؤلف: الحلل الموشية، ص ٦٩ – ٧٠.
(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٤، ص ٣٥٦.
(٥) مجهول المؤلف: الحلل الموشية، ص ٦٧.
(٦) د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٦٢. (عن قديرة/الحلال المرابطين، ص ١٧٠ – ١٧١).
(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥ – ٣٥٦. وج ٦، ص ٣٨٧ – ٣٩١، ٥٠٥ – ٥٠٦.
(٨) ابن عذاري: البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ٢١٥.

جزر البليار في مطلع العهد المرابطي

ارتبطت جزر البليار في هذه الفترة الحرجة من تاريخها ببلاد الأندلس والمغرب وبالنشاط البحري للأساطيل المرابطية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لهذا كان للأحداث الهامة في كلا البلدين وللنشاط البحري المرابطي أثر كبير على هذه الجزر كما يتضح من الفترات التالية:

أ - الأحداث الهامة في البر الأندلسي وأثرها على البليار

استقرت الأوضاع في جزر البليار بعد عزل أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين « للسفيه المعتوه » ابن أبي السداد، الذي روّع أهل هذه الجزر وقسا عليهم وظلمهم في فترة حسّاسة من تاريخهم، كانت فيه جراحهم ما زالت تنزف ولم تلتئم بعد من آثار الحملة الصليبية البربرية، وكانوا يعانون من آثار التخريب والدمار والقلق وعدم الاستقرار، ولكن رعاية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين لهم واهتمامه بتحسين أوضاعهم واعادة الاطمئنان إلى نفوسهم(١)، وتوليته وانودين بن سير أحد كبار القادة المرابطين عاملا عليهم أعادت الطمأنينة إلى نفوسهم، والأمن والاستقرار إلى ربوعهم(٢)، وأخذت جزر البليار تستعيد بالتدريج ما كانت عليه من قوة ومنعة تحت حكم ولاتها من المرابطين البواسل. ونظراً لارتباط جزر البليار الوثيق ببلاد الأندلس وتبعية ثغر دانية وأسطولها البحري لوانودين بن سير عامل البليار المكلّف بالدفاع عن جزر البليار، فقد تأثرت بما كان يقع من أحداث في الثغر الأعلى الاسلامي وشرق بلاد الأندلس على وجه الخصوص(٣).

وكان المرابطون آنذاك يجابهون في البر الأندلسي عدوان ممالك وامارات اسبانيا المسيحية، التي حركتها الأحقاد الصليبية والحوافز العدوانية، والتطلع للاستيلاء على بلاد الأندلس، وقد جاهدت الدولة المرابطية في سبيل الدفاع عن الأندلس أعظم الجهاد وقدّمت في سبيل نصرته أعظم التضحيات ببسالة منقطعة النظير، ولم يقصّر أولئك البواسل قط في الدفاع عن عزة الاسلام في بلاد الأندلس..« ولم يكلّوا عن الكفاح أبداً على الرغم من تجمّع قوى النصرانية عليهم من جهة، وكراهية بعض طبقات الشعب الأندلسي لحكمهم من جهة أخرى، وهي كراهية ليس لها ما يبررها ولا تفسّر الا بعاطفة قومية متعصبة ضيقة التفكير قصيرة النظر.. »(٤).

وكانت أكثر أحداث الأندلس أثراً على جزر البليار على المدى القريب والبعيد، هي ما كان يتعرض له الثغر الأعلى الاسلامي وقاعدته الكبرى سرقسطة وميناؤه العظيم طرطوشة،

---

(١) د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٨٥–١٨٦.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ٢١٥.
(٣) د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٨٥–١٨٦.
(٤) المصدر السابق، ص ١٢٧ وما بعدها.

وساحل الأندلس الشرقي من عدوان من مملكة أرغون وامارة قطلونية ، بالتعاون مع قوات صليبية حشدتها الكنيسة وعبأتها بالحقد ، وتمكّن ابن رذمير (الفونسو المقاتل) ملك أرغون من الاستيلاء على سرقسطة في رمضان ٥١٢ هـ = ديسمبر ١١١٨ م ومعظم قواعد الثغر الأعلى بالتعاون مع حشود من الفرنجة ، ويقول ابن أبي زرع في هذا الصدد بأن ابن رذمير (الفونسو المقاتل ملك أرغون) «.. بعث الى طوائف الافرنج يستنصر بهم على سرقسطة فأتوا في أمم كالنمل والجراد ، فنزلوا بها وشرعوا في قتالها ، ووضعوا أبراجاً من خشب تجري على بكارات وقرّبوها منها ، ونصبوا فيها الرعادات ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً .. » حتى استسلمت بعد أن فني معظم أهلها من الجوع والمقاومة الضارية ، وغادرها من بقي حياً من أهلها إلى بلنسية ومرسية[1] بعد اتفاق مع الفونسو المقاتل ملك أرغون تقيّد به وحافظ عليه« .. ووجه معهم من رجاله من يشيعهم الى آخر أعماله .. » ، كما سمح لمن رغب منهم في البقاء بالاقامة في ربض الدباغين شريطة أن يدفع الجزية[2] ، وهو موقف يلفت النظر ، ولا شك ، وأعتقد بأنّه وليد التعايش الطويل بين ممالك اسبانيا المسيحية ومسلمي اسبانيا ، وما نتج عنه من تقدير للخصم ومعاملته بالمثل ، بعكس الموقف الذي كانت تتخذه الحشود الصليبية الوافدة من بلاد الفرنجة والجمهوريات الايطالية من قتل جماعي وابادة شاملة وما كانت ترتكبه من جرائم وحشية وسفك للدماء بصورة همجية ، وقد ذكرنا نماذج من تلك التصرفات البربرية بما قامت به الحملة الصليبية المؤتلفة على جزر البليار خاصة من البيزيين والفرنجة ، بينما كان موقف أمير قطلونية أكثر اعتدالا وأقل عدواناً وأكثر ميلاً إلى المهادنة كما ذكرنا بالتفصيل في موضعه . ومما لا شك فيه أن الفونسو المقاتل أرسل بعض قواته لمرافقة الراحلين من مسلمي سرقسطة لحمايتهم من الفرنجة الذين اشتركوا في صفوف قواته من أهل بيارن بقيادة جاستون دي بيارن وأخيه سانتولو ، اللذين اشتركا في الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام ، كما أسهم في حصار سرقسطة والاستيلاء عليها حملة صليبية بقيادة الكونت دي طولوز ضمت عدداً كبيراً من المقاتلين والأساقفة ورجال الدين ، كما اشتركت قوات قطلونية والبشكنس[3] .

وكانت امارة قطلونية النصرانية في شمال شرق شبه جزيرة إيبرية ، تتطلع إلى الاستيلاء على ثغر طرطوشة[4] الإسلامي المنيع على مصب نهر الإيبرو في الثغر الأعلى الاسلامي ،

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٨٨ – ٨٩ .
الناصري : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٦ – ٦٨ .

(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٣) يوسف اشباخ : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٩٠ .

(٤) طرطوشة : كبرى موانئ الثغر الأعلى الإسلامي على نهر الايبرو الذي يصب في البحر المتوسط ، وكانت في العهد المرابطي كما كانت في كافة عهودها الإسلامية قاعدة كبرى لمجاهدي البحر وسنداً قوياً لجزر البليار في مواجهة تهديد أساطيل امارة قطلونية المحاذية لثغر طرطوشة ، وفي مجابهة اساطيل بيزة وجنوة والبروفانس =

واستغلّت سقوط سرقسطة القاعدة الكبرى لهذا الثغر ٥١٢ هـ = ١١١٨ م في يد حلف صليبي بقيادة الفونسو المقاتل ملك أرغون ، وقامت بالاغارة على ثغر طرطوشة ومحاصرتها بالتعاون مع الفونسو المقاتل وحشوده الصليبية ٥١٢ هـ = ١١١٨ م ، وتمكنت تلك القوات الهائلة من اقتحام قسم من ذلك الثغر الحصين ، ولكن القوات المرابطية تمكنت من دحر الغزاة واستعادة طرطوشة من أيديهم[1] ، ولم يثن ذلك الفشل رامون برنجار الثالث[2] عن مواصلة الإغارة على طرطوشة بالتحالف مع البيزيين والجنويين ، ولكن محاولاته باءت بالفشل عدة مرات ، ولم ييأس رامون برنجار الثالث أمير قطلونية العنيد بالرغم من فشله الذريع ، واستغل عدوان الفونسو المقاتل على شرق الأندلس في عام ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م ، وهزيمة القوات المرابطية في وقعة قتندة ، وقام بتضييق الخناق على طرطوشة ولاردة[3] ، وتمكن المرابطون من فك الحصار عن طرطوشة

= وصقلية النورمندية التي لم تتوقف عن غاراتها على جزر البليار ، وثغور شرق الأندلس طيلة العهد المرابطي ، وكانت أساطيل طرطوشة لها بالمرصاد بالتعاون مع الأساطيل المرابطية في ثغور بلاد المغرب والأندلس ، وكانت طرطوشة في عهد المرابطين مثوى للمجاهدين من غزاة البحر الذين كانوا يثخنون في شواطىء الأمم النصرانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وكان لوجود غابات مترامية من الصنوبر الجيد الذي تصلح أخشابه لصناعة السفن ، بالاضافة إلى حصانتها الفائقة أكبر الأثر على صمودها في وجه الحملات الصليبية حتى نهاية العهد المرابطي ، فبالرغم من مقاومة حاميتها للغزاة ببسالة منقطعة النظير ، الا ان انهيار الحكم المرابطي في بلاد الأندلس ، مكّن الحملة الصليبية التي دعا اليها البابا ايوجين الثالث من الاستيلاء على ذلك الثغر العظيم في ١٦ شعبان ٥٤٣ هـ ٣١ ديسمبر ١١٤٨ م ، مما عرّض جزر البليار لأفدح الأخطار .
(الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩١ . ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٧ . وألفريد بل : بنو غانية ، ص ١٨ – ١٩ وحاشية« ٢ » ، ص ١٨ . ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٣٦٩ – ٣٧٠) .

(١) شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص٨ – ٩ .

(٢) رامون برنجار الثالث الكبير ٤٩١ – ٥٢٦ هـ = ١٠٩٧ – ١١٣١ م ، تولى إمارة قطلونية بعد موت عمه رامون برنجار الثاني الذي رحل الى المشرق للاشتراك في الحروب الصليبية ، وأسهم رامون برنجار الثالث في تدعيم امارة قطلونية التي وصلت في عهده إلى ذروة قوتها ، وقام بدور خطير في الحرب ضد المسلمين في بلاد الأندلس ، وكان أحد كبار قادة الحملة الصليبية الكبرى المؤتلفة على جزر البليار ٥٠٨ – ٥٠٩ هـ = ١١١٥ – ١١١٦ م ، واشترك في عدة حملات عسكرية ضد المرابطين في الأندلس خسر بعضها وربح البعض الآخر ، وورث عن زوجته الفرنجية رونيا دولثا ولاية البروفانس ، كما استولى على جزء كبير من ولاية لانجدوك الفرنجية ، ووسّع ممتلكاته في بلاد الفرنجة ما وراء البرتات مما قوى امارة قطلونية ودعّم من قدراتها العسكرية . وانتظم في آخر عهده في سلك فرسان المعبد (الداوية) واستعان بهم في حروبه ضد المسلمين في بلاد الأندلس إلى أن توفي سنة ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م ، وخلفه ابنه رامون برنجار الرابع . (يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص ١٧٤ – ١٧٥ . وشكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ، ٢١٩) .

(٣) شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ٢١٩ . ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٥٠٠ وما بعدها .

ولاردة بعد معارك عنيفة مع امارة قطلونية تداولوا فيها النصر والهزيمة[١]، في الوقت الذي كانت فيهم قواتهم في شرق الأندلس تتصدى لقوات مملكة أرغون بقيادة الفونسو المقاتل، الذي اجتاح بالتعاون مع النصارى والمعاهدين شرق الأندلس من شماله إلى جنوبه ٥١٩-٥٢٠ هـ = ١١٢٥-١١٢٦ م، ولم تتمكن القوات المرابطية من وقف الاجتياح إلا بعد عناء شديد وخسائر فادحة[٢]، فقد كانوا يحاربون آنذاك على جبهتين، النصارى في الأندلس، والموحدين في بلاد المغرب الأقصى، وكانت هزائمهم في شرق الأندلس بسبب ما عانوه من خسائر في حربهم ضد الموحدين، الذين كان لحركتهم أكبر الأثر على مصير الأندلس عامة[٣]، وعلى جزر البليار بصفة خاصة، التي أعلن أهلها في هذه الفترة الحرجة، الثورة على عاملهم وانور ابن أبي بكر اللمتوني، الذي عسف بهم ونكل بقادتهم[٤].

ب - ظهور الدعوة الموحدية في بلاد المغرب وأثرها على البليار

بينما كانت القوات المرابطية تخوض أقسى المعارك وأعنفها لمجابهة عدوان الامارات والممالك المسيحية الاسبانية وحلفائها من الفرنجة، ظهرت الدعوة الموحدية في بلاد المغرب الأقصى على يد محمد بن عبد الله بن تومرت الذي فرّق كلمة المسلمين في وقت كانوا فيه بأشد الحاجة الى اجتماع الكلمة وحشد الصفوف[٥]، واعلن ابن تومرت عصيانه وخروجه على الدولة المرابطية في عام ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م في الوقت الذي كانت فيه القوات المرابطية والمتطوعة من أهل الأندلس يجابهون عدوان الفونسو المقاتل ملك أرغون في معركة قتندة المفجعة في شرق الأندلس التي فقد فيها المسلمون آلاف الشهداء[٦]! وفشلت القوات المرابطية في القضاء على هذه الدعوة في مهدها وأصبحت خطراً داهماًيهدد الدولة المرابطية بأسرها بالانهيار[٧]، مما عزل جزر البليار إلى حد كبير عن مراكز امدادها واسنادها الرئيسية في بلاد المغرب وشرق

---

(١) يوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٧٥. وشكيب ارسلان: الحلل السندسية، ج ٣، ص ٢١٩.
ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص ٥٠٠-٥٠١.
(٢) مجهول المؤلف: الحلل الموشية، ص ٦٧-٧٠.
(٣) د. محمود علي مكي: مقدمة نظم الجمان، ص ٣.
(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥-٣٥٦، و ج ٦، ص ٥٠٥-٥٠٦.
(٥) ابن الاثير: الكامل، ج ١٠٦، ص ٥٦٩-٥٧٤.
وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٤٧٠-٤٧١.
(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠٨.
(٧) ابن القطان: جزء من نظم الجمان/ تحقيق د. محمود علي مكي، ص ٦٢-٦٤ و ٦٥-٩٦. وابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٥٧٩.

الأندلس، لانشغال القوات المرابطية في الحرب على جبهتين كما يقول الدكتور مكي في نصه التالي: « ان المرابطين الذين جاهدوا في سبيل الاسلام، وبذلوا الكثير من دمائهم وأموالهم حتى مدّوا في عمر الاسلام ما كان يوشك أن ينقطع لم يلبثوا وهم في غمار هذه المعركة الحامية أن رأوا محمد بن تومرت شاقاً عصا الطاعة.. فاضطروا إلى القتال على جبهتين، النصارى من خارج والموحدين من داخل، وكانت هزائمهم ممهدة لأمر الموحدين، ولكن على حساب من؟ ولحساب من؟[١].

ولولا قوة الأساطيل المرابطية في تلك الفترة الحرجة[٢]، لوقعت جزر البليار فريسة سهلة للأساطيل المسيحية المتربصة، في وقت كانت فيه هذه الجزر في عزلة عن ساحل الأندلس الشرقي الذي كان يتعرض آنذاك لعدوان صليبي[٣]، وعن بلاد المغرب الأقصى الذي كانت قواته الرئيسية تشتبك في حرب استنزاف متواصلة مع الموحدين[٤].

جـ - دور الأساطيل المرابطية في الدفاع عن البليار

أعاد الأسطول المرابطي بقيادة ابن تافرطاس الأمن والاستقرار إلى جزر البليار، وبعد أن قام هذا القائد البحري المرابطي بتعمير ما دمر في هذه الجزر وتشجيع الغزاة والمتطوعة والبحارة على استيطانها، غادرها في مطلع ٥١٠ هـ = ١١١٦ م إلى قاعدته البحرية[٥].

وأصبحت جزر البليار منذ مطلع محرم ٥١٠ هـ = مايو ١١١٦ م تحت اشراف أبي السداد عامل دانية وقائد أسطولها لتوفير الحماية لها، حتى يختار أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من يصلح لولايتها من كبار قادته، وبعد وفاة أبي السداد فجأة، تولى ابنه الإشراف على هذه الجزر، فأساء التصرف وظلم وقسا عليهم[٦]، ولما بلغ ذلك الى أمير المسلمين ولى على هذه الجزر القائد المرابطي وانودين ابن سير[٧]، وكلفه بكتاب التولية المؤرخ في ٢٠-٢١ ربيع الأول ٥١٠ هـ = ٢-٣ أغسطس ١١١٦ م، بطرد السفية المعتوه ابن أبي السداد وتوفير الرعاية والأمن لأهل هذه الجزر التي كان علي بن يوسف بن تاشفين يوليها عنايته، ويقدّر أهميتها في الدفاع عن

---

(١) د. محمود علي مكي: مقدمة نظم الجمان، ص ٣.
(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٥١-٤٥٢.
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠٥.
وابن الأثير: الكامل، ص ٥٨٦، ومجهول المؤلف: الحلل الموشية، ص ٦٧-٧٠.
(٤) ابن القطان: جزء من نظم الجمان، ص ٦٥ وما بعدها.
وابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٥٧٩.
(٥) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء، ص ١٢٤.
(٦) د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٨٥-١٨٦.
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ٢١٥.

شرق الأندلس ، لهذا أوكل لوانودين بن سير عامل جزر البليار بالاشراف على قاعدة دانية البحرية ، وأن يستنيب من القادة البحريين من يجده أهلاً لقيادة أسطول دانية المرابطي المكلّف بالدفاع عن جزر البليار ، وكان لهذا التنسيق أهمية قصوى في ضمان سلامة جزر البليار في وقت كانت فيه هذه الجزر في فترة إعادة بناء قوتها البحرية بعد التدمير المروع الذي تعرضت له خلال الاجتياح الصليبي[١] .

ولم يكن أسطول دانية هو الأسطول الوحيد في جزر البليار ، فقد كانت جميع أساطيل شرق الأندلس من طرطوشة شمالا إلى المرية جنوباً تقدم الدعم والاسناد لهذه الجزر بالتعاون مع بقية الأساطيل المرابطية التي بلغ عددها في ثغور المغرب والأندلس مائة أسطول ، ويقول ابن خلدون بهذا الصدد :« وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد (المرابطي) موفور الأساطيل ، ثابت القوة ، لم يخفه عدو ، ولا كانت لهم به كرّة ، وكان قادة الأسطول في عهد لمتونة ، بني ميمون ... وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة في العدوتين ... »[٢] . ولم يقف دور هذا العدد الهائل من الأساطيل البحرية عند حد الدفاع عن جزر البليار وسواحل بلاد الأندلس والمغرب الأقصى فحسب ، ولكنها كانت درعاً واقياً لثغور أفريقية في مواجهة أساطيل صقلية النورمندية[٣] ، وقامت بحملات بحرية واسعة النطاق على ثغور قطلونية وجنوب بلاد الفرنجة وغرب ايطاليا وعلى جزر سردانية وقرسقة وصقلية النرمندية ، وأشغلت الأساطيل المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط في حروب بحرية متواصلة[٤] ، مما خفف من حدة الاجتياح الصليبي لبلاد الشام التي كانت تتعرض آنذاك لهجوم صليبي واسع النطاق[٥] .

د - الحملات البحرية المرابطية في غربي البحر المتوسط ووسطه

قامت الأساطيل المرابطية التي وصل عددها إلى مائة أسطول في شتى قواعد البحرية المرابطية في ثغور الأندلس والمغرب الأقصى وجزر البليار بدور بطولي في التصدي للأساطيل

(١) د. محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٥-١٨٦ .
(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥١-٤٥٢ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٢ و ٦٦-٦٧ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٣٠ و ٦١١ . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣٠-٣٣١ . ورحلة التجاني ، ص ٣٣٧ . والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٢ ، ص ٤٧٤ .
(٤) محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٧٥-٧٦ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٢-٦٧ . وابن الأثير : الكامل ، ص ٦١١-٦١٣ . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ . والمقري : نفح الطيب ، ج٣ ، ٢٢٠ .
وألفريد بل : بنو غانية ، ص ٢٨ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٥٤٣ وص ٥٥٣-٥٥٦ ، ٥٦٨ و ٦١٠ و ٦١٣ و ٦٢٠ و ٦٢٨ و ٦٣٩ . د. عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٢٩ .

الصليبية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ومطاردتها إلى عقر دارها ، ولم تهزم في أي حملة بحرية طيلة العهد المرابطي[١] ، وليس أدل على ذلك من أن جميع الأساطيل المسيحية في غربي البحر المتوسط ووسطه بما فيها أسطول صقلية النورمندية ، لم تتكمن من احراز أي نصر بحري أو اجتياح أي ثغر بحري اسلامي في سواحل الأندلس والمغربين الأقصى والأوسط وافريقية وجزر البليار قبل سقوط الحكم المرابطي[٢] . وبرز في ميدان الجهاد البحري منذ بداية عهد المرابطين أسرة بني ميمون[٣] ، وكان أبو عبد الله محمد بن ميمون أعظم من أنجبته هذه الأسرة الماجدة قائد « غراب » في مطلع شبابه في فترة الحصار الصليبي على مدينة ميورقة ، وقد نجح في اختراق الحصار المحكم الذي فرضته الأساطيل الصليبية على ثغر مدينة ميورقة ، وانطلق في « غرابه » من دار الصناعة ليلا لنقل رسالة استغاثة من أمير البليار إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الذي ألحقه بالأسطول المرابطي اعجاباً بشجاعته وتقديراً لبسالته[٤] . وفي سنة ٥١٠ هـ = ١١١٦ م أصبح محمد بن ميمون أحد كبار قادة الأساطيل المرابطية ، ويقول ابن عذاري بهذا الصدد « وفي عام ٥١٠ هـ = ١١١٦ م ، قدم أمير المسلمين (علي بن يوسف بن تاشفين) ، محمد بن ميمون قائد الأسطول البحري ، وكان له غزوات مشهورة وأمور مذكورة[٥] ، واتخذ أبو عبد الله محمد بن ميمون من ثغر المرية قاعدة لأسطوله[٦] ، وظل يتردد على جزر البليار على رأس أسطوله مقدماً الدعم والإسناد لعمال هذه الجزر حتى نهاية العهد المرابطي[٧] . وبالرغم مما تعرض له أهل جزر البليار من خسائر فادحة خلال فترة الاجتياح الصليبي لهذه الجزر ٥٠٨-٥٠٩ هـ = ١١١٥-١١١٦ م ، إلا أنهم سرعان ما استعادوا قوتهم والتحقوا بالأساطيل المرابطية ، وأسهموا بدور بارز في الإغارة على الثغور المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط تحت علم المرابطين[٨] . ولم يكن محمد بن ميمون هو القائد البحري الوحيد من هذه الأسرة الماجدة في عهد المرابطين ، فقد تولى ابن أخته علي بن عيسى بن ميمون قيادة أسطول قادس[٩] ، كما تولّى زوج أخته عيس بن ميمون قيادة أسطول أشبيلية[١٠]، واتخذ من قاعدة

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥١-٤٥٢ .
(٢) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ٩٣-٩٤ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥١-٤٥٢
(٤) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٣-١٢٤ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٢ .
(٦) المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ .
(٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠-٢٢٢ .
(٨) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١١٨-١١٩ .
(٩) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٨٥
والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٧ .
(١٠) محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٧٥ .

شنتمرية الغرب على المحيط الأطلسي قاعدة بحرية لأسطوله، لقطع الطريق على الأساطيل الصليبية المتجهة إلى بلاد المشرق[١]، وفي الإغارة على ثغور ساحل ايطاليا الغربي[٢].

وأول اشارة في مصادرنا الاسلامية عن حملات أبي عبد الله محمد بن ميمون البحرية هي ما ذكره ابن عذاري في حوادث عام ٥١١ هـ = ١١١٧ م، حيث قال «وفيها نفذ عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى أبي عبد الله بن ميمون قائد الأسطول بتعمير حملة لغزو بلاد الروم..» ويتابع ابن عذاري نصّه الآنف الذكر قائلاً «فعمّر (ابن ميمون) خمسة وعشرين (مركبا) من ذوي الدربة والنجدة، فاستفتح مدينة قطرون..» وعاد إلى المرية سالماً غانماً[٣]، وارجح بأن هذه الحملة البحرية كانت على ساحل امارة قطلونية التي كانت تمثل في عام ٥١١ هـ = ١١١٧ م خطراً داهماً على الثغر الأعلى الإسلامي، وكانت قواتها تهدد ثغر طرطوشة، بالإضافة إلى تعاونها مع مملكة أرغون في عهد ملكها الفونسو المقاتل في العدوان على شرق الأندلس ومهاجمة سرقسطة كبرى قواعد الثغر الأعلى الإسلامي، والاشتراك في تدمير وتخريب المناطق المحيطة بها بنفس الأسلوب الوحشي الذي اتبعه غزاة الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى على جزر البليار، مما ملأ نفوس غزاة البر خاصة أهل جزر البليار حقداً على هذه الإمارة العاتية وحفزهم إلى الانتقام منها[٤].

ومما يؤسف له أن مصادرنا الإسلامية لا تزوّدنا بأي تفاصيل عن الحملات البحرية المرابطية على ثغور امارة قطلونية بالرغم من الحرب الطاحنة التي نشبت بين الطرفين على ثغري طرطوشة ولاردة طيلة العهد المرابطي، وكان من أعنف فتراتها عن عام ٥١١ هـ = ١١١٧ - ١١٢٥ م، وأسفرت عن هزيمة امارة قطلونية بعد معارك برية وبحرية تداول فيها الطرفان الهزيمة والنصر، وأسهمت فيها أساطيل الطرفين بدور كبير[٥].

وتشير المصادر الفرنجية والإسبانية إلى احدى الغارات البحرية التي قام بها ابن ميمون على ساحل امارة قطلونية، ويقول ألفريد بل المؤرخ الفرنسي بهذا الصدد عند حديثه عن «الربرتير»[٦] من مدونة الامبراطور الإسباني الفونسو السابع ما يلي:

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٤٨٨.
(٢) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٧٥.
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٦٦.
(٤) مجهول المؤلف: الحلل الموشية، ص ٦٧ - ٧٠. وشكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ٣، ص ٨-٩. ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص ٩٠ وما بعدها.
(٥) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٧٥. وشكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ٣، ص ٢١٩. ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص ٥٠٠-٥٠١.
(٦) تطلق عليه المصادر الإسلامية اسم «الربرتير» حيناً والأبرتير حيناً آخر Elreverter وظل هذا القائد =

«أحد النبلاء المسيحيين من أعضاء مجلس بلدية برشلونة العشرة، وكان يدعى بالربرتير (روبرت)، ولقد أسر هذا النبيل (القطلاني) في حملة من الحملات البحرية التي كان يقوم بها أمير البحر المرابطي محمد بن ميمون على سواحل امارة قطلونية، وقد حمله إلى بلاد المغرب، حيث أسند إليه علي بن يوسف بن تاشفين قيادة فرقة المرتزقة النصارى في الجيش المرابطي التي أسهمت بدور هام في نهاية عهد المرابطين»[١].

ولم تتوقف غارات الأساطيل المرابطية بمساندة من مسلمي جزر البليار عند حد الإغارة على ثغور امارة قطلونية، ولكنها تجاوزت ذلك إلى الإغارة على جميع الثغور المسيحية في غربي الحوض الغربي للبحر المتوسط ووسطه[٢]. وانتقم المسلمون من أهل جزر البليار لضحاياهم من غزاة الحملة الصليبية البرابرة، وأغاروا على ثغورهم بالمثل تحت علم المرابطين، ويذكر محمد الزهري ما يلي عن غارات الأساطيل المرابطية على «بلاد الرمانية» التي تعني في المصطلح الإسلامي ثغور ساحل ايطاليا الغربي ما يلي: «وفي غربي رومة بلاد الرمانية، وقد بلغت غارات المسلمين في البحر من بلاد الأندلس إلى هذه البلاد، وكان يومئذ على الأسطول محمد بن ميمون من مدينة المرية، وغزاها من بعده من أشبيلية عيسى بن ميمون...»[٣].

كما أغار محمد بن ميمون على ثغور قلورية (كلابرية) في جنوب ايطاليا وعلى جزيرة صقلية النورمندية، تلبية لصريخ أمير افريقية الحسن بن علي بن يحيى الزيري بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين لردع روجر الثاني ملك صقلية النورمندي عن القيام بأي عدوان على ثغور افريقية[٤]. وقد لبّى أمير المرابطين نداء أمير افريقية الحسن بن علي وأمر قائد أسطول المرية

= القطلاني يقاتل تحت علم المرابطين على رأس فرقة من المرتزقة النصارى إلى أن قتل على يد الموحدين ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م، وترك عند مقتله ولدين اعتنق أحدهما الإسلام والتحق بالموحدين وتسمى باسم (علي بن الربرتير) وقام بدور خطير في تاريخ جزر البليار في عهد بني غانية المرابطين من مسّوفة إلى أن قتل على يدهم ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م. (ابن القطان: جزء من نظم الجمان، تحقيق د. محمود علي مكي، حاشية (١)، ص ٩٦. وابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، تحقيق د. حسين مؤنس، حاشية (١)، ص ١٩٣).
(١) ألفريد بل: بنو غانية، ص ٢٨.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٨-١١٩.
(٣) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٧٥-٧٦.
وألكسندر سيبل: أخبار أمم المجوس بن الأرمان وورنك والروس، طبعة أوسلو ١٩٢٨، ص ٣٨-٤٠.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٣٠٧، وج ٤، ص ٦٧.
وابن أبي دينار: المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ص ٩١.
وابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٦١١.
وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٣٣٠-٣٣١
ورحلة التجاني: ص ٣٣٤.
والوزير محمد السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج ٢، ص ٣٥٥.

محمد بن ميمون بغزو سواحل صقلية وقلورية (كلابرية) النورمندية تدعيماً ونصرة لبني زيري الذين كانت تربطه بهم ، بالإضافة إلى رابطة الإسلام والجهاد المشترك لإعلاء كلمة الله ، « العصبية الصنهاجية » واستطاع القائد البحري العامل محمد بن ميمون في إحدى حملاته البحرية على ساحل قلورية (كلابرية) في جنوب ايطاليا اقتحام ثغر نقوطرة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م[١].

بينما يذكر ابن خلدون بأن قائد أسطول المرابطين الذي يدعوه حيناً باسم أحمد بن ميمون ، وحيناً آخر باسم محمد بن ميمون ، قام بغزو جزيرة صقلية « وافتتح قرية منها فسباها وقتل أهلها سنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م »[٢].

ويقول ابن عذاري بهذا الصدد « وفي سنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م غزا ابو عبد الله بن ميمون قائد علي بن يوسف ملك البرّين (المغرب والأندلس) جزيرة صقلية ، فافتتح بها مدينة نقوطرة من عمل رجار (روجر الثاني) صاحب صقلية وسبى نساءها وأطفالها وقتل شيوخها وسلب جميع ما وجده فيها »[٣].

ويروي التجاني في رحلته رواية أخرى عن هذه الغارة يقول فيها « ولما مات علي بن يحيى (أمير افريقية) وولي بعده ابنه الحسن ، كان أمير المسلمين بالمغرب علي بن يوسف بن تاشفين (يستنصره) ، فقام بارسال أسطوله بقيادة قائده علي بن ميمون إلى بلاد لجار (روجر الثاني) ، فاستفتح بها حصونا وسبى سبايا كثيرة[٤] . ويذكر صاحب الحلل السندسية في الأخبار التونسية نفس النص الآنف الذكر[٥] . ونلاحظ من الروايات الآنفة الذكر ظاهرة تستلفت النظر ، وهي قسوة غزاة البحر في معاملة أهل الثغور المسيحية التي كانوا يغيرون عليها ، وأرجح بأن سبب ذلك يعود إلى ما كانت تقوم به الأساطيل المسيحية من حرب ابادة ، وتدمير للثغور الإسلامية التي تتمكن من اقتحامها ، وليس أدل على ذلك من الجرائم الوحشية التي ارتكبها غزاة

---

(١) ابن الأثير: الكامل ، ج ٦ ، ص ٦١١ .

(٢) ابن خلدون: العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ (من الطريف ان ابن خلدون يذكر اسم قائد الحملة البحرية المرابطية على ثغر نقوطرة حيناً باسم أحمد بن ميمون (ج ٦ ، ص ٣٣٠) ، وحيناً آخر باسم محمد بن ميمون (العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣١) وهو الاسم الصحيح كما اجمعت على ذلك معظم المصادر التي سبق ذكرها .

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٧-٣٠٨ ، وج ٤ ، ص ٦٧ .

(٤) رحلة التجاني ، ص ٣٣٤ (يذكر التجاني في نصه اعلاه بأن القائد البحري المرابطي الذي أغار على ثغور جزيرة صقلية وقلورية هو (علي بن ميمون) مما يدل على التعاون الوثيق بين أسطول المرية بقيادة محمد بن ميمون (نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢٠) وعيسى بن ميمون قائد أسطول اشبيلية (محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٧٥) . وعلي بن ميمون قائد أسطول قادس (ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٨٥) في الإغارة على جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا (قلورية) .

(٥) الوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

الصليبية المؤتلفة الكبرى في جزر البليار ، التي كانت ما زالت ماثلة للعيان راسخة في الأذهان ، في بداية عهد المرابطي ، مما كان يملأ نفوس المسلمين حقداً على المعتدين ويحفزهم على الانتقام منهم ، ولهذا كان ردّ الفعل الإسلامي قاسياً وعنيفاً ، وعاملوا الغزاة بالمثل ، وهو حق أقرته الشرائع والقوانين ، لردع أولئك البرابرة وارهابهم وحماية دار الإسلام من عدوانهم ، في وقت كانت الحرب الصليبية التي أعلنتها البابوية على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على أشدّها ، وقد تركزت الغارات البحرية الرادعة للأساطيل المرابطية على امارة قطلونية وعلى ثغور جنوب بلاد الفرنجة ، وساحل ايطاليا الغربي وجزيرة صقلية وقلوربة (كلابرية) النورمندية في جنوب ايطاليا في عهد روجر الثاني[١] ، الذي كان يقدم التسهيلات للحملات الصليبية

---

(١) روجر الثاني : أعظم ملوك أسرة هوتفيل النورمندية في صقلية وجنوب ايطاليا« قلورية وابوليا » ٤٩٥-٥٤٨ هـ = ١١٠١ - ١١٥٤ م ، تولى الملك بعد وفاة والده روجر الأول الذي استولى على جزيرة صقلية الإسلامية بعد ثلاثين سنة من حرب متصلة ، ووطد دعائم الحكم النورمندي في هذه الجزيرة الإستراتيجية لابنه روجر الثاني ، الذي اصبحت صقلية في عهده قاعدة كبرى للعدوان الصليبي على الثغور الإسلامية في الحوضين الغربي والسرقي للبحر المتوسط . وبالرغم من نزعة روجر الثاني الصليبية ، إلا أنه أبقى المسلمين في مملكته اعجاباً منه بالحضارة الإسلامية المتفوقة ، وقد استعان بمسلمي صقلية في شتى المجالات العلمية والاقتصادية والإدارية والعسكرية ، وكان له عيون وأرصاد وجواسيس في سواحل المغرب والأندلس وأفريقة ومصر والشام ، كان يشرف عليهم جرجي بن مخائيل الانطاكي ، وكانوا من مختلف الأجناس ، ومعظمهم من مسلمي صقلية الذين خضعوا لحكم النورمان عن رغبة أو رهبة ، وكان هم روجر الثاني معرفة كافة التفاصيل عن جغرافية العالم الاسلامي بصفة خاصة لتحقيق طموحاته التوسعية ولخدمة المصالح الصليبية ، وليس أدل على ذلك من استخدامه للشريف الإدريسي في رسم خارطة للعالم المعروف في عصره وتأليف كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لوصف هذه الخارطة ، وقد عرف هذا الكتاب باسم« الكتاب الرجاري » .

وكما كانت صقلية في عهد روجر الثاني حلقة الاتصال بين المشرق والمغرب ، ومعبراً للحملات الصليبية المتجهة إلى بلاد الشام ، كان روجر الثاني ملك هذه الجزيرة وجنوب ايطاليا التابع لها ، يمثل بحق صلة الوصل بين ملوك اوروبا الغربية وقادة الحملات الصليبية في عهده ، فقد كان زوجا للأميرة الفيرا ابنة الفونسو السادس ملك ليون وقشتالة وصقلية واشتوريش كبرى ممالك اسبانيا المسيحية ، وعديلا لكل من ريموند دي طولوز أحد قادة الحملة الصليبية الأولى ، ولهنري دي بزانسون الذي أسس مملكة البرتغال ، ولريموند البورجوني الفارس الصليبي زوج أوراكا ابنة الفونسو السادس ، ومن بعد وفاته عديلاً لألفونسو المقاتل ملك أرغون ، وكان على علاقة وثيقة بالبابوية بالامارات الصليبية في بلاد الشام ، فقد اشترك من أولاد عمه في الحملة الصليبية الأولى بوهمند وتنكرد ، وقد أسس بوهمند ابن عمّه روبرت جسكارد امارة انطاكية الصليبية ، كما كان حليفاً لقيصر اسبانيا الفونسو السابع (ريموند يس) ولأميري قطلونية رامون برنجار الثالث والرابع وللجمهوريات البحرية الإيطالية ، وللويس السادس ملك الفرنجة ، وهنري الأول ملك انجلترا النورمندي . (رحلة التجاني ، ص ٣٤١ ، والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ . ويوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٣٢ - ١٣٥ . ود . احسان عباس : العرب في صقلية ، ص ١٤٥ وما بعدها . ود . أحمد مختار العبادي : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في الحروب الصليبية ، ص ٨٨ وما بعدها . ود . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة في العصور الوسطى ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

المتجهة إلى بلاد الشام ، ويخطط للاستيلاء على سواحل افريقية بالتنسيق مع جرجي بن مخائيل الانطاكي ، وهو شخص غامض مريب قام بدور خطير في افريقية وصقلية النورمندية طيلة نصف قرن ، ويذكر عنه ابن خلدون ما يلي : كان جرجي هذا نصرانياً هاجر من المشرق ، وقد تعلّم اللسان وبرع في الحساب وتهذّب في الشام بانطاكية وغيرها ، فاصطنعه تميم بن المعز بن باديس (أمير افريقية) . . . وكان يحيى بن تميم يشاوره ، فلما هلك تميم أعمل جرجي الحيلة في اللحاق برجار « روجر الثاني » فلحق به وحظي عنده واستعمله على أسطوله . . . »[١] ، ويضيف التجاني إلى ما سبق ذكره بأن تميم بن المعز بن باديس جعل هذا النصراني المريب ، الذي أرجح بأنه كان مكلّفاً بمهمات تجسس وتخريب في افريقية . . . « على مصارف الأموال . . . فصارت أموال المسلمين كلها في يده وأيدي أقاربه . . فلما مات تميم خاف هذا النصراني من يحيى ابن تميم ، فخاطب لجار (روجر الثاني) صاحب صقلية ، وأعلمه بأنه يحب الانتقال إليه ، فوجّه لجار إليه قطعة (بحرية) أظهرت أنها وصلت في رسالة ، فخرج هذا النصراني وأقاربه في يوم الجمعة عند اجتماع الناس للصلاة ، وتزيوا بزي البحريين ، فطلعوا اليهم فتم لهم أمرهم ، فلم يفطن لهم الناس إلا وقد أقلعوا ! ولما وصلوا إلى صقلية حكّمهم عبد الرحمٰن النصراني صاحب اشغالهم في الجبايات ، ولما احتاج لجار أن يوجه رسولاً إلى مصر أشار عليه عبد الرحمٰن بجرجي هذا ، فأرسله فنصح وأقبل بذخائر ملوكية أحظته عند لجار »[٢] . وقام هذا الداعية الصليبي الخطير بتحريض روجر الثاني على غزو افريقية لإجهاض التلاحم بين المرابطين في بلاد المغرب والأندلس وبني زيري في افريقية ، ولم يكن روجر الثاني بحاجة الى من يحرضه على الاستيلاء على ثغور افريقية وقاعدتها الكبرى المهدية ، فقد كان يتطلع في قرارة نفسه للاستيلاء على هذه الثغور التي لا تفصلها عن مملكته في جنوب ايطاليا سوى عتبة صقلية الضّيقة ، خاصة بعد الحملات البحرية المرابطية على ثغور صقلية وقلورية التي اعتبرها روجر الثاني نتيجة للتحالف بين المرابطين وبين زيري ، وبتحريض من أمير افريقية الحسن بن علي الزيرى[٣] .

لهذا قام بإعداد حملة بحرية كبرى للاستيلاء على المهدية كبرى ثغور افريقية ، كانت على غرار الحملات الصليبية في ذلك العصر ، تضم حشوداً من مختلف أرجاء أوروبا ، مما مكّنه من حشد قوة كبيرة من ثلاثمائة سفينة في أواخر جمادى الأولى ٥١٧ هـ = أواخر أغسطس ١١٢٣ م بقيادة جرجي بن مخائيل الأنطاكي[٤] .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .
(٢) رحلة التجاني ، ص ٣٣٣ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، وج ٤ ، ص ٦٧ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٢ ،ص ٤٦٩ - ٤٧١ .
(٤) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقة وتونس ، ص ٩٢ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٨ .

وصمدت المهدية في مواجهة هذه الحملة الصليبية واشتبك الزيريون في معارك برية وبحرية ضارية مع القوات الصليبية ، وكبدتها خسائر فادحة ، وفي منتصف جمادى الآخرة ٥١٧ هـ = العاشر من سبتمبر ١١٢٣ م ، انسحبت سفن الأسطول الصليبي مولية الأدبار ، وتخلّى جرجي الانطاكي عن جنوده المحاصرين في جزيرة الاحاسي الصغيرة التي لا تبعد سوى عشرة أميال عن ثغر المهدية ، الذين قتلوا عن بكرة أبيهم[١] .

وكان سر العجلة في هروب الأسطول الصليبي المخذول هو ظهور طلائع الأسطول المرابطي بقيادة محمد بن ميمون الذي طارد الأسطول الصليبي المدحور حتى جزيرة صقلية ، وأوقع به خسائر فادحة وأغار على ثغور صقلية ، وأوقع بحامياتها وأسر عدداً كبيراً من جنودها ، وعاد من حملته المظفرة سالماً غانماً[٢] .

وكان انتصار بني زيري على الغزاة الصليبيين بمساندة المرابطين نصراً باهراً للإسلام في حوض البحر المتوسط بأكمله ، فقد تحكّمت الأساطيل الإسلامية في عتبة صقلية المعبر البحري الهام بين الحوضين الغربي والشرقي للمتوسط ، وأصبح اجتياز الأساطيل الصليبية لهذا المعبر الاستراتيجي الذي يفصل صقلية عن افريقية محفوفاً بالمخاطر ، مما خفف من عبء الهجوم الصليبي على بلاد الشام ، ووفّر الحماية والأمن لثغور افريقية وبلاد المغرب والأندلس وجزر البليار . ويعود الفضل في صمود الجبهة الغربية الإسلامية للأساطيل المرابطية التي كانت تشكل الدرع الواقي للثغور الإسلامية من قلمرية في شمال غرب الأندلس ، وعلى طول سواحل الأندلس والمغرب المطلة على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط ، ولم تكن قوة رادعة فحسب ، ولكنها كانت تشكل قوة ضاربة هجومية من خليج بسكاي في جنوب غرب بلاد الفرنجة الى عتبة صقلية ، مما كان يعرّض أي أسطول صليبي يحاول اجتياز المحيط الأطلسي من غرب أوروبا عبر مضيق جبل طارق إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط للتدمير[٣] ، فقد كان للمرابطين مائة أسطول ترابط في الثغور الأندلسية والمغربية[٤] من قلمرية على المحيط الأطلسي في شمال غرب الأندلس حتى ثغور افريقية المطلة على عتبة صقلية[٥] .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ،ص ٣٠٩ وج ٤ ، ص ٦٨ .
وابن الأثير الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦١٢ - ٦١٣ .
والحميري : الروض المعطار ، ص ١٤ . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣١ .
ورحلة التجاني ، ص ٣٣٦ . واماري : المكتبة الصقلية ، ص ٢٨٣ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣١ . ورحلة التجاني ، ص ٣٣٧ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ص ٤٧٤ .
(٣) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٤٢ ، ٢٢٤ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥١-٤٥٢ .
(٥) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٤٢ ، ٢٢٤ .

وليس أدل على الدور البطولي للأساطيل المرابطية في حماية الثغور الإسلامية عبر هذا الطريق البحري الطويل ، من انها ظلت صامدة في مواجهة جميع الأساطيل الصليبية القادمة من أوروبا الغربية عبرالمحيط الأطلسي ، ومن جمهوريات ايطاليا البحرية وثغور جنوب بلاد الفرنجة وصقلية النورمندية وامارة قطلونية عبر البحر المتوسط ، إلى أن لفظت الدولة المرابطية آخر أنفاسها في الأندلس[١] ، وظل قادة الأساطيل المرابطية يجوّمون كالصقور عبر المحيط الأطلسي والبحر المتوسط ! وعلى رأسهم محمد بن ميمون ، ولم يتوقفوا قط عن غاراتهم البحرية على الثغور المسيحية المعادية حتى نهاية عهد المرابطين من لمتونة ، وليس أدل على ذلك مما ذكره الشقندي الأديب الأندلسي معتزاً بمحمد بن ميمون عند حديثه عن ثغر المرية حيث يقول : « وفيها كان ابن ميمون القائد الشهير الذي قهر النصارى في البحر وقطع سفرهم فيه ، وضرب على بلاد الرمانية (ثغور ساحل ايطاليا الغربي) فملأ صدور أهلها رعباً » .[٢]

وظل أسطول المرية تحت قيادة محمد بن ميمون[٣] السند الرئيسي لجزر البليار بالتعاون مع أسطول دانية الذي كان تابعاً لعامل هذه الجزر حتى نهاية عهد المرابطين من لمتونة[٤] ، وارتبط اسم محمد بن ميمون ارتباطاً وثيقاً بجزر البليار طيلة عهد المرابطي ظل على ولائه للمرابطين وعمالهم ، وبعد ان استقل بنو غانية بهذه الجزر ظل على ولائه لهم[٥] . وهكذا فقد استطاعت الأساطيل المرابطية طيلة العشر السنوات الأولى من الحكم المرابطي في جزر البليار تأمين الحماية والأمن لجزر البليار ، ووجدت في ثغور هذه الجزر القواعد البحرية المأمونة وفي أهلها أفضل الغزاة وأكثرهم بسالة وأشدهم صلابة ومراساً في البحر ، يؤرجهم حقد قابل للانتقام من الفرنجة والقطلان والسرانيين والبيزيين[٦] . وقد حققوا ما كانوا يتطلعون اليه تحت علم المرابطين المظفر الذين لم يهزموا في أي حملة بحرية[٧]! وهيمنت أساطيلهم على جميع المعابر البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وشلّوا فعالية الأساطيل المسيحية ، وأغاروا على ثغورها ، « وملأوا صدور أهلها رعباً »![٨] . وبينما كانت جزر البليار تنعم بالأمن والاستقرار

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ص ٢٧٩ . وابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢١ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٣١ . وابن الخطيب : الإحاطة : ج ٢ ، ص ٨٩ .
(٢) المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ .
(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٤) د . محمد علي مكي : وثائق جديدة من عهد المرابطين ، ص ١٨٥-١٨٦ .
(٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠-٢٢٢
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١١٩ .
(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥١-٤٥٢ .
(٨) المقري : نفح الطيب ، ج٣ ، ص ٢٢٠ .

تحت حكم عمال المرابطين من لمتونة نشبت ثورة داهمة في هذه الجزر ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م بسبب عسف واليها وانور بن أبي بكر اللمتوني[١] . وفي رواية أخرى يانور بن محمد[٢] ، في وقت كانت فيه قوات مملكة أرغون تجتاح شرق الأندلس تحت قيادة الفونسو المقاتل ملك أرغون بمساعدة النصارى المعاهدين الذين انضموا لقواته وأوقعوا بالمرابطين خسائر فادحة[٣] ، لهذا سارع يدر بن ورقاء عامل بلنسية ومرسية وملحقاتها بشرق الأندلس بمعالجة هذه الفتنة الخطيرة ، وقام بتوليةأبي بكر بن علي بن ورقاء أحد أقربائه عاملاً على هذه الجزر بانتظار وصول كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بتولية من يختاره عاملاً على هذه الجزر ، ولكن أبا بكر بن علي ابن ورقاء سرعان ما توفي قبل أن يقوم بانجاز مهمته في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م[٤] . وما إن وصلت أنباء الثورة في جزر البليار لأمير المسلمين حتى سارع بتولية عامل على الجزر من خاصة رجاله وكبار قادته ، وهو محمد بن علي بن يحيى المسوفي ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م[٥] الذي ظل عاملاً على هذه الجزر حتى نهاية عهد المرابطين من لمتونة في الأندلس ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م[٦] .

الفترة الأولى
من ولاية محمد بن علي المسّوفي « ابن غانية » في البليار
٥٢٠ هـ - ٥٣٧ هـ = ١١٢٦ م - ١١٤٢ م

تعاونه مع أخيه يحيى في تدعيم الحكم في البليار وشرق الأندلس

ارتبط تاريخ جزر البليار ببني غانية منذ أن ولي أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على هذه الجزر محمد بن علي بن يحيى المسّوفي الذي نسب إلى أمه « غانية » وفقاً للعادات والتقاليد التي كانت متبعة آنذاك لدى كبار القادة من لمتونة ومسّوفة الذين كانوا ينتسبون إلى

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥-٣٥٦ ، وج ٦ ، ص ٥٠٥-٥٠٦ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
(٣) مجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص ٦٧-٧٠ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
ود . محمود علي مكي : وثائق جديدة عن عهد المرابطين ، ص ١٦٢ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، وج ٦ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٥٠٦ .
(٦) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .

أمهاتهم ممّن كان لهن شهرة خاصة ومركز كبير[1]!! وكان لمحمد بن علي بن يحيى المسّوفي « ابن غانية » أخ اسمه « يحيى » وصل إلى أرفع مكانة في الدولة المرابطية ، وكان التعاون وثيقاً بين الأخوين ، مما دعّم من مكانتهما وأكسبهما ثقة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الذي اعتمد عليهما كل الاعتماد في توطيد دعائم الحكم المرابطي في بلاد الأندلس وجزر البليار وأوكل اليهما أخطر المهمات[2].

وكان أبو علي يحيى المسّوفي جدّ كل من محمد ويحيى من أوائل من دخل في الدعوة المرابطية من قبيلة مسّوفة الصنهاجية ، ومن كبار رجالاتها وشجعانها « وكان مقدماً عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لمكانته في قومه » . وتزوج ابنه علي الأميرة « غانية » اللمتونية احدى قريبات أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فولدت منه محمداً ويحيى اللذين عاشا تحت رعاية أمير المسلمين وفي كنفه[3] ، وانتسبا إلى أمهما « غانية » لما تميزت به من نسب رفيع وخلال سامية ، وقد تزوجت الأميرة « غانية » بعد وفاة زوجها علي بن يحيى المسّوفي والي قرطبة آنذاك ، القائد المرابطي محمد بن الحاج اللمتوني وعاش محمد وأخوه يحيى في كنف زوج أمهما ، الذي ولّى يحيى وهو الأكبر سنا عاملا على مدينة استجة[4] ، وهو ما زال شاباً صغيراً لما تميز به من مواهب رفيعة مكنته بعد فترة وجيزة من توليته على استجة من أن يتبوأ مركزاً رفيعاً في قيادة القوات المرابطية في شرق الأندلس ، وتمرس أخوه الأصغر محمد بن علي على يديه[5] . ويذكر ابن عذاري بأن يحيى بن علي المسّوفي ولّي عاملا على مرسية في عام ٥١٥ هـ = ١١٢١ م[6] . والأرجح أنه كان يتولى آنذاك القيادة العسكرية وأن توليته عاملا على مرسية كانت في فترة لاحقة ، كما يتضح لنا مما ذكره صاحب كتاب مفاخر البربر الذي يذكر بأن أبا زكريا بن يحيى بن غانية ولّي

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ص ٣٤٢ .
وابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، وج ٦ ، ص ٣٩٠ – ٣٩١ ، وص ٥٠٥–٥٠٦ . والفريد بل : بنو غانية ، ص ٤ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ص ٣٤٢–٣٤٣ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٩٠ وما بعدها .

(٤) مدينة استجة : مدينة أندلسية قديمة ، تقع إلى الجنوب الغربي من قرطبة العاصمة ، اشتهر أهلها طيلة العهود الإسلامية في الأندلس بعصيانهم وتمردهم ، وكانت تتميز بحصانتها وارباضها الواسعة واسواقها العامرة وبساتينها اليانعة .
(الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٣).

(٥) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في بلاد المغرب والأندلس ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

عاملا على مرسية بعد يدر بن ورقاء والأمير ابراهيم بن تاعياشت[1] .

ومهما يكن الأمر فقد برز اسم يحيى بن علي المسّوفي في شرق الأندلس كقائد عسكري باسل . وكان يدر بن ورقاء عامل مرسية وبلنسية وملحقاتهما في شرق الأندلس يعتمد عليه في قيادة القوات المرابطية والاغارة على امارة قطلونية ومملكة أرغون ، وكان ليحيى بن علي المسّوفي دور كبير في التصدي لقوات ملك أرغون الفونسو المقاتل في زحفه الواسع عبر شرق الأندلس من شماله إلى جنوبه ٥١٩ – ٥٢٠ هـ = ١١٢٥ – ١١٢٦ م[2] . وفي هذه الفترة الحرجة في تاريخ شرق الأندلس التي ترتبط برباط وثيق بجزر البليار وتنعكس احداث كل منهما على الآخر نشبت في جزر البليار ثورة داهمة بسبب عسف عاملها وانور بن أبي بكر اللمتوني[3] ، يانور بن محمد كما يدعوه ابن عذاري[4] . ويذكر ابن خلدون بأن سبب هذه الثورة يعود إلى قسوة هذا العامل على أهل جزر البليار ومحاولته قسرهم على بناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر بدلاً من « مدينة ميورقة » العاصمة . . . فامتنعوا وقتل مقدمهم ، فثاروا به وحبسوه ، ومضوا إلى (أمير المسلمين) علي بن يوسف فأعفاهم منه وولى عليهم محمد بن علي بن يحيى المسّوفي المعروف بابن غانية . . [5] . وأرجح بأن محمداً كان آنذاك تحت قيادة أخيه يحيى بن علي في مرسية بشرق الأندلس ، وان اختياره تمّ بناء على توجيه من يدر بن ورقاء عامل بلنسة ومرسية وملحقاتهما آنذاك ، ولم يكن كما ذكر ابن خلدون عاملاً لأخيه على قرطبة[6] .

وتمكن محمد بن علي المسوفي (ابن غانية) بعد توليته عاملاً على جزر البليار من القضاء على ذيول الفتنة التي سببها وانور بن أبي بكر ابن غانية والقبض عليه . . « وبعثه مصفداً إلى مراكش » كما يقول ابن خلدون[7] .

بينما يذكر ابن عذاري بأن اسم هذا العامل هو « يانور بن محمد » ويصف خاتمة ولايته بعد

---

(١) مجهول المؤلف : مفاخر البربر ، ص ٨٢ (الأمير ابراهيم بن تاعياشت « تاعياشت » . أحد ابناء امير المسلمين علي بن يوسف من أمة سوداء تدعى تاعيشت« تاعياشت » . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٧٨)

(٢) مجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص ٦٧ – ٧٠ .
ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ١٥٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ – ٣٥٨ وج ٦ ، ص ٥٠٥ – ٥٠٦ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٥ – ٥٠٦ .

(٦) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ .(وكان تاريخ تولية يحيى بن علي المسّوفي عاملا على قرطبة وملحقاتها في بلاد الأندلس في عهد امير المسلمين تاشفين بن علي في عام ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م . محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ١٥٤) .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ وج ٦ ، ص ٥٠٦ .

ثورة أهل البليار عليه بقوله: « فقامت عليه الرعية وقتلوه.. »[1].

وازدادت مكانة محمد بن غانية عامل البليار رسوخاً بعد تولية أخيه يحيى عاملاً على بلنسية وملحقاتها بعد وفاة يدر بن ورقاء وإقالة الأمير ينتان بن علي ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م. كما ولّي عاملاً على مرسية في عام ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م بعد إقالة الأمير ابراهيم بن تاعيشت « تاعياشت » وجمع بين العملين الهامين[2]. وكان التعاون وثيقاً بين الأخوين، مما وطّد مركز بني غانية في جزر البليار وشرق الأندلس[3]. وكان يحيى بن غانية يولي عنايته القصوى للقوات العسكرية المرابطية في شرق الأندلس تحت قيادته، وكان ينيب عنه في إدارة شئون الحكم في بلنسية ومرسية وملحقاتهما أخاه لأمه المنصور محمد بن الحاج[4]، نظراً لعدوان إمارة قطلونية المتواصل على ثغور الأندلس الشرقية في عهد أميرها رامون برنجار الرابع[5]، ووقوف يحيى بن غانية على رأس قواته في مواجهة الغزاة ودحرهم بما عرف عنه من شجاعة[6]، ويعدد عبد الواحد المراكشي مناقب هذا القائد المرابطي الفذ قائلاً عند حديثه عن بني غانية « فأما يحيى منهما وهو

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ٢١٥.

(٢) مجهول المؤلف: مفاخر البربر، ص ٨٢. وابن عذاري: البيان المغرب ج ٤ ص ٨٤، ٩١.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٨. ومحمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص ١٥٤.

(٤) محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص ١٥٠.

(٥) رامون برنجار الرابع ٥٢٦ - ٥٥٨ هـ = ١١٣١ - ١١٦٢ م، سار على خطى والده رامون برنجار الثالث الفارسي الصليبي في الاستعانة بفرسان المعبد « الداوية » في محاربة المسلمين في الأندلس ومنحهم حصن بربيرة في سفوح جبال البراديس المطلة على ثغري طرطوشة ولاردة، وكان يتطلع إلى الاستيلاء عليهما بمساندة فرسان المعبد « الداوية » وملك أرغون الفونسو المقاتل، وتعاونا معاً في الإغارة على الثغور الإسلامية في شرق الأندلس وكان يحيى بن غانية يتصدى لهذه الغارات على رأس قواته المرابطية، وأوقع هزائم ساحقة بالحليفين كان من أعنفها هزيمة ملك أرغون الساحقة في موقعة افراغة ٥٢٨ هـ = ١١٣٤ م، ووفاته على أثر ذلك، مما أدى إلى تراجع رامون برنجار الرابع عن طموحاته في التوسع على حساب المسلمين في شرق الأندلس والثغر الأعلى، ولكنه حقق خطوة ناجحة سيكون لها نتائجها الخطيرة على جزر البليار وشرق الأندلس، فقد تزوج من الأميرة بترونيلا ابنة راميرو الثاني ملك أرغون ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م، مما أدى إلى قيام مملكة متحدة بين قطلونية وأرغون، بعد أن أنجبت بترونيلا وريثاً للعرش سمي باسم أبيه « رامون »، ولكنه تلقب بعد ذلك باسم « الفونسو الثاني »، وحكم مملكة قطلونية وأرغون المتحدة ٥٥٨ - ٥٩٣ هـ = ١١٩٦ م، وكانت تشكل خطراً داهماً على جزر البليار وشرق الأندلس، وتمكن حفيد الفونسو الثاني « خايمي الفاتح » ابن بيدرو الثاني بعد حروب ضارية ومعارك دامية من الاستيلاء على جزر ميورقة ويابسة وفرمنتيرة، وفرض سيادته على جزيرة منورقة. يوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٨٠ وما بعدها. وشكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ٢، ص ٢٢٠. وعصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص ٤٩٨).

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٩١ - ٩٣.

الأكبر فكان حسنة من حسنات الدهر، اجتمع له من المناقب ما افترق في كثير من الناس، فمنها أنه كان رجلاً صالحاً شديد الخوف من الله - عزّ وجل - والتعظيم له والاحترام للصالحين، هذا مع علو قدم في الفقه واتساع في رواية الحديث، وكان مع هذا شجاعاً فارساً، إذا ركب عدّ وحده بخمسمائة فارس، وكان (أمير المسلمين) علي بن يوسف يعده للعظائم، ويستدفع به المهمات، واصلح الله على يديه كثيراً من جزيرة الأندلس، ودفع به عن المسلمين غير مرّة مكاره نزلت بهم.. »[1].

وقد تمكّن يحيى بن غانية على رأس قواته من المرابطين دحر أمير قطلونية واستأصل قواته التي حاولت التعرض للثغور الإسلامية في شمال شرق الأندلس[2]. وقد توقف رامون برنجار الرابع نهائياً عن الإغارة على شرق الأندلس بعد أن تعرض حليفه الفونسو المقاتل ملك أرغون إلى هزيمة ساحقة في معركة افراغه ٥٢٨ هـ = ١١٣٤ م بقيادة يحيى بن غانية بالتعاون مع عامل افراغه وقائد حاميتها سعد بن مردنيش، وقد أسفرت هذه المعركة الحاسمة عن إفناء معظم قوات مملكة أرغون التي اشتركت في المعركة، ولم يسلم فيها « إلا بشر يسير وصدر ابن غانية ظافراً بالغنائم، وأما الطاغية (الفونسو المقاتل) فبقي أياماً ومات.. » قهراً وكمداً[3].

واستقرت دعائم الأمن والسلام في شرق الأندلس وجزر البليار فترة ولاية يحيى بن غانية على بلنسية ومرسية، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين يستعين به وبأخيه محمد عامل البليار في عظائم الأمور[4]. وكانت جزر البليار في فترة ولاية محمد بن غانية معقلاً للغزاة، وقاعدة كبرى للأساطيل المرابطية[5]، بعد أن أعاد المرابطون الأمن إلى ربوعها وشجعوا المرابطين على سكناها والإقامة فيها[6]. وكان أمير المسلمين علي بن تاشفين يولي هذه الجزر عنايته ويوصي عماله برعاية أهلها، وتدعيم أساطيلها، وأوكل إلى عمالها الإشراف على دانية

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٩١.

(٣) ابن القطان: جزء من نظم الجمان، ص ٢١٨ - ٢٢٣.
وابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٥١.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٩٢ - ٩٣.
والحميري: الروض المعطار، ص ٢٤ - ٢٥.
ويوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٨٠ وما بعدها.
وشكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ٢، ص ٢٢٠ وما بعدها.

(٤) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٢.
وابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ و٣٥٨، وج ٦، ص ٣٩١ و٥٠٦.

(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٩ وما بعدها.

(٦) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣ - ١٢٤.

وأسطولها البحري في شرق الأندلس تدعيماً لها لتعيد مسيرتها الأولى في الجهاد البحري[١]. لهذا ما إن تولى محمد بن غانية عاملاً على جزر البليار حتى أصبحت هذه الجزر، كما كانت طيلة عهودها الإسلامية كبرى قواعد الجهاد البحري الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وأسهمت بدور كبير في الغارات البحرية على الثغور المسيحية المعادية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وانتقمت لضحاياها من غزاة الحملة الصليبية المؤتلفة الكبرى[٢]، بالتعاون مع أساطيل المرابطين في ثغور الأندلس والمغرب[٣] التي وصل عددها في عهد المرابطين من لمتونة مائة أسطول[٤]. وظلت جزر البليار تتمتع بالأمن والاستقرار طيلة عهد أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين تحت حكم عاملها محمد بن غانية، وتسهم بدور كبير في النشاط البحري تحت علم المرابطين[٥]، ولم تكن جزر البليار في العهد المرابطي معقلاً للغزاة ولا منتجعاً للعلماء والفقهاء والأدباء فحسب، بل كانت أيضاً منفى للمغضوب عليهم كما كانت في العهود الإسلامية السابقة[٦].

ومن الأمثلة على ذلك نفي المتلاعبين بالأسعار في اشبيلية إلى جزيرة ميورقة[٧]. وتهديد أمير المسلمين يوسف بن علي ابنه أبا بكر[٨] بنفيه إلى جزيرة ميورقة إن لم يستجب إلى توجيهات العلماء الذين أشرفوا على تثقيفه باشبيلية، ويقول الدكتور حسين مؤنس بهذا الصدد، بأن أمير المرابطين علي بن يوسف أرسل إلى ابنه أبي بكر رسالة يهدده فيها بنفيه إلى جزيرة

(١) د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٨٥ - ١٨٦.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١١٩ وما بعدها.
(٣) محمد الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٧٥ - ٧٦.
وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٦٢، ٦٦، ٦٧.
ونفح الطيب، ج ٣، ص ٢٢٠.
والفريد بل: بنو غانية، ص ٢٨.
(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٥١ - ٤٥٢.
(٥) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٢١٠.
(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٨٣.
وابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٨١ (طبعة الفلالي).
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٨٣.
(٨) أبو بكر بن علي بن يوسف: «اكبر أبناء أمير المسلمين علي بن يوسف، ولد في عام ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م، حينما كان أبوه يناهز السادسة عشرة من عمره، وكان يلقب بـ «بكور» و«بكو»، نشأ في الأندلس كما جرت عادة علي بن يوسف في تربية أبنائه، وقام على رعايته والإشراف عليه وتأديبه الطبيب الأندلسي المشهور أبو مروان بن زهر، على أنه لم يكن منصرفاً إلى التحصيل، مما دعا والده إلى تقريعه ونهره - وهدده برسالة بعث بها إليه بنفيه إلى ميورقة..».
(د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عهد المرابطين، ص ١٣٤ - ١٣٥).

«ميورقة»! إن لم يستجب لتوجيهات مؤدبيه، ويرجح بأن كاتب هذه الرسالة هو أبو مروان ابن أبي الخصال الذي رأس ديوان الإنشاء للمرابطين فترة طويلة، وفيما يلي نص هذه الرسالة «كتابنا ألهمك الله رشد نفسك من حاضرة مراكش... بعد وصول الوزير الجليل أبي مروان ابن الوزير أبي العلاء بن زهير.. يشكو ما يكابده من تشغيبك ويقاسيه من تضريبك، فأمسك عليك دمعك، ولا يضرب لسانك عنقك، وخذ من الأمور ما يسر وإلا أنفذناك إلى ميورقة..»[١].

وكان أمير المسلمين علي بن يوسف عظيماً في نبله، كريماً في خلقه، فاضلاً في تصرفه، عادلاً في حكمه، متمسكاً بدينه، مجاهداً في سبيل الله، فقيهاً أديباً مشجعاً للعلماء، فوفد إليه من شتى أرجاء المغرب والأندلس كل عالم جليل، حتى أصبح بلاطه أشبه ما يكون ببلاط خليفة عباسي في بغداد في ذروة عظمة الدولة العباسية ورفعة شأنها. وكما شجع أبناءه على أن ينهلوا من المعارف والعلوم، شجّع أبناء رعيته في بلاد المغرب والأندلس على ذلك، وكان عهده مشرقاً نيراً في كل جانب من جوانب الحياة[٢]، ومع ذلك لم يتورّع المؤرخ الهولندي دوزي عن وصف حكم المرابطين في الأندلس «بأنه بمثابة عودة البربرية والهمجية محل الحضارة الأنيقة المرفهة.. كما حلّ التعصب الديني الممقوت والتدين الساذج محل الذكاء وسعة الأفق..»[٣]. وهو تحامل واضح على هذا الأمير النبيل والعالم الجليل والحاكم العادل الذي قضى طيلة فترة ولايته مجاهداً في بلاد الأندلس، وباذلاً كل جهد في توحيد الجبهة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس في وجه الزحف الصليبي، بردع الموحدين وقمع ثورتهم المدمرة، إلى أن توفي في وقت استفحل فيه خطرهم، وتعاظمت قوتهم وأصبح خطرهم على الدولة المرابطية داهماً بعد حرب استنزاف دامية قرابة العشرين سنة، منذ أن أعلن داعيتهم محمد بن تومرت الثورة على المرابطين ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م، وحتى وفاته ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م[٤]. وتولية ابنه تاشفين الفارس الشجاع أميراً للمسلمين من بعده[٥]، وفي نفس العام الذي ولّي فيه تاشفين بن علي أميراً للمسلمين، توجه محمد بن غانية عامل البليار على رأس بعض قطعاته البحرية إلى بلنسية لمناصرة أخيه يحيى عامل بلنسية ومرسية وملحقاتهما[٦].

(١) مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ج ٢ لعام ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين/ تحقيق د. حسين مؤنس، ص ٦٨ - ٧٠.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٤٨.
وابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالمغرب، ص ٢٥٣. والإحاطة ج ٤، ص ٥٨.
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٣٢.
(٤) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٢٦ - ٢٢٧. وابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٥٨.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٨٣.
(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٨.

الفترة الثانية

من ولاية محمد بن علي « ابن غانية » في البليار

مساندته لأخيه يحيى في البر الأندلسي

قام محمد بن علي بن غانية في عام ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م ، على رأس بعض قطعاته البحرية بالتوجه من ميورقة إلى بلنسية قاعدة حكم أخيه يحيى في شرق الأندلس ، واستناب « عبد الله بن تيباء » للإشراف على جزر البليار أثناء غيابه . ويبدو بأن الأحداث الخطيرة التي اجتاحت المغرب والأندلس في تلك الفترة اضطرته إلى البقاء في بلاد الأندلس لمساندة أخيه[1] ، بعد أن ولّاه تاشفين بن علي والياً على قرطبة وملحقاتها في غرب الأندلس وجنوبها ، ومشرفاً عاماً على شئون بلاد الأندلس وقائداً للجيوش المرابطية ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م[2] . وقبل مغادرة يحيى بن غانية بلنسية إلى قرطبة ولّى ابن أخيه عبد الله بن محمد عاملاً على بلنسية وملحقاتها في شرق الأندلس[3] ، وبعد وصوله إلى قرطبة استناب أخاه محمداً عاملاً على قرطبة وأعمالها[4] ، وولى ابن أخيه اسحق بن محمد عاملاً على قرمونة مفتاح إشبيلية[5] ، واتخذ من إشبيلية قاعدة لقواته واستناب في حكمها بعض كبار قادته ليتفرغ للقيادة العسكرية للقوات المرابطية . وكان أول من استنابه في حكم إشبيلية وملحقاتها طلحة بن العنبر ، واستناب من بعده أخاه لأمه المنصور ابن محمد بن الحاج اللمتوني ، وآخر من استنابهم في عمل إشبيلية عثمان بن عمرو ومن يده انتزعها الموحدون[6] . وفي نفس العام الذي ولّى فيه تاشفين بن علي ، القائد الشجاع يحيى بن غانية على بلاد الأندلس وقائداً عاماً لقواتها ، كانت الأساطيل المرابطية ما زالت تقوم بدورها البطولي في التصدي للأساطيل الصليبية التي تعبر المحيط الأطلسي إلى البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق في طريقها إلى بلاد الشام ، وتقوم بتدميرها وإغراقها ، ففي عام ٥٣٨ هـ = ١١٤٧ م أوقعت الأساطيل المرابطية خسائر فادحة بأسطول صليبي من مائة وخمسين سفينة أثناء

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٨ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ .
محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ١٥٤ .

(٣) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٥٦ . « يذكر المقري بأن يحيى بن غانية ولّى على بلنسية أخاه عبدالله ، والصحيح أنه ابن أخيه » .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٣ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ . وج ٦ ، ص ٣٩١ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ .

(٦) مجهول المؤلف : مفاخر البربر ، ص ٨١ .

اجتيازه لمضيق جبل طارق[1] ، وظلّت القوات البحرية المرابطية تفرض هيمنتها على المسالك البحرية عبر الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وتلقي الرعب في قلوب أعدائها[2] ، كما كانت قواتها البرية تتصدى ببسالة لعدوان ممالك إسبانيا المسيحية تحت قيادة يحيى بن غانية وعماله[3] ، إلى أن نشبت فتنة داهمة عمّت أرجاء الأندلس ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م كان لها نتائج خطيرة على حكم المرابطين في بلاد الأندلس انعكست آثارها على مصير جزر البليار[4] .

ثورة أهل الأندلس على المرابطين

في سنة ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م تعاظمت قوة الموحدين في بلاد المغرب الأقصى ، وتمكنوا من هزيمة القوات المرابطية في عدة معارك متلاحقة ، واتسع ميدان القتال ، فشمل المنطقة المحيطة بتلمسان في المغرب الأوسط ، وهناك أوقعوا بالقوات المرابطية وقوات بني حماد أمراء المغرب الأوسط المتحالفة معها هزيمة ساحقة[5] . وهم يهتفون بشعارهم « أبابا يا المهدي »! وقتلوا من وقع في يدهم من المرابطين دون هوادة ، فقد كانوا يعتبرونهم كفاراً ، ويدعونهم « بالمجسمين »! « ويقاتلونهم قتال كفر »[6] ، وكانت الضربة القاصمة للمرابطين على مشارف وهران حيث تمكن الموحدون من محاصرة أمير المسلمين تاشفين ، وأوقعوا مجزرة دامية بالملثمين من حرس تاشفين[7] من ذوي « اللثم والغفائر القرمزية والمهاميز التاشفينية والسيوف المحلاة ذات الذؤابات »[8] .
وكان أمير المسلمين تاشفين بن علي قد أرسل إلى محمد بن ميمون قائد أسطول المرية يطلب منه القدوم على رأس قطعاته إلى ميناء وهران تحسُّباً من تعرض قواته للهزيمة ، وعندئذ يمكنه اللجوء مع حاشيته وحرسه إلى سفن أسطول المرية والتوجّه إلى الأندلس ، ولكن طليعة القوات الموحدية تمكنت من محاصرته في رباط على مشارف وهران في ليلة السابع والعشرين من رمضان ٥٣٩ هـ = ٢٥ مارس ١١٤٢ م ، وتمكّن الأمير تاشفين وبعض أصحابه من اقتحام الحصار المضروب على رباط وهران ، وبينما هو في طريقه إلى سفن أسطول المرية الراسية في ثغر وهران

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(٢) المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٤٨ وما بعدها . والإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .
ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .

(٦) ابن غازي : الروض الهتون ، ص ٦ .

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٨) ابن غازي : الروض الهتون ، ص ٦ .

بقيادة محمد بن ميمون ، سقط حصانه عن حافة صخرية مما أدى إلى وفاته ، وأبحر محمد بن ميمون إلى المرية بمن تمكن من الوصول إلى سفن الأسطول من حاشية تاشفين وحرسه[1] . وما إن بلغت أخبار هزائم المرابطين في بلاد المغرب ومقتل أمير المسلمين إلى بلاد الأندلس حتى نشبت في شتى أرجائه فتنة داهمة وقام الطامعون في السلطة والحكم بالخروج على المرابطين دون أي تقدير للعواقب ، في وقت اشتد فيه عدوان النصارى الإسبان بالتعاون مع الحشود الصليبية من بلاد الفرنجة على الثغور الإسلامية[2] .

نتائج الثورة الأندلسية على المرابطين وأثرها على البليار

كان محمد بن غانية عامل البليار عند نشوب الفتنة الأندلسية على المرابطين إلى جانب أخيه يحيى في مركز قيادته في إشبيلية ، وعندما أفلت زمام الموقف من يد المرابطين في جنوب غرب الأندلس بعد نشوب ثورة المريدين بقيادة أبي القاسم أحمد بن الحسين ابن قسي مدعي الهداية ، وكانت « باكورة الفتنة » ضد المرابطين[3] ، طلب يحيى بن غانية قائد القوات المرابطية في الأندلس من أخيه محمد عامل البليار « أن يسير في جنده وسفنه إلى الجزائر الشرقية (البليار) في الحال فيحتلها ، لكي يظفر بملجأ أمين يقصد إليه عند الفرار ، ولكي يتخذها من جهة أخرى قاعدة يستطيع منها أن يعمل على إخضاع الثغور الثائرة وردّها إلى الطاعة »[4] . ويذكر ابن الأبار بأن محمد بن علي ملك ميورقة وذواتها « واستقر بها برأي أخيه أبي زكريا يحيى بن علي عند ثورة العامة بإشبيلية منصرفة من حصار لبلة . . »[5] . وكانت ثورة العامة بإشبيلية كما يتضح من النص التالي لابن الخطيب في شهر رمضان ٥٣٩ هـ = مارس ١١٤٥ م ، الذي يقول فيه « . . وكانت ثورة ابن قسي باكورة الفتنة ولما خرج (يحيى بن علي) إلى لبلة ، ثار ابن حمدين بقرطبة في رمضان ٥٣٩ هـ = مارس ١١٤٥ م ، واستباح قصر يحيى بن علي ، وانطلقت الأيدي على قومه وتمّ له الأمر ، وبلغ يحيى الخبر ، فرجع أدراجه إلى إشبيلية فثار به أهلها وناصبوه

(١) مجهول المؤلف : مفاخر البربر ، ص ٥٨ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٨ – ٣٨٩ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ . والإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٧٧ .
ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٤٨ .
والإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ – ٣٤٧ .
(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٤٨ – ٢٥٢ .
والإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ .
(٤) يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢١٠ .
(٥) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٢٢٠ .

الحرب وأصابوه بجراحة . . »[1] . واعتصمت فلول المرابطين في معقل قرمونة على مشارف إشبيلية[2] ، وكان عامل قرمونة آنذاك اسحق بن محمد بن علي بن غانية[3] . ويعلل ابن خلدون سبب عودة محمد بن علي بن غانية من الأندلس إلى مدينة ميورقة قاعدة حكمه في جزر البليار بسبب ثورة قامت على نائبه عبد الله بن تياء ، ويقول بهذا الصدد « فلما مكث محمد بن علي بن غانية (في الأندلس) ثار عليه ثوار فرجع إلى ميورقة وأصلح شأنها إلى أن هلك . . »[4] . ويصف عبد الواحد المراكشي أثر هذه الأحداث المفجعة والأخبار المقلقة على محمد بن غانية عامل البليار قائلًا بأنه « بقي يجول في بلاد الأندلس والفتنة تتزيّد ودعوة المصامدة (الموحدين) تنتشر ، فلما اشتد خوف محمد هذا ، أتى مدينة دانية فعبر منها إلى جزيرة ميورقة في حشمه وأهل بيته ، فملكها والجزيرتين اللتين حولها ، منورقة ويابسة[5] ، وكان عبوره على سفن أسطول دانية التابع لعمل البليار[6] . وكان يحكم شرق الأندلس في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ المرابطين في بلاد الأندلس ابنه عبد الله بن محمد الذي اتخذ مدينة بلنسية قاعدة لحكمه[7] . وما كاد أن يصل محمد بن علي بن غانية إلى ميورقة ويقضي على العصاة فيها[8] ، حتى نشبت على ابنه عبد الله بن محمد ثورة عاتية في بلنسية وملحقاتها بشرق الأندلس تحت قيادة أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز قاضي بلنسية[9] . ويقول ابن الخطيب بهذا الصدد « ولما استقل ابن حمدين بقرطبة ثار الناس ببلنسية وخلعوا اللمتونيين واجتمعوا إلى القاضي ابن عبد العزيز بها ، فالتزم ببيعتهم . . ولجأ اللمتونيون (المرابطون) إلى معقل شاطبة في ١٨ شوال ٥٣٩ هـ = ١٥ أبريل ١١٤٥ م ، وضاق بأهل شاطبة الحصار وأعوزهم الغوث ، اهتبل الغرّة عبد الله بن حمو بن غانية[10] ، وخرج في طائفة قليلة من أنجاد قومه ، واتّبع أثره ، فنجا وحده ، وقصد الساحل .

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٨٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٠٦ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٨ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٣ .
(٦) د . محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .
(٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٥٦ .
(٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٨ .
(٩) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٥٦ .
(١٠) كان من المتبع لدى قبيلتي لمتونة ومسوفة إطلاق اسم حمو على « محمد » . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٨) . واسم بكور أو بكو على « أبي بكر » (د . محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عهد المرابطين ، ص ١٣١ – ١٣٤) .

وذكروا بأنه صانع صياداً للحوت (السمك) ببعض آلته وركب جفنه ، فأوصله إلى أحواز المرية!
فقصد بها القائد محمد بن ميمون صاحب الأسطول وصنيعة الملثمين ، وقد كان وفى لهم وامتسك
بدعوتهم ، فجهزه إلى مدينة ميورقة ، فألحقه بأبيه حمو (محمد) بن غانية ومن هنالك تأثّلت بميورقة
العصابة الميورقية التي تعب منها عبد المؤمن (أول خلفاء الموحدين وأعقابه من بعده) . . »[١] .
ويذكر ابن الأبار رواية مماثلة يقول فيها بأن عبد الله بن محمد لم يجد بداً من الانسحاب من
شاطبة ، بعد أن حاصرتها قوات مرسية وبلنسية وانعدمت فيها الأقوات » . . ولحق بالمرية في
خبر طويل! ومنها ركب البحر إلى أبيه محمد بن علي وهو بميورقة قد ملكها واستقر فيها برأي
أخيه أبي زكريا يحيى بن علي عند ثورة العامة بإشبيلية منصرفة من حصار لبلة . . »[٢] .

ويضيف ابن الأبار إلى ذلك ما يلي « ويقال بأن عبد الله بن محمد دافع عن قصبة غرناطة قبل
لحاقه بأبيه بميورقة أثناء هجوم أبي جعفر محمد بن عبد الله قاضي مرسية الذي هزم وقتل . . »
وكان مقتل أبي جعفر وهزيمة قواته على يد المرابطين بقيادة الأمير علي بن أبي بكر حفيد أمير
المسلمين يوسف بن تاشفين في ربيع الأول ٥٤٠ هـ = أغسطس ١١٤٥ م[٣] . ويذكر ابن خلدون
بأن محمد بن علي بن غانية . . « بعث إلى ابنه عبد الله واسحق فوصلا إليه في الأسطول »[٤] .
وأرجح أن الذي نقلهم إلى مدينة ميورقة هو محمد بن ميمون قائد أسطول المرية الذي ظل على
ولائه للمرابطين[٥] ، وأصبح عبد الله بن محمد بن غانية بعد عودته إلى البليار قائداً لأسطول ميورقة ،
وكان يتعاون مع أسطول المرية بقيادة محمد بن ميمون في مطاردة الأساطيل المعادية[٦] .

وقد دلّل محمد بن ميمون على صدق ولائه لابن غانية المرابطين من مسوفة باعتقاله عبد الملك
ابن عبد العزيز قاضي بلنسية الذي خرج على المرابطين عند لجوئه إلى المرية في جمادى الأولى
٥٤٠ هـ = ١٠ أكتوبر ١١٤٥ م ، وظل معتقلاً عند ابن ميمون . . « إلى أن سلّمه إلى عبد الله
ابن محمد عدوه وطريده من بلنسية وشاطبة ، عند وروده على المرية في قطع أسطول ميورقة برسم
اتباع العدو ، فعفّ عن دمه وحمله معه مقيداً ونقم الناس على ابن ميمون فعله . . »[٧] . ويعود
سبب هذه النقمة على أنصار المرابطين رغم تضحياتهم في الدفاع عن الأندلس ، لضيق أفق
قطاعات واسعة من الأندلسيين ورغبتهم الملحة في تغيير الأوضاع باستمرار دون تعقل ، يدفعهم

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٥٦ .
(٢) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٢٨ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠ .
(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٥٦ .
(٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .
(٧) المصدر السابق : ص ٢٢٠ .

إلى ذلك ميلهم إلى اللهو والانحلال دون أي تقدير للعواقب في وقت كان الغزاة فيه ينهشون
الأندلس ويقطعون أوصالها من كل جانب[١] . وكان محمد بن علي بن غانية عامل البليار يتابع
النكبات التي حاقت بالمرابطين في بلاد المغرب والأندلس بقلق عميق ، ففي عام
٥٤١ هـ = ١١٤٦ - ٤٧ م ، كانت القوات المرابطية في المغرب والأندلس تتعرض لنزيف مفجع ،وصل
إلى ذروته باستيلاء القوات الموحدية على مراكش عاصمة المرابطين في شوال ٥٤١ هـ = ١١٤٧ م
وقتلوا آخر أمراء المرابطين اسحق بن علي ، وأبادوا معظم أهل مراكش العاصمة في مذبحة
دموية مروعة ، وانتهى بذلك الحكم المرابطي من بلاد المغرب[٢] . وقالت معاقل عديدة
للمرابطين تقاوم الموحدين في بلاد المغرب الأقصى بعد سقوط مراكش بعدة سنوات[٣] .
وكانت فلول الحاميات المرابطية تلجأ إلى جزر البليار من بلاد المغرب والأندلس ، وتجد في هذه
الجزر الرعاية من أميرها محمد بن علي بن غانية الذي استعان بهذه الفلول في تدعيم قواته البرية
والبحرية والتصدي لعدوان الأساطيل المسيحية[٤] . وفي جمادى الأولى ٥٤٢ هـ = ١٧ أكتوبر
١١٤٧ م ، سقطت المرية كبرى ثغور شرق الأندلس البحرية عنوة في يد حلف صليبي بدعوة
البابا أيوجين الثالث ، مكون من ألفونسو السابع « ديمونديس » ملك ليون وقشتالة-واشتوريس
وريمون برنجار الرابع أمير قطلونية ، والكونت جيوم أمير مونبليه وجمهوريتي جنوة وبيزة ، بعد
حصار بري وبحري محكم طيلة ثلاثة أشهر ، نضبت خلاله مواردها وفنيت حاميتها بعد دفاع
بطولي مجيد[٥] ، وأوقع الغزاة بالمدينة المستباحة مجزرة دامية ، ونهبوا ثرواتها ، وأسروا من بقي
حياً من أهلها[٦] .

وهنا نتساءل ما هو مصير أسطول المرية وقائده الباسل محمد بن ميمون؟ ، وما أثر سقوط
هذا المعقل البحري الكبير على جزر البليار؟ والإجابة على الشق الأول من هذا السؤال صعبة
للغاية ، لأننا لا نجد أي تفاصيل عن المعارك البحرية التي دارت بين أسطولها والأساطيل
الصليبية ، ولكننا نستشف من المصادر القليلة التي أشارت إلى هذا الموضوع بأن المرية لم تسقط

---

(١) د . محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عهد المرابطين ، ص ١٢٢ .
(٢) البيدق : كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .
وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٣٨ (طبعة الفلالي) . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٧٩ .
(٣) ابن غازي : الروض الهتون ، ص ٦ - ١٠ .
(٤) الفريد بل : بنو غانية ، ص ١٨ - ١٩ .
(٥) يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٤ - ٢٥٥ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٣٧١ .
(٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٧٩ .
وابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢١ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٦٣ .

إلا بعد معارك برية وبحرية طاحنة طيلة ثلاثة أشهر بالرغم من عزلتها وتفوق قوات العدو على قواتها مما يدل دلالة واضحة على المقاومة الضارية لأسطول المرية الذي ظلّ يقاوم أساطيل بيزة وجنوة وقطلونية ومونبلييه المتفوقة ثلاثة أشهر متواصلة(١). ومما لا شك فيه أن الغزاة لم يتمكنوا من اقتحام ثغر المرية بحراً إلا بعد تدمير القوات البحرية المدافعة عن المرية، وكان قائد هذه القوات حتى شهر جمادى الآخرة ٥٤٠ هـ، القائد محمد بن ميمون الذي كان يتنقل آنذاك في قطعاته البحرية بين ثغر المرية وثغور جزر البليار، كما كانت أساطيل جزر البليار تتردد على ثغر المرية أثناء ملاحقتها للأساطيل المعادية(٢)، وقد ظل محمد بن ميمون وفياً للمرابطين متمسكاً بدعوتهم، كما أظهر الولاء والوفاء لبني غانية البقية الباقية من العصبة المرابطية(٣)، فهل بقي محمد بن ميمون في المرية بعد أن خرج أهلها عن طاعة المرابطين؟(٤) للإجابة على هذا السؤال لا بد من طرح الفرضيتين التاليتين: الأولى منهما، فرضية منطقية، وهي أنه غادر المرية على رأس أسطوله والتحق بأساطيل بني غانية الذين كان يكن لهم كل الولاء، كما ذكرنا، ولو أخذنا بما ذكره الفريد بل المؤرخ الفرنسي من أن محمد بن ميمون أمير البحر في جزر البليار الذي أباد المتآمرين على اسحق بن محمد بن غانية(٥)، فإننا سنزداد قناعة بالفرضية الآنفة الذكر، ولكننا بمجرد الرجوع إلى نص ابن خلدون الذي أشار إليه الفريد بل، نجد أن اسم القائد البحري المشار إليه هو لب بن ميمون(٦). وقد تحفظ الباروكمبانير عند ذكره لاسم أمير البحر لجزر البليار الذي أشار إليه الفريد بل باسم «محمد بن ميمون» واكتفى بتسميته «ابن ميمون»(٧). من هذا نستنتج أن أمير البحر في جزر البليار في بداية عهد اسحق ابن محمد بن غانية في جزر البليار هو لب بن ميمون، وليس محمد بن ميمون الذي اختفى اسمه من جميع المصادر التي بين أيدينا(٨).

مما سبق ذكره يتضح لنا بأن الفرضية الأولى الآنفة الذكر، بالرغم من أنها تبدو منطقية لأول وهلة، إلا أنها في الواقع فرضية ضعيفة لأنها لا تستند على أي أساس تاريخي من جهة، وتتعارض مع النص الآنف الذكر الذي ذكره ابن خلدون(٩). أما الفرضية الثانية وهي ما

---

(١) يوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٢٢٥.
(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٢٢١.
(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الثاني، ص ٢٥٦.
(٤) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٧٩.
(٥) الفريد بل: بنو غانية، ص ١٩.
(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٠٦.
(٧) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٤٠.
(٨) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٠٦.
(٩) المصدر السابق نفس الصفحة.

أرجحها، انّ محمد بن ميمون ظلّ قائداً لأسطول المرية حتى بعد خروجهم على المرابطين، فقد كان لأهلها ثقة كبيرة فيه وعرضوا عليه أن يتولى أمرهم. ولكنه رفض ذلك كما يقول عبد الواحد المراكشي، قائلاً «.. إنما أنا رجل منكم وظيفتي البحر وبه عرفت، فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به! فقدموا على أنفسهم رجلاً منهم اسمه عبد الله بن محمد يعرف بابن الرميمي، فلم يزل عليها إلى أن دخلها عليه النصارى..»(١). ولا شك أن قائداً باسلاً ومؤمناً كمحمد بن ميمون قضى أكثر من ثلاثين عاماً قائداً لأسطول المرية منذ أن «قدّمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين...» في عام ٥١٠ هـ = ١١١٦ م(٢)، وجاهد طيلة هذه السنوات مدافعاً عن الثغور الإسلامية في بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية ومهاجماً للثغور والسواحل النصرانية في أسبانيا، جليقية واشتوريش وقطلونية، والبرتغال وجنوب بلاد الفرنجة وجنوب ايطاليا وغيرها(٣)، لا يمكن أن يتخلى عن الأمانة التي ألقاها أهل المرية على عاتقه، وتعهد على تحمل أعبائها، مما يجعلنا نرجح أنه خاض معارك ضارية ضد الأساطيل الصليبية التي حاصرت المرية في ربيع الأول ٥٤٢ هـ = الأول من أغسطس ١١٤٧ م حصاراً شديداً، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ مما لا شك فيه أن قائداً بحرياً خبر البحر أكثر من ثلاثين عاماً لا يمكن أن تخفى عليه تحركات الأساطيل الصليبية، فقد كان يتحرك بقطعاته بين المرية وجزر البليار متربصاً للأساطيل المعادية التي لم يكن هجومها على المرية مفاجئاً بالنسبة له، وهنا نجد أنفسنا أمام احتمالين، الأول منهما أن يكون قد اشتبك مع هذه القوات البحرية المتفوقة في معركة مصيرية هزم فيها أسطوله بعد استشهاده في المعركة، وعادت فلوله إلى جزر البليار. والاحتمال الثاني، أن يكون قد تجنب الاشتباك مع هذه القوات البحرية المتفوقة في معركة مكشوفة، واتخذ من ثغور جزر البليار قواعد لسفن أسطوله، ينطلق منها لاستنزاف قوة الأساطيل المحاصرة في هجمات سريعة طيلة ثلاثة أشهر انتهت باقتحام القوات البرية والبحرية الصليبية المتفوقة لثغر المرية، وبقاء محمد بن ميمون في جزر البليار مدافعاً عنها حتى وفاته قبل عام ٥٤٦ هـ = ١١٥١ م، نظراً لأن قائد أساطيل جزر البليار في العام المذكور هو لب بن ميمون، يرجح هذه الفرضية(٤). ومهما يكن الأمر فقد كان لسقوط المرية ومن قبل ذلك انهيار بحرية الساحل الشرقي للأندلس نتيجة للفتنة المنتشرة في مدنها وثغورها وسقوط طرطوشة في عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م بعد المرية ببضعة شهور(٥)، وسقوط المهدية وثغور إفريقية وتكالب

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٧٩.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٦٢.
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٤، ص ٦٦ – ٦٨.
ويوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٢٢٤.
(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٠٦. والفريد بل: بنو غانية، ص ١٩.
(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٣٦.

الأساطيل الصليبية على سواحل إفريقية والمغرب والأندلس[١] ، جعل جزر البليار وحيدة معزولة عن بلاد المغرب ، والأندلس تتصدى وحدها لهجمات الأساطيل الصليبية ، ولكنها بالمقابل تلقت عوناً كبيراً ، فقد كانت الملجأ والملاذ الأخير لفلول الأساطيل والقوات المرابطية ، مما زاد من قوتها ومكنها من الصمود[٢] .

وفاة يحيى بن علي المسوفي
واستقلال أخيه محمد بجزر البليار

ظلّ يحيى بن غانية يقاتل على ثلاث جبهات منذ نشوب الفتنة في بلاد الأندلس في رمضان ٥٣٩ هـ = مارس ١١٤٥ م ، مقاومة العصاة الذين خرجوا على الدولة المرابطية ، ومواجهة غارات ألفونسو السابع « ريمونديس »[٣]، ملك قشتالة وليون وجليقة واشتوريش على قرطبة وأرباضها ، والتصدي للغزو الموحدي[٤] . وقد أدّى هذا النزيف المروع في القوات المرابطية إلى سقوط غرب الأندلس وعاصمته أشبونة (لشبونة) في يد ألفونسو الأول « الفونسو هنريكيز » أول ملوك البرتغال ، بمساندة أسطول صليبي من مائتي سفينة كان في طريقه من انجلترا وهولندة وألمانيا إلى ساحل الشام[٥] . ولم يكن في وسع يحيى بن غانية مساندة ثغور الأندلس التي كانت

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ١٢٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٩ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص ١٨ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٨٨ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٤٨ - ٢٥٤ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٣٣٢ وما بعدها .

(٤) الفونسو السابع (ريمونديس) : حفيد الفونسو السادس ملك ليون وقشتالة من ابنته « اوراكا » من زوجها الكونت ريموند الفرنجي ، الذي تزوج « اوراكا » عند قدومه على رأس حملة صليبية لمناصرة الفونسو السادس في الاستيلاء على طليطلة ، وبعد وفاته تزوجت « اوراكا » من الفونسو المقاتل ملك أرغون ، وأوصى الفونسو السادس « لحفيده الفونسو ريمونديس » ابن ريموند البورجوني مملكة « قشتالة وليون وجليقة واشتوريس إذا لم تعقب « أوراكا » من زوجها الفونسو المقاتل ، وعهد بتربية حفيده « ريمونديس » إلى أسقف فيبين الذي أصبح فيما بعد « البابا كالكستوس الثاني » ولم تعقب اوراكا من زوجها الفونسو المقاتل ، واشتبكت معه في حروب دامية ، وانفصلت عنه ، واشتبكت مع ابنها الفونسو ريمونديس ، وبعد وفاتها أصبح ابنها « الفونسو السابع » ريمونديس ملكاً على قشتالة وليون وجليقة واشتوريش ، وتوج قيصراً لاسبانيا في عام ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م ، واشتبك في حروب متواصلة مع المرابطين بقيادة يحيى بن غانية ، ومن بعد تسليمه قرطبة وقرمونة للموحدين ، اشتبك الفونسو السابع مع الموحدين حتى وفاته رجب ٥٥٢ هـ = أغسطس ١١٥٧ م .
(يوسف اشباخ : تاريخ المرابطين والموحدين ، ص ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، وص ٢٢٧ - ٢٣٥) .

(٥) يوسف اشباخ : تاريخ المرابطين والموحدين في الأندلس ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

تسقط ثغراً بعد آخر في يد ممالك أسبانيا المسيحية بالتحالف مع قوات صليبية حشدتها البابوية من شتى أرجاء أوروبا المسيحية ، وأصبحت قرطبة مهددة بالسقوط في يد الفونسو السابع[١] ، لهذا أقدم يحيى بن غانية على خطوة شجاعة وقام بتسليم قرطبة وقرمونة للموحدين ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م ، مقابل تعهد من جانبهم بمساندته في الاحتفاظ بمعقل جيّان[٢] مفتاح غرناطة التي كانت حتى ذلك الحين في يد المرابطين ، على أن يصله كتاب موقع من الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي بالموافقة على هذا الاتفاق ، وسرعان ما استجاب برّاز بن محمد المسوفي أحد كبار قادة الموحدين بإشبيلية إلى مطالب يحيى بن غانية ، وأحضر له كتاباً موقعاً من الخليفة الموحدي يتعهد فيه بالموافقة على الاتفاق وبضمان تنفيذه[٣] .

وبعد وصول كتاب الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الذي يتعهد فيه بضمان الاتفاق الموقع بين قائد القوات الموحدية في إشبيلية برّاز بن محمد المسوفي ، ويحيى بن غانية ، انسحبت القوات المرابطية من قرطبة وقرمونة بعد تسليمها للموحدين في جمادي الثاني ٥٤٣ هـ = نوفمبر ١١٤٨ م ، وتوجهت إلى جيّان[٤] . وبسط الموحدون سيطرتهم على قرطبة وملحقاتها وعلى معقل قرمونة مفتاح إشبيلية[٥] ، وما ان وصل يحيى بن غانية إلى جيّان على رأس قواته حتى وجد سفراء الفونسو السابع ملك ليون وقشتالة بانتظاره برئاسة الكونت مرين ، وطلبوا منه تسليم جيّان! وغضب يحيى بن غانية لهذا التطاول والتحدي الصارخ من الفونسو السابع ، وقام باعتقال سفراء ملك ليون وقشتالة ، وسجنهم في قلعة يحصب من عمل البيرة ، تحت إشراف عميد أسرة بني سعيد أصحاب القلعة « عبد الملك بن سعيد العنسي» ، وكانت له مكانة كبيرة عند يحيى بن غانية ، وفشلت القوات التي أرسلها القيصر الفونسو السابع « ريمونديس » في اقتحام

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالاندلس ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ . والإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .

(٢) جيّان : مدينة أندلسية شديدة الحصانة على سفح جبل عال جداً ، وقصبتها منيعة جداً ، وكانت المنطقة المحيطة بجيّان في العهود الإسلامية من أكثر مناطق الأندلس خصوبة ووفرة إنتاج ، وكانت تتبع لها ثلاثة آلاف قرية ، يربى فيها دود الحرير ، وتحيط بها الجنات والبساتين والمزارع الواسعة حتى مشارف غرناطة .
(الحميري : الروض المعطار ، ص ١٨٣) .
وقد زرت هذه المدينة في صيف عام ١٩٧٨ قادماً إليها من غرناطة والطريق بينهما خضراء يانعة ، وعند وصولي إلى هذه المدينة الشامخة ، ذهلت من حصانة موقعها ، وما زالت بقايا حصونها وقلاعها توحي بعظمتها القديمة ، ويتضح مدى شموخ جبالها وخطورة موقعها لمن يعبر ممر مورادال عبر جبال الشارات « سيراً مورينا » حيث تبدو جيّان وكأنها حصن في علياء السماء ونسراً محلقاً في الآفاق .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ - ٤٨٨ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ص ٣٤٧ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٣٣٤ .

(٤) المصادر السابقة ، الأول ص ٤٨٨ . والثاني نفس الصفحة والثالث ص ٣٣٢ .

(٥) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٤٥ ، طبعة الفلالي .

أسوار جيّان الحصينة ، وتراجعت مدحورة ، وبعد أن اطمأن يحيى بن غانية على جيّان ، توجه منها إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين في جنوب شرق الأندلس[١] . ويذكر ابن الخطيب ما يلي بهذا الصدد في ترجمته ليحيى بن غانية « وضيّق النصارى (قوات مملكة ليون وقشتالة) على يحيى ابن غانيـة في طلب الإتاوة ، واشتطوا عليه في طلب ما بيده ، ونزل طاغيتهم (الفونسو السابع) اندوجز . . . وطالبه بالتخلي عن بيّاسة ، وأبدّة فكان ذلك . . وكلب العدو على الأندلس ، فنازل الأشبونة وشنترين والمرية وطرطوشة ولاردة وإفراغه ، وطمع في استئصال بلاد الإسلام ، فداخل ابن غانية سراً من إشبيلية من الموحدين ، ووصله كتاب خليفتهم بما أحب ، وتحرك الطاغية (الفونسو السابع) في جيوش لاترام ، وطالب ابن غانية بالخروج عن جيّان وتسليمها إليه ، وكاده (وسجن سفراءه) ونهض من (جيّان) إلى غرناطة ، وهي آخر ما تبقى للمرابطين ليجمع بها أعيان لمتونة ومسوفة . . » وبعد وصوله إلى غرناطة أصابه مرض شديد توفي على أثره في ١٤ شعبان ٥٤٣ هـ = ٢٩ ديسمبر ١١٤٨ م[٢] ، وقبل وفاته أوصى المرابطين بالمحافظة على غرناطة وملحقاتها لتكون سنداً لجزر البليار تحت حكم أخيه محمد ، ومنطلقاً لإعادة حكم المرابطين من جديد على بلاد الأندلس والمغرب ، قائلاً لهم « الأندلس درقة وغرناطة قبضتها ، فإذا جشّمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم »[٣]!

وظلت غرناطة تحت حكم عاملها المرابطي ميمون بن يدر طيلة سبع سنوات ، القوة المساندة الوحيدة في بلاد الأندلس ، لمحمد بن علي بن غانية عامل جزر البليار[٤] ، الذي أعلن استقلاله في هذه الجزر في عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م[٥] ، أسوة بما قام به محمد بن سعد بن مردنيش في شرق الأندلس[٦] . وأصبحت جزر البليار منذ عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م مملكة مستقلة تحت حكم بني

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٧٠ – ٥٧١ . وج ٤ ، ص ٣٤٧ .
وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٤٨٨ .
(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٤٦ – ٣٤٧ .
(٣) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٩٧ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٣٢٠ .
وابن الأثير : الكامل ، ج ١١، ص ٢٢٣ .
وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٥٤ ، طبعة الفلالي .
ويوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٣١ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص ٢٣ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٣٤٥ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٤ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص ١٨ – ١٩ .
(٦) محمد بن سعد بن مردنيش : ولد في قلعة بنشكلة Peniscola إحدى قلاع طرطوشة المنيعة في عام ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م ، وكان والده « سعد بن محمد بن مردنيش » والياً لافراغه في الثغر الأعلى الإسلامي في =

غانية المرابطين من مسوفة[١] ، وكانوا يدعون على منابر مملكتهم لبني العباس أسوة بما كان متبعاً في عهد المرابطين من لمتونة[٢] .

= عهد المرابطين ، واشترك مع يحيى بن غانية في تحقيق النصر المؤزر على قوات الفونسو المقاتل في معركة إفراغه الحاسمة ٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م . وكان بنو مردنيش ينسبون أنفسهم إلى قبيلة جذام العربية ، والأرجح أنهم من المولدين ، وأن اسم أسرتهم محرّف من الاسم الاسباني مرتنيث Martinez ، ومما يدل على ذلك تصرفات « محمد ابن سعد » الذي استعان بالنصارى بعد استيلائه على شرق الأندلس ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م ، وكان يقلد نصارى قشتالة في زيه وسلاحه ، ويتحدث باللغة القشتالية بطلاقة ، وكان النصارى يلقبونه بالملك الذئب « ري لوبو » Rey Lopo لشراسته وشجاعته الفائقة ، وكانت مملكته تمتد من أحواز طرطوشة شمالاً وحتى قرطاجنة الحلفاء ، ولورقة في شرق الأندلس جنوباً ، وكانت مملكته سداً منيعاً أمام تقدم الموحدين عبر شرق الأندلس ، وحاجزاً وفّر الحماية والأمن لجزر البليار ، وجنبها الاصطدام بالموحدين حتى وفاة محمد بن سعد ابن مردنيش ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م .

وقد عقد محمد بن سعد بن مردنيش معاهدات صلح وصداقة مع رامون برنجار الرابع أمير قطلونية ، ومع ملك ليون وقشتالة الفونسو السابع « القيصر الفونسو ريموندس » وكان يؤدي لكل منهما جزية سنوية مقدارها خمسون ألف مثقال من الذهب من أجل تقديم العون له في التصدي للموحدين ، كما عقد معاهدة صداقة مع جمهورية بيزة لمدة عشر سنوات ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م ، ومعاهدة مماثلة مع جمهورية جنوة ، وقد تعهد في كلتا المعاهدتين بدفع إتاوة مقدارها عشرة آلاف دينار مرابطية مقابل عدم التعرض لثغور مملكته . كما كانت له علاقات مع ملوك النصارى في غرب أوروبا ، ومن بين هؤلاء « هنري الثاني » ملك انجلترا ، وكان بينهما مهاداة ، فقد أرسل ابن مردنيش لملك انجلترا تحفاً ذهبية ومنسوجات حريرية وجمالاً وخيلاً ، وقام « هنري الثاني » بارسال هدية قيمة مماثلة (ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، وما بعدها . والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٨٩ . والذهبي : تاريخ الإسلام/ مخطوطة باريس رقم ٤٢٢٧ ، ص ٧٩ . ويوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣١٨ وما بعدها . ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٣٦٥ وما بعدها) .

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥ ، ٣٥٨ وج ٦ ، ص ٣٩١ ، ٥٠٦ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٣٩ . والفريد بل : بنو غانية ص ١٨ – ١٩ .
وسليمان مصطفى زبيس : تأملات حول محاولات إعادة الحكم المرابطي في المغربين الأوسط والشرقي ، ص ١٩٢ ، مجلة ميورقة – جامعة برشلونة لعام ١٩٧٤ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٤ .
وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ . ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الأول ، ص ٤١ – ٤٤ .

الفصل السادس

جزر البليار المستقلة
تحت حكم بني غانية المرابطين من مسّوفة
٥٤٣ - ٦٠٠ هـ = ١١٤٨ - ١٢٠٣ م

المرحلة الأولى
٥٤٣ - ٥٨٠ هـ = ١١٤٨ - ١١٨٤ م

استقلال محمد بن غانية بجزر البليار

ارتبط تاريخ جزر البليار ببني غانية المرابطين من قبيلة مسوّفة الصنهاجية منذ تولية محمد ابن علي المسوّفي الملقّب « بابن غانية » عاملاً على هذه الجزر من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين[١]. وظل عاملاً على هذه الجزر حتى وفاة أخيه يحيى عميد أسرة بني غانية في شهر شعبان ٥٤٣ هـ = ديسمبر ١١٤٨ م[٢]، وفي نفس العام الذي توفي فيه يحيى بن غانية تم القضاء نهائياً على آخر محاولات المرابطين من لمتونة في استعادة سلطتهم في بلاد المغرب، تحت قيادة يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين فارس المرابطين المعروف « بالصحراوي » وزال حكم المرابطين نهائياً من بلاد المغرب[٣] والأندلس باستثناء غرناطة وملحقاتها[٤]. وعادت جزر البليار كما كانت في بداية العهد المرابطي وحيدة معزولة تدافع عن بقائها في وجه أخطار داهمة، تتوجّس خيفة من الموحدين، وتتصدّى ببسالة للأساطيل الصليبية تحت قيادة عاملها

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣٥٥ - ٣٥٨. وج٦، ص٣٩١، ٥٠٦.
(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص٣٤٧.
(٣) البيذق: كتاب أخبار المهدي بن تومرت، ص١٠٦ - ١٠٩.
وعبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٦٨.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص٣٢. والفريد بل: بنو غانية ص٢٣.

الشجاع محمد بن غانية الذي تمكّن من الدفاع عن هذه الجزر بفضل الحشود الهائلة من المرابطين، الذين لجأوا إليها من شتّى قواعد الأندلس والمغرب ودافعوا عن معقلهم الأخير باستماتة منقطعة النظير. وليس أدل على البطولة الخارقة التي أبدتها أساطيل البليار والتضحيات الأسطورية التي قدّمها أهلها دفاعاً عن حريتهم من صمودها في وجه أساطيل مملكة قطلونية وأرغون المتحدة وأساطيل بيزة وجنوة وصقلية النورمندية[١]، في الوقت الذي تمكنت فيه بتحريض من البابوية، من الاستيلاء على معظم ثغور إفريقية وعلى رأسها المهدية ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م[٢]، وعلى ثغر طرطوشة كبرى قواعد الثغر الأعلى الإسلامي البحرية في ١٦ شعبان ٥٤٣ هـ = ٣١ ديسمبر ١١٤٨ م، ولجوء فلول حاميتها وأسطولها إلى جزر البليار[٣]، مما اضطر محمد بن سعد بن مردنيش الذي استولى على معظم ثغور شرق الأندلس وأعلن استقلاله بها، أن يدفع إتاوة سنوية لكل من بيزة وجنوة مقدارها عشرة آلاف مثقال من الذهب، مقابل عدم تعرضهما لثغور مملكته ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م[٤]. لهذا لم يجد محمد بن غانية بداً من إعلان استقلاله بجزر البليار ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م بعد زوال حكم المرابطين من لمتونة من بلاد المغرب والأندلس، للدفاع عن هذه الجزر في مواجهة الموحدين والأساطيل الصليبية، مستعيناً في ذلك بأهل جزر البليار، الذين عرفوا طيلة تاريخهم الإسلامي بجرأتهم وشجاعتهم وتمرّسهم في الحروب البحرية، وبالأساطيل والقوات المرابطية التي لجأت إلى هذه الجزر[٥].

ولم ينقطع لجوء المرابطين إلى البليار من بلاد المغرب طيلة الفترة التي استقل فيها محمد بن غانية بحكم البليار، ففي جمادى الثانية ٥٤٤ هـ = ٢٤ أكتوبر ١١٤٩ م لجأ ابن هلال عامل الثغر الأعلى الإسلامي إلى جزر البليار بفلول حاميات لاردة وإفراغه ومكنسة « مكناسة » بعد استيلاء رامون برنجار الرابع وحلفائه الداوية « فرسان المعبد » عليها، مما جعل من جزر البليار حصناً منيعاً، فشل الصليبيون في اقتحامه فهادنوه[٦].

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٨٩. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٣٩ - ١٤٤. والفريد بل: بنو غانية، ص١٨ - ١٩.
(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٥، ١٢٨.
(٣) ابن الأثير: الكامل، ص١٣٦. ويوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٢٧. والفريد بل: بنو غانية، ص١٨ وحاشية « ٢ ».
(٤) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٣١٨.
(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٤.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٣٨.
والفريد بل: بنو غانية، ص١٨ - ١٩.
(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص١٣٦. ويوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين. والفرد بل: بنو غانية، ص١٨ - ١٩ وحاشية « ٢ ».

وبما يدل دلالة قاطعة على صمود جزر البليار في عهد أميرها محمد بن علي بن غانية في وجه الهجمة الشرسة للأساطيل الصليبية ، هو عقد بيزة وجنوة معاهدات تجارية مع أمير البليار في عام ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م[١] ، وتدل نصوص الاتفاقيتين مع الجمهوريتين الإيطاليتين على أنهما « .. أقرب إلى أن يكونا من أجل تحديد مناطق النفوذ من أن يعدا معاهدتين تجاريتين بمعنى الكلمة .. »[٢]. وما كان البيزيون والجنويون الذين عرفوا بشراستهم وروحهم العدوانية وتمسحهم بالمسيحية والتظاهر بأنهم حماتها خلال الحروب الصليبية ، ليقبلوا عقد معاهدات تجارية مع أي بلد من البلاد الإسلامية ، إلا إذا شعروا بقوته وتهديده لأمنهم ومصالحهم التجارية ، ويؤيد رأينا هذا ما ذكره الباروكمبانير المؤرخ الميورقي بهذا الصدد حيث يقول : « ما كان الجنويون ولا البيزيون ليتنازلوا إلى التعامل مع هؤلاء « الكفار » ! إلا إذا كانوا يعرفون مدى قوتهم ويعملون لذلك حساباً ، فقد عرفوا ما كان عليه هؤلاء المسلمون البلياريون من كفاءة وقدرة ، بعد أن تعرضوا إلى أضرار بالغة من الحملات البحرية التي جوبهوا بها ، والتي طالما عانوا منها من مهاجمة الأساطيل البليارية المتكررة لثغور بلادهم .. » . ويتابع الباروكمبانير نصه الآنف الذكر موضحاً العامل التجاري في توقيع هذه الاتفاقيات ويقول « وعلينا أن نلاحظ أن هناك ما يجمع بين وضع جزر البليار الإسلامية وهاتين الجمهوريتين ، فقد كانوا جميعاً يعملون في التجارة وكانوا يعرفون كل الوسائل الكفيلة بتنمية مصالحهم وزيادة مكاسبهم التجارية وهو أمر يعترف به التاريخ ، وفي ميورقة أدلة واضحة ما زالت باقية تؤكد ذلك .. »[٣]. وهكذا استطاع الأمير محمد بن علي بن غانية أن يفرض على الإمارات والممالك المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط مهادنة جزر البليار والكف عن عدوانها عليها ببسالة منقطعة النظير ، وربما يقال بأن الدول المسيحية تجنبت العدوان على جزر البليار لتجعل منها قوة صلبة في وجه الموحدين ، ولكن ما ينفي هذا القول هو أن أساطيل صقلية النورمندية التي انطلقت من عقالها بعد انهيار البحرية المرابطية ، ظلت تهاجم جزر البليار حتى استيلاء الموحدين على ثغر المهدية وإنقاذه من براثن الغزاة في ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م . ويقول ابن الأثير في هذا الصدد عند حديثه عن حصار القوات الموحدية بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي ما يلي : « ولما كان الثاني والعشرين من شعبان ٥٥٤ هـ = ١١٥٩ م جاء أسطول صاحب صقلية في مائة

(١) الفريد بل : بنو غانية ، حاشية « ٢ » ، ص١٨ ، « نقلاً عن قديرة وأماري وماس لا تري » وروسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٨ .
« نقلاً عن : ماس لا تري/التجارة في إفريقية الشمالية والمغرب والعلاقات التجارية بينهما وبين البلاد المسيحية في العصور الوسطى - باريس ١٨٨٦ » .
(٢) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٣٥ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٦ .

وخمسين شينيا غير الطرائد ، وكان قدومه من جزيرة يابسة من بلاد الأندلس ، وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه .. »[١].

يتضح مما سبق ذكره الدور البطولي الذي قام به الأمير محمد بن غانية في تأمين سلامة جزر البليار وأمنها من جهة ، ومن جهة أخرى تنمية ثرواتها في شتى المجالات الزراعية والتجارية والصناعية ، فقد كان هدفه الرئيسي من توقيع معاهدات تجارية مع بيزة وجنوة بالاضافة إلى تحديد مناطق النشاط العسكري ، تنشيط التجارة وتوفير الأمن والاستقرار ، مما يخلق الازدهار في الزراعة عماد ثروة جزر البليار ، التي اشتهرت بخصوبتها الفائقة ، وفي مختلف أنواع الصناعات الحرفية التي فاقت في شهرتها جميع الدول المطلة على الحوض الغربي للمتوسط ، كما كان لتشبّع أهل جزر البليار بالثقافة الإسلامية أكبر الأثر على متابعة هذه الجزر في عهد أميرها محمد بن غانية وأبنائه وأحفاده من بعده المسيرة الحضارية والإسهام في التراث الإسلامي بنصيب وافر[٢]. ومما يؤسف له أننا لا نجد في مصادرنا الإسلامية ما يلقي الضوء على سياسة الأمير محمد ابن علي بن غانية الداخلية وعن علاقاته الخارجية خاصة مع شرق الأندلس تحت حكم محمد بن سعد بن مردنيش ، التي أرجح بأنها كانت علاقة صداقة وتعاون لعدائهم المشترك للموحدين ، ويذكر الفريد بل المؤرخ الفرنسي بأن الأمير محمد بن علي بن غانية أعلن ولاءه للخلافة العباسية بعد استقلاله بجزر البليار ، التي كان يحكمها بمعاونة المستشارين وأنه كان يعتبر نفسه ملكاً مستقلاً على هذه الجزر[٣].

نهاية الأمير محمد بن غانية المفجعة
وتولية ابنه اسحق أميراً على جزر البليار

تتناقض الروايات عن مصير أمير البليار محمد بن علي بن غانية وتاريخ انتهاء ولايته حتى في المصدر الواحد ، ونجد مثالاً على ذلك فيما ذكره ابن خلدون ، الذي يقول في إحدى رواياته عن مصير محمد بن علي بن غانية ما يلي : « وكان بميورقة عند اضطراب أمر لمتونة محمد بن علي بن غانية المسوفي وليها سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م واستشهد بها .. »[٤]. ويقول في رواية أخرى « .. وأما محمد بن علي فلم يزل والياً إلى أن هلك وقام بأمره بعده ابنه عبد الله ، ثم هلك وقام بالأمر

(١) ابن الأثير : الكامل ، مج ١١ ، ص٢٤٤ . وابن خلدون : العبر ، ج٥ ، ص٤٤٥ .
(٢) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص٩٨ - ٩٩ .
« سنذكر بالتفصيل النهضة العلمية والأدبية والعمرانية والازدهار الاقتصادي في جزر البليار في عهد بني غانية في القسم الحضاري من هذا البحث » .
(٣) الفريد بل : بنو غانية ، ص١٨ ، وحاشية « ١ » ، « ٢ » .
(٤) ابن خلدون : العبر ، مج ٤ ، ص٣٥٨ .

أخوه اسحق بن محمد بن علي . . » . ويذكر في رواية ثالثة ما يلي « . . وقيل إن اسحق ولّي بعد أبيه محمد ، وأنه قتله غيرة من أخيه عبد الله لمكان أبيه منه فقتلهما معاً ، واستبدّ بأمره إلى أن هلك . . »[1] . ويقول في رواية رابعة « . . ثم عهد محمد إلى ابنه عبد الله ، فنافسه أخوه اسحق وأدخل جماعة من لمتونة في قتله فقتلوه وقتلوا أباه محمداً ثم أجمعوا على الفتك به ، فارتاب بهم وأدخل لب بن ميمون قائد البحر في أمرهم ، فكبسهم في منازلهم وقتلهم . . »[2] !

ونجد نفس التناقض في الروايات لدى عبد الواحد المراكشي الذي يقول في إحدى الروايات ما يلي : « واستقل محمد بمملكة هذه الجزر ، وضبطها لنفسه ، وأقام فيها جارياً على أمر لمتونة الأول ، يدعو لبني العباس . وكان له من الولد : عبد الله واسحق والزبير وطلحة وبنات ، فعهد في حياته إلى أكبر ولده عبد الله ، فنفس ذلك عليه أخوه اسحق ودخل عليه في جماعة من الجند وعبيد له فقتله - قيل في حياة أبيه ، وقيل بعد وفاته . . » . ثم يقول في رواية أخرى « وتوفي عبد الله . . واستقل أبو إبراهيم (اسحق بن محمد بن غانية) بالملك استقلالاً حسناً . . »[3] . ويقول ابن الأبار بأن اسحق بن محمد بن غانية « . . تولّى ميورقة بعد مقتل أبيه محمد وأخيه عبد الله ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م »[4] . أما ابن عذاري فيذكر رواية واحدة يقول فيها عند ذكر ولاة جزر البليار من لمتونة ومسّوفة ما يلي : « . . ثم وليها محمد بن غانية المسّوفي حتى مات مقتولاً ، ثم وليها ابنه اسحق . . »[5] . وقد اعتمد المؤرخون اللاحقون على الروايات الآنفة الذكر ، ورجّح بعضهم رواية على أخرى ، فظهر التضارب فيما بينها ، ونجد على سبيل المثال بأن المؤرخ الباروكمبانير اعتمد إحدى روايات ابن خلدون الآنفة الذكر حيث يقول ما يلي : .نأخذ من نص لابن خلدون أن محمد بن غانية اعتبر نفسه مستقلاً في حكم جزر البليار ، وذلك بعد أن انتهى حكم المرابطين لشبه الجزيرة ، ولذلك أعلن البيعة لابنه عبد الله باعتباره ولي عهده ، وقد أغضب هذا القرار أخاه أبا إبراهيم اسحق ، الذي أعماه الطموح ودبّت في نفسه البغضاء والحسد ، فثار على هذا القرار ثورة شديدة حتى أنه لم يضع في اعتباره إرادة أبيه ولا احترامه ، وانضم إليه بعض اللمتونيين الآخرين المتذمرين ، واستطاع بفضل معاونتهم أن يقتل أخاه عبد الله ، بل وأباه محمداً . . »[6] . واعتمد الفريد بل على نفس الرواية ، إلا أنه كان حذراً في تبنيها حيث يقول « . . وعيّن محمد ابنه الأكبر عبد الله ولي عهد له ، مما أغضب ابنه الثاني إسحق الذي تضايق بسبب ابعاده ، فقام بحبك مؤامرة كانت نتيجتها قتل أخيه عبد الله وربما يكون قد قتل أباه

(١) المصدر السابق ، مج٦ ، ص٣٩١ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص٥٠٦ .
(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٤ .
(٤) ابن الأبار : التكملة ، ج٢ ، ص٦٩٦ ترجمة ١٧٥١ ، طبعة عزت العطار الحسيني .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٢١٥ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٢٨ - ١٢٩ .

أيضاً ، كما يؤكد بعض المؤرخين . . »[1] .

ويجمع الأستاذ محمد عبد الله عنان بين ما ذكره ابن خلدون وما ذكره عبد الواحد المراكشي ، فيقول بهذا الصدد ما يلي عن مصير محمد بن علي بن غانية « . . أختار لولاية عهده أكبر أولاده عبد الله ، وهنا تختلف الرواية فيقال إن إسحق حقد على أخيه ودبر مؤامرة قتل فيها أبوه وأخوه ، وفي رواية أخرى إن عبد الله خلف أباه في حكم الجزائر حينما توفي . . وأن أخاه اسحق خلفه في الحكم بعد وفاته . . »[2] .

يتضح من الروايات الآنفة الذكر والروايات الأخرى المنقولة عنها ، بأن هناك شبه إجماع على أن إسحق بن محمد بن غانية قد تولّى الحكم بعد أبيه ، ويثبت ذلك تسلسل الأحداث اللاحقة مما يجعلنا نرجح الروايات المتواترة بأن إسحق بن محمد بن غانية ربما يكون قد ارتكب جريمة قتل أخيه عبد الله طمعاً في الحكم ، وتطاول بعد ذلك على أبيه وتآمر على قتله خوفاً منه على نفسه . وكما اختلف المؤرخون في مصير محمد بن علي بن غانية اختلفوا في تاريخ نهاية ولايته ، ويذكر ابن خلدون روايتين بهذا الصدد ، الأولى منهما أن محمد بن علي بن غانية « هلك سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م ، وولّي ابنه « إبراهيم أبو اسحق »[3] ، وهي رواية تتعارض كل التعارض مع تسلسل الأحداث اللاحقة[4] . أما الرواية الثانية فيقول ابن خلدون فيها ، بأن تاريخ تولية إسحق بن محمد بن غانية بعد مقتل أخيه وأبيه كان في عام ٥٤٦ هـ = ١١٥١ - ١١٥٢ م[5] . وبالرغم من اعتماد عدد كبير من المؤرخين اللاحقين على هذه الرواية[6] ، إلا أننا نميل إلى ترجيح رواية ابن عذاري التي يذكر فيها أن تاريخ تولية إسحق بن محمد بن غانية كان في عام ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م[7] . وكما اختلف المؤرخون في بداية حكم اسحق بن محمد بن غانية فقد

(١) الفريد بل : بنو غانية ، ص١٩ .
(٢) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص١٤٥ .
(٣) الأصح هو « أبو إبراهيم اسحق » .
(عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٤) .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٨ .
(٥) المصدر السابق : ج٦ ، ص٣٩١ و٥٠٦ . (يذكر ابن الأبار رواية مماثلة لرواية ابن خلدون يقول فيها ، بأن إسحق بن محمد بن غانية « تولى ميورقة بعد مقتل أبيه محمد وأخيه عبد الله ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م : التكملة ، ج٢ ، ص٦٩٦ ترجمة ١٧٥١ » .
(٦) من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر - الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٢٩ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، مج٣ ، ص٣٠٨ ، وزامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٩١ .
(٧) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٢١٥ . ولقد تبنّى هذه الرواية من المؤرخين على سبيل المثال ، الفريل بل : بنو غانية ، ص١٩ . واعتمد في ذلك على المؤرخ الأسباني قديرة ، الذي سعى جهده إثبات هذه النقطة بالتفصيل في تاريخه (انهيار امبراطورية المرابطين ، ص١٧٤ - ١٧٩) . الفريد بل : بنو غانية ،

اختلفوا في تـاريـخ وفـاتـه ، وتجمع معظم الروايـات عـلى أن تـاريـخ وفـاتـه في عـام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[1] . بينما يذكر عبد الواحد المراكشي بأنه توفي عام ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م[2] . ولكن الأرجـح بـأنـه توفي في مطلـع عـام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م في نهـايـة شهر صفر من العـام المذكور[3] .

جزر البليار في عهد إسحق بن محمد بن غانية

تولى الحكم في عام ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م[4] « بعد أن داخل جماعة من لمتونة في قتل أخيه عبد الله فقتلوه وقتلوا أباه محمداً . . » وأصبح إسحق بن محمد بعد ارتكابه هذه الجريمة النكراء ، يرتاب في كل ما حوله ، واستعان بقائد البحر « لب بن ميمون » في القضاء على من اشتبه في عدم ولائهم ، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد بأن المتآمرين من لمتونة النين اشتركوا مع إسحق ابن محمد في قتل أبيه وأخيه . . « أجمعوا على الفتك به ، فارتاب بهم ، وداخل لب بن ميمون قائد البحر في أمرهم فكبسهم في منازلهم وقتلهم . . » ، وبعد أن ثبّت دعائم حكمه بالقمع والإرهاب وسفك الدماء ، اهتم « بالبناء والغراسة ، وضجر منه الناس لسوء ملكته ، وفرّ عنه لب بن ميمون إلى الموحدين . . »[5] . وبينما كان اسحق بن محمد أمير البليار مشغولاً ببناء القصور والقلاع والحصون وغرس الأشجار في بداية حكمه ، كان الموحدون يسعون جاهدين لفرض سلطانهم على بلاد الأندلس ، بعد أن استولوا على معظم قواعد الأندلس الوسطى والجنوبية الغربية ، وكانت غرناطة آخر معاقل المرابطين في البر الأندلسي تقف عثرة أمام تقدم القوات الموحدية في جنوب شرق الأندلس ، وكان موقف عامل غرناطة المرابطي ميمون بن يدر حرجاً للغاية ، فقد تضاءلت قواته وقلّت موارده ، ولم يعد في وسعه مواصلة التصدي للموحدين ، فأرسل إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي يعرض عليه تسليم غرناطة وذواتها مقابل ضمان تأمينه وعدم التعرض بأي أذى للحامية المرابطية ، فاستجاب الخليفة إلى طلبه وأرسل ابنه أبا سعيد

= ص ١٩ ، حاشية « ٤ » ، ونظراً لكون قديرة من المؤرخين الثقات ، لهذا فإنني أميل إلى ترجيح روايته ، التي اعتمدها المؤرخ القدير الأستاذ عبد الله عنان (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الأول ، ص١٥٤ ، والقسم الثاني ، ض١٤٥) .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص٢١٥ . وابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٣٥٨ ، ومج٦ ، ص٣٩١ ، وص٥٠٦ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، مج٧ ، ص١٨ . وزامباور : معجم لأنساب والأسرات الحاكمة ، ص٩١ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٤ .

(٣) الفريد بل : بنو غانية ، ص ٢٥ حاشية « ٢ » . وقد اعتمد الفريد بل على نص للمؤرخ الاسباني قديرة يذكر فيه بأن إسحق بن محمد بن غانية قد وقع معاهدة مع البيزيين في ١٩ صفر ٥٨٠ هـ = ٣ يونيو ١١٨٤ م .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٢١٥ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٦ .

والي سبتة والجزيرة الخضراء وعبد الله بن سليمان قائد الأسطول الموحدي في قاعدة سبتة باستلام غرناطة سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م[1] . وبعد استيلاء الموحدين على غرناطة توجهت فلول الحامية المرابطية إلى ثغر المنكب في جنوب شرق الأندلس ، ومنه توجهت في السفن إلى جزيرة ميورقة . وكان الأمير اسحق بن محمد قد أهمل الجهاد البحري في بداية عهده ، مما أغضب عليه قائد البحر « لب بن ميمون » الذي تخلّى عنه ولجأ للموحدين ، وكرهه الناس ، فحاول استرضاءهم وكسب ولائهم بإعلان الجهاد وحشد الأساطيل لغزو سواحل قطلونية وجنوب فرنسا وسردانية وقرسقة وغرب إيطاليا وصقلية[2] ، ووجد في الحشود الهائلة من فلول القوات المرابطية التي لجأت إلى جزر البليار ما يحقق طموحه في الغزو البحري ، ويرضي شعبه ويشغل القوات المرابطية التي احتشدت في جزر البليار في عمل مثمر يعود على بلاده بالخير ويحقق له المجد والفخر[3] .

وكانت القوات الموحدية قد استولت على ثغر المرية ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م وأنقذتها من يد القوات الصليبية التي استولت عليها في عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م ، وأصبح للأسطول الموحدي قاعدة بحرية هامة تطل على الحوض الغربي للمتوسط[4] . وقد فشل القيصر ألفونسو ريمونديس ، وحليفه محمد بن سعد بن مردنيش أمير شرق الأندلس ، في مساندة الحامية الصليبية التي حاصرها الموحدون في ثغر المرية واضطرت إلى الاستسلام ، وانسحب محمد بن سعد بن مردنيش يجر أذيال الخيبة والعار ، وتراجع ألفونسو ريمونديس (ألفونسو السابع) مدحوراً مخذولاً ، وتوفي وهو في طريقه إلى طليطلة قاعدة ملكه ، عند عبوره لمضيق مورادال في رجب ٥٥٢ هـ = ٢١ أغسطس ١١٥٧ م ، « إما متأثراً بجراحه أو بسبب تحطيم في قواه لما بذله من جهود ، ولما أصابه من الحزن لفشله . . » ، وظل محمد بن سعد بن مردنيش أمير شرق الأندلس على عدائه للموحدين حتى وفاته سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م . وكانت مملكة شرق الأندلس طيلة عهده منذ عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م وحتى وفاته سداً منيعاً في وجه تقدم الموحدين إلى شرق الأندلس ، وبالتالي تهديد جزر البليار ، فكان بمثابة حليف غير مباشر لبني غانية ، استنزف القوات الموحدية طيلة عهده في حروب متواصلة مما ألهاهم وأشغلهم عن التدخل في شئون جزر البليار التي ظلت تشعر بالطمأنينة طيلة عهد محمد بن سعد بن مردنيش في شرق الأندلس ، وكان الموحدون خلال فترة صراعهم الطويل مع ابن مردنيش يستصغرون شأن جزر البليـار[5] ، مما مكن الأمـير اسحـق بن محمـد بن غـانيـة من

---

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج٢ ، ص١٥٤ .

(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٠٤ .

(٣) الفريد بل : بنو غانية ، ص٢٢ – ٢٣ . وتخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٠ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٣٢ .
وابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٣ ، ص٨٩ .
الذهبي : تاريخ الإسلام ، مخطوطة رقم ٤٢٢٧– باريس . الكويت ، رقم ٥٤٠ ، ص ٢٧٩ . ومحمد عبد الله =

تدعيم مركزه ، في هذه الجزر ، وبناء أقوى الأساطيل البحرية والقيام بحملات بحرية متواصلة على السواحل والجزر المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط ، ووصلت القوة البحرية البليارية في عهد إسحق بن محمد بن غانية إلى ذروتها ، وكان يحسب لها حساب كبير في الموازين البحرية في الحوض الغربي للمتوسط . ونستشف من المدونات المسيحية عن بحرية جزر البليار في عهد إسحق ابن محمد بن غانية ، بأن مسلمي هذه الجزر وصلوا إلى ذروة قوتهم العسكرية وقمة جرأتهم ، مما مكنهم من تحقيق انتصارات بحرية باهرة والحصول على مغانم وافرة[1] . ويوضح النص التالي لعبد الواحد المراكشي مدى اهتمام إسحق بن محمد بن غانية بالغزو البحري والذي يقول فيه « واستقل أبو إبراهيم (اسحق بن محمد بن غانية) بالملك استقلالاً حسناً وحسنت حاله وكثر الداخلون عليه بجزيرة ميورقة من فلّ لمتونة وبقاياهم ، فكان يحسن إليهم ويصلهم حسب طاقته ، وأقبل على الغزو وصرف عنايته إليه فلم يكن له هم غيره ، فكان له في كل سنة سفرتان إلى بلاد الروم يغنم ويسبي وينكي في العدو أشد نكاية ، إلى أن امتلأت أيدي أصحابه أموالاً ، فقوي بذلك أمره وتشبه بالملوك ، ولم يزل هذا حاله إلى أن توفي . . »[2] .

ومما خفف من ضغط الأساطيل المسيحية على جزر البليار بشكل غير مباشر في المرحلة الأولى من عهد إسحق بن محمد بن غانية ، ووفّر لأساطيل جزر البليار مزيداً من حرية الانطلاق عبر الحوض الغربي للمتوسط هو ظهور قوة بحرية إسلامية جديدة في هذا الحوض هي البحرية الموحدية ، التي اندفعت أساطيلها من قواعد المغرب الأقصى لمساندة القوات البرية بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي في الاستيلاء على بلاد المغرب الأوسط وإفريقية « تونس » وتحرير ثغورها الساحلية من نورمان صقلية وقلورية . ففي عام ٥٤٦ هـ = ١١٥١ م توجه الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي على رأس قواته إلى بلاد المغرب الأوسط والتي كان يحكمها آنذاك الحسن بن علي آخر أمراء بني حماد في تلك البلاد . ، وقد تمكن الخليفة الموحدي من الاستيلاء على بجاية[3] قاعدة ملك بني حماد ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م وخضعت جميع بلاد المغرب الأوسط للحكم

= عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، ص ١٤٦ وما بعدها .
ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٣١٨ وما بعدها .

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٤ . والفريد بل: بنو غانية ص٢٣ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٤ .

(٣) بجاية : مدينة حصينة بساحل المغرب الأوسط (بلاد الجزائر) وكانت في عهد بني حماد والعهد الموحدي اللاحق من أشهر ثغور بلاد المغرب وأكثرها حصانة نظراً لموقعها الفريد على سفح جبل ، ويمتاز سورها بالضخامة والمتانة ،وتضرب مياه البحر في القسم الشمالي منه ،وكان أول من عمّرها هو المنصور بن حماد الذي اتخذها معقلاً له عند هجوم الاعراب على إفريقية وبلاد المغرب ، وسيكون لبجاية أهمية قصوى في الصراع بين الموحدين وبني غانية . (الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص٩١ - ٩٢ . ومجهول المؤلف : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص١٢٨) .

الموحدي ، وتوقف عبد المؤمن بن علي عند هذا الحد ، ولم يحاول الاشتباك مع نورمان صقلية الذين كانوا يسيطرون على معظم ثغور « إفريقية » آنذاك ، نظراً لانشغال عبد المؤمن بن علي في توطيد دعائم الحكم الموحدي في المغرب الأقصى والأندلس ، ولما يتطلبه الصراع مع النورمان من استعدادات كبيرة وقوات بحرية ضخمة[1] . وكان وصول الموحدين إلى المغرب الأوسط عاملاً حاسماً في الصراع بين الموحدين ونورمان صقلية ، فقد ثار أهل ثغور إفريقية على الحكم النورمندي البغيض[2] ، خاصة بعد موت روجر الثاني ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م ، الذي عرف بشدة مراسه ، وقد توفي قبله بعامين قائد أساطيله جرجي بن مخائيل الأنطاكي الذي قام بدور خطير في الاستيلاء على ثغور إفريقية ، كما ذكرنا في موضعه[3] . واستنجد أهل إفريقية بالخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، فاستعدّ استعداداً كبيراً لتلبية ندائهم وإنقاذهم من براثن النورمان ، وتقدم على رأس قواته البرية الضخمة تسانده قوة بحرية كبيرة نحو إفريقية ٥٥٤ هـ = ١١٥٩ م ، وتمكن قائد أسطوله ابن ميمون[4] من هزيمة أسطول نورمندي قدم لنجدة ثغر المهدية « . . وكان قدومه من جزيرة يابسة من بلاد الأندلس ، وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه . . فخرج إليهم أسطول عبد المؤمن . . واقتتلوا في البحر فانهزمت شواني الفرنج وأعادوا القلوع وتبعهم المسلمون وأخذوا منهم سبع شوان ولو كان معهم قلوع لأخذوا أكثرها . . »! واستسلمت الحامية النورمندية في ثغر المهدية مقابل تأمين سلامتها ورحيلها لصقلية في محرم ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م . واستولت القوات الموحدية على بقية ثغور إفريقية وأصبح جميع الساحل الممتد من طرابلس إلى سبتة تحت الحكم الموحدي ، وكانت أساطيل الموحدين تطارد الأساطيل المسيحية على طول هذا الساحل مما خفف العبء عن أساطيل جزر البليار[5] .

وكان اسحق بن محمد بن غانية يتابع بقلق ، الزحف الموحدي عبر سواحل المغرب وإفريقية ، ويتحاشى الاصطدام بالموحدين الذين أصبحت لأساطيلهم سطوة في جنوب الحوض الغربي

(١) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ص١١٥ - ١١٦ .
الوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٢ ، ص٤٧٧ - ٤٧٨ . محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الأول ، ص٢٨٩ - ٢٩٢ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ، ج١١ ، ص٢٤١ وما بعدها .

(٣) مخائيل أماري : المكتبة الصقلية ، ص٦٥٧ .

(٤) الأرجح أنه لب بن ميمون الذي لجأ للموحدين هرباً من عسف إسحق بن محمد بن غانية (العبر: ج٦ ، ص٥٠٦) . بينما يذكر الوزير السراج في حلله السندسية بأن قائد البحر الموحدي كان محمد بن عبد العزيز بن ميمون يعاونه ابن الخراط والحسن الشاطبي . (ج٢ ، ص٤٨٠) .

(٥) ابن الأثير: الكامل ، ج١١ ، ص٢٤٣ - ٢٤٤ . والمؤنس في أخبار إفريقية وتونس . ص١١٦ . والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٢ ، ص٤٨٠ . والاستقصاء ، ج٢ ، ص١٣٧ - ١٣٨ .
وابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص١٢٠ .

للمتوسط ، مما شل من فعالية أساطيل صقلية النورمندية التي كانت تغير على جزر البليار في بداية عهد إسحق بن محمد بن غانية ، وقد اشتبك الأسطول الموحدي بأحد الأساطيل العائدة من جزيرة يابسة أمام ثغر المهدية « وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه » ، وقد تمكن قائد البحر الموحدي ابن ميمون من هزيمة الأسطول النورمندي ، واستولى على سبع من شوانيه في نهاية عام ٥٥٤ هـ = ١١٥٩ م[١]. وبالرغم من هذا العون غير المباشر لأساطيل جزر البليار وإشغال الأساطيل النورمندية والبيزية والجنوية ، والتحكم في عبور الأساطيل الصليبية عبر عتبة صقلية بين سواحل إفريقية وجزيرة صقلية ، إلا أن إسحق بن محمد بن غانية ظل حتى نهاية عهده يرهب الموحدين ويسعى جاهداً لمداراتهم وتجنب التحرش بهم وإغضابهم ، وفي نفس الوقت كان حريصاً على استقلال جزر البليار ويبذل أقصى الجهود لتدعيم قواتها البحرية والبرية يسانده في ذلك كبار قادة المرابطين الذين لجأوا إلى هذه الجزر ، والذين كان يعتمد عليهم اسحق بن محمد في الدفاع عن استقلال جزر البليار[٢] وقد استجاب أمير البليار اسحق بن محمد بن غانية في بداية عهده إلى وساطة الوزير أحمد بن عطية[٣] بإطلاق سراح مروان بن عبد العزيز[٤] بعد اعتقاله « ببعض معاقل ميورقة نحو اثنتي عشرة سنة »[٥] ، بسبب استيلائه على بلنسية وذواتها وخروجه على عاملها عبد الله بن محمد بن غانية ، الذي تمكن من الفرار من معقل شاطبة إلى المرية ، وهناك لجأ إلى قائد البحر محمد بن ميمون الذي نقله في إحدى سفن أسطول المرية إلى ميورقة وألحقه بأبيه محمد بن غانية[٦]، الذي عينه قائداً لأحد أساطيل جزر البليار ، وعلم لدى

(١) ابن الأثير: الكامل ، ج١١ ، ص٢٤٤ . ورحلة التجاني ، ص٢٤٨ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٢ ، ص٤٨٠ .

(٢) الفريد بل : بنو غانية ، ص٢٣ – ٢٤ .

(٣) أحمد بن أبي جعفر بن عطية القضاعي : أصله من طرطوشة وأقام أهله في دانية ، وكتب في دانية رسالة يناشد فيها أحد كبار الأمراء المرابطين إنقاذ جزر البليار بعد استيلاء القوات الصليبية المؤتلفة عليها ، وقد عرف ببراعته في الكتابة ، وكان كاتباً لإسحق بن علي آخر الأمراء المرابطين في المغرب الأقصى ، والتحق بعبد المؤمن بن علي وأصبح أحد كتابه ووزرائه ، وقد قتله الخليفة الموحدي بسبب سعايات كاذبة (ابن الأبار: أعتاب الكتاب ، ص٢٢٦ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج١ ، ص٢٦٣ وحاشية « ١ »).

(٤) مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز ، أصله من بلنسية وتولى القضاء فيها ، خرج على المرابطين وبويع له بالإمارة في بلنسية وذواتها ٥٤٠ هـ ثم ثار عليه الجند وفر إلى المرية وهناك قبض عليه قائد البحر محمد بن ميمون ، وعند قدوم عبدالله بن محمد بن غانية على رأس أسطول ميورقة سلّمه إليه مصفداً . وبقي معتقلاً في ميورقة عشر سنوات وقيل اثنتي عشرة سنة إلى أن تشفع فيه الوزير أحمد بن عطية ، ولكنه لم يذكر له هذا الصنيع وكان سبباً من أسباب مقتله ، وعاش ابن عبد العزيز بمراكش حتى وفاته ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م. (ابن الأبار: التكملة ، ج ٢ ترجمة (١٧٥١ » . والحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ – ٢٢٥).

(٥) ابن الأبار: الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢١٥ وما بعدها . والتكملة ، ج٢ ، ص٦٩٦ ترجمة ١٧٥١ .

(٦) ابن الأبار: التكملة ، ج٢ ، ص٦٩٦ ، ترجمة ١٧٥١ .

وصوله إلى ثغر المرية بعد تعقبه لأحد الأساطيل المعادية بأن محمد بن ميمون قد اعتقل مروان بن عبد العزيز بعد هروبه من بلنسية إلى المرية ، ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م فعفّ عبد الله بن محمد بن غانية عن سفك دمه وأخذه معه في إحدى سفن أسطوله إلى ميورقة واعتقله هناك في أحد سجونها كما سبق ذكره[١]. وقد قبل اسحق بن محمد بن غانية شفاعة الوزير أحمد بن عطية وأطلق سراح مروان بن عبد العزيز وأرسله في إحدى السفن إلى ثغر بجاية في ساحل المغرب الأوسط تقرباً إلى الموحدين ولتجنب إغضابهم من جهة ، وإكراماً للوزير أحمد بن عطية لمكانته عند المرابطين من جهة ثانية ، وكان ذلك في عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م[٢]، فقد كان زوجاً لإحدى بنات أبي بكر بن يوسف بن تاشفين « وتعرف ببنت الصحراوي وأخوها يحيى (الصحراوي) فارس المرابطين »[٣].

وبالرغم من هذا الموقف الكريم للوزير الكاتب أحمد بن عطية في إنقاذ ابن عبد العزيز من سجون ميورقة ، وسعيه من أجل أن يكون ابن عبد العزيز أحد جلساء الخليفة عبد المؤمن بن علي في مجالسه العلمية والأدبية ، إلّا أنه لم يرع لأحمد بن عطية هذا الصنيع وكان أحد المحرضين على قتله ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م[٤]. ويذكر يوسف أشباخ رواية أخرى عن كيفية تخلص ابن عبد العزيز من سجون ميورقة يقول فيها بأن ابن عبد العزيز ضلّ الطريق بعد هروبه من بلنسية بعد خروج الجند عليه « ولحق بجبال المرية ، وهناك سقط في أيدي المرابطين الذين عرفوه رغم تنكره ، وصفدوه بالأغلال ، بيد أنهم أبقوا على حياته ثم حملوه إلى ميورقة ، وهناك استطاع أن يفتدي نفسه بمبلغ كبير من المال ، ثم قصد مراكش حيث عاش في كنف الموحدين »[٥]. والأرجح في نظرنا هو ما ذكره ابن الأبّار في روايته الآنفة الذكر[٦]، بالرغم من أننا لا ننفي

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٥٦ .

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢٢٠ – ٢٢٥ .

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٦٨ .

(٤) ابن الأبار: الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢٢٥ وما بعدها . والتكملة ، ج٢ ، ص٦٩١ ، ترجمة ١٧٥١ .

(٥) محمد عبد الله عنان : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٢١٤ .

(٦) ابن الأبار: التكملة ، ج٢ ، ص٦٩٦ ترجمة ١٧٥١ التي يذكر فيها أنه بقي في سجنه في جزيرة ميورقة نحو اثنتي عشرة سنة حتى خلصه أحمد بن عطية . والحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢٢٥ – ٢٢٦ التي يقول فيها بأنه بقي مسجوناً نحو عشرة أعوام وقيل اثني عشر عاماً ، كما يذكر بأن اسحق بن محمد بن غانية تولى ميورقة بعد مقتل أبيه محمد وأخيه عبد الله ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م ، ويصف سجون ميورقة عند ذكر ابن عبد العزيز قائلاً « سجن في بيت مظلم مطبق لا يعرف النهار فيه من الليل وترك أوقاتاً دون غذاء ولا ماء .. » وكان مقتل أحمد بن عطية بعد اتفاقه مع القوات الصليبية التي حاصرها الموحدون في المرية على الانسحاب بسلام في مطلع عام ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م « وقد تآمر عليه أعداؤه أثناء غيابه .. ونسبوا إليه كشف السر وصحبة أعداء السلطان وكان من أكثرهم عداء له مروان بن عبد العزيز الذي كان ثائراً ببلنسية فعفّ عبدالله بن محمد بن غانية عن سفك دمه وأخذه في سفنه حيث سجن في ميورقة فأخرجه ابن عطية من سجن ميورقة =

عن إسحق بن محمد بن غانية ما اشتهر به ، خاصة في بداية عهده ، من حب للمال وانغماس في سفك الدماء ، فقد قبض على فلوج مولى عمه يحيى بن غانية عندما لجأ إلى ميورقة ، بعد أن أخفى مقادير طائلة من المال ، في حصن بشير المجاور لغرناطة في حراسة شخص يدعى ابن مالك من سرقسطة ، وقام اسحق بن محمد بن غانية بتعذيب فلوج من أجل أن يستحوذ على الأموال المخبأة في حصن بشير ، ولكنه مات تحت التعذيب ، ولما علم الموحدون بذلك أرسلوا قوة عسكرية من مدينة لوشة المجاورة لحصن بشير واستولوا على جميع الأموال والذخائر التي كانت مودعة هناك[1]. ومهما يكن الأمر فقد عاد اسحق بن محمد بن غانية إلى الجهاد البحري بعد فترة انقطاع وتخبط وسفك دماء وعزلة عن الناس ، والانشغال في تشييد المباني وغراسة الأشجار كما ذكرنا[2]. وكان الموحدون لا يلتفتون إليه استصغاراً منهم لشأن جزر البليار من جهة ، ولانشغالهم في مشاكل داخلية لم تنقطع قط طيلة عهدهم ، بالاضافة إلى حروبهم المتواصلة مع النصارى الإسبان وحلفائهم من الصليبيين ، ومع كبير الثائرين في الأندلس محمد بن سعد بن مردنيش ملك شرق الأندلس ، الذي ظل سداً منيعاً في وجه الموحدين وحليفاً غير مباشر لبني غانية في جزر البليار ، يحول دون وصول الموحدين إلى ثغور شرق الأندلس المواجهة لهذه الجزر . وظل هذا الوضع قائماً حتى وفاة محمد بن سعد بن مردنيش ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م ، وانضمام أبنائه للموحدين[3]. وخلال هذه الفترة « صرف اسحق بن محمد عنايته للغزو البحري . . وكان له كل سنة سفرتان إلى بلاد الروم . . »[4] ، بعد فترة انقطاع قصيرة في بداية عهده[5] ، ونجد التفاصيل عن هذه الحملات البحرية في المصادر الفرنجية[6].

= فكان في المجلس أكبر أعدائه وسبباً في موته وفنائه . . في ٢٩ صفر ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م »(البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٣٥ – ٣٦) . ويذكر عبد الواحد المراكشي سبباً آخر لمقتل ابن عطية يقول فيه بأن ابن عطية رغب في نصح يحيى الصحراوي في أن يتحفظ في أقواله التي وصلت إلى مسامع الخليفة عبد المؤمن الذي عفا عنه وجعله قائداً على قوة عسكرية من لمتونة ، فطلب من زوجته أخت يحيى المذكور أن تنصح أخاها بالتحفظ في أقواله « وإن قدر على الهروب واللحاق بميورقة فليفعل » وبلغ ذلك إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي عن طريق عيونه ، فغضب على ابن عطية وسجنه ثم قتله . (المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٦٨) .

(١) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الأول ، ص٣٣٣ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٦ .

(٣) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص١٤٤ – ١٤٧ .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٤ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٦ .

(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٠ وما بعدها .

الجهاد البحري في جزر البليار
في عهد اسحق بن محمد بن غانية

بعد فترة من الركود عقب استيلاء اسحق بن محمد بن غانية على السلطة بعد مقتل أبيه محمد وأخيه عبد الله ، انطلقت أساطيل جزر البليار عبر الحوض الغربي للمتوسط ، وقامت بغارات بحرية واسعة النطاق[1] ، على سواحل إمارة قطلونية وجنوب بلاد الفرنجة والساحل الغربي لإيطاليا وصقلية النورمندية وجزيرتي سردانية وقرسقة[2]. ونجد في بعض المدونات الفرنجية اللاتينية والأسبانية والقطلانية ، بعض التفصيلات عن الغزوات البحرية التي قامت بها أساطيل جزر البليار في عهد اسحق بن محمد بن غانية ، بينما اكتفت مصادرنا الإسلامية بالإشارة إليها بشكل موجز ومختصر . ويذكر الباروكمبانير المؤرخ الميورقي بهذا الصدد ما يلي : « بأن مسلمي جزر البليار وصلوا إلى قمة جرأتهم وقدرتهم العسكرية في عهد اسحق بن محمد بن غانية . . » ، ويضيف إلى ذلك قائلاً « . . ويظهر أن الحملة التأديبية التي قام بها أهل بيزة سنة ٥٠٨ – ٥٠٩ هـ = ١١١٥ – ١١١٦ م[3] ضد مسلمي جزر البليار لم تؤثر فيهم تأثيراً بالغاً ، بل إنهم لم يبالوا بها ، وواصلوا بعد ذلك هجومهم على سواحل المسيحيين ، ونجد مصداقاً على ذلك في إحدى الوثائق الكثيرة التي احتفظ بها الأب فلوريث[4]. ويذكر الباروكمبانير بعض التفاصيل عن حملة واحدة من حملات أساطيل جزر البليار على جنوب بلاد الفرنجة ، من بين الحملات العديدة التي ذكرها المؤرخ الأسباني فلوريث قائلاً ، « في سنة ١١٧٨ م الموافقة ٥٧٣ – ٥٧٤ هـ قام الميورقيون المسلمون بمهاجمة مدينة طولون Toulon الفرنسية ، واحتلوها احتلالاً كاملاً ، وأسروا فيها هوجو جوفريد Hugo Jufred ونائب قومس مارسيليا ، وعدداً من كبراء المسيحيين »[5]. ثم يذكر رواية مختصرة عن حملة بحرية قام بها أحد أساطيل جزر البليار على ساحل إمارة قطلونية يقول فيها « . . وفي يوم الثامن من محرم ٥٧٤ هـ = ٢٦ يونيو من عام ١١٧٨ م قام رعايا أمير جزر البليار (اسحق بن محمد بن غانية بنهب كنيسة سانتا ماريا دي أوليانو Santa Maria de Ulliano[6]. وإنهم حملوا كل من بقي على قيد الحياة من القائمين على

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٦ .

(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٠ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص٢٢ – ٢٣ .

(٣) الحملة الصليبية المؤتلفة على جزر البليار والتي سبق ذكرها بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث .

(٤) فلوريث : أسبانيا المقدسة/المجلد ٢٢٨ ، ص٣٤٦ ، حاشية ١٣ ، ص١٤٤ من كتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار .

(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٤ .

(٦) كنيسة سانتا ماريا دي أوليانو : أي كنيسة العذراء مريم المقدسة ، وكانت تقع آنذاك على مقربة من =

شئونها من رجال الكنيسة أسرى معهم »[1]. وربما يستهجن القارىء مهاجمة غزاة البحر من مجاهدي جزر البليار لإحدى الكنائس وأسر القائمين على شئونها، ظناً منه بأنهم مجرد رجال دين يتعبدون الله، ولكن حقيقة الأمر تخالف ذلك، فقد كانت الكنائس والأديرة في إمارات وممالك أسبانيا المسيحية آنذاك مراكز لحشد القوى العسكرية وتعبئتها بالحقد على المسلمين، وكان رجال الدين أشد المقاتلين عنفاً، كما يقول المؤرخ الألماني أشباخ[2]. وكانت كنيسة سانتا ماريا دي أوليانو التي هاجمها غزاة البحر في بلدة جيرونة « جرندة » أحد مراكز تجمع فرسان الداوية[3]. فقد تشكلت في ممالك وإمارات أسبانيا المسيحية آنذاك « جماعات الفرسان الدينية لصد أعداء الدين »، ويقول يوسف أشباخ المؤرخ الألماني عن هذه الجماعات من رجال الدين من المقاتلين المسيحيين « لولاهم لضاعت جهود قرون عديدة في أعوام قلائل.. »[4]. وكان « للداوية »[5] التي أدت للنصارى في فلسطين أجل الخدمات.. مراكز كبرى في إمارة قطلونية المسيحية، وكان أمير قطلونية الكونت رامون برنجار الثالث[6] أحد كبار أعضاء جمعية الداوية المسيحية « فرسان المعبد »، وقد انتظم في سلكهم قبيل وفاته في سنة ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م بفترة وجيزة، وقد أنشأ ابنه رامون برنجار الرابع[7] أول دير للداوية في

= جيرونة « جرندة » في إمارة قطلونية (فلوريث: أسبانيا المقدسة مج٢٨، ص٣٤٣، حاشية ١٣، ص١٤٤ من كتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار).

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٤٤ - ١٤٥.

(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٦٢ - ٢٦٥.

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، حاشية « ١٣ »، ص١٤٤.

(٤) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٦٣.

(٥) الداوية: من أشهر الحركات الدينية في العصور الوسطى، وكانت تتكون من « جماعات الفرسان الدينية »، وقد أطلق المؤرخون المسلمون عليهم اسم الداوية، بينما تدعوهم المراجع المسيحية باسم « فرسان المعبد » Templers لأنهم اتخذوا أحد معابد بيت المقدس مركزاً لهم بعد استيلائهم عليها.

وكانت هناك حركة أخرى دينية تنافسهم هم الاسبتارية Hospitallers ولكنها كانت أقل شأناً من الداوية، وكان لكلتا الحركتين دور خطير في الحروب الصليبية في بلاد المشرق والأندلس. (يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين حاشية « ١ »، ص١٦٧).

(٦) رامون برنجار الثالث: أمير قطلونية ١٠٩٢ - ١١٣١ م، أسهم بدور خطير في الحملة الصليبية المؤتلفة على جزر البليار، وفي حرب المرابطين في البر الأندلسي، حتى وفاته. (محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الأول، ص٤٩٩).

(٧) رامون برنجار الرابع: أمير قطلونية ١١٣١ - ١١٦٢ م، قام بدور بارز في الحرب ضد المرابطين، وتمكن من الاستيلاء على طرطوشة ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م، بالتعاون مع القوات الصليبية، كما استولى كذلك على لاردة وأفراغه ومكناسة ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م، وتزوج من بترونيلا ابنة راميرو الثاني ملك أرغون، واتحدت قطلونية وأرغون بعد وفاته. يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٢٧، ٢٦٥. ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الأول، ص٥٠١، ٥٠٢، ٥١١ - ٥١٢.

إمارة قطلونية وإعفاهم « من الخضوع لقضاء الملك، وأن يعطوا نصيباً معيناً في المدن التي انتزعت من المسلمين مثل وشقة، وقلعة أيوب، وسرقسطة وغيرها، وفي مقابل ذلك يتعهد الفرسان بأن يخصصوا خدماتهم لحماية النصرانية في تلك الأنحاء، وتم هذا الاتفاق في اجتماع عقد في جيرونة[1]، ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م، وشهده المندوب البابوي وكثير من الأساقفة، وأشراف أرغون وقطلونية »[2]. وكانت الحملة البحرية الآنفة الذكر على ساحل إمارة قطلونية في عهد ألفونسو الثاني ابن رامون برنجار الرابع[3]، الذي اتحدت في عهده إمارة قطلونية مع مملكة أرغون والأقاليم التابعة لها في جنوب بلاد الفرنجة، وكانت نتيجة ذلك الاتحاد نشوء مملكة قوية ظلت تهدد جزر البليار تهديداً خطيراً، حتى تمكنت من الاستيلاء عليها[4].

وبالرغم من اتساع مملكة قطلونية وأرغون المتحدة تحت حكم ألفونسو الثاني، إلّا أنها كانت تعاني من مشاكل داخلية استنزفت قواها، وكان من أبرز المشاكل التي واجهها ألفونسو الثاني هي المحافظة على ممتلكاته في جنوب بلاد الفرنجة ما وراء جبال البرتات « البرانس »، التي كان يطمع في الاستيلاء عليها الكونت ريموند دي تولوز. واشتبك ألفونسو الثاني في حرب دامية معه استنزفت قوة مملكته حتى تمكن في نهاية المطاف من تحقيق النصر على الكونت ريموند دي تولوز. وبالاضافة إلى ذلك نشب نزاع حاد بين ملوك أسبانيا المسيحية في عهد ألفونسو الثاني ملك قطلونية وأرغون، ويصف يوسف أشباخ النتائج المروعة لهذا النزاع قائلًا « وأفضت المعارك والمنازعات المستمرة بين ملوك أسبانيا إلى أن اجتاحت أسبانيا النصرانية موجة هائلة من القسوة والتوحش، ووصل حكم العنف وعدوان الأقوياء إلى ذروة الاضطرام، واندفع الأشراف يكافح بعضهم بعضاً في معارك ومبارزات لا نهاية لها، ومزقت الأهواء الحزبية كل الأسر وروابط القربى، وساد القتل والمطاردة.. ولم يستطع ألفونسو الثاني أن يحول دون وقوع أفظع الشناعات في بلاده.. »[5]. وقد وجد أشراف قطلونية الناقمون على ألفونسو الثاني الملجأ

---

(١) جيرونة « جرندة »: بلدة في إقليم قطلونية، كانت فيها كنيسة سانتا ماريا دي أوليانو « العذراء مريم المقدسة » التي هاجمها غزاة البحر. (فلوريث: اسبانيا المقدسة، مج٢٨، ص٣٤٣) والتي نرجح أنها كانت إحدى قواعد « الداوية » حاشية « ١٣ » ص١٤٤ من كتاب تخطيط تاريخي لجزر البليار).

(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٦٣ - ٢٦٥.

(٣) ألفونسو الثاني: ملك قطلونية وأرغون المتحدة ١١٦٢ - ١١٩٦ م، وقد خلفه ابنه بيدرو الثاني ١١٩٦ - ١٢١٢ م، وقد تمكن حفيده خايمي الفاتح من الاستيلاء على جزيرة ميورقة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م. (يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٨٦، ٢٩٨).

(ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين رالموحدين/القسم الثاني، ص٤٠٢ وما بعدها).

(٤) محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الأول، ض٤٩٩ - ٥٠٢. والقسم الثاني، ص٤٠٢ وما بعدها.

(٥) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٢٨٨ - ٢٩٢.

الأمين في جزيرة ميورقة تحت رعاية أميرها اسحق بن محمد بن غانية ، ويعتبر الباروكمبانير المؤرخ الميورقي أن ذلك « دليل على قوة هؤلاء المسلمين البلياريين » ، ويستشهد على ذلك بلجوء أحد كبار فرسان قطلونية إلى ميورقة ويدعى برنجار Berenguer بعد حادثة خطيرة ، وقعت في طركونة التابعة لقومسية برشلونة في عام ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م ، ولم يوضح كمبانير كنه هذه الحادثة[١] . ولكننا نجد توضيحاً كافياً لها لدى يوسف أشباخ الذي يقول عن الحادثة المشار إليها بأنها حادثة قتل وقعت في طركونة في بداية عهد ألفونسو الثاني ، نتيجة لحدوث « .. نزاع بين المطران هوجو دي سرفيلوس ، وبين حاكم طركونة روبير بورديه ، وقام جيوم ولد الحاكم بتخريب جميع الأراضي الواقعة حول طركونة ، ولما أراد الملك أن يعاقب المعتدين بشدة ، قتل المطران بتحريض روبير فأمر الملك بإخراج روبير وأسرته من المملكة ، ففر إلى ميورقة ولجأ إلى حماية المسلمين ، فخشي الملك أن يغدو المجرم الفار على هذا النحو خطراً على قطلونية ، فسمح بعودته مع أسرته إلى المملكة ، بالرغم من جريمته . . »[٢] . وبعد أن وضحنا الحادثة الخطيرة التي أشار إليها كمبانير ، نتابع ما ذكره عن الفارس القطلوني برنجار الطركوني الذي لجأ إلى ميورقة في عهد اسحق بن محمد بن غانية ، يقول كمبانير بهذا الصدد : « ويظهر أن برنجار المذكور كان له ضلع في هذا الحادث لا يحسد عليه ، ولما علم بذلك قومس برشلونة عزم على أن يتخذ إجراء تأديبياً بحقه ، مما يضر بمصالحه ومصالح حفيده جيرمو دي طركونة Guillermo de Tarragona[٣] .

ولما علم بذلك الفارس القطلاني برنجار الطركوني ، كتب إلى أمير البليار اسحق بن محمد بن غانية كتاباً « مليئاً بعبارات الملق والمديح يقول فيه ، إن خدمته هي أقصى أمانيه وما يطمح إليه . . »! ورحب أمير البليار بقدومه ، ودخل هذا الفارس في خدمته ، وبعد وصوله إلى ميورقة كتب إلى ألفونسو الثاني ملك قطلونية وأرغون خطاباً يعلق عليه كمبانير بما يلي: « يذهلنا لما فيه من عبارات فيها كثير من الوقاحة والتطاول من جانب هذا السيد المتمرد . . »! ويعلق كمبانير على الوقائع السابقة قائلاً ، « ولا يسعنا حين نتأمل هذين الخطابين إلاّ أن نؤيد من سبقنا من المؤرخين الذين ذكروا بأن خطاب برنجار الطركوني الذي أرسله من ميورقة إلى ملك قطلونية وأرغون بأسلوب يتسم بالتعالي المفعم بالكبرياء ، يدل دلالة واضحة على أهمية وخطر اسحق بن غانية ، وعلى مدى اتساع سلطته السياسية والعسكرية في جزر البليار . . ، وأن مسلمي هذه الجزر وصلوا إلى قمة جرأتهم وقوتهم العسكرية في عهده . . »[٤] . وفي نفس هذا العام الذي وقعت هذه الأحداث الهامة سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م ، والتي تدل دلالة قاطعة على

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٢ – ١٤٠ .
(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٢٩٢ .
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٤٣ .
(٤) البارو كمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٤٣ – ١٤٤ .

مدى ما كانت عليه جزر البليار من قوة ومنعة في عهد أميرها اسحق بن محمد بن غانية ، مما مكنها من أن تتحدى مملكة قطلونية وأرغون المتحدة ، وأن تستقبل الثائرين على ألفونسو الثاني ، استولى الموحدون على شرق الأندلس ، وقضوا نهائياً على مملكة محمد بن سعد بن مردنيش ، بعد هزيمة قواته ، وتوفي ابن مردنيش حتف أنفه في العاشر من شهر رجب ٥٦٧ هـ = ١١٧٢ م ، بعد أن ضيق عليه الموحدون الحصار في عاصمة ملكه في مرسية ، وخروج إخوته وقادته عليه[١] . ويقال « بأن أمه سمّته لأنه قد أساء إلى خواصه وكبراء دولته ، فنصحته فهددها ، وخافت بطشه فسمّته »[٢] . وبايع أولاده وإخوته وكبار قادته الخليفة الموحدي[٣] أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[٤] . ويذكر عبد الواحد المراكشي الرواية التالية عن مبايعة بني مردنيش الموحدين يقول فيها ، « ..بأن أبا عبد الله بن سعد (بن مردنيش) حين حضرته الوفاة ، جمع بنيه ، هلال ويكنى أبا القمر ، وهو أكبر ولده واليه أوصى – وغانم والزبير وعزيز ونصر وبدر وأرقم وعسكر وبقية أولاده الصغار) ، وبنات تزوج إحداهن أمير المؤمنين أبو يعقوب(يوسف بن عبد المؤمن) ، وتزوج الأخرى أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب بن يوسف » وأوصاهم بالدخول في طاعة الموحدين[٥] .

وكان لانهيار مملكة بني مردنيش في شرق الأندلس في شهر رجب ٥٦٧ هـ = ١١٧٢ م واستيلاء الموحدين عليها[٦] ، نتائج خطيرة على جزر البليار ، فقد أصبح الموحدون على مقربة

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٢٢ .
ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة/السفر الثاني ، ص ٤٧٠ – ٤٧٢ .
وابن خلدون : العبر ، مج٦ ، ص٥٠٠ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٦٢ . والإحاطة ، مج٢ ، ص١٢٧ .
والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٣ ، ص٨٩ .
(٢) الناصري : الاستقصاء ، ج٢ ، ص١٥٠ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٣١ . والذهبي : تاريخ الإسلام ، مخطوط باريس رقم ٤٢٢٧ ، ص٢٧٩ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٣٧٤ .
وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٢٣ .
(٤) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ثاني خلفاء الموحدين في بلاد المغرب والأندلس ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد المؤمن بن علي في عام ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م . (ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ص١١٧) . وتوفي متأثراً بجروحه بعد انسحابه على رأس قواته من حصار شنترين ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م . (أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٦٩ . وأبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص٦٧ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٣١) .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٢٣ .
(٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٢١ وما بعدها .
وابن صاحب الصلاة : كتاب المن بالإمامة/ السفر الثاني ، ص ٤٧٠ – ٤٧١ . =

من هذه الجزر، ولم يعد بين بني غانية والموحدين ذلك السد المنيع، وأدرك الموحدون بعد استيلائهم على ثغور شرق الأندلس أهمية جزر البليار وخطورة موقعها البحري، وأهميتها بالنسبة لأساطيلهم في ثغور شرق الأندلس[1]. وأدرك الأمير اسحق بن محمد بن غانية مدى خطورة تواجد الموحدين في شرق الأندلس على مقربة من جزر البليار، فسعى لمهادنتهم، ويقول عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد، « وكان أبو ابراهيم اسحق بن محمد بن غانية يراسل الموحدين ويهاديهم »، واكتفى الموحدون في بادىء الأمر بمهادنة بني غانية لهم، وتركوا اسحق بن غانية وشأنه[2]، فقد شغلتهم عنه أحداث الأندلس الخطيرة وحروبهم المتواصلة مع ممالك اسبانيا المسيحية في البر الأندلسي[3]، ومشاكل المغرب وافريقية[4]. ووجدوا في قوة أساطيل بني غانية دعماً لهم وحاجزاً يحول دون وصول الأساطيل المسيحية إلى شرق الأندلس، وبقي هذا الوضع قائماً حتى سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م[5].

وظلت أساطيل البليار حتى نهاية عهد اسحق بن محمد بن غانية، تغزو جزر وسواحل البلاد المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط، وكان يتحاشى الاصطدام بالموحدين، ويسعى إلى استرضائهم « .. ويبعث بالأسرى والعلوج للخليفة أبي يعقوب (يوسف بن عبد المؤمن)، إلى أن هلك قبيل مهلكه ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م، كما يقول ابن خلدون[6]. وكان يراسل الموحدين ويهاديهم ويختصهم من كل ما يسبي ويغنم بنفيسه وجيده ليشغلهم بذلك عنه .. »، كما يذكر صاحب المعجب[7]. وبالإضافة إلى الحملات البحرية التي كان يقوم بها المجاهدون من غزاة

= وابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ١٨٧، طبعة الفلالي.
وابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٢٧. وأعمال الاعلام = القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٦٢. وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٠٠.
والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٨٩.

(١) محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس = القسم الثاني، ص ١٤٦ - ١٤٧.
(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٤.
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ٩٦ - ١٠٠.
(٤) تعرضت « افريقية » منذ عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م إلى هجوم قوات الغز التركية بقيادة قراقوش التقوي مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، التي ظلت تعيث فساداً في افريقية بالتحالف مع الاعراب من بني هلال وسليم، مما أشغل قطاعاً واسعاً من القوات الموحدية في مجابهة هذا الخطر الداهم الذي استفحل بعد عام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م، عندما تحالف بنو غانية مع الغز والأعراب في افريقية ومحاربة الموحدين حرباً لا هوادة فيها. (ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٨٩. وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ١٨ - ١٩).
(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.
(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٠٦.
(٧) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٤.

البحر من أهل جزر البليار، كانت أساطيل الإمارة تشارك في عبء الجهاد على نطاق واسع، وكان أمير البليار اسحق بن محمد بن غانية يقوم بنفسه بقيادة حملتين كبيرتين كل عام، وقد جنى غزاة البحر مغانم وافرة من الحملات البحرية، التي كانت مصدراً كبيراً من مصادر دخل جزر البليار التي عمّ فيها الرخاء والازدهار، وازدادوا منعة وقوة[1]. ويذكر الفريد بل المؤرخ الفرنسي، بأن الأمير اسحق بن محمد بن غانية كان يقوم خلال حملاته البحرية بعمليات إنزال بحري أثناء الليل، ويهاجم المناطق التي يحددها هجوماً واسع النطاق في وضح النهار[2]! ونتيجة لذلك « فقد امتلأت أيدي أصحابه أموالاً، فقوي بذلك أمره وتشبه بالملوك »[3]. وليس أدل على سطوة أساطيل جزر البليار وقوتها في عهده من أن تسعى أقوى قوتين بحريتين مسيحيتين في الحوض الغربي للمتوسط إلى مهادنته، وعقد معاهدات سلام واتفاقات تجارية معه[4]. وكان البيزيون والجنويون يملكون أعتى الأساطيل البحرية، ومع ذلك فقد تجنبوا الاشتباك مع أساطيل جزر البليار، وعقدوا مع أميرها محمد بن علي بن غانية معاهدات تجارية، واتفاقات سلام وصداقة، وأقاموا علاقات رسمية منذ عام ٥٤٤ - ٥٤٥ هـ = ١١٤٩ م، مما يدل دلالة قاطعة على الرهبة التي فرضتها أساطيل جزر البليار على الجمهوريتين الإيطاليتين، مما فرض عليهما أن تسعيا إلى مسالمة المسلمين في هذه الجزر، لا حباً في السلم، وإنما رغبة في تجنب الأخطار والخسائر الفادحة[5]. وقد جدّد البيزيون عقد هذه الاتفاقيات والمعاهدات التجارية في عهد اسحق بن محمد بن غانية. وتذكر المدونات الايطالية ما يلي، « في عام ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م أرسل قناصل بيزة سفيراً إلى ملك البربر في ميورقة لعقد اتفاقية سلام معه، وكان ملك البربر سعيداً بهذا الاقتراح، وقبل بتوقيع اتفاقية السلام »[6]!

وفي عام ٥٧٧ هـ = ١١٨١ م، وقعت جمهورية جنوة معاهدة سلام واتفاقيات تجارية مع أمير البليار اسحق بن محمد بن غانية، وتذكر بعض المصادر الاسبانية والايطالية بأن البيزيين، جددوا عقد الاتفاقيات التجارية ومعاهدة الصداقة والسلام مع الأمير اسحق بن محمد بن غانية

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٤.
والفريد بل: بنو غانية، ص ٢٣.
(٢) الفريد بل: بنو غانية، حاشية « ١ »، ص ٢٣.
(٣) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٤.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٤٥.
(٥) الفريد بل: بنو غانية، حاشية « ٢ »، ص ١٨. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٤٦. وروسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٨.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٤٥.
والفريد بل: بنو غانية، حاشية « ٢ »، ص ٢٣.

في عام ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م[١] ، والأصح هو ما ذكره المؤرخ الاسباني قديرة الذي يقول ، بأن تاريخ هذه الاتفاقية المشار إليها كان في عام ١٩ صفر ٥٨٠ هـ = ٣ يونيو ١١٨٤ م[٢] ، لأن وفاة اسحق بن محمد بن غانية كانت على أرجح الأقوال في أوائل عام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م ، كما سيتضح من تسلسل الأحداث اللاحقة .

ويعلق المؤرخ الميورقي روسليو بوردوي على هذه الاتفاقيات قائلاً ، « لو أننا تأملنا المعاهدات المعقودة في ٥٤٤ – ٥٤٥ = ١١٤٩ م ، بين محمد بن غانية وجمهوريتي بيزة وجنوة والمعاهدات اللاحقة الموقعة بين اسحق بن محمد بن غانية ، والجمهوريتين الايطاليتين ، لرأينا أن هذه الاتفاقيات أقرب إلى أن تكون من أجل تحديد مناطق النفوذ من أن تعد معاهدات تجارية بكل ما في الكلمة من معنى ، . . فقد كان الهدف الرئيسي من هذه المعاهدات هو تحديد مناطق النشاط العسكري للمتعاقدين . . »[٣]. ويذكر المؤرخ الميورقي الباروكمبانير عن هذه المعاهدات ما يلي ، « . . قام أبو ابراهيم اسحق بن محمد بن غانية بعقد معاهدات سلام وصداقة مع جمهوريتي بيزة وجنوة ، وفي هذه المعاهدات اتفق الجانبان المتعاقدان على أن لا يتعرض أحدهما للآخر بسوء لا في البر ولا في البحر » . . ويضيف إلى ذلك قائلاً ، « . . بأنه ما كان البيزيون أو الجنويون ليتنازلوا إلى التعامل مع هؤلاء « الكفار »! إلاّ إذا كانوا يعرفون على وجه التأكيد والتحديد مدى قوتهم العسكرية . . ومدى ما كان عليه هؤلاء المسلمون البليايون من كفاءة وقدرة على الإضرار بهم بشكل بالغ ، نتيجة للحملات البحرية التي كانت تقوم بها أساطيل البليار على سواحل بلادهم . . » ، ويضيف إلى ذلك ما يلي : « . . وهناك تماثل بين وضع جزر البليار وهاتين الجمهوريتين ، فقد كانوا جميعاً . . يعملون في التجارة ، وكانوا يعرفون كل الوسائل الكفيلة بتنمية مصالحهم وزيادة مكاسبهم التجارية . . »[٤].

وظلت أساطيل جزر البليار تغير على سواحل البلاد المسيحية التي لا ترتبط معها بمعاهدات صلح ، في الحوض الغربي للمتوسط حتى نهاية عهد اسحق بن محمد بن غانية الذي توفي على أثر إصابته في حلقه أثناء قيادته لإحدى الحملات البحرية[٥] . وكانت سفن جزر البليار تتردد على ثغر بجاية بساحل المغرب الأوسط لبيع الرقيق من سبي الحملات البحرية في سوق رقيق بجاية

(١) المصدران السابقان ، نفس الصفحة .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٤٥ . نقلاً عن ايطاليا المقدسة ج ١٠ ، العمود ١١٦ .
ترونشي : الحوليات البيزية ، الورقة ١٤٨ و١٤٩ .
ورومي : تاريخ اسبانيا ، ج ٣ ، ص ٥٣ و٥٦ .
وروسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص ٩٨ .
(٣) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص ٩٨ .
(٤) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٤٥ – ١٤٦ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٤٥ .

بجومة المذبح[١] . ولم تكن أساطيل جزر البليار وحدها في ميدان الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط ، فقد كان الأسطول الموحدي يجوب عباب ذلك الحوض لحماية سواحل المغرب والأندلس ، وكان عدد قطعه في نهاية عهد عبد المؤمن بن علي كبيراً جداً ، ويدل على ذلك أن عدد السفن التي تم انشاؤها قبيل وفاة عبد المؤمن بسنة واحدة ، بلغ أربعمائة قطعة ، وزعت على مختلف القواعد البحرية الموحدية في قواعد الأندلس والمغرب[٢]. وازداد هذا الأسطول قوة في عهد يوسف بن عبد المؤمن بعد أن سيطر الموحدون على قواعد ساحل الأندلس الشرقي ، وكان كبير قادة البحر في عهده أحمد الصقلي الذي « جلّى في جهاد أمم النصرانية » ، وبلغت أساطيل الموحدين في عهد يوسف بن عبد المؤمن « من الكثرة والاستجادة إلى حد لم تبلغه من قبل ولا من بعد »[٣]. وكان يساند الأساطيل الموحدية الرسمية في الغزوات البحرية والتصدي للأساطيل المسيحية وقطع الطريق ليها ، ومطاردتها وتدميرها أساطيل غزاة البحر الذين انتشرت قواعدهم في عهد الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن ، على طول سواحل المغرب والأندلس ، وكان من قواعد غزاة البحر الهامة في ساحل المغرب الأوسط في ذلك العهد قاعدة بجاية ، ويذكر الغبريني بهذا الصدد ما يلي ، « وكانت بجاية بلدة غزاة ، وكان غزاة قطعها يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ، ويسوقون السبي الكثير منها ، وينزل الناس لشرائه بجومة المذبح من جهة ربضها ، وبلغ الحال من كثرة سبي الآدميين أن يباع بيضاوان من الروم بسوداء! وكانت أجفان اسحق بن غانية تصل أيضاً من ميورقة ، كما تصل أجفان بجاية ، وكان اسحق بن بن غانية في جزيرة ميورقة وهو بقية اللمتونيين . . »[٤].

وكان لأساطيل بني غانية كما كان لأساطيل المرابطين حتى نهاية عهدهم[٥] ، فضل كبير في تخفيف حدة الهجمة الصليبية الشرسة على سواحل بلاد الشام ومصر في عهد اسحق بن محمد ، الذي فرض على جمهوريتي بيزة وجنوة ، السعي إلى طلب الصلح بعد أن أوقعت أساطيل جزر البليار دماراً واسعاً بسواحلهما ، وطاردت أساطيلهما عبر الحوض الغربي للمتوسط ، وأوقعت بهما خسائر فادحة[٦] ، مما أشغلهما عن مساندة القوات الصليبية بسواحل الشام ، وخفف العبء عن المجاهد العظيم نور الدين زنكي ، مما مكنه من أن يحقق انتصارات باهرة برية وبحرية على القوات الصليبية في ثغور مصر والشام[٧].

(١) الغبريني : عنوان الدارية ، ص ٧٦ .
(٢) ابن أبي زرع : ص ١٦٤ – ١٦٥ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٥٢ .
(٤) الغبريني : عنوان الدراية ، ص ٧٦ .
(٥) المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
(٦) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٤٦ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٥١ ، ٣٧٤ .

كما مكّن صلاح الدين الأيوبي من تدعيم مركزه في مصر ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م ، وإقامة الخطبة للعباسيين بعد انقراض الدولة الفاطمية ، وتوحيد مصر والشام تحت راية الجهاد الإسلامي الخفّاقة ، وكانت تلك الخطوة المؤزرة ، بداية النهاية بالنسبة للمملكة اللاتينية في بلاد الشام[١] . وما كان من الممكن أن يتحقق ذلك ، لولا استنزاف بني غانية لأساطيل جنوة وبيزة فترة طويلة من الزمن ، قبل عقد الصلح مع الجمهوريتين الايطاليتين ، بالإضافة إلى مطاردة الأساطيل الفرنجية وأساطيل أوروبا الغربية ، التي كانت تمخر عباب الأطلسي ، وتجتاز مضيق جبل طارق إلى البحر المتوسط في طريقها إلى سواحل الشام[٢]. وكان للأساطيل الموحدية وأساطيل غزاة البحر بسواحل المغرب وافريقية ، نفس الفضل في المساندة غير المباشرة لمسلمي مصر والشام في جهادهم ضد الغزاة الصليبيين ، وخاصة بالنسبة لصقلية المجاورة لثغور افريقية والمغرب الأوسط ، التي كانت آنذاك هي القوة البحرية الرئيسية التي تقدم العون والإسناد للصليبيين في ثغور الشام ، كما كانت تساند القوات البرية الصليبية في محاولة الاستيلاء على مصر[٣]. ومما يدل دلالة واضحة على دور الأساطيل الموحدية الهام والخطير في قطع الطريق على أساطيل صقلية ، ومنعها من التوجه إلى سواحل الشام ومصر ، ومطاردتها وإغراقها والإغارة على قواعدها البحرية ، في صقلية وقلورية ، هو سعي ملك صقلية النورمندية آنذاك[٤] إلى طلب الصلح من الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن. ويقول صاحب المعجب في هذا الصدد ما يلي : «في عام ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م ، أرسل ملك صقلية (غليام) إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أثناء وجوده في « افريقية » لإخضاع بني الرند الثائرين في قفصة ، يناشده أن يقبل عقد الصلح . . ، وأرسل إليه الإتاوة بعد أن خافه خوفاً شديداً ، فقبل منه ما وجه به إليه ، وهادنه على أن يحمل إليه في كل سنة مالاً اتفقا عليه . . واتصلت إليه منه دخائر لم يكن عند ملك مثلها ، ومما اشتهر منها حجر ياقوت يسمى الحافر . . على قدر حافر الفرس لا يقدر بثمن . .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٦٨ .
والبنداري : سنا البرق المشامي ، ج ١ ، ص ١١١ .
ود . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٤٠ .
(٣) محمد الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٩٢ .
وابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٥١ وص ٤١٢ - ٤١٤ .
والكسندر سيبل : أمم المجوس ، ص ٤٠ .
(٤) كان ملك صقلية وقلورية آنذاك غليام كما تدعوه المصادر الإسلامية ، وهو « وليم الثاني » ٥٦٢ - ٥٨٥ هـ = ١١٦٦ - ١١٨٩ م ، وهو آخر ملوك أسرة هوتفيل النورمندية ، وانتقل حكم صقلية وجنوب ايطاليا بعد وفاته إلى أسرة هوهنشتاوفن الألمانية . (د . أحمد مختار العبادي : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ، ص ٩٠ وما بعدها) .

كللوا به المصحف . . مع أحجار نفيسة أخرى . . »[١] . وكان للانتصارات البحرية الإسلامية في الحوض الغربي للمتوسط ، وقطع الطريق على الأساطيل الصليبية المتوجهة إلى سواحل مصر والشام ، أكبر الأثر على الانتصارات الباهرة التي حققها صلاح الدين الأيوبي في البر والبحر ، منذ أن تولى القيادة في مصر والشام بعد وفاة القائد الباسل ، نور الدين زنكي عام ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م ، والتي توّجت بانتصار حطين الباهر ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م[٢] .

توتر العلاقات بين الموحدين وبني غانية

ظلّ أمير البليار اسحق بن محمد بن غانية حتى نهاية عهده ، يهادن الموحدين ، ويتحاشى اثارتهم ، «ويهاديهم ويهادنهم ويختصهم من كل ما يسبي ويغنم بنفيسه وجيّده ، يشغلهم بذلك عنه . . » ، وظلّ هذا الوضع قائماً حتى عام ٥٧٨هـ = ١١٨٢ م ، وفيه أرسل الموحدون الكتب تباعاً إلى اسحق بن محمد« . . يدعونه إلى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر ، ويتوعدونه على ترك ذلك ، فوعدهم بذلك واستشار وجوه أصحابه فاختلفوا عليه ، فمن يشير عليه بالامتناع بمكانه ، وحاض له على الدخول فيما دعوه إليه ، فلما رأى اختلافهم أرجأ الأمر . . »[٣] .

ويذكر الغبريني رواية أخرى يقول فيها ، بأن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أرسل إلى الأمير اسحق رسولاً من قاعدة ملكه في مراكش «ليطلب منه البيعة والدخول تحت الطاعة ، فامتنع من ذلك ، وكان بين يديه ولداه علي ويحيى ، فقال للرسول ، أنا لا أراهم ولا يرونني ، ولكن قل للموحدين يهيئون ما ينفقون على رأس هذين ، وأشار إلى رأس ولديه ، فانفصل الرسول عنه . . »[٤]. والأرجح في نظرنا هي رواية عبد الواحد المراكشي الآنفة الذكر ، والتي تتفق مع تسلسل الأحداث اللاحقة ، أما رواية الغبريني فأرجح أنها رواية ملفقة ، ذكرها الغبريني دون أي تمحيص ، وبالرغم من وضوح ضعفها وركاكتها ، فإنها شاعت بعد وفاة اسحق بن محمد ، واشتباك ولديه علي ويحيى في حرب طاحنة مع الموحدين ما يقارب الخمسين عاماً[٥]. ومما يسترعي النظر إصرار الموحدين فجأة على دخول بني غانية في « طاعتهم والدعاء لهم على

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٨٢ ، ٤٩٥ ، ٥٢٩ ، ٥٤٢ .
والعماد الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٥٨ وما بعدها .
ود . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٩٦ وما بعدها .
(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٤ .
(٤) الغبريني : عنوان الدراية ، ص ٧٧ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٩١ - ٤٠٦ .

المنابر »[1] . وأرجح بأن هذا التحول في سياسة الموحدين بدأ في عام ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م ، بعد أن ثار بني الرند في قفصة « في افريقية » ، بزعامة « علي بن المعز » ويعرف بالطويل من أعقاب بني الرند أمراء قفصة . . ، الذي تحالف مع الأعراب من قبيلة رياح ، واشتبك مع الموحدين[2] ، وتمكن الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن من هزيمة علي بن الرند ، الذي استسلم طائعاً للموحدين ، فولوه عمل مدينة سلا ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م[3] ، وكان الذي شجع ابن الرند على الثورة على الموحدين ، الفوضى وانعدام السلطة في شرق افريقية « تونس » ، بعد استيلاء قراقوش التقوي مملوك تقي الدين عمر بن أخي صلاح الدين الأيوبي على طرابلس ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م الذي تحالف مع الأعراب بزعامة مسعود بن زمام ، وعاث فساداً في شرق تونس « افريقية » ، وكان يدعو للعباسيين ، ويحرض على قتال الموحدين ، وكان يتطلع إلى الاستيلاء على جميع « افريقية »[4] .

وكان بنو غانية يدعون لبني العباس ، وتقام الخطبة باسم الخليفة العباسي على المنابر في جزر البليار[5] ، وربما يكون الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، قد توجس خيفة من احتمال تحالف اسحق بن محمد بن غانية مع قراقوش التقوي ، مما يهدد سلامة الدولة الموحدية[6] ، خاصة وأن سفن أساطيل اسحق بن غانية كانت تتردد على ثغور افريقية[7] ، التي كان يجتاحها آنذاك قراقوش التقوي وحلفاؤه من الأعراب ، ويعيثون في أقاليمها الشرقية فساداً[8] .

وبينما كان رسل الموحدين يترددون على مدينة ميورقة ويطالبون من أمير البليار اسحق بن محمد بن غانية بالحاح « الدخول في طاعتهم والدعاء على المنابر ، ويتوعدونه على ترك ذلك . . »[9] ، كانت بلاد الأندلس سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م ، تتعرض لغارات عنيفة من نصارى

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٥ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٢ .
وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٢٥ .
(٣) مجهول المؤلف : كتاب الاستبصار في عجائب الأنصار ، ص ١٥١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٨٩ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٤ . « وكان اسم الخليفة العباسي يطبع على النقود في دور السكة بجزر البلْيار ، ويوجد في متحف مدريد الوطني للعملات ديناران من الذهب ، أحدهما سك في عام ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ م ، والثاني في عام ٥٦٧ هـ = ١١٧١م ، وقد طبع عليهما اسم الخليفة العباسي » . (الفريد بل : بنو غانية ، حاشية « ٣ » ، ص ٢٤) .
(٦) وقد حصل ذلك التحالف بين علي بن غانية وقراقوش التقوي بعد وفاة اسحق بن محمد ابن غانية بفترة وجيزة . (مجهول المؤلف : الاستبصار في عجائب الأنصار ، ص ١١٠ - ١١١) .
(٧) الغبريني : عنوان الدراية ، ص ٧٦ .
(٨) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ٣٨٩ .
(٩) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٥ .

شنترين[1] ، والاشبونة[2] ، تحت قيادة الفونسو هنريكيز أول ملوك البرتغال ، وقام الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بدعوة « العرب والموحدين والقبائل للجهاد ، استعداداً لغزو شنترين في غرب بلاد الأندلس ، وبدأت الاستعدادات لهذه الحملة المرتقبة في جمادى الآخرة ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ - ١١٨٤ م ، وتجمعت القوات في سلا عدوة المجاز في الحجة ٥٧٩ هـ = ١١٨٤ م ، وعبر الخليفة بحر الزقاق إلى عدوة الأندلس على رأس قواته الضخمة في الخامس من شهر صفر ٥٨٠ هـ = مايو ١١٨٤ م ، ونزل بجبل الفتح (جبل طارق) ، ومنه توجه إلى اشبيلية في طريقه إلى شنترين[3] ، وبينما كانت الاستعدادات الضخمة تجري في بلاد المغرب استعداداً للحملة المنتظرة على شنترين في غرب الأندلس ، التي كان أميرها ابن الرنق (الفونسو هنريكيز) يهاجم القواعد الإسلامية في غرب الأندلس ووسطه ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ - ١١٨٤ م[4] ، أصيب اسحق بن محمد بن غانية بجرح خطير ، ويذكر صاحب المعجب ما يلي بهذا الصدد : « وخرج إلى بلاد الروم غازيا ، فاستشهد رحمه الله هناك ، وقيل إنه طعن طعنة في حلقه لم يمت منها مكانه ، وإنما جيء به حياً حتى أدخل قصره فمات فيه . . »[5] .

وفاة اسحق بن محمد بن غانية
ومبايعة ابنه محمد للموحدين

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة اسحق بن محمد بن غانية ، فبينما يذكر عبد الواحد المراكشي أن تاريخ وفاته كان في عام ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ - ١١٨٤ م[6] ، نجد بأن هناك روايات أخرى تجمع على أن وفاته كانت في عام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[7] . ويتجاوز البعض الآخر ذلك

(١) شنترين Santaren سميت على اسم القديسة الاسبانية (شنتا ايرين) Santa Irene وهي مدينة حصينة ، وتقع على جبل شامخ ، وتطل في أسوارها الشرقية على حافة صخرية شديدة الحصانة ، ويوجد أحد ارباضها في أسفل الجبل على طول نهر التاجه ، استولى عليها الفونسو هنريكيز . (ابن الرنق) ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م وفشل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في استعادتها ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م . (الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٤٦ . وعنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٤٢٥) .
(٢) الاشبونة : مدينة حصينة في ساحل الأندلس الغربي المطل على المحيط الأطلسي ، استولى عليها الفونسو هنريكيز أول ملوك البرتغال بالتعاون مع الصليبيين ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م ، وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة البرتغال . (الحميري : الروض المعطار ، ص ٦١ ،
ويوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٦) .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١١٨ - ١٣٣ .
(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
(٦) نفس المصدر السابق : ص ٣٤٤ .
(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٥٨٠ ، وج ٦ ، ص ٣٩١ ، وص ٥٠٦ . =

التاريخ ، ومنهم على سبيل المثل المؤرخ الميورقي الباروكمبانير الذي يذكر ما يلي عن تاريخ وفاة اسحق بن محمد بن غانية ، « .. لا يمكن أن يكون قد تأخر كثيراً عن سنة ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م »[١] ، ونستشف مما ذكره كمبانير الحيرة التي انتابته عند محاولته تحديد تاريخ وفاة اسحق بن محمد بن غانية ، فتهرب من التحديد الدقيق للتعارض بين النصوص المختلفة والروايات التي تناقض بعضها البعض ، مما حير الباحثين من المؤرخين الفرنجة والإسبان ، ولم يتفقوا على رأي بهذا الصدد[٢]. وسنحاول عن طريق دراسة النصوص الثابتة ، وربط الأحداث ببعضها البعض أن نصل إلى تاريخ وفاة اسحق بن محمد بن غانية ، لأهميته القصوى بالنسبة للأحداث اللاحقة المتشابكة لتاريخ جزر البليار بعد وفاته مباشرة وقبيل وفاته بقليل ، وفيما يلي أبرز الأحداث السابقة واللاحقة لوفاة اسحق بن محمد بن غانية ، وما نستنتجه من دراستها وتحليلها :

يذكر ابن عذاري بأن الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن « .. وجه قائده ابن الربرتير[٣] إلى جزيرة ميورقة بعد هلاك اسحق بن غانية ليعرض الطاعة على من بها من بني اسحق المذكور ، وليقدم الأعذار والأنذار على جري العادة فيمن خالف الجماعة من الثوار .. »[٤]. بينما يذكر الغبريني بأن الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وجه إلى اسحق بن غانية « ..من مراكش من يطلبه بالبيعة والدخول تحت الطاعة ، فامتنع من ذلك .. »[٥]. ويقول عبد الواحد المراكشي بأن الموحدين ظلّوا يوالون الكتب منذ عام ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م ، إلى اسحق بن محمد بن غانية ، « يدعونه إلى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر .. » ، ونظراً لاختلاف وجهات نظر مستشاريه ، أرجأ اتخاذ قرار بهذا الشأن ، وتوفي في عام

= وابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٢١٥ .
وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٨ . وابن الابار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٨٥٩ .
والذهبي : تاريخ الإسلام ، مخطوطة باريس رقم ٤٢٢٧ ، ورقم ٥٤٠ الكويت ، الوثائق القومية .

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٤٣ .

(٢) الفريد بل : بنو غانية ، حاشية « ٢ » ، ص ٢٥ .

(٣) ابن الربرتير : علي بن الربرتير ، وهو أحد أبناء القائد القطلاني الأصل الذي تطلق عليه المراجع الإسلامية اسم الربرتير أو الابرتير Roberto-El Reverter ، اختاره أمير المسلمين علي بن يوسف قائداً لفرقة المرتزقة النصارى إلى أن قتل ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م ، واعتنق أحد ولديه الإسلام ، وتسمى باسم علي الربرتير ، وأصبح من كبار قادة الموحدين ، وأسهم بدور خطير في تاريخ البليار ، إلى أن توفي مقتولاً على يد بني غانية ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م . (ابن القطان : قطعة من نظم الجمان ، حاشية « ١ » ، ص ، ٩٦ . تحقيق د . محمود علي مكي . وابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، حاشية « ١ » ، ص ١٩٣ ، تحقيق د . حسين مؤنس) .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٤٦ .

(٥) الغبريني : عنوان الدراية ، ص ٧٦ – ٧٧ .

٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م ، دون أن يحسم الأمر[١] .

- بينما يذكر ابن خلدون بأن اسحق بن محمد بن غانية ، « كان يبعث بالأسرى والعلوج للخليفة أبي يعقوب (يوسف بن عبد المؤمن) ، إلى أن هلك قبيل مهلكه سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م ، وخلف من الولد محمداً وعليا ويحيى وعبدالله والغازي وسير والمنصور وحبارة وتاشفين وطلحة وعمر ويوسف والحسن[٢]. فولي ابنه محمد وبعث إلى الخليفة أبي يعقوب بطاعته ، فبعث هو علي بن الربرتير لاختبار ذلك منه ، وأحسّ بذلك أخوته ، فنكروه وتقبضوا عليه وقدموا عليا منهم ، وبلغهم مهلك الخليفة (يوسف بن عبد المؤمن) ، وولاية المنصور (يعقوب بن يوسف) ، فاعتقلوا ابن الربرتير .. »[٣]. كما يذكر ابن خلدون رواية أخرى يقول فيها ، بأن اسحق بن محمد بن غانية « . استبد بأمره إلى أن هلك سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م ، فقام بالأمر ابنه محمد ، ولما أجاز يوسف بن عبد المؤمن (أرسل) علي بن الربرتير لاختبار طاعتهم ، ولحين وصوله أنكر ذلك اخوته وتقبضوا عليه واعتقلوه ، وقام بالأمر أخوه علي .. »[٤]. يتضح مما سبق ذكره مدى التعارض بين النصوص الآنفة الذكر ، وسنحاول ما أمكننا ذلك التوفيق بينها والخروج بنتائج منطقية تكون بمثابة الدليل الذي سيساعدنا في تحديد تاريخ وفاة اسحق بن محمد ابن غانية ، وفيما يلي التسلسل الذي نرجحه لأبرز الأحداث :

١ – استمر الموحدون في إرسال الكتب إلى اسحق بن غانية منذ عام ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م ، يطلبون من أمير البليار « الدخول في طاعتهم .. » ، وقبل أن يبت في هذا المطلب لاختلاف وجهات نظر مستشاريه ما بين مؤيد ومعارض ، أصيب اسحق ابن غانية بطعنة في حلقه أثناء قيامه بقيادة إحدى الحملات البحرية سنة ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ – ١١٨٤ م ، لم يمت منها وإنما جيء به حياً .. ، ومات في قصره بعد ذلك ، وأرجح بأن ابنه وولي عهده محمد تولى الحكم نتيجة لإصابة والده ، وأنه كان يقوم بتيسير أمور الإمارة باسم والده الجريح .

٢ – يذكر ابن خلدون بأن وفاة اسحق بن محمد بن غانية كان قبيل وفاة الخليفة يوسف بن

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٢) يذكر ابن خلدون في رواية أخرى بأن اسحق بن غانية « هلك سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م ، وخلف ثمانية من الولد ، وهم محمد وعلي ويحيى وعبدالله والغازي وسير والمنصور وجبارة » . (العبر ، ج ٦ ، ص ٣٩١) . ويذكر عبد الواحد المراكشي ما يلي : وكان لاسحق بن غانية من الولد « علي وعبدالله ويحيى وأبو بكر وسير وتاشفين ومحمد والمنصور وابراهيم ، وقد توفي ابراهيم هذا بدمشق حين كان نازلاً على السلطان الملك العادل (الأيوبي) .. » . (المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٥) .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ – ٥٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

عبد المؤمن[١] ، والذي يجمع المؤرخون على أنه توفي إثر إصابته في حصار شنترين في عام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[٢] .

٣ - وبالرغم من إجماع المصادر الإسلامية على سنة وفاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن ، إلا أنها اختلفت اختلافاً طفيفاً في تحديد الشهر واليوم الذي توفي فيه ، نظراً لأن الخليفة الموحدي توفي بعد فترة من إصابته وأخفي خبر وفاته حتى تمت تولية ابنه يعقوب بن يوسف[٣] . فبينما يذكر ابن عذاري والزركشي بأن تاريخ الوفاة كان في ١٨ ربيع الآخر ٥٨٠ هـ = يوليو ١١٨٤ م[٤] ، يذكر عبد الواحد المراكشي بأن وفاته كانت «في يوم السبت قبيل غروب الشمس لسبع خلون من رجب الفرد[٥] . ويؤكد نفس التاريخ الذهبي[٦] . أما صاحب الاستقصاء فيقول بأن تاريخ وفاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن كان في العاشر من شهر ربيع الآخر[٧] . ويذكر ابن أبي زرع ما يلي بهذا الصدد ، « .. وكانت وفاته يوم السبت الثاني عشر من ربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمائة بقرب الجزيرة الخضراء .. وقيل إنه لم يمت حتى وصل مراكش .. »[٨] . ومن الطريف أن معظم المصادر المشرقية تذكر بأن تاريخ الوفاة كان في ربيع الأول سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[٩] . ويذكر نفس التاريخ السابق الوزير السراج[١٠] .

يتضح من النصوص الآنفة الذكر بأن تاريخ وفاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن وفقاً للروايات المختلفة تتراوح بين شهر ربيع الأول وشهر رجب من عام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م ، وأرجح الرواية الأخيرة ، أي السابع من رجب ٥٨٠ هـ = نوفمبر ١١٨٤ م ، لأن صاحب هذه الرواية هو عبد الواحد المراكشي الذي كان قريب العهد من وفاة الخليفة الموحدي ، وكان

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٣٤ ، ومجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص ١٢٠ ، وابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٣٨ ، وابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٠٥ ، والزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ١٤ ، ومجهول المؤلف : كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٣١ ، وتاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ، والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٤ ، ص ٩٩٢ .
والناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٤٨ .
(٤) البيان المغرب ، ص ١٣٨ ، والزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ١٤ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٢٤ .
(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، مخطوطة باريس رقم ٤٢٢٧ ، رقم الوثيقة ٥٤٠ ، الكويت ص ٣٤٧ .
(٧) الناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
(٨) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، وتاريخ ابن الوردي . ج ٢ ، ص ١٩٣ .
(٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٣٤ . وتاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .
(١٠) الوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ج ٤ ص ٩٩٢ .

صديقاً لحفيده أمير اشبيلية ، وكان يستقي معلوماته من أدق المصادر[١] . كما أعقب وفاة يوسف ابن عبد المؤمن انتقاض أبناء اسحق بن محمد بن غانية على أخيهم محمد ولي العهد لمهادنته للموحدين ، واعتقاله واعتقال علي بن الربرتير ، وتوجه علي بن اسحق على رأس حملة من المشاة والفرسان إلى بجاية بساحل المغرب الأوسط والاستيلاء عليها في السادس من شعبان ٥٨٠ هـ = ٢٢ نوفمبر ١١٨٤ م ، بعد أن وصلت الأنباء بمصرع الخليفة الموحدي إلى بني غانية في جزيرة ميورقة[٢] ، ولا يمكن أن يتأخر وصول خبر كهذا عن شهر ، بل إنه لا يتطلب أكثر من أسبوعين لولا محاولة الموحدين إخفاءه ، لهذا فإن الأقرب إلى المنطق أن تكون الوفاة قد حصلت في رجب كما ذكر المراكشي[٣] . وبناء على ما ذكره ابن خلدون من أن اسحق بن محمد توفي قبيل وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[٤] ، فمعنى ذلك أنه توفي قبيل شهر رجب من عام ٥٨٠ هـ = نوفمبر ١١٨٤ م ، وهو التاريخ الذي رجحناه كما ذكرنا آنفاً .

٤ - كما يذكر ابن خلدون بأن محمد بن اسحق بعث إلى الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن « بطاعته ، فبعث علي بن الربرتير لاختبار ذلك منه .. »[٥] . ويضيف إلى ذلك بأن يوسف بن عبد المؤمن أرسل القائد علي بن الربرتير إلى ميورقة قبيل جوازه إلى الأندلس[٦] ، وكان تاريخ وصول الخليفة الموحدي إلى عدوة المجاز في سبتة في محرم ٥٨٠ هـ = ابريل ١١٨٤ م ، وأقام بسبتة بقية شهر محرم المذكور[٧] . وفي الخامس من شهر صفر ٥٨٠ هـ = مايو ١١٨٤ م ، جاز الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على رأس قواته إلى عدوة الأندلس ونزل بجبل الفتح (جبل طارق)[٨] . فمعنى ذلك أن تاريخ وفاة اسحق بن محمد كانت بين محرم ٥٨٠ هـ = ابريل ١١٨٤ م ، وهو تاريخ وصول الخليفة الموحدي لعدوة المجاز وإرسال علي بن الربرتير لاختبار طاعة بني غانية[٩] ، وقبيل وفاة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن في

---

(١) عبد الواحد المراكشي : مقدمة كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٦ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٥٠٧ .
(٦) نفس المصدر السابق ، ص ٣٩١ .
(٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج ٢ ، ص ١٩٠ طبعة الفلالي .
والناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .
(٨) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٣٢ . وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج ٢ ، ص ١٩١ طبعة الفلالي . والناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٥٤ . والزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ١٤ . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٤ (ذكر بأن تاريخ جواز الخليفة كان في شهر صفر ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م ، ولم يحدد اليوم) .
(٩) ابن خلدون : ج ٦ ، ص ٣٩١ ، و٥٠٧ .

رجب ٥٨٠ هـ = اكتوبر ١١٨٤ م[١]، وذلك بناء على الفرضية التي ذكرناها آنفاً وهي أن اسحق بن محمد كان يعاني من جرح أصابه في آخر حملة بحرية قام بها في عام ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ - ١١٨٤ م، وأنه حمل إلى قصره ومات فيه استناداً إلى رواية عبد الواحد المراكشي، وأن ابنه وولي عهده محمد كان يشرف على تسيير شئون الإمارة[٢]، ويؤكد قديرة هذه الفرضية، ويذكر بأن اسحق بن محمد بن غانية كان حياً حتى التاسع عشر من صفر ٥٨٠ هـ = ٣ يونيو ١١٨٤ م، وهو تاريخ توقيعه معاهدة مع البيزيين، ويؤكد هذه الرواية المؤرخ سان سلفادور مارسيل[٣]، ويزيدنا قناعة بهذه الرواية وثقة بالمحاولة التوفيقية التي نقوم بها للتوفيق بين مختلف النصوص الآنفة الذكر للوصول إلى تاريخ تقريبي لوفاة اسحق بن محمد بن غانية، ما ذكره ابن الابار في ترجمة عبدالله بن محمد بن وقّاص اللمطي خطيب ميورقة وفقيهها، التي يقول فيها ما يلي «استشهد في الحادثة الكائنة بقصر ميورقة عند وفاة أميرها اسحق بن محمد سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م..»[٤].

٥ - وتؤكد معظم المصادر ما ذكره ابن الأبار بأن وفاة اسحق بن غانية كان في عام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[٥]، ولكن ابن الأبار يشير في نصه الآنف الذكر إلى «حادثة وقعت في قصر ميورقة عند وفاة أميرها اسحق بن محمد ٥٨٠ م = ١١٨٤ م «أدت إلى استشهاد كبير فقهاء ميورقة ومفتيها وخطيب جامع مدينة ميورقة عبدالله اللمطي[٦]، مما يدل دلالة قاطعة على حصول انقلاب دموي عقب وفاة اسحق بن محمد؛ ولو استعرضنا المصادر التي بين أيدينا لنستدل منها على هذا الانقلاب المشار إليه لوجدنا ما يلي:

يقول ابن خلدون بأن الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن أرسل علي بن الربرتير لاختبار طاعة بني غانية وكان «يقوم بالأمر» آنذاك محمد بي اسحق[٧]، وكان اسحق بن محمد ما زال يعاني من الجرح الذي أصابه في عنقه والذي توفي على أثره في قصره بميورقة[٨]. وكان ابنه وولي

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٣٤.
(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٥.
(٣) الفريد بل: بنو غانية، حاشية «٢»، ص ٢٥.
(٤) ابن الابار: التكملة، ج ٢، ص ٨٥٩، ترجمة رقم ٢٠٦٨.
والذهبي: تاريخ الإسلام مخطوطة باريس ٤٢٢٧، كويت ٥٤٠، ص ٣٤٤.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب / القسم الموحدي، ص ٢١٥.
وابن خلدون: العبر، ج (؟)، ص ٣٥٨، وج ٦، ص ٣٩١، وص ٥٠٦.
وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ١٨.
(٦) ابن الابار: التكملة، ج ٢، ص ٨٥٩.
(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٣٩١.
(٨) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٤٥.

عهده محمد يشرف على شئون الإمارة باسم والده كما نرجح. ويذكر ابن خلدون بأن إرسال علي ابن الربرتير من قبل الخليفة الموحدي كان في الوقت الذي أجاز فيه إلى عدوة الأندلس[١]، وكان جواز الخليفة في الخامس من صفر ٥٨٠ هـ = مايو ١١٨٤ م[٢]، فمعنى ذلك أن تاريخ عبور علي بن الربرتير البحر على رأس حملة بحرية إلى ميورقة كان قبل جواز الخليفة بفترة وجيزة، وكان الخليفة قد أقام في سبتة عدوة المجاز بقية شهر محرم ٥٨٠ هـ = ابريل ١١٨٤ م[٣]. نستنتج من ذلك أن تاريخ توجه ابن الربرتير إلى ميورقة كان في أواخر محرم أو أوائل صفر قبل الخامس منه، ويصف ابن عذاري كيفية استقبال علي بن الربرتير في ميورقة بما يلي: «.. ركب أبو الحسن (علي بن الربرتير) ظهر البحر من سبتة على ما اقتضته صريمته من الجد، ولما وصلها ومع نزله أكرم في الظاهر مثواه ووصل بالدوام على الخير قواه، وقد أضمروا ما كانوا بنوا عليه من غدرهم..».

يتضح مما ذكره ابن عذاري أن بني غانية استقبلوا علي بن الربرتير سفير الموحدين استقبالاً ودياً في الظاهر، وقد أضمروا في نفوسهم شراً وأخذوا في تربص الفرصة الملائمة[٤]. وكان محمد ابن اسحق قد بعث للخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن «بطاعته فبعث علي بن الربرتير لاختبار ذلك منه..»[٥].

عزل محمد بن اسحق بن غانية
وتولية أخيه علي أميراً على جزر البليار

كان من عادة الموحدين أن يلحقوا ضابطاً بالبلد الذي يعلن خضوعه لهم، ويدعى في التنظيم الإداري الموحدي بالحافظ أو المراقب، لأن مهمته الرئيسية هي مراقبة تطبيق الشروط المتفق عليها بدقة وحزم، وكان هذا الأسلوب في التعامل مع المغلوبين يتسم بالذكاء والدهاء، حيث أنه يترك للدول التي تعلن الخضوع إدارتها السابقة فيكون التحول أقل حساسية، ويجنب المتسلطين نقمة الشعوب المقهورة[٦]. ولكن إخوة محمد بن اسحق وكبار القادة من المرابطين من لمتونة ومسوّفة، الذين كانوا يكتمون في نفوسهم حقداً هائلاً على الموحدين ويعتزون بحريتهم وكبريائهم كل الاعتزاز، نقموا على محمد بن اسحق هذا التخاذل، وتعريض حريتهم للانتقاص وكرامتهم للهدر، وتقبلوا وصول الأسطول الموحدي بقيادة علي بن الربرتير على مضض،

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٣٩١.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب / القسم الموحدي ص ١٣٢.
(٣) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ج ٢، ص ١٩٠. طبعة الفلالي.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب / القسم الموحدي، ص ١٤٦.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٠١.
(٦) الفريد بل: بنو غانية، حاشية «٤»، ص ٢٧ - ٢٨.

وأخذوا في إعداد مؤامرة للاستيلاء على السلطة[١]. وإن صحت رواية قديرة التي يذكر فيها «بأن اسحق بن محمد بن غانية كان لا زال حياً حتى ١٩ صفر ٥٨٠ = ٣ يونيو١١٨٤ م ،وهو تاريخ توقيعه لمعاهدة مع البيزيين[٢]، فمعنى ذلك أن الانقلاب كان بعد وفاة اسحق بن محمد الذي يعاني من الجرح الذي أصابه في حملته البحرية الأخيرة[٣]. فما إن مات حتى قام أبناؤه وعلى رأسهم علي بن اسحق بالاستيلاء على السلطة بالقوة ، واعتقلوا أخاهم محمد ، وزجوا به في أحد السجون ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[٤]، وكان ذلك في الفترة ما بين صفر ٥٨٠ هـ = ٣ يونيو ١١٨٤ م . وهو تاريخ المعاهدة التي وقعها اسحق بن محمد مع البيزيين[٥]، والسابع من شهر رجب ٥٨٠ هـ = اكتوبر ١١٨٤ م الذي وصل فيه خبر مقتل الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن إلى جزر البليار[٦]، وقبل السادس من شعبان ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤ م ، وهو تاريخ إبحار علي بن اسحق بن غانية على رأس حملة بحرية للاستيلاء على ثغر بجاية بساحل المغرب الأوسط[٧]. وكان قادة المؤامرة قد احتاطوا منذ قدوم علي بن الربرتير وعزلوه في دار الضيافة خوفاً من تدخله في شئونهم ومساندته لمحمد بن اسحق الذي استسلم للموحدين «وحالوا بينه وبين الأسطول . . »[٨]. ولم يخف على أبي الحسن علي بن الربرتير نواياهم منذ وصوله إلى ميناء مدينة ميورقة ، ولم تخدعه مجاملاتهم الزائفة ويقول ابن عذاري بهذا الصدد ، « . . وبدا من محاولتهم ما لم يخف على أبي الحسن في سرهم وجهرهم ، وكان عند حلوله بساحتهم واشتغاله بمحاولتهم - بعثوا إلى مراكبه من أنزلها من الركاب والعمائر البحرية ، وطلع فيها من العمائر الميورقية وجروها إلى دار عددهم ، فلم يكن لأبي الحسن محيد عن الاستسلام والصبر على ما تجشّم من الآلام ، وتمادى إمساكهم للقائد المذكور ومطاولتهم له ، ومواعدته حتى اتصل بهم وفاة أمير المؤمنين أبي يعقوب . . فاعتقلوا أبا الحسن في دار انزاله ووكلوا به من الحرس ما أمنوا به من مكره واحتياله »[٩].

وإذا صحت رواية ابن خلدون التالية التي يقول فيها ما يلي ، بأن الخليفة الموحدي أرسل

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٧ .
(٢) الفريد بل: بنو غانية ، حاشية « ٢ » ، ص ٢٥ .
(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٤٥ .
(٤) ابن الأبار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٨٥٩ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٠٧ .
(٥) الفريد بل: بنو غانية ، حاشية « ٢ » ، ص ٢٥ .
(٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٣٤ .
(٧) المصدر السابق: ص ٣٤٦ .
(٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٩١ .
(٩) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٤٦ .

علي بن الربرتير ، قبيل جوازه من عدوة المغرب إلى عدوة الأندلس ، إلى بني غانية لاختبار طاعتهم «وحين وصول (علي بن الربرتير) أنكر ذلك إخوة (محمد بن اسحق) ذلك وتقبضوا عليه واعتقلوه ، وقام بالأمر أخوه بن محمد ، وتلوموا في رد الربرتير إلى مرسله وحالوا بينه وبين الأسطول . . »[١] ، فمعنى ذلك أن الانقلاب الذي أشرنا إليه الذي أعقب وفاة اسحق[٢] ، والذي رجحنا أنه كان ضد تولية محمد بن اسحق الإمارة لتخاذله أمام الموحدين خلال فترة تسييره لشئون الإمارة في حياة والده ، كان حين وصول الربرتير كما يقول ابن خلدون في نصه الآنف الذكر ، ونظراً لأن وصول الربرتير كان قبيل جواز أمير المسلمين في أوائل صفر[٣] ، فمعنى ذلك أن الانقلاب المشار إليه لم يتأخر عن نهاية صفر ٥٨٠ هـ = يونيو ١١٨٤ م ، هذا إذا أخذنا في الحسبان رواية قديرة الآنفة الذكر عن عقد اسحق بن محمد معاهدة مع البيزيين في ١٩ صفر ٥٨٠ هـ = ٣ يونيو ١١٨٤ م[٤]. وأصبح علي بن اسحق بن غانية أمير جزر البليار منذ نهاية صفر على وجه التقريب ، واعتقل أخاه محمداً في أحد سجون ميورقة[٥] .

المرحلة الثانية

جزر البليار المستقلة تحت حكم بني غانية

٥٨٠ - ٦٠٠ هـ = ١١٨٤ - ١٢٠٣ م

جزر البليار في مطلع عهد الأمير علي بن اسحق

بعد استيلاء علي بن اسحق بن غانية الملقب « بالميورقي » على السلطة في أواخر شهر صفر ٥٨٠ هـ = منتصف يونيو ١١٨٤ م كما ذكرنا ، اعتقل أخاه محمداً ولي العهد في أحد سجون ميورقة لتخاذله وإعلان طاعته للخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن[٦]، وعزل علي بن الربرتير سفير الخليفة الموحدي في دار الضيافة وأخذ في مماطلته وتسويفه ، وأمر بسحب قطع

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٩١ .
(٢) ابن الأبار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٨٥٩ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ١٣٢ . وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ج ٢ ، ص ١٥٤ . والناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .
(٤) الفريد بل: بنو غانية حاشية « ٢ » ص ٢٥ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٩١ و٥٠٧ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩١ وص٥٠٧ .

الأسطول الموحدي إلى دار الصناعة في ميورقة ، وفرض عليها حراسة مشدّدة[١] . وأخذ يتابع بقلق أخبار حملة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن على غرب الأندلس . وعندما وصلت الأنباء إلى ميورقة بصرع الخليفة الموحدي في حصار شنترين في شهر رجب ٥٨٠ هـ = أكتوبر ، وهزيمة قواته ورجوعها إلى بلاد المغرب[٢] ، قام باعتقال علي بن الربرتير في أحد سجون ميورقة واستولى على قطع الأسطول الموحدي وضمها لأسطوله[٣] .

ولاحت الفرصة المواتية لبني غانية للانتقام من الموحدين واستعادة سيادة المرابطين على افريقية وبلاد المغرب ، وقدّروا بأن الفوضى ستعم أرجاء الدولة الموحدية ، عقب موت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، مما سيتيح لهم المجال لضربهم في عقر دارهم ضربة مفاجئة ، ثم اجتياح شتى أرجاء الدولة الموحدية في إفريقية والمغرب والأندلس[٤] . وكانوا على اتصال بأنصارهم في إفريقية والمغرب ، وكانت تربطهم بثغر بجاية في المغرب الأوسط روابط وثيقة ، وكان أعيانها من صنهاجة على صلة ببني غانية ، ويرسلون لهم الرسائل يعدونهم فيها بأن يقدموا لهم العون للاستيلاء على هذا الثغر الهام ، واتخاذه مركز انطلاق للاستيلاء على إفريقية والمغرب . ويقول عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد : « ولما توفي أبو ابراهيم اسحق بن محمد ، قام بالأمر من بعده ابنه علي »[٥] ، « وخرج بأسطول ميرقة إلى العدوة ، وقصد مدينة بجاية حين راسله جماعة من أعيانها - على ما يقال - يدعونه إلى أن يملكوه ، ولولا ذلك لم يجسر على الخروج ، ومما جرأه أيضاً كون الموحدين بالأندلس وسماعه خبر موت أبي يعقوب (يوسف بن عبد المؤمن) وانشغالهم ببيعة

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٤٦ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٣٤ .
وابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٠٥ .
ومجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص١٢٠ .
وابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٣٣ وما بعدها .
وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص١٩١ - ١٩٣ طبعة الفلالي .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٤٦ .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٥) يتجاهل عبد الواحد المراكشي « محمد بن اسحق » الذي كان يشرف على شئون جزر البليار في فترة معاناة أبيه من جرح أصابه أثناء حملته البحرية الأخيرة ، كما نرجح نظراً لكونه ولياً لعهده . (ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩١ و٥٠٧) . ولكنه تخاذل أمام الموحدين فاستغل إخوته وكبار قادة لمتونة ومسوفة موت أبيه « اسحق بن محمد بن غانية » واعتقلوه وولوا أخاه « علي بن اسحق » أميراً على البليار . (ابن الأبار : التكملة ، ج٢ ، ص٨٥٩) . كما يتجاهل ولي العهد محمد اسحق « صاحب البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٢١٥ » الذي يقول ما يلي عن أمراء بني غانية الذين تولوا الحكم في جزر البليار « وليها محمد بن غانية المسوفي حتى مات مقتولاً ثم وليها ابنه اسحق ، فأقام بها ثلاثين سنة ، أولها سنة ٥٥٠ هـ وآخرها ٥٨٠ هـ ، ثم وليها علي بن اسحق بن غانية » .

أبي يوسف (يعقوب بن يوسف المنصور) ، وظن أن الأمر سيضطرب وأن الخلاف سينشأ ، فكان هذا أيضاً مما أعانه على الخروج ، ولولا هذه الأسباب التي ذكرنا لم يجسر على الخروج .. »[١] .
وكانت أساطيل جزر البليار تتردد على ثغر بجاية في عهد اسحق بن محمد ، وكان بحارة تلك الأساطيل من غزاة البحر يبيعون أسرى الحروب والغزوات البحرية في سوق الرقيق في بجاية ، الذي كان يقع في ربض ذلك الثغر « بحومة المذبـح » منه[٢] . يتضح من النص الآنف الذكر بأن تردد سفن جزر البليار إلى ثغر بجاية لم يكن يثير أي شكوك في نفوس الموحدين في عهد اسحق بن محمد ، وازدادوا ثقة ببني غانية بعد توجه علي بن الربرتير إلى جزيرة ميورقة بعد أن أرسل ولي العهد بمحمد بن اسحق الذي كان يقوم بالأمر نيابة عنه والده الجريح كما نرجح ، « .. بطاعته إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن .. »[٣] .

وكان علي الربرتير قد استقبل لدى وصوله إلى ميورقة من سبتة على رأس حملة بحرية بحفاوة مصطنعة من قبل بني غانية ، ولكنهم كانوا يضمرون في قرارة نفوسهم الغدر به واعتقاله عندما تلوح الفرصة الملائمة[٤] .

اعتقال علي بن الربرتير القائد البحري الموحدي والاستيلاء على أسطوله

يقول ابن عذاري بهذا الصدد ، « ولما وصل أبو الحسن علي بن الربرتير القائد الموحدي إلى ثغر مدينة ميورقة ، ..وسّع نزله وأكرم في الظاهر مثواه ، وقد أضمروا ما كانوا عليه من غدرهم ، وبدا من محاولتهم ما لم يخف على أبي الحسن في سرهم وجهرهم - وكان عند حلوله بساحتهم واشتغاله بمحاورتهم ، بعثوا إلى مراكبه من أنزلها من الركاب والعمائر البحرية ، وطلع فيها من العمائر الميورقية وجروها إلى دار عددهم - فلم يكن لأبي الحسن محيد عن الاستسلام .. وتمادى إمساكهم للقائد المذكور ومطاولتهم له ، ومواعدته حتى اتصل بهم وفاة أمير المؤمنين أبي يعقوب ، فتحركت أحلامهم الضعيفة إلى التدبير الذميم واستهواهم تسويل شيطانهم الرجيم وأغواهم غويهم المريد .. وضالهم الرومي (القائد البحري) رشيد فاعتقلوا أبا الحسن في دار إنزاله ووكلوا به من الحرس والرقباء ما أمنوا من مكره واحتياله .. »[٥] . وهكذا فقد كانت وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن اثر إصابته في حصار شنترين عاملاً هاماً في تشجيع بني غانية

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٥ .
(٢) الغبريني : عنوان الدارية ، ص٧٦ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٧ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٤٦ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٤٦ - ١٤٧ .

على اعتقال قائد الأسطول الموحدي علي بن الربرتير والتطلع إلى الاشتباك مع الموحدين في فترة انشغالهم في بيعة الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف ، وتوقعهم اضطراب الأوضاع في بلاد المغرب ونشوب خلافات بين الطامعين في العرش من أعمامه وإخوته ، ووجدوا في ثغر بجاية ما يغريهم بالمغامرة ، فقد كان فيه بقية من صنهاجة من بني حماد ، الذين ظلوا يتطلعون لاستعادة ملكهم المغتصب على يد أبناء عمومتهم بني غانية من قبيلة مسوفة الصنهاجية ، وكانوا على اتصال بهم يزودونهم بأنباء إفريقية ويحثونهم على القدوم إلى بجاية ، ويعدونهم بتقديم العون[1] . ولا شك أن أخبار تمرد القبائل البدوية من أعراب بني هلال وسليم وخروجهم على الموحدين ، كانت تصل إلى أسماع بني غانية الذين وضعوا نصب أعينهم التحالف مع هؤلاء الأعراب وإغراءهم بالوعود وإشباع نهمهم بغنائم الموحدين الوفيرة ، واستغلال تعطشهم إلى سفك الدماء والتخريب والتدمير بتسليطهم على أقاليم إفريقية والمغرب الخاضعة لحكم الموحدين ، لاستنزاف القوات الموحدية وتدميرها وإعادة حكم المرابطين إلى إفريقية والمغرب[2] . ولم تخف كذلك أخبار قراقوش التقوي وقواتـــه من الأتراك الغزّ واجتيـــاحهم لشرق إفريقيـــة « تونس » منـــذ عـــام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م ، على بني غانية الذين كان يجمعهم مع هذا المغامر الرهيب العداء المشترك للموحدين والدعوة لبني العباس ، وقد وضعوا نصب أعينهم التعاون معه قبل إقدامهم على مغامرة الاستيلاء على ثغر بجاية من الموحدين[3] .

استيلاء بني غانية على ثغر بجاية

في أوائل شعبان ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤ م ، كانت الاستعدادات الضخمة تجري في ثغر مدينة ميورقة لإعداد حملة بحرية للاستيلاء على ثغر بجاية بسواحل المغرب الأوسط[4] . ويذكر ابن خلدون بأن عدد القطع البحرية التي أبحرت من ميورقة للاستيلاء على بجاية كان « اثنتين وثلاثين قطعة من أساطيلهم وأسطول علي بن الربرتير . . »[5] . بينما يذكر ابن الأثير « بأن علي ابن اسحق المعروف بابن غانية ، من أعيان الملثمين ، وصاحب جزيرة ميورقة ، خرج إلى بجاية

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٥ .
وابن الأثير : الكامل ، ج٢١ ، ص٥٠٧ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجبْ في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٦ - ٣٤٧ .
محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص١٤٨ - ١٤٩ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٣٨٩ . والبنداري : سنا البرق الشامي ، ج١ ، ص١٣٧ .
وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٢٥ .
(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١١ ، ص ٥٠٧ . بجاية: مدينة حصينة على ساحل البحر بالمغرب الأوسط، وكانت كبرى ثغور بني حماد وقاعدة ملكهم ومرسى أساطيلهم، ودار صناعتهم، وتدعى بالناصرية نسبة للناصر بن علناس، خامس أمراء بني حماد. (الروض المعطار، ص ٨١ - ٨٢. ومعجم البلدان، ج ١، ص ٣٣٩).
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٢ .

فملكها وسبب ذلك أنه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمّر أسطوله فكان عشرين قطعة ، وسار في جموعه فأرسى بساحل بجاية ، وخرجت خيله ورجله من الشواني ، فكانوا نحو مائتي فارس من الملثمين ، وأربعة آلاف راجل . . »[1] .

وقبل أن يغادر الأمير علي بن اسحق جزيرة ميورقة ولّى نائباً عنه في جزر البليار ، عمه الزبير[2] . وفي رواية أخرى أخاه طلحة[3] ، وكان قائد أسطوله القائد البحري رشيد الرومي[4] ، الذي أبحر من ثغر مدينة ميورقة على رأس ذلك الأسطول العتيد متجهاً إلى ثغر بجاية ، وكان بصحبة الأمير علي بن اسحق بن غانية من إخوته يحيى وعبد الله والغازي[5] ، ولم يكن يدري أولئك البواسل من بني غانية وجنودهم وبحارتهم ، بأنهم لن يروا جزر البليار ثانية[6] ، وأن قبورهم سوف تنتشر عبر إفريقية وبلاد المغرب الأوسط ، وفي أعماق مياه البحر ، وأنهم لن يخرجوا من حروبهم الدامية وتضحياتهم الأسطورية بغير الفناء بلا جدوى ، وتوسيع شقة الخلاف بين المسلمين في وقت كانت فيه الهجمة الصليبية على بلاد الأندلس تهدد القواعد الإسلامية بالاندثار . لقد دفع الحقد الأعمى أمراء بني غانية إلى ارتكاب نفس الحماقة التي ارتكبها الموحدون في بداية دعوتهم عندما طعنوا المرابطين في الظهر ، وصدورهم تتلقى طعنات القوات الصليبية في الأندلس ، وها هم بنو غانية يقومون بنفس الدور ويوجهون طعناتهم الغادرة إلى الموحدين الذين كانوا آنذاك الدرع الفولاذي الصلب في وجه القوات الصليبية العاتية في بلاد الأندلس ، وكان المسلمون في الأندلس خاصة ، هم الخاسرين في كلتا الحالتين . ومهما يكن الأمر فقد نزلت قوات بني غانية إلى البر أمام ثغر بجاية ، وتمكنوا بالحيلة والخديعة ومعاونة أنصارهم في داخل المدينة من الاستيلاء على بجاية في السادس من شهر شعبان ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤[7] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٠٧ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٢ . (يدعو ابن خلدون عم « علي بن اسحق » بأبي الزبير ، والصحيح أن اسمه هو « الزبير » .
عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٥٤) .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٧ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٤٧ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٢ .
(٦) الفريد بل : بنو غانية ، ص٤١ .
(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٢ و ص٣٤٦ .
وابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٠٧ .
وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٨ - ١٩ . (يذكر بأن استيلاء بني غانية على بجاية كان في شهر شعبان ٥٨٠ هـ = ولم يحدد اليوم) ، وكذلك الذهبي : تاريخ الإسلام مخطوطة باريس ، رقم ٤٢٢٧ ورقم =

وقد أخطأ بعض المؤرخين وخلطوا ما بين استيلاء بني غانية على ثغر بجاية في السادس من شعبان ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤ م كما ذكرنا، وبين استعادة الموحدين لبجاية في التاسع عشر من شهر صفر ٥٨١ هـ = ٢٢ مايو ١١٨٥م[١]، وظنوا أن هذا التاريخ الأخير هو تاريخ استيلاء بني غانية على ثغر بجاية[٢]. أما صاحب الاستقصاء، فقد ذكر كلتا الروايتين حيث يقول، «وركب علي بن اسحق أسطوله، وطرق بجاية على حين غفلة من أهلها، واستولى عليها في صفر ٥٨١ هـ = مايو ١١٨٥ م»، وذكر رواية أبي زرع في استيلاء علي بن غانية على بجاية[٣] التي يقول فيها، «دخل علي بن اسحق مدينة بجاية يوم الجمعة السادس من شعبان سنة ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤ م..»[٤]. وبالاضافة إلى إجماع المصادر الآنفة الذكر على أن تاريخ استيلاء علي بن غانية على بجاية كان في شهر شعبان ٥٨٠ هـ = نوفمبر ١١٨٤ م[٥]، وبالتحديد في السادس من شعبان ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤ م[٦]، وقد اعتمد هذا التاريخ المؤرخ الفرنسي الفريد بل[٧]، نجد بأن ابن جبير الرحالة الأندلسي الشهير[٨]، يشير إشارة لطيفة خلال سرده لأخبار رحلته إلى بلاد المشرق نستشف منها بأن استيلاء بني غانية على بجاية كان في عام ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م، وقبل حلول شهر شوال بفترة من الزمن، يمكن خلالها وصول خبر الاستيلاء على بجاية إلى صقلية حيث أنه يقول ما يلي، «استهل هلال شهر شوال ليلة السبت ٥٨٠ هـ = الخامس من يناير ١١٨٥ م بشهادة ثبتت عند حاكم اطرابنش[٩]، وفي هذا

= ٥٤٠ كويت، ص ١٥٣. بينما اكتفى صاحب كتاب الاستبصار بذكر السنة فقط، ص ١٣١. وكذلك ابن أبي دينار صاحب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص١١٨.

(١) محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني، ص١٥٢. والفريد بل: بنو غانية، حاشية «١»، ص٤٢.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص١٤٨. والزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص١٥. وابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٩٢ وص٥٠٧.

(٣) الناصري: الاستقصاء، ج٢، ص١٥٩ - ١٦٠.

(٤) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٢٦٩. طبعة دار المنصور - الرباط ١٩٧٣.

(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٢ و٣٤٦. وابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٠٧. وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧ ص١٨ - ١٩.
والذهبي: تاريخ الإسلام مخطوطة باريس رقم ٤٢٢٧/ورقم الكويت ٥٤٠، ص١٥٣.

(٦) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٢ و٣٤٦.
والناصري: الاستقصاء، ج٢، ص١٦٠.

(٧) الفريد بل: بنو غانية، ص٤٢.

(٨) ابن جبير: هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي النشأة البلنسي المولد. كان من كبار العلماء والأدباء والفقهاء في بلاد الأندلس.

(٩) اطرابنش: مدينة بجزيرة صقلية، محاطة بالبحر من ثلاث جهات، وفي الجهة الرابعة وهي الشرقية منها يحيط بها جبل مرتفع كثير الكروم والفواكه، وتتصل به المدينة بواسطة قنطرة، ومرساها محمي من الرياح مما =

التاريخ المذكور وصلتنا أخبار موحشة من الغرب منها تغلب صاحب ميورقة على بجاية..»[١].
كما أن الرسالة الموحدية «التاسعة والعشرين» من إنشاء الكاتب أبي الفضل بن طاهر بن محشرة التي كتبها عقب استعادة الموحدين لبجاية وبقية المدن الأخرى التي استولى عليها بنو غانية في إفريقية والمغرب الأوسط، وذلك في الخامس من شهر ربيع الآخر ٥٨١ هـ = ٦ أغسطس ١١٨٥ م، تؤكد ما سبق أن ذكرناه بأن ١٩ صفر ٥٨١ هـ = ٢٢ مايو ١١٨٥ م، هو تاريخ استعادة الموحدين لثغر بجاية، وليس استيلاء بني غانية عليها كما يزعم بعض المؤرخين[٢].

العوامل التي ساعدت بني غانية في الاستيلاء على ثغر بجاية

بعد بضعة أيام من إبحار أسطول بني غانية من ثغر مدينة ميورقة بقيادة القائد البحري رشيد الرومي[٣]، وصل إلى ثغر بجاية في السادس من شعبان ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤ م[٤]، واستولى على المدينة دون أي مقاومة تذكر[٥]. وكان عامل المدينة السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن قد توجه إلى مراكش على رأس حامية المدينة قبل قدوم أسطول بني غانية ببضعة أيام[٦]، وكان السلام يخيم على المدينة، ولم يكن يتوقع كبار قادة الموحدين أن تتعرض مدينة بجاية لمثل ذلك الهجوم المباغت. ويصف ابن عذاري الوضع في مدينة بجاية قبيل استيلاء بني غانية عليها بما يلي: «وكان ظل الهدنة في تلك البلاد ممدود، وماء العافية بها مسكوب، والعيش كالأحلام والدنيا تحية وسلام»[٧]! وفجأة اعتكر الجو، وتبددت تلك

= جعلها من أهم مراسي صقلية هذا بالاضافة إلى كونها في منطقة زراعية خصيبة. (الحميري: الروض المعطار ص٣٩٠).

(١) رحلة ابن جبير - دار صادر بيروت ١٣٨٤ = ١٩٦٤، ص٣٠٩ - ٣١٠.

(٢) رسائل موحدية (الرسالة ٢٩). من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية/المطبعة الاقتصادية رباط الفتح ١٩٤١ م/تحقيق ليفي بروفنسال، ص١٦٨ - ١٨٠.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص١٤٧.

(٤) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٢، ٣٤٦.

(٥) الغبريني: عنوان الدراية، ص٧٧. وابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٠٧.
وابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص١٤٧.
وابن خلدون: العبر، ج٦، ص٥٠٧.

(٦) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٦. وابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٠٧. والفريد بل: بنو غانية، ص٤٢.

(٧) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص١٤٧.

الأحلام وخيم شبح الحرب على تلك المدينة ، بعد أن وصل أسطول بني غانية إلى شاطئها ، ولم يحاولوا النزول إلى البر في بادىء الأمر ، حتى يستوثقوا من مدى قوة دفاع المدينة ونقاط الضعف في أسوارها ، وتمكين أنصارهم في داخلها من إعداد العدة لمساندتهم ، فقاموا بإرسال زورق إلى أسفل سورها المطل على البحر ، وعلى متنه بعض ذوي الخبرة ممن يعرفون بجاية لجمع المعلومات الوافية عن وضع المدينة ، وقوة دفاعاتها ونقاط الضعف في أسوارها ، وعندما استفسر المشرفون على الأسوار ركاب الزورق عن سبب قدومهم إلى ذلك الثغر ، أجابوا بأنهم « غزاة بحر يطلبون مرافق السواحل وهم بين مخادع ومخاتل »[١] . ولم يكن قدوم أسطول من جزيرة ميورقة بالأمر الغريب أو المستهجن إلى ثغر بجاية ، وكما يقول الغبريني ، « وكانت أجفان اسحق بن غانية تصل إلى بجاية من ميورقة « لبيع ما تجمعه من أسرى الحروب البحرية في سوق الرقيق في بجاية » ، بحومة المذبح من جهة ربضها . . »[٢] . وعاد الزورق بعد أن جمع ركابه المعلومات الوافية عن أوضاع المدينة ، وتدارس قادة الحملة البحرية خطة الهجوم ، وفي صباح اليوم التالي أغاروا على بجاية[٣] ، واستخدموا الخدعة وأرسوا سفنهم « بمحل بيع السبي فيها » ، ويصف الغبريني كيفية الاستيلاء على المدينة قائلاً ، « وكانت البلدة شاغرة من الجيش ، فتلقاهم الناس على عادة تلقيهم لأجل السبي ، فنزلت الخيل معدة . . والناس ما عندهم من شأنهم خبر ، فطلعوا على جبل الخليفة ودخلوا من باب اللوز ، إلى قصبة البلد ، وتملَّكوا البلد ، ولم يكن فوق باب اللوز سور في ذلك الزمان . . »[٤]! ويذكر الحميري ما يلي عند حديثه عن بجاية ، « هجم عليها علي بن اسحق بن حمو » المشهور بابن غانية ، فملكها سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[٥] .

وما إن رست السفن ونزلت منها القوات حتى تلاحقت بها « جماعة من بقايا دولة بني حماد ، وصاروا مع علي بن اسحق ، فكثر جمعه بهم وقويت نفسه . . »[٦] . ويصف ابن عذاري كيفية اقتحام بني غانية لثغر بجاية قائلاً ، « . . وأقبل العدو من الغد على تعبية واستعداد وتأهب وامتداد ، قد تكفنوا في ضروب أسلحتهم ، وتعلقوا من الغربان بصدورهم وأجنحتهم ، وانضموا إلى السواحل والأسوار انضمام الطير إلى الأوكار ، وجنحوا إلى أحد الجهات ، بأسار تقدمت قبل من المكاتبات ، فتدلى لهم قوم من السوقة والفساق ، وأسروا لهم بعورات البلد وغفلة أهله ، وقلة المقاتلة من أهل النجدة به ، فقويت بذلك آمالهم وامتدت أطماعهم ،

(١) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٤٦ - ١٤٧ .
(٢) الغبريني : عنوان الدراية ، ص٧٦ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٤٧ .
(٤) الغبريني : عنوان الدراية ، ص٧٧ .
(٥) الحميري : الروض المعطار ، ص٨٢ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٠٧ .

وهبط لمحاربتهم أخلاط من الناس من غير قائد يجمعهم ، وكان في البلد من أرباب الأمر ما لو شاء الله لمنعوهم من الاستيلاء . . وعندما اجتمعت تلك المقاتلة ، أرسلوا عليهم سحاباً من القسي العاقرة وحراباً كالمنايا الماطرة فشقتهم عن آخرهم ، وتفرقوا كالفراش المبثوث لا ينظر أولهم إلى آخرهم . . وحين تكاملت أعداد خيلهم ورجلهم ، طلعوا إلى ثلم السور ، واستولوا على البلد بأسره وقبضوا على السيد أبي موسى وذويه وأهله ، وثقف من يتعين من الخدمة والموحدين . . »[١] . وكان أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن قد قدم إلى بجاية من « إفريقية » ، وكان والياً عليها هو وأخوه الحسن بعد أن أطلق سراحهما الأعراب مقابل فدية كبيرة[٢] ، وبعد أن تخلصوا من أسر الأعراب ، توجهوا إلى بجاية في طريقهم إلى مراكش ، فوقعوا في أسر الميورقيين[٣] . وبعد أن سيطر علي بن غانية على ثغر بجاية طلب من أهلها مبايعته ، فبايعوه ، ووجد من كبار رجالاتْ بجاية وعلمائها أنصاراً ومؤيدين ، ومنهم عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني[٤] ، الذي خطب في جامع بجاية في يوم بيعة علي بن غانية قائلاً من جملة ما قال : « . . الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصّابه . . » ، مما عرّضه إلى الاعتقال بعد استعادة الموحدين لبجاية[٥] . بينما أكره غيره من العلماء على البيعة ، ومنهم قاضي بجاية آنذاك حسن بن علي بن محمد المسيلي ، ومن كبار علمائها في أصول الدين ومن أدبائها وشعرائها المشهورين ، وامتنع عن مبايعة علي بن اسحق بن غانية الملقب بالميورقي في بادىء الأمر ، ولولا علو منصبه وحاجة بني غانية إلى نصير من أمثاله لتعرض إلى القتل[٦] .

ويصف الغبريني كيفية مبايعة حسن بن علي بن محمد المسيلي قاضي بجاية لعلي بن اسحق بن غانية قائلاً ، « . . ودخل عليه الموارقة[٧] ، وهو قاض . . وأكرهوه هو وغيره على بيعتهم ، وكانوا يتلثمون ، ولا يبدون وجوههم ، فامتنع عن البيعة ، وقال لا نبايع من لا نعرف هل هو

(١) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٤٧ - ١٤٨ .
(٢) وقع عيسى بن عبد المؤمن وأخوه الحسن في أسر الأعراب بعد أن هزما في معركة خاضاها ضد حشود من أولئك الأعراب ، الذين طلبوا فدية كبيرة لإطلاق سراحهما مقدارها ستة وثلاثين ألف مثقال من الذهب فأمر أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بأن تضرب لهم دنانير من الصفر مموهة بالذهب ، ولما تسلموها أطلقوا سراح أبا علي وأبا موسى وخدمهما وحاشيتهما وتوجهوا إلى بجاية فوقعوا في أسر بني غانية . (المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٦ - ٣٤٧) .
(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٦ - ٣٤٧ .
(٤) أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة : من كبار علماء بجاية في علم العربية وكان أديباً شاعراً مدح بني غانية وتعرض لغضب الموحدين : (الغبريني : عنوان الدراية ص٧٦ وما بعدها) .
(٥) الغبريني : عنوان الدراية ، ص٧٧ .
(٦) المصدر السابق ص٦٦ - ٦٨ .
(٧) نسبة إلى ميورقة ، ويعني بذلك علي بن اسحق بن غانية وقواته التي قدمت من جزيرة ميورقة .

رجل أو امرأة ، فكشف له الميورقي (علي بن اسحق بن غانية) عن وجهه ، وهذا منتهي ما بلغ توقعه وهو أمر كبير! ولولا علّو منصب الفقيه أبي علي ما ساعدوه عليه . . »[1] . وبالرغم من احجام بعض علماء بجاية عن مبايعة الأمير علي بن اسحق بن غانية ، إلا بعد إكراههم على ذلك ، إلا أن البعض الآخر وعلى رأسهم « الإمام الشيخ الفقيه الجليل المحدث الحافظ المتقن المجيد العابد الزاهد . . عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي . . »[2] ، لم يكتف بمبايعة بني غانية بعد استيلائهم على بجاية بل تجاوز ذلك إلى التعاون معهم بمحض رغبته ، « وكان قد دعي إلى خطتي القضاء والخطابة للموحدين ، فامتنع عن ذلك ، وأبى ودعي إلى ذلك حين دخلها الميورقي (علي بن اسحق بن غانية) ، فأجاب وكان ذلك سبب امتحانه عند خروج الميورقي عنها ورجوعها للموحدين »[3]. وكان علي بن اسحق بن غانية قد أقام سبعة أيام في بجاية من اليوم السادس من شعبان سنة ٥٨٠ هـ = ١٣ نوفمبر ١١٨٤ م ، وهو تاريخ استيلائه عليها ، وحتى العشرين من الشهر المذكور وفي يوم الجمعة العاشر من شهر شعبان ٥٨٠ هـ = ١٧ نوفمبر ١١٨٤ م صلى صلاة الجمعة[4] في بجاية ، « . . ودعا لبني العباس ثم للإمام أبي العباس أحمد الناصر منهم وكان خطيبه الفقيه الإمام المحدث المتقن أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي - مؤلف كتاب الاحكام وغيره من التآليف - فأحنق ذلك عليه أبا يوسف يعقوب أمير المؤمنين ، وهدد بسفك دمه ، فعصمه الله منه وتوفي حتف أنفه وفوق فراشه . . »[5] .

اجتياح بني غانية لإفريقية والمغرب الأوسط

بعد أن وطّد الأمير علي بن اسحق بن غانية دعائم حكمه في بجاية ، غادرها في ١٤ شعبان

---

(١) الغبريني : عنوان الدراية ، ص٦٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص٧٣ . (عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي : نشأ بإشبيلية وانتقل منها إلى لبلة ، وتثقف على علمائها ورحل إلى إفريقية ، وأخذ عن علمائها ، وأقام ببجاية وألف بها كتاب الأحكام الكبرى والصغرى والجمع بين الصحيحين ، كما ألف عدداً آخر من المؤلفات ، من أشهرها كتاب الحاوي في اللغة وكان عالماً جليلاً وفقيهاً كبيراً وزاهداً ، وربما تولى القضاء لبني غانية في بجاية ، فتعرض لغضب الموحدين وتوفي ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م) . ابن الزبير : صلة الصلة ، ص٤ - ٧ ترجمة رقم « ٩ » .
(٣) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص٥ ، ترجمة رقم « ٩ » .
(٤) يذكر الفريد بل في تاريخه عن بني غانية بأن استيلاء « علي بن اسحق بن غانية » . على بجاية كان في يوم الجمعة . بينما كان سكان المدينة في الجامع ، يؤدون صلاة الجمعة ، وقام بمحاصرة الجامع ، وتمكن من أسر وقتل من رفض مبايعته ، وأطلق سراح من خضع لسلطته . (الفريد بل : بنو غانية ، ص٤٢ - ٤٣) . وهو ما يتناقض مع الروايات الأخرى الآنفة الذكر ، والأرجح ما ذكره المراكشي أعلاه . (عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٤٦ - ٢٤٧) .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٤٦ - ٢٤٧ .

٥٨٠ هـ = ٢٠ نوفمبر ١١٨٤ م ، وتوجه على رأس قواته نحو الغرب[1] ، بعد أن بلغته الأنباء بأن والي بجاية سليمان بن عبدالله بن عبد المؤمن الذي كان متوجهاً على رأس بجاية إلى مراكش في طريقه إلى بجاية لاستعادتها بعد أن علم باستيلاء بني غانية عليها ، يسانده في ذلك ألف فارس من الأعراب[2].

ويقول ابن الأثير في هذا الصدد ، بأنه عندما سمع والي بجاية بخبر استيلاء بني غانية على المدينة « . . عاد من طريقه ومعه من الموحدين ثلاثمائة فارس ، وجمع من العرب والقبائل . . نحو ألف فارس ، فسمع بهم الملثم (علي بن اسحق بن غانية) ، وبقربهم منه فخرج إليهم وقد صار معه ألف فارس ، وتواقفوا ساعة ، فانضافت جميع الجموع التي كانت مع والي بجاية إلى الملثم ، فانهزم حينئذ والي بجاية ومن معه من الموحدين ، وساروا إلى مراكش ، وعاد الملثم إلى بجاية ، فجمع جيشه وخرج إلى أعمال بجاية ، فأطاعه جميعها إلا قسنطينة . . »[3]. ولم يذكر ابن الأثير أين دارت تلك المعركة ، بينما يذكر ابن خلدون بأن أبا الربيع سليمان بن عبد الله كان في مكان يدعى بايبيلول ، والأرجح أن أول معركة خاضها بنو غانية ضد الموحدين كانت في ذلك المكان ، وانهزم سليمان بن عبد الله والي بجاية ، بعد أن تخلى عنه الأعراب ، وانضموا لصفوف بني غانية ، كما انهزم معه كما يقول ابن خلدون والي قلعة بني حماد ، وانسحبا إلى تلمسان[4]. ويوضح ابن خلدون ذلك قائلاً ، « وكان والي القلعة قاصداً مراكش وهو يستخبر خبر بجاية ، فرجع وظاهر السيد أبا الربيع ، وزحف إليهما علي بن غانية فهزمهما واستولى على أموالهما ، ولحقا بتلمسان فنزلا بها على السيد أبي الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، الذي أخذ في تحصين تلمسان ورم

---

(١) المصدر السابق : ص٢٤٧ .
(٢) ابن الأثير : ج١١ ، ص٥٠٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٠٧ .
(قسنطينة : مدينة حصينة في « إفريقية » في (شرق المغرب الأوسط) محاطة بخندق عميق يحيط بها من ثلاث جهات ، وتقع على جبل مرتفع ولها بابان ، باب ميله في الغرب وباب القنطرة في الشرق ، وتشرف قسنطينة على بساتين واسعة ومزارع حنطة وشعير ، ويوجد في داخل المدينة عين ماء يستقي منها أهلها ، مما يساعدهم على الصمود أثناء الحصار . كما يصل إليها الماء على قناطر من مناطق بعيدة ، فيها مستودعات هائلة (مواجل) لتخزين المياه ، وتحيط بها القرى العامرة والأراضي التي تتميز بخصوبتها ووفرة إنتاجها ، وهي من المدن القديمة وفيها آثار ما زالت تشهد بعظمتها في العصور الغابرة . (الحميري : الروض المعطار ، ص٤٨٠) .
(٤) تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط ، وهي مدينة عظيمة قديمة وتقع على سفح جبل تكسوه غابات شجر الجوز وتحيط بها القرى والأرباض الخصيبة ، وتتميز بحصانتها ومناعة أسوارها ، وتوفر المياه فيها من نهرين أحدهما إلى الشرق منها ، والآخر ينساب من جبل مطل عليها يدعى بجبل الصخرتين ، وعليه أرحاء كثيرة تروي مزارع واسعة وافرة الخصوبة كثيرة الانتاج . (الحميري : الروض المعطار ، ص١٣٥) .

أسوارها ، وأقاما عند السيد يرومان الكره مع صاحب تلمسان . . »[١] . وكان « علي بن اسحق » قد ولى على بجاية قبل توجهه لقتال الموحدين أخاه « يحيى » ورشيد الرومي قائد الأسطول[٢] . واستعد استعداداً كبيراً لاجتياح المغرب الأوسط ، وزاد من عزيمته وإصراره انضمام الحشود الكبيرة من الأعراب إلى صفوفه من بني الجوشن ورياح والاثبج ، ولم يبق على ولائه للموحدين سوى بني زغبة[٣] . وانطلق الأمير علي بن اسحق في زحفه المظفر عبر بلاد المغرب الأوسط ، واستولى على مدينة الجزائر ، وولّى عليها ابن أخيه « يحيى بن طلحة » ، كما استولى على مازونة ومليانة وولّى على الأخيرة بدر بن عائشة[٤] . ومن مليانة توجه علي بن اسحق إلى قلعة بني حماد ، ودخلها عنوة بعد أن حاصرها ثلاثة أيام[٥] . ونلاحظ هنا بأن علي ابن اسحق لم يتجاوز مليانة باتجاه الغرب ، فبعد الاستيلاء على مليانة اتجه نحو جنوب شرق بلاد المغرب الأوسط ، وترك على يساره سهل المتيجه ، الذي قطعه أثناء زحفه المظفر غرباً ، وتوجه نحو الجنوب متبعاً خط مرتفعات الأطلس نحو قلعة بني حماد التي استولى عليها كما ذكرنا .

وهنا نتساءل هل كان في نية علي بن اسحق التوجه نحو تلمسان ومنها إلى مراكش ، وحال دون ذلك عوامل طارئة؟

للإجابة على هذا الاستفسار ، نقول ربما كان الأمر كذلك ، فقد وجد ابن غانية العون الكبير من البربر والأعراب في المغرب الأوسط إلى أن وصل إلى مليانة ، وهناك تغير الوضع إلى حد كبير ، فقد جابه بعد مليانة صلابة في المقاومة وعدم حماسة من القبائل البربرية للانضمام إلى صفوفه ، مما يجعلنا نرجح بأن ذلك كان عاملاً مثبطاً « لعلي بن اسحق » عن التقدم نحو الغرب ، والعامل الآخر هو تلقيه أنباء باستعدادات موحدية للتصدي لقواته مما جعله يتوقف عن الزحف غرباً وتركيز حملاته على شرق بلاد المغرب الأوسط[٦] . ولهذا توجه بعد استيلائه على قلعة بني حماد ، لإلحاح حلفائه الحماديين الذين كانوا يتطلعون إلى استعادة عاصمتهم القديمة[٧] ، نحو قسنطينة ، وفرض عليها الحصار ، وقاومه أهلها مقاومة شديدة ، ونظراً لحصانة المدينة لم يتمكن ابن غانية من الاستيلاء عليها[٨] . ويتضح ذلك من النص التالي الذي يقول فيه

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص٣٩٣ .
(٣) الفريد بل : بنو غانية ، ص٤٤ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٢ .
(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٦) الفريد بل : بنو غانية ، ص٤٦ .
(٧) المصدر السابق ، حاشية « ١ » ، ص٤٧ .
(٨) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٤٨ . والرسائل الموحدية - الرسالة التاسعة والعشرون ، =

الكاتب الموحدي أبو الفضل بن طاهر بن محشرة ، « بأن الشقي الميورقي . . قصد إلى قسنطينة . . مؤملاً اختداع أهلها ومقدراً نفوذ حيله في خترها وختلها ، ومعملاً جهده ومصرفاً مكره وكيده فيما يصل حبله الواهي بحبلها ، فألفى بصائر أهلها مستحكمة ، وعقائدهم على التقوى منبرمة ، وقلوبهم على الطاعة الصحيحة والموالاة الخالصة الصريحة ملتئمة ومنتظمة ، فخاب بحمد الله سعيه . . فداوم حصرها لزاماً . . وفي ذلك يذيقه أهلها حماماً ، ويقتلون من شرذمته . . الجمل الجمة فرادى وتؤاما . . »[١] ، وبينما كان علي بن اسحق يحاول جاهداً الاستيلاء على قسنطينة كانت القوات البرية الموحدية والأساطيل البحرية تتجه نحو الشرق للتصدي لابن غانية[٢] .

هزيمة بني غانية على يد الموحدين

عندما بلغت الخليفة يعقوب بن يوسف أنباء الهزائم المفجعة التي أحاقت بالقوات الموحدية في « إفريقية » والمغرب الأوسط ، أمر بإعداد حملة برية ضخمة بقيادة السيد أبي زيد ابن أبي حفص ابن عبد المؤمن ، تساندها الأساطيل البحرية بقيادة أحمد الصقلي وأبي محمد بن عطوش ، وجعل القيادة العليا للقوات البحرية لأبي محمد بن إبراهيم بن جامع[٣] . واستخدم الموحدون أسلوباً غاية في البراعة لتثبيط همم الموالين لبني غانية ، وكسبهم إلى جانبهم ، فقد أرسلوا كتباً « . . لأهل سائر البلاد المغلوب عليها بالأمن والأمان والعفو والصفح والإحسان . . ودسّوا بالكتب جواسيس ، دخلوا بها ليلاً إلى تلك البلاد ، واجتمعوا بها مع من يوثق به . . فلما وقفوا عليها ورأوا أنهم قد أمنوا غوائل العذاب ، وأن العفو والرحمة لهم مفتحة الأبواب ، وثبوا على من عندهم من الأعداء وأرصدوا لفرارهم بالمضايق وقبضوا على أكثرهم بتلك المخانق . . »[٤] . وقد قام هذا الطابور الخامس الذي جنده الموحدون بدوره خير قيام ، في وقت لم تكن قد استقرت فيه دعائم حكم بني غانية في تلك الأقاليم ، وقام أهل الجزائر بالثورة على « يحيى بن طلحة » ، وتمكنوا من أسره ومن بقي معه من الحامية الميورقية ، قبل وصول القوات البرية الموحدية ، وكان الأسطول الموحدي يقدم العون للثائرين في مدينة الجزائر ، ونزلت القوات البحرية إلى الجزائر واستولت عليها[٥] . وعندما اقتربت القوات الموحدية من مليانة انسحب عاملها « بدر

= ص١٧٢ - ١٧٣ من إنشاء كتّاب الدولة المؤمنية تحقيق ليفي بروفنسال - المطبعة الاقتصادية - رباط الفتح ١٩٤١ م .
(١) الرسائل الموحدية - الرسالة التاسعة والعشرون ، ص١٧٢ - ١٧٣ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٣ .
(٣) المصدر السابق ص٣٩٣ . وابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٤٩ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٠ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٠ .
والرسائل الموحدية - الرسالة التاسعة والعشرون - ، ص١٧٦ .

ابن عائشة » ليلًا ، وطاردته طلائع القوات الموحدية عندما بلغها نبأ فراره ، وأدركته عند بلدة « أم العلو » على نهر شليف ، واستبسل بدر بن عائشة في التصدي للقوات الموحدية وآزره بربر تلك الناحية حين استجار بهم ، وسقط في نهاية الأمر أسيراً في يد الموحدين الذين اقتادوه إلى السيد أبي زيد ، فأمر بقتله ، فقتل على الفور[1]. وقبل أن يتمكن « يحيى بن اسحق بن غانية » ، وأخوه « عبد الله » ، من التحصّن ببجاية ، فوجئا بقدوم الأسطول الموحدي واندلاع الثورة في داخل المدينة ، مما اضطرهما إلى مغادرتها على عجل على رأس عدد قليل من الحامية الميورقية ، ولحقا بأخيهما « علي ابن اسحق » ، الذي كان يحاصر آنذاك قسنطينة . وكان سبب إسراع الأسطول الموحدي بالتوجه إلى بجاية قبل وصول القوات البرية إليها هو وصول أنباء إلى السيد أبي زيد بأن يحيى بن اسحق عامل بجاية ، يعد إحدى السفن لنقل السيد أبي موسى عيسى ابن عبد المؤمن وكبار الأسرى من الموحدين إلى جزيرة ميورقة[2].

وعند وصول الأسطول الموحدي إلى ثغر بجاية ، نزل القائد البحري « أبو العباس أحمد الصقلي » في إحدى السفن إلى الساحل ، مع بعض أنصار الموحدين من أهل بجاية ، الذين تسللوا إلى المدينة ، وسربوا الكتب إلى أنصارهم من أهلها يحرضونهم على الثورة ، التي اندلعت في الوقت الذي كان بحارة الأسطول الموحدي يقتحمون الميناء ، وعلى رأسهم « أبو محمد بن جامع » ، وفتح لهم العامة من الثائرين على حكم بني غانية الأبواب ، مما مكّنهم من الاستيلاء على المدينة ، وأوقعوا بالحامية الميورقية وأنصار بني غانية مجزرة دامية ، واطلقوا سراح « السيد أبي موسى عيسى بن عبد المؤمن » ، ومن معه من الأسرى من كبار الموحدين . وهكذا استعاد الموحدون بجاية بضربة مباغتة في ١٩ صفر ٥٨١ هـ = ٢٢ مايو ١١٨٥ م ، بعد سبعة أشهر من استيلاء علي ابن غانيـة عليها . وقد تمكن يحيى بن اسحق وأخوه عبدالله من اللحاق بأخيهما « علي » الذي كان يحاصر قسنطينة ، نظراً لعدم إحداق القوات البرية التي تأخر وصولها لبجاية من ناحية البر ، وإلّا لما كان في وسع يحيى بن اسحق وأخيه عبد الله الفرار ومتابعة الصراع الدامي ضد الموحدين في جزر البليار « وإفريقية » والمغرب الأوسط[3]. وقد تمكن الأسطول الموحدي في هجومه المباغت على بجاية من الاستيلاء على أسطول جزر البليار ، وأسر بحارته وقادته وعلى رأسهم رشيد الرومي قائد الأسطول ، وكانت هذه الضربة المفاجئة خسارة فادحة لبني غانية ،

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٣ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص٥١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٣ .
ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص١٥٢ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص١٥٠ .
والفريد بل : بنو غانية ص٥٣ .
ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ، ص١٥٢ .

ويقول الكاتب الموحدي أبو الفضل بن طاهر بن محشرة في فقرة من إحدى رسائله بهذا الصدد ما يلي ، « . . وحصل في يد الموحدين . . ببجاية الضال الغوي المسمى رشيداً ، عظيم الأشقياء ومدبّر أمرهم وزعيم طغيانهم وكفرهم ، وموقد فتنهم وشرهم . وألفوا أسطول الخائن بجملته ، بجميع ما كان تأهب له من أهبة وعدّته ، فنفله الله أولياءه . . »[1]. وما إن وصلت الأنباء المفجعة إلى « علي بن اسحق بن غانية » في وقت كانت فيه مدينة قسنطينة على وشك السقوط في يده ، حتى اضطر إلى فك الحصار عنها ، وانسحب على رأس قواته إلى صحراء بلاد الجريد ، في شرق « افريقية »[2]. ويقول ابن الأثير بهذا الصدد ، بأنه بينما كان علي بن غانية محاصراً لقسنطينة « . . جاء جيش من الموحدين من مراكش في صفر ٥٨١ هـ = مايو ١١٨٥ م إلى بجاية في البر والبحر ، وكان بها يحيى وعبدالله أخوا علي بن اسحق الملثم ، فخرجا منها هاربين ولحقا بأخيهما فرحل عن قسنطينة وسار إلى إفريقية . . »[3].

ويقول ابن القنفذ القسنطيني بأن علي بن اسحق بن غانية ، « أشرف على أخذ قسنطينة بقطع الماء عنها ، ولجأ أهل البلد إلى صالحها الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف ، فسأل الله المطر فنزل! وكانت حملة عظيمة في الوادي خرقت سد الميورقي ، ولم يقدر على قطعه . . »[4]. وكان أبو زيد ابن أبي حفص بن عبد المؤمن قائد القوات البرية الموحدية قد اتجه على رأس قواته من معسكره بتكلات في ظاهر بجاية إلى قسنطينة ، وصحب معه السيد أبا موسى بعد أن فك أسره من أيدي بني غانية . وقبل وصول الطلائع الموحدية إلى قسنطينة انسحب علي بن اسحق إلى صحارى شرق « إفريقية » وتجنب الاصطدام بالموحدين ، في مواجهة غير مضمونة العواقب ، وفضل استدراجهم إلى الصحراء على أطراف بلاد الجريد ، وتبعه الموحدون إلى مقره في نقاوس ، ولكنهم أخفقوا في اللحاق به ، ووجدوا أن لا جدوى من الملاحقة[5]. وأعاد علي بن اسحق بن غانية تجميع صفوف قواته في بلاد الجريد وتدعّم مركزه بانضمام أعراب رياح وجشم المقيمين في تلك النواحي إلى صفوفه[6]. ويقول صاحب الاستبصار من كتّاب الموحدين ، بأن

---

(١) الرسائل الموحدية – الرسالة التاسعة والعشرون ، ص١٧٨ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٠ .
وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩١ . وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٧ . والفريد بل : بنو غانية ، ص٥٤ .
بلاد الجريد : في « إفريقية » على طرف الصحراء وقد سميت بهذا الاسم لكثرة النخيل بها ، وفي بلاد الجريد واحات خصيبة كثيرة الفواكه والثمار لوفرة المياه فيها . (كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص١٥٠) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٠٨ .

(٤) ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص١٠٣ .

(٥) ابن خلدون : ج٦ ، ص٣٩٣ . والفريد بل : بنو غانية ، ص٥٤ – ٥٥ .

(٦) الفريد بل : بنو غانية ، ص٥٥ .

علي بن اسحق بن حمو« محمد » بن غانية المسوفي ، « .. توغّل في بلاد الجريد وعاث فيها وسفك الدماء ، وأخذ الأموال وأباح الحريم ، وفعل ما هو لائق بجدته ووخامة مولده .. »[١]. وكان وصول علي بن اسحق إلى نواحي قسطيلية[٢] من بلاد الجريد في عام ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م[٣]، وسمع أبو الحسن علي بن اسحق بن غانية وإخوته بوجود شرف الدين قراقوش[٤] ، عند الحامة[٥] ، « فأرسلوا إليه رسولاً وقالوا ، إننا قوم من بني العباس ، ونريد دولتهم ونحن نريد أن نكون وإياكم مجتمعين .. »[٦].

وما إن وصل رسول علي بن اسحق بن غانية إلى شرف الدين قراقوش حتى استجاب إلى طلبه وأرسل إليه رسولاً لتوطيد العلاقة بينهما « يدعى بهاء الدين ساروج ، ومعه ستون فارساً من أجناده ، وشطار عسكره ، فلقيهم على حامة البهاليل ، يحاصرونها ، وقد كانوا نزلوا على توزر[٧] فما قدروا عليها ولا على نفطة[٨] وكدكين ، فلما وصلت الأتراك إليهم رجعوا إلى

---

(١) مجهول المؤلف : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص١٣١ .

(٢) قسطيلية : « قطر كبير من بلاد الجريد في إفريقية يشتمل على مدن كثيرة ، قاعدتها توزر » . (كتاب الاستبصار ، ص١٥٥) .

(٣) محمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٤) شرف الدين قراقوش التقوي : مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أخي السلطان صلاح الدين ، دخل إلى برقة على رأس قواته من الغز الأتراك ، واستولى عليها كما استولى على طرابلس ، وعاث فساداً في « إفريقية » ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م بالتحالف مع الأعراب ، في الوقت الذي توترت فيه العلاقات بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ، وتطلع الأيوبيون إلى الاستيلاء على بلاد المغرب ، لتكون ملجأ لهم إذ ما ساءت الأوضاع واضطرهم نور الدين إلى مغادرة مصر ، وبالرغم من تراجع تقي الدين عمر عن التطلع للاستيلاء على بلاد المغرب ، بعد وفاة نور الدين زنكي ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م ، إلا أن المغامر قراقوش التقوي استمر في زحفه عبر إفريقية وعيثه فساداً في شرقيها ، كما قام بنفس الدور ، إبراهيم بن قراتكين « سلاح دار المعظمي » ، نسبة إلى الملك المعظم شمس الدولة أخي صلاح الدين ، وقد قاما بدور خطير في إفريقية ، وتحالف قراقوش مع علي بن اسحق بن غانية ضد الموحدين . (المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص٥٣ . والكامل ، ج١١ ، ص٣٨٩ . وتاريخ ابن الوردي ج٢ ، ص١١٦ . وكتاب الاستبصار ، ص١١٠ . وشذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٠١ . ورحلة التجاني ، ص١١١ وما بعدها .

(٥) الحامة : من بلاد قسطيلية في إفريقية وتعرف بحامة البهاليل نسبة إلى بني بهلول من سادات قسطيلية وهم من بقايا الروم وعندهم كرم وبر بالأضياف ، وبلدتهم كثيرة التمر والزيتون والفواكه (كتاب الاستبصار ، ص١٥٧) .

(٦) محمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٧) توزر : « مدينة قديمة من كورة قسطيلية ببلاد الجريد في شرق « إفريقية » محاطة بسور مبني بالحجارة والطوب وحولها أرباض واسعة ولها أربعة أبواب . وتعتبر من أكثر بلاد الجريد تمراً وتقع على أطراف الصحراء .. وأهلها من بقايا الروم الذين اسلموا وكذلك أكثر أهل قسطيلية وبلاد الجريد ، كما أن فيها جماعات من العرب والبربر .. » (كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص١٥٥) .

(٨) نفطة : « من بلاد قسطيلية ببلاد الجريد وبينها وبين توزر عشرون ميلاً وهي بلدة قديمة محاطة بسور من =

الحامة المذكورة ، فأخذوها عنوة وقتلوا ألفاً وسبعمائة رجل ونهبوها ، وكانت من البلاد الحسنة الطيبة الكثيرة البساتين والفواكه ، وانعقد الصلح ، وتقررت القاعدة على أن تكون البلاد نصفين ، يكون لشرف الدين من البلاد نوية ، ومن نوية إلى الغرب للمايرقي (علي بن اسحق بن غانية) ، ومهما فتحوه من بلاد تكون قسمة بينهما ، واتفقوا على ذلك وتحالفوا وتجمعوا ، ولم يزالوا بقية سنتهم يرحلون من موضع إلى موضع ويتمادون ..[١]. ولم يكن علي بن اسحق بن غانية يجهل قبل إقدامه على مغامرته بالاستيلاء على بجاية ، الدور الخطير الذي كان يقوم به قراقوش التقوي في برقة وطرابلس وإفريقية ، واستنزافه للموحدين في تلك الأقاليم ، وقد وضع في حسابه التعاون معه في محاربة الموحدين ، بالاضافة إلى الأعراب الذين كانوا يعيثون فساداً من أطراف برقة إلى أقاصي المغرب ، الذين كانوا على أتم استعداد للتعاون مع أي مغامر يوفر لهم الأسلاب والغنائم ، وكانوا يغيّرون ولاءهم وفقاً لمصالحهم ، لا تربطهم رابطة ولا يتقيدون بعهد ، يخضعون للقوة ويتمردون على كل سلطة عندما يشعرون بأي بادرة ضعف! وقد وجد علي ابن اسحق بن غانية في هؤلاء الأعراب خير حلفاء ضد الموحدين ، كما وجد في المغامر شرف الدين قراقوش التقوي وجنوده الأتراك الغز سنداً قوياً يحقق طموحاته في استنزاف قوة الموحدين[٢]. كما وجد في بني الرند أمراء قفصة[٣] الناقمين على الموحدين ، النصرة والتأييد ، وساندوه في الاستيلاء على قفصة . ويقول صاحب الاستبصار بأن أهالي قفصة ظلّوا على ولائهم للموحدين حتى سنة ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م ، « .. فمر عليهم الشقي الميورقي (علي بن اسحق بن غانية) فأدخلوه البلد وملّكوه .. »[٤]. وبينما كان علي بن غانية في طرابلس لعقد اتفاق مع خليفة قراقوش التقوي وصلته الأنباء باستيلاء علي بن الربرتير على ميورقة[٥].

تخلص علي بن الربرتير من الاعتقال واستيلاؤه على جزيرة ميورقة

كان الأمير علي بن اسحق بن غانية قد اعتقل القائد الموحدي علي بن الربرتير في سجن

= بناء الأول وفيها غابة كثيرة النخل والبساتين وجميع الفواكه وهي كثيرة الخصب ولها نهر يسقي بساتينها .. » (كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص١٥٦ - والروض المعطار ، ص٥٧٨) .

(١) محمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) الفريد بل : بنو غانية ، ص٤٠ - ٤١ .

(٣) قفصة : مدينة قديمة من بلاد الجريد بشرق « إفريقية » شديدة الحصانة محاطة بالبساتين لغزارة مياهها كثيرة الأثمار والغلات . (كتاب الاستبصار ، ص١٥٠ وما بعدها) .

(٤) مجهول المؤلف : كتاب الاستبصار ، ص١٥١ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٩ . ومخائيل أماري : المكتبة الصقلية ، ص٧ .

القصبة بمدينة ميورقة قبل قيامه بحملته الآنفة الذكر على ثغر بجاية[1]، وبينما كانت الأحداث الخطيرة تتتابع في إفريقية والصراع الدامي بين الموحدين وبني غانية يزداد استفحالاً، وقع حادث خطير في مدينة ميورقة عاصمة كبرى جزر البليار. فبينما كان علي بن غانية يحاصر قسنطينة كما يقول كمبانير والفريد بل، وصلته الأنباء باستيلاء علي ابن الربرتير على جزيرة ميورقة[2]. والأرجح هو ما ذكرته مصادرنا الإسلامية بأن تلك الأنباء وصلت إلى علي بن اسحق وهو في ثغر طرابلس، ويقول ابن خلدون بهذا الصدد، « .. وبلغ الخبر علي بن غانية بمكانه من طرابلس فبعث أخاه عبد الله إلى صقلية وركب منها إلى ميورقة ونزل في بعض قراها، وعمل الحيلة في تملك البلد »[3]. ويرد نفس النص في ذيل اللباب[4]. وتفصيل ذلك هو أن علي بن الربرتير تمكن بدهائه وحنكته من إغراء حراس سجن القصبة بمدينة ميورقة بتأييده ونصرته بعد أن مناهم بالوعود، فأطلقوا سراحه، وحاربوا إلى جانبه، ومكنوه من الاستيلاء على حي القصبة. ويوضح ابن عذاري ذلك قائلاً بأنه عندما توجه علي بن غانية على رأس حملته البحرية إلى ثغر بجاية، « .. خرج معه شوكة أجنادهم ورجالهم وأنجادهم، وخلا الجو لأبي الحسن (علي بن الربرتير)، وأمكنته الفرصة في إعمال الحيلة في تخلصه من ثقافه.. وكان الأعلاج جلّ حاشيتهم والمطّلعين على أسرارهم، وكان أكثرهم على أديانهم يرومون الانتقال إلى أوطانهم، فاستمالهم القائد المذكور مدة اعتقاله استمالاً أخذ بعقولهم واستهواهم، وبسط لهم في المواعيد ومناهم، وعهد إليهم عند تمكنه من مراده، وإغاثتهم له على ما يرومه من استيلائه واستبداده، بأن يجهزهم إلى بلادهم ويخلي سبيلهم بأهلهم وأولادهم.. »[5]. أما ابن خلدون فيقول ما يلي « .. فلما وصل ابن الربرتير إليهم نكروا شأنه على أخيهم (محمد)، واجتمعوا دونه وتقبضوا عليه وعلى ابن الربرتير، وقدموا عليهم أخاه علياً وركبوا الأساطيل إلى بجاية، فلما خلا الجو منهم، دبر ابن الربرتير في أمره وداخل مواليهم من العلوج في تخلية سبيله من معتقله، على أن يخلي سبيلهم بأهليهم وولدهم إلى أرضهم، فتم له مراده منهم.. »[6]. ويعلل الفريد بل وجود الأعداد الكبيرة من المسيحيين في ميورقة في تلك الفترة، بالحملات البحرية الواسعة النطاق التي كان يقوم بها بنو غانية على سواحل البلاد المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط واستعانتهم بهؤلاء الأسرى من العبيد المعتقين، وتركهم في جزر البليار لأن اصطحابهم

(1) ابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص١٤٦ - ١٤٧ وص ١٥٥ وما بعدها.
(2) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٤٨ - ١٤٩.
والفريد بل: بنو غانية، ص٧١.
(3) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٥٠٩.
(4) مخائيل أماري: المكتبة الصقلية نقلًا عن ذيل اللباب، ص٧ - ٨.
(5) ابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص ١٥٥.
(6) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص٥٠٩.

معهم إلى إفريقية يحرجهم أمام حلفائهم من الأعراب والأتراك الغز[1]. وبعد أن تمكّن من كسب ولاء وتأييد حراس سجنه، أطلقوا سراحه في يوم جمعة، والناس منشغلون في صلاتهم، ونجحت الخطة وتمكن علي بن الربرتير من الاستيلاء على قصبة مدينة ميورقة، وإطلاق سراح محمد بن اسحق من معتقله من أقصى الجزيرة. ويوضح ابن عذاري الخطوات التي قام بها علي بن الربرتير في الاستيلاء على جزيرة ميورقة قائلاً بأنه بعد أن اطمأن علي بن الربرتير إلى حراس سجنه واطمأنوا إليه، اتفق معهم على أن يكون موعد التنفيذ في يوم جمعة، « .. عند افتراق الناس إلى طهارتهم واشتغالهم بالتأهب لفرض صلاتهم، فوصلوا في الميعاد وخرجوا معه من فورهم وأغلقوا أبواب القصبة وتعلقوا بالأسوار وفتحوا بيوت الأسلحة وأخذوا منها فوق المقدار، وأحالوا على رجال القصبة من لمتونة ومسوفة وحواشيهم.. واستأصلوهم بالقتل إلى آخرهم، فما اجتمع أهل البلد إلا وقد أعضل داؤهم.. فانحشر إليهم أهل البلد والجزيرة ونصبوا عليهم المجانيق والآلات، وأحاطوا بقتال القصبة من كل الجهات، فكلما سددوا إليهم سهاماً وأرسلوا عليهم حجارة وأشرعوا لهم سناناً، دفع أبو الحسن (علي بن الربرتير) على السور شخصاً من ذرية اسحق بن غانية، يعارض به ويتقي السهام والأحجار، وأكثر ما كان يعمل ذلك « بأم علي بن غانية » وأبنائه وخاصته وإخوته، فكان أهل البلد يكفون عن القتال ويرغبون في استنزال، وتمادت الممانعة أياماً وصرفوا بينهم أثناء ذلك.. عهوداً مؤكدة وأيْماناً »[2]. ويذكر ابن عذاري مضمون هذه العهود والاتفاقات قائلاً، « وكان أبو عبد الله (محمد) بن اسحق ابن غانية قد تحصن بأقصى الجزيرة من سجن إخوته، على ما كان أراده من الخروج من الجزيرة إلى الأمر[3]، وتقدم هجرته فوصلت المصالحة والمهادنة بين أهل البلد، وبين القائد أبي الحسن علي بوصول أبي عبد الله وارتباطه معه، ونزوله وتخليه عن البلد له، فسيق أبو عبد الله المذكور، فنزل أبو الحسن له، بعدما استصفى كل ما أراد أخذه من ديارهم وما قدموا به أنفسهم من ذخائرهم، وسرح كل من كان بالبلد من الروم المجندين والمتملكين بأموالهم وأهلهم وجهزهم جميعهم كما وعدهم إلى بلادهم، وخرج أبو الحسن المذكور ولحق بالحضرة.. »[4].

ومن الطريف أن إحدى المدونات المسيحية ذكرت هذه الواقعة بأسلوب ظلّ يحيطه الغموض والشك حتى اكتشاف النصوص الإسلامية واطلاع المستشرقين عليها[5]، وترجمة النص المشار

(1) الفريد بل: بنو غانية، ص٦٨.
(2) ابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص ١٥٦.
(3) « الأمر » في الاصطلاح الموحدي هو الخليفة. (عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٥١، حاشية « ١ »).
(4) ابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص١٥٦.
(5) من أهم هذه النصوص التي اطلع عليها المستشرقون في القرن التاسع عشر عن تاريخ جزر البليار هي ترجمة دي سلان لكتاب العبر لابن خلدون، وترجمة نفح الطيب للمقري، وتعليقات حاينجوس الهامة عليه. =

إليه في مدونة سان فكتور دي مارسيليا هو ما يلي ، « في سنة ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م قام المسيحيون بمهاجمة قصر مدينة ميورقة ، وحرروا من كان به من الأسرى »[١] .

ويعلق الباروكمبانير المؤرخ الميورقي على نص مدونة سان فكتور الآنف الذكر ، بأن الدارسين كانوا يقرأون هذا النص باستغراب ، ولم يكن من الواضح بالنسبة لهم قيام جماعة من المسيحيين في جزيرة ميورقة بالسيطرة على قصر المدينة ، في وقت كانت فيه سيطرة المسلمين كاملة على تلك الجزيرة . واختلط الأمر عليهم واعتقدوا بأنها إحدى حملات قطلونية وأرغون ، ولكنهم ظلوا يتساءلون بتعجب واستهجان كيف يمكن أن يكون ذلك الهجوم قاصراً على الاستيلاء على القصر وتحرير الأسرى فقط ؟ وظل هذا التساؤل قائماً حتى عرف العالم المسيحي ما كتبه المؤرخون العرب عن استيلاء ابن الربرتير على جزيرة ميورقة ، ومنذ ذلك الحين أصبح نص مدونة سان فكتور San Victor واضحاً كل الوضوح [٢] .

استعادة بني غانية لجزيرة ميورقة

تختلف المصادر التي بين أيدينا في موقف الأمير محمد بن اسحق بن غانية بعد إطلاق سراحه من معتقله في أقاصي جزيرة ميورقة ، فبينما يذكر الباروكمبانير بأنه تولى الحكم في الجزيرة وأعلن اعترافه بسلطة الموحدين وأمر بأن يخطب على المنابر للخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، كما قام بإرسال سفارة إلى الخليفة الموحدي بصحبة أبي الحسن علي بن الربرتير عند توجهه إلى الحضرة لإعلان خضوعه الكامل . وما إن علم الخليفة يعقوب المنصور بما جرى في جزيرة ميورقة من أحداث واستسلام محمد بن اسحق لمشيئته حتى سارع بإرسال أسطول موحدي بقيادة أبي العلا ابن جامع ، لكي يحتل باسمه جزيرة ميورقة ، فشعر محمد آنذاك بخطر الموحدين وتهديدهم لعرشه ، فسارع بالكتابة إلى قومس برشلونة طالباً منه أن يرسل إليه بعض القوات حتى يتمكن من مقاومة القوات البحرية الموحدية ، ولبى قومس برشلونة نداء محمد بن اسحق بعد أن تعهد له بدفع نفقات الجنود الذين يبعثهم إلى نجدته ، ولما رأى شعب ميورقة المسلم نفسه بن نارين ، نار الموحدين ونار الجنود المسيحيين الذين أرسلهم قومس برشلونة ، قاموا بالثورة على محمد بن اسحق بسبب سياسته المتقلبة ، وعزلوه من جديد ، وولوا مكانه أخاه تاشفين[٣] . وقد اعتمد الفريد بل

= (الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، حاشية ١٩ ، ص١٠٥) . وكتاب البيان المغرب/لابن عذاري ، القسم الموحدي ، الذي ظل مجهول المؤلف ويدعى بنسخة كوبنهاجن . (الفريد بل : بنو غانية ، ص٣٦ ، حاشية « ١ ») .

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٥٠ ، حاشية « ١٩ » ، نقلاً عن مدونة سان فكتور دي مارسليا التي نشرها فلوريث ، إسبانيا المقدسة ، ج٢٨ ، ص٣٤٦) .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٥٠ - ١٥١ . (ذكر نفس الرواية ابن خلدون في العبر ، ج٦ ، ص٥١٥ - ٥١٦) .

النص الآنف الذكر[١] ، وإن كان قد أشار في إحدى حواشي كتابه إلى غموض رواية كمبانير وتناقضها[٢] ، ونؤكد ما أشار إليه الفريد بل ، من تناقض رواية كمبانير وتضاربها ، يشجعنا على ذلك ، ما تمكنا من الاطلاع عليه من نصوص إسلامية لم يتمكن كمبانير من الاطلاع عليها ، كما لم يتح المجال لالفريد بل الاستعانة بها في بحثه عن بني غانية .

وأهم هذه النصوص هي ما ذكره ابن عذاري ، إذ يقول ان أبا الحسن بن الربرتير « .. لحق بالحضرة مع أبي عبد الله بن اسحق مبادراً بالطاعة ، فبلغ من الكرامة أمله ، ورأى من الإحسان فوق ما أمّله - وبقيت الجزيرة في حكم الموحدين - والخطبة باسم المنصور أمير المؤمنين حتى يقع نظره فيمن يوجهه إليها والياً عليها ، وفي أثناء النظر لها ركب عبد الله بن غانية من إفريقية إلى صقلية ، وأعين منها بجفن يجهز فيه إلى ميورقة ، وانضم إلى بعض قرى في أطرافها ، وخدع بعض الرعية باستمالتها واستلطافها ، فخرج عندهم وأعانوه بدواب ورجال وسار إلى البلد فدخله بتلطف واحتيال .. »[٣] . ويؤيد ابن خلدون ما ذكره ابن عذاري عن مغادرة محمد بن اسحق بن غانية لجزيرة ميورقة بصحبة أبي الحسن علي بن الربرتير حيث يقول ، بأن أبا الحسن علي بن الربرتير « .. استنقذ محمد بن اسحق بن غانية من مكان اعتقاله ، ولحقوا جميعاً بالحضرة .. »[٤] . ولكنه يعود في رواية ثانية يناقض ما سبق ذكره ، ويقول عن فتح الموحدين لجزيرة ميورقة ما يلي ، « وكان من خبرها أن محمد بن اسحق لما فصل إخوته علي ويحيى إلى إفريقية وولوا على ميورقة أخاهم طلحة[٥] ، داخل محمد بعض الحاشية ، وخرج من الاعتقال هو وابن الربرتير ، وقام بدعوة المنصور ، وبعث بها مع ابن الربرتير ، فبعث المنصور أسطوله مع أبي العلاء بن جامع ليملك ميورقة ، فأبى محمد ذلك وراسل طاغية برشلونة في المدد بجند من النصارى يستخدمهم ، فأجابه وانتقض عليه أهل ميورقة لذلك وخشوا عادية المنصور فطردوا

(١) الفريد بل : بنو غانية ، ص٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، حاشية « ١ » ، ص٧٠ . ويذكر الفريد بل بأنه اعتمد على ما ذكره قديرة المؤرخ الأسباني في هذا الصدد نظراً لغموض نص كمبانير ، ومع ذلك لم يخرج في نصوصه عما ذكره كمبانير ، وأرجح أنه أخذ عنه ولم يشيرا كلاهما إلى المراجع التي اعتمدا عليها .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٦ - ١٥٧ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٩ ، ومن الغريب أن يذكر الباروكمبانير روايته الآنفة الذكر عن تولي محمد بن اسحق الحكم في جزر البليار بعد إطلاق سراحه من الأسر برغم اطلاعه على ترجمة العبر لابن خلدون كما يذكر في حواشي كتابه ، وأغرب من ذلك أن لا يشير الفريد بل إلى هذه النقطة ، بالرغم من اعتماده على نصوص ابن خلدون .

(٥) يناقض ابن خلدون نفسه ، ويذكر في رواية أخرى بأن أبناء اسحق بن غانية ولوا على جزيرة ميورقة قبل إقلاعهم لإفريقية عمهم أبا الزبير . (العبر ، ج٦ ، ص٣٩٢) ، كما أخطأ في اسم عم « أبناء اسحق بن غانية » فقد دعاه « بأبي الزبير » والصحيح هو « الزبير » . (المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٤) .

محمد بن اسحق وولوا عليهم أخاه تاشفين وبلغ ذلك علياً وهو على قسنطينة[١] ، فبعث أخويه عبد الله والغازي فداخلوا بعض أهل البلد وعزلوا تاشفين وولّي عبد الله .. »[٢].

ويقول عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد ما يلي ، « .. ورجع منهم عبد الله إلى جزيرة ميورقة ، فألفاها قد انتقضت عليهم ، ودعي فيها للموحدين ، فعل ذلك أخوهم أبو عبد الله ، محمد ابن اسحق ، فلما قدم عبد الله قام معه علج من علوج أبيه يسمى نجاحاً ، وكان نجاح هذا لم ينقض عهداً ولا نزع يدا طاعة ، وكان متحصناً في قلعة ومعه جماعة على رأيه من الموالي والجند ، فلما قدم عبد الله تلقوه وانضاف إليهم خلق من بوادي الجزيرة من الفلاحين ورعاة الغنم ، فتعهد بهم عبد الله إلى المدينة ، فلم يدفعه عنها أحد ، ولا امتنع عليه من أهلها ممتنع ، ففتحوا له الأبواب ودخلها بمن معه ، وأخرج أخاه محمداً ونفاه إلى الأندلس ، فحظى محمداً هذا عند المصامدة حظوة عظيمة وولوه مدينة دانية فلم يزل والياً عليها مات .. »[٣].

وعلى أي حال فإن من الثابت بقاء محمد بن اسحق بن غانية على ولائه للموحدين سواء كان قد توجه مع أبي الحسن علي بن الربرتير إلى حضرة مراكش[٤] ، أو أن بني غانية وأنصارهم في جزيرة ميورقة قد تغلبوا عليه وطردوه من الجزيرة ، فلجأ إلى الموحدين[٥] . ويدل على ذلك وصية يعقوب بن يوسف الخليفة الموحدي الذي أوصى بمحمد بن اسحق رجال دولته قبيل وفاته ، وطلب منهم « أن يحفظوا جانبه وأن يوفوه حق انقطاعه ، حتى تظهر عليه بركة انحياشه إلى هذا الأمر .. »[٦] . وتوليته عاملاً على دانية ، التي ظلّ يحكمها باسم الموحدين حتى وفاته[٧] . مما يجعلنا نستبعد ما ذكره ابن خلدون من التجاء محمد بن اسحق إلى قومس برشلونة عندما علم بعزم الموحدين على إرسال أسطول إلى ميورقة بقيادة أبي العلا بن جامع لحكم الجزيرة مباشرة باسم الموحدين[٨] . وهو النص الذي اعتمده كل من الباروكمبانير الميورقي[٩] ، والفريد بل المؤرخ

(١) يذكر ابن خلدون رواية أخرى يقول فيها ، « وبلغ الخبر علي بن غانية » (باستيلاء ابن الربرتير على ميورقة) بمكانه من طرابلس ، فبعث أخاه عبد الله إلى صقلية وركب منها إلى ميورقة . (العبر ، ج٦ ، ص٥٠٩).

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٥ – ٥١٦ .

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجبُ في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٥١ – ٣٥٢ .

(٤) وابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٦ – ١٥٧ .
وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٩ .

(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٥١ – ٣٥٢ .
وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٥ – ٥١٦ .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص٢٠٨ .

(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٥٢ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٩ – ٥٢٠ .

(٩) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٥٠ – ١٥١ .

الفرنسي في تاريخه عن بني غانية[١] . ومهما يكن الأمر فقد تمكن عبد الله بن اسحق بن غانية من الاستيلاء على جزيرة ميورقة ، وتشير النصوص التي بين أيدينا إلى الدور الهام والخطير الذي قام به ملك صقلية النورمندية آنذاك[٢] ، في تقديم العون إلى عبد الله بن اسحق الذي توجه إلى جزيرة صقلية من ثغر طرابلس ومنها أبحر إلى جزيرة ميورقة[٣] . ويذكر ابن عذاري ما يلي ، « وركب عبد الله بن غانية من إفريقية إلى صقلية واعين منها بجفن تجهز فيه إلى جزيرة ميورقة »[٤] .

ولا شك أنه كان لصقلية النورمندية مصلحة كبرى في تمزيق الوحدة الإسلامية ، وإضعاف نفوذ الموحدين في إفريقية ، الذين كانوا يشكلون خطراً داهماً على النورمنديين في جزيرة صقلية ، وكان غليام الثاني ملك صقلية يتوجس خيفة من الموحدين ، واضطر في عام ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م أن يدفع لهم اتاوة سنوية ، وأرسل إلى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن هدايا قيمة وذخائر نفيسة[٥] ، خاصة وأنه كان يعتمد على المسلمين في جزيرة صقلية في حرسه وجيوشه وأساطيله ، وكان المسلمون يشكلون نسبة كبيرة من السكان في عهد غليام الثاني ، ويتطلعون إلى التحرر من النير النورمندي[٦] . ويذكر ابن جبير في رحلته ما يلي ، « ووصل أمر من ملك صقلية (غليام الثاني) بعقلة المراكب بجميع السواحل بجزيرته بسبب الأسطول الذي يعمره ويعده ، فليس لمركب سبيل للسفر إلى أن يسافر الأسطول المذكور » ، وكان ذلك في شهر شوال ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م .. ، « وفي هذا التاريخ وصلتنا أخبار موحشة من الغرب منها تغلب صاحب ميورقة على بجاية ، والناس في مدينة اطرابنش بجزيرة صقلية ، يرجمون الظنون في مقصد هذا الأسطول الذي يحاول هذا الطاغية تعميره ، وعدد أجفانه فيما يقال ثلاثمائة ، بين طرائد ومراكب ، ويقال أكثر من ذلك ، ويستصحب معه نحو مائة سفينة تحمل الطعام .. فمنهم من يزعم أن مقصده الاسكندرية ، ومنهم من يقول ان مقصده ميورقة ، ومنهم من يزعم أن مقصده إفريقية ، ناكثاً لعهده في السلم بسبب الأنباء الموحشة الطارئة من جهة الغرب .. »[٧] . ويذكر ابن الأثير بأن صاحب صقلية (غليام الثاني) التمس الصلح من خليفة الموحدين يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٧٥ هـ = ١١٦٩ م ، عند قدوم الخليفة الموحدي للمهدية

(١) الفريد بل : بنو غانية ، ص٧٠ .

(٢) غليام الثاني (وليم الثاني) آخر ملوك أسرة هوتفيل النورمندية ، ٥٦٢ – ٥٨٥ هـ = ١١٦٦ – ١١٨٩ م .
(د. أحمد مختار العبادي : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص٩٠).

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٩ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٦ – ١٥٧ .

(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٦) رحلة ابن جبير ، ص٢٩٧ وما بعدها .

(٧) المصدر السابق ، ص٣١٠ .

عاصمة « إفريقية » ، فهادنه عشر سنين[١] .

يتضح من النص الآنف الذكر مدى اهتمام غليام الثاني ملك صقلية النورمندية بما كان يجري من أحداث في إفريقية بين بني غانية والموحدين ، ومدى استعداداته البحرية وقوة أساطيله ، ولا ندري إلى أين توجه ذلك الأسطول؟ والأرجح أنه بقي راسياً في مراسي صقلية يترقب تطور الأحداث بين بني غانية والموحدين استعداداً للتدخل في الوقت المناسب ، وكان بنو غانية كما يتضح مما ذكره ابن خلدون عن توجه عبد الله بن اسحق إلى ميورقة من ثغر طرابلس عن طريق صقلية ، على علاقة وثيقة بصقلية النورمندية لعدائهما المشترك للموحدين[٢] ، كما لا ندري مقدار العون الذي قدمه أسطول صقلية النورمندية لعبد الله بن اسحق بن غانية من أجل استعادة جزيرة ميورقة من أيدي الموحدين بالرغم من الهدنة المعقودة بينه وبين الموحدين ، وقد أشار ابن عذاري إلى أن عبد الله قد « أعين من صقلية بجفن تجهز فيه إلى ميورقة »[٣] ، ولا نتصور أن جفناً واحداً كان يكفي للإقدام على مثل هذه المغامرة الخطيرة .

والأرجح في نظرنا أن يكون غليام الثاني قد قدم عوناً كبيراً من سفن أسطوله إلى عبد الله ابن اسحق مكنه من توطيد أقدامه في جزيرة ميورقة ، والتصدي للأساطيل الموحدية التي أغارت على جزيرة ميورقة[٤] . وبعد أن وصل عبد الله بن اسحق إلى شاطىء جزيرة ميورقة وجد من سكان الجزيرة عوناً كبيراً ، كما وجد مساندة كبرى من نجاح أحد موالي أبيه اسحق ، الذي ظل معتصماً في أحد حصون الجزيرة مع جماعة من الموالي والجنود الذين ظلوا على ولائهم لبني غانية ، مما مكنه من الزحف على مدينة ميورقة عاصمة الجزيرة ، وانضم إليه أثناء زحفه ، الفلاحون ورعاة الأغنام ، وأرسل إلى أنصاره داخل مدينة ميورقة يطلب منهم العون والتأييد ، ففتحوا له الأبواب ودخل عاصمة الجزيرة دون أي مقاومة تذكر مستخدماً الحيلة ، وسيطر سيطرة كاملة على جميع جزيرة ميورقة[٥] . وما إن بلغت الأنباء باستيلاء عبد الله بن اسحق بن غانية إلى الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف المنصور حتى أمر بإرسال الأساطيل الموحدية ، لاستعادة ميورقة ، ولكنها فشلت في تحقيق ذلك ، وتعرضت إلى خسائر فادحة ، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد ، « وبعث المنصور أسطوله إلى (جزيرة ميورقة) مراراً مع أبي العلا بن

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٤٦٨ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٠٩ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٦ - ١٥٧ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٦ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٥١ - ٣٥٢ .
ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٦ - ١٥٧ .
مخائيل أماري : المكتبة الصقلية ، ص٧ - ٨ .

جامع ، ثم مع يحيى ابن الشيخ أبي إبراهيم الهزرجي ، فامتنعوا منهم وقتلوا منهم خلقاً كبيراً وقوي أمر عبد الله . . »[١] . وبالرغم من إخفاق الأساطيل الموحدية في الاستيلاء على جزيرة ميورقة إلا أن أسطولاً موحدياً بقيادة أبي العباس الصقلي تمكن من الاستيلاء على جزيرة يابسة سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م ، ويقول ابن عذاري في هذا الصدد ، « وفي سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م ، كانت حركة القائد أبي العباس الصقلي بالأساطيل المنصورة ، وهجموا على يابسة ودخلوها واستولوا عليها ، وقبضوا فيها على ابن نجاح القائد الميورقي الذي هرب عن ابن غانية للموحدين ، ثم نكث عليهم ، وقد كان خدع أهل يابسة ودخلها . . » . ويضيف ابن عذاري إلى ذلك قائلاً ، « وفي هذه السنة كان استيلاء يوسف بن أيوب على ما كان بيد الروم من بلاد الشام ، وغلبته على بيت المقدس وصرفه للمسلمين وضبطه على ما كان به من النصارى . . »[٢] .

كما استولت الأساطيل الموحدية على جزيرة منورقة ، وظل أمير البليار عبد الله بن اسحق ابن غانية يتطلع لاستعادة جزيرتي يابسة ومنورقة ، وبينما كان يسعى جاهداً لتقوية نفوذه في ميورقة كبرى جزر البليار استعداداً لمجابهة الموحدين في المعركة المصيرية المرتقبة[٣] ، كانت تدور رحى حرب دامية بين الموحدين وبني غانية في إفريقية ، وكان يقود القوات الموحدية الخليفة يعقوب المنصور بنفسه للقضاء نهائياً على قوات بني غانية ، وحلفائهم في إفريقية ، حتى يتفرغ لقتال ممالك اسبانيا المسيحية التي تكالبت على بلاد الأندلس[٤] .

الحرب بين بني غانية والموحدين في إفريقية

حاول الخليفة الموحدي يعقوب المنصور القضاء نهائياً على بني غانية بالاستيلاء على معقلهم الرئيسي في جزيرة ميورقة ، ولما فشلت الحملات البحرية المتتابعة التي أرسلها بقيادة أبي العلا ابن جامع ويحيى بن الشيخ أبي إبراهيم الهزرجي في الاستيلاء على هذه الجزيرة التي سيطر عليها عبد الله بن اسحق بن غانية سيطرة كاملة[٥] ، لم يجد الخليفة الموحدي مفراً من مجابهة بني غانية

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٦ .
(٢) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٦٩ - ١٧٠ . يشير ابن عذاري إلى الانتصار الذي حققه صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين التي حقق فيها نصراً مؤزراً على القوات الصليبية في بلاد الشام ، وقد توج انتصاره العظيم باستعادة بيت المقدس من أيديهم ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م .
(ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٣٤ وما بعدها) .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٢١٦ .
(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٨ وما بعدها .
رحلة التجاني ، ص١٤ وما بعدها ، وص١٦٢ .
ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٥٧ وما بعدها . وص٢١٥ وما بعدها .
ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٦ وما بعدها . وص٥٠٩ وما بعدها .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥٢٠ .

في إفريقية خاصة عندما بلغته الأنباء باستفحال خطرهم واستيلائهم على بلاد الجريد بالتحالف مع الأعراب والأتراك الغز، واستعد استعداداً كبيراً لهذه المجابهة من شهر شوال عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م. وما إن وصلت القوات الموحدية إلى تونس حتى أمر الخليفة ابن أخيه يعقوب بن عمر بن عبد المؤمن بالتوجه على رأس ستة آلاف من الفرسان للاشتباك مع قوات علي ابن اسحق بن غانية وحلفائه الأعراب والغز وكان اللقاء في عمره[١] في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٨٣ هـ = ٢٥ مايو ١١٨٧ م، ونشبت هناك معركة دامية هزمت فيها القوات الموحدية هزيمة كاسحة ومزقت شر ممزّق، وأسر في هذه المعركة علي بن الربرتير، وفر قائد الحملة يعقوب بن عمر مع فلول قليلة إلى تونس، واعتصمت جماعة من الهاربين في قفصة، وبعد أن انتهت هذه المعركة الدامية أمر علي بن غانية بقتل جميع من التجأ من الموحدين إلى قفصة كما أمر بتعذيب علي بن الربرتير ثم قتله وتعليق رأسه على باب قفصة[٢]!

وما إن بلغت أنباء الهزيمة المفجعة إلى الخليفة يعقوب المنصور حتى خرج بنفسه على رأس قواته وأرسل إحدى السرايا لمهاجمة مخيمات الأعراب، «الموالين للموارقة فشنوا الغارة عليهم مع الصباح واكتسحوهم وساقوا أموالهم وبلغ العرب الذين مع الموارقة ما حل بأحيائهم فانفضت جموعهم وتضعضعت محلة الموارقة بسبب ذلك..»[٣]. وقاد المنصور جميع قطاعات الجيش الموحدي بنفسه مستغلًا حالة الفوضى التي عمّت معسكر ابن غانية، واشتبك مع قوات علي بن اسحق وحلفائه من الغز الأتراك بقيادة شرف الدين قراقوش التقوي وبقية الأعراب الذين بقوا إلى جانبه، وكان اللقاء في حامة «حمة» مطماطة[٤]، وانهزم علي بن اسحق بن غانية وحلفاؤه هزيمة كاسحة، وانسحبت فلول قواته إلى صحراء توزر، وكان تاريخ هذه المعركة الدامية في التاسع من شعبان ٥٨٣ هـ = أكتوبر ١١٨٧ م[٥]، واستولى يعقوب المنصور على جميع

---

(١) عمره: فحص بأحواز قفصة من بلاد الجريد في إفريقية (الحميري: الروض المعطار، ص٤١٤).

(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٨.
وابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص٢١٦.
ورحلة التجاني، ص١٦٢. وابن خلدون: العبر، ج٦، ص٥٠٩.
والناصري: الاستقصاء، ج٢، ص١٦٠ - ١٦١.
وابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٢١. والحميري: الروض المعطار، ص٤١٤ - ٤١٥.
والفريد بل: بنو غانية، ص١١٨ وما بعدها.

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص٤١٤.

(٤) حامة مطماطة: «مدينة قديمة مسوّرة.. سكانها من البربر يعرفون بمطماطة وهي كثيرة التمر والزيتون والفواكه، وفي المدينة عين كبيرة شديدة الحرارة». (كتاب الاستبصار، ص١٥٠).

(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٤٩.
ومجهول المؤلف: كتاب الاستبصار، ص١٥٠. ورحلة التجاني، ص١٣٤ - ١٣٥.
والوزير محمد السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج٢، ص٣٧٩. =

بلاد الجريد وخضعت لحكمه قابس[١]، التي أسر فيها أهل قراقوش وأنصاره وأصحابه وبعث الخليفة يعقوب إلى تونس في البحر ومنها إلى مراكش[٢]. كما استولى على توزر[٣] وقفصة[٤] التي استسلمت بعد حصار شديد في أوائل ذي القعدة ٥٨٣ هـ = يناير ١١٨٧ م، وأمن يعقوب المنصور سكانها وقتل الأغزاز وكان بينهم إبراهيم بن قراتكين المعروف بسلاح دار المعظمي[٥]، واستسلمت للموحدين نفزاوة[٦] ونقيوس[٧]، ونفطة[٨]، «فعمهم من هذا الأمر العزيز وأمنه ما مهد أرجاءهم وصدق في فضل هذا الأمر العظيم رجاءهم»[٩].

وعندما أحاطت قوات يعقوب المنصور بقفصة «وصل خطاب قراقوش.. راغباً في التوحيد، خاضعاً ماداً يد الاستكانة! معلماً أنه إن قبلت توبته وأجيبت رغبته جاء إلى الموحدين مطيعاً، ووصلت في غدة إرسال أبي زيان، وهو زعيم من زعماء الأغزاز يضاهي قراقوش في قدره، ويقاسمه في أمره وكان قد انتبذ عنه، واستبد بطرابلس ونواحيها، وأظهر

= وابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص١٦٢ - ١٦٣.
وابن خلدون: العبر، ج٦، ص٥١٠.
وابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٢١.

(١) قابس: مدينة حصينة من بلاد الجريد في إفريقية بحرية صحراوية، كثيرة الثمار والغلات، يحيط بها واد خصيب وتبعد عن البحر ثلاثة أميال (الحميري: الروض المعطار، ص٤٥٠).

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٤١٥.

(٣) توزر: مدينة كبيرة من كورة قسطيلية ببلاد الجريد من إفريقية، تقع على طرف صحراء رملية صعبة العبور، يقال إن بها وادي رمل يجري كما يجري الماء، اتخذها علي بن اسحق بن غانية ملجأ له عند الخطر. (كتاب الاستبصار، ص١٥٥).

(٤) قفصة: مدينة حصينة من بلاد الجريد في إفريقية، تحيط بها بساتين واسعة لكثرة عيون الماء حولها، وفيرة الغلات والفواكه. (الحميري: الروض المعطار ص٤٧٧ وما بعدها، وكتاب الاستبصار، ص١٥٠ وما بعدها).

(٥) رحلة التجاني، ص١٣٨. والحميري: الروض المعطار، ص٤٧٩.

(٦) نفزاوة: قطر واسع من بلاد الجريد، ومن أهم مدنه طره، وهي بلدة حصينة كثيرة النخل، وبشرى وهي بلدة مسورة قديمة كثيرة الفواكه والزيتون والنخل، وايتمسلين وهي بلدة حصينة تحيط بها غابة من النخيل والزيتون، وبلدة تاورغي التي اشتهرت بعين ماء عميقة جداً وتحيط بها البساتين (كتاب الاستبصار، ص١٥٧ - ١٥٨).

(٧) نقيوس: من كورة قسطيلية ببلاد الجريد في إفريقية، تحيط بها غابة نخل وزيتون وجميع أنواع الفواكه، أكثر بلاد قسطيلية ثروة وألطفها مناخاً.
(كتاب الاستبصار، ص١٥٦).

(٨) نفطة: من كورة قسطيلية ببلاد الجريد في إفريقية، وهي بلدة قديمة تحيط بها بساتين الفواكه، كثيرة الخصب، ويشق بساتينها نهر وافر المياه وأهلها من ذوي اليسار، وأصلهم من الروم. (كتاب الاستبصار، ص١٥٦).

(٩) الرسالة الحادية والثلاثون من رسائل موحدية، ص١٩٦.

دعوة التوحيد فيها ، وصارت هذه البلاد كلها إلى معهودها من الطاعة والانتظام في سلك الجماعة . . »[١] .

ويذكر عبد الواحد المراكشي تحت عنوان، « مماليك الغز المصريون في المغرب » ما يلي ، « وفي سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م ورد علينا البلاد (بلاد المغرب الأقصى) الغز من مصر ، وكان ممن ورد علينا مملوك يسمى قراقش ذكروا أنه كان مملوكاً لتقي الدين ابن أخي الملك الناصر (صلاح الدين) ، ورجل يسمى شعبان ، ذكروا أنه من أفراد الغز ، ومن أجناد المصريين رجل يعرف بالقاضي عماد الدين مع آخرين ، فأحسن (يعقوب المنصور) نزلهم وبالغ في تكريمهم ، وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين ، وذلك أن الموحدين يأخذون الجامكية ثلاث مرات في كل سنة في كل أربعة أشهر ، وجامكية الغز في كل شهر لا تختل ، وقال : الفرق بين هؤلاء وبين الموحدين أن هؤلاء غرباء لا شيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الجامكية ، والموحدون لهم الإقطاع والأموال المتأصلة ، هذا مع أنه أقطع أعيانهم كإقطاع الموحدين أو أوسع ، فقد قطع رجلًا منهم من أهل إربل يعرف بأحمد الحاجب مواضع ليس لأحد من قرابته مثلها ، كما أقطع شعبان الغزّي بالأندلس قرى كثيرة تغل في كل سنة نحواً من تسعة آلاف دينار . . ولم يرد المغرب من طائفة الغز ألطف حساً ، ولا أزكى نفساً ، ولا أحسن محاضرة ، ولا أطيب عشرة من شعبان الغزّي ما لقيته ، إلا استنشدته أو أنشدني . . »[٢] ، ولم يكن شرف الدين قراقوش صادقاً في إعلانه رغبته في التوحيد والانضمام للموحدين ، كما ادعى في رسالته التي أرسلها للخليفة يعقوب المنصور في مطلع ذي القعدة ٥٨٣ هـ = يناير ١١٨٧ م ، وجيوش الخليفة الموحدي تحدق بمدينة قفصة[٣]. فقد كان كما قال التجاني ، « حارب بني عبد المؤمن ، وتلاعب بالمهاجرة إليهم تارة ، والفرار عنهم أخرى ، ودام ذلك نحواً من أربعين سنة إلى أن قتله (يحيى بن اسحق بن غانية) الميورقي . . »[٤] ، وكان دافعه إلى التظاهر بموالاة الموحدين للمرة الأولى فيما نرجح ، هو من أجل تخليص أهله الذين أسرهم الموحدون في قابس ونقلوهم إلى مراكش ، واستنقاذ ثروته الهائلة التي أودعها في تلك البلدة[٥]. وعاد يعقوب المنصور بعد استيلائه على إفريقية ، وإعادة

(١) المصدر السابق ، ص١٩٨ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٦٥ - ٣٦٧ .
(٣) الرسالة الموحدية الحادية والثلاثون من رسائل موحدية ، ص١٩٨ .
والرسالة الموحدية الثانية والثلاثون ، ص٢٠٤ وما بعدها .
(٤) رحلة التجاني ، ص١١٣ - ١١٤ .
(٥) الحميري : الروض المعطار ، ص٤١٥ .
وابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٢١ .

الأمن إلى ربوعها ، إلى بلاد المغرب في محرم عام ٥٨٤ هـ = مارس ١١٨٨ م ، وولّى السيد أبا زيد بن أبي حفص على إفريقية[١] .

مقتل علي بن اسحق بن محمد بن غانية وتولية أخيه يحيى

لم يتمكن علي بن اسحق بالرغم من جرأته وبسالته من تكوين مملكة مستقرة للمرابطين من بني غانية في إفريقية وبلاد المغرب ، واضطر بعد معركة حمة مطماطة التي فقد فيها معظم قواته إلى الانسحاب إلى سباخ صحراء توزر . ويذكر صاحب الاستبصار بأن علي بن اسحق بن غانية اجتاز تلك الصحاري الموحشة التي لا أثر للعمران فيها ، وكان يهلك كل من يحاول عبورها قائلًا ، « وشق صحراءها هذا الشقي في حين طلب الموحدين له أيام إقامة أمير المؤمنين على قفصة ، وأعانه على ركوبها ما تعوده أيام كونه مع أبيه بميورقة فإن من أفعاله ركوب ظهر اللجج طول النهار ، فإذا أقبل العشي طلب أهل البر للفرضة ، وكذلك فعل هذا الشقي ركب هذه الصحراء طول إقامة الخليفة ببلاد إفريقية ، فلما أقفل عنها رجع إلى أقرب البلاد لها ، وهي توزر فقضى نحبه عليها . . »[٢]. وقد أضفى على حكمه الشرعية بإقامة الدعوة للعباسيين « وبعث ولده وكاتبه عبد المؤمن إلى الخليفة الناصر ابن المستضيء ببغداد مجدداً ما سلف لقومه من المرابطين بالمغرب من البيعة والطاعة وطلب المدد والإعانة ، فعقد له كما كان لقومه وكتب الكتاب من ديوان الخليفة إلى ملك مصر والشام النائب عن الخليفة بها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فجاء إلى مصر فكتب له صلاح الدين إلى قراقش (شرف الدين قراقوش التقوي) واتصل أمرهما إلى إقامة الدعوة العباسية . . »[٣]. ويقول ابن العماد الحنبلي في حوادث عام ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م وفيه « استولى ابن غانية الملثم على أكثر بلاد إفريقية ، وخطب للناصر العباسي وبعث رسوله يطلب التقليد بالسلطنة »[٤]. وبالرغم مما أضفاه على حكمه من شرعية أكسبته ولاء قطاعات واسعة من سكان إفريقية والمغرب الأوسط ، إلّا أن سوء تصرف حلفائه من الأعراب وقيامهم بأعمال السلب والنهب واشتراطهم على الأمير علي بن اسحق أن يقاتلوا على طريقتهم واضطراره إلى مجاراتهم ، جعل جميع البلاد التي استولى عليها ابن غانية في حالة من الفوضى أو عدم الاستقرار ، بالاضافة إلى ذلك ، فقد كان يفرض على المدن المفتوحة شروطاً قاسية من أجل إشباع نهم حلفائه الأعراب إلى الغنائم والأموال ليظلوا على ولائهم له ، مما أفقده ولاء سكان تلك المدن الذين لم يكن لهم أي مصلحة في هذا القتال ، وزاد الطين بلة وحشية الغز

(١) الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص١٦ .
ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص١٦٦ .
(٢) مجهول المؤلف : كتاب الاستبصار ، ص١٥٩ - ١٦٠ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٦ .
(٤) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٦٨ .

الأتراك وقسوتهم واستباحتهم لمدن إفريقية وقراها وتطلعهم إلى جمع الأموال بأي وسيلة ، مما لم يمكّن علي بن اسحق من تنظيم حكم مستقر في إفريقية ، وما أسرع ما انهارت قواته بعد معركة حمة مطماطة أمام القوات الموحدية التي لم تمكنه من ترسيخ دعائم حكمه[1] .

ويذكر التجاني في رحلته نقلاً عن ابن شداد[2] عن ، « حال إفريقية وما تعرضت له من شدة أيام استيلاء علي بن اسحق الميورقي عليها » فقال ، « أخبرني أبو عبد الله محمد ابن البراء المهدوي وقد وصل إلى دمشق سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م ، وقال : فسألته عن أحوال إفريقية فأجاب ، هلك العباد وخربت البلاد . . »[3] .

وبالرغم من الهزيمة الساحقة التي تعرض لها علي بن اسحق بن غانية في معركة حمة مطماطة وانفضاض حلفائه عنه ولجوئه إلى صحراء توزر ، إلّا أنه سرعان ما عاد إلى الميدان ثانية عندما علم بعودة الخليفة يعقوب المنصور إلى مراكش[4] في محرم ٥٨٤ هـ = مارس ١١٨٨ م[5] .

ويقول صاحب الاستبصار عن مقتل علي بن اسحق ما يلي عند حديثه عن بلدة توزر « وهي المدينة السعيدة التي هلك عليها عدو الله شقي ميورقة رشقه الله سهماً في ترقوته فقضى نحبه ، وكان قد انتقم من أهلها سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م وحصرها مدة ، وضيق عليها حتى دخلها ثم أخرجه عنها الأمر العزيز وفر إلى الصحراء على وجهه واتصل ببني قره ، فعند قفول المحلة المنصورة عن بلاد إفريقية أقبل إليها ، وظن أن كل بيضاء شحمة ، فأتاه الموت من حيث لم يحتسب وقيل إنه كان سهم قوس اللولب . . »[6] . وأما التجاني فيقول ، « ومات علي ، على توزر ، جاءه سهم في ترقوته فمات منه »[7] . واكتفى ابن القنفذ السنطيني بقول ما يلي بهذا الصدد ، « ورجع المنصور إلى مراكش ، ومحلة الميورقي لم تزل ببلاد إفريقية ، وتوفي علي بن اسحق على توزر ، وبويع أخوه يحيى بن اسحق »[8] . أما عبد الواحد المراكشي فيروي الرواية

(١) سليمان مصطفى زبيس : تأملات حول محاولات إعادة الحكم المرابطي في المغربين الأوسط والشرقي . (مجلة ميورقة الصادرة من كلية الفلسفة والآداب بالمادي ميورقة جامعة برشلونة) ، ص١٩٥ .

(٢) ابن شداد : هو أبو محمد بن عبد العزيز بن شداد من ذرية المعز بن باديس الصنهاجي ملك إفريقية ، وله كتاب « الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان » ، من رجال آخر القرن السادس للهجرة هاجر إلى بلاد الشام ، ومات بها وكان من أمراء العساكر في دولة صلاح الدين الأيوبي . (رحلة التجاني ، حاشية « ١ » ، ص١٤) .

(٣) رحلة التجاني ، ص١٤ .

(٤) مجهول المؤلف : كتاب الاستبصار ، ص١٦٠ .

(٥) الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص١٦ .
ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص١٦٦ .

(٦) مجهول المؤلف : كتاب الاستبصار ، ص١٥٥ .

(٧) رحلة التجاني ، ص١٦٢ .

(٨) ابن القنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص١٠٣ .

التالية التي يقول فيها ، بأن الخليفة الموحدي يعقوب المنصور خرج بنفسه على رأس قواته « حتى لقي علي بن غانية بموضع يعرف بالحامة ، حامة دقيوس[1] ، فما وقف أصحاب علي إلّا يسيراً حتى انكشفوا عنه ، وأبلى هو عذراً فأثخن جراحاً ، وخرج فاراً بنفسه ، فمات في خيمة لعجوز أعرابية! . وكان حين خرج من ميرقة (ميورقة) خرج معه من إخوته عبد الله ويحيى وأبو بكر وسير ، فبقي هؤلاء المذكورون بعد موت أخيهم على من كان معهم من أصحابهم ، ثم رأوا أن يقدموا عليهم يحيى لما رأوا من شهامته وشجاعة نفسه فقدموه . . »[2] .

ويقول الحميري في هذا الصدد عند حديثه عن توزر ، « . . وعليها هلك علي بن اسحق الميورقي جاءه سهم في ترقوته فقضى نحبه ، وكان قد انتقم من أهلها سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م ، وحصرها مدة وضيق عليها ، وتحرك إليه صاحب مراكش (يعقوب المنصور) فكان من أمره ما ذكر[3] بينما يذكر ابن خلدون رواية أخرى يقول فيها ، « وقفل (الخليفة يعقوب المنصور) إلى المغرب سنة ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م ، ورجع ابن غانية وقراقش (قراقوش التقوي) إلى حالهما من الأجلاب على بلاد الجريد ، إلى أن هلك علي في بعض حروبه مع أهل نفزاوة سنة ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م ،أصابه سهم غرب كان فيه هلاكه ، فدفن هنالك وعفى قبره وحمل شلوه إلى ميورقة فدفن فيها ، وقام بالأمر بعده أخوه يحيى بن اسحق بن محمد بن غانية ،وجرى في مظاهرة قراقش وموالاته على سنن أخيه علي . . »[4] .

الصراع الدامي بين يحيى بن غانية والموحدين

تولى يحيى بن اسحق بن محمد بن غانية قيادة قوات ميورقة وحلفائها من الأعراب من بني سليم وهلال والغز الأتراك بعد وفاة أخيه علي[5] ، وناجز الموحدين مناجزة لا هوادة فيها بما عرف عنه من شهامة وشجاعة وإقدام[6] . وبالرغم من تظاهر قراقوش التقوي بمهادنة الموحدية

(١) والأصح هو حامة « حمة » مطماطة ، وعليها هزم الخليفة أبو يوسف شقي ميورقة واستأصل شأفته وسكانها قوم من البربر يعرفون بمطماطة . (كتاب الاستبصار ، ص١٥٠) . أما حامة دقيوس فهي حامة بني بهلول (البهاليل) . (كتاب الاستبصار ، ص١٥٦ – ١٥٧) .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٩ .

(٣) الروض المعطار ، ص١٤٤ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٧ – ٣٩٨ .

(٥) ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص١٠٣ .
وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٩ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٢ ، ص٣٩٩ .
ورحلة التجاني ، ص١٠٤ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٨ – ١٩ .
وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٤٩ .

وإعلانه توليته وطاعته[١] ، وتوجهه إلى بلاد المغرب ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م وإكرامه غاية الإكرام من قبل الخليفة يعقوب المنصور مع بقية من استسلم للموحدين من الأتراك الغز[٢] ، لشجاعتهم وبسالتهم ورغبته في الاستعانة بهم في الدفاع عن الثغور الإسلامية[٣] . .إلا أن قراقوش التقوي لم يكن مخلصاً في إعلانه توبته وطاعته للموحدين ، فقد ظل « يتلاعب بالمهاجرة إليهم وفراره عنهم ودام ذلك نحواً من أربعين سنة إلى أن قتله (يحيى بن اسحق) الميورقي »[٤] . والأرجح أن ما دفعه إلى التظاهر بمهادنة الموحدين هو رغبته في استعادة أهله ، الذين أسرهم الموحدون في قابس ، بعد أن امتنعوا فترة في قصر العروسين الحصين ، ونقلهم الموحدون إلى تونس ومنها إلى مراكش ، كما استولوا على أمواله الطائلة التي كان قد أودعها في حصون قابس[٥] ، وما إن حصل على بغيته حتى عاد ثانية إلى قتال الموحدين بالتحالف مع بني غانية[٦] .

ويقول ابن خلدون بهذا الصدد ، « ورجع ابن غانية وقراقش إلى حالهما في الاجلاب على بلاد الجريد ، إلى أن هلك في بعض حروبها ، مع أهل نفزاوة سنة ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م ، وقام بالأمر أخوه يحيى بن اسحق بن محمد بن غانية ، وجرى في مظاهرة قراقش ، وموالاته على سنن أخيه علي . . »[٧] . وفجأة وقع الخلاف بين يحيى بن اسحق ابن غانية وحليفه قراقوش التقوي ٥٨٦ هـ = ١١٩٠ م ، الذي أعلن للمرة الثانية عن خضوعه للموحدين ، وتوجه إلى تونس وقابل أبا زيد عامل إفريقية ، وأعلن طاعته ، « وتقبله السيد أبو زيد ابن أبي حفص بن عبد المؤمن » ، وأحيط هذا المغامر بالتكريم وأغدقت عليه النعم[٨] ! وربما يكون من أسباب مسالمة قراقوش للموحدين وتظاهره بطاعتهم للمرة الثانية ، علاقة بالظروف القاسية التي كانت تمر بها بلاد الشام ، وتكالب الأساطيل المسيحية على سواحلها ، واستنجاد صلاح الدين الأيوبي بالخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، لمساندته بالأساطيل ، مما حفز صلاح الدين إلى الضغط على قراقوش التقوي لمهادنة الموحدين . ويقول ابن خلدون في هذا الصدد ، بأن صلاح الدين الأيوبي « بعث

---

(١) الرسالة الحادية والثلاثون من رسائل موحدية ، ص١٩٨ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٦٥ – ٣٦٦ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥٢١ – ٥٢٢ .
(٤) رحلة التجاني ، ص١١٣ – ١١٤ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٢ ، ص٣٦٨ .
(٥) رحلة التجاني ، ص٩٥ – ١٠٤ . وابن الأثير : الكامل : ج١١ ، ص٥٢١ .
(٦) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٦ . والفريد بل : بنو غانية ، ص٨٧ .
(٧) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٧ – ٣٩٨ .
(٨) رحلة التجاني ، ص١٠٤ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٢ ، ص٣٥٩ .
وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٨ . والفريد بل : بنو غانية ، ص٩٠ .

صريحه إلى المنصور سنة ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م ، بطلب إعانته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس . . »[١] ، كما أرسل صلاح الدين في عام ٥٨٦ هـ = ١١٩٠ م أبا الحارث عبد الرحمن ابن منقذ[٢] سفيراً إلى الخليفة يعقوب المنصور . ويقول ابن عذاري في هذا الصدد في حوادث سنة ٥٨٦ هـ = ١١٩٠ م ، « وفي هذه السنة وصل ابن منقذ رسولاً عن صاحب الشام والديار المصرية يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين ، ووصل إلى المنصور أمير المؤمنين مخاطبات السيد أبي زيد من إفريقية والسيد أبي الحسن من بجاية بوصول المذكور إلى تلك البلاد . ثم قدمت المخاطبات إلى من بالمغرب من الولاة والعمال بالتوسعة له نزله والاحتفال به وأن يستقر بمدينة فاس ، فأقام بها إلى أن انقضت حركة المنصور (إلى بلاد الأندلس)[٣] ، فاستدعى الرسول المذكور فوصل إليه وقعد بين يديه وخلا به على اختصاص وانفراد . فتلقى الجواب من المنصور مجملاً ، وأحيل على ما يوضحه له الوزراء مفسراً ومكملاً . ولما دنا إيابه وحصل على ما تمكن جوابه ، أفيض عليه من النوال والإحسان وضروب من النعم السابغة والامتنان ، وقوبلت هداياه من العوض في نفاسة الأشخاص والأثمان وانصرف إلى بلاده . وقد رأى ووعى في طريقه وفي مدة إقامته ما علم أن بالمغرب ملك الإسلام ومقر الإيمان »[٤] . وبالرغم من كل ما ذكره ابن عذاري في نصه الآنف الذكر ، فلم تحقق هذه السفارة الغرض المرجو من إرسالها[٥] .

ويذكر ابن خلدون بهذا الصدد أن صلاح الدين أرسل أبا الحارث عبد الرحمن ابن منقذ « . .إلى المنصور بالمغرب بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ، ووزن مائة درهم من دهن البيلسان ، وعشرين رطلاً من العود ، وستمائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوساً أعرابية بأوتارها ، وعشرين من الفصول الهندية ، وسروج عدة ثقيلة ، ووصل إلى المغرب ووجد المنصور بالأندلس ، فانتظر بفاس إلى حين وصوله فلقيه وأدى إليه الرسالة ، فاعتذر له عن الأسطول وانصرف ، ويقال انه جهز له بعد ذلك ماية وثمانين أسطولاً ومنع النصارى من سواحل

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٤ . (وكتب الرسالة التي أشار إليها ابن خلدون ، القاضي الفاضل البيساني ، ويوجد نصها في صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٥٢٦ – ٥٣٠) .
(٢) أبو الحارث عبد الرحمن بن نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مزيد ولد في شيزر من بلاد الشام وهو البقية الباقية من أمرائها ، وتوفي في القاهرة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٤ م ، وكان شاعراً أديباً . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٢ . وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٤) .
(٣) كانت الأوضاع في الأندلس خطيرة للغاية في فترة انشغال الخليفة يعقوب المنصور في حرب علي بن اسحق ابن غانية ، مما دفع قشتالة إلى الإغارة على الثغور الإسلامية ، كما واصل ألفونسو هنريكيز عدوانه على ثغور بلاد الأندلس ، فقام الخليفة يعقوب المنصور بالعبور إلى الأندلس على رأس قواته في ربيع الأول ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م ، لوقف عدوان الممالك المسيحية . (البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٧٧ وما بعدها) .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٨٣ – ١٨٤ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٢ .

الشام »[1]! وبالرغم مما ذكره ابن خلدون في نهاية نصه الآنف الذكر ، فلم يصل من بلاد المغرب إلى سواحل الشام أية أساطيل وسقطت عكا في يد الصليبيين بعد حصار طويل ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م ، وتمكن الصليبيون من اجتياح سواحل جنوب بلاد الشام[2] ، مما اضطر صلاح الدين إلى توقيع صلح الرملة شعبان ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م ، مع « ملك انكلتار » (رتشارد قلب الأسد) ، تنازل بمقتضاه عن معظم ثغور ساحل الشام التي فتحها بعد معركة حطين ، كما أعطى للصليبيين حق زيارة بيت المقدس . ومهما يكن الأمر فقد كانت محاولة جليلة من صلاح الدين توحيد الجبهة الإسلامية ضد العدو المشترك[3] . وفي واقع الأمر لم يكن في وسع الخليفة الموحدي إمداد صلاح الدين بأي أساطيل في وقت كانت تتعرض فيه سواحل الأندلس الغربية والجنوبية الغربية إلى عدوان الأساطيل المسيحية المتوجهة إلى بلاد الشام ، التي كانت تقدم العون إلى ألفونسو هنريكيز (ابن الرنك) أثناء عبورها مياه المحيط الأطلسي في الإغارة على الثغور الإسلامية المطلة على المحيط ، ففي سنة ٥٨٥ هـ = ١١٩٠ م ، استولى ملك البرتغال « ابن الرنك » (ألفونسو هنريكيز) على ثغر شلب ، في جنوب غرب الأندلس بمساعدة « جملة من القراقير الرومية مجتازين على عادتهم إلى بيت المقدس مذ انتزع من أهل ملتهم ، فعلقت الأنواء القراقير المذكورة بجهة أشبونة فألفى ابن الرنك مادة لعونه وجيشاً ميسراً ، لما دبره من ختله وغدره ، ووجد منهم قبولاً لجهاد المسلمين ، فأحدقوا بشلب من كل الجهات وبالغوا في حصارها إلى أن تملكوها . . »[4] . ويقول عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد ، « ولما كان في سنة ٥٨٥ هـ = ١١٩٠ م ، قصد بطرو بن الرنق (بدرو بن ألفونسو هنريكيز) مدينة شلب ، فنزل عليها بعساكره وأعانه من البحر الإفرنج بالبطس والشواني ، على أن يجعل لهم سبي البلد وله هو المدينة ، ففعلوا ذلك ونزلوا عليها من البر والبحر فملكوها وسبوا أهلها وملك ابن الرنق البلد . . »[5] . وفي سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م قام المنصور بنفسه على رأس قواته بحصار شلب وتمكن من فتحها وأعادها ثانية إلى حظيرة الإسلام ، وعاثت قواته في بلاد البرتغال تدميراً وتخريباً ، ولم يجرؤ ألفونسو هنريكيز على مجابهته[6] .

ويتضح مما سبق ذكره مدى حاجة يعقوب المنصور للأساطيل للدفاع عن ثغور الأندلس

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٤ . والناصري : الاستقصاء ، ج٢ ، ص١٨٢ – ١٨٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص٦٦ . و د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ، ص٨٦٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص٨٠ – ٨١ .
(٤) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٧٥ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٥٦ .
(٦) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص١٨٤ – ١٨٥ .
وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٣٥٦ – ٣٥٧ .

والمغرب التي كانت تتصدى للأساطيل الصليبية المتجهة عبر المحيط إلى بلاد الشام ، وكان تدميره لها عوناً غير مباشر للقوات الإسلامية في الجبهة الشرقية في سواحل مصر والشام ، أما ما تزعمه بعض المصادر من أن يعقوب المنصور امتنع عن إمداد صلاح الدين بأساطيل بحرية بسبب عدم مخاطبته بأمير المؤمنين[1] ، فهو زعم باطل ولا أساس له ، فلا يمكن لمجاهد كيعقوب المنصور أن يهتم بمثل هذه الترهات .

وبالرغم من الملحمة البطولية التي كان يخوضها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور فقد ظل قراقوش التقوي على تقلبه وانتهازيته ، وفر ثانية إلى بلاد الجريد ، واستولى على قابس ، « فدخلها مخادعة وقتل جماعة منهم ، واستبد على أشياخ دباب والكعوب من بني سليم ، فقتل سبعين منهم بقصر العروسين . . »[2] . فاكتسب بهذا التصرف الوحشي عداء جميع قبائل بني سليم التي انضمت إلى يحيى بن اسحق بن غانية الذي انقطعت بينه وبين قراقوش التقوي العلاقات وأصبح العداء بينهما شديداً ، ومع ذلك لم يتورع ذلك المغامر من الإقدام على استعادة طرابلس عاصمته القديمة والاستيلاء على معظم بلاد الجريد[3] وقام يحيى بن اسحق على رأس قواته بالاستيلاء على طرة إحدى قواعد نفزاوة ، وأسر فيها مائة من الأتراك الغز ، وأضافهم إلى قواته[4] . وتمكن ياقوت عامل طره من الفرار إلى سيده قراقوش المعتصم بطرابلس ، وما إن علم قراقوش باقتراب قوات يحيى بن غانية من طرابلس حتى تسلم القيادة بنفسه وهب لملاقاته على رأس قواته من الغز ، وترك ياقوت عاملاً على مدينة طرابلس والتقى الجيشان في مكان يدعى محسن ، هزمت فيه قوات قراقوش ولجأ على رأس فلوله إلى الجبال المحيطة بذلك الموقع ، وخاف من الالتجاء إلى طرابلس خوف الحصار وطارده يحيى بن اسحق عبر الجبال ، فولى هارباً إلى الصحراء[5] . وفي وقعة محسن يقول عبد البر بن فرسان قصيدة مطلعها :

ألا لا سقى الرحمن محسن قطرة ولا زال مغبر الجوانب محسن[6]

وضيق يحيى بن اسحق الخناق على طرابلس ، ولما لم يتمكن من فتحها لعدم وجود قوة بحرية

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٢ .
والناصري : الاستقصاء ، ج٢ ، ص١٨٢ .
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٨ . ورحلة التجاني ، ص١٠٤ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص٩٥ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٨ .
(٤) رحلة التجاني ، ص١٤٧ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص٩٥ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٨ .
ورحلة التجاني ، ص١٠٥ ، ٢٤٧ .
(٦) رحلة التجاني ، ص٢٤٤ .

لديه ، أرسل إلى أخيه عبد الله أمير ميورقة يطلب منه إمداده ببعض قطع الأسطول لإحكام الحصار على طرابلس ، فأرسل إليه قطعتين ، وتمكن على أثر ذلك من الاستيلاء على طرابلس وأسر ياقوت ، وأمر بتصفيده وإرساله إلى جزيرة ميورقة ، حيث بقي معتقلاً فيها إلى أن استولى عليها الموحدون[١] ، وأخذوه معهم إلى مراكش ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ - ١٢٠٤ م ، وعاش فيها إلى أن مات[٢] وولى يحيى بن اسحق ابن أخيه تاشفين بن الغازي عاملاً على طرابلس[٣] ، وظل يطارد قراقوش التقوي الذي التجأ إلى ودان إلى أن تمكن منه وقتله[٤] . كما قتل ملك الكانم ابنه من بعده حيث قتل أبوه[٥] .

كما واصل يحيى بن اسحق بن غانية حربه الضروس ضد الموحدين بلا هوادة ، بالرغم من أنهم كانوا يجابهون آنذاك قوات الممالك المسيحية في الأندلس التي تكالبت على الثغور الإسلامية في عدوان متواصل[٦] . وكان نائب قراقوش في قابس لا يتمتع بمواهب ياقوت وجرأته ، فما إن علم بانهزام سيده قراقوش حتى فرّ من قابس ، ولما علم بذلك الشيخ أبو سعيد ابن أبي حفص أرسل حافظاً من الموحدين إلى قابس يعرف بابن تفراجين ، وقام يحيى بن اسحق بمحاصرة قابس ، وأرسل إلى أهلها تحذيراً وقطع غابة النخيل المحيطة بها ، فأعلنوا عزمهم على التسليم واشترطوا على ابن غانية إطلاق سراح عامل الموحدين ابن تفراجين ، وأن يتوجه بأهله وأمواله في البحر ، فوافق على ذلك ، ووفى به وأجبرهم على دفع ستين ألف دينار عقوبة لهم . وكان تاريخ استيلاء يحيى بن غانية على قابس في عام ٥٩١ هـ = ١١٩٥ م[٧] في الوقت الذي كان

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٨ - ٣٩٩ .
ورحلة التجاني ، ص٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) رحلة التجاني ، ص٢٤٥ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص٩٦ .

(٣) رحلة التجاني ، ص٢٤٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٨ .
ورحلة التجاني ، ص١١٠ - ١١١ .

(٥) رحلة التجاني ، ص١١١ . (قتِّل قراقوش التقوي في سنة ٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م ، وقتلوا ابنه الأكبر من بعده ، وترك ولداً آخر اشتهر في عهد الخليفة المستنصر الحفصي وقام بالثورة « ولحق بودان فقتله ملك الكانم ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م »).

(٦) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١١ - ٥١٢ . وابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ص١٩١ - ١٩٣ وما بعدها . والفريد بل : بنو غانية ، ص٩٢ - ٩٣ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٣٩٩ . ورحلة التجاني ، ص١٠٥ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٢ ، ص٣٦٠ - ٣٦١ .
ومحمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص١٦٦ .
والفريد بل : بنو غانية ، ص٩٧ .

يخوض فيه يعقوب المنصور معركة الأرك الحاسمة ضد قوات قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن ، التي حقق فيها الموحدون نصراً مؤزراً لا يقل في عظمته عن النصر الباهر في معركة الزلّاقة بقيادة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين[١] . وواصل يعقوب المنصور زحفه المظفر وحاصر طليطلة بعد أن استولى على قلعة رباح ووادي الحجارة وطلمنكة والمعاقل المحيطة بطليطلة عاصمة مملكة قشتالة عام ٥٩٢ هـ = ١١٩٦ م ، ولم يجرؤ ألفونسو الثامن على مجابهته[٢] . ويعلق الحافظ الذهبي تعليقاً طريفاً على تخريب بني غانية وإعاقتهم القوات الموحدية عن حسم المعركة مع الممالك النصرانية يقول فيه ، وفي سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٦ م ، التقى يعقوب المنصور والفنش (ألفونسو الثامن ملك قشتالة) فهزمه وساق وراءه طليطلة وحاصرها وضربها بالمجانيق ، فخرجت والدة الفنش وحريمه ، وبكين بين يدي يعقوب المنصور ، فرق لهن ومن عليهن ، ولولا ابن غانية الملثم وهيجه ببلاد المغرب لافتتح يعقوب عدة مدائن للفرنج ولكنه رجع لحرب ابن غانية »[٣] .

لقد أعمى الحقد يحيى بن اسحق عن تبصر العواقب التي يمكن أن تحيق بالمسلمين في الأندلس عامة ، وفي جزر البليار خاصة ، من جراء حربه المدمرة مع الموحدين الذين كانوا يتصدون آنذاك لأعنف هجمة صليبية شرسة في بلاد الأندلس[٤] . واستمر يقاتل الموحدين دون هوادة ، ينتصر حيناً ويهزم حيناً آخر ، يتقدم عندما تلوح الفرصة المواتية ، ويتراجع عندما تتعرض قواته للخسائر ، وكانت حربه أشبه ما تكون بحرب العصابات . وقد حاول يحيى بن اسحق مرتين اقتحام مدينة قسنطينة ، وإن كانت المحاولتان باءتا بالفشل ، ففي كلتا المرتين أحس باقتراب الموحدين فأسرع بالفرار إلى الصحراء لإعادة تجميع قواته من جديد ، وقد تمكن من اقتحام بسكرة ، ولكنه اضطر إلى التراجع عنها ، وفشل في حملته على بجاية[٥] . وكان سكان

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ١٩٠ - ١٩١ . وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٥١٢ . والحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٤ ، ص٢٧٦ . (ويطلق الحافظ الذهبي عليها اسم الزلاقة) . ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية ، ص١٢٠ - ١٢١ . والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٤ ، ص١٠٠٦ - ١٠٠٧ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ١٩١ وابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٥١٢ وابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ص١٢١ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج٤ ، ص١٠٠٧ .

(٣) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ص٢٧٨ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥١١ - ٥١٢ .
وابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ١٩١ وما بعدها .

(٥) سليمان مصطفى زبيس : تأملات حول محاولات إعادة الحكم المرابطي في المغربين الأوسط والشرقي ، ص ١٩٣ . (مجلة ميورقة الصادرة من كلية الفلسفة والآداب - بالمادي ميورقة - جامعة برشلونة سنة ١٩٧٤) .
والفريد بل : بنو غانية ، ص ٩٠ .

« افريقية » والمغرب الأوسط من مسلمين ويهود ونصارى ، عرباً وبربراً ، يعانون من هذا الصراع الدامي ، ويتعرضون بشكل متواصل لأعمال الانتقام من الجانب المنتصر ، وكانت أعمال الانتقام هذه من القسوة بحيث كانت تملأ بالذعر نفوس هؤلاء الذين عاصروا وشاهدوا الدمار الشامل الذي أصاب افريقية ، ودمر شتى نواحي الحياة فيها ، وتغلغل هذا الرعب وانتقل إلى نفوس أحفادهم من بعدهم[١]!

وبعد وفاة المنصور الموحدي ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م ، وبيعة ابنه محمد الناصر ، الذي لم يكن يتمتع بحزم أبيه وجرأته وحكمته[٢]، تغيّر الموقف في افريقية ، وظهر التخاذل في صفوف القوات الموحدية ، مما مكن يحيى بن غانية في سنة ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م من هزيمة الجيش الموحدي الذي أرسله محمد الناصر بقيادة السيد أبي الحسن ابن أبي حفص هزيمة ساحقة على مشارف قسنطينة[٣]. فقام الناصر بإرسال « السيد أبي زيد بن أبي حفص إلى تونس في عسكر من الموحدين لسد ثغورها ، وأنفذ أبا سعيد بن الشيخ أبي حفص رديفاً له . . »[٤].

وازداد يحيى بن اسحق ثقة بنفسه وغيّر من خططه العسكرية وقرر الاستقرار في الأقاليم التي استولى عليها ، وتكوين حكم مستقر فيها ، وقام بإرسال سفير إلى بلاط الخليفة العباسي الناصر بن المستضيء لإضفاء الشرعية على حكمه في « افريقية » وبلاد المغرب الأوسط سنة ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م[٥]. وقد أتيحت له الفرصة المواتية عندما ثار بالمهدية عاملها محمد بن عبد الكريم الركراكي (الرقراقي) ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م ، وفشل أبو زيد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن في إخضاعه ، فأعلن استقلاله بالمهدية ولقب نفسه بالمتوكل على الله ، وما إن لاحت هذه الفرصة ليحيى بن اسحق حتى اغتنمها واشتبك مع ابن عبد الكريم ، الذي فر بعد هزيمته على مشارف قفصة والتجأ إلى المهدية ، فتعقبه ابن غانية وحاصر ثغر المهدية ، وأرسل لأبي زيد حاكم تونس رسالة يعلن فيها خضوعه للموحدين ، ويطلب من أبي زيد إمداده بقطعتين بحريتين ، وخدع أبو زيد وزوده بما طلب ، مما مكن ابن غانية من اقتحام المهدية ، وأسر ابن عبد الكريم ، الذي توفي في السجن ، وأمر بنفي ابنه إلى ميورقة ، ولكنه لم يصلها ، فقد ألقي به مكبلاً في البحر ، وما أسرع ما انقلب يحيى بن اسحق بعد هذا النصر على الموحدين واستولى على باجة وبسكرة وبونة وتابسا وحاصر تونس ٥٩٩ هـ = ١٢٠٢ م ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وأسر

---

(١) سليمان مصطفى زبيس : تأملات حول محاولات إعادة الحكم المرابطي ، ص ١٩٥ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ٢١١ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥١٩ .

وابن عذاري : البيان المغرب/ القسم الموحدي ، ص ٢١٣ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥١٩ .

(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢١١ .

السيد أبا زيد وأخضع بربر نفوسة وأصبح سيد المغرب الشرقي[١] . وكان السفير العباسي عبد المنعم بن عبد العزيز يشاهد هذه الانتصارات بنفسه ويتابعها[٢] .

الاتصالات الدبلوماسية بين يحيى بن غانية والخليفة العباسي الناصر بن المستضيء

سار يحيى بن اسحق بن غانية على نهج أسلافه بالدعوة للخلافة العباسية في بغداد[٣]. وفي سنة ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م ، « ورد إلى الديوان العزيز رسول من يحيى ابن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة العباسية ببلاد المغرب »[٤]، وكان هذا الرسول هو الوزير الشاعر الكاتب عبد البر ابن فرسان الغساني الوادي آشي[٥]، الذي جمع بين الأدب والفروسية ، ويذكر صاحب المغرب في حلى المغرب عنه ما يلي ، « الوزير أبو محمد عبد البر بن فرسان ، كان جليل القدر شهير الذكر خدم أبا الحسن علي بن غانية الميورقي الذي شهرت فتنته بافريقية وحضر معه ومع أخيه يحيى بعده الوقائع الصعبة . . »[٦]، ويضيف ابن سعيد المغربي إلى ما سبق ذكره قائلاً ، « الرئيس أبو محمد عبد البر بن فرسان كاتب يحيى الميورقي المشهور بمحاربة افريقية »[٧]، ويذكر نموذجاً من شعره في الفروسية يخاطب فيه يحيى بن اسحق ويقول فيه :

أجبناً ورمحي ناصري وحسامي	وعجزاً وحزمي قائدي وإمامي
ولي منك بطاش اليدين غضنفر	يدافع عن أشباله ويحامي
ألا غنياني بالصهيل فإنه	سماعي ورقراق الدماء مدامي
وحُطّا على الرمضاء رحلي فإنها	مهادي وخفاق البنود خيامي[٨]!

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

والفريد بل : بنو غانية ، ص ١١٠ وما بعدها .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢١١ .

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٧٢ .

(٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢١١ . تحقيق مصطفى جواد - المطبعة السريانية الكاثوليكية ١٣٥٣ = ١٩٣٤ م .

(٥) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ . ورايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٩٣ .
ابن الأبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ص ١١٥ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٧٥ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦١١ . والحميري : الروض المعطار ، ص ٦٠٥ .

(٦) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(٧) ابن سعيد المغربي : رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص ٩٣ .

(٨) المصدر السابق نفس الصفحة .

والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦١٢ وج ٣ ، ص ٥٦٣ .

ويذكر عنه ابن الأبار ما يلي ، « .. الكاتب من أهل وادي آش[١] ، لحق بافريقية فكتب ليحيى بن اسحق بن غانية وحضر معه حروبه ، وكان من رجالات وقته براعة وشجاعة وقد أصابته في بعض الوقائع جراحه ، انتقضت به فهلك منها سنة ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م قبل وفاة مخدومه بأزيد من عشرين سنة ، فلم يسد عنه أحد مسده بعد ذلك .. »[٢] . ويقول المقرى عن ابن فرسان ما يلي ، « عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغساني الوادي آشى أبو محمد ، له أخبار كثيرة في الحماسة وعلو الهمة .. »[٣] .

« ومن نظمه لما تعمم مخدومه (يحيى بن اسحق) ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبهة خضراء .. » :

فديتك بالنفس التي قد ملكتها ... بما أنت موليها من الكرم الغض
ترديت للحسن الحقيقي بهجة ... فصار لها الكليُّ في ذاك كالبعض
ولما تلألأ نور غرتك التي ... تقسم في طول البلاد وفي عرض
تلفعتها خضراء أحسن ناظر ... نبت عنك إجلالاً وذاك من الفرض
وأسدلت حمراء الملابس فوقها ... بمفرق تاج المجد والشرف المحض
فأصبحت بدراً طالعاً في غمامة ... على شفق دان إلى خضرة الأرض[٤]!

وفي سنة ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م ، أرسل يحيى بن غانية وزيره وكاتبه وكبير فرسانه عبد البر بن فرسان سفيراً إلى بلاط الخليفة العباسي[٥] الناصر بن المستضيء[٦] ، في الوقت الذي كانت

---

(١) وادي آش : بلدة بالأندلس على مقربة من غرناطة ، اشتهر أهلها بالشدة والبأس والحمية ، وكانت تعتبر في عهودها الإسلامية من بلدان الأندلس الحصينة لموقعها الجبلي المنيع . كما كانت تتميز بجودة مناخها وثرواتها الوافرة لخصوبة تربتها وغلاّتها المتنوعة خاصة الفواكه والكروم . وقد اشتهر من أدبائها عبد البر بن فرسان وزير يحيى بن اسحق الميورقي وكبير قادة جيشه . (الحميري : الروض المعطار ، ص ٦٠٤ - ٦٠٥ . وابن الخطيب : معيار الاختبار ، ص ٦١) .

(٢) ابن الأبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ص ١١٥ . ويذكر ابن الأبار نماذج من شعر ابن فرسان ، ص ١١٥ - ١١٧ .

(٣) المقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦١١ . ويذكر نماذج من شعره ، ص ٦١١ - ٦١٣ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦١١ - ٦١٢ .
وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٧٧ .

(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢١١ .

(٦) « أحمد الحسن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس ابن الإمام المستضيء ابن الإمام المستنجد .. بويع بالخلافة في سنة ٥٧٥ هـ = ١١٩٩ م ، وتوفي في سنة ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م ، اشتهر عهده بظهور حركة الفتوة والبندق والحمام وتفنن الناس في ذلك .. وقد ألبسوا الملك العادل وأولاده سراويل الفتوة ، وكان الناصر شديد الاهتمام بالملك ومصالحه ، وأصحاب الأخبار في أقطار الأرض يواصلون إليه أحوال الملوك ، وخطب له بالأندلس والصين ، وكان أسد بني العباس .. » . =

تستعد فيه قواته للإطباق على ثغر المهدية للاستيلاء عليها من يد عبد الكريم الرقراقي (الركراكي) المنتزي فيها[١] .

ويصف ابن فرسان سفرته إلى بغداد قائلاً لأحد أبناء يحيى بن غانية ، وكان قد تشاجر مع أحد أبنائه ، « فنال منه ولد الأمير وقال له ما قدر أبيك! ولما بلغ ذلك ابن فرسان خرج مغضباً لحينه ، ولقي ولد الأمير المخاطب لولده فقال حفظك الله ، لست أشك في أني خديم أبيك ، ولكني أحب أن أعرفك بمقداري ومقداره! اعلم أن أباك وجهني رسولاً إلى الخليفة ببغداد بكتاب عن نفسه ، فلما بلغت بغداد نزلت في دار اكتريت لي بسبعة دراهم في الشهر ، وأجرى عليَّ سبعة دراهم في اليوم ، وطولع بكتابي ، وقيل من الميورقي الذي وجهه؟ فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربي ثائر على أستاذه! وأقمت شهراً ثم استدعيت إلى الانصراف ، ولما دخلت دار الخلافة ، وتكلمت مع من بها من الفضلاء ، أرباب المعارف والآداب اعتذروا لي ، وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره . فأعدت إلى محل اكتريت بسبعين درهماً ، وأجرى عليَّ مثلها في اليوم ، ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من جوابه ، وصدر لي شيء له خطر من صلته ، وانصرفت إلى أبيك ، والمعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الأقدار ، والثانية كانت على قدري والمنة لله .. »[٢]!

يتضح من النص الآنف الذكر مدى اعتزاز عبد البر بن فرسان بنفسه ، وبالرغم من إخلاصه للأمير يحيى بن اسحق ، فقد كان لا يتقيد بتعلياته حتى في القتال ، وكان الأمير يحيى يقدره كل التقدير ويترك له حرية التصرف[٣] .

ويذكر ابن الخطيب ، وينقل عنه المقري بالحرف الواحد ما يلي بهذا الصدد ، « كان (عبد البر بن فرسان) من جلة الأدباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب ، كتب عن الأمير أبي زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن علي المسوفي الميورقي الثائر على منصور بن عبد المؤمن بينهم ، ثم على من بعده من ذريته إلى أيام الرشيد منهم ، وانقطع إليه وصحبه في حركاته ، وكان آية في بعد الهمة والذهاب بنفسه ، والغناء في مواقف الحرب ، وكان أليق الناس بصحبه الميورقي وأنسبهم إلى خدمته ، وكان آية في البأو والصرامة ، فقد وجهه الميورقي في عشية يوم من أيام حروبه إلى المأزق وقد طال العراك ، وكاد يكل الناس عن الحرب إلى أن يباكروها من الغد فنفذ لما أمر به ، ولما بلغ الصدر اشتد على الناس وذعر أرباب الحفيظة ، وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحملة ، فانهزم عدوهم شر هزيمة ، ولم يعد أبو محمد إلا في آخر الليل بالأسلوب والغنيمة ، وقال

= (الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٩٣ - ٩٦) .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٧٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

له (يحيى بن اسحق) ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال له الذي عملت هو شأني ، وإذا أردت من يصرف الناس عن الحرب ويذهب ريحهم فانظر غيري . . »[1]! وقد بقي هذا القائد الباسل يقاتل إلى جانب الأمير يحيى بن اسحق ، ويسجل أحداث الحرب شعراً ونثراً[2] ، إلى أن أصيب بجرح توفي على أثره في عام ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م ، وفقد الأمير يحيى بن اسحق بفقده قائداً لا يعوض في وقت استنزفت فيه قواته ، وبالرغم من ذلك ظل يقاتل في حرب يائسة ما يزيد عن العشرين سنة بعد وفاة ابن فرسان[3]! وكما كان ابن فرسان باسلاً في قتاله كان بارعاً في إنجاز كل المهام التي أوكلت إليه ، فقد نجح في سفارته إلى بلاط الخليفة الناصر العباسي ، الذي أرسل سفيراً من قبله إلى الأمير يحيى بن اسحق هو الفقيه الشاعر الأديب «أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز المالكي الاسكندراني »[4]ويقول ابن الساعي عن سفير الخليفة العباسي الناصر ابن المستضيء للأمير يحيى بن اسحق بن غانية ما يلي ، « . . هو أبو الفضل عبد المنعم عبد العزيز النطروني المالكي الاسكندراني ، شيخ عالم فاضل ، قدم بغداد واستوطنها ، كان عالماً أديباً شاعراً ورد بغداد مستوفداً على عادة الشعراء ومدح الإمام الناصر لدين الله ، فأنعم عليه بجائزة سنية ، وتعلق بخدمة الديوان العزيز وولي رباط العميد بالجانب الغربي مشيخة ونظراً ، وفي سنة ٥٩٦ هـ = ١١٩٩ م ، ورد إلى الديوان العزيز رسول من يحيى بن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة العباسية ببلاد المغرب ، وقضيت أشغاله ونفذ عبد المنعم المذكور رسولاً معه من جانب الديوان العزيز ، وتوجه عن طريق الشام ومصر وكانت سفرته إلى أن عاد ثلاث سنين ، وولي النظر بالمارستان العضدي بعد عودته ، وتوفي سنة ٦٠٣ هـ ١٢٠٦ م »[5].

ويقول ابن سعيد المغربي بأن أبا الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني وجه من

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٧٥ – ٥٧٦ .
المقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦١٣ .
(٢) رحلة التجاني ، ص ١٠٦ – ١٠٩ .
والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .
(٣) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ « توفي يحيى ابن اسحق في سنة ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م بجهة مليانة على وادي شليف » .
(ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٠٦).
(٤) ابن سعيد المغربي : الغصون اليانعة ، ص ٨٩ . تحقيق ابراهيم الابياري دار المعارف بمصر ١٩٤٥ . وابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢١٠ – ٢١٢ .
وابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٥٨ .
ومحمد محمد زيتون : الحافظ السلفي ، ص ١٨٣ .
ود . بدري محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ١٤ .
ود . محمد صالح القزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ٢٩٢ .
(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٢١٠ – ٢١٢ .

بغداد رسولاً إلى يحيى الميورقي بافريقية ، فرجع بعشرة آلاف دينار ففرقها في أهل ودّه ومعارفه ومات فقيراً بمارستان بغداد في جمادى الآخرة سنة ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م[1] .

أما ابن الأثير فيذكر ما يلي بهذا الصدد ، « . . في جمادى الآخرة سنة ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م ، توفي أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني المعروف بابن النطروني في مارستان بغداد ، وكان قد مضى إلى المايورقي في رسالة بافريقية ، فحصل له منه عشرة الآف دينار مغربية ، فرقها جميعها في بلده على معارفه وأصدقائه وكان فاضلاً خيراً ، وله شعر حسن ، وكان قيّماً بعلم الأدب . . »[2] . ولم يكن عبد البر بن فرسان هو الكاتب الوحيد للأمير يحيى بن اسحق ابن غانية ، فقد كان من كتابه أيضاً مالك بن محمد بن عبد الملك بن سعيد[3] . ويقول ابن سعيد عن عمه الآنف الذكر ، « . . وكتب ليحيى الميورقي صاحب الفتنة الطويلة بافريقية وهنالك مات وترك عقباً بودان . . »[4] . ويقول المقري ما يلي ، « ولما ثار الميورقي بافريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جملة من أعيان أهل الأندلس ، كان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي ، وكتب عنه من رسالة : . . وبعد فإنّا لا نحتاج لك إلى برهان ، على أمير لسانه الحسام ، وأيده التأييد الرباني الذي لا يرام ، قد نصب خيامه بالبراح ، ولم يتخذ سوراً غير سمر القنا وبيض الصفاح ، له من العزم ردء ومن العزم كمين :

إذا صدق الحسام ومنتضيه ... فكل قرارة حصن حصين[5]

وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ، ولا يرحلون بخزية ، ولا يتركون من عار ، دينهم دين التقوى ، وإن كنت من ذلك من شك فأقدم علينا ، حتى يصح اختبار الذهب بالسّبك ، وأنت في الخيار في الظعن والإقامة ، فإن حللت نزلت خير منزل ، وإن رحلت ودّعت أفضل وداع وسرت في كنف السلامة ، إذ قد شهرنا بأنّا لا نقيّد إلا بالإحسان وأن ندع لاختياره كل إنسان . . »[6]! وقد تولى الخطبة والصلاة ليحيى بن اسحق الفقيه محمد بن عبدالله اللمطي الميورقي[7]. وبالرغم من الانتصارات الساحقة التي حققها يحيى بن اسحق بن غانية على

(١) ابن سعيد المغربي : الغصون اليانعة ، ص ٨٩ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٥٨ .
(٣) « شقيق موسى بن سعيد والد علي جامع كتاب المغرب في حلى المغرب » . (المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧١).
(٤) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧١ .
(٥) (البيت للأعمى التطيلي : ديوانه ، ص ٢٠٢ ، البيت رقم « ٢١ »).
والمقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥٦٩ .
(٦) المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٥٦٩ .
(٧) ابن الأبار : التكملة ، ص ٦٠٨ ترجمة رقم ١٦٠١ .

الموحدين وسيطرته على شرقي بلاد المغرب[1]، واعتراف الخلافة العباسية بشرعية حكمه في تلك البلاد[2]، إلا أن سقوط ميورقة في يد الموحدين ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م، ومقتل أميرها عبدالله ابن غانية أفقد أخاه يحيى قاعدة امداده الرئيسية وعزله في افريقية[3]. وبالرغم من ذلك فقد واصل قتاله ببسالة وإصرار عجيبين حتى وفاته ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م[4].

استيلاء الموحدين على جزر البليار

كنا قد ذكرنا خبر توجه عبدالله بن اسحق بن غانية إلى جزيرة ميورقة بأمر من أخيه علي عندما بلغه نبأ استيلاء علي بن الربرتير عليها ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م، وأن عبدالله بن اسحق استعان بسفن من غليام الثاني (وليم الثاني) ملك صقلية النورمندية[5]. وبفضل هذا العون وتعاون أهالي جزيرة ميورقة معه وعلى رأسهم مولى أبيه نجاح الذي كان معتصماً في قلعة من قلاع ميورقة مع جماعة من الموالي والجند الأوفياء لبني غانية، تمكن عبدالله بن اسحق من الاستيلاء على جزيرة ميورقة ودخل عاصمتها دون أي مقاومة[6]. ويقول ابن عذاري بهذا الصدد، « .. وكان هذا الثائر بافريقية عبدالله بن اسحق بن محمد بن غانية المسوفي قد اغتر بما اتفق له، من موافقة أقدار وأغاليط الزمان من مشيه إلى صقلية ودخوله منها إلى ميورقة بعد خروج أبي عبدالله (محمد) بن اسحق، والقائد أبي الحسن (علي) بن الربرتير عنها، وافتراصه الجزائر ودخوله إياها ونيله كل المستنال منها، وفلّه للشيخ أبي زكريا بساحل ميورقة، فأنس بما كان من

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٤٠٢ - ٤٠٤.
والفريد بل: بنو غانية، ص ١١٠ وما بعدها.

(٢) ابن الساعي: الجامع المختصر، ص ٢١١.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٦ وما بعدها.
وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٢٠.
وروسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٧.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٤٠٦. (ظل يحيى بن اسحق بن محمد بن غانية يقاتل الموحدين ومن بعدهم الحفصيين في افريقية « تونس »، طيلة خمسين سنة إلى أن توفي ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م، « وانقرض أمر الملثمين من مسوفة ولمتونة من جميع بلاد افريقية والمغرب بوفاته ». وعندما شعر بدنو أجله عهد ببناته إلى الأمير أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، الذي استقل عن الموحدين وأسس الأسرة الحفصية في افريقية، وكان عند حسن ظنه في كفالتهن « وبنى لهن داراً لصونهن عرفت بقصر البنات »! (ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٤٠٦ - ٤٠٧).

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٣٩٩.
وابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ١٥٦.

(٦) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٥١ - ٣٥٢.
وابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ١٥٧.

هذه الأحوال المقدرة والاتفاقات المنصورة .. »[1]. ولم يتركه الموحدون وشأنه وحاولوا استعادة الجزيرة عدة مرات، ولكن حملاتهم العسكرية باءت بالفشل. ويقول ابن خلدون بهذا الصدد، « وبعث (يعقوب) المنصور أسطوله مراراً (إلى جزيرة ميورقة) مع أبي العلا بن جامع، ثم مع يحيى ابن الشيخ ابراهيم الهزرجي، فامتنعوا منهم وقتلوا منهم كثيراً وقوي أمره، وذلك سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م »[2]. وبالرغم من إخفاق الأساطيل الموحدية في الاستيلاء على ميورقة كبرى جزر البليار، فقد واصل الموحدون حملاتهم البحرية على هذه الجزر، وتمكن أبو العباس الصقلي القائد البحري الموحدي من الاستيلاء على جزيرة يابسة وقبضوا على عاملها ابن نجاح، « .. القائد المايورقي الذي هرب عن ابن غانية للموحدين، ثم نكث عليهم وخدع أهل يابسة ودخلها .. »[3]. كما استولت الأساطيل الموحدية على جزيرة منورقة[4]. ولم يبق في يد عبدالله ابن اسحق سوى جزيرة ميورقة كبرى جزر البليار، فسعى جهده لتقويتها وتحصينها وتنمية ثرواتها الزراعية والصناعية وتقوية أساطيلها البحرية، وتوطيد علاقاتها التجارية مع جمهوريتي بيزة وجنوة، مما زاد في ازدهار الحركة التجارية التي حققت من ورائها جزيرة ميورقة ثروات طائلة[5].

ويقول سليمان مصطفى زبيس بهذا الصدد، « .. وكانت علاقات بني غانية بالدول النصرانية المجاورة تقوم على الصداقة، وبصفة خاصة مع جمهوريتي جنوة وبيزة، فقد استقرت بين ميورقة وبينهما علاقات تجارية نشيطة، كانت في مصلحة جميع الأطراف، وبفضل ذلك تمكن الميورقيون من مواصلة القتال في افريقية وهم مطمئنون لسلامة ظهورهم من أي خطر خارجي، وكان بوسعهم أن يستجلبوا من تلك البلاد الصديقة المجاورة كل ما يحتاجون إليه من أقمشة وسلاح وعتاد. وان حرص يحيى بن غانية على الاستيلاء على المهدية، إنما كان الهدف الحقيقي منه، هو توفير ميناء ثابت، يمكن للسفن البيزية والجنوية أن تنزل فيه بضائعها على نحو منتظم .. وأن تصبح المهدية رأساً لجسر بحري، يربط ما بين ميورقة والساحل الإفريقي، ويستطيع عن طريقه أن يؤمن وصول الامدادات والسفن الحربية من ميورقة »[6].

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٢٠.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٥) الفريد بل: بنو غانية، ص ١١٧.
وروسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٨.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٤٥.

(٦) سليمان مصطفى زبيس: تأملات حول محاولات إعادة الحكم المرابطي في المغربين الأوسط والشرقي، ص ١٩٦. (مجلة ميورقة الصادرة من كلية الفلسفة والآداب بالمادي ميورقة جامعة برشلونة، سنة ١٩٧٤).

وبالرغم من تعاقد عبدالله بن اسحق بن غانية مع جمهوريتي بيزة وجنوة في اتفاقات سلام وتجارة ، إلا أنه واصل غزواته البحرية على شواطىء دول مسيحية أخرى[1] . وكانت هجمات أسطول ميورقة في عهد عبد الله بن اسحق بن غانية تتركز بصفة خاصة على شواطىء فرنسا الجنوبية وساحل قطلونية ، بالإضافة إلى ساحل الأندلس الشرقي الذي كان خاضعاً آنذاك لحكم الموحدين[2] . وتؤكد مصادرنا الإسلامية على الدور الكبير الذي قامت به أساطيل ميورقة في الغزو البحري في عهد عبد الله بن اسحق بن غانية ، ويقول عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد ، « واستقر عبد الله بميورقة وضبط أمرها وجرى في الغزو وإخافة العدو على سنن أبيه ، فلم يزل لذلك إلى أن دخلها عليه الموحدون سنة ٥٩٩ هـ = ١٢٠٣م »[3]، ويضيف إلى ذلك أن دخول الموحدين إلى ميورقة كان في ذي الحجة ٥٩٩ هـ = سبتمبر ١٢٠٣ م[4].

وكان عبدالله بن اسحق بن غانية يتابع التطورات الخطيرة التي وقعت في افريقية بعد استيلاء أخيه على المهدية ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م[5] ، ويتوجس خيفة من عدوان الأساطيل الموحدية على جزيرة ميورقة ، فما إن حلّ شتاء عام ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م ، حتى قام بخطوة احترازية ، وأرسل حملة بحرية للاستيلاء على جزيرة يابسة من يد الموحدين[6] .

وكان الموحدون قد استولوا على جزيرة يابسة بقيادة أبي العباس الصقلي ٥٨٣ هـ = ١١٨٧م[7]، كما ستولت الأساطيل الموحدية على جزيرة منورقة[8] ، وكان اختيار عبدالله بن اسحق لفصل الشتاء ، لمهاجمة جزيرة يابسة في جنوب غربي ميورقة ، عن تخطيط دقيق ، ومعرفة مسبقة بلجوء الأساطيل الموحدية إلى ثغر سبتة ، في هذا الفصل العاصف الذي تصبح فيه الملاحة البحرية صعبة للغاية[9] . وبالرغم من ذلك فقد أبحر أسطول ميورقة للاستيلاء على يابسة في هجوم مباغت . ويقول ابن عذاري في هذا الصدد ، « .. ولما تمكّن فصل الشتاء ، وارتجّ البحر ومنع ركوبه ، وتعذر على كل متصرف فيه مطلوبه ، تحرك (عبدالله) بن غانية في أسطوله إلى جزيرة يابسة ، ليكيدها بفرصه ، ويجريها على ما تقدّم له من تلصصه ، فلم يصرف

(١) الفريد بل: بنو غانية ، ص ١١٨ .
(٢) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص ٩٨ .
(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٥٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٩٤ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٤٠١ .
(٦) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢١٦ .
محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ، ص ٢٥٩ .
(٧) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .
(٩) محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ، ص ٢٥٩ .

أهلها بالاّ لما أمل لديهم ، ولا أرعوا سمعاً بندائه إليهم ، وظفر ابن ميمون له بطريدتين فأضرمهما ناراً ورجع ابن غانية خائب الوجهة »[1] . ولكن هذا الفشل لم يثن عبدالله بن اسحق بن غانية عن إرسال أسطول ميورقة للاستيلاء على جزيرة منورقة في فصل شتاء عام ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م ، ونجح في الاستيلاء عليها ، وولّى عليها ابن نجاح ، ويقول ابن عذاري عن استيلاء ابن غانية على منورقة ما يلي :

« ثم جدّد حالاً ولج ضلالاً ، ونازل منورقة والأنواء قد صدفت بأمطارها ، ومنعت عن التصرف حتى الطير في أوكارها ،وحاصرها اللعين ، حتى لجأ أهلها إلى أكل الميتة ، وضعفوا عن كل مدافعة وحمية ، وسلموا له البلد ، وتملكه وثقفه ، وترك فيه رجلاً منهم يعرف بابن نجاح .. »[2] . وبالرغم من هذه الخطوات الاحترازية التي اتخذها عبدالله بن اسحق بن غانية عندما بلغته الأنباء باستعدادات الموحدين للاستيلاء على جزيرة ميورقة وأسفرت عن استيلائه على منورقة[3] ، فقد فشل في التصدي للقوات الموحدية البرية والبحرية الضخمة التي احتشدت في ثغر دانية ، وأقلعت إلى جزيرة يابسة ، ومنها انطلقت في ٢٤ ذي الحجة ٥٩٩ هـ = ٣ سبتمبر ١٢٠٣ م[4] إلى منورقة واستولت عليها ، وقبضوا على عاملها ابن نجاح[5] ، ثم اتجهت الحملة الموحدية إلى ميورقة ، وبعد سبعة أيام من القتال سقطت ميورقة في يد الموحدين ، ربيع الأول ٦٠٠ هـ = ديسمبر ١٢٠٣ م ، وزال حكم بني غانية من جزر البليار وخضعت لحكم الموحدين[6] .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢١٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .
(٣) محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ، ص ٢٥٩ .
(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧ - ٥٦٨ .
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢١٦ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢١٦ وما بعدها .
والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ .
والرسالة السادسة والثلاثين من رسائل موحدية ، ص ٢٣٥ وما بعدها ، من كتاب الدولة المؤمنية / تحقيق ليفي بروفنسال .

الفصل السابع

١ - جزر البليار تحت حكم الموحدين

٦٠٠ - ٦٣٣ هـ = ١٢٠٣ - ١٢٣٥ م

توطئة

منذ أن استولى علي بن اسحق بن غانية على ثغر بجاية في المغرب الأوسط ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[١]. والموحدون يتطلعون إلى ضرب بني غانية في عقر دارهم، بالاستيلاء على جزر البليار قواعد إمدادهم الرئيسية. وبالرغم من الحملات البحرية الموحدّية العديدة التي أرسلها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور إلى جزر البليار والتضحيات الكبيرة والخسائر الفادحة، فقد أخفقت الأساطيل الموحدية في الاستيلاء على جزيرة ميورقة، بقيادة أبي العلا بن جامع ويحيى بن الشيخ أبي ابراهيم الخزرجي، نتيجة للمقاومة الضارية لأسطول جزيرة ميورقة تحت قيادة الأمير عبدالله بن اسحق بن غانية، الذي وطّد حكم بني غانية في جزر البليار[٢]. وبالرغم من الجهود التي بذلها الأمير عبدالله بن اسحق بن غانية في التصدي للأساطيل الموحدية، فقد تمكّن الموحدون من الاستيلاء على جزيرة منورقة[٣].

وفي عام ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م، استولى أبو العباس الصقلي أحد كبار قادة الأساطيل الموحدية على جزيرة يابسة[٤]. ويقول أبو عبدالله بن عيّاش أحد كتاب البلاط الموحدي في إحدى رسائله، «ثم قصّ الله بيابسة ومنورقة جناحيهم بأخذهما من الدائرة السوء»[٥]!

وما إن علم الأمير عبدالله بن اسحق بن غانية بعزم الموحدين على مهاجمة جزيرة ميورقة، بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها أخوه يحيى في افريقية في مواجهة القوات الموحدية،

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ص ٣٤٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٢٠.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٦.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٥) الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل موحدية، ص ٢٤٤.

واستيلائه على ثغر المهدية ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م[١]، حتى قرّر استعادة جزيرتي يابسة ومنورقة جناحي ميورقة من أيدي الموحدين[٢].

واستغل فترة الشتاء القارس في عام ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م، وأغار على رأس أسطوله على جزيرة يابسة، ولكنه أخفق في الاستيلاء عليها نتيجة للمقاومة العنيفة التي أبداها «ابن ميمون» قائد أسطول يابسة الموحدي، الذي أوقع الهزيمة بأسطول ابن غانية وأحرق له طريدتين[٣]. ولم تثبط هذه الهزيمة من عزيمة الأمير عبدالله بن غانية، ففي شتاء العام التالي ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م، أغار على جزيرة منورقة، وتمكّن من الاستيلاء عليها بعد حصار شديد، وولّى عليها عاملاً يعرف «بابن نجاح»[٤]. ووصلت هذه الأنباء إلى الخليفة الموحدي محمد الناصر، وكان مشغولاً آنذاك بالقضاء على ثورة أبي قصبة الجزولي، وما إن انتهى من هذه الثورة الداهمة حتى وصلته الأنباء باستيلاء يحيى بن غانية على تونس، لهذا قرّر «بأن يبعث بعثاً إلى جزيرة ميورقة ليستأصل بني غانية ويقطع دابرهم»[٥]!

الحملة الموحدية الكبرى على جزيرتي ميورقة ومنورقة

أمر الخليفة الموحدي محمد الناصر بإعداد حملة بحرية ضخمة للاستيلاء على جزيرتي ميورقة ومنورقة، لعزل يحيى بن غانية في افريقية عن قواعد إمداده، فقد كان يحصل من هاتين الجزيرتين على ما يحتاج إليه من دعم وإسناد من الرجال والسفن والتموين، وفقد يحيى بن غانية لهذين المعقلين يضعف من صموده في مواجهة الموحدين في افريقية، وبالتالي تسهل هزيمته والإجهاز على قواته المعزولة بضربة قاصمة[٦]. وتزعم بعض المصادر بأن الذي قاد هذه الحملة البحرية إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة هو الخليفة الموحدي محمد الناصر بنفسه[٧]، وهي مزاعم

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥١٩.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٩.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٦.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.
وابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٥.

(٦) Alfred Bel: Les Benou Ghania, p. 119.

(٧) يقول ابن أبى دينار صاحب المؤنس بأن «عبدالله بن اسحق ملك ميورقة، عصى الناصر بن المنصور الموحدي، فتحرك إليه لما دخل إفريقية ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م، وحاصر الناصر ميورقة، فمات عبد الله بن اسحق في تلك الحروب، وحمل رأسه إلى مراكش، وعلقت جثته على سور ميورقة». (ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص١١٩). ويذكر صاحب روض القرطاس نفس الرواية، وحاول الفريد بل المؤرخ الفرنسي التوفيق بين مختلف الروايات قائلًا، «ربما يكون الخليفة الناصر قد توجه إلى شرق الجزائر (في المغرب الأوسط) لملاقاة ابن غانية، إلا أنه عندما وصل إلى هناك أبحر على رأس أسطوله إلى جزر البليار لفتحها. (الفريد بل: بنو غانية، حاشية «٣»، ص١١٩).

باطلة تتناقض مع المصادر الموثوقة التي تجمع بأن الذي قاد الأسطول الموحدي هو أبو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن عم الخليفة الناصر، وأن الذي قاد القوات البرية هو أبو سعيد ابن أبي حفص[١]، وأن أنباء الاستيلاء على هاتين الجزيرتين وصلت إلى مسامع الناصر أثناء وجوده في عاصمة ملكه في مراكش[٢].

خط سير الحملة

انطلق الأسطول الموحدي في طريقه إلى دانية في شرق الأندلس[٣]، من قاعدة سبتة البحرية[٤]، وليس من ثغر الجزائر في المغرب الأوسط، لأن الخليفة الموحدي محمد الناصر الذي يذكر صاحب الاستقصاء، بأنه وجّه الأسطول إلى جزيرة ميورقة من ثغر الجزائر، وهو في طريقه لغزو افريقية[٥]، لم يتوجه لغزو افريقية إلا في سنة ٦٠١هـ= ١٢٠٤ م[٦]، بعد الاستيلاء على جزيرتي ميورقة في ربيع الأول ٦٠٠ هـ = ديسمبر ١٢٠٣ م[٧]. وفي دانية رسا الأسطول الموحدي لتنسيق عملية الهجوم على ميورقة، ويقول صاحب الروض المعطار في هذا الصدد، « .. واجتمع القائدان (السيد أبو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن والشيخ أبو سعيد بن أبي حفص) وعرض كل واحد منهما من أسند إليه، فكان الفريقان ألفين ومائتي فارس والرماة سبعمائة، والرجالة خمسة عشر ألفاً، غير غزاة القطع، وكان الأسطول ثلاثمائة جفن، منها سبعون غراباً، وثلاثون طريدة، وخمسون مركباً كباراً وسائرها قوارب منوعة، وأما العدد والسلاح والجانيق والسلام والمساحي والفؤوس والمعاول والرقائق والحبال، فشيء لا يأخذه عدد، وكذلك الدروع والسيوف والرماح والبيضات والدرق والقسي وصناديق النشاب وجلة وافرة من الطعام.. » ... وبعد إعداد الترتيبات اللازمة في ثغر دانية انطلق الأسطول إلى جزيرة يابسة[٨]، وكانت بيد الموحدين منذ استيلائهم عليها بقيادة أبي العباس الصقلي

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.
والحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧. وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٢٠.
والناصري: الاستقصاء، ج ٢، ص ٢١٧.
(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩٤.
(٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٦.
(٥) الناصري: الاستقصاء، ج ٢، ص ٢١٧.
(٦) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩٧.
وابن عذاري: البيان المغرب/ القسم الموحدي، ص ٢١٩.
(٧) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٨.
(٨) المصدر السابق، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م[١]. وقد فشل عبدالله بن غانية في استعادتها من أيديهم[٢].

وبقي الأسطول يوماً واحداً في جزيرة يابسة، وكان يوم جمعة « فصلوا الجمعة في يابسة، وأقلعوا غدوة السبت ٢٤ ذي الحجة ٥٩٩ هـ = ٣ سبتمبر.. »، وتوجهوا إلى ميورقة ونزلوا بساحلها[٣].

الاستيلاء على جزيرة ميورقة

يصف الحميري كيفية الاستيلاء على جزيرة ميورقة قائلاً، « .. فأتوا ميورقة، ونزلوا وتقرّب العسكر من المدينة (مدينة ميورقة)، ودار الأسطول بالمرسى مع السيد أبي العلاء، وخرج إليهم عبدالله بن اسحق بن غانية بجموعه، فنشبوا في القتال ودافعوا كل الدفاع، وآخر ذلك انهزم، ثم صرع فقتل، وغلّق باب المدينة، فأحاطت بها الرماة وغزاة البحر، فتغلبوا عليها، فدخلت ونهبت ولم يسلم إلا قصبتها، ودخل السيد أبو العلاء وأبو سعيد البلد، ورأس عبدالله معهما على قناة بيد رجل غزّي!. وكان قد قطعه، فنهيا الناس عن النهب، وأمر بضرب عنق رجل خالف النهي، وطيف برأسه وأمنا الناس ونودي بالأمن، في الأزقة والقصبة فخرج الناس، وأمنوا وكتبوا إلى الملك الناصر بالفتح.. »[٤].

ويذكر عبد الواحد المراكشي: وكان معاصراً لتلك الأحداث، بأنّ الذي قتل عبدالله بن اسحق بن غانية أمير البليار، « .. رجل من الأكراد يقال له عمر المقدّم، وذلك أنه حين نازله القوم، خرج على باب من أبواب المدينة وهو سكران فكبا به فرسه، فضربه عمر المقدم بسيفه.. وقيل إنه قتله بسيف نفسه.. »[٥]!

الاستيلاء على جزيرة منورقة

بعد سقوط مدينة ميورقة الحصينة، توجّه أبو العلاء ادريس بن يوسف قائد الأسطول الموحدي بقطعات من أسطوله إلى جزيرة منورقة في هجوم مفاجىء، وتمكن من الاستيلاء على عاصمتها « مدينة منورقة »، وأسر عاملها « ابن نجاح »، ويقول ابن عذاري في هذا الصدد، « .. ولما خفّت الأنواء وحسن الهواء، أسرى السيد أبو العلى (أبو العلاء) بأسطول سبتة، وصبّحهم فساء صباحهم، وبطش بهم الأسطول قبل التئام أحوالهم وترتيب قتالهم، فدخل البلد

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ١٦٩ - ١٧٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٦.
(٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٨.
(٤) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٨.
(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩٤.

(مدينة منورقة) عنوة وقبض على ابن نجاح ، وصيّره مع أصحابه إلى الحضرة (مراكش) فهلك بها .. »[١]. ويذكر عبد الواحد المراكشي بأن خبر فتح ميورقة للخليفة محمد الناصر ، « .. اتصل معه فتح جزيرة منورقة ، وكان فيها من أصحاب ابن غانية رجل اسمه الزبير بن نجاح دخلوها عليه ، فقتلوه ووجهوا برأسه إلى مراكش ، وعلقوه بها مع رأس أبي قصبة الجزولي »[٢]!

ويؤكد أبو عبدالله بن عياش الكاتب الموحدي ، بأن جزيرة ميورقة لم تصمد أمام الغزاة ، سوى أسبوع واحد قائلاً ، « فجهزنا إليهم جيشي بر وبحر .. فسار الجيشان وركبوا إلى جند الشيطان بحراً سلس القيادة والعنان! وجواري تسبق في الموج سبق الجياد يوم الرهان .. إلى أن نزلوا بساحل ميورقة ، فلم يكن بين الحلول بالجزيرة والظفر بجهاتها الأربع والاستيلاء على معقلها الأمنع إلاّ سبع ليال! »[٣].

فإن صحّت رواية الحميري ، بأنّ تاريخ تحرّك الأسطول الموحدي من جزيرة يابسة إلى ميورقة كان في ٢٤ ذي الحجة ٥٩٩ هـ = ٣ سبتمبر ١٢٠٣ م[٤] ، فمعنى ذلك أن الاستيلاء على ميورقة كان في ٣٠ ذي الحجة ٥٩٩ هـ = ١٠ سبتمبر ١٢٠٣ م ، ويؤكد هذا التاريخ عبد الواحد المراكشي ، الذي عاصر تلك الأحداث ، وكان على علاقة وثيقة بالموحدين حيث يقول : بأن دخول الموحدين مدينة ميورقة ، بعد مقتل أميرها عبدالله بن اسحق بن غانية كان في شهر ذي الحجة ٥٩٩ هـ = أغسطس - سبتمبر ١٢٠٣ م[٥].

نتائج الحملة البحرية الموحدية على جزيرتي ميورقة ومنورقة

تمكّن غزاة الأسطول الموحدي من الاستيلاء على جزيرتي ميورقة ومنورقة عنوة خلال فترة وجيزة ، واعتبروا أهلها من الملحدين[٦]! وقاموا بعمليات سلب ونهب واسعة النطاق[٧]. ويقول

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص٢١٦ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٩٧ .
(٣) الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل موحدية ، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .
يذكر ابن أبي زرع بأن الخليفة الموحدي محمد الناصر « أخذ في تجهيز الأساطيل والعساكر لقتال مدينة ميورقة ، حتى فتحها وانتزعها من أيدي المرابطين . في ربيع الأول ٦٠٠ هـ = ديسمبر ١٢٠٣ » وكان ذلك ، بعد وصوله إلى ثغر الجزائر في المغرب الأوسط ، وهو في طريقه من فاس إلى افريقية ، لمحاربة يحيى بن اسحق الميورقي . (ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٢٣٢ ، طبعة دار المنصور).
(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٩٤ . وتذكر بعض المصادر بأن تاريخ الاستيلاء على ميورقة ودخول قصبتها كان في ربيع الأول ٦٠٠ هـ = ديسمبر ١٢٠٣ م . (الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، حاشية « ٢١ » ، ص ١٥٤ . والفريد بل : بنو غانية ، ص١٢٠).
(٦) الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل موحدية ، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .
(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

أبو عبدالله بن عيّاش عن معاملة الغزاة لأهل جزيرة ميورقة ، « .. وهجم الموحدون عليهم في عقر دارهم .. وكانت بين الفريقين حرب .. وانجلى ذلك عن قتل الشقي (عبدالله بن اسحق بن غانية) وأتباعه ، وحصول أسرته في قبضة الموحدين ، ومغالبة أهل الجزيرة مآل الضالين الملحدين .. »[١].

وقد نهبت القوات الموحدية مدينة ميورقة ولم تسلم القصبة من أعمال السلب والنهب ، إلا نتيجة للأوامر المشددة التي أصدرها قائدا الحملة[٢] ، اللذان استوليا على أموال عبدالله بن اسحق « وسبيا حرمه ودخلا بهن مدينة مراكش على الجمال على هيئة الأسارى » . ويذكر عبد الواحد المراكشي عن مصير الأسرى من بني غانية ما يلي ، « فأما النساء فدخل بهن ليلاً (إلى مراكش) فجعلن في بعض الخانات ، إلى أن نفّذ الأمر (من الخليفة الموحدي محمد الناصر) بالمنّ عليهن وإطلاقهن وتزويج من تحتاج إلى التزويج منهن ، وتجهيزها بمال! وأمّا الرجال فلم يزالوا في الحبس إلى أن منّ عليهم (الخليفة) بعد أن ضمنهم أكابرهم واتخذوا أجناداً .. » . ويضيف إلى ذلك مبيّناً ضخامة الغنائم التي حصل عليها كبار القادة من فتح ميورقة ، ويقول « وبلغني أن المتولّين لفتحها انتهبوا منها أموالاً عظيمة وذخائر نفيسة .. »[٣].

ويبدو من نص لابن خلدون يقول فيه ، بأن تاشفين بن اسحق بن غانية ، « انخذل بالناس عن أخيه عبدالله »[٤]! ما يدل على أن الموحدين اتصلوا سراً بتاشفين ، الأمير المعزول ، ومنّوه بأنه إذا انضم إليهم مع أنصاره فإنهم سوف يولونه السلطة . وبفضل هذه الخيانة ، فتّتوا الجبهة الداخلية في مدينة ميورقة ، مما مكّن القوات الموحدية من اقتحام هذه المدينة عنوة والاستيلاء عليها وعلى جزيرة ميورقة بأجمعها بسهولة ، وفي فترة وجيزة ، وقتل عدد كبير من سكانها ، الذين ظلوا على ولائهم وإخلاصهم للأمير عبدالله بن اسحق بن غانية[٥].

ولم يتحقق لتاشفين بن اسحق بن غانية ما كان يطمح إليه من خيانته لأخيه ، فقد ولّى أبو العلاء ادريس على جزر البليار ، بعد الاستيلاء على جزيرتي ميورقة ومنورقة ، قائد البحر عبدالله بن طاع الله الكومي ، وأصبحت هذه الجزر منذ شهر محرم ٦٠٠ هـ = اكتوبر ١٢٠٣ م ، تحت الحكم الموحدي[٦].

---

(١) الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل موحدية ، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ ..
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٩٥ . والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ .
(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٥٢٠ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٥٤ .
(٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٩٤ . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٢٠ . والناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

وكان لاستيلاء الموحدين على جزر البليار نتائج خطيرة أشارت إليها المصادر الإسلامية، ويقول أبو عبد الله بن عياش مشيراً إلى ذلك، « .. ولأخذ ميورقة على صاحب أرغون وبرشلونة أشدّ من رشق النبل وأهول من وقع السيف .. »[١]! وهو قول صحيح. فقد أدّى سقوط جميع جزر البليار في يد الموحدين إلى قلق بيدرو الثاني[٢]، ملك أرغون وقطلونية المتحدة، الذي كان لا يرى بأساً في جوار بني غانية، الذين مهما بلغت قوتهم البحرية، فإنهم لم يكونوا يشكلون خطراً كبيراً على مملكته، بالإضافة إلى أنهم كانوا في تلك الفترة يهادنون الممالك والإمارات المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط لانشغالهم بحرب الموحدين في إفريقية، وقد وجدوا مؤازرة من الجبهة المسيحية لتعميق الخلاف بين المسلمين وإضعاف قواهم. وبعد استيلاء الموحدين على جميع جزر البليار، أصبحت مملكة أرغون وقطلونية مهددة من قوة جديدة أشدّ بأساً وأعظم غائلة، هي قوة الامبراطورية الموحدية، مما حمل بيدرو الثاني ملك أرغون وقطلونية على إعادة النظر في سياسته، والعمل على تخطيط مشروع للاستيلاء على جزر البليار، لإجهاض قوة الموحدين والحيلولة دون محاصرتهم لمملكته براً وبحراً[٣].

وفي سنة ٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م، بعد استيلاء الموحدين على جزيرتي ميورقة ومنورقة بسنة واحدة، أخذ بيدرو الثاني يعدّ العدّة للاستيلاء على جزر البليار، وتوجّه بنفسه إلى رومة لمقابلة البابا انوسنت الثالث، للاستعانة بالبابوية وإمكانياتها الهائلة لتحقيق مشروعه، كما سعى إلى الظفر بمعونة جمهوريتي بيزة وجنوة، ولكن مساعيه من أجل الحصول على عون بحري من هاتين الجمهوريتين البحريتين باءت بالفشل، نظراً « لاهتمام هؤلاء التجار من البيزيين والجنويين بمصالحهم التجارية والاقتصادية البحتة على المصلحة الدينية العليا التي كانت تقتضي ائتلاف جميع المسيحيين من أجل قضية النصرانية في صراعها ضد المسلمين .. »، كما يقول المؤرخ الميورقي الباروكمبانير. كما كان جلّ اهتمام البابا انوسنت الثالث منصباً على دعم القوات الصليبية في بلاد الشام، التي كانت تواجه النكسات والهزائم بعد إخفاق الحملة الصليبية الثالثة، في دعم المملكة اللاتينية المنهارة بعد هزيمة حطين. لهذا فشلت مساعي بيدرو الثاني في الحصول على أي عون من البابوية، ونتيجة لذلك انهارت مشاريعه في الاستيلاء على جزر البليار

---

(١) الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل موحدية، ص ٢٤٧.
(٢) الملك بيدرو الثاني ملك ارغون وقطلونية المتحدة، خلف والده الفونسو الثاني في جمادى الثانية ٥٩٢ هـ = ١٦ مايو ١١٩٦ م، وتوفي مقتولاً في جمادى الأولى ٦١٠ هـ = ١٣ ديسمبر ١٢١٣ م على مشارف قلعة مورية في جنوب فرنسا في مواجهة الكونت سيمون مونفور وقواته الصليبية، وخلفه ابنه جيمس الأول (خايمي الفاتح) الذي استولى على جزيرتي ميورقة ويابسة. (يوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٣٧٤ و٣٨٣).
(٣) سليمان مصطفى زبيس: تأملات حول إعادة الحكم المرابطي في المغربين الأوسط والشرقي، ص ١٩٧. (مجلة ميورقة - كلية الفلسفة والآداب في بالمادي ميورقة جامعة برشلونة ١٩٧٤).

وترك تحقيق هذا المشروع لابنه خايمي الأول[١]. ويذكر المؤرخ الألماني يوسف أشباخ رواية أخرى يقول فيها، بأن بيدرو الثاني اتخذ من مشروع الاستيلاء على جزر البليار ذريعة للسفر إلى رومة، وأن ما كان يطمح إليه في الواقع هو أن يقوم البابا انوسنت الثالث بتتويجه في كنيسة القديس بطرس في رومة لتقوية مركزه في مواجهة اشراف قطلونية وأرغون. وكان سفره إلى رومة لهذا الغرض، وبصحبته حاشية كبيرة عن طريق مرسيليا ومنها إلى جنوة، التي غادرها مع حاشيته، « في خمس سفن بحجة السفر إلى بيزة لعقد حلف معها لغزو الجزائر الشرقية (البليار)، ولكنه لم يقف في بيزة، بل رسا بسفنه عند مصب نهر التيبر ٦٠١ هـ = ١٢٠٣ م، واتجه إلى رومة، وكان البابا انوسنت الثالث قد رتب كل الترتيبات للاحتفال باستقباله وتتويجه .. »، واكتفى بذلك وعاد إلى بلاده التي أخضعها « لأداء الجزية للكرسي البابوي »، مما زاد من نقمة البارونات والفرسان والتجار عليه، وأضعف من مكانته وفتت قوة مملكته، لهذا أخفق في تحقيق مشاريعه بالاستيلاء على جزر البليار التي نجح ابنه خايمي الأول في تحقيقها من بعده[٢]. وقد ذكر ابن عيّاش نتيجة هامة أخرى لاستيلاء الموحدين على جزر البليار بقوله، « وأما شقيهم (يحيى بن اسحق بن غانية) الذي كان بالأطراف الافريقية، فقد جاءته القاضية، ووترته الفاقرة في أهل الأعزّين عليه، التي متى حارب كانت نصب عينيه .. »[٣]. لقد أصاب ابن عياش في قوله هذا، فقد كان سقوط ميورقة في يد الموحدين كارثة كبرى للأمير يحيى بن اسحق بن غانية، فقد تحول اتجاه مغامرته الافريقية تحولاً جذرياً، واستحال ذلك الجيش الفاتح الذي وصل ذروة انتصاراته قبيل سقوط ميورقة ومنورقة في يد الموحدين، إلى مجموعة من المغامرين الذين يعيشون تحت رحمة القدر، يضربون ضرباتهم ثم يسرعون بالهرب إلى بلاد الجريد، كلما أحسوا بالخطر لكي يعدّوا العدة لضربة جديدة، دون أن يكون لهم ملجأ يلجأون إليه أو سند يعتمدون عليه[٣].

ولم يكن سقوط جزر البليار في يد الموحدين ضربة قاصمة لبني غانية وحدهم، ولكنها تركت أثراً واضحاً على جمهوريتي بيزة وجنوة اللتين فقدتا أسواقاً مهمة في جزر البليار من جهة، وفي ثغور افريقية الخاضعة لبني غانية من جهة أخرى، كانت تعني بالنسبة لهما كثيراً من المنافع، ومع ذلك لم تسر الأمور كما كان متوقعاً، فقد تمكن يحيى بن غانية من مواصلة القتال طيلة ثلث قرن ضد الموحدين، بعد سقوط جزر البليار في يدهم. ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى قوة شخصيته وشدة اقدامه، ولكنه كان قتالاً يائساً لا أمل فيه في الظفر! وكان من السهل التنبؤ بنتيجته المحتومة، مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، فقد كان يحيى بن اسحق

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٧٧ - ١٧٨.
(٢) يوسف اشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص ٣٧٧ وما بعدها.
(٣) الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل موحدية ص ٢٤٧.

يقاتل الامبراطورية الموحدية بإمكانياتها الضخمة دون أن يكون له أي مصدر إمداد يستعين به بعد سقوط جزيرة ميورقة سوى حلفاء قلّب من الأعراب[١].

ويقول المؤرخ الفرنسي الفريد بل، بأن محمد الناصر الخليفة الموحدي ضمن باستيلائه على جزر البليار حماية مؤخرة قواته، وعزل يحيى بن غانية في افريقية، مما مكنه من الانتصار عليه، بعد أن منع عنه ما كان يحصل عليه من جزر البليار من سفن ورجال وتموين وأموال، ولولا بسالة يحيى وعناده وجرأته الفائقة، لأجهز على قواته بضربة واحدة[٢]. ومهما يكن الأمر فقد كان لسقوط جزر البليار في يد الموحدين نتائج خطيرة على موازين القوى في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وأحرز الأسطول الموحدي تفوقاً على جميع الأساطيل المسيحية في هذا الحوض[٣]. ولولا استنزاف بني غانية للموحدين في افريقية لكان بوسعهم تحقيق مزيد من الانتصارات الساحقة على قوات ممالك اسبانيا المسيحية في بلاد الأندلس، ولكان لتاريخ الأندلس شأن آخر[٤]!

وكان لانتصار الموحدين على بني غانية واستيلائهم على جزر البليار دويٌّ هائل في بلاد المغرب والأندلس، خلّده الشعراء في قصائد منها على سبيل المثال، قصيدة للجراوي يهنىء فيها الخليفة الموحدي محمد الناصر بهذا الفتح، بالإضافة إلى قصيدتين أخريين يهنئه في الأولى بفتح ميورقة، وفي الثانية بفتح منورقة[٥]. كما هنأه بالفتح وفد من ميورقة[٦].

كما مدح الخليفة محمد الناصر وهنأه بهذا الفتح، أبو عمر يزيد بن عبدالله ابن أبي خالد[٧].

وكان للزجالين دور في التهنئة بفتح ميورقة ومنورقة، وقد حاز قصب السبق في هذا المجال

---

(١) سليمان مصطفى زبيس: تأملات حول إعادة الحكم المرابطي في المغربين الأوسط والشرقي، ص ١٩٧. (مجلة ميورقة، كلية الفلسفة والآداب في بالمادي، ميورقة، جامعة برشلونة سنة ١٩٧٤).

(٢) الفريد بل: بنو غانية، ص ١١٩.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢٣٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ١١٦ / ١٢.
والحافظ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج ٤، ص ٢٧٨.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٦ - ٢١٨.

(٦) يذكر ابن أبي زرع بأن أهل ميورقة رسلوا وفداً إلى الخليفة الموحديّ محمد الناصر لتهنئته بالفتح وأنّهم «.. سلّموا عليه، وبايعوه، فعفا عنهم، ووصلهم على قدر طبقاتهم، وتكلّم إليهم بالجميل..».
(ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٢٣٢ طبعة دار المنصور).

(٧) يقول ابن الابار عن ابن أبي خالد ما يلي، «من أدباء اشبيلية ونبهائها، وإلى سلفه ينسب المعقل المعروف بحجر ابن أبي خالد، توفي في اشبيلية سنة ٦١٢ هـ..» المقتضب من تحفة القادم، ص ١٢٠.

ابن جحدر الاشبيلي[١]، وهكذا أصبحت جزر البليار إقليماً من أقاليم الدولة الموحدية، وتتابع على حكمها ولاة الموحدين واحداً بعد آخر، حتى سقوطها في يد مملكة أرغون وقطلونية.

ولاة جزر البليار في عهد الموحدين

تعاقب على حكم جزر البليار في السنوات السبع الأولى من الحكم الموحدي ثلاثة ولاة، ومن المؤسف أن المصادر الإسلامية التي بين أيدينا لا تسعفنا بمعرفة الكثير عن جزر البليار في هذه الفترة، فبعد أن وطّد أبو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن دعائم الحكم الموحدي في جزر البليار بعد الاستيلاء على ميورقة ومنورقة في ذي الحجة ٥٩٩ هـ = سبتمبر ١٢٠٣ م، غادرها إلى مراكش بعد أن ولّى عليها قائد البحر عبدالله ابن طاع الله الكومي[٢]. واطمأن أهل جزر البليار في فترة ولايته إلى الحكم الجديد، وأرسلوا وفداً إلى الخليفة محمد الناصر، في قاعدة ملكه في مراكش يعلنون بيعتهم وطاعتهم، فأكرم الناصر وفادتهم[٣]. وولّى عليهم قاضياً هو الفقيه الجليل عبدالله بن سليمان الأنصاري المعروف بابن حوط الله[٤].

وفي عام ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م، ولّى الخليفة الناصر الموحدي «أبا عبدالله بن عبد السلام الكومي قيادة أسطول سبتة وأمر له بما كان يأخذه أبو محمد عبدالله بن طاع الله الكومي..»[٥]. كما قام بتولية عمه السيد أبا زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن والياً على جزر البليار، وولّى أبا محمد عبدالله بن طاع الله عامل جزر البليار على «قيادة البحر»[٦]. وتعاقبت ولاة الناصر الموحدي على هذا الجزر[٧]، فبعد السيد أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف عن الخليفة الناصر، وليها السيد أبو عبدالله بن أبي حفص بن عبد المؤمن[٨].

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ١١٥٦.

(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.
وابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٥٢٠. والناصري: الاستقصاء، ج ٢، ص ٢١٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٣، ص ٤١٦. والناصري: الاستقصاء، ج ٢، ص ٢١٧.

(٤) عبدالله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأزدي، «.. فقيهاً جليلاً أصوليا لغوياً كاتباً، أديباً شاعراً متفنناً في العلوم، ورعا ديّناً حافظاً ثبتاً فاضلاً.. مشهوراً بالعقل والفضل، معظماً عند الملوك، يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية، وللملوك الموحدين به اعتناء كبير، وكان أستاذ الناصر واخوته، ولي القضاء باشبيلية وقرطبة ومرسية وسلا وميورقة».
(ابن الخطيب: الإحاطة، ٤١٦/٣. والناصري: الاستقصاء، ٢١٧/٢).

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٨.

(٦) ابن خلدون: العبر، ٥٢٠ / ٦. والناصري: الاستقصاء، ٢١٧ / ٢.

(٧) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٨.

(٨) ابن خلدون: العبر، ٦ / ٥٢٠. والناصري: الاستقصاء، ٢ / ٢١٧.

وفي سنة ٦٠٧ هـ = ١٢٠١ م ، « قدّم الخليفة الموحدي محمد الناصر على جزيرة ميورقة (وذواتها) أبا يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران ، وأخّر عنها السيد أبي عبدالله بن أبي حفص ، وقدّم السيد المذكور على بلنسية .. »[١] . وكانت جزر البليار تتبع ولاية بلنسية في التقسيمات الإدارية الموحدية[٢] . وكان أبو يحيى محمد بن علي ابن أبي عمران[٣] آخر ولاة الموحدين بجزر البليار ، « ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمائة ، وكان الحادث بها عظيماً »[٤] .

جزر البليار في عهد أبي يحيى محمد بن علي بن أبي عمران التنملّي

اختلف المؤرخون في تسمية آخر عمّال جزر البليار في عهد الموحدين ، آخر العهود الإسلامية في هذه الجزر ، نظراً لأن البعض ذكره بكنيته ، بينما ذكره البعض الآخر حيناً باسمه ، وحيناً آخر باسمه مع كنيته ، وتجنباً للالتباس الذي وقع فيه بعض المؤرخين المعاصرين في تسميته[٥] ، سنذكر في الفقرة اللاحقة ما ذكرته المصادر عن هذا العامل من تسميات والخروج منها بكنيته واسمه كاملين :

أ- يقول ابن عذاري بأن « أبا يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران » ، كان آخر ولاة الموحدين على جزر البليار ، « ومن يده أخذها النصارى »[٦] .

ب- يذكر ابن سعيد المغربي ما يلي ، « وصارت (ميورقة وذواتها) لبني عبد المؤمن ، وتوالت عليها ولاتهم إلى أن أخذها النصارى من أبي يحيى بن عمران التيملّلي .. »[٧] .

جـ- يدعوه الحميري « بابن يحيى »[٨] .

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٢٣٣ .
ويذكر المقري : نفح الطيب ٤/٤٢٩ بأن تاريخ تولية السيد أبي يحيى على ميورقة وذواتها كان في سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م .

(٢) محمد بن شريفة : أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٣) محمد بن محمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ٥/١ ، ص ١٨٣ ترجمة ٣٦٤ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ٥١٦/٦ . والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ . والناصري : الاستقصاء ، ٢١٨/٢ .

(٥) التبس اسم آخر عمال جزر البليار على المؤرخ الألماني يوسف أشباخ وعبدالله عنان ، وخلطا بينه وبين سعيد بن حكم بن عثمان آخر عمال جزيرة منورقة . (يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٤١٨ - ٤١٩ وحاشية « ١ » ص٤١٩ - ٤٢٠) . وقد أدّى إلى هذا الالتباس ، عدم وضوح نص ابن الأبار عن سعيد بن حكم . ابن عثمان ، وقد ظنّ أشباخ بأن فقرة « قدم على ميورقة ، بمعنى جاء إليها ، « قدّم على ميورقة » بتشديد الدال ، أي « ولّي عليها (الحلة السيراء ٣١٨/٢) وهو ما يتعارض مع جميع النصوص أعلاه .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢٣٣ .

(٧) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ٢/٤٦٧ .

(٨) الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ .

د- أما المقري فيدعوه حيناً بكنيته التي اشتهر بها قائلاً ، « ولما ثارت الأندلس على طائفة عبد المؤمن (الموحدين) ، كان الوالي بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبي عمران التنملّي .. » ، وحيناً آخر يدعوه باسمه الذي عرف به ، وهو « محمد بن علي بن موسى .. »[١] .

هـ- ودعاه الأوسي المراكشي « بأبي يحيى محمد بن علي بن أبي عمران .. »[٢] .

يتضح من التسميات الآنفة الذكر بأن أبا يحيى هي كنية هذا الوالي ، وأن « أبا الحسن » ، هي كنية والده « علي » ، وأن أبا عمران هي كنية جدّه « موسى » ، أما اسمه فهو « محمد بن علي ابن موسى » ، ولكونه ينتسب إلى بلدة تنمل ، في إقليم السوس في بلاد المغرب الأقصى ، فقد دعي بالتنملي والتيملّلي والتنمللي[٣] . ومن ثم فلا خلاف في أن الذي كان والياً على جزر البليار في آخر عهودها الإسلامية ، ومن يده أخذها النصارى هو أبو يحيى محمد بن أبي الحسن علي بن أبي عمران موسى التنملّي (التنمللّي - التيملّلي)[٤] .

وفي السنة الأولى من تولية أبي يحيى محمد بن علي بن موسى التنملّي على جزر البليار ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م ، أسهم أسطول جزر البليار تحت قيادة « أبي العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن فاتح ميورقة ومنورقة » ، وقائد أساطيل « البرّين » الأندلس والمغرب ، في الإغارة على سواحل مملكة أرغون وقطلونية التي كانت تتحرش بجزر البليار ، وتغير على ساحل الأندلس الشرقي . ويقول ابن عذاري في هذا الصدد في حوادث عام ٦٠٧ هـ ما يلي ، « وفيها تحرّك السيد أبو العلاء الكبير قائد أساطيل البرّين إلى برشلونة بجميع أجفان العدوة والأندلس ، فكانت أحسن حركة للمسلمين ، وأوحش فجيعة وأعم وقيعة ، وأوقع خسارة بقلوب الكافرين »[٥] . وقد أدت هذه الحملة البحرية إلى نتائج خطيرة ، فقد ازدادت العلاقات توتراً بين مملكة أرغون وقطلونية والموحدين ، وقام بيدرو الثاني بغارات واسعة النطاق على شرق الأندلس ، واستعان بفرقة من الفرسان الصليبيين من الداوية (فرسان المعبد) في الاستيلاء على عدد من حصون ولاية بلنسية[٦] . وكما كانت جزر البليار تتأثر بتأزم العلاقات مع مملكة أرغون وقطلونية

---

(١) المقري : نفح الطيب ، ٤٦٩/٤ .

(٢) محمد محمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ، ٥/١ ، ص ١٨٣ .

(٣) التنملّي : نسبة إلى تنمل « اسم موضع ببلاد السوس ، واتخذه المهدي محمد بن تومرت داعية الموحدين مركزاً لدعوته ، وبها قبره . (عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٥٤) . كما يطلق عليها اسم تينملل ، ويقال لمن ينتسب إليها تينمللي » ، ويدعوها صاحب الروض العطار « تاملت » ، ويذكر بأنها « حصن عظيم جداً من حصون جبال درن بالمغرب ، وهو منيع صعب » (الحميري : الروض المعطار ، ص ١٢٨) .

(٤) محمد بن شريفة : أبو المطرّف بن عميرة المخزومي ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب / القسم الموحدي ، ص ٢٣٤ .

(٦) محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص ٢٨٨ .

المجاورة لها ، باعتبارها أهم القواعد الإسلامية المستهدفة ، كانت تتأثر كذلك بأحداث شرق الأندلس لكونها عملاً من أعمال بلنسية[1]. وفي سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م ، « وصل إلى مراكش لمقابلة الخليفة (الموحدي) محمد الناصر جماعة من وجوه شرق الأندلس معرضين آثار العدو البرشلوني (بيدرو الثاني) في بلادهم ، وانتهاكه لطارفهم وتلادهم ، فقوي عزم الناصر على نصرهم والحركة إليهم . . »[2]. وبينما كان الخليفة محمد الناصر الموحدي يعد العدة للمعركة المصيرية مع ممالك اسبانيا المسيحية في بلاد الأندلس ، « وصلت الأنباء إلى الحضرة (مراكش) بتغلّب المسلمين على كثير مما في أيدي الروم من معامل صقلية ، ووصول أعيانهم ووجوههم إلى مدينة تونس إلى الشيخ أبي محمد بن أبي حفص ، وإطلاق الخطبة في بلادهم بالدعوة الموحدية . . »[3]. ولولا عيث يحيى بن غانية فساداً في افريقية واستنزافه للقوات الموحدية ، وشلّ فعاليتها ، وانشغال الخليفة محمد الناصر الموحدي بمشاكل الأندلس ، كان بوسع الأساطيل الموحدية مساندة الثورة الإسلامية في جزيرة صقلية ، ولتغيرت موازين القوى البحرية تغيراً جذرياً ، ولوجدت جزر البليار المهددة بأفدح الأخطار سنداً قوياً يدعم قوتها[4]. ولكن بعد هزيمة الجيش الموحدي في معركة العقاب ، انهار كل أمل في صمود جزر البليار في مواجهة الهجمة الصليبية الشرسة[5].

أثر هزيمة الجيش الموحدي الساحقة في معركة العقاب

حلّت بالمسلمين في بلاد الأندلس نكبة داهمة غيّرت مجرى التاريخ ، وتركت آثارها المدمرة على مصير جزر البليار ، فقد هزم الجيش الموحدي هزيمة مروعة في مواجهة قوات ممالك اسبانيا المسيحية ، وحلفائها من الصليبيين الذين حشدتهم البابوية ، في معركة العقاب المشئومة (لاس نفاس دوتولوزا) Les Navas de Tolosa في ١٥ صفر ٦٠٩ هـ = ٦ يوليو ١٢١٢ م ، التي أبيدت

(١) محمد بن شريفة : أبو المطرّف بن عميرة المخزومي ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٤) كانت صقلية في عام ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م تمر بمرحلة انتقالية بعد وفاة غليام الثاني آخر ملوكها من أسرة هوتفيل النورمندية دون عقب ، وكان قد أوصى بالملك من بعده لهنري السادس امبراطور المانيا من أسرة هوهنشتاوفن ، باعتباره زوجاً للأميرة كونستانس ابنة روجر الثاني ، عمّة غليام الثاني ، ولكن أهل صقلية رفضوا تنفيذ هذه الوصية ، ونادوا بالأمير تنكرد بن روبرت جسكارد ملكاً عليهم ، وأسفرت هذه المنازعات عن حرب بين الطرفين آلت في نهاية المطاف إلى استيلاء الامبراطور هنري السادس على مملكة الصقلتين ، وترك زوجته الامبراطورة كونستانس نائبة عنه وعن ابنهما فردريك الذي سيقوم بدور خطير في تاريخ الحروب الصليبية ، وسيكون له علاقات وثيقة بالسلطان الأيوبي الكامل . (د . سعيد عاشور : اوروبا العصور الوسطى ، ص ٣٨٥ - ٣٩٠/١) .

(٥) المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ، وج ٤ ، ص ٣٨٣ .

فيها معظم القوات الموحدية ، ولم ينج الخليفة محمد الناصر مع عدد قليل من حرسه وجنوده إلا بصعوبة كبيرة! وانهار الحكم الموحدي في بلاد الأندلس على أثر هذه الفاجعة من أساسه ، وانقضت قوات ممالك اسبانيا المسيحية والحشود الصليبية التي تؤازرها على بلاد الأندلس المقطّعة الأوصال بعد أن استقل كل أمير بناحية منها[1]. وأصبحت جزر البليار بعد هذه الهزيمة المروعة معزولة دون أي قوة خارجية تساندها ، في مواجهة مملكة قطلونية وأرغون التي كانت تتطلع للاستيلاء عليها[2].

ولكن أحداثاً خطيرة وقعت في مملكة قطلونية وأرغون أدّت إلى نشوب حرب أهلية بين خايمي الأول « ولي العهد » وأعمامه بعد مقتل والده بيدرو الثاني ٦١٠ هـ = ١٢١٣ م[3]. مما أدّى إلى بقاء جزر البليار بمأمن من عدوان أساطيل مملكة قطلونية وأرغون حتى عام ٦٢٣ هـ = ١٢٢٥ م[4]، الذي تمكن فيه خايمي الأول « جاقة وجاقمة » ملك أرغون ، والطاغية

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٩٩ - ٤٠١ .
وابن عذاري . البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢٣٧ - ٢٤٠ .
والحميري : الروض المعطار ، ص ٤١٦ . ومجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص١٢٢ .
وابن أبي دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص ١٢٤ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٥٢٧ - ٥٣٢ . والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ص ٤٤٦ ، وج ٤ ، ص ٣٨٣ و٤٦٤ . والناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب/القسم الثاني ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٧٧ .

(٣) تعرضت مملكة قطلونية وأرغون إلى انقسام خطير ، بسبب تقلب ملكها بيدرو الثاني وسوء سياسته ، فقد توجه بعد عودته منتصراً مع حلفائه في معركة العقاب ٦٠٩ هـ = ١٢١٢ م ، إلى جنوب بلاد الفرنجة ، للإشراف على شئون ممتلكاته هناك ، وكان قد صادق قبل قدومه على تولية سيمون دي مونفور الفارس الصليبي الشهير كونتا على قرقشونة واربونة وبيزييه ، وأرسل ابنه وولي عهده خايمي الأول (فاتح البليار) إلى بلاط قرقشونة لينشأ هناك تحت رعاية حليفه الكونت سيمون دي مونفور . ولكن اطماع الكونت سيمون لم تقف عند حد ، فقد تطلع إلى الاستيلاء على طولوز ، وكان « كونت طولوز » زوجاً لسانشا أخت الملك بيدرو الثاني ، ولما لم تجد المساعي السلمية في وقف عدوان الكونت سيمون على طولوز ، فقد نشبت الحرب بينه وبين مملكة قطلونية وأرغون وأسفرت عن مقتل الملك بيدرو الثاني ٦١٠ هـ = ١٢١٣ م ، وبقاء ابنه وولي عهده (خايمي الأول) رهينة تحت رحمة الكونت سيمون دي مونفور . وتدخل البابا انوسنت الثالث من أجل إطلاق سراحه ٦١١ هـ = ١٢١٤ م ، ولكن عمه الطموح سانشو قام باعتقاله في حصن مونزون ، واستولى على السلطة ٦١٤ هـ = ١٢١٧ م . وما إن تخلص « خايمي الأول » من عمه سانشو بعد جهود مضنية ، حتى برز عمه الثاني فرناندو إلى الميدان ، واستولى على السلطة ، وظلّت مملكة قطلونية وأرغون تعاني من الحرب الأهلية حتى عام ٦٢٤ هـ = ١٢٢٧ م ، حيث تمكن الملك خايمي الأول من توطيد دعائم حكمه في مملكة قطلونية وأرغون بعد استسلام عمه فرناندو وقواته ، وأخذ يتطلع منذ ذلك الحين في الاستيلاء على جزر البليار .
(يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٨١ - ٣٨٣ وص ٤١٤ - ٤١٧) .

(٤) المقري : نفح الطيب ج ٤ ص ٤٦٩ .

البرشلوني[١] ، و« صاحب بلاد أرغون المعروف بالبرشتوني » ، كما تدعوه المصادر الإسلامية ، من تثبيت دعائم حكمه ، وأخذ منذ ذلك الحين في التحرش بجزر البليار[٢] .

ومن المؤسف أننا لا نجد أي نص يوضح الأحداث الداخلية في هذه الجزر منذ تولية أبي يحيى التنملّي ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م[٣] ، وحتى ظهور أول بوادر العدوان الصليبي على جزر البليار تحت علم مملكة قطلونية وأرغون في ذي الحجة ٦٢٣ هـ = ديسمبر ١٢٢٦ م[٤] .

بوادر العدوان الصليبي على جزر البليار

بينما كان الصراع الدامي على أشدّه بين الأمراء الموحدين على عرش المملكة الموحدية والفتنة الداهمة تعصف ببلاد الأندلس[٥] ، كان أبو يحيى التنملّي عامل جزر البليار يراقب هذه الأحداث المؤسفة بقلق وحذر ، وتقديراً منه لدقّة وضعه وخطورته ، فقد سعى جاهداً لتقوية أساطيل جزر البليار ، التي أصبحت معزولة عن أي عون إسلامي خارجي ، لمواجهة أي عدوان محتمل من أساطيل مملكة قطلونية وأرغون التي كانت له بالمرصاد . وقد احتفظ لنا المقّري بقطعة فريدة من تاريخ ميورقة « كائنة ميورقة » لأبي المطرف أحمد بن عبدالله بن محمد بن عميرة المخزومي[٦] الذي ولّي القضاء بميورقة قبيل سقوطها النهائي وعاصر تلك الأحداث المأساوية[٧] . وكتب عنها نصوصاً وافية تبيّن لنا بكل وضوح البوادر الأولى للعدوان الصليبي على جزر البليار في حوادث ذي الحجة من عام ٦٢٣ هـ = ديسمبر ١٢٢٦ م . التي يقول فيها : بأن أبا يحيى محمد بن علي موسى عامل جزر البليار ، أرسل « طريدة بحرية » ، لجلب الأخشاب من جزيرة يابسة بحراسة « قطعة حربية » ، لبناء سفن جديدة لتدعيم قوته البحرية ، لمجابهة

(١) الحميري : الروض المعطار ص ٩٧ وحاشية « ٥ » ، ص٥٦٨ .
(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٤٠١ .
(٣) ابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ص ٢٣٣ .
(٤) المقري : نفح الطيب ج ٤ ص ٤٦٩ .
(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤١٥ . ومجهول المؤلف : الحلل الموشية ، ص ١٢٣ . وابن عذاري : البيان المغرب/القسم الموحدي ، ص ٢٤٧ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ص ٣٤٨ .
(٦) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٤٢ – ٤٧ .
والغبريني : عنوان الدراية ، ص ٢٥٠ – ٢٥٣ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٣٣ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ١/١ ، ص ١٧٦ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ١٧٣ – ١٧٨ .
والحواشي ص ١٧٨ . والمقري : نفح الطيب ج ٤ ، ص ٤٦٩ – ٤٧١ . ومحمد بن شريفة : أبو المطرف بن عميرة المخزومي ، ص ٢٨٧ – ٢٩١ .
(٧) دومنيك اورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ١٢٢ .

الأخطار المحتملة ، ولكن أساطيل الروم « مملكة قطلونية وأرغون » كانت له بالمرصاد . فقد علم كونت طرطوشة من سفن الاستطلاع بنبأ السفن التي أرسلها أبو يحيى لجلب الأخشاب من جزيرة يابسة ، وقام على الفور بإرسال حملة بحرية قوية ، تمكنت من أسر السفن الإسلامية بحمولتها من الأخشاب ، مما أثار غضب أبي يحيى التنملّي عامل البليار ، وأخذ يعد العدّة للإغارة على سواحل مملكة قطلونية وأرغون ومهاجمة أساطيلها في البحر وقطع الطريق عليها[١] .

وكانت بداية الاشتباكات البحرية بين قطع من أسطول جزر البليار وسفن تابعة لمملكة قطلونية وأرغون في آخر ذي الحجة ٦٢٣ هـ = ديسمبر ١٢٢٦ م . ويقول المقري في هذا الصدد ، نقلاً عن تاريخ ميورقة ، (كائنة ميورقة) لابن عميرة المخزومي بأن أبا يحيى التنملّي عامل جزر البليار « حدّث نفسه بالغزو لبلاد الروم (ساحل قطلونية) ، وكان ذلك رأياً مشؤوماً . . وفي آخر ذي الحجة سنة ٦٤٣ هـ بلغه أن مسطحاً من برشلونة ظهر على جزيرة يابسة ، ومركباً من طرطوشة انضم إليه ، فبعث ولده في عدة قطع حتى نزل مرسى يابسة ، ووجد فيه لأهل جنوة مركباً كبيراً ، فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح فقاتله وأخذه وظن أنه غالب الملوك[٢] ، وغاب عنه أنه أشأم من عاقر الناقة »[٣] !

الاستعداد للحرب

تأزمت العلاقات بين جزر البليار ومملكة قطلونية وأرغون بعد الاشتباكات البحرية الأولى تأزماً شديداً ، وأخذ تجار قطلونية وكبار نبلائها الطامعين في ثروات جزر البليار يحرضون خايمي الأول على الاستيلاء على هذه الجزر الغنية ، واستجاب لندائهم ، فقد كان ملك قطلونية قد وطد دعائم ملكه سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٧ م ، بعد حرب أهلية دامية استمرت طيلة خمسة عشر سنة ، وها هو يجد الفرصة لاشغال المقاتلين في مملكته في حرب ضد المسلمين في جزر البليار يجني من ورائها مغانم وافرة ويحرز مجداً يرفع من مكانته بين ملوك اسبانيا المسيحية ومكسبة دعم البابوية ونصرتها[٤] . وقد تنبهت الرواية الإسلامية إلى هذا التحريض من قبل نبلاء مملكة

(١) المقري : نفح الطيب : ج ٤ ص ٤٦٩ . ويوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص ٤١٧ .
(٢) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٦٩ – ٤٧٠ .
(٣) قدار بن سالف : الذي يضرب به المثل بالشؤم ، فقد عقر ناقة نبي الله صالح ، فكان سبباً في هلاك قومه ثمود ، وما يقصده ابن عميرة المخزومي ، بأن سوء تصرف أبي يحيى التنملي كان سبباً في ضياع ميورقة وفناء أهليها .
(محمد بن شريفة : أبو المطرف بن عميرة ، حاشية ٥ ، ص ٢٨٩) .
(٤) يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤١٧ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس / القسم الثاني ، ص ٢٩٣ .

قطلونية وأرغون ، واستجابة الملك لهم وإعداده العدة للاستيلاء على جزر البليار . ويقول المقري بهذا الصدد متابعاً نصه الآنف الذكر ، « ولما بلغ الروم (أهل مملكة قطلونية وأرغون) خبر العدوان على سفنهم قالوا لملكهم (خايمي الأول) كيف يرضى الملك بهذا الأمر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا؟ فأخذ عليهم العهد بذلك ، وجمع عشرين ألفاً من أهل البلاد وجهز في البحر ستة عشر ألفاً وشرّط عليهم حمل السلاح . . »(١).

وتذكر المصادر اللاتينية بأن خايمي الأول ملك قطلونية وأرغون أعلن أثناء انعقاد بلاطه في طركونة في حشد كبير من الكونتات والبارونات وكبار التجار سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م إعداد حملة كبيرة للاستيلاء على جزيرة ميورقة(٢).

وتضيف المصادر اللاتينية إلى ما سبق ذكره موضحة كيفية الوصول إلى قرار إعلان الحرب على جزر البليار قائلة ، بأن بيدرو مارتل ، وهو بحار من طركونة ، أثار أطماع الحضور وغضبهم في المأدبة الملكية ، بما قصّه عليهم من غنى جزيرة ميورقة وخصبها ووفرة ثرواتها ، وما يقوم به سكانها من حين إلى آخر من سبي النصارى ، وما يضمره أميرها من كره للقطلان والارغونيين ، وما يكنّه لهم من بغض وعداء . وتحمس الحضور وناشدوا الملك خايمي الأول إعلان الحرب على أمير جزر البليار ، فانفعل الملك المسيحي! وأعلن استعداده لمحاربة الأمير المسلم الذي كان يتطاول عليه ويعامله بكل صلف واحتقار ، « وأقسم أنه لن يعتبر نفسه ملكاً شرعياً قبل أن يتم استيلاؤه على ميورقة »(٣). وفي الواقع لم يكن خايمي الأول بحاجة إلى من يشجعه على غزو ميورقة ، فقد كانت حرب الاسترداد Reconquista على أشدّها ضد المسلمين في بلاد الأندلس ، وكان ملك قطلونية وأرغون يتطلع إلى تحقيق انتصارات تدعّم مركز حكمه ، في حرب ضد المسلمين بعد الحرب الأهلية الطاحنة التي دمّرت مملكته طيلة خمسة عشر عاماً . كما أن هذه الحرب ستشغل نبلاء المملكة عن المنازعات الداخلية ، وتشغلهم بحرب خارجية ترضي طموحهم وتطلعهم إلى الثروة والمغانم ، كما ترضي تجار قطلونية الذين كانوا يتطلعون دائماً إلى توسيع نطاق تجارتهم ، وضمان سلامة سفنهم التي كانت مهددة باستمرار من أساطيل جزر البليار ، بالإضافة إلى أن أي حرب ضد المسلمين تحظى برضاء البابوية وتتيح للملك خايمي الأول بأن يتلقى العون المادي والمعنوي منها ، ويكسب بذلك مكانة كبرى في العالم المسيحي . لهذا فقد عقد المجلس النيابي (الكورتيس) في برشلونة في شهر صفر ٦٢٦ هـ = ديسمبر ١٢٢٩ م

(١) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٧٥ .
ويوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤١٧ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .
ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤١٧ .

واقترح على أعضائه القيام بحملة عسكرية للاستيلاء على ميورقة من أجل تأمين التجارة في البحر المتوسط التي تعيق حركتها أساطيل جزر البليار الإسلامية ، وقد وافق جميع أعضاء الكورتيس « المجلس النيابي » على اقتراح الملك خايمي الأول بحماسة فائقة ، وأقرّوا بالإجماع على أن يقوم الملك بجباية ضريبة « الماشية القرنية » للمساهمة في نفقات الحملة ، وذلك بصفة استثنائية ، فقد كانت هذه الضريبة تجبى مرة واحدة عند تولّي ملوك قطلونية وأرغون العرش(١).

وقد تحمّس كبار نبلاء وتجار وفرسان مملكة قطلونية وأرغون لهذا المشروع الذي سيدر عليهم مغانم وافرة ، وثروات طائلة ، كما أعلن كبار الأجناد والرهبان ، عن استعدادهم للإسهام في الحملة المرتقبة ، بفرسان ومشاة تتولى الكنيسة الإنفاق عليهم ، وأبدى كبار نبلاء المملكة استعدادهم للاشتراك في هذه الحملة على رأس أتباعهم من الفرسان والرماة والمشاة ، وكان على رأسهم نونيو سانشيز كونت روسيون وهو جودي أمبورياس ، والأخوان رامون وجلين دي مونكادا(٢).

وقد وعد خايمي الأول بأن يسهم في الحملة المرتقبة بمائتي فارس من أرغون ، كما تعهد للنبلاء والفرسان ورجال الكنيسة بأن تقسيم أراضي جزيرة ميورقة والغنائم التي سيتم الحصول عليها من هذه الجزيرة عد الاستيلاء عليها بين المشتركين في الحملة من النبلاء والفرسان والتجار ورجال الدين ، وفق ما يقدمه كل منهم من فرسان ومشاة وسفن وما يسهمون به من نفقات . واشترط عليهم أن يحتفظ لنفسه بالقصور والقلاع ، وأن تكون له السيادة العليا على جزيرة ميورقة ، وأقسم الجميع على ذلك ، وجرى الاتفاق أن يكون اللقاء في ثغر طرطوشة ، بعد إنجاز الاستعدادات اللازمة في رمضان ٦٢٦ هـ = أغسطس ١٢٢٩ م ، وأن تحتشد الأساطيل اعتباراً من شهر جمادى الأولى ٦٢٦ هـ = ابريل - مايو ١٢٢٩ م في ثغر سالو

(١) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤١٨ .
ومحمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص ٤٠٤ .
(٢) من أعرق عائلات قطلونية ومن كبار نبلائها ، وكان رامون برنجار الرابع كونت قطلونية قد منح جدهم جيرمو رامون دي مونكادا Guillermo De Ramon De Mon Cada ولذريته من بعده وثيقة تمنحهم الحق في تملك إقطاعات واسعة في جزر ميورقة ومنورقة ويابسة سنة ٥٤١ هـ = ١١٤٦ م ، بعد الاضطلاع بغزو هذه الجزر والاستيلاء عليها . (الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ١٧٦). وكان جيوم ريمونديس مونكاد والد الفارسيين رامون وجلين دي مونكادا ينازع الفونسو الثاني ملك ارغون وقطلونية على العرش ، ويتصدى لمعارضته ، وكان الفونسو الثاني جد (خايمي الفاتح) يخشاه . ولهذا لم يتجرأ على محاكمته بعد اغتياله لمطران طركونة ١١٩٤ م .
(يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٩٢).

Salou بساحل قطلونية[١].

وتعهد التاجر القطلاني الثري رامون دي بليجمانز Ramon de Plegmans بإمداد الحملة الصليبية بالمعدات والأسلحة والتموين ، مقابل حصة من الغنائم والامتيازات وتزويد قادتها بمعلومات وافية عن تحركات السفن الإسلامية في الحوض الغربي للمتوسط من عملائه ووكلائه التجاريين ، المنتشرين في ثغور الحوض الغربي للبحر المتوسط[٢].

وبينما كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق في مملكة قطلونية وأرغون لإعداد حملة كبرى للاستيلاء على جزر البليار ، لجأ إلى بلاط خايمي الأول في جمادى الأولى ٦٢٦ هـ = ابريل ١٢٢٩ م ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف عامل بلنسية[٣]. بعد أن استولى أبو جميل زيّان بن مدافع على إقليم بلنسية ، وطرد أبا زيد عبد الرحمن ابن يوسف منها[٤]. واتخذ خايمي الأول من أبي زيد أداة طيّعة لتحقيق مآربه في الاستيلاء على جزر البليار ، باعتبار أن هذه الجزر كانت تتبع وفقاً للنظام الإداري الموحدي لإقليم بلنسية[٥].

---

(١) يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤١٨ .
ومحمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص ٤٠٤ .

(٢) Clements Markham: The Story of Majorca & Minorca, p. 39.

(٣) محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/ القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٧٢ .

(٥) تذكر الرواية النصرانية المعاصرة خبر التجاء أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف إلى بلاط خايمي الأول ملك أرغون وقطلونية بقولها ، « سار السيد أبو زيد وصحبه إلى قلعة أيوب حيث كان خايمي الأول يعقد بلاطه في ذلك الحين في جمادى الأولى ٦٢٦ هـ = ابريل ١٢٢٩ م . واجتمع أبو زيد وولده أبو محمد مع خايمي الأول ملك أرغون وولده الفونسو ، ووعد خايمي الأول بتقديم المعونة لأبي زيد من أجل استعادة بلنسية من يد ابن مردنيش ، وعقد بين الفريقين معاهدة نصّ فيها ، على أن يعطي أبو زيد ربع الأراضي والحصون التي يستعيدها لملك قطلونية وأرغون ، وأن يقدم كفالة بتنفيذ هذا الاتفاق ، بتسليم حصون بنشكلة ومركة وقلّة والبونت وشارقة وشبرت! على أن يقوم الملك خايمي بحمايته والدفاع عنه وعن ولده ضد أعدائهم »!!
(محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧).
واستغل خايمي الأول هذه الفرصة وأوهم أبا زيد بأنه سيعد حملة لجزيرة ميورقة من أجله وفي سبيل معاونته ، في استعادة سلطته في بلنسية وجزر البليار التي كانت تتبع في القسم الإداري الموحدي لبلنسية . ووضع أبو زيد كافة ما لديه من امكانيات تحت تصرف ملك قطلونية الذي وجد فيه أداة طيعة لتحقيق مطامعه .
(يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤١٨).
وهكذا سقط أبو زيد في مستنقع الخيانة ، وتخلّى عن شرفه بعد أن تخلّى عن أهله ووطنه ، وتسمّى باسم بثنتي « بجنت » Vicent « وتزوج من سيدة نصرانية من سرقسطة ، وكان يدعى في الوثائق المسيحية « بثنتي ملك بلنسية وحفيد أمير المؤمنين »!
(محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/ القسم الثاني ، ص ٣٩٨). وتدعوه =

ولم تخف هذه الاستعدادات الكبيرة التي كانت تجري في مملكة قطلونية وأرغون على أبي يحيى التنملّي ، فقام بدوره بالاستعداد لمجابهة هذا العدوان . ويقول المقري بهذا الصدد في حوادث عام ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م قائلاً : « وقد اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها (أبو يحيى التنملّي أمير البليار) وحشد ألف فارس من فرسان الحضر ومثلهم من الرعية ومن الرجالة ثمانية عشر ألفاً ، وذلك في شهر ربيع الأول ٦٢٦ هـ = فبراير ١٢٢٩ م »[١].

انقسام الجبهة الداخلية في ميورقة قبيل العدوان الصليبي

بينما كان أبو يحيى التنملّي يعد العدة لتقوية دفاعات جزر البليار ، وحشد قواها وتدعيم أساطيلها ، لمواجهة الحملة الصليبية المرتقبة ، نشبت في جزيرة ميورقة فتنة غامضة[٢] في وقت كانت فيه القوات الصليبية تحتشد في ثغور قطلونية ، استعداداً للإبحار إلى جزيرة ميورقة للاستيلاء عليها[٣]. ويوضح لنا ابن المستوفي[٤] في نصه الفريد التالي سبب هذه الفتنة قائلًا ، « لما استولى

= المصادر المسيحية باسم « زيت أبو زيت Zeit Abu Zeit » وهو تحريف لاسمه العربي « السيد أبو زيد » . وتذكر هذه المصادر ، بأنه سقط في أعين النصارى ، بعد أن انحدر إلى هوة سحيقة من الخيانة والتخاذل ، والخروج على كافة القيم ، ومات قهراً وكمداً ، محتقراً ملعوناً بعد أن خان قومه ، واتخذه خايمي الأول أداة للاستيلاء على جزر البليار وبلنسية .
(ابن شريفة : أبو المطرف بن عميرة المخزومي ، حاشية « ١ » ، ص ٩٠).

(١) المقري : نفح الطيب ، ٤ / ٤٧٠ .

(٢) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٣) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤١٨ .

(٤) ابن المستوفي : « شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي الإربلي صاحب كتاب تاريخ إربل المسمّى « نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل » أصله من الموصل وانتقل منها إلى إربل أثناء حكم مظفر الدين بن كوكبوري أمير اربل ، وتولى فيها بعض الوظائف الرسمية » ، (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل ، تحقيق د . سامي بن السيد خماش الصّقار ، حاشية « ٦ » ، ص ٢٧٥). وقد نقل ابن المستوفي روايته عن نكبة أهل ميورقة عن أبي علي الحسن بن محمد ابن الحسن من حصن بيزة بشرق الأندلس الذي وفد على أبي نصر الدين كوكبوري أمير إربل يستغيث به لإنقاذ أسرى ميورقة .
(ابن المستوفي : نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل ، ترجمة رقم ٣١٧ = ج ١ القسم الأول ص ٤٣٠ – ٤٣٢ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ٧ ، ص ٢٥).
حصن بيرة : في إقليم تدمير في شرق الأندلس (نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٠). وهي حالياً أحد مراكز المرية في شرق الأندلس وتدعى Vera (نصوص عن الأندلس ، حاشية « ٣ – ١٥ » ، ص ١٣١ – ١٣٢) ، وقد وصفها ابن الخطيب وصفاً شيقاً وذكر محاسنها ومساوئها (معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، ص ٥٨). =

ابن هود[1] على الأندلس ، خاف صاحب ميورقة أبو يحيى على ميورقة من أجنادها ، وكانوا في الأندلس فقتل منهم خلقاً وهرب من هرب إلى الجبال والحصون وخلت المدينة من كثير من أهلها ، فنزل عليها البرشنوني[2] ، وحاصرها في شوال ٦٢٦ هـ . . »[3] . وقد أدى هذا التصرف من أبي يحيى التنملّي إلى فتنة داهمة في جزيرة ميورقة في وقت كان فيه الأسطول الصليبي في طريقه إلى الجزيرة . ويلومه ابن سعيد المغربي على سوء تصرفه ويقول بأنه « كان بخيلاً غير حسن التدبير سامحه الله . . »[4] !

ويذكر المقري نصًّا من تاريخ ميورقة (كائنة ميورقة) للمخزومي ، يوضح فيه قسوة أبي يحيى التنملّي في قمع ثورة أهل ميورقة ، في وقت كان فيه الأسطول الصليبي في طريقه إلى جزيرة ميورقة ، يقول فيه ، « في سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م ، أمر الوالي (أبو يحيى التنملّي) صاحب شرطته بأن يأتيه بأربعة من كبراء المصر (ميورقة) فساقهم وضرب أعناقهم ، وكان فيهم ابنا خاله ، وخالهما أبو حفص (عمر) بن سيري ذو المكانة الوجيهة ، فاجتمعت الرعية إلى ابن سيري فأخبروه بما نزل ، وعزّوه فيمن قتل ، وقالوا هذا أمر لا يطاق ، ونحن كل يوم إلى الموت نساق ، وعاهدوه على طلب الثأر . وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال سنة ٦٢٦ هـ = ٥ سبتمبر ١٢٢٩ م ، والناس من خوفه في أهوال ومن أمر العدو في إهمال! . فأمر صاحب شرطته بإحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم ، وإذا بفارس على هيئة النذير ، دخل على الوالي وأخبره بأن الروم (أساطيل مملكة قطلونية وأرغون وحلفائها) قد أقبلت ، وأنه عدّ فوق

= مظفر الدين كوكبوري : علي بن سبكتكين بن محمد الملقب بالملك المعظم مظفر الدين ، ولد بالموصل ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م ، وتوفي سنة ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م ، وكان « كريم الأخلاق كثير التواضع حسن العقيدة ، لا يخيب أمل من يقصد برّه » . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ص١١٣ - ١٢١) . وقد وفد عليه أبو الحسن بن محمد الأندلسي يستغيث به لإنقاذ أسرى ميورقة الذين أسرهم الصليبيون بعد الاستيلاء على الجزيرة وعرضوهم للبيع في أسواق الرقيق فلبى نداءه وجمع الأموال لإنقاذ الأسرى قائلاً « أنا لها » !! (ابن المستوفي : نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل ترجمة رقم ٣١٧ ، ص٤٣٠ - ٤٣٢) .

(١) ابن هود : هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، ثار على الموحدين ٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ م واستولى على مرسية « وعندما استوثق أمره أعلن طاعته للخلافة العباسية ووصله تقليد الخليفة العباسي المستنصر بالله ، فشاع ذكره ، وملك القواعد وجيّش الجيوش : . » واشتبك في حروب عديدة مع الموحدين حيناً ، ومع قوات ممالك اسبانيا المسيحية حيناً آخر ، ولكنه كان يهزم في كل معركة يشتبك فيها « لغلبة الخفة عليه واستعجاله الحركات . . ولقائه العدو من غير استعداد ، وتوفي مقتولاً بيد عامله على المرية ، ويدعى بأبي عبد الله الرميمي سنة ٦٣٥ هـ = ١٢١٧ م .

(ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢ ص١٢٨ - ١٣٢ . وأعمال الاعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٧٧) .

(٢) البرشنوني : خايمي الفاتح وهو لقب لكل ملوك قطلونية وأرغون . (الحميري : الروض المعطار ، ص٥٦٨) .

(٣) ابن المستوفي : نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل ، ترجمة رقم ٣١٧ ، القسم الأول ص ٤٣٠ - ٤٣٢ .

(٤) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ٢/٤٦٧ .

الأربعين من القلوع . وما فرغ من إعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر (من جزيرة ميورقة) ، وقال إن أسطول العدو قد ظهر وقال : إنه عدّ سبعين شراعاً ، فصح الأمر عنده ، فسمح لهم بالصفح والعفو ، وعرّفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز ، فخرجوا إلى دورهم كأنما قد نشروا من قبورهم . . » ! وبهذا التصرف الجنوني الأحمق ، أعطى أبو يحيى التنملّي زمام المبادرة للعدو ، ومكّنه من التسلل إلى جزيرة ميورقة والنزول إلى الساحل ، بالرغم من معرفته المسبقة بالاستعدادات الكبيرة والحشد البحري الكبير[1] ، الذي كانت تعده مملكة قطلونية وأرغون في ثغر سالو في ساحل قطلونية لمهاجمة جزيرة ميورقة[2] ! منذ شهر ربيع الأول ٦٢٦ هـ = فبراير ١٢٢٩ م ، وحشده ألفي فارس وثمانية عشر من المشاة للتصدي لهذا العدوان[3] ، ولكنه هدر بسوء تصرفه وقلة حكمته هذه الاستعدادات المسبقة ، وأضاع على نفسه وعلى بلده فرصة مجابهة الأسطول الصليبي بجبهة متحدة متماسكة[4] .

الأسطول الصليبي في طريقه إلى ميورقة

أبحر الأسطول الصليبي في ١٠ شوال ٦٢٦ هـ = ١ سبتمبر ١٢٢٩ م ، بقيادة « خايمي الأول » ملك قطلونية وأرغون ، من ثغور سالو وطركونة وكامبريليس بساحل قطلونية في طريقه إلى ميورقة ، وكان عدد سفنه مائة وخمسين سفينة كبيرة من مختلف الأنواع ، بالاضافة إلى عدد كبير من القوارب ، واشتملت الحملة على ألف وخمسمائة فارس ، وخمسة عشر ألفاً من المشاة ، بالاضافة إلى حشود كبيرة من المتطوعين ، من الجنويين والفرنجة وفرسان الداوية « المعبد » ، تحت قيادة كبار نبلاء المملكة وأجنادها[5] . وكان يقود سفن الأسطول قباطنة من قطلونية ، ومتطوعون من جنوة ، بقيادة القبطان نيقولا بونيه Nicolas Bonet الذي أشرف على سفينة القيادة ، يعاونه في ذلك جيرمومونكادا الفارس القطلاني الشهير . وقام بقيادة سفن المؤخرة القائد الألماني كرّوز Carroz وهو الابن الأصغر لأحد الكونتات الألمان ، جذبته أنباء الحملة فتطوع فيها . واستقل الملك خايمي الأول إحدى سفن أسطول مونبلييه ، وأشرف التاجر القطلاني الكبير رامون دي بليجمانز Ramon De Plegmans على تزويد سفن التموين والمعدات والأسلحة ، مقابل حصة من الأراضي التي سيتم الاستيلاء عليها والغنائم المكتسبة وامتيازات تجارية اتفق عليها . وكان هبوب الرياح خفيفاً في صباح يوم إقلاع الأسطول ، وقبل حلول

---

(١) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص٤٧٠ .

(٢) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٤١٨ .

(٣) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص٤٧٠ .

(٤) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص٤٦٧ .

(٥) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٤١٨ و

Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca p. 13.

المساء اشتد عصف الرياح الجنوبية الغربية وعلت أمواج البحر ، واشتد اضطرابه ، مما اضطر السفن إلى الاقتراب من بعضها البعض خوف تفرقها في عرض البحر ، ونصح القبطان نيقولا بونيه بالعودة إلى ثغور قطلونية ، حتى تتحسن الأحوال الجوية ، ولكن الملك خايمي رفض هذا الاقتراح بشدّة[1]!

وفي مساء اليوم التالي من إقلاع الحملة « ١١ شوال ٦٢٦ هـ = ٢ سبتمبر ١٢٢٩ م » أصبح الأسطول الصليبي على مقربة من شاطىء ميورقة ، وفي صباح اليوم الثالث « ١٢ شوال ٦٢٦ هـ = ٣ سبتمبر ١٢٢٩ م » اقترب الأسطول من شاطىء بلانسة Pollensa في أقصى شمال شرق جزيرة ميورقة . وبينما كانت سفن الأسطول تتجه إلى ثغر بلانسة هبت ريح عاتية دفعت بسفن الأسطول قبالة الساحل الجنوبي الغربي لجزيرة ميورقة في مواجهة ثغر بالوميرا Palomera ، وفقدت سفينة واحدة في تلك العاصفة واتجهت معظم قطعات الأسطول إلى جزيرة صخرية تدعى بانتالو Pantaleu ، بينما اتجهت السفن الباقية للبحث عن مكان صالح للرسو في ساحل ميورقة الجنوبي الغربي[2] .

وكان الغزاة يشاهدون من جزيرة بنتالو ، التي لا تبعد سوى خمسمائة ياردة عن الساحل الجنوبي الغربي لجزيرة ميورقة ، حشود القوات الإسلامية من الفرسان والمشاة على طول الساحل المواجه لجزيرة بنتالو ، بعد أن اكتشفوا الأسطول المعادي في ١٤ شوال ٦٢٦ هـ = ٥ سبتمبر[3] . وتؤكد المصادر الإسلامية هذه الرواية ، فقد شاهد أحد فرسان الاستطلاع في التاريخ المذكور أربعين سفينة معادية ، كما شاهد فارس آخر سبعين سفينة أخرى[4] . وهي القوة الرئيسية التي كانت تتجه آنذاك من بوراسا Porrasa إلى بورتوبي Portopi بقيادة الملك خايمي ، وتقع بورتوبي على بعد خمسة كيلومترات من مدينة ميورقة[5] . وكانت تحتشد على مقربة منها القوات الإسلامية الرئيسية بقيادة أبي يحيى التنملّي أمير جزر البليار ، لمنع القوات الصليبية الرئيسية من الرسو[6] . ويقول المقري بهذا الصدد ، « ولما عبر العدو وقصد المرسى (في مدينة ميورقة) أخرج الوالي جماعة تمنعهم من النزول ، فباتوا على المرسى في الخيل والرجل . . »[7] .

(١) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 8.
(٢) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 14.
(٣) Clements Markham: The Story of Majorca & Minorca, p. 14.
(٤) المقري : نفح الطيب ٤/٤٧٠ .
(٥) Juan Bonet: Majorca, p. 70.
(٦) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 70.
(٧) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ .

معركة سانتا بونزا

في الوقت الذي كانت فيه القوة الرئيسية تبحر من بوراسا بقيادة خايمي الأول وبصحبته مندوب البابا[1] ، جريجوري التاسع ١٢٢٧ - ١٢٤١ م[2] في طريقها إلى بورتوبي ، رست القوة الفرعية التي في جزيرة بنتالو في خليج سانتا بونزا Santa Ponza الذي يبعد حوالي ستة عشر كيلومتراً (عشرة أميال) عن مدينة ميورقة الإسلامية في منتصف ليلة ١٧ شوال ٦٢٦ هـ = ٩ سبتمبر ١٢٢٩ م ، وعند فجر ذلك اليوم اشتبكت القوات الإسلامية المرابطة على طول الساحل مع القوات الصليبية في ١٨ شوال ٦٢٦ هـ = ١٠ سبتمبر ١٢٢٩ . وكانت طليعة القوات الصليبية التي بدأت المناوشات الأولى تتكون من ثمانمائة من المشاة وخمسين من الفرسان[3] . وكان حامل الراية في مقدمة القوات الصليبية بحار قطلاني يدعى برناردو ريوديا . واندفع كبار القواد في المقدمة وعلى رأسهم نونيو سانشيز كونت روسيون ورامون دي مونكادا وأخوه جلين ، وبرناردو دي سانتا اجنينا ، وبرناردو دي شامبانس قائد فرسان المعبد ، كل منهم على رأس قواته ، واشتبكوا مع الحامية الإسلامية في معركة استمرت طيلة اليوم . وفي المساء انسحبت الحامية الإسلامية إلى التلال المحيطة بسانتا بونزا بعد أن أوقعت خسائر فادحة في صفوف القوات الغازية ، ودفن الغزاة قتلاهم على مقربة من خليج سانتا بونزا[4] . ولا يزال حتى اليوم شاهد على تلك المعركة وهو عبارة عن صليب ضخم ، في بقعة صخرية تطل على الخليج ، ويوجد على القاعدة الرخامية التي يرتكز عليها الصليب مشاهد محفورة من معركة سانتا بونزا[5] . ويشير المقري إلى هذه المعركة بقوله ، « وفي الثامن عشر من شوال ٦٢٦ هـ وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون . . »[6] .

معركة بورتوبي

بينما كانت معركة سانتا بونزا على أشدّها في ١٨ شوال ٦٢٦ هـ = ١٠ سبتمبر ١٢٢٩ م ، كان خايمي الأول يتجه على رأس القوة الرئيسية من ميناء بوراسا إلى بورتوبي[7] . وكان يتخذ

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 15.
(٢) د . سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ص ٦٦١ .
(٣) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 16.
(٤) Juan Bonet: Majorca, p. 70 & Frederick Chamberlin: The Balearics & their Peoples. p. 16-19.
(٥) زرت موقع هذا الشاهد الذي دارت المعركة على مقربة منه على مشارف خليج سانتا بونزا في صيف عام ١٩٧٨ . وتتبعت ميدان القتال ، من سانتا بونزا إلى بورتوبي ، وذهلت لوعورة الطريق ، الذي تحده الجبال الصخرية الوعرة من جهة ، والبحر من الجهة الأخرى .
(٦) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ .
(٧) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 8.

من الصليب شعاراً[1]! بعد أن منح البابا جريجوري التاسع بركاته لهذه الحملة واعتبرها حملة صليبية[2]. كما وضع تمثالاً للعذراء مريم في ذروة سفينة القيادة، ولا يزال هذا التمثال حتى اليوم في كنيسة سان ميجيل التي كانت المسجد الجامع لمدينة ميورقة الإسلامية[3]! وقطعت السفن البحرية الرئيسية بقيادة خايمي الأول المسافة بين بوراسا وبورتوبي في أربع ساعات[4]. وكانت القوات الإسلامية الرئيسية بقيادة أبي يحيى التنملّي تقيم معسكراتها في جبال بورتوبي في السفوح الشرقية للجبلين الصغيرين، وكان الأول منهما يدعى ببرج سرقسطة، والثاني ببرج الملك « مرج خيتسترا ». وبدأ أول اشتباك بين الجانبين في السفوح الغربية لهذين الجبلين، ودارت معركة طاحنة من أجل السيطرة على هذه المرتفعات الصخرية الوعرة، آلت في نهاية المطاف إلى تراجع القوات الإسلامية واعتصامها في تلك المرتفعات[5]، بعد ثلاثة أيام من القتال ظلّ فيها العلم الإسلامي « ذو اللونين الأبيض والأحمر والهلال » مرفوعاً يتناوله الفارس بعد الآخر[6]. وفي الوقت الذي كان فيه القتال دائراً بين القوات الإسلامية والصليبية على طول الساحل الممتد من خليج سانتا بونزا إلى ثغر بورتوبي، اندفع الأسطول الصليبي ليلاً إلى خليج مدينة ميورقة « خليج بالمادي ميورقة » بعد أن فاجأ المراكب الإسلامية في ثغر بورتوبي وتمكّن من أسرها[7]. وكان عدد سفن الأسطول كما تذكر الرواية المسيحية مائة وخمسين سفينة[8]. ويؤكد المقري ذلك بقوله، « قرب العدو من البلد » مدينة ميورقة « بمائة وخمسين قلعاً »[9].

محاصرة مدينة ميورقة براً وبحراً

تقدمت قوات الملك خايمي بعد معركة بورتوبي نحو مدينة ميورقة لقطع الطريق على أبي يحيى التنملّي وقواته المعتصمة في مرتفعات بورتوبي، واستطاع الجيش المسيحي الوصول إلى نهر المدينة على بعد ثلاثة كيلومترات عن أسوار مدينة ميورقة، وكان يدعى « نهر الساقية »، ويقع إلى جوار المقبرة الحالية لمدينة ميورقة. وفي ذلك المكان كانت هناك حديقة جميلة وواسعة للملك

---

(١) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٤١٨.

(٢) د. حسين مؤنس: مقدمة الحلة السيراء، ج١، ص٣٣.

(٣) Frederick Chamberlin: The Balearics & their Peoples, p. 8-9.

(٤) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٥٧.

(٥) المرجع السابق، ص٤١ - ٥١.

(٦) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 8.

(٧) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص٤١٩. وميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٥٧.

(٨) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص٤١٨.

(٩) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٧٠.

ميورقة، ونزل الجنود هناك وأكلوا فاكهة الحديقة[1]!

وفرض الصليبيون الحصار على مدينة ميورقة براً وبحراً وأخذوا في إنزال الآلات والمجانيق ونصبوها حول أسوار المدينة، وكان لبعض رجال البحر من مرسيليا إسهام طيب في المعركة، فقد نصبوا الأبراج الخشبية التي أقيمت عليها المجانيق بسرعة فائقة[2]. وأخذ الغزاة في ضرب أسوار المدينة وأبراجها بالمجانيق والرعّادات والقذائف المحرقة، وكانت القوات الإسلامية تخرج بين الحين والآخر من أبواب المدينة المحاصرة وتشتبك مع القوات الغازية وتحرق آلات الحصار[3].

ويذكر المقري ما يلي عن فرض الحصار الصليبي على مدينة ميورقة، « .. ووقع المصاف وانهزم المسلمون، وارتحل النصارى إلى المدينة، ونزلوا منها على الحربية الحزنية[4] من جهة باب الكحل[5]، ولم يزل الأمر في شدّة وقد أشرفوا على أخذ البلد.. »[6].

---

(١) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٥٨ - ٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 8.

(٤) الحربية الحزنية: يعلق شكيب أرسلان على هذه الفقرة الغامضة قائلاً، « ربما تكون لمنطقة الحزنية نسبة إلى الحزن بالفتح وهو ضد السهل، أو أن أصلها المخزنية، وانها صحّفت بالنسخ، نسبة إلى المخزن الذي يستخدمه المغاربة والأندلسيون بمعنى الحكومية ». (شكيب أرسلان: الحلل السندسية ج٢ ص٢٤٦ وحاشية « ١ »).

(٥) باب الكحل: أحد أبواب مدينة ميورقة الإسلامية وكان يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من سور مدينة ميورقة الإسلامية، وقد اقتحم الصليبيون مدينة ميورقة من هذا الباب في يوم الاثنين في ١٣ صفر ٦٢٦ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م، وقد أطلق عليه النصارى اسم Beb Alcofol وسمي فيما بعد باسم Esfarhider أي المهاجم، ثم أطلق عليه اسم الباب المدهون Puerta pintada، وفي نهاية القرن التاسع عشر للميلاد أطلق عليه اسم باب الركن Puerta la Rinconeda (الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٨٧). ويذكر المؤرخ الإسباني روسليو بوردوي بأن المؤرخ الميورقي، بأن الباروكمبانير شاهد باب الكحل قبل إزالته سنة ١٩١٢، وكانت توجد على عتبة الباب القديم كتابات عربية، في حالة سيئة جداً تصعب قراءتها، وقد نقل هذا العقد، بعد هدم الباب إلى مبنى بلدية بالمادي ميورقة، ولكن حريقاً شبّ في المبنى، أدّى إلى اختفاء هذا الأثر النفيس. ويضيف إلى ذلك بأن باب الكحل عرف مؤخراً باسم باب القديسة مرجريتا، وقد اكتشف أمام الباب المذكور مقبرة إسلامية. (روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية في الجزائر الشرقية (البليار)، ص٨ - ٩).

أبواب مدينة ميورقة: كان لسور مدينة ميورقة الإسلامية في نهاية عهدها الإسلامي ثمانية أبواب(The Story of Majorca and Minorca, p. 22)، وقد ورد ذكر سبعة منها في نص تقسيم الجزيرة وهي: باب الكحل وباب البلياط (البلاط) وباب الشراجب وباب الغدر (جمع غدير) والباب الجديد وباب المدى وباب البلد خايمي بوسكيت موليه: نص عربي لاتيني لتقسيم جزيرة ميورقة، ض٢٥٣ - ٢٦٣). وقد ذكر الباب الثامن وهو الباب الغربي. (ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة ص٦٩). وهو « باب بورتوبي ». Portopi.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٤٧٠.

وفي الوقت الذي كان فيه الحصار مفروضاً على مدينة ميورقة ، تمكن أبو يحيى التنملّي الذي كان معتصماً في الجبال من الدخول إلى مدينة ميورقة ، خلال الليل دون أن يحس الجيش الصليبي بذلك. وحينما دخل المدينة قام أهلها بإشعال مشاعل ضخمة ، ورفعوا أصواتهم بالهتاف! مما أغضب الملك خايمي الأول الذي أمر بتشديد الحصار وحفر خنادق عميقة حول المدينة . وقام كونت أمبورياس (أمبوريش) بالإشراف على حفر خندق في الجانب الغربي من السور على مقربة من باب بورتوبي الغربي ، وأشرف الملك خايمي بنفسه على حفر خندق جوفي أمام باب الكحل شمال شرقي السور . وكان الهدف من حفر الخنادق هو الوصول إلى المياه الجوفية ومحاولة تدمير أسس الأسوار من أجل أن يتمكّن الفرسان من النفوذ إلى الميدان الرئيسي للمدينة[١] . ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب القذائف المنهالة من فوق الأسوار ، والحشود التي جمعها « ملك ميورقة المسلم » من سائر أنحاء الجزيرة ، وتقدّر المصادر المسيحية عددها بثمانية آلاف مقاتل ، وبعد عشرة أيام من الاشتباكات استطاع المسلمون تحويل مجرى الماء الذي كانت تستقي منه القوات الصليبية ، ونتيجة لذلك قام المسيحيون بقيادة قومس أمبوريش (أمبورياس) بمهاجمة المسلمين ، وأوقعوا بهم هزيمة كاسحة كما تدعي المصادر المسيحية[٢]. كما تذكر بأنه في أثناء المعركة التي خاضها كونت « قومس » أمبوريش حاول المحاصرون استغلال فرصة انشغال المسيحيين في المعركة ، فخرجوا من أبواب السور واشتبكوا مع القوات الصليبية على مقربة من باب بورتوبي ، وهو الباب الغربي لسور مدينة ميورقة ، ومن باب البلاط « البلياط » وهو الباب الشرقي ، ولكن المجموعتين هزمتا واضطر أفرادهما إلى الهرب داخل المدينة[٣].

ولم تتوقف الغارات على المعسكر الصليبي ، بالرغم من الخسائر التي تعرضت لها حامية ميورقة الإسلامية . وتذكر الرواية القطلانية المعاصرة بأنه « كان هناك فارس مسلم غاية في الشجاعة يدعى (فاتلا) Fatilla! ، خرج من مدينة ميورقة المحاصرة ، واستطاع أن يجمع حوله خمسمائة جندي من الجبال ، وأخذ ينصب الكمائن للمسيحيين الذين يبتعدون عن معسكر الجيش » ، مما نشر الرعب في المعسكر المسيحي[٤]!! ويعلق المؤرخ الإنجليزي كلمنتس ماركهام بأن اسمه محرّف عن الاسم العربي فتح الله Fatih-billah ويضيف إلى ذلك بأن هذا القائد

(١) ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص٦٥ – ٦٨ .

(٢) تزعم هذه المصادر بأن كونت أمبوريش أسر ستة آلاف مقاتل في هذه المعركة من بين ثمانية آلاف ، وهرب الباقون إلى داخل جزيرة ميورقة! (ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص٦٩) . وهي رواية كنسية متهافتة لا تستحق التكذيب!

(٣) ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص٦٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص٧٤ .

الباسل ظل يواصل غاراته الليلية على المعسكر الصليبي مما أوقع البلبلة في صفوف قواته ، وخفّف من حدة الهجمات على أسوار مدينة ميورقة . وفي إحدى الليالي قام بمحاولة لقطع مورد المياه عن المعسكر الصليبي على رأس قوة من مائة من الفرسان وخمسمائة من المشاة ، وتنبّه حراس المعسكر إلى هذه المحاولة ، وأعلموا الملك خايمي بذلك ، الذي أمر على الفور بإعداد حملة كبيرة لمطاردته ، وبعد معركة ضارية استمرت حتى الصباح ، تمكنت القوة المغيرة من تطويق المجموعة الإسلامية والقضاء عليها[١] . وقذف الغزاة البرابرة برؤوس الشهداء بالمنجنيق إلى داخل أسوار مدينة ميورقة لتحطيم معنويات المقاتلين من حامية المدينة[٢]! وبعد هذه المحاولة أمر الملك خايمي بتشديد الحصار على أبواب المدينة ، ولا سيما باب البلاط وباب الكحل[٣]. وكما كان هناك مقاتلون بواسل يدافعون عن وطنهم حتى الاستشهاد ، فقد كان هناك خونة باعوا شرفهم وقدموا العون للغزاة . وتذكر المصادر القطلانية اسم أحد هؤلاء وتدعوه Benahabet « ابن عبّاد » أو « ابن عابد » الذي كان سبباً من أسباب نجاح الغزاة في الاستيلاء على جزيرة ميورقة[٤] . وتذكر المدونة القطلانية بأن « ابن عبّاد » كان عاملاً على بلانسة أحد الأقاليم الخمسة عشر في جزيرة ميورقة[٥] . قام « ابن عبّاد » عامل إقليم بلانسة بإرسال رسالة إلى الملك خايمي ، يقول فيها : بأنه سيضع إقليم بلانسة تحت سلطة الملك المسيحي مقابل تأمينه في ممتلكاته ، واستغل خايمي هذه الفرصة ، وأرسل إلى ابن عابد يرحب به ويمنّيه بالوعود الكاذبة ، كما أرسل إليه عشرين من فرسانه لمقابلته ، على بعد فرسخ من المعسكر الصليبي ، وهناك أعلن « ابن عبّاد » ولاءه لملك قطلونية وأرغون وقدّم للمعسكر الصليبي عشرين فرساً محملة بالحبوب ولحوم الجديان والدجاج والعنب ، الذي حفظ في أكياس ، حتى أنه لم تتأثر منه حبة واحدة! وطلب ابن عبّاد من الملك المسيحي ، راية وشارة حتى لا يعترضه جنود الملك ، وسرعان ما استجاب الملك إلى طلبه ، وأرسل معه ضابطين ليتأكدا من صدق ولائه ، أحدهما من برشلونة والآخر من مونبلييه ، ومنح الملك لكل منهما لقب القاضي Alcadi وظل هذا الخائن يزوّد المعسكر المسيحي بالمؤن والأغذية أسبوعياً ، وينشر روح الهزيمة في الأقاليم الأخرى[٦]. وتصمت المدونة القطلانية عن ذكر مصير « ابن عابد » ولكنها تتحدث عن حفيدته ليونور Leonor ابنة ناصر Leonor Bennasser التي ورثت عن جدّها ابن عابد الخابية Alfavia[٧].

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 27.

(٢) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص٤٠٥ .

(٣) ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص٧٤ .

(٤) تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٨٩ و The Story of Majorca and Minorca, p. 29.

(٥) ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص٧٠ – ٧١ .

(٦) ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص٧٠ – ٧١ .

(٧) تذكر المدونة القطلانية بأن ليونور ابنة ناصر Leonor Bennasser حفيدة ابن عابد Benahabet « الرئيس =

ونظراً لعدم تماسك الجبهة الإسلامية بسبب بخل أبي يحيى التنملّي وسوء تدبيره، ونقمة أهل المدينة ميورقة عليه، لما أوقعه فيهم من مذابح قبل الحملة الصليبية[١]. لم يكن الدفاع عن أسوار المدينة محكماً، وكان الساخطون على أبي يحيى يتسربون إلى المعسكر المسيحي بشق الطرق، مما مكّن القوات الصليبية الاقتراب من الأسوار، وتدمير أربعة من أبراجها. لهذا قرر أبو يحيى التنملّي التفاوض مع الغزاة لعله يجد مخرجاً مشرفاً، فينقذ المدينة من الدمار ويحمي أهلها من القتل والأسر بعد أن أخذت أسوارها وقلاعها في الانهيار[٢].

إجراء المفاوضات مع الغزاة وفشلها

تذكر المدونة القطلانية بأن «الملك المسلم» قام بإرسال سفارة إلى الملك خايمي الأول، يعرض عليه إجراء المفاوضات من أجل وقف القتال، مقابل شروط سيعرضها على ممثليه، واستجاب الملك المسيحي إلى هذا الطلب، وأرسل القائد نونيو سانشيز كونت روسيون، مع عشرة فرسان وبصحبتهم يهودي من سرقسطة يجيد اللغة العربية يدعى «باشول»[٣] وعرض أمير البليار على الوفد المسيحي، أن يدفع لملك قطلونية وأرغون جميع نفقات الحملة الصليبية، منذ إبحارها من سواحل قطلونية وحتى مغادرتها جزيرة ميورقة وعودتها إلى بلادها! ولكن الملك خايمي الأول وكبار قادة الحملة رفضوا هذه الشروط وأعلنوا إصرارهم على تسليم المدينة، وانقطعت المفاوضات، وعاد القتال من جديد بشكل أشدّ عنفاً، وقامت القوات الصليبية بهجمات متلاحقة على أسوار مدينة ميورقة، ولكنها ردّت بعنف، بعد أن تعرّضت لمقاومة ضارية[٤]. وكان يتسلل بين الحين والآخر، مجموعات من حامية مدينة ميورقة، وتقوم بغارات ليلية على المعسكر الصليبي وتحرق آلات الحصار، ولخطورة هذه الهجمات، فقد أمر الملك خايمي بإنشاء برج مرتفع ومحصن بين مدينة ميورقة وبورتوبي، لمراقبة تحركات العدو ومنع هجماته[٥].

= العربي الذي ساعد خايمي في الاستيلاء على جزيرة ميورقة» ورثت عن جدها بلدة الخابية Alfavia وتزوجت من أحد نبلاء قطلونية ويدعى بدرو خوان سانتا سيليا Pedro Juan Santa Cilia وظلت عائلة سانتا سيليا حتى عهد قريب من عائلات جزيرة ميورقة العريقة، ولا يزال قصرها في بلدة الخابية التي تقع على طريق سولير الجبلي حتى اليوم، وفي سقوفه بعض النقوش العربية من العهد المديني (بداية العهد المسيحي في جزيرة ميورقة).

The Story of Majorca and Minorca, p. 142.

(١) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٧. والمقري: نفح الطيب: ج٤ ص٤٦٩.
(٢) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٧٠ - ٧١.
(٣) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٧٧.
ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني، ص٤٠٦.
(٤) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 28-29.
(٥) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص ٧٤.

كما أمر بتشديد الحصار على أبواب المدينة لمنع تسلل القوات منها ومواصلة الهجوم على أسوار المدينة[١]. ونظراً لتشعث أجزاء واسعة من سور المدينة، وانهيار بعض أبراجه، فقد أرسل أبو يحيى التنملّي أمير البليار سفارة ثانية إلى الملك خايمي الأول، يعرض عليه إرسال وفد لإجراء المفاوضات، فقام الملك المسيحي على الفور بإرسال وفد للمفاوضة، برئاسة الكونت نونيو سانشيز للمرة الثانية، مع أتباعه من الفرسان والمترجم باشول، وعرض عليهم أمير البليار أن يدفع للملك خايمي الأول وقادة الحملة خمس قطع ذهبية «بيزانت» عن كل رجل وامرأة في الجزيرة مقابل تأمين أرواحهم وأموالهم، وأن يبقى في الجزيرة من يرغب في ذلك من أهلها المسلمين، وأن يعطي عدداً كافياً من السفن تنقله مع أهله وأتباعه وأمواله إلى بلاد المغرب مقابل تسليم مدينة ميورقة[٢]!!

وكان الملك خايمي الأول ميالاً لقبول عرض أبي يحيى أمير البليار وشروطه من أجل التسليم[٣]. فقد كان الشتاء على الأبواب، كما أن الأنباء التي وصلته من البر الأسباني أثارت في نفسه القلق، فقد هزم حليفه أبا زيد في مواجهة أبي جميل زيّان بن مردنيش أمير بلنسية، بعد أن انفضّ عنه أتباعه. وكان الملك خايمي يتطلع إلى الاستيلاء على بلنسية قبل أن تتدخل مملكة قشتالة، التي كانت قواتها المتحالفة مع قوات مملكة ليون تجتاح بلاد الأندلس آنذاك، وتستولي على القواعد الإسلامية واحدة بعد أخرى[٤]. ولكن كبار القادة والنبلاء والأحبار رفضوا عرض التسليم وشروطه بإصرار، بعد أن لاحت لهم الفرصة الذهبية في الاستحواذ على غنائم جزيرة ميورقة، دون أي عائق يعيقهم أو أي اتفاق يحد من نهمهم وتعطشهم الدموي! وكان على رأس المعارضين أسقف برشلونة الذي رفض هذا العرض وأصر على الاستمرار في القتال حتى النهاية! ووقف إلى جانب أسقف برشلونة نبلاء قطلونية الذين اتخذوا من مقتل رامون مونكادا وأخيه جلين ذريعة لرفض شروط التسليم، يساندهم في ذلك فرسان المعبد «الداوية» والاسبتالية، الذين عرفوا بجشعهم وتعطشهم إلى سفك الدماء دون هوادة أو رحمة، وهم يتمتمون باسم يسوع المسيح والعذراء مريم كذباً وخداعاً وتمويهاً! وقد هربوا من جبهة المشرق الإسلامي بعد أن علّمت السيوف المشرفية على ظهورهم وتوجهوا إلى بلاد الأندلس بعد أن انهارت أعلامه وتضعضعت قواه لأن الغنائم أوفر والقتل أيسر[٥]! واتفق رأي القادة المسيحيين بعد مداولات

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٠.
(٢) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 30.
ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني، ص٤٠٦.
(٣) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٨٠.
(٤) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٤٢١.
(٥) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٨٠.
ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني، ص٤٠٦. =

طويلة على ضرورة أخذ ميورقة بالقوة وعن طريق القتال. وحينما علم «الملك المسلم» بذلك جمع مستشاريه وطلب منهم الرأي، فأعلنوا بالإجماع القتال حتى آخر رجل[١]. ولم يجد أمير البليار بداً من المقاومة حتى النهاية، وأن يدافع عن مدينة ميورقة دفاع اليائس الذي لم يجد سبيلاً سوى الموت، وخاطب أهل مدينة ميورقة قائلاً: «إن العدو يصر على الاستيلاء على المدينة بالقوة، ولم تُجد معه المساعي السلمية، ولم يبق أمامكم سوى الدفاع عن دينكم وشرفكم وحريتكم وأهلكم وبيوتكم حتى الاستشهاد بشرف وشجاعة، ما دام العدو يصر على قتلكم جميعاً دون هوادة أو رحمة»[٢].

سقوط مدينة ميورقة بعد مقاومة يائسة

بعد فشل المفاوضات أصبح القتال في غاية العنف والضراوة بين الفريقين، واستجاب أهل مدينة ميورقة لنداء أبي يحيى التنملّي، وقاوموا الغزاة بشجاعة فائقة يدفعهم الخوف من المجهول ومن المصير القاتم إلى الدفاع حتى الموت. وعندما تقدم كونت أمبورياش على رأس قوة كبيرة نحو سور مدينة ميورقة الغربي للتسلل إلى داخلها من ثغرة عرضها أربعون ياردة، نتيجة للدكّ المتواصل للأسوار، جوبه بمقاومة عنيفة أجبرته على التقهقر، ودافع مقاتلو ميورقة عن الثغرة حتى أعيد بناؤها[٣]. وهبّ قطاع واسع من مسلمي الجزيرة لمساندة أهل مدينة ميورقة المحاصرة. وبعد أن استسلم بعض زعماء الأرض السهلية المحيطة بالمدينة عادوا ثانية إلى القتال، وكانت الأمطار تسقط بغزارة، فلم يجد خايمي الأول مخرجاً سوى تركيز هجمات قواته على الأبراج والأسوار وقذف المدينة بمختلف الآلات القاذفة والحارقة، لتحطيم معنويات المدافعين، وفتح ثغرة واسعة في الأسوار للتسلل منها إلى المدينة[٤]. وكان الرهبان وعلى رأسهم الراهب الدومنيكي ميجيل فايرا، وأحبار الكنيسة برئاسة أسقف برشلونة والمندوب البابوي يلهبون مشاعر المقاتلين ويحثونهم على القتال[٥]!

وفي يوم السبت ١٣ محرم = ١ ديسمبر ١٢٢٩ م، سقطت الأبراج الغربية، وأصبح الطريق ممهداً لدخول المدينة، وفي يوم الثلاثاء ١٦ محرم ٦٢٧ هـ = ٤ ديسمبر ١٢٢٩ م تمكّن الصليبيون من فتح ثغرة كبيرة في الأسوار، ولكنهم ردّوا على أعقابهم مما أغضب الملك خايمي، ودعا جميع الفرسان وأمرهم بمواصلة الهجوم والقتال حتى النهاية، وقد عاهدوه على ذلك، ولكنهم لم

= Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 30.

(١) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٨٠.

(٢) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 30.

(٣) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 30.

(٤) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٤١٩.

(٥) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 26.

يتمكنوا من التسلل إلى المدينة. ووصل القتال ذروته في ١١ صفر ٦٢٧ هـ = ٢٨ ديسمبر ١٢٢٩ م. ويقول المقري نقلاً عن تاريخ ميورقة «كائنة ميورقة» للمخزومي «ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر قاتلوا البلد قتالاً شديداً..»[١]. وتؤكد المدونات المسيحية هذه الرواية كما يتضح من النص التالي «وبعد أيام من القتال الضاري انهارت أبراج المدينة وسقط قسم من السور، وكان ذلك في يوم عيد القديس أندروز St Anderws في يوم الأحد ١٣ صفر ٦٢٦ هـ = ٣٠ ديسمبر ١٢٢٩ م، وعند ذلك أمر الملك بهجوم عام وشامل، واقتحام المدينة من الثغرات المفتوحة في الأسوار، فانهالوا عليها في هجمات متعاقبة طيلة يوم الأحد، وتكدّست أكوام من الجثث على معابر الثغرات نتيجة للمقاومة العنيفة! ولم تجد جميع المحاولات لاقتحام المدينة حتى مساء يوم الأحد في ١٣ صفر ٦٢٦ هـ = ٣٠ ديسمبر ١٢٢٩ م. ونتيجة لذلك أمر الملك خايمي القوات الصليبية، بتجميع صفوفها والتأهب للهجوم على المدينة عند مطلع الفجر، وكانت الاستعدادات تجري على قدم وساق طيلة ليلة الإثنين، وكان الأحبار والقسس والرهبان يلقون المواعظ لحثّ الجنود على الثبات[٢].

وفي فجر يوم الاثنين ١٤ صفر ٦٢٦ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م، «شهد الجنود القدّاس وتزودوا للموت..» على حد قول المصادر المسيحية، وألقى فيهم الملك خايمي خطاباً حثّهم فيه على الصمود، وعاهدهم على الاستيلاء على مدينة ميورقة أو الموت! وأمر سريّة من ثلاثمائة من المشاة باختراق الثغرة المجاورة لباب الكحل في شمال شرق المدينة تمهيداً لعبور الفرسان. وكانت هناك ثغرة كبيرة لم تتمكّن حامية ميورقة من إعادة بنائها طيلة ليلة الاثنين، فقاموا بتكديس كتل الحجارة المنهارة على الفجوات المتبقية من الثغرة، ووقف الفرسان خلفها وقذفوا السريّة الصليبية بموجات متلاحقة من القذائف والسهام فتراجعت على أعقابها، فاندفعوا من الثغرة واشتبكوا مع الغزاة خارج الأسوار، وما إن شاهد الملك خايمي تراجع طليعة قواته حتى أمر بالهجوم الشامل ودوّي النفير في المعسكر الصليبي واندفعت قوات الفرسان تساندها المشاة كالسيل المنهمر[٣] وهم يصرخون صراخاً وحشيّاً Santa Maria!! «أيتها العذراء مريم» انصرينا!![٤] وبعد هجمات متلاحقة تمكنوا من اقتحام باب «الكحل» ودار صراع رهيب بين القوات الغازية، وحامية المدينة عند باب الكحل، وفي الشارع المؤدي منه إلى مسجد المدينة الجامع، واستبسل الطرفان في قتال دموي. وتذكر المدونة القطلانية بأن أبا يحيى التنملّي كان

(١) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص٨٥ – ٨٦.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٧١.

(٣) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٤١٩. و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 30.

(٤) Juan Bonet: Majorca, p. 70.

يقود القتال بنفسه، وهو يمتطي حصاناً أبيض ويحث جنوده على الثبات قائلاً «جاهدوا وصابروا» الثبات! الثبات![1]. ولكن حدة الهجوم كانت شديدة، ولم تجد معها بسالة المدافعين، في وقف ذلك التيهور المنصبّ على المدينة، وتكدست جثث الطرفين في الشوارع والدروب أكداساً مما أعاق حركة تقدم الفرسان. ودارت أعنف الاشتباكات عند باب المسجد الجامع وفي الطرق المؤدية إليه، وكان الأطفال والنساء يلقون من النوافذ وأسطح المنازل، الحجارة وقطع الأخشاب وأواني الزرع على الغزاة، لإعاقة تقدمهم[2]. والتجأت بقية من حامية شمال المدينة إلى داخل المسجد الجامع لمدينة ميورقة وظلت تقاوم مقاومة مستميتة إلى أن تم القضاء عليها. ورفع القسس صلبانهم على محراب الجامع وحوّلوه إلى كنيسة أطلقوا عليها اسم سان ميجيل، ولا تزال هذه الكنيسة حتى اليوم، ويحتفل فيها في ٣١ ديسمبر من كل عام احتفالات كبرى إحياء لذكرى الاستيلاء على ميورقة[3]!

واستمرت المقاومة في أزقة المدينة ودروبها طيلة اليوم، وعند حلول المساء خفّت حدة الاشتباكات، بعد أن استولى الغزاة على معظم المدينة، باستثناء قصر المدينة الذي كان وما يزال يطل على البحر فوق تلة عالية، وهو بمثابة قصبة المدينة وقلعتها الحصينة داخل الأسوار. وقد اعتصم فيه أبو يحيى التنملّي وبقية حامية المدينة، واندفع من بقي حياً من السكان نحو الأبواب هرباً من الموت الذي كان يلاحقهم في كل مكان بعد أن عاث الغزاة في المدينة تدميراً ونهباً وقتلاً وأسراً[4]!

استسلام أبي يحيى التنملّي واستباحة الغزاة لمدينة ميورقة

فرض الغزاة الحصار على قصر المدينة وقلاعه الحصينة، وأخذوا في قذف الحامية المعتصمة فيه بالمجانيق. وفي يوم الثلاثاء ١٥ صفر ٦٢٧ هـ = ١ يناير ١٢٣٠ م أرسل أبو يحيى التنملّي رسلاً إلى الملك خايمي لمفاوضته في التسليم، مقابل تأمين أرواح السكان. وتظاهر الملك خايمي بالموافقة على شروط الاستسلام، وما إن فتحت أبواب القصر، حتى انقضّ الغزاة على الحامية الإسلامية قتلاً وأسراً، وأخذوا أبا يحيى وابنه أسرى، واستولى الغزاة على القصر وقلاعه، وحصلوا على أموال طائلة وغنائم وافرة، من الذهب والفضة والأقمشة الحريرية والأسلحة

---

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 31.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٨٨ و
The Story of Majorca and Minorca. p. 32.

(٣) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 8-9.

(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٨٨ و
Frederick Chamberlin: The Balearics & their Peoples, p. 9.

والخيول ومختلف أنواع التحف والمقتنيات الثمينة، التي بلغت أنواعها الألف نوع[1]! ويذكر ابن المستوفي تاريخ استسلام أبي يحيى التنملّي بدقة متناهية نقلاً عن الشاعر الأندلسي الحسن ابن محمد بن الحسن حيث يقول، «.. نزل عليها (جزيرة ميورقة) البرشنوني (خايمي الأول) وحاصرها في شوال ٦٢٦ هـ (سبتمبر ١٢٢٩ م) وتسلمها في أول يوم من ينيّر (يناير) ٦٢٧ هـ (١٥ صفر) (الأول من يناير ١٢٣٠ م)»[2]. وتدّعي بعض المصادر المسيحية بأن الملك خايمي الأول، تقبّل استسلام أبي يحيى بكل مراسيم التكريم، في قاعة القصر الكبرى في قصر المدينة، وتذكر بأن أبا يحيى كان يرتدي برنساً أبيض ومعطفاً، وأن الملك المسيحي أمّنه على حياته، ووعد بإطلاق سراحه وكلّف اثنين من النبلاء بمرافقته[3]. ولكن هذا الادعاء عار عن الصحة، فقد أكدت المصادر الإسلامية وبعض المصادر القطلانية المعاصرة بأن خايمي الأول سجن أبا يحيى وعذّبه عذاباً شديداً طيلة خمسة وأربعين يوماً إلى أن مات تحت التعذيب[4]. كما أباح مدينة ميورقة للغزاة ثمانية أيام! وتجمع المصادر الإسلامية وبعض المصادر المسيحية المعاصرة على قسوة الغزاة وعنفهم، ويبالغ بعضها في عدد القتلى إلى حد لا يصدق، فبينما تزعم المصادر القطلانية المعاصرة بأن عدد ضحايا المجزرة في مدينة ميورقة بلغ خمسين ألف قتيل وأن عدد الأسرى الذين بقوا على قيد الحياة لم يتجاوز الألفين[5]! تذكر مصادر قطلانية معاصرة أخرى، بأن عدد القتلى من مسلمي مدينة ميورقة لم يتجاوز العشرين ألف قتيل! وأن بقية السكان وعددهم قرابة الثلاثين ألف فرّوا إلى الجبال[6].

ويذكر المقري بأن عدد القتلى بلغ أربعة وعشرين ألف قتيل، وهو رقم مبالغ فيه ولا شك، ولكنه يدل دلالة قاطعة على وقوع مجزرة دامية في مدينة ميورقة، بعد الاستيلاء عليها واستباحتها، حيث يقول نقلاً عن تاريخ ميورقة «كائنة ميورقة» لأبي المطرف بن عميرة المخزومي ما يلي: «ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر قاتلوا البلد قتالاً شديداً ولما كان

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٨٨.
ويوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص٤١٩. و
The Story of Majorca and Minorca. p. 33-34 & The Balearics and their Peoples, p. 9.

(٢) ابن المستوفي: تاريخ إربل المسمى البلد الخامل بمن ورده من الأماثل، ترجمة رقم ٣١٧، القسم الأول، ص٤٣٠ – ٤٣٢.

(٣) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 34.

(٤) محمد محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ص١٨٣/القسم الأول السفر الخامس. والحميري: الروض المعطار، ص٥٦٨. والمقري: نفح الطيب ٤/٤٧١. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٨٨ – ١٨٩.

(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٨٨.

(٦) Juan Bonet: Majorca, p. 70.

يوم الأحد أخذ البلد[١] ، وأخذ معه أربعة وعشرين ألفاً قتلوا على دم واحد! وأخذ الوالي وعذّب خمسة وأربعين يوماً ومات تحت التعذيب »[٢]!

ويعترف المؤرخ الميورقي بوحشية القوات الغازية وبالمجزرة الدامية التي ارتكبوها بقوله ، « .. إننا نعتقد بأنها كانت مذبحة رهيبة مروّعة ، مما يفسّر لنا سبب انتشار الوباء في المدينة بعد استباحتها ، لكثرة الجثث التي ظلّت ملقاة في البيوت والأزقة ، ولم يلبث أن انتقل الوباء إلى جيش الغزاة ، مما أدّى إلى موت خيرة فرسان الملك خايمي وجنوده »[٣]. وتذكر المدونة القطلانية بأن سبب انتشار الوباء في مدينة ميورقة يعود إلى انشغال الغزاة عن دفن الجثث بنهب المدينة ، وهروب من بقي حياً من سكانها إلى الجبال ، وما أسرع ما انتشر الوباء ، الذي حصد الآلاف من الغزاة ، وكان أول الضحايا كونت أمبورياس (أمبوريش) وتبعه كبار النبلاء والقادة والأحبار ، وزاد عدد القتلى من الوباء عن عدد قتلى الحرب طيلة الشهور الثلاثة[٤]!

ويعلل المؤرخ الألماني يوسف أشباخ هذا « المستوى الرهيب من الوحشية والقسوة » التي شابت طباع المسيحيين في أسبانيا بأنّه « نتيجة للحروب المتواصلة ضد المسلمين ، وبتحريض رجال الدين ، الذين انحدروا إلى مستوى رهيب من الوحشية والقسوة ، فكثيراً ما تولّوا القيادة العسكرية ، وحرّضوا على أعمال القسوة ضد المسلمين ، وترتّب على ذلك ، أن شابت القسوة والعنف طباع الشعب ورجال الدين .. » . ويضيف إلى ذلك قائلًا ، « وهذا مما أسبغ على الأمة الاسبانية لوناً شديداً من الخشونة والقسوة ، ولم يحل دون تحولها إلى نوع من الهمجية المطلقة! سوى شرف الفروسية والعاطفة الإنسانية ، بيد اننا لا نجد أثر هاتين الخلتين لدى الشعب الإسباني ! فقد غاضت الصفات الرفيعة من نفوس الفرسان والجنود ، ولم يبق مكانها سوى الرذائل من العنف والاضطهاد والتعنت والقهر .. إنها لملحمة دامية .. وصراع دموي رهيب ، حافل بالتقلبات ، شهره الإسبان ضد المسلمين »[٥]. ولقد أجمعت المصادر الإسلامية التي أشارت

---

(١) إن الأصح هو ما أجمعت عليه المصادر الإسلامية وبعض المصادر القطلانية المعاصرة ، وهو أن الاستيلاء على مدينة ميورقة كان يوم الاثنين ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م ، وأن استسلام أبي يحيى التنملّي وتسليم قصر المدينة كان في اليوم التالي الثلاثاء ١٥ صفر/الأول من يناير ١٢٣٠ م .(ابن الأبار : التكملة ، ص٦٢٤ . والأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ٥/١ ، ص١٢ و ص١٨٣ والسفر السادس ص١٧٤ و ٣٢٧ . وابن المستوفي : تاريخ إربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل ص٤٣٠ – ٤٣٢ . والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٨٨ – ١٨٩ . وميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة ، ص١٠٣ – ١٠٤) .

(٢) المقري : نفح الطيب ، ج٤ ، ص٤٧١ .

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٨٩ .

(٤) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة ، ص١٠٣ و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 33-34.

(٥) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٤٧٢ – ٤٧٤ .

إلى هذه الحملة على جزيرة ميورقة على وحشية الغزاة وبربريتهم[١] . ويقول صاحب الروض المعطار في هذا الصدد ، « .. وتحرك الطاغية البرشلوني (خايمي الأول) إلى ميورقة عازماً على أخذها ، فنزل عليها بأسطوله في شوال ٦٢٦ هـ فأراها من القتال وشدة الحصار وأنواع المحن ، ما لم يجر مثله في الزمان ، وحكم عليها عنوة بعد طول الحصار والقتل والسبي ، ثم أخذ واليها فعذبّه أشد العذاب حتى مات واستولى الشرك على الجزيرة ٦٢٧ هـ = ١٢٣٠ م »[٢].

المقاومة الشعبية للغزاة في جزيرة ميورقة

لم تتوقف المقاومة ضد الغزاة في جزيرة ميورقة بعد سقوط مدينة ميورقة واستسلام أبي يحيى التنملّي في ١٥ صفر ٦٢٧ هـ = الأول من يناير ١٢٣٠ م[٣]. بل ازدادت شدة واستعاراً لما أوقعه الغزاة من نهب وسلب وقتل وأسر. ففي الوقت الذي كانت فيه أسوار مدينة ميورقة تتهاوى ، وقلاعها تتحطم أمام عنف الهجمة الصليبية ، وفقد الأمل في وقف هذا التيهور المتدفق على المدينة ، انسحب أبو حفص (عمر) بن سيري[٤] أحد كبار الشخصيات الميورقية إلى الجبال ، وجمّع حوله أعداداً كبيرة من أنصاره ومؤيديه ، تقدّرهم الرواية الإسلامية بستة عشر ألف مقاتل. ويقول المقري في هذا الصدد ، « .. وأما ابن سيري فإنه صعد إلى الجبل ، وهو منيع لا ينال من تحصّن فيه ، وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل.. »[٥]. ولم يكن ابن سيري القائد الوحيد في ميدان الجهاد ضد الغزاة فقد نشبت الثورة ضد الغزاة في كافة أرجاء جزيرة ميورقة ، وهبّ السكان من كافة الطوائف للدفاع عن دينهم وشرفهم وتراثهم وأرضهم التي عمّروها عدة قرون. ولجأ المقاتلون إلى سفوح الجبال وذراها ، وإلى المغاور والكهوف ، واتخذوا منها معاقل لمهاجمة الغزاة ودحرهم[٦]. وكانت أولى الهزائم التي أوقعها المجاهدون الميورقيون

---

(١) ابن الأبار : التكملة ، ص٦٢٤ ، وأبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٥٩ .

وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ٤٦٧/٢ . والأوسي المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٥/١ ، ص١٢ و١٨٣ وص١٧٤/٦ وص٣٢٧/٦ . وابن المستوفي : تاريخ إربل المسمى بنباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل ، ص٤٣٠ – ٤٣٢ . والحميري : الروض المعطار ، ص٥٦٨ .

وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٩/٧ . وابن خلدون : العبر ٥١٦/٦ . والمقري : نفح الطيب ٤٧١/٤ . والناصري : الاستقصاء ٢١٨/٢ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص٥٦٨ .

(٣) ابن المستوفي : تاريخ إربل القسم الأول ص٤٣٠ – ٤٣٢ .

(٤) أرجح بأن اسمه « عمر » فمن الشائع إطلاق كنية أبي حفص على عمر في شتى أنحاء العالم الإسلامي وكانت الكنية في العهد الموحدي تغلّب على الأسماء. وكما لاحظت من دراسة التاريخ الموحدي كانت كنية أبي حفص تطلق على من يحمل اسم « عمر » .

(٥) المقري : نفح الطيب ، ج٤ ، ص٤٧١ .

(٦) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 35.

بالغزاة في معقل بنيولا الجبلي شمال غرب مدينة ميورقة . وتذكر المدونة القطلانية ما يلي عن تلك الهزيمة ، « . . أمر الملك خايمي الأول قواته بالتقدّم نحو الجبال ، المحيطة بالعاصمة للاستيلاء عليها وإخضاع سكانها ، ونصب لهم المسلمون كمائن على الطرق الجبلية الوعرة ، وفي معقل بنيولا الجبلي جوبهوا بمقاومة ضارية وهزموا هزيمة ساحقة ، انسحبوا على أثرها إلى مدينة ميورقة دون توقف ، وتركوا خلفهم أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى والأسرى ، مما أغضب الملك خايمي ، الذي أنبهم بشدّة على جبنهم وتخاذلهم الذي أدى إلى سريان روح الهزيمة في المعسكر الصليبي . وفي هذا الوقت بالذات الذي انهارت فيه معنوية الغزاة ، طلب الكثيرون منهم العودة إلى أوطانهم ، بعد أن جمعوا من الغنائم أكثر مما كانوا يطمحون ، وصل إلى مدينة ميورقة رئيس فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس هو جودي فولك اليجوير Hugu de Folch Alguer مع تعزيزات كبيرة من الفرسان ، وطلب من الملك خايمي أن يمنح تنظيمه إقطاعات في جزيرة ميورقة ، ويتعهد مقابل ذلك أن يحارب مع فرسانه تحت راية الملك ، وبالرغم من احتجاج النبلاء ، فقد وعده الملك خايمي بتحقيق مطلبه بعد القضاء على ثورة أهل الجزيرة . وقد أثار وصوله حماسة في صفوف المقاتلين بما ألقاه عليهم من مواعظ[1] . ونتيجة لهذه الحماسة الطارئة ، في المعسكر الصليبي ، أمر الملك خايمي بالاستعداد لمهاجمة جنوب شرق الجزيرة ، وتجنب المناطق الجبلية الوعرة في شمالها الغربي ، خوفاً من تعرض قواته لهزيمة أخرى . وكانت الأنباء قد بلغته بوجود عدد من مسلمي الجزيرة معتصمين في كهوف منقور وعرطة[2] . وتوجه الملك خايمي بنفسه على رأس قواته ورئيس فرسان القديس يوحنا « سنت جون » وعدد كبير من الجنود والأحبار للاستيلاء على كهوف منقور Manacor وعرطة Arta التي اعتصم فيها ما يقارب الألف وخمسمائة من الرجال والنساء والأطفال مع ثرواتهم وكافة ما كانوا يملكون من التموين والمواشي والأبقار ، وقاد الملك الهجوم بنفسه! فقد همّه أن يحصل على نصر رخيص بأي ثمن لرفع معنويات جنوده المنهارة ، ولكنه تراجع مدحوراً أمام القذائف التي انهالت على قواته كالسيل المنهمر ، ولم يتمكن من الانسحاب عبر الممرات الصخرية الضيقة الوعرة إلا بعد صعوبة كبيرة وخسائر فادحة ، وتفتق ذهن رئيس فرسان القديس يوحنا العائد من سواحل الشام ، بعد

(١) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 9.

(٢) يوجد في شمال شرق جزيرة ميورقة على مقربة من منقور وعرطة كهوف من أضخم كهوف النوازل الكلسية في أوروبا « الاستالكتيت » Stalactite ، ويعرف كهف منقور « بمغارة التنين » Cueva de Drack وإلى الشرق منها كهوف عرطة التي يصل طول بعضها إلى ثلاثمائة متر ، وكان الدخول إليها في عهد خايمي الأول في غاية الصعوبة ، وأصبحت اليوم من معالم جزيرة ميورقة السياحية ، خاصة كهف التنين ذو البحيرة العميقة الواسعة ، وتعزف فيها اليوم فرقة موسيقية في سفينة طافية! ولا يدري إلا القليل من الناس بأن المئات من المسلمين قتلوا حرقاً واختناقاً في هذا الكهف الذي تتخذ فيه النوازل الكلسية أشكالاً في غاية الجمال .

أن نضبت المغانم هناك ، عن فكرة شيطانية برع في ابتكارها أولئك الأحبار من فرسان الكنيسة . فقد اقترح على الملك الشاب الذي أصابه الذعر والهلع ، بأن يرسل بعض الرماة إلى أعالي تلك الكهوف ، وقذف شعلة محرقة من عدة فجوات لخنق من في تلك الكهوف ، وإجبار البقية على مغادرتها ، مما يمكّن الفرسان من حصدهم بسهولة[1] . وما أسرع ما استجاب خايمي الأول ، الذي لم يكن قد تجاوز العشرين إلى هذا الاقتراح وتطوع لتنفيذ هذه المهمة إخوان من الفرنجة هما أنطونيو وبيريت مواكس Antonio and Perate Moix ونجحت الخطة واندفع من بقي حياً من أولئك التعساء إلى خارج الكهوف وحصدتهم سيوف الفرسان المتربصين! وحصل الغزاة على أكداس من القمح والشعير وكميات كبيرة من الذهب والفضة وعدد كبير من المواشي والأبقار . وتواصل المدونة القطلانية روايتها ، وتقول « وعاد الملك خايمي إلى بالما » مدينة ميورقة منتصراً »! وكان وصوله في يوم أحد السعف « عيد الشعانين » في جمادى الأولى ٢٦٧ هـ = أبريل ١٢٣٠ م[2] . وقد توج الملك خايمي انتصاره بالاستيلاء على حصن « الأرون » Alaro[3] التي تركها خايمي أثناء زحفه من بوراسا إلى بورتوبي في بداية حملته على جزيرة ميورقة ، وكان يحاصر هذا المعقل ابن عابد القائد المسلم الذي انضم للغزاة ، وقد أسهم بدور كبير في الاستيلاء على هذا المعقل الفائق الحصانة وسلّمه للقوات الصليبية[4] .

الإمارة الشعبية الإسلامية في بلانسة
برئاسة أبي حفص عمر بن سيري

اعتصم أبو حفص عمر بن سيري ، في معقل بلانسة الجبلي في شمال جزيرة ميورقة[5] . وحشد حوله ستة عشر ألف مقاتل ، بايعوه على الطاعة والجهاد لطرد الغزاة من جزيرة ميورقة[6] .

(١) ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص ١٠٥ - ١١٠ . و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 35-36.

(٢) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 9.
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 37.

(٣) حصن الأرون Alaro يصفه الزهري بما يلي :
« المعقل العظيم المشيّد الذي ليس في معمور الأرض مثله . . وهو حصن مرتفع في الهواء من حجر صلد في رأسه عين سائلة كبيرة » . وقد صمد فيه أهل ميورقة في فتحها الرابع في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن « ثمانية أعوام وخمسة أشهر » (الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ١٢٩) .

(٤) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 34.

(٥) محمد محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/السفر الخامس ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٧١ .

(٦) المصدر السابق نفس الصفحة . وابن المستوفي : تاريخ إربل ، القسم الأول ص ٤٣٠ - ٤٣٢ .

وقام بتنظيم شئون إمارته الصغيرة ، وعيّن الولاة والقادة والقضاة ، وكان يشرف على شئون القضاء في إمارة الجبل في بلانسة « عمر بن أحمد بن عمر العمري » . ويذكر أبو عبد الله الأنصاري الأوسي المراكشي في ترجمته ما يلي ، « من صرحاء ولد عمر بن الخطاب . . كان حافظاً ، اشتهر باستظهار الموطأ ، استقضي بالجبل بعد انحياز الفل الميورقيين إليه ، اثر تغلب الروم (القوات الصليبية) على ميورقة وأعمالها ، وتوفي بحصن بلانسة ٦٢٨ هـ = ١٢٣١ م »[1] .

وتدعو المصادر القطلانية أمير إمارة بلانسة الجبلية باسم « شعيب » وربما كان اسم جد عمر ابن سيري هو شعيب Xuip . وتذكر بأن أصله من قرية « شبرت » Chivert وأنه حشد حوله خمسة عشر ألف مقاتل. وحاول الملك خايمي استمالة هذا الثائر بمنحه إقطاعات واسعة ، ولكنه رفض الاستسلام ، وأوقع خسائر فادحة في القوات الصليبية . وكان يهاجم المعسكر الصليبي ، في هجمات ليلية متلاحقة ، ويعود ثانية إلى معقله الجبلي في بلانسة دون أن تتمكن القوات الصليبية من مطاردته ، في الشعاب الجبلية الوعرة[2] .

وفي نهاية شهر ذي الحجة ٦٢٧ هـ = ٢٦ أكتوبر ١٢٣٠ م ، غادر الملك خايمي الأول جزيرة ميورقة مع بعض أتباعه في سفينتين أبحرتا من ثغر بالوميرا Palomera ، وولى على جزيرة ميورقة الكونت « برناردودي سانتا انجينا » ، ووصل الملك بعد يومين إلى ميناء طرخونة بساحل قطلونية واستقبل كما تذكر المدونة القطلانية استقبالاً حافلًا من جميع طبقات الشعب ، وأطلقوا عليه اسم الفاتح Conquistador[3] . الذي لازم اسمه منذ ذلك الحين[4] .

ولم يتمكن الكونت برناردو حاكم جزيرة ميورقة من الصمود أمام هجمات أبي حفص « عمر » بن سيري « بن شعيب » واعتصم خلف أسوار مدينة ميورقة « بالمادي ميورقة » مع المستوطنين القطلان الجدد ، وأرسل إلى خايمي الأول يستنجد به[5] !

وسرعان ما أعدّ ملك قطلونية وأرغون خايمي الملقب بالفاتح حملة جديدة إلى جزيرة ميورقة خاصة بعد أن وصلته الأنباء عن طريق التاجر القطلاني رامون دي بليجامانز ، بأن أمير إفريقية (أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي) يعد حملة كبيرة لاستعادة جزيرة ميورقة من أيدي الصليبيين . فلم يكن التاجر القطلاني متعهداً لإمداد القوات الصليبية بالتموين والمعدات

---

(١) محمد محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/السفر الخامس ، القسم الثاني ، ص٤٤٢ ، ترجمة رقم ٧٤٧ .

(٢) ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص١١٧ .

(٣) يوجد للملك خايمي الفاتح في وسط مدينة بالمادي ميورقة تمثال كبير وهو يمتطي حصاناً على تل صخري وسط حديقة ، وفي نهاية التل الصخري تاريخ الحملة على ميورقة واسم خايمي الفاتح Conquistador.

(٤) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 10.

(٥) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 37-38.

والأسلحة فحسب ، بل كان بالاضافة إلى ذلك يشرف على جهاز للاستخبارات ، ويتلقى المعلومات من عملائه ووكلائه التجاريين ، في الثغور الإسلامية في بلاد المغرب وإفريقية والأندلس . وبالرغم من معارضة بعض كبار الأحبار ونبلاء المملكة في مغادرة خايمي الفاتح لمملكته ، في وقت كان فيه ابن مردنيش أمير بلنسية يغير على حدودها الجنوبية ، إلا أنه أصرّ على القيام بحملته ، في شهر صفر ٦٢٨ هـ = يناير ١٢٣١ م ، بالرغم من صعوبة الملاحة البحرية في مثل هذا الوقت من العام[1] .

وبعد يومين من الإبحار من ساحل قطلونية ، وصل خايمي الفاتح على رأس قواته إلى ثغر سولير على الساحل الغربي للجزيرة ، ومنها عبر إلى الجبال الغربية الحصينة ، حيث كان يعتصم الثوار ، الذين اشتبكوا معه في معارك عنيفة ، حتى شهر رجب ٦٢٨ هـ = مايو ١٢٣١ م . ولم توضح المدونة القطلانية تفاصيل هذه المعارك ، واكتفت بالقول بأن الملك خايمي الفاتح اضطر للعودة إلى مملكته ، وكان لا يزال حوالى ألفي ثائر معتصمين بالجبال[2] . وتتفق المدونة القطلانية مع ما ذكرته مصادرنا الإسلامية في هذا الصدد ، فقد ذكر المقري نقلًا عن المخزومي بأن أبا حفص بن سيري ظل يقاتل الروم « القوات الصليبية » ، « إلى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الأول ٦٢٨ هـ = ١٣ فبراير ١٢٣١ م ، وجدّه من آل جبلة بن الأيهم . أما الحصون (في إمارة بلانسة) فقد أخذت في رجب ٦٢٨ هـ = مايو ١٢٣١ م ، وفي شهر شعبان لحق من نجا بدار الإسلام »[3] . وتتفق هذه الرواية مع ما ذكره الأوسي المراكشي في ترجمة أحمد بن علي الأنصاري الميورقي التي يقول فيها ، « لما تغلّب الروم على ميورقة عنوة ، كان ممن انضوى إلى جبلها ، ولما نزل الناس منه صلحاً توجّه إلى بجاية في شعبان ٦٢٨ هـ = يونيو ١٢٣١ م ، واستعمل في بعض أعمال إفريقية . . »[4] .

ويؤكد الاتفاق بين المصادر الإسلامية والقطلانية بالنسبة لمصير إمارة الجبل الشعبية بقيادة الأمير أبي حفص عمر بن سيري بن شعيب المؤرخ الميورقي الباروكمبانير حيث يقول ، « إن من المرجّح أن يكون ابن سيري الشجاع ، قد لقي مصرعه خلال الحملة الثانية ، التي قام بها الملك خايمي الفاتح على جزيرة ميورقة في يناير ١٢٣١ م (صفر ٦٢٨ هـ) ، وهي الفترة التي تتفق مع التاريخ الذي يشير إليه المخزومي ، أما الاستيلاء النهائي على القلاع التي كانت لا تزال باقية في أيدي الثائرين ، فقد تم أيضاً في أثناء وجود الملك خايمي الذي تؤكد المصادر القطلانية بقاءه في

---

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 39-40.

(٢) Frederick Chamberlin: The Balearics and their Peoples, p. 10.

(٣) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص٤٧١ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ١/١ ، ص٢٤٥ ، ترجمة رقم ٤٣٦ .

جزيرة ميورقة حتى شهر مايو ١٢٣١ (رجب ٦٢٨ هـ) »[١]. وقد عاد خايمي الفاتح إلى مملكته في التاريخ الآنف الذكر بعد أن قضى على معظم الثوار، ولم يبق منهم سوى ألفين اعتصموا في ذرى الجبال، ولم يكن بالإمكان مطاردتهم، وبعد أن تبين له عدم صحة الأنباء التي وصلته عن حملة تعد في تونس « إفريقية » لاستعادة جزيرة ميورقة[٢]. وترك الملك خايمي نائباً عنه في جزيرة ميورقة الأمير بيدرو البرتغالي ابن عمّة والده[٣] مقابل تنازله عن كونتية أورجل في مملكة قطلونية وأرغون، ولم يكن سوى حاكم رمزي لجزيرة ميورقة دون أي عقب، وعادت ميورقة ثانية لحكم خايمي الأول[٤]، الذي عاد لجزيرة ميورقة للمرة الثالثة، عندما أعلمه حاكم الجزيرة بأن من تبقى من ثوار جبال ميورقة يرفضون الاستسلام، إلّا للملك خايمي نفسه، وتضيف المدونة القطلانية إلى ذلك، بأن بعض هؤلاء الثوار استسلموا للملك خايمي، شريطة الاحتفاظ بممتلكاتهم، في شهر رجب ٦٢٩ هـ = مايو ١٢٣٢ م، ورفض البعض الآخر الاستسلام، وظلّوا يقاومون الغزاة، إلى أن ماتوا قتلًا وجوعاً[٥].

مصير سكان جزيرة ميورقة

بعد المجزرة الدامية التي استمرت طيلة أربع سنوات في جزيرة ميورقة، تشرّد المسلمون من أهلها في شتى البقاع، فمنهم من أسعفه الحظ وهاجر إلى « بلاد الإسلام »[٦]، ووجد الرعاية في جزيرة منورقة، تحت كنف أميرها سعيد بن حكم بن عثمان، ومنهم من اتجّه إلى إفريقية حيث وجدوا الملجأ الأمين تحت حكم أميرها أبي زكريا الحفصي، أما الأغلبية منهم فقد آثرت الرحيل عن وطنها إلى مملكة غرناطة، آخر معاقل المسلمين في البر الأندلسي، حيث وجدوا التكريم والرعاية من أول سلاطينها « محمد بن الأحمر »[٧]. أما من بقي من جزيرة ميورقة من المسلمين،

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٩٠ - ١٩١.
(٢) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص١١٧.
(٣) الأمير بيدرو البرتغالي: ابن الملك سانشو الأول ملك البرتغال من زوجته الدونزا Aldonza أخت ألفونسو الثاني جد الملك خايمي لأبيه « بيدرو الثاني »، وتزوج الأمير البرتغالي من كونتيسة أورجل، وبعد وفاتها ورث هذه الكنتية عن زوجته، فعرض عليه الملك خايمي أن يتنازل عن كنتية أورجل مقابل حصوله على جزيرة ميورقة، فقبل بيدرو البرتغالي بذلك، وكان ضعيفاً لا مبالياً وحكم في ميورقة حكماً اسمياً، وتوفي دون عقب ١٢٤٤ م، وعادت ميورقة ثانية لحكم خايمي الفاتح. (ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص١١٧.
(٤) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص١١٧.
(٥) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 40-41.
وميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص١١٧.
(٦) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٧١.
(٧) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص٩٢ وما بعدها.
والوزير محمد السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج٢، ص٢٤٨.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٩١.

فقد وقعوا أسرى في أيدي القوات الصليبية، واستعبدوا وبيع الآلاف منهم في أسواق الرقيق! واستخدمهم الغزاة أقناناً في الأراضي التي كانوا يملكونها، وفي بناء الحصون وشق الطرق! واستطاعت قلة منهم أن تفرض على الملك خايمي توقيع اتفاق يتعهد فيه بتركهم أحراراً في ممتلكاتهم مقابل دفع جزية لخزانة الملك[١]. ويذكر المؤرخ موسن توني بونز «Mossen Toni Pons» بأن الملك خايمي أعلن حمايته لهؤلاء المسلمين الأحرار، بالاضافة إلى الجالية اليهودية التي كانت تشكل نسبة كبيرة من سكان ميورقة في بداية عهدها المسيحي[٢]. ويعود الفضل في حماية البقية الباقية من مسلمي ميورقة في عهد الملك خايمي إلى سعيد بن حكم بن عثمان، الذي افتدى المئات من أهل ميورقة، وأنقذهم من الأسر، فقد كان مسموع الكلمة عند الملك خايمي وكان المسلمون يستنجدون به لإنقاذ أسراهم[٣].

وبعد موت الملك خايمي الأول، تعرض المسلمون من أهل جزيرة ميورقة إلى الاضطهاد، وفرض عليهم التنصّر، واستعبد من رفض ذلك منهم[٤]. وكان ملوك بني الأحمر في مملكة غرناطة يسعون جاهدين لإنقاذ من بقي خاضعاً من المسلمين بمملكة قطلونية وأرغون، وكانوا يشترطون في كل معاهدة دبلوماسية رعاية المسلمين وعدم إكراههم واضطهادهم والسماح لمن يرغب منهم في الهجرة إلى مملكة غرناطة، دون أي اعتراض، ومنها على سبيل المثال، الاتفاقية الموقعة بين السلطان عبد الله اسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة وتوابعها، وخايمي الثاني ملك أرغون التي ورد فيها البند التالي: « أن لا تمنعوا من أراد الخروج إلى أرض المسلمين من المدجنين الساكنين بأرضكم بأهلهم وأولادهم، وأن يباح لهم الوصول إلى أرضنا آمنين مرفوعاً عنهم الاعتراض من غير شيء يلزمهم إلا المغرم المعتاد على ما جرت به العادة من غير زيادة على ذلك »[٥]. كما كان للعلاقات التجارية الوثيقة بين بني حفص ملوك إفريقية، ومملكة قطلونية وأرغون أثر كبير على وقف اضطهاد المسلمين في جزيرة ميورقة[٦]. كما قامت مصر التي ارتبطت بمعاهدات سياسية مع مملكة قطلونية وأرغون وملحقاتها، في عهد السلطان

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٨٨، و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 37-41.
(٢) Juan Bonet: Majorca, p. 70.
(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص٢٧٥.
ومحمد بن شريفة: أبو المطرّف بن عميرة المخزومي، ص٢٧٥.
(٤) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 40.
(٥) Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De La Corona De Aragon Editadosy Tracides Por Maximliano A. Alarcony Santony Ramon Garcia De Linares Madrid-Granda 1946. p. 33-34.
(٦) المصدر السابق، ص٢٦٦.

محمد بن قلاوون بفرض شرط في كل معاهدة ، بضرورة تمتع المسلمين بحريتهم الدينية مقابل تمتع النصارى بذلك في بلاد الإسلام[١] .

ولم يكن التطلع لإنقاذ مسلمي ميورقة وقفاً على الملوك فحسب ، فقد هزّت هذه النكبة التي حاقت بالإسلام في هذه الجزيرة ، ضمائر المسلمين في المشرق والمغرب ، وكان من بين هؤلاء الأديب الشاعر الأندلسي أبو علي الحسن بن محمد من بلدة بيرة Vera على مقربة من ثغر المرية ، الذي توجّه إلى بلاد المشرق لمناشدة ملوكها وأمرائها إنقاذ مسلمي ميورقة من الأسر ، وإعادتهم أحراراً إلى دار الإسلام . وقد توصل في رحلته هذه إلى بلاد الشام والعراق ، ومن أكثر من استجاب لندائه ، ولبّى دعوته « مظفر الدين كوكبوري » أمير إربل في شمال العراق ، ويقول ابن المستوفي بهذا الصدد ، بأن « أبا علي الحسن بن محمد » الشاعر الكاتب الأندلسي « عرّف أبا سعيد كوكبوري ، على خبر ميورقة ، التي أخذها الفرنج عنوة ، واستغاثة الأسرى به ، لفكاك ما يقدّر الله فكاكه ، فأجابه إلى ذلك وقال : أنا أحقّ من لبّى دعوتهم »[٢] ! وكان مظفر الدين كوكبوري من أبطال معركة حطين ، وقد عرف عنه حب الخير ، والسعي بصفة خاصة لإنقاذ أسرى المسلمين ، فكان كما يقول ابن خلكان « يسيّر في كل سنة دفعتين من أمنائه إلى بلاد الشام ، ومعهم الأموال لافتكاك أسرى المسلمين من أيدي الكفار ، فإذا وصلوا إليه أعطى كل واحد منهم ما يحتاج إليه! وإذا لم يصلوا ، فالأمناء يعطونهم ما يؤمّن حاجتهم »[٣] . وكان الصليبيون قد أحضروا عدداً كبيراً من أسرى جزيرة ميورقة من المسلمين إلى عكا الصليبية آنذاك ، ويذكر أبو شامة في حوادث عام ٦٢٧ هـ = ١٢٣٠ م ما يلي بهذا الصدد ، « وجاء الخبر بأن الفرنج استولوا على جزيرة ميورقة ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وأسروا كذلك ، وقدموا ببعض الأسرى إلى ساحل الشام ، فاستفكّ منهم طائفة ، فقدموا علينا في دمشق وأخبروا بما جرى عليهم . . »[٤] !!

ويذكر أحمد بن إبراهيم الأزدي أن من بين كرامات الشيخ الأندلسي « أبي مروان عبد الملك ابن إبراهيم بن بشر القيسي البجاني إنقاذه من أيدي الصليبيين في عكا « أسيرين أخوين صبياً وصبية من ميورقة »[٥] !

ومن الطريف أن يتطوع لإنقاذ جماعة من أسرى ميورقة الامبراطور فريدريك الثاني

---

(١) Los Documentos Arabes Diplomaticos Del Archivo De La Corona De Aragon, p. 365-366.
وابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والدهور في سيرة الملك المنصور ، ص١٥٦ – ١٥٧ .

(٢) ابن المستوفي : تاريخ إربل ، ص٤٣٠ – ٤٣٢ ، ترجمة رقم ٣١٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١١٧ .

(٤) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٥٩ .

(٥) أحمد بن إبراهيم الفشتالي : تحفة المغترب ببلاد المغرب ، ص١٧٣ .

امبراطور ألمانيا وصقلية وجنوب إيطاليا ، نظراً لما كان يكنّه للمسلمين من تقدير ، ولإعجابه الكبير بالحضارة العربية والإسلامية ، التي استقى الشيء الكثير من منهلها ، ولما كان يربطه بالسلطان الكامل الأيوبي من روابط المودة[١] . ويذكر ابن خلكان الرواية الفريدة التالية بهذا الصدد : « كانت بين الأنبرور (الامبراطور فريديريك الثاني) ملك صقلية وغيرها من بلاد الإفرنج ، وهو اليوم أكبر ملوكها خطراً ، وبين الملك الكامل (ابن الملك العادل الأيوبي) صداقة ومهاداة يألفه بها ، إلى أن تأكدت له محبته وصار ذبّه عن بلاده ، من طوائف الكفر ديدنه وعادته . وكان عنده من الأسرى المأخوذين من مدينة ميورقة من الغرب ، عند الاستيلاء عليها ، جماعة ، فأحضرهم الأنبرور بين يديه وقال لهم : يا حجاج ، قد أعتقتكم عن الملك الكامل وسيرهم مع قصّاد تقودهم إلى عكا وأمرهم بحل قيودهم عند قبره وإطلاق سبيلهم »[٢] !! وهكذا عاد من عاد من المسلمين من أهل ميورقة إلى دار الإسلام ثانية ، وقتل من قتل واستعبد منهم من استعبد ، وذابت البقية الباقية من المسلمين الأحرار في جزيرة ميورقة بمرور الزمن ، وزال الإسلام عنها إلى الأبد!! واقتسم الغزاة أرض الجزيرة فيما بينهم[٣] .

تقسيم جزيرة ميورقة

أصدر الملك خايمي الأول خلال حملته الثالثة والأخيرة على جزيرة ميورقة ، كتاباً بتقسيم أراضي الجزيرة ، اقطاعيات له ولكبار قادة الحملة الصليبية ، بعد أن قضى نهائياً على آخر معاقل المقاومة الإسلامية في جزيرة ميورقة . وما زال « كتاب التقسيم » El libre de Repartimiento محفوظاً حتى اليوم في « أرشيف بلدية بالمادي ميورقة »[٤] وهو يتألف من

---

(١) د. سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، ص٣٩١ – ٣٩٩ . وص٤٢٨ – ٤٥٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٩١ .

(٣) تذكر المدونات القطلانية بأنه كان من بين أسرى ميورقة الذين وصلوا إلى مكانة رفيعة أحد أبناء أبي يحيى التنملّي آخر عمال البليار . فقد تبناه الملك خايمي الفاتح واقطعه اقطاعية ، منذ كان في الرابعة عشرة من عمره ، وتزوج البارونة الجميلة إيفا رولدان Eva Roldan وأصبح من كبار بارونات مملكة قطلونية وأرغون!
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 33.

(٤) لوثروب : حاضر العالم الإسلامي ٢/٢٩ وصحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ج٤ ص٢١٧ – ٢١٩ . سنة ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٦ م/تحقيق د. محمود علي مكي . لقد زرت « أرشيف بلدية بالمادي ميورقة » في صيف عام ١٩٧٨ ، وهو يحتوي على وثائق فريدة يمكن من خلال دراستها إلقاء أضواء على مسلمي ميورقة ، في العهد المدجني ، بعد استيلاء مملكة قطلونية وأرغون عليها ، مما يقتضي عناية الباحثين لدراسة هذه الفترة الغامضة .

جزئين ، أحدهما باللغة اللاتينية[1] ، والقسم الآخر باللغة العربية[2]. « والنصان يكمل أحدهما الآخر ، ويتناول كلاهما تقسيم جزيرة ميورقة بعد انتزاعها من حكم المسلمين ٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م ، على يد ملك قطلونية وأرغون خايمي الفاتح الذي تدعوه المصادر العربية بالطاغية البرشلوني جاقة « جاقمة »[3]. وقام بتحرير كتاب التقسيم في مطلع شعبان ٦٢٩ هـ = أوائل يوليو ١٢٣٢ م ، الكاتب وموثق العقود « بيدرو دي ميليو »[4]. وللنص العربي قيمة كبرى في توضيح معالم جزيرة ميورقة بعد استيلاء القوات الصليبية عليها . ويشتمل على عدد كبير من الأعلام الجغرافية ، كما يلقي الأضواء على شتى نواحي العمران في الجزيرة ، خاصة في مدينة ميورقة العاصمة[5]. وبالاضافة إلى ذلك يمكن للباحث من خلال دراسة هذه الوثيقة الفريدة معرفة اللغة العربية الدارجة في ميورقة آنذاك التي كان لبعض ألفاظها مدلول خاص[6].

---

(١) نشر النص اللاتيني الأستاذ خايمي بوسكيتس موليه في « مجلة جمعية القديس رايموندو لوليو للدراسات الأثرية » في بالمادي ميورقة سنة ١٩٥٣ . (صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ج ٤ ، ص٢١٧) .

(٢) يتضح من دراسة النص العربي من كتاب التقسيم بأنه كتب قبل النص اللاتيني والأرجح بأن النص اللاتيني ترجم عن النص العربي ، وقد نشر الأستاذ خايمي بوسكيتس موليه النص اللاتيني « ضمن مجموعة من الدراسات بمناسبة تكريم المؤرخ ملياس فاليكروسا في برشلونة سنة ١٩٥٤ م » ، وقد جمع كلا النصين في كتاب واحد وكتب تعليقاً عليهما باللغة الإسبانية « والنصان يكمل أحدهما الآخر ، ويتناول كلاهما تقسيم جزيرة ميورقة » . صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ج ٤ ، ص٢١٧) .

(٣) صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ج ٤ ، ص٢١٨ .

(٤) محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، ص١٣٣ - ١٣٦ .
وعصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ، ص٤٠٨ . وصحيفة العمهد المصري للدراسات الإسلامية ، ج ٤ ، ص٢١٨ .

(٥) يتضح من هذا النص معالم جزيرة ميورقة الجغرافية ، وأسماء مدنها الهامة ، كما يوضح ما كان فيها من مزارع وقصور وقلاع وديار وطواحين عامرة أو غير عامرة ، بالاضافة إلى أقسام مدينة ميورقة العاصمة وأسماء أبوابها وإحيائها وأرباضها وأبرزُ المعالم الجغرافية المحيطة بها ، مما يوفر لنا ثروة كبيرة من الأعلام الجغرافية التي تقترن مسمياتها بأسماء شخصيات بارزة في تاريخ ميورقة الإسلامي . (صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ج ٤ ، ص٢١٨) .

(٦) يرد في النص ، عدة ألفاظ ميورقية خاصة ، منها على سبيل المثال « رحل » بمعنى ربض أو حي . وكذلك كلمة « حوز » بمعنى الزمام أو الأرض الصالحة للزراعة ، وكلمة « زوج » بمعنى حقل . (صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ج ٤ ، ص٢١٨ - ٢١٩) . هذا بالاضافة إلى مصطلحات محلية أخرى منها « حجنو » بمعنى نحو أو حوالي ، « وبشب برجلونة » أي أسقف برشلونة « والقمط » بمعنى الكونت ، واستخدام كلمة « صور » بدلاً من سور واجنة بمعنى جنان أو حدائق ، « والشارع » بدلاً من الشارع ، مما يدل على استخدام أسلوب الإمالة في الألفاظ .

Jaime Busquets Mulet: Elcodic Lativio-Arabigo del Repartimiento de Mallorca. p. 251-270.

الاستيلاء على جزيرتي يابسة وفرمنتيرة

أهمل الملك خايمي الأول شأن جزيرتي يابسة وفرمنتيرة ، ولم يتطلع إلى الاستيلاء عليهما بعد حملته الثالثة على جزيرة ميورقة ، فقد كبّده الاستيلاء على هذه الجزيرة وإخضاع أهلها أربع سنوات ، مما عطل مشاريعه التوسعية في الاستيلاء على إمارة بلنسية المجاورة لمملكته في البر الإسباني . لهذا ما إن وصل إلى ساحل قطلونية من جزيرة ميورقة في شهر شعبان ٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م[1] حتى أخذ في حشد القوات للإغارة على حصون بلنسية ومعاملها الأمامية التي جابهت قواته ببسالة منقطعة النظير ، ولم يكتف أميرها زيّان بن أبي الحملات بن مردنيش بالتصدي للغزاة فحسب ، ولكنه أغار على حدود مملكة قطلونية وأرغون ، وحقق بعض الانتصارات[2]. وبينما كان الملك خايمي الأول في بلدة الكنيس Alcaniz الإسبانية مع كبار قادة قواته ، تقدم إليه نائب أسقف مدينة جرندة « جيرونة » Sa Shrista Gerona وكبير أساقفة طركونة « جليرمو دي مونتجري Guillermo de Montgri وناشده بأن يمنحه أذناً بالاستيلاء على جزيرتي يابسة وفرمنتيرة ، إذا لم يكن الملك عازماً على الاستيلاء عليها بنفسه ، لإدخالهما في تبعية الكرسي الأسقفي لمدينة طركونة Tarragona . ونظراً لانشغال الملك خايمي الأول في حرب ضارية ضد إمارة بلنسية الإسلامية ، لهذا أعلن موافقته على هذا المشروع وسمح لكبير الأساقفة المذكور ، بأن يعدّ العدّة للاستيلاء على الجزيرتين ، شريطة أن يكون ذلك باسم ملك قطلونية وأرغون[3]. وتمّ توقيع اتفاق بين الملك خايمي الأول وكبير أساقفة طركونة في ١٣ ربيع الأول ٦٣٢ هـ = ٧ ديسمبر ١٢٣٤ م ، تنازل الملك بمقتضاه ، لرئيس الأساقفة ، ولأعوانه في الكرسي الأسقفي الطركوني ، عن جزيرتي يابسة وفرمنتيرة ، بكل ما فيهما من عقارات ومنافع ، كما تنازل عن قلعة يابسة ، على أن تعلن الأسقفية سيادة الملك على الجزيرتين ، بعد الاستيلاء عليهما . وقد تمّ الاتفاق بين رئيس أساقفة طركونة والأمير بيدرو البرتغالي حاكم جزيرة ميورقة ونونيو سانشيز كونت روسيون Nuno Sanchez Conde de Rosellion على إعداد حملة مشتركة للاستيلاء على الجزيرتين ، في وثيقة مؤرخة في رجب ٦٣٢ هـ = ١٢٣٥ م ، ما زالت محفوظة حتى اليوم في أسقفية طركونة ، وتم الاتفاق بمقتضاها بين قادة الحملة المشتركة على خطة الهجوم ودور كل منهم وعدد القوات التي سيسهم بها والمعدات والتجهيزات التي سيقدمها ، والأموال التي

---

(١) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص٤٢١ .
وميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص١٢٦ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٩٨ و
Fransico Verdera: Ibiza, p. 36.

سيدفعها، إسهامًا منه في نفقات الحملة[1].

ولا يوجد في الاتفاقية الآنفة الذكر أي تفاصيل، توضح كيفية توزيع الغنائم والعقارات، بعد الاستيلاء على الجزيرتين. وتركت جميع التفصيلات المتعلقة بهذا الموضوع إلى ما بعد الاستيلاء على الجزيرتين. وأبحرت الحملة المشتركة بعد توقيع الاتفاقية مباشرة في شهر رجب ٦٣٢ هـ = أبريل ١٢٣٥ م، وقد أغفلت المصادر المسيحية عدد السفن والجنود والفرسان والرماة الذين أسهموا في هذه الحملة[2]. بينما تجاهلت مصادرنا الإسلامية استيلاء القوات الصليبية على جزيرتي يابسة وفرمنتيرة ولم أجد في أي مصدر تمكنت من الاطلاع عليه أي رواية في هذا الصدد باستثناء رواية مقتضبة لابن أبي زرع[3]. ويذكر المؤرخ الميورقي الباروكمبانير بأن ابن زرع، ذكر نصاً في طبعة روض القرطاس الأوروبية الكاملة[4]، يقول فيه ما يلي، عن استيلاء النصارى على جزيرة يابسة في حوادث عام ٦٣٢ هـ، « وفيها قام النصارى بالاستيلاء على جزيرة يابسة بعد خمسة أشهر من الحصار.. »[5]. وهو ما يتفق إلى حد كبير مع ما ذكرته المصادر المسيحية المعاصرة، التي تذكر بأن الاستيلاء على جزيرة يابسة كان في الثامن من أغسطس ١٢٣٥ م (أوائل محرم ٦٣٣ هـ) مع اختلاف طفيف، وهو أن فترة الحصار لمدينة يابسة عاصمة الجزيرة، التي تحمل نفس الاسم، استغرق أربعة أشهر فقط، وليس خمسة أشهر كما يذكر ابن أبي زرع في روايته. ولا تذكر المصادر المسيحية سوى معلومات ضئيلة عن كيفية الاستيلاء على مدينة يابسة، وتغفل ذكر أي تفاصيل أخرى كما تتجاهل مصير سكانها من المسلمين. ومهما يكن الأمر فقد استولى الغزاة على جزيرتي يابسة وفرمنتيرة بكيفية نجهلها تماماً، باستثناء إشارة عابرة في المدونات المسيحية المعاصرة تؤكد أن الذي سهل على الغزاة اقتحام أسوار مدينة يابسة الحصينة.. « خيانة أحد المسلمين، وهو أخو حاكم الجزيرة، وقد دفعه إلى ذلك حقده على أخيه لإهانة لحقته منه، بعد أن سلب منه زوجته، فقام بفتح الطريق أمام القوات الصليبية من فتحة في منزلة تقع في سور المدينة.. »[6]. وتضيف إلى ذلك بأن الغزاة

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٩٩ و
Fransisco Verdera: Ibiza, p. 36.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠٠.
ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني، ص٤٠٨.

(٣) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص٢٧٦ طبعة دار المنصور.

(٤) لم أتمكن من الاطلاع على الطبعة الأوروبية من روض القرطاس، ويوجد في حيازتي طبعة دار المنصور التي يرد فيها نفس النص، ص٢٧٦.

(٥) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠١.

(٦) Fransisco Verdera: Ibiza, p. 36.
وتخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠٠ - ٢٠١. (نقلًا عن روض القرطاس، الطبعة الأوروبية، ص٣٩٤).

اقتسموا الجزيرة فيما بينهم، واستعبدوا من بقي حياً من أهلها، الذين أصبحوا أقناناً في الأراضي التي اقتسمها الغزاة. وكانت جزيرة يابسة في العهود الإسلامية مقسمة إلى خمسة أقاليم هي « الشرق والغرب وبني غامد والحويّط وبورتوماني، وقد غيّرت أسماء هذه الأقاليم بعد استيلاء القوات الصليبية عليها وأصبحت أربعة أقاليم بدلًا من خمسة. حصل منها رئيس الأساقفة جليرمو دي مونتجري على إقليمين وحصل كل من بيدرو البرتغالي حاكم ميورقة، ونونيو سانشيز كونت روسيون على إقليم واحد[1]. أما جزيرة فرمنتيرة فقد منحها رئيس الأساقفة إلى برنجار رينارت اقطاعية له ولأعقابه[2]. وبالرغم من قيود العبودية التي فرضها الغزاة على مسلمي الجزيرتين، فقد ثار المسلمون في جزيرة يابسة، كما يقول المؤرخ الباروكمبانير، وحاولوا بقوة وشجاعة، أن يخلعوا عنهم النير المسيحي، وقد نجحوا نجاحاً باهراً وتحرروا من قيودهم، وقضوا على عدد كبير من مستعبديهم! ولكن حملة عسكرية جديدة، تمكنت من سحق تلك الثورة الباهرة، وفرضت العبودية من جديد على مسلمي الجزيرتين الذين ذابوا بمرور الزمن في المجتمع المسيحي وما زالوا حتى اليوم يحتفظون بملامحهم وسماتهم وتقاليدهم الأندلسية القديمة[3].

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، حاشية « ١ »، ص٢٠٠.

(٢) Fransisco Verdera: Ibiza, p. 158.

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠١ - ٢٠٢ و
Fransisco Verdera: Ibiza, p. 34.

٢ - جزيرة منورقة المستقلة في عهد الأسرة الحكمية
٦٢٧ - ٦٨٥ هـ = ١٢٢٩ - ١٢٨٧ م

توطئة

لم تتعرّض جزيرة منورقة إلى ما تعرّضت له بقية جزر البليار من عدوان صليبي كاسح، وظلّت محافظة على استقلالها، ما يزيد قليلًا عن خمسين سنة، وبعد ذلك لاقت نفس المصير. ويعود الفضل في بقاء هذه الجزيرة الصغيرة المعزولة، تحت الحكم الإسلامي، طيلة هذه الفترة العاصفة من تاريخ المغرب والأندلس، إلى شخصية فريدة جمعت شتّى تناقضات ذلك العصر، وهو سعيد بن حكم بن عثمان القرشي الطبيري، الذي تقلّبت به الأحداث، وتنقل من بلدته طبيرة[1] في غرب الأندلس في شتى أرجاء الأندلس التي اجتاحها الغزاة، عقب انهيار الحكم الموحدي، وتوجّه منها إلى إفريقية[2].

وبعد أن أقام فترة في بجاية وتونس، أخذ فيها عن علماء البلدين[3]، توجّه من تونس إلى جزيرة ميورقة، حيث ولّاه أبو يحيى التنملّي عامل جزر البليار آنذاك، «على مجبى جزيرة منورقة وأمر الأجناد فيها، في شهر رمضان ٦٢٤ هـ = أغسطس ١٢٢٧ م[4]».

وكانت جزر البليار آنذاك، تمرّ بفترة حاسمة من تاريخها، بعد أن تأزّمت العلاقات بين أبي يحيى التنملّي عامل هذه الجزر ومملكة قطلونية وأرغون، نتيجة للاشتباكات البحرية بين أساطيل البلدين منذ أواخر ذي الحجة ٦٢٣ هـ = ديسمبر ١٢٢٦ م[5].

(١) طبيرة: بلدة في جنوب غرب الأندلس، وتقع حالياً في جنوب بلاد البرتغال على ساحل الأطلسي. (ابن الأبار. الحلة السيراء، ج٢، حاشية «١»، ص٣١٨).
(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع ص٢٩ - ٣٠. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٩. واختصار القدح المعلّى، ص٢٨. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص٢٧٥.
(٣) الغبريني: عنوان الدراية، ص٢٥٤.
(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص٣٠.
(٥) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٦٩.

وبعد أن قضى سعيد بن حكم ما يقارب السنتين في الإشراف على شئون جباية جزيرة منورقة وقيادة جندها، توجّه إلى جزيرة ميورقة «قبل أن يدخلها الروم الصليبيون» عنوة في منتصف شهر صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م، فقدّم منها عاملًا على منورقة»[1].

ويؤكد تولية سعيد بن حكم عاملًا على جزيرة منورقة قبيل العدوان الصليبي على ميورقة، كل من المقري الذي يقول، «وكان سعيد بن حكم قد ولّي على جزيرة منورقة من قبل الوالي أبي يحيى التنملّي..»[2]. وابن سعيد المغربي، الذي يذكر بأن سعيد بن حكم، «..ولّي اشراف جزيرة منورقة..» إلى أن كان استيلاء العدو على جزيرة ميورقة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م، فخلّى أهل منورقة بينه وبين زمامها فأحسن تدبير المسلمين بها[3].

توقيع سعيد بن حكم عقدي متاركة مع خايمي الأول

استطاع سعيد بن حكم بن عثمان بعد توليته عاملًا على جزيرة منورقة، من قبل أبي يحيى التنملّي، أن يكسب «.. قلوب أهلها بحسن الخلق والإحسان»[4]. وبعد أن استولى الصليبيون على جزيرة ميورقة في منتصف صفر ٦٢٧ هـ = الأول من يناير ١٢٣٠ م، توجّه سعيد بن حكم إلى جزيرة ميورقة، وعقد مع الملك خايمي الأول ملك قطلونية وأرغون، عقد متاركة، يتعهد فيه الملك المسيحي، بترك المسلمين أحراراً في جزيرة منورقة، مقابل تعهدهم بدفع جزية سنوية، وإعلانهم الخضوع والطاعة لمملكة قطلونية وأرغون[5]. وقد رحّب الملك خايمي الأول بعقد هذا الاتفاق لانشغاله بثورة أهل ميورقة من جهة، وتطلعه إلى الاستيلاء على إمارة بلنسية الإسلامية المجاورة لمملكته من جهة ثانية، كما وجد في الاتفاق كسباً مالياً ومعنوياً[6]. ولا تشير المصادر المسيحية إلى عقد المتاركة الأول الآنف الذكر، وتتحدث

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء: ج٢، ص٣١٨.
(٢) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٣٧١.
(٣) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص٢٨.
(٤) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص٢٨.
(٥) ابن الأبّار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣١٨ - ٣١٩.
وابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص٢٨.
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص٣٠. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٦٩.
وابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص٢٧٥. والحافظ السيوطي: بغية الوعاة، ٣٨٣/٢. والصفدي: مخطوطة الوافي بالوفيات، ج١٣ نسخة باريس رقم ٤٢٢٧، ص٦٩. والمقري: نفح الطيب، ج٤، ص٤٧١.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٩٤.
ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس/القسم الثاني ص٤٠٩.

بإفاضة، عن عقد المتاركة الثاني الذي وقّعه كل من سعيد بن حكم بن عثمان عامل جزيرة منورقة، وخايمي الأول ملك قطلونية وأرغون في مطلع شعبان ٦٢٩ هـ = يوليو ١٢٣٢ م، أثناء وجود خايمي الأول في جزيرة ميورقة في حملته الثالثة على هذه الجزيرة[1]. وقد أشارت مراجعنا الإسلامية، إلى عقد المتاركة الثاني. ويقول الأوسي المراكشي بهذا الصدد، « .. ثم نشأ ما دعا سعيد بن حكم إلى التوجّه إلى ميورقة، للأخذ مع المتغلّب عليها، فربط الصلح معه ثانية .. »[2].

ويحدد ابن الأبّار شروط عقد المتاركة بقوله « بأن الرئيس سعيد بن حكم شارط الروم على متاركته، وبتّ مساكنته، بإتاوة لم يخلّ بحملها إليه كل سنة »[3].

وتزعم بعض المصادر القطلانية، بأن عقد المتاركة الثاني فرض بالقوة على أهل جزيرة منورقة في شعبان ٦٢٩ هـ = يوليو ١٢٣٢ م، أثناء قيام الملك خايمي الأول بحملته الثالثة على جزيرة ميورقة، ليشهد بنفسه « خضوع فلول المسلمين الهاربين إلى الجبال، والمناطق الحصينة في وسط الجزيرة »[4]. وتروى رواية أسطورية عن استسلام أهل جزيرة منورقة إلى ممثلي الملك خايمي وإعلانهم الخضوع لهم، « ولثقتهم في كرم الملك المسيحي وحسن نواياه، فقد قاموا بتسليم معاقلهم وحصونهم إلى سفراء الملك .. »[5]. وهو ما يتعارض كل التعارض، مع ما ذكرته مصادرنا الإسلامية الآنفة الذكر، ومع ما تؤكده الوثائق الرسمية المحفوظة في أرشيف مملكة أرغون[6].

ويقول الباروكمبانير المؤرخ الميورقي، معلقاً على التناقض بين الروايات الإسلامية وبعض الروايات القطلانية قائلاً بأنّه « يميل إلى ترجيح ما ذكره المؤرخون المسلمون، لأنّه منطقي ومعقول، ويتفق تمام الاتفاق مع ما ورد في الوثائق الرسمية المحفوظة في أرشيف مملكة أرغون، التي تؤكد بأنّ الملك خايمي الأول ترك حرية إدارة جزيرة منورقة تحت رئاسة مشرف Almojarife de Minorca، على أن يعتبر نائباً عن ملك قطلونية وأرغون في حكم جزيرة منورقة، متمتعاً بقدر من الاستقلال والسيادة .. »[7]. كما توجد وثيقة أخرى تنصّ بالحرف

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٩٤ - ١٩٥. و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 43-44.
(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص٣١.
(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢ ص٣١٨ - ٣١٩.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٩٤.
(٥) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 44.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص١٩٥ - ١٩٨.
(٧) المصدر السابق، ص١٩٤.

الواحد « على أن الملك خايمي الأول يقر بتعيين المشرف Almojarafe (أبي عثمان سعيد بن حكم) Abo Ezman Zayed Iben Haquim حاكماً على جزيرة منورقة ». كما أن هناك وثيقة ثالثة « يعلن فيها الملك خايمي الأول تسليمه بإعطاء مقاليد الحكم من بعد الرئيس « سعيد بن حكم » لابنه ولذريته من بعده ». ويوجد في جميع هذه الوثائق، بعض النصوص التفسيرية، ومن ضمنها الجزية السنوية، التي يدفعها مشرف جزيرة منورقة، لخزانة الملك سنوياً، والتي تتكون من مقدار متفق عليه من الدنانير الذهبية، وكميات محددة من الحبوب والغلال والماشية، بالاضافة إلى الهدايا والتحف والأقمشة الحريرية، وتجدّد الاتفاقية تلقائياً عاماً بعد آخر. ويعلق الباروكمبانير على النصوص الآنفة الذكر قائلاً، بأن هذه الوثائق تؤكد « بأن الملك المسيحي لم يجد داعياً أو مبرراً، للقيام بأي عمل تأديبي للمسلمين المنورقيين يمس استقلالهم، وحكمهم الذاتي الذي أقرّه بنفسه، ووقّع مع المشرف سعيد بن حكم اتفاقات بمقتضاه، واكتفى منهم بالجزية السنوية، ولم يفرض عليهم كما تزعم بعض المصادر القطلانية، تسليم أي حصن من الحصون، أو وضع أي حامية مسيحية في الجزيرة، وهو ما يتفق مع ما ذكرته المصادر الإسلامية[1]. وارتبط سعيد بن حكم بن عثمان بعلاقات وثيقة مع مملكة قطلونية وأرغون، وكان مسموع الكلمة عند الملك خايمي الأول[2]. وكان المشردون من أهل الأندلس، يلجأون إليه، ويستنجدون به، لإنقاذ أسراهم، فكان يلبي نداءهم، ويفتدي الأسرى، ويوفر لهم الأمن والاستقرار في منورقة، ومن أراد منهم التوجّه إلى أي بلد من دار الإسلام، أرسله في إحدى سفن أسطوله، وزوده بكل ما يحتاج إليه، فازدهرت منورقة في عهده، وأصبحت ملجأ العلماء والأدباء والفقهاء الذين وجدوا من سعيد بن حكم كل رعاية وتكريم[3].

ازدهار جزيرة منورقة تحت حكم سعيد بن حكم

اكتسب سعيد بن حكم ثقة ومحبة أهل حزيرة منورقة، وملك قلوب أهلها بسياسته الحكيمة[4]. وما وفّره لأهل الجزيرة من أمن وسلام، بعد توقيع عقدي المتاركة مع مملكة قطلونية وأرغون[5]. لهذا وقف أهل الجزيرة إلى جانبه، عندما ثار عليه القاضي أبو عبد الله

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٩٥.
(٢) محمد بن شريفة: أبو المطرف بن عميرة المخزومي، ص٥٥.
(٣) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص٤٩، والمغرب في حلى المغرب، ٢/٤٦٩. ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص٣٣. وابن الأبار: التكملة، ج١، ص١٢٣. وابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص٢٧٥ - ٢٧٦. والغبريني: عنوان الدراية، ص٢٤٠ و٢٥٤.
(٤) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص٢٨.
(٥) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣١٨ - ٣١٩. وابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص٢٨. =

محمد بن أحمد بن هشام ، وتمكن نتيجة لمؤازرتهم له ، من القضاء على هذه الفتنة في شهر شوال ٦٣١ هـ = يوليو ١٢٣٤ م[١] . واستقر حكم سعيد بن حاكم في جزيرة منورقة « فضبطها أحسن ضبط ، وسار فيها أعدل سيرة ، واستقام أمر الثغر في يده ، وهابه النصارى المصاقبون له من كل جهة ، فجرت أحوال المسلمين به على خير تام ، وصلاح عام ، بحسن سياسته ، وجميل نظره ، وصار مقصوراً في البلاد النائية ، مرغوباً في لقائه من أصناف الناس . . »[٢] . « وعلا قدره وأعظمته الملوك . . »[٣] . وازدهر العلم والأدب في جزيرة منورقة في عهده ، لتقديره للعلم والعلماء ، فقد كان هو نفسه عالماً ، نحوياً ، أديباً ، شاعراً ، محدثاً ، فقيهاً . وأصبحت منورقة في عهده مركزاً علمياً هاماً حفظ التراث الإسلامي من الضياع ، والملجأ الأمين لعلماء الأندلس الذين عصفت بهم الهزائم المروعة ، وشردتهم عن أوطانهم ، فوجدوا الحياة الكريمة في رحابه ، وأسهموا تحت رعايته بنصيب في التراث الإسلامي ، طيلة خمسين عاماً من حكمه في جزيرة منورقة[٤] . وكان يشجع العلماء في كافة بلاد المغرب والمشرق ، ويرسل لهم الهبات والعون مع مبعوثيه[٥] . ولم يكن الرئيس سعيد بن حكم عالماً جليلاً فحسب ، بل كان منظماً قديراً وإدارياً بارعاً ، واقتصادياً حصيفاً ، جعل من جزيرة منورقة جنة مزدهرة في عهده ، تكفي حاجات سكانها ، الذين تكاثر عددهم ، بسبب كثرة الوافدين إليها من بلاد الأندلس وإفريقية ، فانتشر فيها العمران ، وازدهرت التجارة ، وأصبحت جزيرة منورقة في عهده المعبر لنقل البضائع بين البلاد الإسلامية في الحوض الغربي للمتوسط والممالك المسيحية[٦] .

وكان يرتبط بعلاقات وثيقة بالحفصيين في إفريقية بصفة خاصة ، ومملكة بني الأحمر في غرناطة ، وكان يخطب على منابر جزيرة منورقة ، باسم الخليفة الحفصي المستنصر بالله ، بعد أن بايعه أميراً للمؤمنين ، مما دعم مركزه وقوّي مكانته[٧] .

= والمغرب في حلى المغرب ٢/٤٦٩ .

ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ص٣٠ .

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٣١٨ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ، ص٣١ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص١٩٦ وحاشية « ٢٤ » .

(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ص٣١ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٧٥ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ص٣١ - ٣٣ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ٢/٤٦٩ .

(٥) الغبريني : عنوان الدراية ، ص٢٥٤ .

(٦) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ، ص٣١ .

ونجاة باشا : التجارة في المغرب من القرن (؟) للقرن الثامن للهجرة ، ص١٠٨ .

(٧) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص٣٠ - ٣٥ .

ولقد استطاع سعيد بن حكم إبقاء جزيرة منورقة في مأمن من كل خطر ، بحسن سياسته ودهائه ، وانشغال مملكة قطلونية وأرغون عنه في اقتطاع أرجاء واسعة من البر الأندلسي . وما إن توفي سعيد بن حكم في ٢٧ رمضان ٦٨٠ هـ = يناير ١٢٨١ م[١] وتولى من بعده ابنه حكم بن سعيد ، الذي لم يكن سياسياً محنكاً كأبيه[٢] ، حتى تأزمت العلاقات بينه وبين مملكة قطلونية وأرغون ، واتضح بأن ذلك السلام لم يكن إلّا سراباً ، وأصبحت جزيرة منورقة على بركان ملتهب[٣] .

جزيرة منورقة في عهد الرئيس المشرف حكم بن سعيد

تولى حكم بن سعيد الحكم في جزيرة منورقة ، بعد وفاة أبيه في ٢٧ رمضان ٦٨٠ هـ = يناير ١٢٨١ م[٤] . وكان يتميز بالنبل وسمو النفس ، ورفعة الثقافة ، فقد اعتنى والده بتعليمه[٥] ، ولكنه لم يكن عصامياً كأبيه ، الذي تقاذفته الأحداث ، فأصبح ذروة في الدهاء والحنكة والبراعة في السياسة ، مما مكنه من ترسيخ دعائم حكمه[٦] . وكان حكم بن سعيد يفتقر إلى هذه المواهب ، وإن كان يفوق والده في القيم الخلقية والمثل العليا . ويقارن ابن الخطيب بين الابن وأبيه قائلاً ، « وكان أبو عمر حكم بن سعيد أفضل من أبيه في دماثة الخلق والعفة عن الدماء ، والاجتناب للعظائم ، مع حسن الخط ، ورواية الحديث ، وقرض الشعر ، إلا أنه لم يستقل استقلال أبيه ، ولا نهض نهضته »[٧] . والحقيقة أنه لم يعط الفرصة ، لإثبات جدارته ، لظروف خارجية وداخلية قاهرة ، لا لعجز فيه أو قصور لديه ، مما أدى إلى تأزم العلاقات بينه وبين مملكة قطلونية وأرغون . ويعود سبب ذلك إلى قيامه بإنذار الحفصيين في إفريقية[٨] من حملة

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ص٣٣ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٧٦ .

(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ص٣١ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٧٦ .

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ، مخطوطة باريس رقم ٤٢٢٧ ، ج١٣ ، ص٦٩ .

(٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٧٦ .

(٨) قام أبو بكر بن عيسى الكومي عامل قسنطينة ، ويكنى بابن وزير بالثورة على الحفصيين في إفريقية ، وأرسل إلى بيدرو الثالث ملك قطلونية وأرغون يستعين به « على أن يكون داعية له ، فأجابه ووعده ، بإرسال الأسطول إليه » في مرسي القل المجاور لقسنطينة . (ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٣٩ . وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٦٨٥ - ٦٨٧) . وأثناء رسو أسطول مملكة قطلونية وأرغون في ثغر ماهون في جزيرة منورقة ، علم حكم بن سعيد بوجهته ، فقام بإرسال « سفينة خفيفة تسابق الريح إلى مرسى القل لإنذار أهلها ، وأوصى رسله أن يصلوا إلى مرسى القل قبل وصول الأسطول المسيحي ، وأن يتحاشوا محاذاته والاتصال به . . » . (أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ، ص٣٥٤) . وتمكنت القوات الحفصية من القضاء على ابن وزير واستئصال أنصاره ، قبل وصول

مرتقبة يعدها ملك قطلونية وأرغون[١] ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م على ثغر القل[٢]. لهذا استعد السكان وجابهوا الغزاة، مما أدى إلى إخفاق الحملة وبالتالي تأزم العلاقات، بين حكم بن سعيد ومملكة قطلونية وأرغون، واتهام مشرف جزيرة منورقة بالخيانة، والتحلّل من دفع الجزية، والسعي إلى الاستقلال بالاستعانة بقوات من إفريقية[٣].

تأزم العلاقات بين مملكة قطلونية وأرغون وحكم بن سعيد ونتائجها

اتهمت المصادر القطلانية حكم بن سعيد مشرف منورقة بارتكاب خيانة كبرى، بسبب تحذيره لقوات إفريقية، من الحملة البحرية التي كان يعدها بيدرو الثالث ملك قطلونية وأرغون، أثناء مروره بثغر ماهون في منورقة ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م[٤]. وصمم بيدرو الثالث على الاستيلاء على جزيرة منورقة، ولكن انشغاله في حرب ضد الفرنجة، حال دون تحقيق ذلك، حتى وفاته ٦٨٣ هـ = ١٢٨٥ م[٥]. وخلفه ابنه ألفونسو الثالث ١٢٨٥ - ١٢٩١ م على عرش مملكة قطلونية وأرغون، وكان والده قد ولّاه على جزيرة ميورقة أثناء غياب عمّه خايمي الثاني في جنوب فرنسا، فاغتصب السلطة من عمّه في تلك الجزيرة[٦]. وحانت ساعة الانتقام من الأمير الباسل «حكم بن سعيد» الذي تمرد على تبعيته لمملكة قطلونية وأرغون وتحلّل من تعهدات والده، بإعلان الخضوع والتبعية لملكها، وأخذ يعدّ العدّة لمواجهة العدوان المرتقب بقوات من إفريقية[٧]. وكان ألفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون في الثانية والعشرين من عمره، اشتهر برعونته واستهتاره بكل القيم، ووجد في الاستيلاء على جزيرة منورقة، ما يشغل

الأسطول المسيحي، الذي لم يجد في انتظاره سوى قوات معادية، لهذا أخفقت حملة بيدرو الثالث واتهم حكم ابن سعيد بنقض الاتفاق ومناصرة أعداء مملكة قطلونية وأرغون (ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٦٨٧.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، حاشية ٣٢، ص٢٠٣).

(١) تولى حكم مملكة قطلونية وأرغون بعد وفاة الملك خايمي الأول ابنه بيدرو الثالث ١٢٧٦ - ١٢٨٥. (د. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى ج١ ص٦٦٩).

(٢) مرسى القل: ميناء حصين في ساحل المغرب الأوسط على مقربة من قسنطينة، (الحميري: الروض المعطار ص٤٦٦).

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠٣ - ٢٠٤ وحاشية «٣٢» ص٢٠٣.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 55.
ود. سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٦٦٩.

(٦) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 230-231.

(٧) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص٢٧٦.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠٥.

شعبه عن سوء تصرفاته، وقسوته، ويضفي على اسمه هالة من المجد تكسبه مكانة يفتقر إليها، في مجابهة عمّه خايمي الثاني، الذي اعتبره مغتصباً لعرش ميورقة[١]. وهذا ممّا حفزه على الإسراع في إعداد حملة إلى جزيرة منورقة في ذي الحجة ٦٨٥ هـ = يناير ١٢٨٧ م، والبحر في أشدّ حالات اضطرابه، وفصل الشتاء في ذروة قسوته. وكانت الأنباء قد بلغته، بأن فيليب الثالث ملك فرنسا، يعدُّ حملة للاستيلاء على جزيرة منورقة، انتقاماً للهزائم التي أوقعتها مملكة قطلونية وأرغون بالقوات الفرنسية! وربما تكون هذه الرواية مجرد ذريعة استغلها ألفونسو الثالث، لتبرير حملته على جزيرة منورقة بشكل مرتجل، في فترة غير ملائمة لإبحار الأساطيل[٢].

الاستعدادات التمهيدية لغزو منورقة

عقد ألفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون وملحقاتها مجلس حرب في طرخونة، دعا إليه كبار نبلاء المملكة وفرسانها وأحبارها وتجارها، لإقرار حملة للاستيلاء على جزيرة منورقة، بسبب خيانة مشرفها، حكم بن سعيد، ونقضه للاتفاقات المعقودة. وقد أقر المجتمعون بحماسة هذا المشروع، واحتشدت قوات ضخمة من المغاورين Almogaveres[٣] للإسهام في الحملة، مع خمسمائة من الفرسان في ثغر سالو بساحل قطلونية، استعداداً للإبحار إلى جزيرة منورقة، مروراً بميورقة. وأرسل ألفونسو الثالث رسالة عاجلة إلى أخيه فدريك Fedrique أمير صقلية يطلب منه إعداد أربعين سفينة مجهزة تجهيزاً جيداً، وأن يرسلها إلى ثغر سالو. وبعد وصول هذه السفن انضمت إلى بقية سفن الأسطول التي وصل مجموعها مائة وعشرين سفينة[٤].

وعندما بلغت أنباء الاستعدادات إلى سمع المشرف حكم بن سعيد، شعر بخطورة الموقف، وقام بإجراء الاتصالات مع الملك ألفونسو الثالث، واحتجّ بالاتفاقات الموقعة بين والده والملك خايمي الأول التي أقرّها من بعده ابنه بيدرو الثالث. ولم يكن ألفونسو الثالث يهتم بمثل هذه الأمور، ولم يلق بالاً إلى تلك العهود والاتفاقات التي وقعها جدّه وأقرها والده، ولكنه أخفى نواياه، واستخدم الحيلة والخداع والمماطلة والتسويف، لإضفاء عنصر المفاجأة على حملته، وقرّر أن تبحر سفن الحملة في عزّ الشتاء لتكون المفاجأة كاملة بالنسبة لقوات جزيرة منورقة، في وقت تنقطع فيه الاتصالات بين الجزيرة وثغور إفريقية مما يربك صفوفها ويحول دون وصول

---

(١) Clememts Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 96-97 & p. 230-235.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص٢٠٥.

(٣) استخدم الإسبان كلمة المغاورين العربية Almogaveres وأطلقوها على فرق المشاة الخفيفة التي تتخذ من الحدود مع العدو قواعد لها. وقد اشتهرت هذه الفرق بشجاعتها الفائقة في القتال.

(٤) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 231.

المدد لها[١] . ولم يكن حكم بن سعيد غافلاً عن الخطر المحدق بجزيرة منورقة ، ولم تخدعه كلمات ألفونسو الثالث ، ومماطلته وتسويفه ، وقام على الفور ، بإرسال رسالة عاجلة إلى أمير إفريقية الحفصي ، يستنجد به ، وناشدة إرسال العون العاجل[٢] .

وكان أمير إفريقية آنذاك هو « أبو حفص عمر بن الأمير أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص ٦٨٣ - ٦٩٤ هـ »[٣] ، فتوافدت حشود المتطوعين من تونس وبجاية وبونة وقسنطينة ، وبلغ عدد من وصل منهم بحراً إلى جزيرة منورقة تسعمائة فارس ، وألفين وخمسمائة من الجنود المشاة[٤] . ولا نجد تفاصيل وافية عن هذه الحملة في مصادرنا الإسلامية ، باستثناء رواية ابن خلدون[٥] . بينما يذكر ابن أبي زرع رواية مقتضبة يقول فيها ، بأن العدو استولى على جزيرة منورقة في ذي الحجة ٦٨٦ هـ = يناير ١٢٨٨ م[٦] . وقد اكتفى ابن الخطيب بقول ما يلي في ترجمته لأبي عمر حكم بن سعيد ، « فانصرفت أطماع البرجلوني (ألفونسو الثالث) المجاور لثغره إلى تملكه ، فتم له ذلك ، ونفذ قدر الله في سنة ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م ، واستولى على الجزيرة وأجلى عنها المسلمين »[٧] . بينما يقول الصفدي بشكل أكثر إيجازاً ما يلي في ترجمته لأبي عثمان سعيد بن حكم . . « وولّي بعده الحكم ولده ، ثم قصده الفرنج ، ودام الحصار مدة ، ثم أخذوا البلد . . »[٨] . ويتّبع نفس الأسلوب الموجز عن هذه الحملة الحميري ، حيث يقول ، « وما زالت منورقة في يد المسلمين تحت هدنة الطاغية البرشلوني ومصالحته ، وقد ضبطها سعيد بن حكم ، وأقام عليها أحسن قيام ، وهادن الأعداء وطالت مدته ، وحسنت سيرته ، إلى أن مات فقصدها العدو واغتنم فرصتها ، واستولى عليها »[٩] . أما بالنسبة للمصادر القطلانية المعاصرة فقد ذكرت

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ٢/٣١٨ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٢ - ٢٠٥ .

(٢) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 231-232.

(٣) ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص١٤٨ - ١٥٢ .

(٤) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 232.

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٦٩٨ (ورد في رواية ابن خلدون ميورقة بدلاً من منورقة وهو خطأ واضح) .

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص٤٠٧ ، طبعة دار المنصور - الرباط ١٩٧٣ م (ذكر متحقق روض القرطاس ميورقة بدلاً من منورقة ، كما أغفل التعليق على التاريخ الذي ذكره ابن أبي زرع ، وحدّد فيه استيلاء العدو على جزيرة منورقة في ذي الحجة ٦٨٦ هـ = يناير ١٢٨٨ م . والأرجح هو أن بداية العدوان كانت في ذي القعدة ٦٨٥ هـ = ديسمبر ١٢٨٦ م ، وكان تاريخ استسلام منورقة للعدو في ٣ ذي الحجة ٦٨٥ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧ م . (ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٦٩٨ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخ لجزر البليار ، ص٢٠٥) .

(٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ، مج ١٣ ، ص٦٩ مخطوطة باريس رقم ٤٢٢٧ .

(٩) الحميري : الروض المعطار ، ص٥٤٩ .

تفاصيل وافية عن هذه الحملة ، وأفاضت في بعضها ، وأغفلت البعض الآخر بأسلوب غير موضوعي[١] مما يقتضي التعامل معها بحذر ومناقشتها وتحليلها بأسلوب علمي موضوعي .

الأسطول الصليبي في طريقه إلى جزيرة منورقة

أبحر الأسطول الصليبي من ميناء سالو بساحل قطلونية تحت قيادة الملك ألفونسو الثالث في شوال ٦٨٥ هـ = نوفمبر ١٢٨٦ م ، في طريقه إلى جزيرة منورقة ، ومرّ في طريقه بجزيرة ميورقة ، وأرسى مراسيه في ثغر بالمادي ميورقة في الثاني من ديسمبر ١٢٨٦ (الموافق ١٢ شوال ٦٨٥ هـ) ، وبقي هناك إلى أن انتهت أعياد الميلاد ، وأبحر من بالمادي ميورقة (مدينة ميورقة) في ذي القعدة ٦٨٥ هـ = يناير ١٢٨٧ م في جوّ عاصف شديد البرودة ، مما أدى إلى تشتيت قطع الأسطول ، وتحطيم عدد منها وغرقها بحمولتها في البحر المضطرب[٢] . وكان ألفونسو الثالث في سفينة القيادة يرتدي زي الفارس الصليبي[٣] . وكان قائد قوات الحملة بدرو كورنل Pedro Cornel وقائد فرقة المشاة جارسياً جو جارس دو أراكوري Garcia Jo Cars de Aracuri . أما قائد الفرسان ، فكان أكارت دومور القطلاني Acart de Mur de Catalonia وبصحبته من كبار فرسان الحملة جماعة من كبار النبلاء في المملكة ، ومن أعرق عائلاتها أمثال لونا Luna وأنتنزا Entenza وانجليسولا Anglesola[٤] .

ويذكر المؤرخ المعاصر مونتانير Muntaner بأن برودة ذلك الشتاء كانت قاسية جداً ، وقد تجمدت أطراف البحارة ، وقاسى الجنود والفرسان من البرد القارس والعواصف العنيفة ، وزاد من مصاعب قادة الحملة تشتت السفن في عرض البحر ، مما قطع الاتصالات فيما بينها ، ولم يصل

---

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 231-237.

(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٥ . و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 232.

(٣) تظاهر الفونسو الثالث بمظهر الفارس الصليبي ، بعد أن حصل على بركات الكنيسة ، كجده لأبيه خايمي الأول « فاتح ميورقة الذي قام بحملة صليبية فاشلة ١٢٦٩ م » . (ميجيل الكوفير : الإسلام في ميورقة ، ص١٢٦) . وكجد والده لأمه أندرياس الثاني ملك المجر الذي قام بحملة صليبية فاشلة ٦١٥ هـ = ١٢١٧ م إلى بلاد الشام (دائرة المعارف البريطانية ج١١ ص٨٦١ وج١ ، ص٩٠٨ لسنة ١٩٦٩) . وكان يحلم أن يكون بشجاعة جده لأمه « كونستنترا » ابنة الامبراطور منفرد بن فردريك الثاني امبراطور ألمانيا والصقليتين ، الذي كان أشجع الملوك في عصره كما يصفه المؤرخ المعاصر مونتانير The Story of Majorca & Minorca. p. 58. وكان حماه أدوارد الأول ملك انجلترا فارساً صليبياً ، قاد إحدى آخر الحملات الصليبية الفاشلة إلى بلاد الشام سنة ١٢٧٠ م! وبالرغم من تقدير أدوارد الأول لحماسة الفونسو الثالث الصليبي زوج ابنته الينور ، إلا أنه حاول جاهداً أن ينصح صهره بأن يكون أكثر تعقلاً ، ولكن دون جدوى!! (دائرة المعارف البريطانية ٨/٣٢ لسنة ١٩٦٩ و The Story of Majorca and Minorca, p. 97 .

(٤) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 231 .

مع ألفونسو الثالث إلى خليج ماهون في جزيرة منورقة سوى عشرين سفينة ، وتشتّتت المائة الباقية ، وانقطع الاتصال بها ، ويضيف إلى ذلك بأن الملك المسيحي استولى على إحدى الجزر الصخرية في خليج ماهون الواسع ، المحميّ من الرياح ، واعتصم بها ، في انتظار وصول بقية السفن المشتتة[١] . وقد تظاهر ألفونسو الثالث لدى نزوله في خليج ماهون في منورقة ، بأنه يرغب في النزول إلى البر للاستسقاء!! كما يذكر ابن خلدون في روايته الفريدة التالية التي يقول فيها : في أواخر سنة ٦٨٥ هـ = أوائل ١٢٨٧ م ، « . . ركب طاغية برشلونة (ألفونسو الثالث) في أساطيله في عشرين ألفاً من الرجالة المقاتلة ومروا بمنورقة كأنهم سفر من التجار ، وطلبوا من أبي عمر حكم بن سعيد رئيسها النزول للاستسقاء ، فأذن لهم ، فلما تساحلوا آذنوا أهلها بالحرب . . »[٢]!!

الاشتباكات المسلحة
بين القوات الصليبية وحامية منورقة الإسلامية

انطلت الحيلة على القوات الإسلامية في جزيرة منورقة ، وأذنت للقوات الصليبية بالنزول إلى البر للاستسقاء حسب ادعائها[٣] . وتتجاهل المصادر المسيحية هذه الخدعة ، وتضفي هالات من البطولة على الملك الفونسو الثالث ، وتدعي بأنه ما إن شاهد الملك المسيحي طليعة القوات المنورقية المرابطة على ساحل خليج ماهون ، حتى أمر قواته بالاستعداد للقتال ، وكانت تتكون من أربعمائة من الفرسان ، وعدة آلاف من المشاة « المغاورين » Almogavererese ، وسرعان ما نشب القتال في السهل المواجه للجزيرة الصخرية التي رست فيها القوات الصليبية في خليج ماهون ، على مقربة من قلعة سان فيلي الحالية «San Felipe» . ودارت معركة ضارية استبسل فيها الطرفان ، وتضيف المصادر المسيحية المعاصرة ، بأن الملك ألفونسو الثالث دخل إلى حومة القتال وأظهر بسالة منقطعة النظير . وبعد وقوع خسائر فادحة في الجانبين أحرزت القوات الصليبية النصر ، وتراجعت القوات الإسلامية المنورقية وحلفاؤها من الإفريقيين ، واعتصمت في التلال المجاورة ، وواصلت هناك القتال بضراوة ، ولكنها اضطرت في نهاية المطاف إلى التقهقر ، بعد أن أوقعت فيها القوات الصليبية ، مذبحة مروعة ، دعيت على أثرها تلك التلال باسم « تلال المذبحة » Eldegellador[٤]!.

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٥ و Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 232.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٦٩٨ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٨ – ٢٠٩ و Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 232-233.

وتضيف إلى ما سبق ذكره بأن قتالاً نشب بعد يومين ، كاد أن يؤدي إلى نتائج خطيرة تهدد مصير الحملة بأسرها نتيجة لتسرع أحد الفرسان ويدعى برنجار دي تورناميرا Berenguer de Toranmira الذي هاجم على رأس كوكبة من الفرسان القوات الإسلامية دون إذن من القيادة ودون علم مسبق منها ، وكادت القوات الإسلامية أن تجهز عليه وعلى من معه من الفرسان ، لولا بلوغ خبر هذا الاشتباك إلى الملك ألفونسو الثالث في آخر لحظة ، فأسرع على رأس قواته واشتبك في قتال شديد الضراوة مع القوات الإسلامية التي كادت أن تطبق على المعسكر الصليبي . وبينما كانت المعركة على أشدها وصلت بقية سفن الأسطول ونزلت إلى البر وأسهمت في القتال في وقت كانت فيه قوات الملك ألفونسو الثالث مهددة بخطر التطويق والإبادة ، مما رجح كفة القوات الصليبية ، التي تمكنت بعد قتال عنيف من إحراز النصر والتقدم نحو قلعة منورقة الكبرى على جبل « سانتا أجويدا » ، التي اعتصمت فيها فلول القوات الإسلامية ، وفرضت الحصار عليها[١] .

ولكن ابن خلدون يذكر رواية أخرى عن القتال الذي دار بين القوات الإسلامية والصليبية في منورقة يقول فيها ، بأنه بعدما انطلت الخدعة على المسلمين ونزل النصارى إلى ساحل الجزيرة « آذنوا أهلها بالحرب فتزاحفوا ثلاثاً يثخن فيهم المسلمون فيها قتلاً وجراحة بما يناهز الآلاف والطاغية (ألفونسو الثالث) وبطارقته (كبار قادة جيشه وحاشيته) ، قاعدون عن الزحف ، فلما كان في اليوم الثالث ، وبعد أن استولت الهزيمة على قومه زحف الطاغية في العسكر فانهزم المسلمون ، ولحقوا إلى قلعتهم التي انحصروا بها . . »[٢] .

استسلام المشرف حكم بن سعيد

تذكر المصادر المسيحية المعاصرة ، بأن المشرف حكم بن سعيد ، قاوم الحصار الذي فرضته القوات الصليبية على قلعة منورقة الكبرى ، في جبل سانت اجويدا ، بضراوة وعنف لمدة أسبوعين ، دون أن تتمكن القوات الصليبية من تحقيق أي نصر ، بالرغم من الهجمات المتلاحقة على أسوار القلعة وأبراجها . وبالرغم من عنف المقاومة ، فقد كان حكم ابن سعيد يقدّر صعوبة المقاومة طويلاً ، في مواجهة حشود القوات الصليبية المتفوقة ، والمصير المفجع الذي سيئول إليه مصير السكان إذا ما تمكن الغزاة من اقتحام أسوار القلعة! لهذا أرسل أربعة من كبار وزرائه ، لعرض شروط استسلام مشرّف لقلعة سانت أجويدا المنيعة وبقية حصون الجزيرة ومعاقلها ، تعهد بمقتضاها بتسليم القلعة وجميع جزيرة منورقة للملك المسيحي إذا تعهد بتأمين سلامة جميع السكان ، ونقل من يرغب منهم في مغادرة الجزيرة إلى إفريقية مقابل $7\frac{1}{2}$ دوبلاس

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 233-234.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٦٩٨ .

Doblas عن كل رجل وامرأة من مسلمي الجزيرة ، وأن يتعهد الملك المسيحي بتأمين السفن اللازمة لهم لنقلهم ، وأن يزوده بسفن ينتقل فيها مع أهله وحاشيته إلى ثغر سبتة مع كتبه والمؤن اللازمة ، بالاضافة إلى خمسين سيفاً لمرافقيه . ووافق الملك ألفونسو الثالث على جميع الشروط التي عرضها وزراء المشرف ووقع الاتفاق بين الطرفين . وكان تاريخ التوقيع في « ١٢ فبراير من عام التجسيد ١٢٨٦ م » الموافق ليوم ٣ ذي الحجة ٦٨٦ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧ م[1] . ويشير ابن خلدون إلى اتفاق المشرف حكم بن سعيد مع ألفونسو الثالث بقوله : « .. وعقدوا لابن حكم ذمة في أهله وحاشيته فخرجوا إلى سبتة ، ونزل الباقون على حكم العدو وأجازهم إلى جارتهم ميورقة ، واستولى على ما في جزيرة منورقة من الذخيرة والعدد والأمر بيد الله .. »[2] !

وتؤكد الوثائق الرسمية لمملكة قطلونية وأرغون ، بأن الاتفاق تضمن تأمين سلامة أهل جزيرة منورقة ، وأن الملك ألفونسو الثالث تعهد بتأمين السفن لنقلهم إلى إفريقية ، كما تعترف المصادر التاريخية المسيحية المعاصرة بأن الملك ألفونسو الثالث المخادع لم يتقيد بالاتفاقات ، إلا بالنسبة لترحيل المشرف حكم بن سعيد وحاشيته عن جزيرة منورقة[3] . وانه عهد إلى مرافقه الوفي بلاسكو خمنيث دي ايربا Blasco Jimenese de Ayerba باتخاذ الترتيبات اللازمة لترحيل المشرف وأهله وحاشيته ، فاستأجر لهذا الغرض إحدى السفن الجنوية ، التي كانت راسية آنذاك في ميناء ماهون ، وزودها بالمؤن الكافية ، وسمح للمشرف بنقل كتبه ، ورافقه أهله ومائة من كبار حاشيته!!

أما بقية سكان الجزيرة فقد تعرضوا إلى مصير مفجع ، فأما الذين حاولوا منهم الهجرة وفقاً للاتفاق المعقود مع ألفونسو الثالث ، وكان عددهم عشرة آلاف فكان مصيرهم الغرق لأن الذين نقلوهم في المراكب تعمدوا إغراقهم من أجل نهب أموالهم[4] ! ويذكر المؤرخ الإسباني كاربونيل « بأن إغراق أولئك التعساء كان بناء على أمر الملك المخادع ألفونسو الثالث .. » ! أما الذين فضلوا البقاء في جزيرة منورقة من المسلمين وكان عددهم يقارب العشرين ألف فقد استعبدهم الغزاة واستخدموا قسماً منهم في زراعة أراضي الجزيرة التي اقتسموها اقطاعيات فيما بينهم ، وفي بناء الحصون والكاتدرئيات والقصور وشق الطرق في منورقة وميورقة وأرسلوا القسم الباقي إلى جزيرة صقلية وبرشلونة لتصديرهم إلى أسواق الرقيق[5] !!

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٩ وحاشية « ١ ».
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٦٩٨ .
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٩ .
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 234.
(٥) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 235.

مصير حكم بن سعيد وأهله وحاشيته

يذكر المؤرخ الميورقي الباروكمبانير ما يلي عن مصير حكم بن سعيد آخر حكام جزيرة منورقة في عهدها الإسلامي ما يلي : « .. تذكر المدونات الرسمية لمملكة قطلونية وأرغون ، بأن المشرف « حكم بن سعيد » ركب سفينة من سفن الجنويين ومعه نحو مائة من أهله وحاشيته وقدر كبير من المؤن ، وبعد إبحار السفينة تعرضت لعاصفة هائلة أدت إلى مصرعه وغرق من كان معه .. »[1] . وتتفق المصادر الإسلامية مع ما ذكره كمبانير عن غرق المشرف وأهله وحاشيته ، ولكنها تختلف في نقطة هامة ، وهي أن هذا المصير المفجع ، لم يحصل بعد إبحار السفينة الجنوية من جزيرة منورقة ، ولكنه كان في وقت لاحق ، ويوضح ذلك ابن الخطيب بقوله : « ولحق أبو عمر حكم بن سعيد بسبتة وقد دفع إليها رمّة أبيه ، بعد أن كان قد نزل بالمرية ، ووصل إلى غرناطة وأقام أياماً تحت جراية أميرها .. »[2] . يتضح من نص ابن الخطيب بأن المشرف وحاشيته لم يغرقوا بعد إبحارهم من منورقة ، وانهم مروا قبل ذلك بثغر المرية في مملكة غرناطة وبعاصمتها غرناطة ، ومن المرية أبحروا إلى سبتة ، حيث دفن أبو عمر حكم بن سعيد جثة والده التي حملها معه من جزيرة منورقة ، ويتابع ابن الخطيب نصه الآنف الذكر ، ويصف زيارة حكم بن سعيد مع أهله وحاشيته لغرناطة قائلًا : « حدثني من رآه وروى عنه من شيوخنا أنه كان رجلًا قويم السمت والهدى ، جميل الرواء عظيم الوقار والتودّد ، وله أولاد كالنجوم جمالًا ووسامة ، وكان نسأوه وخدمه يلبسن غفائر حمراء مسدولة عليهن في زي غريب ! وركب البحر هو وبنوه ذكورهم وإناثهم وحاشيتهم قاصدين تونس ، وقد بذر بها والده ذماماً ، وأثّل حظوة ، فعدا عليهم البحر بأحواز الجزائر ، جزائر بني مزغنا ، وزعموا أن صاحب المركب ، عزم عليه في ركوب الثاني ، الذي يتبع المركب وقد انتقى فيه الأعزة عليه ، فقال له أبو عمر : ومن معي؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك!! فلتعن بنفسك ، فهو الذي نقدر عليه لك ، فرجع إلى الصارمة ، حيث بناته وكرائمه وسد غلقها وعلى نفسه فلم ينج منهم أحد .. »[3] !!

مصير المدجنين من مسلمي جزر البليار

وهكذا انتهت تلك الحقبة الزاهرة من تاريخ المسلمين في جزر البليار هذه النهاية المفجعة ، وبذل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها المساعي الحثيثة من أجل إنقاذ البقية الباقية ، من

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص٢٠٩ وحاشية « ٤١ ».
(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٧٧ . كان أمير غرناطة (سلطانها) الذي نزل المشرف حكم بن سعيد في ضيافته هو « محمد الثاني » ثاني سلاطين بني الأحمر (ابن الخطيب : الإحاطة ، ج١ ، ص٥٥٦ – ٥٥٧).
(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص٢٧٧ .

مسلمي هذه الجزر من الأسر والعبودية ، وقد أسهمت مصر في عهد المماليك البحرية بدور مشرّف في هذا المجال ، منذ أول معاهدة وقعت مع ألفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون ٦٨٩ هـ = ١٢٩٠ م التي تمّ بموجبها إطلاق سراح « سبعين نفراً من الأسارى المسلمين . . »[١] . وكان سلاطين المماليك يضمّنون معاهداتهم مع ملوك قطلونية وأرغون نصاً بضمان حرية المسلمين في القيام بشعائرهم الدينية وعدم المساس بهم باعتبارهم حماة المسلمين « حيث كانوا وأين كانوا »[٢]! وأسهم بنفس المساعي ملوك إفريقية من الأسرة الحفصية[٣] . كما سعى سلاطين بني الأحمر من أجل إنقاذ المسلمين من « المدجنين » في مملكة قطلونية وأرغون ووصولهم إلى مملكة غرناطة « آمنين مرفوعاً عنهم الاعتراض سوى المغرم المعتاد . . »[٤] .

وذابت البقية الباقية التي لم يكن في الإمكان إنقاذها ، في المجتمع المسيحي في جزر البليار . . وتوارث الأفارقة والمغاربة الحقد على إسبانيا المسيحية جيلاً بعد جيل ، إلى أن قدمت طلائع الأساطيل العثمانية في مطلع القرن السادس عشر إلى إفريقية والمغرب وأنقذتها من عدوان أساطيل اسبانيا المسيحية! وانطلقت الأساطيل الإسلامية ثانية إلى جزر البليار من ثغور إفريقية والمغرب . وظل سيف الانتقام مسلطاً على رقاب الغاصبين ثلاثمائة عام ، خلت جزر البليار على أثرها من معظم سكانها ، الذين أسروا وأعيدوا إلى حظيرة الإسلام! ولم يبق من أهل جزر البليار إلّا من اعتصم في القلاع والحصون ، وأصبحت في القرن التاسع عشر « الجزر المجهولة » ، بينما كانت في عهدها الإسلامي جسراً شامخاً للحضارة بين الشرق والغرب ، وأسهمت بدور فريد في الحضارة الإسلامية[٥] .

---

(١) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والدهور في سيرة الملك المنصور ، ص١٥٦ – ١٦٤ .
(٢) وثائق تاج أرغون ، نص (١٥٠) ، ص٣٦٦ .
(٣) المصدر السابق ، نص (١٢٠) ، ص٢٦٦ .
(٤) نفس المصدر السابق ، نص رقم (١٥) ، ص٣٣ .
(٥) توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص٢٤١ – ٢٤٢ .

القسم الثاني

لمحات من الحضارة الاسلاميّة الزّاهرة في جزر البليار

عوامل الازدهار الحضاري في جزر البليار

ارتبطت هذه الجزر بتاريخ الإسلام برباط وثيق منذ أن استولت عليها الأساطيل الإسلامية للمرة الأولى ٨٩ هـ = ٧٠٨ م ، بقيادة عبدالله بن موسى بن نصير[١] . واستمرت العلاقات الإسلامية مع أهل هذه الجزر طيلة قرنين من الزمان ، قبل أن يستقر الحكم الإسلامي فيها ، وبذرت فيها خلال هذه الفترة أولى بذور الحضارة الإسلامية على يد المجاهدين والمتطوعة من غزاة البحر ، الذين استقروا فيها بالتدريج ، واتخذوا من ثغورها قواعد للجهاد البحري . وكانت هذه الجماعات التي استقرت في هذه الجزر هي النواة الأولى للتجمع الإسلامي فيها[٢] .

وفي سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م ، فتحت هذه الجزر فتحاً مستقرًّا على يد القائد البحري عصام الخولاني الذي قام بالتعاون مع الجاليات الإسلامية فيها ، وغزاة البحر الذين أسهموا في فتحها ، والوافدين إليها من البر الأندلسي ، بتعمير هذه الجزر ونشر الإسلام فيها ، وبناء الجوامع والفنادق والحمامات ، وبنى مدينة اسلامية على ساحل جزيرة ميورقة ، اتخذها عاصمة لجزر البليار . وأصبحت « مدينة ميورقة » التي أنشأها عصام الخولاني قاعدة للحكم في هذه الجزر ، وكبرى مراكزها العلمية . وقد سار على خطاه في تعمير هذه الجزر ونشر الإسلام فيها ، ودعم قوتها البحرية ، وإرسال الحملات إلى كافة الثغور المسيحية المعادية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، جميع ولاة هذه الجزر الذين تعاقبوا على حكمها في عهد الخلافة الأموية في الأندلس[٣] . وكانت المؤثرات الحضارية تنتقل طيلة هذا العهد من بلاد الأندلس والمغرب والمشرق إلى هذه الجزر على يد العلماء والأدباء الذين كانوا يفدون إليها باعتبارها معبراً بين الشرق والغرب[٤] .

وكان هؤلاء العلماء يفدون إلى جزر البليار رغبة في الاستقرار فيها ، خاصة من العاصمة قرطبة العريقة في حضارتها ، التي تعتبر الموطن الأصلي لمعظم الذين وفدوا إلى هذه الجزر في عهد

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٢ .
(٢) د . حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٦ .
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .
ودومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٨٨ - ٩٠ .
(٤) المصدر السابق : ص ٩٠ - ٩٣ .

الخلافة الأموية ، وبنسبة أقل من ثغور شرق الأندلس حتى بداية القرن الخامس للهجرة = الحادي عشر للميلاد ، ونشوب الفتنة الكبرى التي مزّقت بلاد الأندلس إلى ممالك الطوائف . وبعد هذه الفتنة وسقوط الخلافة الأموية ، قدم إلى جزر البليار من قرطبة « ذوو الحرية من الطبقة الأدبية القرطبية » ، ثم توقف الدور الحضاري الرفيع الذي كانت تقوم به قرطبة عاصمة الخلافة الأموية وعلماؤها الذين ظلّوا يفدون إلى هذه الجزر طيلة مائة عام ، وحلّت مكانها مدن شرق الأندلس ، وخاصة مدينة دانية وما حولها من ثغور[1] ، بعد استيلاء مجاهد العامري على جزر البليار في شوال ٤٠٥ هـ = مايو ١٠١٥ م ، وضمّها إلى قاعدة ملكه في دانية[2] ، مما ربط بين هذه الجزر ، ودانية عاصمة المملكة المجاهدية العامرية وملحقاتها في شرق الأندلس برباط وثيق ، ليس في النواحي السياسية فحسب ، بل الأهم من ذلك هو الارتباط الحضاري وانتقال الأدباء والعلماء بين جناحي المملكة المجاهدية العامرية ، البرّي في شرق الأندلس ، والبحري في جزر البليار ، مما ساعد على ظهور نهضة علمية وأدبية وعمرانية واقتصادية وفنية رفيعة في هذه الجزر في عهد مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة ، واستمرت في زيادة مضطردة[3] في جزر البليار المستقلة في عهد كل من عبدالله المرابطي ، ومبشر ابن سليمان ناصر الدولة نصير العلماء والأدباء[4] ، حتى سقوط هذه الجزر في يد القوات الصليبية للمرة الأولى ٥٠٨ هـ = ١١١٦ م . وعادت إلى مسيرتها ثانية ٥٠٩ هـ = ١١١٧ م على يد المرابطين من لمتونة الذين عمروها من جديد ، وأسكنوا فيها جاليات جديدة أعادت للمد الإسلامي مسيرته الأولى في هذه الجزر ، وللحضارة الإسلامية استمراريتها وازدهارها[5] .

وظهر عدد كبير من علماء جزر البليار ، من أصلاء أهلها ، في عهودها الإسلامية المتعاقبة ،

---

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الثالث / المجلد الأول ، ص ٢٢ – ٢٣ .
وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .
ودومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٤ – ٩٥ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١٦ .
(٣) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٥ – ٩٦ .
(٤) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان . ص ٦٧ – ٧٦ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .
(٥) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٢ – ١٢٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

كما وفد إليها العلماء من بلاد الأندلس والمغرب ، أسهموا بنصيب وافر في نشر المعرفة بين أهلها ، ويتضح ذلك من التراجم اللاحقة لهؤلاء العلماء .

ولم تكن النهضة العلمية في جزر البليار ، خاصة في العلوم النقلية ، وعلى رأسها العلوم الدينية ، وليدة الصدفة ، ولكنها كانت نتيجة لتفاعل بطيء طيلة قرن كامل أسهم فيها بالإضافة إلى ولاتها من المجاهدين منذ عهدها الإسلامي الأول[1] ، قضاتها وقادتها ، وعلى رأسهم العالم الأديب جعفر بن عثمان المصحفي ، الذي ارتبط اسمه بتاريخ هذه الجزر طيلة ثلاثين عاماً ، عاملاً وقائداً[2] .

وبالإضافة إلى الدور الكبير الذي قام به جعفر بن عثمان المصحفي في تاريخ جزر البليار سياسياً وحضارياً ، فقد أسهم قضاة هذه الجزر في شتى عهودها الإسلامية المتعاقبة في نشر المعرفة بين أهلها ، كما يتضح من التراجم اللاحقة لعلماء جزر البليار والوافدين إليها من العلماء ، وكان هؤلاء القضاة من ضمنهم . وكان من الرعيل الأول من هؤلاء القضاة نافع بن رحيق ٣٢٥ – ٣٣٣ هـ = ٩٣٦ – ٩٤٤ م ، وأحمد بن رحيق ٣٣٣ – ٣٤٣ هـ = ٩٣٦ – ٩٥٥ م ، وقد أشرنا للبقية الباقية منهم في التراجم اللاحقة[3] .

وبالإضافة إلى ولاة جزر البليار ، وقادتها وقضاتها وأمرائها في شتى عهودها الإسلامية ، الذين كانوا على جانب كبير من المعرفة ، وأسهموا بدور هام في وضع الأسس الرئيسية للحضارة الإسلامية في جزر البليار ، فقد أسهم الرعيل الأول من العلماء الذين وفدوا إلى هذه الجزر في وضع الأسس الأولى لهذه الحضارة الزاهرة ، وقاموا بدور بارز في نشر المعرفة بين أهلها . ومن الرعيل الأول من هؤلاء العلماء عريف مولى ليث ابن فضل من أهل لورقة في شرق الأندلس ، وكبار فقهائها ، توفي في ميورقة سنة ٣٢٨ هـ = ٩٣٧ م[4] .

وعبدالله العطيطر من أهل بجّانة ، وكبار علماء الحديث فيها[5] ، توفي في جزيرة ميورقة قبل عام ٣٥٢ هـ = ٩٦٣ م[6] .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ – ٣٥٤ .
(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٤٧ .
(٣) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٧٥٤ ، ترجمة رقم ١٨٦٧ ، طبعة عزت العطار الحسيني . ومحمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة / السفر الأول ، ص ١١٦ ، ترجمة رقم ١٥٤ .
(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٤٢ ، ترجمة رقم ١٠٠٥ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ ، ترجمة رقم ٦٩٤ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٣٠ – ١٣١ ، ترجمة رقم ٣٩٨ (لم يحدد ابن الفرضي تاريخ وفاة عبدالله العطيطر بدقة ، ولكنه ذكر في ترجمته بأن الذي ذكره خالد بن سعد ، ومن نرجمته للراوي المذكور يتضح بأن وفاة العطيطر كانت قبل عام ٣٥٢ هـ = ٩٦٣ م .

وممّا لا شك فيه بأنه كان للرعيل الأول من العلماء والأدباء الذين وفدوا إلى جزر البليار ، وظلّوا يتوافدون عليها حتى نهاية آخر عهودها الإسلامية ، أثر كبير على خلق حركة علمية في هذه الجزر ، ونشر المعرفة بين سكانها ، الذين أصبح معظمهم من المسلمين في عهد الخلافة بالأندلس[1] .

وكان يعيش في هذه الجزر في شتّى عهودها الإسلامية جاليات يهودية ، كان جلّ اهتمامها منصبًّا على جمع المال والتجارة[2] . هذا بالإضافة إلى سكانها من النصارى المستعربين ، الذين عاشوا بين المسلمين ، يتمتعون بكافة حرياتهم ، وكانوا يتبعون كنسياً حتى نهاية عهد المملكة المجاهدية العامرية لأسقفية برشلونة[3] . واضمحلوا نهائياً في العهد الموحدي آخر العهود الإسلامية ، في هذه الجزر ، ولم تبق منهم سوى أقلية ضئيلة ، اعتنقت الإسلام في نهاية العهد الموحدي[4] .

وممّا يدل على تأصل المعرفة وانتشارها بين سكان جزر البليار في القرن الرابع للهجرة ، أن معظم العلماء الذين نبغوا من أهل هذه الجزر ، درسوا في جزر البليار وفي ميورقة بصفة خاصة ، وهناك القليل منهم الذين تثقفوا خارج جزر البليار ، وحتى هؤلاء استقوا ثقافتهم الأولى أثناء إقامتهم في هذه الجزر[5] .

ومن الرواد الأوائل من هؤلاء العلماء الميورقيين ، « أمية بن عبدالله الهمذاني الميورقي » ، أخذ علم الحديث عن علماء بلده ، وتوجه إلى بلاد المشرق للتزود بمزيد من المعرفة ، ٣٥٥ هـ = ٩٦٥ م ، وعاد إلى جزيرة ميورقة ليسهم في تعلم علم الحديث حتى وفاته ، ومنذ مطلع القرن الخامس للهجرة = الحادي عشر للميلاد[6] . نهضت الحياة الفكرية نهضة كبيرة في جزر البليار ، خاصة في العلوم الدينية[7] .

---

(١) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٥٢ .
(٢) روسليو بوردوي : العصور المظلمة في تاريخ ميورقة ، ص ٨٨ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٨٣ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .
(٥) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٦ .
(٦) ابن بشكوال : الصلة / ١ ، ص ١١٠ ، ترجمة رقم ٢٥٩ .
(٧) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٦ - ٩٧ .

الحياة الفكرية في جزر البليار في عهودها الإسلامية المتعاقبة

٢٩٠ - ٦٨٥ هـ = ٩٠٣ - ١٢٨٧ م

بعد تفاعل حضاري طيلة قرن من الزمان ، أخذ فيه أهل جزر البليار عن العلماء الوافدين إلى هذه الجزر من بلاد الأندلس ، ومن الرعيل الأول من علماء أهلها الأصلاء ، خلال هذه الفترة ، ظهر عدد من علماء جزر البليار منذ مطلع القرن الخامس للهجرة = الحادي عشر للميلاد[1] . وممّا أعطى للنهضة الفكرية في جزر البليار دفعة كبرى خلال هذه الفترة الأعداد الكبيرة من علماء الأندلس الذين استقروا في هذه الجزر هرباً من الفتنة التي اجتاحت بلاد الأندلس ، منذ عام ٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م ، خاصة من العاصمة قرطبة ، وأسهم هؤلاء العلماء في تعليم أبناء جزر البليار كافة العلوم النقلية والعقلية[2] .

ونظراً للمناخ الديني في جزر البليار باعتبارها القاعدة المتقدمة ، للجهاد الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فقد برزت فيها العلوم النقلية ، وخاصة القراءات القرآنية ، وعلم الحديث ، والفقه ، وعلوم اللغة العربية وآدابها ، كما ظهر فيها عدد كبير من الشعراء والأدباء والمؤرخين .

أما بالنسبة للعلوم العقلية ، كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق ، فقد برع فيها أفراد لا مؤسسات ، كما سيتضح من الفقرات اللاحقة .

العلوم الدينية في جزر البليار

برزت في جزر البليار العلوم النقلية ، والدينية منها بشكل خاص ، وكان على رأس هذه العلوم التي اشتهر بها أهل جزر البليار « علم القراءات القرآنية » ، ويعود الفضل في ذلك لمجاهد

---

(١) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٥ - ٩٧ .
(٢) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الثالث / ١ ، ص ٢٢ - ٢٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

العامري ، أمير دانية والبليار ، الذي كان من كبار العلماء والأدباء ومن القراء[1] .

كما أن إقامة المقرىء الشهير « عثمان بن سعيد » ، ويعرف بابن الصيرفي ، ويكنى بأبي عمرو المقري ، ثمانية أعوام في جزيرة ميورقة ٤٠٩ – ٤١٧ هـ = ١٠١٨ – ١٠٢٦ م[2] ، خلق مدرسة كبرى للقراءات في جزر البليار ، اشتهرت في كافة أنحاء العالم الإسلامي ، وظلّت شهرة جزر البليار بهذا العلم حتى نهاية آخر عهودها الإسلامية ، كما سيتّضح من الأعداد الكبيرة جداً من القراء المشهورين من أهل هذه الجزر والوافدين إليها في التراجم اللاحقة . وبالإضافة إلى علم القراءات ، فقد أنجبت جزر البليار عدداً كبيراً من علماء الحديث ، وكبار الحفّاظ ، الذين أسهموا بدور بارز في هذا العلم في شتّى أرجاء العالم الإسلامي[3] .

وبالرغم من تمسّك أهل جزر البليار بالمذهب المالكي كبقية بلاد الأندلس والمغرب ، فقد ترعرعت في جزيرة ميورقة الحركة الظاهرية على يد العالم الجليل أحمد بن سعيد بن حزم ، وانتشرت أفكاره بين جيل كامل من علماء جزيرة ميورقة ، لما تميّز به من حجة ونباهة ومعرفة واسعة ، وظلّت الحركة الظاهرية متأصلة في جزيرة ميورقة ، بالرغم من معارضة علماء المالكية[4] . وتدعو الحركة الظاهرية ، « إلى الأخذ بظواهر النصوص ، ولا يعتمدون على سواها » ، ويضيف أبو زهرة بأن ابن حزم ، « كان يأخذ بظاهر القرآن الكريم ، ولا يصح أن يفهم من ذلك ، أنه لا يأخذ بالمجاز ، لأن المجاز من الظاهر ، إذا كان المجاز مشهوراً ، أو كانت القرينة واضحة معلنة عن المجاز ، كاشفة له »[5] .

وكان للصراعات المذهبية بين علماء المالكية والظاهرية ، أكبر الأثر على اثراء الحياة الفكرية ، في جزر البليار ، وظهور علماء من المتكلمين ، الذين برعوا في علم الكلام والتوحيد ، من أهل هذه الجزر ، وظهور محاولات توفيقية للتوفيق بين الفكر الظاهري والأشعرية ، كما سيتضح من التراجم اللاحقة لعلماء الكلام الميورقيين .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٨٣ .
(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ – ١٢٨ .
(٣) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٧ ، ١٠٣ .
(٤) جذوة المقتبس ، ص ١٢٦ ، ترجمة رقم ٢١٥ . والضبيّ : بغية الملتمس ، ص ٤١٥ ، ترجمة رقم ١٢٠٥ . وابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ترجمة رقم ٨٩٤ ، ص ٤١٥ . وابن الأبار . التكملة / ٢ ، ص ٩١٠ ، ترجمة رقم ١٢٣٠ . وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٩٣ – ٩٧ . وياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ٢٣٥ ومابعدها . والذهبي : تذكرة الحفّاظ ، ج ٣ ، ص ١١٤٦ – ١١٥٥ . والعبر في خبر من غبر ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .
وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ .
والمقري : نفح الطيب .
(٥) محمد أبو زهرة : ابن حزم ، ص ٢٩٥ وما بعدها .

كما أخصب التراث الأدبي في المملكة المجاهدية العامرية الرسالة الشعوبية التي كتبها أبو عامر بن غرسيه ، كاتب علي إقبال الدولة ، وظلّ الأدباء يردّون عليه حقبة طويلة من الزمن . مما أضفى على دانية وجزر البليار جوا أدبياً علمياً[1] .

وبالرغم مما وصلت إليه جزر البليار من شهرة أدبية واسعة ، وما ظهر منها من شعراء وأدباء ، إلا أن العلوم الدينية كانت في المرتبة الأولى في هذه الجزر .

وظهر عدد كبير من العلماء في هذا المضمار ، خاصة في القراءات والحديث والفقه ، كما يتضح من الفقرات اللاحقة .

علم القراءات وأشهر القراء في جزر البليار

يقول ابن خلدون عن هذا العلم ما يلي : « القرآن هو كلام الله المنزّل على نبيّه ، المكتوب بين دفتي المصحف . وهو متواتر بين الأمّة ، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة ، في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها . وتنوقل ذلك واشتهر ، إلى أن استقرت منها سبع طرق معيّنة ، تواتر نقلها بأدائها ، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمّ الغفير ، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة »[2] .

ونظراً للمناخ الديني في جزر البليار باعتبارها القاعدة المتقدمة للجهاد البحري الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فقد برزت فيها العلوم النقلية ، وخاصة القراءات القرآنية منذ مطلع القرن الخامس للهجرة ، بعد أن استقرت دعائم الإسلام في هذه الجزر . ويعود الفضل في النهضة الرفيعة لهذا العلم في جزر البليار إلى مجاهد العامري الذي استقل بهذه الجزر في عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٥ م « أديب ملوك عصره ، لمشاركته في علم اللسان ونفوذه في علم القرآن ، عني بذلك من صباه وابتداء حاله إلى حين اكتهاله » كما يقول ابن حيان[3] . وكان للعلماء الذين توافدوا على جزر البليار من قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس منذ فتحها وتمصيرها على يد عصام الخولاني ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م[4] ، والذين ظلوا يتوافدون على هذه الجزر ، حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ، واستقلال مجاهد العامري بها ، أكبر الأثر على رسوخ العلوم الدينية بين أهلها خاصة علم القراءات .

(١) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الثالث / ٢ ، ص ٧٠٥ – ٧١٤ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٧ .
(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٨٢ .
(٣) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٢٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

وازداد هذا العلم رسوخاً وانتشاراً في جزر البليار نتيجة « لهجرة أولي البقية وذوي الحرية من الطبقة الأدبية القرطبية » إلى جزر البليار بعد سقوط الخلافة الأموية ونشوب الفتنة في العاصمة قرطبة[١].

كما كان للوافدين إلى جزر البليار من شرق الأندلس منذ مطلع القرن الرابع للهجرة من قاعدة بجانة البحرية التي كانت ترتبط برباط وثيق بجزر البليار[٢]، وتسهم بالتعاون معها في حركة الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٣]، أثر كبير على خلق حركة علمية في هذه الجزر ونشر المعارف بين أهلها، مما يعتبر رمزاً للعلاقة الوطيدة بين هذه الجزر، وثغور سواحل شرق الأندلس، ومن بينها لورقة التي وفد علماؤها إلى البليار منذ مطلع أول عهودها الإسلامية[٤]. وازدادت هذه العلاقة رسوخاً، بعد استيلاء مجاهد العامري على دانية وملحقاتها، في شرق الأندلس في عام ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م[٥]، وعلى جزر البليار، في ذي القعدة ٤٠٥ هـ = مايو ١٠١٥ م[٦]. مما ربط بين هذه الجزر وشرق الأندلس برباط وثيق، ليس في النواحي السياسية فحسب، بل الأهم من ذلك هو الارتباط الحضاري، وانتقال العلماء والأدباء بين جناحي المملكة المجاهدية العامرية، مما ساعد على ظهور نهضة علمية وأدبية في هذه الجزر في عهد مجاهد العامري، واستمرت في زيادة مضطردة في العهود الإسلامية اللاحقة[٧]، خاصة في علم القراءات القرآنية بتشجيع من مجاهد العامري. وكان أهل الأندلس ينهجون نهج المشارقة في القراءات القرآنية « إلى أن ملك بشرق الأندلس مجاهد من موالي العامريين، وكان معتنياً بهذا الفن من بين فنون القرآن، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر، واجتهد في تعليمه وعرضه، على من كان من أئمة القراء بحضرته، فكان سهمه في هذا وافراً، واختص مجاهد بعد ذلك بإمارة دانية والجزائر الشرقية، فنفقت بها سوق القراءة، لما كان هو من أئمتها، وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموماً، وفي القراءات خصوصاً. فظهر في عهده أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد بن عثمان) وبلغ الغاية فيها، ووقفت عليه معرفتها. وانتهت إلى روايته

---

(١) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الثالث، المجلد الأول، ص ٢٢.
وابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠، ودومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ٩٥ - ٩٦. وآنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.
(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٦٩٤.
(٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٧٩ - ٨١.
(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٤٢ ترجمة رقم ١٠٠٥.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤.
(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١١٦.
وابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩٠.
(٧) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والفكرية لمسلمي البليار، ص ٩٥ - ٩٦.

أسانيدها، وتعددت تآليفه فيها، وعوّل الناس عليها، وعدلوا عن غيرها، واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له »[١].

ومن أشهر العلماء الذين نشروا علم القراءات في جزر البليار « عثمان بن سعيد » ويعرف بابن الصيرفي، ويكنى بأبي عمرو المقري. وقد أقام في جزيرة ميورقة ثماني سنوات ٤٠٩ - ٤١٧ هـ = ١٠١٨ - ١٠٢٦ م، قضاها في تعليم سكان هذه الجزيرة، ومن وفد إليها من جزر البليار الأخرى والبر الأندلسي علم القراءات[٢]. « وخلف بن غصن بن علي الطائي القرطبي » الذي أخذ علم القراءات عن علماء قرطبة، ولجأ إلى ميورقة بعد نشوب الفتنة الداهمة في عاصمة الخلافة الأموية ٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م، « وأقرأ الناس فيها إلى أن توفي ٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م »[٣]. و« أحمد بن مطرّف » ويعرف بابن الخطاب، من كبار علماء قرطبة في القراءات القرآنية، قدم إلى ميورقة هرباً من المجازر الدامية في عاصمة الخلافة، إثر انهيار الحكم الأموي فيها، وظل يعلّم أبناء جزيرة ميورقة والوافدين إليها علم القراءات إلى أن توفي ٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م[٤].

وقد أخذ كثيرون من أهل جزر البليار هذا العلم عن علماء قرطبة، وأجادوه وبرعوا فيه، ومن بين هؤلاء « مفرّج مولى علي إقبال الدولة بن مجاهد »، ويكنى بأبي الدوّاد وقد تلقى هذا العالم على يد أبي عمرو المقري[٥]. « وغالب بن عبدالله بن أبي اليمن محمد بن عامل القيسي » الميورقي، ويكنى بأبي تمام القطيني، « تلا بالسبع على أبي عمرو المقرىء وأجاز له.. وكان مقرئاً مجيداً.. ». ويضيف محمد الأوسي المراكشي إلى ترجمته قائلاً، بأنه ولد في قرية بليز قرية والده (في جزيرة ميورقة) ٣٩٣ هـ = ١١٠٢ م، ونشأ في قرية أمّه، وتدعى قطين، فنسب إليها بعد أن أقام بها إلى سنة ٤٠٧ هـ = ١٠١٦ م، وارتحل إلى حاضرة ميورقة لطلب العلم، وأجاد علم القراءات، وأخذ عنه كثيرون، إلى أن توفي في عام ٤٦٥ هـ = ١٠٧٣ م[٦]. كما اشتهر بهذا

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٧٨٣.
(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٠٥ ترجمة رقم ٧٠٢.
والضبّي: بغية الملتمس، ص ٤١١ - ٤١٢ ترجمة رقم ١١٨٦.
وابن بشكوال: الصلة / القسم الثاني، ص ٤٠٥ ترجمة رقم ٨٧٨.
وياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٢، ص ١٢٤ - ١٢٨.
والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٢٠.
(٣) ابن بشكوال: الصلة / القسم الأول، ص ١٦٦ ترجمة رقم ٣٧٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٦ ترجمة رقم ٦٩.
والذهبي: معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٣٠٦.
(٥) ابن الأبار: التكملة / ٢، ص ٧٢١ ترجمة ١٨٣١، طبعة عزت العطّار الحسيني.
(٦) ابن الأبار: التكملة / ١، ص ٥٢٠ رقم ٩٥٦. طبعة مدريد ١٩١٥ م.
=

العلم « أحمد بن عبدالله بن خيرة الميورقي مولى مبشر بن سليمان ناصر الدولة » ، « وكان مقرئاً مجوّداً فاضلاً ديناً » ، توفي حوالي سنة ٥٥٧ هـ = ١١٦١ م[١].

وبينما كانت جزر البليار تنعم بالأمن والاستقرار ، تحت حكم أميرها « مبشر بن سليمان ناصر الدولة » ٤٨٦ - ٥٠٩ هـ = ١٠٩٣ - ١١١٥ م ، الذي ازدهر العلم في رحابه ، ووفد العلماء والأدباء على أبوابه ، تعرّضت هذه الجزر إلى هجوم صليبي كاسح ، أسفر عن إبادة معظم سكان جزيرتي يابسة وميورقة ، وحرق مدينة ميورقة العاصمة وتدميرها . وبالرغم من هذه النكبة الداهمة ، والمصاب الجلل ، فقد عادت جزر البليار ثانية إلى مسيرتها الحضارية على يد المرابطين الذين أعادوها ثانية إلى حظيرة الإسلام ، ذي القعدة ٥٠٩ هـ = ابريل ١١١٦ م[٢]. « وعمّروها من جديد بالمرابطين والمجاهدين ، وأصناف الناس ، وجلبوا إليها من كان قد فرّ عنها إلى الجبال ، فاستوطنوها وسكنوها »[٣].

وسرعان ما استعادت هذه الجزر دورها البارز في علم القراءات القرآنية ، وواصلت شهرتها في هذا العلم جيلاً بعد جيل ، حتى نهاية آخر العهود الإسلامية فيها .

ومن أشهر القراء في جزر البليار في عهد المرابطين من لمتونة ومسّوفة ، عبد المجيد بن عبد الواحد بن جزّي الحضرمي ، « وكان أستاذاً مقرئاً ، حملت عنه القراءات وهو من بيت علم ونباهة »[٤]. « وعبدالله بن محمد بن سهل العبدري الميورقي » ، ويعرف بالمنقوري نسبة إلى بلده في شمال شرق جزيرة ميورقة ، وقد أخذ هذا العالم الميورقي علم القراءات عن علماء بلده ، وعن علماء قرطبة واشبيلية ، « وعاد إلى بلده وتصدّر للإقراء بجامعه » إلى أن توفي حوالي عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م[٥].

« وحـامـد بن حـامـد » من أهـل ميورقـة ، ظـل يعـلم القراءات في بلـده إلى أن توفي

= ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة السفر الأول / القسم الثاني ، ص ٥١٧ - ٥١٨ ، ترجمة رقم ٩٨٢ .

(١) المصدر السابق ، السفر الأول / القسم الأول ، ص ١٤٤ ، ترجمة رقم ٢١٨ .

(٢) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
وابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .
وابن القطّان : جزء من نظم الجمان ، ص ٢٠ .
وابن عذاري جـ : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ . والحميري : الروض المعطار ص ٥٦٧ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٣) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٤ .

(٤) ابن الأبّار : التكملة ، ترجمة/ ٢/ ٢٠٠ ، ص ١٦٧ طبعة م الأركون وجنز اليز بلانسيا ، مدريد ١٩١٥ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٤٠ ترجمة رقم ٢٠٤٥ طبعة عزت العطار الحسيني .

٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م[١]. « ويوسف بن اليسع » ، أصله من دانية ، واستقر في جزيرة ميورقة ، أخذ القراءات عن أبي عبدالله بن سعيد الداني ، « وتصدّر للإقراء بميورقة ، وأخذ عنه جماعة منهم الخطيب أبو الحجاج يوسف بن قاسم بن زهير وغيره » ، توفي حوالي ٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م[٢].

« وعلي بن خلف بن عمر بن هلال » . أصله من غرناطة ، « سكن ميورقة وقرأ فيها القراءات » ، إلى أن توفي سنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م[٣].

« ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن خضر الازدي » ، بلنسي الأصل ، ميورقي السكني ، اشتهر بعـلم القراءات ، وأخـذ عنـه كثـيرون في جزيرة ميورقـة ، إلى أن توفي فيهـا سنـة ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م[٤].

« وخلف بن عبدالله » المقرىء من جزيرة ميورقة ، ويعرف بالبلانسي نسبة إلى بلدة بلانسة في شمال جزيرة ميورقة . ومن أشهر من أخذ عنه علم القراءات في ميورقة « محمد بن المعز اليفرني »[٥]. وظل علماء ميورقة كبرى جزر البليار يتوارثون هذا العلم جيلاً بعد جيل وكان من بين هؤلاء ، « محمد بن خلف العافري الميورقي » ، ويعرف « بابن غيداء » ، أخذ علم القراءات عن « أبي محمد عبدالله بن محمد بن سهل العبدري المنقوري » ، وعن « أبي اسحق ابراهيم بن الحاج أحمد » قاضي ميورقة . وتصدّر « ابن غيداء » للإقراء ، وتعليم القراءات في جزيرة ميورقة ، ومن أشهر من أخذ عنه « أبو عبدالله محمد بن الحسين الشكّاز » . وتوفي « ابن غيداء » في مراكش ٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م في بداية العهد الموحدي في جزر البليار[٦]. « ومحمد بن الحسين بن علي بن موفق » ، ويعرف « بالشكّاز » ، من أهل ميورقة ، أخذ علم القراءات عن أبي عبدالله محمد بن المعز اليفرني الميورقي ، ومحمد بن خلف المعافري الميورقي المعروف بابن غيداء . وأقرأ « الشكّاز » القرآن في ميورقة ، وله تأليف في علم القراءات سمّاه « الميسّر » . وظل خطيب المسجـد الجـامـع بمـدينـة ميورقـة حـتى مرض ، « ولزم داره إلى أن توفي في شعبـان

(١) نفس المصدر ج ١ ، ص ٢٨٠ ترجمة رقم ٧٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، ترجمة ٢ / ٨١٥ ص ٣٨٥ . م . الأركون وجنزاليز بالنسيا مدريد ١٩١٥ .

(٣) ابن الأبار : التكملة / السفر الثالث ، ص ٦٧١ ترجمة رقم ١٨٦٦ طبعة روخس بمجريط ، سنة ١٨٨٦ م . وابن الأثير : صلة الصلة ، ص ٩٧ ترجمة ١٩٧ .
ومخطوط الذهبي : تاريخ الإسلام ، ورقة ٢٩٨ أ .

(٤) ابن الأبار : التكملة ج ٢ ، ص ٥٢٥ ترجمة ١٤٢٥ . طبعة عزت العطار الحسيني .

(٥) ابن الأبار : التكملة / السفر الثاني ، ص ٢٨٦ ترجمة ٨٨٤ . طبعة روخس بمجريط سنة ١٨٨٦ م . وج ٢ ، ص ٥٧٠ ترجمة ١٥٥٨ طبعة عزت العطار الحسيني والإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام ، ج ٣ ، ص ٦٩ ترجمة رقم ٢٣٣ .

(٦) ابن الأبار : التكملة / السفر الثاني ، ص ٢٨٦ طبعة روخس بمجريط ١٨٨٦ م .
والتكملة ج ٢ ، ص ٥٧٠ ترجمة ١٥٥٨ طبعة عزت العطار الحسيني .

٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م قبل الحادثة العظمى على ميورقة بنحو ستة أشهر »(١)

« ومحمد بن المعز اليفرني الميورقي » أخذ علم القراءات في جزيرة ميورقة عن « أبي الحسن بن علي بن سعيد البنشكلي » (نسبة إلى بنشكلة أحد معاقل بلنسية الحصينة). « وأبي القاسم خلف بن عبدالله البلانسي » ، وأخذ عنه « محمد بن الحسين » المعروف « بالشكّاز » . وكان مقرئاً بارعاً توفي في ميورقة حوالي سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م(٢) . ونلاحظ من تراجم هؤلاء العلماء ، انتقال بعض علماء ثغور شرق الأندلس إلى جزيرة ميورقة ، ومن بين هؤلاء أبو الحسن البنشكلي ، لأخذ علم القراءات على يد علمائها . وقد استقر أبو الحسن علي بن سعيد البنشكلي الأصل الميورقي النشأة في ميورقة ، « وكان مقرئاً مجوداً متصدراً .. تلا عليه بالسبع محمد بن المعز اليفرني الميورقي » ، الآنف الذكر(٣).

كما توجه إلى ميورقة من ثغر طرطوشة في شمال شرق الأندلس لأخذ علم القراءات عن علمائها « عتيق بن علي بن سعيد بن عبد الملك بن موسى العبدري » ومن ميورقة ، توجه إلى بلنسية ، وعلّم فيها القراءات إلى أن توفي سنة ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م(٤).

وقد برع علماء ميورقة في القراءات إلى حد تمكّن فيه محمد بن عبدالله بن خيار المكتّب الميورقي من تعليم القراءات في قرطبة ، بعد أن أخذ هذا العلم عن أبي اسحق ابراهيم بن الحاج ، وغيره من علماء القراءات في ميورقة ، وظل يعلم القراءات في قرطبة ، ويكتب المصاحف إلى أن توفي في عام ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م(٥)

ومن الظواهر التي تسترعي النظر أن معظم علماء جزر البليار البارزين كانوا يغتنمون فرصة تأدية فريضة الحج للأخذ عن علماء المشرق والمغرب في ذهابهم وإيابهم ويعودون بعد ذلك إلى جزر البليار ، وقد تزودوا بمعرفة واسعة ، ومن بين هؤلاء « محمد بن الحسن بن الخضر الميورقي » ، رحل إلى المشرق لتأدية فريضة الحج ، وأخذ عن علماء الاسكندرية ، « وكان من أهل الغاية بطلب العلم ، معروفاً بالورع ، أقرأ بميورقة إلى أن توفي حوالي

(١) ابن الأبار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ ، ترجمة رقم ١٦٢٩ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ١٧٤ . ترجمة رقم ٤٧٠ .

(٢) ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ترجمة رقم ٨٢٨ . والذهبي : تاريخ الإسلام المجلد الثامن عشر / القسم الأول / تحقيق د . بشّار عوّاد معروف ، ص ٤٢٥ .

(٣) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ٥٧ ترجمة رقم ١٠١ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة = السفر الخامس = القسم الأول ، ص ٢١٦ ترجمة رقم ٤٤٠ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١٢٤ ، ترجمة رقم ٢٣٩ .

(٥) ابن الأبار : التكملة ج ٢ ، ص ٦١٩ ترجمة رقم ١٦١٧ طبعة عزت العطار الحسيني ؛ ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة ج ٦ ، ص ٢٧٩ ، ترجمة رقم ٧٢٩ .

٦١٢ هـ = ١٢١٥ م »(١) . ومما يسترعي النظر أيضاً هو أن استشهاد العديد من هؤلاء العلماء في الجزرة الرهيبة التي أوقعها الغزاة البرابرة بجزيرة ميورقة بعد استيلائهم عليها ، وهم يقاومون الغزاة ويحثون الناس على الجهاد ، وكان من بينهم ثلاثة من كبار القراء ، أسر أحدهما وهو يحث الناس على الجهاد والصمود في وجه الغزاة ، ومات في الأسر ، وقتل الآخران على يد الغزاة ، الأول هو « علي بن أحمد العبدري الميورقي » ويكنى بأبي الحسن المطرقة ، أدى فريضة الحج وأخذ عن علماء المشرق « وعاد إلى بلده وتصدّر به لاقراء القرآن » ، وكان خطيب جامع مدينة ميورقة .. « توفي في أسر الروم (قوات مملكة قطلونية وأرغون) بعد تغلبهم على بلده بخمسة وأربعين يوماً ، وكان تغلبهم عليه في منتصف شهر صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م ، وفي يوم وفاته توفي والي (جزر البليار) أبو يحيى محمد بن علي التنملّي »(٢) في الأسر ، بعد تعذيبه عذاباً شديداً على يد الغزاة طيلة خمسة وأربعين يوماً(٣).

أما اللذان قتلا في الجزرة الرهيبة في مدينة ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م فهما عبد الملك بن ابراهيم بن هارون العبدري الميورقي ، « وكان مقرئاً مجوّداً تصدّر لإقراء القرآن .. استشهد يوم الاثنين في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديمبر ١٢٢٩ م ، إثر تغلب الروم على مدينة ميورقة »(٤).

« وابراهيم بن الحاج أحمد عبد الرحمن بن عثمان الأنصاري » ، ويكنى بأبي اسحق الغرناطي لنشأته في غرناطة ، وأخذ عن علماء قرطبة وغرناطة والمرية ومالقة القراءات السبع « وكان من أهل المعرفة الكاملة والتفنن في العلوم .. يتقن علم القراءات ويشارك في علوم عديدة .. فكه النفس ، حلو النادرة ، حميد العشرة .. استقر بجزيرة ميورقة في جوار أميرها اسحق بن محمد بن غانية ، فقلّده قضاءها ، وتصدّر للإقراء ، وأخذ الناس عنه ، وانتفعوا به ، إلى أن تغلّب الروم (مملكة قطلونية وأرغون) على مدينة ميورقة ، فاستشهد في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م »(٥). وبعد استيلاء مملكة قطلونية وأرغون على جزيرة ميورقة

(١) المصدران السابقان ، (الأول) ج ٢ ، ص ٤٧٧ ترجمة ١٣٣ .
(الثاني) ج ٦ ، ص ١٦٠ ترجمة ٤٢٩ .

(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١٨٣ ترجمة رقم ٣٦٤ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ .

(٤) ابن الابار : التكملة / السفر الثاني ، ص ٦٢٠ ترجمة رقم ١٧٢٨ طبعة روخس مجريط ، ، ١٨٨٦ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١٢ ترجمة رقم ١١ .

(٥) ابن الأبار : المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدمي ، ص ٣١٥ . والتكملة ج ١ ، ص ١٥٥ ، ترجمة رقم ٤٠٠ .

واصل علماء القراءات من أهل ميورقة ، الذين نجوا من المجزرة الدامية ، ولجأوا إلى جزيرة منورقة ، والبر الأندلسي ، وبلاد المغرب والمشرق ، تعليم هذا العلم ، وكان من بين هؤلاء محمد بن علي بن اسحق العبدري ، لجأ إلى منورقة ، وتوفي في تونس ١٢٥٥ م[١] . وعبد الماجد الحضرمي الميورقي ، أستاذ ابن الأبّار ، وكان عالماً جليلاً ذا معرفة واسعة بالقراءات ، لجأ إلى بلنسية ، وأخذ عنه كثيرون منهم ابن الأبّار الذي أثنى عليه[٢] . وعتيق بن علي بن سعيد بن عبد الملك ابن رزين العبدري ، ويعرف « بالعقّار » نشأ في ميورقة ، واستوطن بلنسية ، وأخذ عنه كثيرون من أهلها القراءات السبع ، إلى أن توفي في بلنسية في ذي الحجة ٦٣٣ هـ = أغسطس ١٢٣٦ م[٣] .

وعلي بن محمد بن عبد الملك الميورقي الأصل الشاطبي النشأة ، اشتهر بمعرفته الواسعة في العلوم الدينية ، وكان من بينها القراءات التي انتشرت في بلاد المغرب والمشرق . وبرع بصفة خاصة في تفسير القرآن الكريم ، توفي ٦٧٠ هـ = ١٢٧١ م[٤] .

أما بالنسبة لجزيرة يابسة ، فقد اشتهر فيها من علماء القراءات « عبدالله بن حسن بن عشير اليابسي » ، وقد هاجر إلى الاسكندرية ، « وكان مصدّراً في جامع الاسكندرية ، أقرأ الناس القرآن . . » ، إلى أن توفي فيها ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م ، في يوم عاصف شديد الأمطار ، ودفن بباب البحر في الاسكندرية[٥] . « وعبد العزيز بن محمد بن شدّاد المعافري » من أهل جيّان ، استقر في جزيرة يابسة ، وأخذ عنه كثيرون من أهلها ، وكان عالماً بارعاً في علوم عديدة ، وتوفي في جزيرة يابسة حوالي ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م[٦] .

وبعد سقوط مدينة ميورقة في يد القوات الصليبية في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م[٧] ، والقضاء على المقاومة الشعبية في جزيرة ميورقة في شهر رجب ٦٢٩ هـ = مايو

(١) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٦ - ١١٧ .
محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة ج ٦ ، ص ٣٢٣ ، ترجمة رقم ١١٨٠ .
(٢) دومنيك اورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ١٢٢ (لم أعثر على ترجمة).
(٣) ابن الابار : التكملة / السفر الثالث ، ص ٦٩٢ ترجمة ١٩٣٨ .
(٤) الحافظ السيوطي : بغية الوعاة ، ص ١٩٤ ، ترجمة ١٧٧٠ .
(٥) د . إحسان عباس : أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي ، ص ٦٣ .
ومحمد محمود زيتون : الحافظ السلفي ، ص ٢٥٨ .
(٦) ابن الابار : التكملة / السفر الثالث ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ ترجمة رقم ١٧٦٠ طبعة روخس - مجريط ، ١٨٨٦ م .
(٧) ابن الأبار : التكملة / السفر الثاني ، ص ٣٣٥ .

١٢٢٩ م[١] . أصبحت جزيرة منورقة في عهد أميرها المستقل سعيد بن حكم من أشهر مراكز القراءات القرآنية في غرب العالم الإسلامي ، فقد ورثت عراقة جزيرة ميورقة في هذا العلم بعد هجرة العديد من علماء القراءات من جزيرة ميورقة إلى منورقة[٢] . ومن أشهر هؤلاء العلماء الميورقيين الذين لجأوا إلى كنف سعيد بن حكم أمير منورقة ، « محمد بن علي بن اسحق بن محمد العبدري الميورقي » ، ويكنى بأبي عبدالله بن عائشة ، وأخذ عنه أبو محمد عبدالله مولى سعيد بن حكم بن عثمان . . » . وقبل وفاته بفترة وجيزة ، هاجر إلى تونس ، وعلّم فيها علم القراءات ، إلى أن توفي ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م[٣] .

ومن الذين اشتهروا من أهل جزيرة منورقة بعلم القراءات ، محمد بن علي بن عثمان الأزدي المنورقي ، « تلا في ميورقة بالسبع على أبي عبدالله الحسين الشكّاز الميورقي ، وأجاز له ، وتلا عليه بالسبع أبو محمد عبدالله مولى سعيد بن حكم بن عثمان وتأدّب به . . » ولاّه سعيد بن حكم القضاء بمنورقة ، وظلّ في منصب القضاء حتى وفاته ٦٧٠ هـ = ١٢٧١ م[٤] . وعبدالله مولى سعيد بن حكم أمير منورقة ، تلا بحرف نافع على محمد بن علي بن اسحق العبدري الميورقي ، نزيل منورقة ، واشتهر عبدالله المذكور بإجادة علم القراءات ، وهاجر بعد سقوط منورقة ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م ، إلى بلاد المغرب وانتفع فيها بعلمه ، إلى أن توفي ٦٩٧ هـ ١٢٩٧ م[٥] .

علم الحديث ، وأشهر المحدّثين في جزر البليار

يقول ابن خلدون ، بأن « علوم الحديث كثيرة ومتنوعة ، لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه ، وهو من أهمها وأصعبها . . والنظر في الأسانيد ، ومعرفة ما يجب العمل به ، من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط . . ويثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين ، بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة ، ويكون ذلك دليلاً على القبول أو الترك . وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين ، وتفاوتهم في ذلك ، وتميزهم فيه . . وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها ، بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه ، وبسلامتها من العلل الموهنة لها . . ولهم في ذلك ألفاظ اصطلحوا على وصفها . . مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب . . وبوّبوا على كل واحد منها ، ونقلوا ما فيه من

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 34.
(٢) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي جزر البليار ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ ، ترجمة رقم ١١٨٠ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٥ ، ترجمة رقم ١٢٢٦ .
(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٤٣٩ ، ترجمة رقم ١١٨٠ . ورحلة العبدري ، ص ٢٨٠ .
وابن القاضي : درة الحجال في أسماء الرجال ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ .

الخلاف أو الوفاق ، ثم النظر في كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض قراءة أو كتابة ، أو مناولة أو إجازة ،وتفاوت رتبها . . وتلي ذلك فنون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق منها أو مختلف . . وهذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه »[1] .

وكان لعلم الحديث شهرة واسعة في جزر البليار عامة ، وفي جزيرة ميورقة بصفة خاصة . ومن الذين اشتهروا بهذا العلم ، من الوافدين إلى هذه الجزر ، ومن أصلاء أهلها « عبدالله العطيطر » ، من رواة علم الحديث في جزيرة ميورقة ، وأصله من بجّانة كبرى قواعد الجهاد البحري في جنوب شرق الأندلس » وكان حسن الضبط لروايته ، توفي في ميورقة[2] قبل عام ٣٥٢ هـ = ٩٦٣ م »[3] .

ومن الرعيل الأول من علماء الحديث من أهل جزيرة ميورقة « أمية بن عبدالله الهمذاني » ولد في ميورقة ٣٣١ هـ = ٩٤٢ م ، وتعلم فيها حتى عام ٣٥٥ هـ = ٩٦٥ م ، حيث توجه إلى بلاد المشرق ، وأخذ عن علماء مصر والحجاز ، وعاد إلى جزيرة ميورقة ، وظلّ يعلم فيها علم الحديث ، حتى وفاته ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م[4] .

و« عصام بن محمد بن عصام الخولاني » ، حفيد فاتح جزر البليار الذي اشتهر بمعرفته الواسعة بعلم الحديث[5] . و« عبد الملك بن سليمان الخولاني الميورقي » « محدّث سمع بالأندلس وافريقية ومصر ومكة المكرمة » ، وحدّث في جزيرة ميورقة وأخذ عنه كثيرون ، من أشهرهم « محمد بن فتوح الميورقي الحافظ » ، وتوفي في جزيرة ميورقة حوالي سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م[6] .

« وعثمان بن علي بن مسلم الشريجي الميورقي » ، ولد في جزيرة ميورقة ٣٦٥ هـ = ٩٧٥ م ، وأخذ عن علمائها ، وتوجه إلى بلاد المشرق ليتزود بمزيد من المعرفة ، وعاد إلى جزيرة ميورقة ، وعلّم فيها ، ومنها توجّه إلى البر الأندلس ، وتنقل في أرجائه ، وأخذ عنه كثيرون ، إلى أن توفي في اشبيلية في عام ٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م[7] .

ولشهرة جزر البليار بعلم الحديث ، ولرغبة أهلها في اكتساب المزيد من المعرفة بهذا العلم ، فقد توجّه إلى هذه الجزر علماء الحديث من شتى أرجاء الأندلس ، لما كانوا يلقونه من التكريم

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٨٩ – ٧٩١ .
(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٦٩٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٠ – ١٣١ ترجمة رقم ٣٩٨ .
(٤) ابن بشكوال : الصلة / ١ ، ص ١١٠ ترجمة رقم ٢٥٩ .
(٥) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١٤٨ ترجمة رقم ٣٠٢ .
(٦) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٨٥ ترجمة رقم ٦٣٠ .
والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٣٨٩ ترجمة رقم ١٠٦٦ .
(٧) ابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٤٠٥ ترجمة رقم ٨٧٥ .

من أهلها ، خاصة من قرطبة عاصمة الخلافة الأموية ، بعد نشوب الفتنة الداهمة فيها ٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م . ومن بين هؤلاء العلماء محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عوف ، الذي روى الأحاديث عن الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله ابن أبي زمنين ، المتوفى ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م . وقد روى عنه وعن غيره ، إلى أن توفي في الجزائر الشرقية ٤٣٤ هـ = ١٠٤٢ م[1] .

وعبدالله بن عبيد الله المعيطي خليفة دانية وجزر البليار الملقب بالمنتصر بالله ، كان من كبار العلماء والحفاظ ، وأخذ عنه كثيرون في جزر البليار ودانية وإفريقية[2] .

ومصعب بن عبدالله بن محمد بن يوسف ، ويعرف بابن الفرضي ، وولّي الحكم في جزيرة ميورقة »[3] . وروى فيها عن والده الحافظ الفقيه المؤرخ الجليل ، عبدالله بن محمد بن يوسف المعروف « بابن الفرضي أبي الوليد القاضي »[4] .

وعبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد المعروف بابن الشرفي ، من أهل قرطبة ، « روى عن أبيه . . وتولّى القضاء بميورقة بعد الفتنة » ، ومن ميورقة توجّه إلى قرطبة حيث توفي هناك في شعبان ٤٣٨ هـ = ١٠٤٦ م[5] . وهو أحد أبناء أبي اسحق ابراهيم الشرفي ، « الحاكم الخطيب ، صاحب الشرطة ، وكان فقيهاً جليلاً ، ورئيساً في أيام المنصور بن أبي عامر » . وقد ذكر الحميدي الميورقي بأنه شاهد عندِ ابنه عبد الرحمن ، « وكان حاكماً في ميورقة ، مجلدات ، مما جمع من مدائح الشعراء فيه »[6] .

ونظراً لكثرة العلماء ، من الحفّاظ الذين وفدوا إلى جزر البليار للعمل فيها ، والسكنى والاستقرار بها ، تأثل علم الحديث في هذه الجزر ، واشتهر من أهلها نخبة من الحفّاظ ، من أشهرهم « أحمد بن اسماعيل بن دليم الميورقي » ، الحافظ القاضي ، توفي ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ،

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٥٦ ترجمة رقم ٥٧ .
والضبيّ : بغية الملتمس ، ص ٨٧ ترجمة رقم ١٦ .
(٢) ابن بشكوال ، الصلة / ١ ، ص ٢٦٩ ترجمة رقم ٥٩٣ . وابن بسام الشنتريني : الذخيرة / ١ ، ص ٤١ و ١١٥ . والقاضي عياض : ترتيب المدارك ، ص ٧٤٥ – ٧٤٦ .
وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ . وابن الخطيب : أعمال الأعلام / القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢٠ . وميخائيل أماري : المكتبة الصقلية ، ص ٢٧١ .
(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٥٢ ترجمة رقم ٨٢٨ . والضبي : بغية الملتمس ، ص ٤٧١ ترجمة رقم ٣٧٩ . وابن بشكوال : الصلة / ١ ، ص ٥٦١ ترجمة رقم ١٢٣ .
(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٥٤ ترجمة رقم ٥٣٧ . والضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٣٤ ترجمة رقم ٨٨٨ . وابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٦٧٧ ، ترجمة ١٥٠١ .
وابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الأول / المجلد الثاني ص ٦١٤ .
(٥) ابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٣٣١ ترجمة رقم ٧٠٥ .
(٦) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٥٠ ترجمة رقم ٢٦١ .

الذي أخذ عنه كثيرون من أشهرهم الحميدي الميورقي الحافظ[1].

« وعثمان بن دليم ». وهو ابن أخي أحمد بن اسماعيل بن دليم الآنف الذكر، أخذ عنه الحميدي الميورقي الحافظ، توفي ٤٣٤ هـ = ١٠٤٢ م[2]. « ومحمد بن شجاع الصوفي »، أقام بجزيرة ميورقة وحدّث بها، وأخذ عنه الرئيس أحمد بن رشيق حاكم ميورقة[3].

وكان أحمد بن رشيق من كبار رجال دولة مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة، تولّى شئون الحكم في جزيرة ميورقة، وكان عالماً من علماء الحديث، فقيهاً أديباً شاعراً[4]. ويعود الفضل لابن رشيق، في حماية ابن حزم العالم الحافظ، من خصومه وتوفير الرعاية له، وكان دخول ابن حزم إلى جزيرة ميورقة حوالي عام ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م، وظل ابن حزم يتمتع بالرعاية في ميورقة إلى أن توفي أحمد بن رشيق حوالي ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م، حيث تمكن منه خصومه، واضطروه للرحيل عن ميورقة[5].

وكان علي بن أحمد بن سعيد بن حزم العالم الظاهري، من كبار الحفّاظ، اشتهر بمعرفته لجميع علوم عصره وإجادتها، وقد ذكر ابنه الفضل ويكنى بأبي رافع « بأنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب ثمانين ألف ورقة »! وقد ترك أثراً كبيراً على علماء ميورقة، وعلى الحركة الفكرية فيها. ونظراً لكونه ظاهرياً، فقد تعرض إلى معاداة العلماء المالكية في جزيرة ميورقة[6]. الذين تحالفوا ضده بزعامة الحافظ « محمد بن سعيد الميورقي »، بعد عودته من رحلته إلى بلاد المشرق إلى ميورقة حوالي سنة ٤٣٩ هـ = ١٠٤٧ م،

---

(١) المصدر االسابق، ص ١١٨ ترجمة رقم ١٩٤. والضبي: بغية الملتمس، ص ١٧٠ ترجمة ٣٧٧. وابن بشكوال: الصلة / ١، ص ٥١ ترجمة رقم ١٠٨.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٠٥ ترجمة رقم ٧٠٠. والضبيّ: بغية الملتمس، ص ٤١١ ترجمة رقم ١١٨٤. وابن بشكوال: الصلة / ٢، ص ٤٠٥ ترجمة ٨٧٧.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٦١ ترجمة رقم ٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٢ ترجمة رقم ٢٠٨. والضبيّ: بغية الملتمس، ص ١٧٨ ترجمة رقم ٤٠. وابن بشكوال: الصلة، ص ٥٢٤، ترجمة رقم ١١٤٨.
ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ٣٣. وابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢ ص ١٢٨.

(٥) ابن الأبار: التكملة، ج ٢، ص ٩١٠ ترجمة رقم ١١٣٠.
طبعة عزت العطار الحسيني. والتكملة السفر الثالث، ص ٧١٨ ترجمة رقم ٢٠٢٧ طبعة روخس - مجريط، ١٨٨٦ م.

(٦) الضبيّ: بغية الملتمس، ص ٤١٥ ترجمة رقم ١٢٠٥. وابن بشكوال: الصلة / ٢ ص ٤١٥ ترجمة رقم ٨٩٤. وابن الابار: التكملة، ج ٢، ص ٩١٠ ترجمة رقم ١١٣٠ طبعة عزت العطار الحسيني. والتكملة / السفر الثالث، ص ٧١١ ترجمة رقم ٢٠٢٧ طبعة روخس - مجريط ١٨٨٦ م. وياقوت الحموي: معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ - ٢٥٧. والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١١٤٦ - ١٥٥. وابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٢٣٩.

واستعان بأبي الوليد الباجي الحافظ الشهير، على ابن حزم، « وتضافروا جميعاً عليه وناظراه فأفحماه وأخرجاه من جزيرة ميورقة، وكان ذلك سبب العداوة بين ابن حزم والباجي »[1].

وكان أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف، قد عاد من المشرق بعد أن أخذ عن علمائه ثلاثة عشرة عاماً، وكان ذلك في عام ٤٣٩ هـ = ١٠٤٧ م، ولما قدم إلى الأندلس، وجد من كلام ابن حزم طلاوة، إلا أنه كان خارجاً عن المذهب.. وحلّ بجزيرة ميورقة، واتبعه أهلها، فلما قدم أبو الوليد كلموه في ذلك، فدخل إليه وناظره، وشهَّر باطله وله معه مجالس كثيرة، أثرت الحياة الفكرية في جزيرة ميورقة. وأقام أبو الوليد الباجي مع أخيه ابراهيم بن خلف في جزيرة ميورقة، وأسهما بدور كبير في نشر علم الحديث ومحاربة الحركة الظاهرية، وترسيخ المذهب المالكي في جزيرة ميورقة[2].

ولم ينتصر الباجي وعلماء المالكية في ميورقة على ابن حزم بالحجة، ولكنهم تغلّبوا عليه بقوة السلطان، بعد أن توفي نصيره أحمد بن رشيق حاكم ميورقة[3].

وبالرغم من إبعاد ابن حزم عن جزيرة ميورقة، فقد ظل فكره راسخاً بين علماء هذه الجزيرة جيلاً بعد جيل، وانتقل أثر ذلك إلى علماء بلاد الأندلس والمغرب والمشرق على يد العلماء الميورقيين من رواد الحركة الظاهرية، في جزيرة ميورقة الذين تتلمذوا على يد ابن حزم. ولو رجعنا إلى كتب الطبقات، وقمنا بتحليلها وتفسيرها، وربط علماء الحديث من ذوي الاتجاه الفكري الواحد في جزيرة ميورقة، لوجدنا أن كفّة ابن حزم هي الراجحة، وأن فكره الظاهري ظلّ راسخاً في ميورقة، وانتقل مع علمائها إلى بلاد المغرب والمشرق. ومن بين هؤلاء العلماء، « علي بن رجا بن مرجّى الميورقي »، من علماء الحديث، أخذ عن ابن حزم وصحبه. وكان عالماً ظاهرياً، يتميز بالفهم، وحدّة الذكاء، والمعرفة الواسعة. ويقال بأنه « كان أفهم من ابن حزم »! نفسه وأكثر تضلعاً من المذهب الظاهري، وتوفي في ميورقة ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م[4].

---

(١) ابن الابار: التكملة، ج ١ ص ٣٩١ ترجمة رقم ١٠٩٤. ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة ج ٦، ص ٢١٦ ترجمة ٦٢٥.

(٢) الضبيّ: بغية الملتمس، ص ٣٠٢ ترجمة رقم ٧٧٧. وابن الأبار: التكملة، ج ١، ص ١٣٨ ترجمة رقم ٣٥٧. وابن بسام الشنتريني: الذخيرة ١ / ٢، ص ٩٤ - ٩٦. والقاضي عياض: ترتيب المدارك، ص ٨٠٢ - ٨٠٦. والعماد الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٣، ص ٤٧٢. وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٠٨. وابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٦٤. وياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١١، ص ٢٤٦. وابن فرحون: الديباج المذهب، ص ٤٠.

(٣) محمد أبو زهرة: ابن حزم، ص ٤٨.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٣ ترجمة رقم ٧١٣. والضبيّ: بغية الملتمس ص ٤٢٢ ترجمة رقم ١٢١٩. وابن بشكوال: الصلة / ٢، ص ٤١٣ ترجمة ٨٨٨.

ومحمد بن سعدون بن مرجّى العبدري الميورقي الظاهري الحافظ الذي شهد له ابن عساكر، بأنّه أحفظ علماء عصره في الحديث[1]. وعبدالله بن محمد بن الحكم بن عتيق الميورقي، «صاحب ابن حزم، حدّث عنه في العراق وخراسان، محمد بن عبدالله بن كفيل الأندلسي[2]. ومحمد بن عمّار الكلاعي الميورقي الظاهري، له رحلة إلى الشرق، روى فيها عن علماء الحديث في منورقة ومصر، واستقر في بجاية في المغرب الأوسط، «سمع منه أبو بكر بن المغربي في رحلته إلى الشرق ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م، ووصفه بالعالم! وقد اشتهر كذلك بقصيدته الطويلة على رويّ النون في السنة والآداب الشرعية يوصي ابنه حسناً»[3]. وروى عنه كثيرون منهم، «علي بن يوسف بن خلف بن غالب العبدري الميورقي[4] الذي أخذ عن ابن حزم، وتأثر بأفكاره وأصبح ظاهرياً، ولكنه ترك مذهب ابن حزم في بغداد، وأصبح شافعياً»، وله تعليق على مذهب الشافعي، صحبه أبو بكر بن العربي في بغداد، وأخذ عنه وأثنى عليه، وكان حياً ببغداد ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م، وذكره أبو نصر ابن ماكولا الحافظ صاحب كتاب الإكمال وقال: «صديقنا الفقيه أبو الحسن العبدري من أهل الفضل والمعرفة والأدب من جزيرة ميورقة[5].

وأشهر من أخذ عن أبي حزم في جزيرة ميورقة، وأكثر علمائها شهرة بعلم الحديث العالم الحافظ الشهير «محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الميورقي»، صاحب كتاب الجمع بين الصحيحين، «صحيح البخاري ومسلم». الفقيه المؤرخ الأديب الشاعر.. «الحجة العلّامة، توفي في بغداد في عام ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م، عن نحو سبعين سنة. وكان أحد أوعية العلم!! ظاهري المذهب أكثر من ابن حزم وابن عبد البر النمري. حدّث عن كثيرين، ورحل عن جزيرة ميورقة حوالي عام ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م، وسمع بالقيروان والحجاز ومصر والشام والعراق، وكان دؤوباً على طلب العلم، كثير الاطلاع، فطناً ذكياً ورعاً متقفاً كثير التعاون حجة ثقة..». وكان صاحب مدرسة

---

(١) ابن بشكوال: الصلة / ٢ ص ٥٦٤ ترجمة رقم ١٢٣٨. وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٦ - ٢٤٧. الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج ٤ ص ٥٧. وتذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٢٧٣ - ١٢٧٥. والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣ ص ٩٣. وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ٧٠.
والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٥٣٤.

(٢) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، ص ١٠ ترجمة ٢١٨. والمختصر المحتاج إليه في تاريخ الحافظ أبي عبدالله محمد بن سعيد الدبيثي، مستدرك التراجم، ج ٢، ص ٣٠٩ ترجمة رقم ١١٤.

(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ص ٨٢٦. وابن الأبار: التكملة / ١، ص ٤٠٣ ترجمة ١١٣٢ طبعة عزت العطار الحسيني.

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة للموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول، ص ٤٢٤ ترجمة ٧٢٤.

(٥) السمعاني: الانساب، ج ٣، ص ٧٢٤.
وعبد الوهاب بن علي السبكي / طبقات الشافعية الكبرى، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ترجمة رقم ٥٠٢.

من مدارس الحديث في بغداد، وأخذ عنه كثيرون من علماء المشرق طيلة أربعين سنة قضاها في بغداد كبرى المراكز العلمية في العالم الإسلامي آنذاك[1]!

وكان والده «فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الأزدي القرطبي الرصافي المولد الميورقي السكنى من علماء الحديث في جزيرة ميورقة. وقد أخذ عن أبيه الحافظ محمد بن نصر الحميدي الميورقي، وكان والده يحمله وهو في الخامسة من عمره إلى مسجد مدينة ميورقة ليسمع الحديث ٤٢٥ هـ = ١٠٣٣ م[2]! وبالإضافة إلى الدور الكبير لابن حزم والباجي ومحمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الميورقي في نشر علم الحديث في ميورقة، فقد كان للحافظ يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري = أبي عمر الفقيه المحدّث دور في نشر علم الحديث في جزر البليار لا يقل عنهم. فقد أقام فترة طويلة في دانية العاصمة السياسية للمملكة المجاهدية العامرية في «دانية وجزر البليار»، وألّف في الموطأ كتباً عديدة منها «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، و«كتاب الاستذكار» و«كتاب التقصّي والاستيعاب»، «وجامع البيان» وغيرها. وكان «إمام الأندلس قاطبة في علم الشريعة، ورواية الحديث وحافظها الذي حاز قصب السبق». وقد أخذ عنه ابن حزم والحميدي الميورقي[3].

كما روى عنه المحدّث الميورقي «غالب بن عبدالله القيسي القطيني»[4]. كما روى عن أبي عمرو المقري «عثمان بن سعيد الصيرفي» الذي اشتهر بعلم الحديث، كما اشتهر بعلم القراءات.

---

(١) الضبيّ: بغية الملتمس، ص ١٢٣ - ١٢٤ ترجمة رقم ٢٥٧. وابن بشكوال: الصلة/ ٢ ص ٥٦١ ترجمة رقم ١٢٣. وياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٨ ص ٢١٢.
وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٨٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٣١٧ ترجمة رقم ١٨٦٧. ومخطوط الأنساب للسمعاني: نشر مرجليوث ورقة ١٧٧، وجه وظهر والسمعاني: الأنساب ج ٤، ص ٢٦٢ - ٢٦٤.
وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٢٠٨. والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٢١٨ - ١٢٢٣. والعبر في خبر من غبر، ج ٣، ص ٢٢٩.
وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٩٢. والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ١١٢ و ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ١١٣.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٦٧ ترجمة رقم ٨٧٤. والضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٨٩ ترجمة رقم ١٤٤٣. وابن بشكوال: الصلة / ٢، ص ٦٧٧ ترجمة رقم ١٥٠١. والقاضي رياض: ترتيب المدارك، ص ٨٠٨ - ٨١٠. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٤٠٧ - ٤٠٨. والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ١١٢. والعبر في خبر من غبر، ج٣، ص ٢٥٥. وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣١٥. والمقري: نفح الطيب، ج٣، ص ١٦٩ - ١٧١. وص ١٩٢. وابن فرحون: الديباج المذهب، ص ٣٥٧.

(٤) ابن الأبار: التكملة / ١، ص ٥٢٠ ترجمة رقم ٩٥٦. والذيل والتكملة / السفر الخامس / ٢، ص ٥١٧ - ٥١٨ ترجمة رقم ٩٨٣.

وكان لوجوده في جزيرة ميورقة طيلة ثمانية أعوام ٤٠٩ - ٤١٧ هـ = ١٠١٨ - ١٠٢٦ م ، أثر كبير على ازدهار هذين العلمين في جزر البليار ، خاصة في جزيرة ميورقة[١] .

وكان لعلماء صقلية دور هام في ترسيخ علم الحديث في جزر البليار ، ومن الذين وفدوا إلى هذه الجزر من صقلية « الحاج أبو حفص عمر بن عبد الملك الزيّات الصقلي ، وقد حدّث في جزيرة يابسة »[٢] .

وموسى بن عبدالله بن الحسين بن أبي البسام « أصله من الكوفة ، ثم صار إلى صقلية ، ودخل الأندلس مجاهداً ، وأخذ عنه بميورقة »[٣] . وقد استقر ابنه الحسن بن موسى بن أبي البسام في ميورقة ، « وتولّى الخطبة والصلاة في جامعها ، حدّث عنه ابنه عبد العزيز بن الحسن »[٤] . كما وفد من صقلية إلى جزيرة ميورقة المحدّث الشاعر أبو العرب الصقلي « مصعب بن محمد بن أبي الفرات » . روى عن محمد بن علي بن الحسن بن علي التميمي (من أهل القيروان وساكني صقلية ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن البر ، وأبو العرب الصقلي ، هو آخر من حدّث عنه) . وأقام أبو العرب الصقلي في جزيرة ميورقة ، بعد تغلب النورمان على جزيرة صقلية ، وعاش تحت رعاية أمير البليار مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، إلى أن توفي في جزيرة ميورقة قبيل العدوان الصليبي عليها ٥٠٦ هـ = ١٠١٣ م[٥] .

وكما أخذ علماء جزر البليار عن علماء الحديث الذين وفدوا إلى هذه الجزر من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وصقلية ، فقد قدّم علماؤها الكثير ، وأسهموا بدور كبير في نشر علم الحديث في شتّى أرجاء العالم الإسلامي ، ومن بين هؤلاء « علي بن أحمد بن عبد العزيز بن طنيز الأنصاري الميورقي » ، المتوفى ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م . أخذ عن علماء ميورقة ، وأخذ عنه علماء دمشق ، وسمعوا منه ما رواه عن أبي محمد بن غانم بن الوليد المخزومي ، وأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البرّ النمري ، وأبي الحسن علي بن عبد الغني القيرواني . كما روى عنه علماء الحديث في العراق . وبالإضافة إلى معرفته بعلم الحديث ، فقد كان على معرفة بكافة العلوم النقلية في عصره .

ومما يدعو للدهشة بأنّه توجّه من العراق إلى عُمان ، وأخذ عنه علماؤها ، ومن عُمان توّجه

---

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٨ .
(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة / السفر الخامس / ١ ص ٣٦ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٦١٣ ترجمة رقم ١٣٤ .
وميخائيل أماري : المكتبة الصقلية ، ص ٤٨ .
(٤) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ٢٦٠ ترجمة رقم ٦٨٨ .
(٥) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٧٠٣ ترجمة رقم ١٧٨٦ طبعة عزت العطار الحسيني . والمعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

بحراً إلى زنجبار في شرق إفريقية ، وأخذوا عنه ، وعاد من زنجبار إلى بغداد وتوفي فيها ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م[١] .

ومن علماء ميورقة الذين أخذ عنهم علماء دمشق علم الحديث « الحسن بن أحمد بن عبدالله ابن موسى بن علّوز » ، ويكنى بأبي علي الغافقي الميورقي . ويذكر ابن عساكر بأن الدمشقيين سمعوا من أبي علي الميورقي الحديث أثناء قدومه إلى دمشق ، وهو في طريقه إلى بغداد ، وأثناء عودته من بغداد في طريقه إلى بلاده[٢] . ويعرف « ابن علّوز » المذكور « بابن العنصري » ، وكان مولده في جزيرة ميورقة في عام ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م وسمع فيها من أبي القاسم عبد الرحمن ابن سعيد المحدّث الفقيه ، وبعد رحلته إلى المشرق ، عاد إلى ميورقة وحدّث فيها[٣] .

وكان يفد إلى جزر البليار طلاب علم الحديث من بلاد الأندلس لشهرتها بهذا العلم ، وكان من بين هؤلاء « عبد الله بن الفضل البونتي » ، الذي استقر في جزيرة ميورقة لأخذ علم الحديث عن علمائها ، وظل مقيماً فيها إلى أن توفي في عام ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م[٤] .

وأبو بحر الأسدي « سفيان بن العاص » ، الحافظ الذي قدم إلى ميورقة للتزود بمزيد من المعرفة في علم الحديث ، وأخذ عن الحافظ « معاوية بن عامر بن البشر المخزومي الميورقي »[٥] .

ويعتبر « سفيان بن العاص » من كبار علماء الحديث في مربيطر ، من أعمال بلنسية ، في شرق الأندلس[٦] . ومن العلماء الميورقيين الذين تأثر بهم الحافظ « سفيان بن العاص » ونحا منحاهم ، وسار على طريقتهم ، العالم المحدّث « إبراهيم بن يحيى بن موسى الكلاعي الميورقي »[٧] .

وقد أسهم علماء جزيرة يابسة أيضاً في علم الحديث ، ومن بين علمائها في هذا المضار أحمد العجيفي العبدري[٨] . حدّث عن أبي عمران الفاسي « موسى بن عيسى ابن أبي وجّاج » كبير

---

(١) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٢٤٤ ترجمة رقم ٤٠٩ طبعة الأركون ، وجنزليز بالنسيا مدريد ١٩١٥ .
وأبو الحسن علي بن محمد العافري : الحدائق الغنّاء ص ١١٣ .
وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٧ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة / السفر الخامس / ١ ، ص ١٦٤ ترجمة رقم ٣٢٥ .
(٢) بدران : تهذيب تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر ، ج ٤ ، ص ١٥١ .
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ .
(٤) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٨٠٧ ترجمة رقم ١٩٧٠ طبعة عزت العطار الحسيني .
(٥) ابن بشكوال : الصلة / ١ ، ص ٦١٥ ترجمة رقم ١٣٤٦ .
(٦) الضبّي : بغية الملتمس ، ص ٣٠٤ .
(٧) ابن بشكوال : الصلة / ١ ، ص ٩٧ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٦٩ ترجمة رقم ١٥٠ .

علماء القيروان ، وكان حافظاً مقرئاً فقيهاً ، توفي في عام ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م[١] .

كما أخذ عن أحمد العجيفي العبدري اليابسي ، كبير علماء الأندلس في عصره في علم الحديث ، وحافظها الشهير أبي علي بن سكرة « حسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرّة » ، قدم عليه في يابسة وروى عنه[٢] . ويدعى ابن سكرة بأبي علي الصدفي القاضي الشهيد ، أخذ في يابسة عن أحمد العجيفي العبدري . . وله رحلة إلى الشرق ، ودخل بغداد ٤٨٢ هـ = ١٠٨٩ م ، وأخذ عن الحميدي الميورقي أثناء إقامته في بغداد ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م . وكان حافظاً جليلاً ، وله العديد من الطلاب في علم الحديث ، استشهد في وقعة قتندة ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م[٣] .

كما اشتهر بعلم الحديث في جزيرة يابسة إدريس بن اليمان الشاعر اليابسي المشهور ، وكان يدعى بالشبيني ، نسبة إلى شجر الصنوبر الذي تشتهر به جزيرة يابسة والذي يعرف بهذا الاسم بالأعجمية الدارجة في الجزيرة Sabini ، وكان شاعراً أديباً محدثاً ، وقد روى عنه خلف بن هارون القطيني الميورقي[٤] .

وبالرغم من الاجتياح الصليبي لجزر البليار ، وإفناء معظم سكان جزيرتي ميورقة ويابسة ، خلال عامين من الصراع الدامي (٥٠٨ - ٥٠٩ هـ = ١١١٥ - ١١١٦ م) . فقد تمكن المرابطون من تعمير هذه الجزر ، خلال فترة وجيزة ، وسرعان ما استعادت حيويتها من جديد[٥] . وعادت ثانية إلى مسيرتها الحضارية ، لتسهم بنصيب وافر في علم الحديث ، وظل لهذا العلم شهرته في جزر البليار بعد الفتح المرابطي ، وحتى نهاية آخر العهود الإسلامية في هذه الجزر . ومن الذين اشتهروا بهذا العلم في عهد المرابطين من لمتونة ومسوفة ، « محمد بن سعدون بن مرجّي » العبدري الميورقي الحافظ . ويعتبر من أنبه تلاميذ الحافظ الحميدي الميورقي ، وظل محافظاً على مذهبه الظاهري بعد رحيله عن ميورقة إلى بغداد . وقد شهد له الحافظ ابن عساكر بالمعرفة الواسعة في علم الحديث . وقد وصفه الحافظ السلفي[٦] . بعد أن قابله في بغداد قائلاً ، « من أعيان الإسلام

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٦١١ ترجمة رقم ١٣٣٧ .
وابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٦٨٦ طبعة عزت العطار الحسيني .
(٢) ابن بشكوال : الصلة / ١ ، ص ٦٩ ترجمة رقم ١٥٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٩ ترجمة رقم ١٥٠ . والمقري : نفح الطيب ج ٢ ص ٩٠ .
(٤) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ٢٩٧ ترجمة رقم ٨٠٩ .
(٥) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء / تحقيق د ، أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٢ - ١٢٤ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ص ٣٠٥ .
والحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ .
(٦) السلفي : أحمد بن محمد بن أحمد الأصفهاني السلفي الحافظ ، يكنى بأبي طاهر السلفي ، قدم إلى الشام من بغداد ٥٠٩ هـ = ١١١٥ م ، وتوجه إلى مصر ، واستقر بالاسكندرية . وكان من أعلم رجال عصره في علم=

في مدينة السلام » ، وعاش في بغداد (مدينة السلام) حتى وفاته ، وكانت له آراء فلسفية في المذهب الظاهري ، تركت أثراً واضحاً على عدد كبير من العلماء الذين أخذوا عنه في بلاد المشرق[١] .

« ويوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي بن نادر » ، اللخمي الميورقي ، من كبار علماء الحديث وحفاظه ، توجّه إلى بلاد المشرق للتزوّد بالمعرفة . وقد أخذ عن علماء دمشق وبغداد ، وكان قدومه إلى دمشق في عام ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م ، وتوجّه من دمشق إلى الاسكندرية ، وعلّم فيها علم الحديث ، وأخذ عنه كثيرون ، إلى أن توفي ٥٢٣ هـ = ١١٢٨ م[٢] .

ومن الذين أخذوا عنه علم الحديث ، ورواية البخاري بصفة خاصة ، « عثمان بن فرج العبدري السرقسطي »[٣] . « ومحمد بن يوسف بن سعادة المرسي »[٤] .

كما أخذ عن ابن نادر اللخمي الميورقي محمد بن خلف بن صاعد الغساني[٥] . وعتيق بن أحمد ابن عبد الرحمن الأزدي الأوريولي ، ويكنى بأبي بكر بن جربقبر[٦] . وعلي بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الكومي[٧] . كما أجاز لعتيق بن علي الأموي المربيطري ، المرابط في رابطة البتّي في مالقة[٨] ! وكتب عن الاسكندرية بالإجازة « لعاشر بن محمد بن عاشر الأنصاري »[٩] . وهو غيض من فيض مما قام به هذا الحافظ الميورقي من دور في نشر علم الحديث في شتى أقطار العالم الإسلامي .

= الحديث ، وأخذ عنه في الاسكندرية كثيرون (بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ١ ص ٤٩٤ . وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ص ٥٥٥ . والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٧ ص ٣٥١) .
(١) ابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٥٦٤ ترجمة رقم ١٢٣٨ . وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . والذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ص ١٢٧٣ - ٧٥ والعبر في خبر من غبر ، ج ٤ ، ص ٥٧ . والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٣ ص ٩٣ .
وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٧٠ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ .
(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ٢١٠ ترجمة رقم ٤٠٨ . وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ . والذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج ٤ ، ص ٥٤ .
وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٦٧ .
(٣) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ٧٥ - ٧٦ ترجمة رقم ١٨٣٤ .
(٤) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٤٧٧ ترجمة رقم ١٣١٣ .
(٥) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة ج ٦ ، ص ٥١٩ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
(٦) المصدر السابق / السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١١٤ ترجمة رقم ٢٢١ .
(٧) نفس المصدر السابق ص ١٥٨ .
(٨) نفس المصدر السابق ، ص ١٢١ ترجمة ٢٣٨ .
(٩) نفس المصدر السابق ص ٩٩ ترجمة ١٨٢ .

كما اشتهر بهذا العلم من كبار الحفاظ ، « محمد بن الحسين بن أحمد بن الأنصاري الميورقي الغرناطي الإقامة » ، من كبار علماء الحديث ، كان ظاهرياً صوفياً ، واستقر به المطاف في نهاية الأمر في بجاية في المغرب الأوسط ، وبها توفي سنة ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م . « وكان محدثاً عالي الرواية ، عارفاً بالحديث وعلله وأسماء رجاله »(١) . وعبد الرحمن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله ابن عمير السرقسطي الأصل ، الميورقي الإقامة والمنشأ . حدّث بميورقة ، وسمع منه فيها أبو محمد ابن سهل المنقوري ، وغيره توفي حوالي ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م(٢) .

والمنصور بن محمد بن الحاج داوود بن عمر الصنهاجي اللمتوني ، يكنى أبا علي ، سمع من كبار علماء الأندلس في قرطبة ومرسية وبلنسية ، ومن علماء المغرب في فاس . « وكان من أهل المعرفة والحفظ ، روى الحديث عن كبار علماء الأندلس والمغرب . . وكان من رؤساء لمتونة ، موصوفاً بالذكاء والفهم » . تولى حكم بلنسية أحد عشر عاماً ليحيى بن غانية المسوّفي . ولما انتقض حكم المرابطين في الأندلس ، لجأ إلى جزيرة ميورقة ، وسمع منه كثيرون ، إلى أن توفي سنة ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م ، في ميورقة . وفي رواية أخرى ، بأنه لجأ إلى جزيرة يابسة وتوفي فيها(٣) .

وعبد الله بن محمد بن سهل العبدري الميورقي ، اشتهر باسم المنقوري ، نسبة إلى بلدة منقور في شمال شرقي جزيرة ميورقة . أخذ علم الحديث عن علماء الأندلس ، وعاد إلى ميورقة ، حيث تولى الخطبة بجامعها . وتفرغ لدراسة الحديث ، وأخذ عن نزيل ميورقة عبد الرحمن بن أحمد بن عمير السرقسطي ، وسمع منه موطأ مالك ، « وحدّث وأخذ عنه أبو عبد الله محمد بن المعز اليفرني وغيره ، إلى أن توفي في عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م »(٤) .

وسهيل بن أمية الأزدي الميورقي ، من كبار علماء الحديث بميورقة ، « حدّث عنه أبو عبد الله محمد بن المعز اليفرني »(٥) .

وعلي بن خلف بن عمر بن هلال الغرناطي الأصل ، الميورقي السكنى ، استقر بجزيرة ميورقة واستوطنها ، « وحدّث فيها ، وأخذ عنه ، وكان جواداً له رواية وعناية بالحديث » ، إلى أن

(١) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ٤٤٠ ترجمة ١٢٥٩ . والمعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ، ص ١٤٣ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ١٦٩ ترجمة ٤٥٢ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٥٥ . ود . إحسان عباس : أخبار وتراجم اندلسية من معجم السلفي ، ص ١٢٠ – ١٢١ .

(٢) ابن الأبار : التكملة / السفر الثاني ص ٥٦٣ ترجمة رقم ١٥٩٨ . وشكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ص ١٥٥ .

(٣) ابن الأبار : التكملة / ٢ ص ٧١٢ ترجمة ١٨٥٨ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٤) المصدر السابق ص ٨٤٠ ترجمة ٢٠٤٥ .

(٥) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٣٢٧ ترجمة رقم ٦٥٩ طبعة مدريد ١٩١٥ م .

توفي في ميورقة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م(١) .

وإبراهيم بن ميمون بن الفتح بن فتحون الحضرمي ، ويكنى بأبي اسحق بن فتحون ، « ولّي قضاء ميورقة ، وحدّث فيها ، وأخذ عنه الموطأ إلى أن توفي ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م »(٢) . ومحمد بن يوسف من أهل ميورقة ، طرطوشي الأصل ، ويعرف « بابن ختي فضل » . روى عن أبي اسحق ابن فتحون ، وعن أبي إبراهيم بن عائشة ، وحدّث في ميورقة ، وكان قائماً على المدونة ، معروفاً بالصلاح ، أخذ عنه أبو اسحق بن عائشة » ، توفي ٥٩٣ هـ = ١١٩٦ م(٣) .

واسحق بن محمد بن علي العبدري الميورقي ، ويعرف بابن عائشة ، ويكنى أبا إبراهيم . روى عن أبي اسحق بن فتحون ، وعن أبي اسحق الغرناطي ، « إبراهيم بن الحاج أحمد » ، وأخذ عنه جماعة من ميورقة ، إلى أن توفي ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م(٤) .

ومحمد بن محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ، القرطبي الأصل ، الميورقي السكنى ، أخذ علم الحديث عن أبي الوليد بن رشد ، العالم الجليل ، وعن أبي بحر الأسدي « سفيان بن عوف » ، وعن أبي علي بن سكرة الحافظ الشهير ، وعن أبي بكر ابن العربي ، لجأ إلى ميورقة في عام ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م ، وحدّث بها ، إلى أن توفي ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م(٥) .

وإدريس بن مدرك الميورقي ، من أعرق أسر ميورقة الإسلامية ، ومن كبار حفاظها . أخذ عنه كثيرون . « وكانت له ولسلفه أصالة ، فقد ظلّت أملاكهم بأيديهم من فتح ميورقة . . » توفي في عام ٥٩٠ هـ = ١١٩٣ م(٦) .

ويوسف بن اليسع الداني الأصل ، الميورقي السكن والإقامة . كان بصيراً في علم الحديث ، وأخذ عنه جماعة في ميورقة ، منهم أبو الحجاج يوسف بن قاسم بن زهير ، توفي حوالي ٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م(٧) .

ومن القضاة الذين كان لهم معرفة واسعة في علم الحديث في ميورقة في عهد المرابطين من لمتونة ، قاضيان من أحفاد عصام الخولاني فاتح جزر البليار ، الأول منهما هو : أبو الحسن علي ابن مسعود بن علي بن مسعود بن اسحق بن إبراهيم بن عصام الخولاني ، « ولّي قضاء ميورقة ، إلى

(١) المصدر السابق : السفر الثالث ، ص ٦٧١ ترجمة رقم ١٨٦٦ طبعة روخس مدريد ١٨٨٦ م . ومخطوط تاريخ الإسلام للذهبي ، باريس رقم ٤٢٢٧ ورقة ٢٩٨ أ .

(٢) ابن الابار : التكملة / ١ ، ص ١٥٠ ترجمة رقم ٣٨٨ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ ترجمة رقم ١٠٥٩ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ ترجمة رقم ٥١١ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١٨ ترجمة رقم ١٤١٤ .

(٦) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ١٩٣ ترجمة رقم ٥١١ .

(٧) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ترجمة رقم ٨١٥ طبعة مدريد ١٩١٥ م .

أن توفي ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م ، وكان حافظاً « للمدونة » بارعاً في علم الحديث ، وأخذ عنه كثيرون في ميورقة وسرقسطة في الثغر الأعلى الإسلامي »[١] .

أمّا الثاني من هذين القاضيين فهو : عصام بن مسعود بن علي بن مسعود بن اسحق بن إبراهيم ابن عصام الخولاني ، « استقضي بالجزائر الشرقية (جزر البليار) بعد أخيه أبي الحسن ، وكان من رواة الحديث الحاذقين بمعرفته ، توفي ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م[٢] . ومن المحدثين من الأفراد المنفيين في ميورقة ، « مروان بن عبد الله بن مروان » ، تولّى القضاء في بلنسية ، وثار على المرابطين ، وكان أميرهم آنذاك ، « عبد الله بن محمد بن غانية » ، الذي تمكن من اعتقاله ، وأخذه معه إلى ميورقة حيث بقي فيها اثني عشر عاماً ، وكان محدّثاً ، روى عن أبي علي الصدفي[٣] .

ومن الذين اشتهروا بعلم الحديث في ميورقة من أصلاء أهلها :

عمر بن محمد الميورقي ، روى عن أبي علي الصدفي[٤] . وعمر بن هشام الغساني الميورقي ، روى عنه أبو الحسن بن يحيى بن الأخفش[٥] . والقاسم بن يوسف بن زهير المعافري الميورقي المحدّث ، وقد أجاز له أبوه يوسف[٦] . ولب بن محمد بن سعيد الحضرمي الميورقي ، روى عن أبيه ، « وله إجازة عن أبي زكريا بن علي الداني المصلي بجامع العيثم في مصر[٧] . ومحمد بن حسين بن سعيد بن الخضر الميورقي ، روى في ميورقة عن أبي اسحق بن فتحون ، وأخذ عن علماء المشرق في مصر ومكة ، « وله إجازة عن أبي زكريا بن علي الداني المصلّي بجامع العيثم في مصر » ، روى عنه في ميورقة أبو الحجاج ابن زهير بن قاسم السعدي[٨] . وعبد الرحمن بن سعيد الميورقي ، حدّث عنه أبو علي الحسن أحمد بن علّوز الغافقي[٩] . وعبد العزيز بن علي بن محمد التميمي من أهل

(١) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة / السفر الخامس ، ص ٤٠٨ ترجمة ٦٨٧ . والتنبكتي : كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص ١٩٨ .

(٢) ابن الأبار : التكملة / ٢ ص ٢٤٤ ترجمة رقم ٤٠٩ طبعة مدريد ١٩١٥ م .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة / السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١٤٨ ترجمة رقم ٣٠٣ .

(٣) ابن الأبار : المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ص ٢٩٩ ترجمة ١٧٥ .
والحلة السيراء ، ج ٢ ص ٩٨ . والتكملة / ٢ ص ٦٩٦ ترجمة رقم ١٧٥١ .
وابن دحية . المطرب ، ص ٨٠ وص ٨٢ .

(٤) محمد بن محمد الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة / السفر الخامس القسم الثاني ، ص ٤٧٠ ترجمة رقم ٨٢٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٧٢ ترجمة رقم ٨٣٧ .

(٦) نفس المصدر السابق ص ٥٧٢ ترجمة رقم ١١٠٩ .

(٧) نفس المصدر السابق ص ٥٧٩ ترجمة رقم ١١٣٥ .

(٨) نفس المصدر السابق ج ٦ ، ص ٢٧٢ ترجمة رقم ٤٦٠ .

(٩) ابن الأبار : التكملة ص ٥٥٢ ترجمة رقم ١٥٥٩ طبعة روخس مدريد ١٨٨٦ م .

ميورقة ، سمع من أبي بحر الأسدي ، وعني بالرواية عناية كبيرة[١] .

وأحمد بن محمد بن خميس الحضرمي الميورقي ، أخذ عن علماء بغداد ، وروى ببغداد عن أبي بكر الطرطوشي ، وعن أبي عامر محمد بن سعدون بن مرجى الميورقي نزيل بغداد ، وكان يصلي بالوزير علي بن طرّاد الزيني[٢] .

وأبو القاسم عبد الوهاب بن سعيد من أهل ميورقة ، يقول عنه ابن الأبّار ما يلي : « قرأت بخط الثقة علي حسين بن محمد بن عريب الطرطوشي ، قال : نهضت مع أبي إلى ميورقة ، ولقيت الفقيه الحافظ أبا القاسم عبد الوهاب بن سعيد » ، وحدّث عنه كثيرون ، منهم أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف[٣] .

ومحمد بن عبد الرحمن بن فضل اللخمي ، ميورقي الأصل ، إشبيلي السكنى ، من ذرية الكاتب أبي محمد عبد الله بن محمد بن أيوب بن فضل ، وجدّه هو أبو القاسم المنجّم المشهور ، روى عن القاضي أبي بكر بن العربي ، وروى عنه كثيرون[٤] . ومحمد بن جعفر الكاغدي ، من أهل العلم والمعرفة بالحديث ، توفي في جزيرة ميورقة حوالي ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م[٥] . ويحيى بن ياسين اللمطي ، من أهل ميورقة ، ويعرف بابن اللولو ، حدّث عنه أبو عبد الله بن المعز اليفرني[٦] . ويوسف بن قاسم بن زهير المعافري الميورقي ، يكنى أبا الحجاج ، روى عن أبي الحجاج بن اليسع ، وعن أبي محمد بن وقاص وغيرهما . « ولّي الصلاة والخطبة بجامع مدينة ميورقة ٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م ، وكان يسمع الحديث ، توفي بمراكش »[٧] . وأبو الأصبغ عبد العزيز بن الحسن الحضرمي الميورقي ، من علماء الحديث في ميورقة ، « كتب بالإجازة لعبد الملك بن محمد ابن خلصة بن أبي الخصال »[٨] . وأبو بكر بن الحسن الميورقي ، روى عنه طاهر بن أحمد بن عطية المري[٩] . وعلي بن محمد بن زيد الميورقي ، أخذ عنه أبو بكر بن مسدي ، وذكره في معجم شيوخه[١٠] .

(١) المصدر السابق ص ٧٢٦ ترجمة رقم ١٧٥٥ نفس الطبعة .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٧ ص ٤٠٠ ترجمة رقم ٣٣٩٧ .

(٣) ابن الأبار : التكملة / ٢ ص ٢٩١ ترجمة رقم ٥٥٤ طبعة مدريد سنة ١٩١٥ م .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة ج ٦ ص ٣٥٧ ترجمة رقم ٩٤٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤٠٨ .

(٦) ابن الابار : التكملة / ٢ ص ٧٦٣ طبعة مدريد سنة ١٩١٥ . و ص ٣٧٥ طبعة روخس بمجريط سنة ١٨٨٦ م .

(٧) المصدر السابق ص ٣٨٨ ترجمة رقم ٨٢٤ .

(٨) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول ، ص ٤٣ .

(٩) المصدر السابق / بقية السفر الرابع ص ١٥٢ ترجمة رقم ٢٧٧ .

(١٠) نفس المصدر السابق / السفر الأول / القسم الثاني ، ص ٣٩٦ .

وعبد الله بن وقاص اللمطي الميورقي ، ويكنى أبا محمد ، وروى عن أبي القاسم عبد الرحمن ابن أحمد بن عمير الثقفي ، وكان سماعه منه سنة ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م في ميورقة ، وتوجه بعدها إلى بلاد المشرق لتأدية فريضة الحج ، وسمع من علمائه ، وبعد عودته إلى ميورقة ، « ولي الصلاة والخطبة بجامع مدينة ميورقة . . » . وقد « حدّث عنه ابنه أبو عبد الله ، وأبو عبد الله البنيولي وغيرهما ، واستشهد في الحادث الكائن بقصر ميورقة عند وفاة أميرها اسحق بن محمد سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م »[١] .

محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الجليل العبدري الميورقي ويعرف بالبنيولي ، روى عن أبيه وعن أبي محمد عبد الله ابن وقاص ، وكان حافظاً نبيهاً ، توفي حوالي سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م[٢] .

ومحمد بن عبد الله بن محمد بن وقاص اللمطي ، من أهل ميورقة ، أخذ علم الحديث عن والده ، وعن بقية علماء ميورقة ، وتوجه إلى المشرق لتأدية فريضة الحج ، وأخذ عن علماء الشام ومصر والحجاز . . « وحدّث بالموطأ ، ودعي إلى ميورقة ، وتولى الصلاة بجامعها . . » . صحب يحيى بن اسحق بن غانية ، وتوجّه معه إلى إفريقية ، وكان من كبار خطباء المعسكر الميورقي . واشتهر أبو عبد الله بالخطابة والبلاغة ، أخذ عنه علم الحديث في ميورقة وإفريقية إلى أن توفي ٦٠٨ هـ = ١٢١١ م[٣] .

ومحمد بن الحسن بن الخضر الميورقي ، أخذ علم الحديث عن علماء بلده وعن علماء المشرق أثناء تأديته لفريضة الحج ، أكثر السماع عن علماء الحديث بالاسكندرية خاصة عن أبي الطاهر السلفي ، « وكان من أهل الطلب والورع ، وحدّث وأخذ عنه بميورقة . . » توفي حوالي سنة ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م[٤] .

« محمد بن المعز اليفرني الميورقي » ، سمع الحديث من كبار علماء ميورقة ، « من أبي اسحق الغرناطي ، وأبي محمد المنقوري ، وأبي محمد بن فتحون . . » ، وغيرهم . وقد حدّث كثيرون عنه ، توفي حوالي سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م[٥] . وإبراهيم بن محمد بن محمد بن شعبة بن عيسى بن محمد بن حيّون الغساني ، من أهل وادي آش ، سمع من علماء الحديث المشهورين في الأندلس ، وأجازوا

---

(١) ابن الأبار : التكملة / ٢ ص ٨٥٩ ترجمة رقم ١٠٦٨ .

(٢) ابن الأبار : التكملة / ٢ ص ٥٦٧ ترجمة ١٥١٧ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٣) المصدر السابق ص ٦٠٨ ترجمة رقم ١٦٠١ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة / ج ٦ ص ٣١٥ ترجمة رقم ٨١٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٠ ترجمة رقم ٤٢٩ .

(٥) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٥٨٢ ترجمة رقم ١٥٥٥ طبعة عزت العطار الحسيني .

له ، واعتنى بشكل خاص بكتاب التيسير لأبي عمرو المقرئ ، وولّي قضاء ميورقة ، وحدّث فيها ، وأخذ عنه إلى أن خرج مصروفاً عنها سنة ٦٠٨ هـ = ١٢١١ م[١] . والحسن بن موسى بن أبي البسّام عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد ، ينسب للحسين بن علي ، سكن ميورقة ، وأقام فيها ، وأصل سلفه من الكوفة ، « ولّي الصلاة والخطبة بجامع ميورقة . . » . وحدّث عنه ابنه عبد العزيز ، وأخذ عنه كثيرون[٢] .

محمد بن أحمد بن محمد بن نافع الميورقي ، روى عن أبي عمر بن سالم الحافظ ، وحدّث في ميورقة ، وكان فاضلاً عفيفاً أديباً ذكياً . . « من بيت علم خطب أبوه بميورقة »[٣] .

القاضي أبو محمد عبدالله بن حوط الله الأنصاري الحافظ ، من كبار علماء عصره في علم الحديث ، ولّي القضاء بميورقة ، وأخذ كثيرون عنه ، توفي سنة ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م[٤] .

وعيسى بن سلمة الأنصاري ، ويكنى أبا الاصبغ ، سمع الحديث عن كبار علماء عصره واستقر في ميورقة ، وحدّث بها إلى أن توفي سنة ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م[٥] .

« عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد بن بيطل الأموي » ، روى عن أبي عبدالله الحافظ بن الفخار ، وأجاز له ، وأقام في جزيرة ميورقة في فترة حكم مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، وأخذ عن علمائها ، ولقي أبا العباس أحمد بن البنيّ اليعمري الأندي بجزيرة ميورقة ، وحفظ كثيراً من شعره ، وغادر ميورقة إلى الاسكندرية في طريقه إلى الحج ، وأخذ في الاسكندرية عن الحافظ السلفي[٦] .

ومحمد بن الحسين بن علي بن موفّق ، ويعرف بالشكّاز ، يكنى أبا عبدالله ، روى عن كبار علماء الحديث في ميورقة . . « عن أبي محمد بن حوط الله القاضي ، وأبي عبدالله بن المعز اليفرني ، وأبي عبدالله محمد بن وقاص اللمطي ، وابن غيداء محمد ابن خلف المعافري . . » . . وكان خطيب جامع مدينة ميورقة ، وأخذ عنه كثيرون ، إلى أن مرض ولزم داره . . « توفي في شعبان

---

(١) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٣ ترجمة رقم ٤٢٧ ، نفس الطبعة .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٠ ترجمة رقم ٦٨٨ .

(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ٥٨ ترجمة رقم ١١٩ .

(٤) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٢ . وابن الخطيب : الإحاطة ج ٣ ص ٤١٦ .
وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٥٠ . والذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٣٩٧ .
والمنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج ٢ ص ٢٠٤ .
وابن فرحون : الديباج المذهّب ، ص ١٤٢ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ص ٣٣٤ .

(٥) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٤٢٨ طبعة مدريد سنة ١٩١٥ م .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٦٢ . ود . إحسان عباس : أخبار وتراجم أندلسية ص ٦٧ – ٦٨ .

٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م ، قبل الحادثة العظمى على ميورقة بنحو ستة أشهر »[١] . ومحمد بن خلف المعافري الميورقي ، ويعرف بابن غيداء أخذ عنه جماعة علم الحديث ، ومنهم أبو عبد الله بن الشكّاز ، توفي في مراكش سنة ٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م[٢] .

ومحمد بن أحمد بن عبد الودود البكري ، من أهل ميورقة ، ويكنى أبا عبدالله روى عن علماء ميورقة ، وكان من أشهرهم أبو محمد بن حوط الله ، وأبو عبدالله بن غيداء ، وأبو عبدالله الشكّاز ، وأخذ عنه بجزيرة ميورقة كثيرون ، إلى أن توفي قبيل استيلاء القوات الصليبية على مدينة ميورقة سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م ، « وكان دخولهم إياها عنوة يوم الاثنين الرابع عشر من صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م »[٣] .

وكان آخر علماء ميورقة في علم الحديث التالية أسماؤهم :

محمد بن ابراهيم بن نوح بن بونة الميورقي السكنى ، الجياني الأصل ، روى عن كبار علماء عصره ، وحدّث بميورقة ، إلى أن توفي قبل الاستيلاء عليها من قبل القوات الصليبية سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م بفترة وجيزة[٤] .

ابراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد الأنصاري ، ويكنى بأبي اسحق الغرناطي ، أخذ عن كبار علماء عصره علم الحديث ، وكان فيه مجيداً ، استقر بميورقة ، وقلّده أميرها محمد بن غانية قضاءها . . « وأخذ الناس عنه ، وانتفعوا به ، ولم يدخل ميورقة مثله في دولة بني غانية وبعدهم ، إلى أن استشهد بعد تغلب الروم (الصليبيين) عليها يوم الاثنين في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م »[٥] .

وابراهيم بن اسحق بن محمد بن علي بن خلف بن أحمد العبدري الميورقي ، ويعرف بابن عائشة ، ويكنى بأبي اسحق ، روى الحديث عن أبي عبدالله المعروف بختي فضل ، « محمد بن يوسف الميورقي » ، وتفقّه به ومال إلى علم الرأي ودراسته أسره العدو في الحادثة على بلده (في ١٤

---

(١) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٦٢٣ ترجمة رقم ١٦٢٩ طبعة عزت العطار الحسيني .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة ج ٦ ، ص ١٧٤ ترجمة رقم ٤٧٠ .

(٢) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٥٧٠ رقم ١٥٢٨ والإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام ، ج ٣ ، ص ٦٩ .

(٣) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٦٢٤ ترجمة رقم ١٦٢٩ ، طبعة عزت العطار الحسيني . والذيل والتكملة في الموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ١٧٤ ترجمة رقم ٤٧٠ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة ج ٦ ، ص ١٠١ ترجمة رقم ٢٧٧ .

(٥) ابن الأبّار : التكملة / ١ ، ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤٠٠ طبعة عزت العطار الحسيني . والنباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٦ .

صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩) ، . . . . « وقدم بلنسية بعد خلاصه من الأسر ، فولّي النيابة في الأحكام ، ثم ولّي قضاء دانية . . » . وهاجر من دانية إلى تونس ، وصحب هناك ابن الأبار العالم المؤرخ ، وظلّ يعلم في تونس ، إلى أن توفي سنة ٦٤٢ هـ = ١١٤٤ م مرضياً حميد السيرة[١] .

وعبد الملك بن ابراهيم بن هارون العبدري الميورقي ، ويكنى بأبي مروان من كبار علماء الحديث في ميورقة ، عالم جليل ، أخذ عنه كثيرون ، إلى أن « استشهد في تغلب الروم (القوات الصليبية) على بلده يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م »[٢] .

وعبد الغني بن محمد بن عبد الغني بن حكم الأموي الغرناطي الصيدلاني ، ولّي قضاء ميورقة ، واستوطنها . ويذكر ابن الأبار بأنه سمع من علماء المشرق ، وأن والي ميورقة حجر عليه إصدار الأحكام إلا بمحضره ، لعدم نزاهته ، وانه لم يكن ضابطاً للرواية[٣] . بينما يذكر ابن الزبير ، صاحب صلة الصلة ، بأنه كان عالماً جليلاً حافظاً ، متقناً ، معتنياً ، توفي فجأة قبيل العدوان الصليبي على مدينة ميورقة سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م[٤] .

والحافظ علي بن أحمد العبدري الميورقي ، ويعرف بأبي الحسن بن المطرقة ، روى عن كبار علماء جزيرة منورقة وعلماء المشرق ، وحدّث في بلده ، إلى أن تغلّب الصليبيون عليها ، ووقع في أسرهم في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م ، وتوفي في الأسر مع الوالي أبي يحيى محمد بن علي بن أبي عمران بعد خمسة وأربعين يوماً[٥] . وكان من الذين أقاموا في إمارة الجبل المستقلة في جزيرة ميورقة من العلماء الحفّاظ بعد استيلاء القوات الصليبية على مدينة ميورقة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م ، التالية أسماؤهم :

عمر بن أحمد بن عمر العمري الميورقي من الصرحاء من ولد عمر بن الخطاب ، يكنى أبا عبدالله ، روى عن أبي عبدالله بن الشكّاز ، وأبي مروان بن الخطيب وغيرهما ، من كبار علماء الحديث في ميورقة ، وكان حافظاً مستظهر الموطأ . ولّي القضاء بالجبل بعد انحياز الفل من أهل ميورقة وأعمالها إليه ، (بقيادة أبي حفص عمر بن سيري) ، عند تغلّب الروم (القوات الصليبية)

---

(١) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ١٧١ ترجمة رقم ٤٥١ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١٢ ترجمة رقم ١١ .

(٣) ابن الأبار : التكملة / السفر الثالث ، ص ٦٥٣ ترجمة رقم ١٨٢٠ طبعة روخس مجريط ١٨٨٦ م .

(٤) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ٤٥ ترجمة رقم ٧٠ .

(٥) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٦٣٧ طبعة مدريد ١٩١٥ م .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول ، ص ١٨٣ ترجمة رقم ٣٦٤ .

عليها، توفي بحصن بلانسة (عاصمة إمارة الجبل في شمال ميورقة) سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م[١].

أحمد بن علي الأنصاري الميورقي، يكنى أبا العباس بن المواق، «وكان فقيهاً حافظاً عاقداً للشروط، ماهراً في المعرفة من أهل الوقار والنزاهة وعلو الهمة»، وأملت عليه همته أن يظل ويجاهد في جزيرة ميورقة بعد سقوط عاصمتها في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م عنوة، وانضم إلى المجاهدين بقيادة «أبي حفص عمر بن سيري» في إمارة الجبل في بلانسة في شمال ميورقة..، «فلما نزل الناس من الجبل صلحاً، توجه إلى بجاية في المغرب الأوسط، وواصل رسالته العلمية في تعليم علم الحديث، وانتقل منها إلى تونس، وكلّف ببعض الأعمال الحكومية بها، إلى أن توفي فيها، وكان مولده في ميورقة سنة ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م»[٢].

ومن المهاجرين من ميورقة التي لم تعرف الهروب الجماعي كبقية بلدان البر الأندلسي في فترة سقوط ميورقة، الذين واصلوا دورهم العلمي في بلاد المشرق والمغرب وجزيرة منورقة، التي استقل بها سعيد بن حكم بن عثمان التالية أسماؤهم:

أحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي، من كبار علماء عصره، وكان «أول طلبه للعلم شديد العناية بشأن الرواية، فأكثر سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله..»[٣]. ولم تتوقف معرفته على علم الحديث، فقد أجاد كافة علوم عصره، وكان بحق عالماً موسوعياً، وكان قاضياً في ميورقة، في الوقت الذي اجتاحت فيه القوات الصليبية مدينة ميورقة[٤]. وبعد أن تخلّص من الأسر، هاجر إلى بلنسية وبقي فيها حتى سقوطها سنة ٦٣٦ هـ = ١٢٣٨ م في يد الأرغونيين، وانتقل منها إلى المغرب، واستقر به المطاف في تونس التي بقي فيها حتى وفاته ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م[٥].

ومن علماء الحديث في جزيرة ميورقة الذين هاجروا إلى المشرق واستقروا في مصر وواصلوا رسالتهم العلمية فيها، أحمد بن اسماعيل اللمتوني الميورقي[٦]. وقد ذكر الدمياطي من

---

(١) ابن الأبار: التكملة / ٢، ص ١٤٨ ترجمة رقم ٢٤٤ طبعة مدريد سنة ١٩١٥ م.
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة السفر الخامس / القسم الأول، ص ٤٤٢ ترجمة رقم ٧٤٧.

(٢) المصدر السابق، السفر الأول / القسم الأول، ص ٣٤٥ ترجمة رقم ٤٣٦.

(٣) نفس المصدر، ص ١٥٢.

(٤) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ١٢٢.

(٥) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ٤٢ وما بعدها.
وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٦٤.
والمقري: نفح الطيب، ج ٤، ص ٤٦٩ - ٤٧١.

(٦) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ٩٤ وحاشية رقم «٧» عن معجم الشيوخ للدمياطي، طبعة باريس ١٩٦٢ م، ص ٧٤.

جملة شيوخه في القاهرة اثنين من جزيرة ميورقة[١].

ومن علماء ميورقة الذين لجأوا إلى رحاب سعيد بن حكم في منورقة وأسهموا فيها بتعليم الحديث، محمد بن علي بن اسحق بن علي بن خلف بن أحمد بن محمد بن علي العبدري الميورقي، ويعرف بأبي عبدالله بن عائشة، وأخذ عنه كثيرون في منورقة منهم «أبو محمد عبدالله مولى سعيد ابن حكم»، وهاجر من منورقة إلى تونس وتوفي فيها سنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م[٢].

وبعد سقوط ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م، وقمع المقاومة الشعبية فيها رجب ٦٢٩ هـ = مايو ١٢٣٢ م، وسقوط جزيرتي يابسة وفرمنتيرة في أيدي القوات الصليبية ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م، واصلت منورقة تحت حكم أميرها سعيد بن حكم المسيرة الحضارية لجزر البليار، ويعود الفضل في ذلك إلى أميرها العالم الحافظ سعيد بن حكم، وابنه من بعده حكم ابن سعيد، وأصبحت منورقة في عهدهما من المراكز الهامة لعلم الحديث حتى سقوطها نهائياً ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م[٣].

وكان من أبرز علماء منورقة في علم الحديث في هذه الفترة التالية أسماؤهم:

الأمير سعيد بن حكم بن عثمان، الذي كان عالماً موسوعياً في جميع علوم عصره، ومنها علم الحديث[٤]. وقد أخذ عنه كثيرون، من أشهرهم ابنه حكم بن سعيد الذي اشتهر باتقانه لهذا العلم، وقد أخذ عنه شيوخ لسان الدين بن الخطيب في غرناطة[٥]. وقد فشا هذا العلم في منورقة في عهد سعيد بن حكم، حتى بين غلمانه، ومن أشهر الحفّاظ المحدثين منهم «أبو محمد عبدالله مولى الرئيس سعيد بن حكم، وأخذ عنه كثيرون»[٦].

وغالب بن عبد الملك بن عبد العزيز بن موسى الكلبي، من علماء الحديث في منورقة، روى

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٣. والحواشي عن معجم الشيوخ للدمياطي، ص ٦٦ وص ٧٤. وقد عاش الدمياطي في القاهرة ٦١٣ هـ = ١٢١٧ م - ١٣٠٦ م. (دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، حاشية «١٦»، ص ٩٢).

(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة للموصول والصلة ج ٦، ص ٤٣٩ ترجمة رقم ١١٨٠.

(٣) دومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ١٢٤.

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة بقية السفر الرابع، ص ٢٨ وما بعدها ترجمة رقم ٦٧. وابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ٢٨ - ٤١. وابن الخطيب: أعمال الأعلام / القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٧٥ - ٢٧٦. وابن الأبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٣١٥ - ٣١٨. والغبريني: عنوان الدراية، ص ١٢٤.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام / القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٧٧.

(٦) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة ج ٦، ص ٤٣٩ ترجمة رقم ١١٨٠. وابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، ج ٣، ص ٤٦٠. ورحلة العبدري، ص ٢٨٠.

عن خاله الرئيس أبي عثمان سعيد بن حكم ، وعن أبي الحسين بن حبيش اللخمي[١] .

والعادل بن ابراهيم بن العادل العبدري المنورقي ، ويكنى بأبي الحكم ، روى عن أبي عثمان سعيد بن حكم ، وأبي الربيع بن علي الكتامي ، وأبي بكر محمد بن صاف وأبي علي التلمسني من كبار علماء الحديث في جزيرة منورقة[٢] . وأحمد بن محمد بن نجوت الحجري ، أصله من جزيرة شقر في شرق الأندلس ، وانتقل منها إلى شاطبة ، ويكنى بأبي القاسم بن يامين ، إلى حمى سعيد ابن حكم في منورقة ، وكان عالماً جليلاً وحافظاً مدققاً[٣] .

وراجح بن أبي بكر بن ابراهيم العبدري المنورقي[٤] ، يكنى أبا الوفاء .. « رحل صغيراً إلى المشرق ، وتجوّل هناك ، وسكن الاسكندرية وقتاً ، وحجّ مراراً ، وروى عن أبي القاسم الحرستاني ، وأبي اليمن الكندي ، وأجازا له .. وحدّث » ، وأخذ عنه وقد كتب بإجازة ما رواه لابن الأبار في رمضان سنة ٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م[٥] .

وعلي بن يحيى التجيبي المنورقي أبو الحسن ، روى عن أبي الحكم منذر بن محمد المنورقي ، وأبي عثمان سعيد بن حكم ، أمير منورقة ، وأبي العباس بن الفتوح ، « وكان خطيباً صالحاً فاضلاً .. ، وقد درّس في منورقة ، وانتفع الناس به .. »[٦] .

وعمر بن علي بن يوسف المنورقي ، أصله من شاطبة ، ولهذا فإنه يكنى بأبي علي الشاطبي .. « وروى عن أبي عثمان سعيد بن حكم ، وكان محدّثاً راوية عدلاً ضابطاً .. »[٧] .

عبد الملك بن أحمد بن عبدالله بن طاهر بن حيدرة بن مفوّز ، شاطبي الأصل ، أقام بجزيرة

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة السفر الخامس / ٢ ، ص ٥٢٠ ترجمة رقم ٩٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٩٨ ، ترجمة رقم ١٨١ .

(٣) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٥٣ .

ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة / السفر الأول / القسم الثاني ، ص ٥٢٢ ترجمة رقم ٧٧٠ .

(٤) نظراً للتشابه بين الميورقي والمنورقي من ناحية الشكل ، فقد اختلط الأمر على محقق معجم الشيوخ للدمياطي ، ونسب راجح بن أبي بكر إلى ميورقة (بالياء) بدلاً من منورقة (بالنون) ، وقد ذكره الدمياطي في معجم شيوخه ، وترجم له قائلاً : بأنّه ولد في ميورقة ، والأصح منورقة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م ، وأنّه درس في القاهرة ، وأخذ عنه كثيرون ، إلى أن توفي بمكة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م . (دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ١٢٢ عن معجم الشيوخ للدمياطي ، ص ١٣٧) .

(٥) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ٣٢٥ ترجمة رقم ٨٨٠ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٦) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة / السفر الخامس / القسم الأول ، ص ٤٢٣ ترجمة رقم ٧٢١ .

(٧) المصدر السابق / القسم الثاني ، ص ٤٥٥ ترجمة رقم ٧٨٧ .

منورقة تحت كنف أميرها سعيد بن حكم بن عثمان ، « روى عنه أبو محمد مولى أبي عثمان سعيد بن حكم .. له مصنّف سمّاه تشوّف الأديب لتألف الغريب .. اسمع بمنورقة وتونس ، وبها توفي ٦٦١ هـ = ١٢٦٢ م »[١] .

ويروي ابن الخطيب سبب مغادرة ابن مفوّز لجزيرة منورقة إلى تونس قائلاً ، « حدثني الشيخ السري أبو الحسين التلمساني ، وكان عمّه أبو عبدالله البري كاتباً لسعيد بن حكم بمنورقة قال : « كان من سيرته أن يقتل الناس عقاباً على شرب الخمرة ، وكان قد اجتلب المحدّث ابن مفوّز للرواية عنه ، وسماع كتاب البخاري عليه ، واغتنم ذلك لبنيه قال : فبينما ابن مفوّز يقرأ ، إذ أتي إليه برجل قد شرب الخمر ، فأمر فضربت عنقه! قال فطوى ابن مفوّز الكتاب ، وحلف أن لا يسمع عليه من حديث ، وقال : حفظك الله تطلب رواية السنة وتصحيحها وتتعدّى حدود الله هكذا!! والله لا سمعت مني حرفاً أبداً! فقال له (الرئيس سعيد بن حكم) ، يا فقيه ، هذه الجزيرة كثيرة العنب والناس يشربون الخمر بها ، ويسكرون فيضيعون الاحتراس ، فيظهر علينا العدو : فقال له ابن مفوّز هذا شيء لا يخلص عند الله ، لم تترك الشريعة شيئاً من موازين صلاح الدنيا والآخرة ، إلا أعطته حقه ، وانصرف عنه »[٢]!

علم الفقه : أصوله وفروعه وأشهر الفقهاء في جزر البليار

يقول ابن خلدون في تعريف الفقه ، « بأنّه معرفة أحكام الله تعالى ، في أفعال المكلفين ، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنّة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة . فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلّة ، قيل لها فقه »[٣] .

وقد برع علماء جزر البليار في علم الفقه أصوله وفروعه ، واستنبطوا الأحكام الشرعية من مصادرها المرسلة ، وعلى رأسها القرآن الكريم ، والسنّة النبوية ، لمعرفتهم الواسعة بكتاب الله قراءة وتفسيراً ، وبسنّة رسوله حفظاً وفهماً واستيعاباً . وقد استخدموا القياس والاستحسان والإجماع والاستصلاح ، في استنباط الأحكام الشرعية ، التي هي أساس الفقه وأصوله .

ويعرّف ابن خلدون أصول الفقه قائلاً ، بأنها « أعظم العلوم الشرعية ، وأجلّها قدراً ، وأكثرها فائدة . وهو النظر في الأدلة الشرعية ، حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف . وأصول الأدلّة الشرعية هي « الكتاب الذي هو القرآن ، ثم السنّة المبيِّنة له » . هذا بالإضافة إلى القياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح ، التي اختلف العلماء في تقويمها ، ولم يجمعوا على أنّها جميعها من

---

(١) نفس المصدر السابق / القسم الأول ، ص ١٠ ترجمة رقم ٥ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام / القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٧٦ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٩٨ .

أصول الأدلة الشرعية[1].

وأول الفقهاء الذين اشتهروا في ميورقة في بداية عهدها الإسلامي ، هو عريف مولى ليث بن فضل ، قدم إليها من لورقة . وكان ضابطاً للفقه ، بصيراً بالفتيا ، جامعاً للعلم . . توفي في ميورقة سنة ٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م[2] ؛ بالإضافة إلى فقهاء آخرين ممّن تبوأوا مراكز رسمية كالقضاة وحكام الأقاليم . وقد وصلتنا أسماء أول قاضيين استقضيا في جزر البليار وهما : « نافع بن محمد بن رحيق بن ابراهيم السماتي . . ولي قضاء الجزائر الشرقية للناصر عبد الرحمن بن محمد ، وهو أول قاض استقضي بها سنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٦ م . فلم يزل قاضياً بها ، إلى أن صرف بعمّه أحمد بن رحيق[3] سنة ٣٣٣ هـ = ٩٤٤ م . وظل قاضياً في جزر البليار حتى عام ٣٤٣ هـ = ٩٥٤ م إلى أن توفي « غريقاً في البحر مع رشيق عامل الجزائر الشرقية »[4] .

وتصمت كتب التراجم والطبقات ، عن ذكر أي فقيه ميورقي ، طيلة الخمسين سنة الأولى من الحكم الإسلامي المستقر في جزر البليار ، فقد كان أهل هذه الجزر آنذاك في مرحلة أخذ المعارف واستيعابها .

وأول اسمين من علماء ميورقة ، وردا في كتب الطبقات هما : « أمية بن عبدالله الهمذاني » ، الفقيه المحدّث . ولد في ميورقة ٣٣١ هـ = ٩٤٢ م ، وأخذ عن علمائها ، ثم توجّه إلى الحج وأخذ عن علماء مصر والحجاز ٣٥٥ هـ = ٩٦٥ م ، وعاد إلى ميورقة لإقراء الفقه وتعليم الحديث ، إلى أن توفي فيها سنة ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م[5] .

« وعثمان بن علي بن مسلم بن علي الشريجي الميورقي » ، ولد في ميورقة ٣٦٥ هـ = ٩٧٥ م ، وله رحلة إلى الشرق ، أخذ فيها عن علمائه ، وعاد بعلم أصول الفقه ، وعلّم الحديث في جزيرة ميورقة ، وانتقل منها إلى اشبيلية حيث توفي هناك ٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م[6] . وحتى نهاية عهد الخلافة الأموية في الأندلس ، بعد نشوب الفتنة القرطبية ٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م ، لا نجد أي ذكر لأسماء فقهاء لامعين وفدوا إلى جزر البليار ، باستثناء القاضي أبي الاصبغ « موسى بن أحمد بن عبد الرحمن » ، من آل خطاب ، الذي ولاّه المنصور بن أبي عامر القضاء في جزر البليار ، واستخلف عليها الفقيه أحمد بن أبي ريال[7] . وبعد أن استولى مجاهد العامري على جزر البليار

(١) المصدر السابق ، ص ٨١٢ وما بعدها .
(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٤٢ ترجمة رقم ١٠٠٥ .
(٣) ابن الأبار : التكملة/٢ ترجمة رقم ١٨٦٧ ص ٧٥٤ ، طبعة عزت العطار الحسيني .
(٤) ابن الأبار : التكملة/١ ترجمة رقم ١٦ ص ١٣ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ١/١ ، ص ١٨٦ .
(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٦٩٤ .
(٦) ابن بشكوال : الصلة/١ ، ترجمة ٨٧٥ ص ٤٥ .
(٧) العذري : نصوص عن الأندلس ، ص ١٥ - ١٦ .

٤٠٥ هـ = ١٠١٥ م[1] ، وولّى ابن أبي ريال القضاء[2] .

ووفد إلى جزر البليار بعد الفتنة ، آلاف الوافدين ممن أزعجتهم الفتنة . وكان على رأس هؤلاء الفقيه المحدّث عبدالله بن عبيد الله المعيطي ، الذي ولاّه مجاهد العامري الخلافة في دانية وجزر البليار[3] .

وكان من بين هؤلاء المهاجرين إلى دانية وجزر البليار ، « أولي البقية وذوي الحرية من الطبقة الأدبية القرطبية . . »[4] ! مما خلق نهضة علمية في جزر البليار في شتّى المجالات ، ومن بينها الفقه ، وأسهم الوافدون الذين تبوأوا مناصب رفيعة فيها ، من القضاء والحكام ، وتأثر بهم أهل جزر البليار ، وبرز منهم في القرن الخامس للهجرة عدد كبير من الفقهاء ، وكان للقضاء والحكام في جزر البليار دورٌ كبيرٌ في نهضة علم الفقه في جزر البليار في عهد المملكة المجاهدية وهم :

أ - **أبو عمر أحمد بن أبي ريال** : كان آخر من تولوا القضاء بجزر البليار قبل الفتنة التي اجتاحت الأندلس ، (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ، وقد استخلفه على جزر البليار « ميورقة ومنورقة ويابسة » ، القاضي أبو الاصبغ موسى بن أحمد بن عبد الرحمن من آل خطاب من كبار أسر مرسية[5] . ولم أجد في تراجم ابن أبي ريال ، وفي رواية أخرى رئال أو ربال ، ما يوضّح إلى متى بقي قاضياً بالنيابة عن أبي الأصبغ موسى بن أحمد ، وهل أصبح قاضياً أصيلاً ومتى كان ذلك؟ أننا لا نجد إجابة شافية على هذه التساؤلات ، نظراً لأن جميع من ترجموا له بعد رواية العذري عن استخلافه على جزر البليار ، يستهلون حديثهم عن سفارته بصحبة علي إقبال الدولة موفداً من قبل مجاهد العامري إلى المعز بن باديس « أمير افريقية » . ويدعوه كل من ابن الأبار والأوسي المراكشي ، بأحمد بن الحسن بن عثمان الغسّاني . بينما يدعوه القاضي عياض ، بأحمد بن الحسين ، وتتفق روايات الثلاثة على أن الموفق مجاهد العامري أرسله في سفارة إلى المعز بن باديس وبصحبته إقبال الدولة ، وأن مجاهد استقضاه ، فهل ظلت جزر البليار من اختصاصه؟ واستخلف عليها قضاة آخرين ، كما استخلف هو من قبل القاضي موسى بن أحمد بن خطاب؟ لا

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٢٩٠ .
(٢) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٤٢ ترجمة رقم ١٢١ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/ السفر الأول/ القسم الأول ، ترجمة رقم ١٠٩ ، ص ٩٤ . والقاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٥٦ - ٧٥٧ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ٢٦٩ ترجمة رقم ٥٩٣ . والقاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٤٥ - ٧٤٦ . وابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .
(٤) ابن بسام : الذخيرة/القسم الثالث ، ج ١ ، ص ٢٢ .
(٥) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٥ - ١٦ .

نستطيع الإجابة على هذه التساؤلات ، نظراً لأن جميع من ترجموا له ركزوا جلّ اهتمامهم على سفارته بصحبة علي إقبال الدولة في سنة إطلاقه من الأسر[1] . وكان ذلك في عام ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م[2] . وما دار من مناقشات فقهية بينه وبين فقهاء القيروان وعلى رأسهم « أبو عمران الفاسي » ، الفقيه المحدّث ، وكان لها أثرها الكبير على تدعيم المذهب المالكي في افريقية ، وتشجيع الحركة المناوئة للمذهب الشيعي بزعامة المعز بن باديس وما نشأ عن ذلك من نتائج خطيرة . ويحيط الغموض بعد ذلك بحياة ابن أبي ريال القاضي حتى وفاته سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م[3] .

ب - **أحمد بن اسماعيل بن دليم الميورقي** : ويدعوه الحميدي بالقاضي الجزيري ، نسبة إلى جزيرة ميورقة ، تفقّه في بجانة حوالي سنة ٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م ، ومات حوالي سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ، وكان من رواد علم الفقه في جزيرة ميورقة[4] .

جـ - **الحسن بن اسماعيل المعروف بابن خيزران** (٥) : وفي رواية أخرى الحسين بن اسماعيل ، كان من الفقهاء والمحدثين ، استقضي بالجزائر الشرقية وتوفي ٤١٢ هـ = ١٠٢١ م[6] .

د - **عبدالله بن خميس الأنصاري** : بلنسي الأصل ، يكنى أبا محمد ، ويذكر ابن الأبار بأنه ولي القضاء في دانية وأعمالها لإقبال الدولة علي بن مجاهد في شوال سنة ٤٠٢ هـ = ١٠١١ م ، والأصح ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م[7] .

ويقول عنه الأوسي المراكشي . « بأنه كان فقيهاً جليلاً ، استقضاه بدانية وأعمالها إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري ، وعهده له بذلك ، من إنشاء أبي محمد بن أبي عمر بن عبد البر[8] في

---

(١) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٤٢ ترجمة رقم ١٢١ . والقاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٥٦ - ٧٥٧ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/١ ، ص ٩٤ ترجمة رقم ١٠٩ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام / القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٢١ .

(٣) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٤٢ ترجمة رقم ١٢١ .

(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١١٨ ترجمة رقم ١٩٤ . والضبيّ : بغية الملتمس ص ١٧٠ ترجمة رقم ٣٧٧ . وابن بشكوال : الصلة/١ ، ترجمة رقم ١٠٨ ، ص ٥١ - ٥٢ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ١/٥ ، ص ١٣٤ ترجمة رقم ٢٦٦ .

(٥) ابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ١٠٣٥ ، ترجمة رقم ٣١٩ .

(٦) المصدر السابق . ص ١٤١ ترجمة رقم ٣٢٣ .

(٧) ابن الابار : التكملة/٢ ، ص ٨٠١ ترجمة رقم ١٩٥٧ . والخطأ في التاريخ واضح فقد تولى علي إقبال الدولة الملك ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م . والتصحيح من الذيل والتكملة بقية السفر الرابع ، ص ٢٢٥ .

(٨) أبو محمد بن أبي عمر بن عبد البر : من كبار الكتّاب في عهد ملوك الطوائف ، أخذ العلم عن والده ، وعن كبار علماء عصره ، وعمل كاتباً لعلي إقبال الدولة . (ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٤) .

شوال ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م ، ثم صرفه لسعاية محمد بن مبارك الصائغ[1] عليه ، وولّى مكانه أبا عمر بن الحذّاء »[2] .

هـ - **أحمد بن محمد بن يحيى التميمي** ويعرف بابن الحَذّاء ، ويكنى بأبي عمر ، فقيه محدّث ، تولّى القضاء في المملكة المجاهدية العامرية لعلي إقبال الدولة ، إلى أن توفي سنة ٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م[3] .

وبالإضافة إلى هؤلاء القضاة ، فقد تولى شئون الحكم في جزر البليار التالية أسماؤهم :

أ - **محمد بن عبدالرحمن بن معمر اللغوي** يذكر عنه ابن الأبار ما يلي : « من أهل قرطبة وصاحب التاريخ في الدولة العامرية ، أوطن الجزائر الشرقية (البليار) في كنف مجاهد العامري ، وولي الأحكام هنالك إلى أن توفي ٤٢٣ هـ = ١٠٥١ م[4] .

ب - **عبدالرحمن بن ابراهيم بن محمد** ويعرف بابن الشرفي من أهل قرطبة ، تولّى في الفتنة الحكم في ميورقة .. وغادرها إلى قرطبة ، وتوفي بها سنة ٤٣٨ هـ = ١٠٤٦ م في السبعين من عمره[5] .

جـ - **مصعب بن عبدالله بن محمد بن يوسف ويعرف بابن الفرضي** ، العالم الفقيه الأديب المحدّث الإخباري ، قرطبي الأصل ، تولّى الحكم بجزيرة ميورقة ، توفي حوالي سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ، وقد أخذ عنه علماء ميورقة ، ومنهم الحميدي الميورقي الحافظ[6] .

د - **أحمد بن رشيق** : يقول عنه الحميدي الميورقي ما يلي : « الكاتب أبو العباس ، كان أبوه من موالي بني شهيد . ونشأ هو بمرسية ، وانتقل إلى قرطبة ، وطلب العلم ، فبرز فيه ، واشتهر في صناعة الرسائل مع حسن الخط ، وشارك في سائر العلوم ، ومال إلى الفقه والحديث ، وبلغ في

---

(١) محمد بن مبارك الصائغ ، « من أهل دانية ، فقيه حافظ ، توفي ٤٧٦ هـ (ابن بشكوال : الصلة / ٢ ترجمة رقم ١٢١٣ ص ٥٥٣) .

(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : بقية السفر الرابع من كتاب الذيل والتكملة ، ص ٣٢٥ ترجمة رقم ٣٨٧ .

(٣) الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٦٣ ترجمة رقم ٣٤٩ . وابن بشكوال : الصلة / ١ ص ٦٢ ترجمة رقم ١٣٣ .

(٤) ابن الابار : التكملة / ١ ، ص ٣٨٤ ترجمة رقم ١٠٦٨ . ويترجم ابن بشكوال لابن معمر اللغوي ويدعوه بعبد الرحمن بن محمد . (ابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٣٢٨ ترجمة رقم ٦٩٩) . وفي الجذوة للحميدي « أبو الوليد بن معمّر » ، ص ٤٠٣ ، ترجمة رقم ٩٥٨ .

(٥) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٥٠ ترجمة رقم ٢٦١ .
والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٢١١ ، ترجمة رقم ٤٨٤ .

(٦) المصدران السابقان : (الأول) ص ٣٥٢ ترجمة رقم ٨٢٨ .
(الثاني) ص ٤٧١ ترجمة رقم ١٣٧٩ .
وابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٦٢٧ ترجمة رقم ١٣٨ .

رياسة الدنيا أرفع منزلة ، وقدّمه الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد العامري على كل من في دولته ، لأسباب أكّدت له ذلك عنده من المودة والثقة والنصيحة والصحبة في النشأة ، فكان ينظر في أمور الجهة التي كان فيها (ميورقة) ، نظر العدل والسياسة ، ويشتغل بالفقه والحديث ، ويجمع العلماء والصالحين ، ويؤثرهم ويصلح الأمور جهده » . ثم يذكر الحميدي مؤلفات ابن رشيق في الفقه والحديث ، ودوره في نشر العلم والمعرفة في جزيرة ميورقة ، واتصالاته بعلماء افريقية[1] .

وذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء ترجمة لأحمد بن رشيق ، تماثل إلى حد كبير ما ذكره الحميدي الميورقي[2] .

أما ابن الأبار ، فقد أضاف إلى التراجم السابقة ما يلي : « وولاّه أبو الجيش مجاهد العامري جزيرة ميورقة ، فكان ينظر فيها نظر العدل والسياسة ، وهو الذي آوى الفقيه أبا محمد بن حزم ، حين نعي عليه بقرطبة وغيرها خلافة مذهب مالك »[3] . وكان قدوم ابن حزم إلى ميورقة حوالي سنة ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م[4] . ويعتبر ياقوت الحموي ، بأن من أعظم فضائل مجاهد العامري هي : « تقديمه للوزير أبي العباس أحمد بن رشيق وتعويله عليه في بسط العدل . . »[5] .

ويضيف إلى ذلك : بأنّ من فضائله الكبرى ، ما قام به من حماية العلماء والأدباء في جزر البليار ، وعلى رأسهم العالم الجليل ابن حزم . وأصبحت جزيرة ميورقة بفضله الملجأ الأمين لكل عالم مضطهد ، ولكل طالب علم ، فازدهرت المعرفة فيها على يد أمثال ابن حزم من العلماء ، وبفضل القضاة والحكام ، الذين كانوا من كبار الفقهاء والأدباء ، مما ترك أثراً واضحاً على النهضة العلمية والأدبية ، في جزر البليار التي أنجبت علماء وأدباء وفقهاء أسهموا في التراث الإسلامي بنصيب وافر .

ومن بين هؤلاء الفقهاء الذين أخذوا علم الفقه عن النخبة الآنفة الذكر من القضاة والحكام والعلماء أمثال ابن حزم ، الذي عاش في جزر البليار ما يقارب العشرة أعوام ، وعلى يد أبي الوليد الباجي الفقيه المحدّث ، وأخيه ابراهيم بن خلف بن سعد اللذين أقاما في ميورقة[6] ، « محمد بن سعيد الميورقي الفقيه » ، « . . رحل حاجا وأدى الفريضة ، وصحب في رحلته الفقيه عبد الحق الصقلي ، وأخذ عنه تواليفه ، كما التقيا بالإمام أبي المعالي الجويني في مكة ، وأخذا تواليفه . ولما عاد إلى ميورقة ، قعد لاقراء الفقه والأصول . . وتضافر مع أبي الوليد الباجي على

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٢٢ – ١٢٣ ترجمة ٢٠٨ .
(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ٣٣ .
(٣) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
(٤) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٩١٠ ترجمة رقم ٢١٣٠ .
(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٧ ، ص ٨٠ – ٨١ .
(٦) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ترجمة رقم ٣٥٧ ص ١٣٨ .

إقحام ابن حزم ، وأزعجاه عن ميورقة . . »[1] . وقد تضافر معهما أبو الوليد ابن البارية ، الذي يعتبر من أفضل معاصريه من الفقهاء في حفظ المسائل وفهمها . وقد اتبع الثلاثة في مناقشة ابن حزم أساليب الأشعرية ، وفلسفتهم الجدلية ، « مما حمل الوالي على سجن ابن حزم واستهانته »[2]!!

« وعثمان بن دليم الميورقي » ، « تفقه ببجّانة على شيوخها قبل الفتنة » ، وأقرأ الناس الفقه أصوله وفروعه بجزيرة ميورقة ، إلى أن توفي سنة ٤٣٤ هـ = ١٠٤٢ م[3] .

وكان معاصراً له ، الفقيه القرطبي الأصل الميورقي السكنى ، محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، « أخذ الناس عنه ، وكان في الفقه اماماً ، وهو من بيت علم ورياسة ، توفي سنة ٤٣٤ هـ = ١٠٤٢ م » . « وكان فقيهاً على مذهب مالك ، تدور عليه الفتيا » ، في جزيرة ميورقة قبل قدوم ابن حزم إليها ، بسعي من أبي العباس أحمد بن رشيق حوالي سنة ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م . وبمساندة ابن رشيق فشا مذهب الظاهرية في جزيرة ميورقة ، وقلّت مكانة ابن عوف ونظرائه من فقهاء المالكية ، حتى وفاة أحمد بن رشيق[4] .

وعبد الرحمن بن سعيد الميورقي الفقيه ، أخذ عنه الحسن بن أحمد بن عبدالله ابن علّوز الميورقي الفقيه المالكي[5] .

ومن فقهاء ميورقة الذين أخذوا علم الفقه عن العلماء الأصلاء والوافدين إلى جزر البليار ، واشتهر في بلاد المغرب والمشرق : الفقيه الحافظ الأديب المؤرخ ، محمد بن فتوح الحميدي الأزدي الميورقي . هاجر إلى بلاد المشرق ، واتخذ من بغداد دار إقامة ، وعلّم فيها الفقه والحديث . وكان من كبار علماء بغداد ، وظلّ مقيماً فيها من عام ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م ، وحتى وفاته ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م . وقد تأثر بأفكار ابن حزم ، وأخذ عنه الشيء الكثير ، وظلّ حتى وفاته ظاهري المذهب ، . . « وكان دؤوباً على طلب العلم ، كثير الاطلاع ، فطناً ذكياً ، ورعاً متقناً ، كثير التعاون ، حجّة ثقة »[6]!

---

(١) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ترجمة رقم ١٠٩٤ ص ٣٩١ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ، ج ٦ ، ص ٢١٦ ترجمة رقم ٦٢٥ .
(٢) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ص ٨٢٦ – ٨٢٧ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٤٠٥ ترجمة رقم ٨٧٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٢٤ ترجمة رقم ١١٤٨ . وابن الأبار : التكملة ، ص ٩١٠ ترجمة ٢١٣ .
(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ٢٤٦ .
وبدران : تهذيب تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ، ج ٤ ص ١٥١ .
(٦) الضبي : بغية الملتمس ، ص ١٢٣ – ١٢٤ ترجمة رقم ٢٥٧ . وابن بشكوال : الصلة / ٢ ، ص ٥٦٠ – ٥٦١ ترجمة ١٢٣٠ . وخميس الحوزي : سؤالات الحافظ السلفي ، ص ١٠١ ترجمة رقم ١١٦ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ – ٤٦٨ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ص ٢٨٢ . =

والحسن بن أحمد بن عبدالله بن موسى بن علّوز ، ويكنى بأبي علي ، الغافقي الأندلسي الميورقي الفقيه المالكي ، ويعرف بابن العنصري . ولد في جزيرة ميورقة ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م ، ودرس فيها علم الفقه ، على يد « عبد الرحمن بن سعيد » ، الفقيه الميورقي . وتوجّه إلى بلاد المشرق للاستزادة من المعرفة ، وأخذ عن علماء بيت المقدس ، ومكة المكرّمة وبغداد ودمشق ، ورجع إلى جزيرة ميورقة ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م . بينما يذكر ابن عساكر ، بأن تاريخ عودته إلى بلده ، مروراً بدمشق ، كان في عام ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م . وقد أخذ عنه علماء دمشق أصول الفقه بعد عودته من بغداد في طريقه إلى ميورقة عبر مدينة دمشق[١] .

وقد نشأ ابن علّوز الآنف الذكر في أسرة من العلماء ، وكانت تنشئته العلمية الأولى على يد محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن موسى بن علّوز الغافقي الميورقي ، أخذ عنه علم الفقه[٢] .

ومحمد بن موسى بن عمّار الكلاعي الميورقي ، كان فقيهاً عالماً جليلاً ، أخذ عن علماء القيروان وصقلية ، اشتهر بمعرفته لعلم الأصول ، وله رحلة إلى بلاد المشرق ، أخذ فيها عن علماء مصر ومكة ، وأخذوا عنه .. « وغلب عليه علم التوحيد والكلام ، وألّف في ذلك كتاب الاعلام ، وكان حسن العبارة جيد القريحة » . وبعد أن علّم أصول الفقه في جزيرة ميورقة ، استقر في بجاية في المغرب الأوسط وعلّم فيها[٣] .

وعلي بن أحمد بن عبد العزيز بن طنيز الأنصاري الميورقي ، تعلّم في جزيرة ميورقة ، وهاجر إلى بلاد المشرق ، واستقر في بغداد ، وانتقل منها عبر الجزيرة العربية إلى عمان ، ومنها توجّه بحراً إلى زنجبار ، في شرق افريقية ، وعلّم في كل بلد حلّ فيه أصول الفقه ، وكافة العلوم النقلية الأخرى التي كان يجيدها كل الإجادة . وعاد إلى بغداد واستقر فيها ، إلى أن توفي ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م[٤] .

« وعلي بن سعيد بن عبد الرحمن بن محرز » ، المعروف بأبي الحسن العبدري الميورقي ، أخذ

= وياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٨ ص ٢١٢ . وأبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الموفيات ، ج ٣ ، ص ١١٠ . والسمعاني : الأنساب ، ج ٤ ص ٢٦٢ – ٢٦٤ . والذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٤٦ .
وبدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ٤ ، ص ١٥١ .

(٢) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ٣٩٨ ترجمة رقم ١١١٦ . طبعة عزت العطار الحسيني .

(٣) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ص ٨٢٦ – ٨٢٧ . وابن الابار : التكملة / ١ ، ص ٤٠٣ ترجمة رقم ١١٣٢ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٤) ابن الابار : التكملة / ٢ ، ص ١٩٦ ترجمة رقم ٢٧٨ طبعة مدريد ١٩١٥ .
وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ . وإنباه الرواة ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ وبغية الوعاة، ص ١٤٤ .

عن علماء جزيرة ميورقة ، وخاصة عن ابن حزم ، وكان ظاهري المذهب ، وترك هذا المذهب في بغداد ، وأصبح شافعياً . وعلّم في « دار السلام » عاصمة العباسيين ، أصول الفقه ، وله « مختصر الكفاية في خلافيات العلماء » . وكان عالماً مفتياً أديباً محدّثاً ، وقد ذكره ابن ماكولا قائلاً : « صديقنا أبو الحسن الفقيه من أهل الفضل والمعرفة والأدب ، من جزيرة ميورقة »[١] .

وكان من أشهر الفقهاء في جزر البليار بعد الفتح المرابطي لهذه الجزر ٥٠٩ هـ = ١١١٧ م[٢] وحتى سقوط جزيرة منورقة ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م . آخر المعاقل الإسلامية في جزر البليار ، وانطواء آخر صفحة في التاريخ الإسلامي لهذه الجزر[٣] ، الإسلامية التالية أسماؤهم :

علي بن مسعود بن علي بن مسعود بن اسحق بن ابراهيم بن عصام الخولاني ، حفيد فاتح البليار ، ويكنى بأبي الحسن ، وكان فقيهاً جليلاً متقناً ، « .. ولي قضاء ميورقة ، إلى أن توفي سنة ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م .. »[٤] .

وعصام بن مسعود بن علي بن مسعود بن اسحق بن ابراهيم بن عصام الخولاني ، وكان « .. عارفاً بالفقه ، بصيراً بعقد الشروط ، استقضي بالجزائر الشرقية (البليار) بعد أخيه أبي الحسن ، إلى أن توفي سنة ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م .. »[٥] .

وأحمد بن نافع الميورقي ، يكنى أبا العباس ، « وكان فقيهاً جليل القدر ، وخطب في جامع بلده .. »[٦] .

ومحمد بن سعدون بن مرجى بن سعد بن مرجى أبو عامر القرشي العبدري الميورقي . وقد وصفه أبو القاسم بن عساكر المؤرخ الدمشقي بأنه ، « كان فقيهاً على مذهب داود الظاهري .. » . وكانت له آراء فلسفية في مذهبه الظاهري . هاجر إلى بغداد وأقام فيها ، وله مجادلات مع الفقهاء المالكية خاصة . وقد أسهم بدور علمي كبير في بغداد مدينة السلام ، وكبرى عواصم الإسلام العلمية آنذاك . وقد وصفه السلفي بأنه « من أعيان الإسلام في مدينة السلام أدباً ومعرفة ، وكان داودي المذهب .. » . وتوفي في بغداد ٥٣٤ هـ = ١١٢٩ م ، ودفن بمقبرة باب الأزج[٧] .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة / ٢ ص ٤٢٢ ، ترجمة رقم ٩٠٦ . وطبقات الشافعية الكبرى ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ . والسمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ .

(٢) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .

(٣) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ١٢٣ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ١ / ١ ، ص ٤٠٨ ترجمة رقم ٦٨٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨ ترجمة رقم ٣٠٣ .

(٦) نفس المصدر السابق ٢ / ١ ، ترجمة رقم ٨٥٠ ص ٥٥٣ .

(٧) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ . وابن بشكوال : الصلة / ٢ ص ٥٦٤ ترجمة =

وأبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن علي بن نادر اللخمي الميورقي . . « وكان عالماً فقيهاً بارعاً أصولياً ، خلافياً زاهداً » ، شافعي المذهب ، وتفقّه على يد علماء بغداد ، وأقام في الاسكندرية وصنف فيها « تعليقه في الخلاف » ، بين المذاهب وأخذ عنه كثيرون ، وتفقّهوا به إلى أن توفي سنة ٥٢٣ هـ = ١١٢٨ م[1] .

واحمد بن محمد بن خميس الحضرمي الميورقي ، أخذ الفقه عن علماء بلده ، وتوجّه إلى بلاد المشرق لتأدية فريضة الحج . . « ودخل بغداد وتفقه بها ، ولازم علي بن الحسين الغزنوي الفقيه الواعظ . . »[2] .

أبو يوسف الفقيه الميورقي ، يعود أصله إلى بربر المغرب ، سكن ميورقة واستقر فيها ، « وكان فقيهاً جليلاً حافظاً للمسائل . . » . توفي حوالي عام ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م[3] .

وعبد العزيز بن عبد العزيز بن محمد بن شدّاد المعافري ، جيّاني الأصل ، استقر في جزيرة يابسة ، وكان من كبار فقهائها ، وأخذ عنه كثيرون ، إلى أن توفي في عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م[4] .

وعلي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن فرج بن يوسف طرطوشي المولد ، ميورقي الإقامة والسكنى ، ويعرف « بابن عزّ الناس » . تفقّه على يد علماء ميورقة والمقيمين فيها ، وخاصة عن أبي محمد عبد العزيز بن عثمان الصيقل ، الفقيه المفتي[5] وكان علي بن صالح عالماً مفتياً استخلصه أبو زكريا يحيى بن غانية ولازمه حتى سنة ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م . ثم استقر في دانية ، وقتل فيها مظلوماً على يد عاملها سعد بن مردنيش ٥٦٦ هـ = ١١٧٠ م[6] .

ومحمد بن يوسف الميورقي ، ويعرف بابن « ختي فضل » ، تفقّه على يد الفقيه اسحق بن محمد

= رقم ١٢٣٨ . والذهبي : تذكرة الحافظ ، ج ٤ ، ص ١٢٧٣ - ١٢٧٥ . والعبر في خبر من غبر ، ج ٤ ، ص ٥٧ . وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ ، ص ٧٠ . والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٩٣ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ .

(١) عبد الوهاب بن علي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ترجمة رقم ١٠٩٠ . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة / ١ ، ص ٢٤٥ ترجمة رقم ٤٣٦ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ٤٠٠ ترجمة رقم ٣٣٩٧ .

(٣) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٣٩٠ ، ترجمة رقم ٨٣١ .

(٤) ابن الأبار : التكملة / السفر الثالث ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ ترجمة رقم ١٧٦٠ . طبعة روخس بمجريط ، ١٨٨٦ م .

(٥) ابن الأبار : التكملة / ١ ص ٤٠٣ ، ترجمة رقم ١١٣٦ طبعة عزت العطار الحسيني . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٦) ابن الابار : التكملة / ٢ ، ص ٤٦٠ ترجمة رقم ١٨٦٠ طبعة مدريد ١٩١٥ م .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة / السفر الخامس / ١ ص ٢١٨ رقم ٤٤٧ . والتنبكتي : كتاب نيل الابتهاج ، ص ١٩٩ .

العبدري الميورقي ، ويكنى بأبي ابراهيم بن عائشة ، وكان معروفاً بإجادة الفقه أصوله وفروعه ، وبالصلاح والتقوى ، وأخذ عنه أبو اسحق ابراهيم بن اسحق العبدري الميورقي ، وذكر بأنه توفي في سنة ٥٩٣ هـ = ١١٩٦ م[1] .

واسحق بن محمد بن علي العبدري الميورقي ، ويعرف بابن عائشة ، ويكنى بأبي ابراهيم . . ، وكان فقيهاً مفتياً مشاوراً حافظاً للرأي قائماً على المدونة ، وجيهاً في بلده ، بعيد الصيت ، درس الفقه ونوظر عليه في المسائل ، وأخذ عنه جماعة وتوفي حوالي سنة ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م[2] .

لوعاش بن الحسن بن محمد اللخمي الميورقي ، كان « فقيهاً عدلاً عاقداً للشروط » ، توفي سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م[3] .

علي بن خلف بن عمر بن هلال من أهل ميورقة ، فقيه خطيب ، عالم جليل ، أخذ عنه كثيرون في ميورقة ، توفي سنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م[4] .

محمد بن محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي ، قرطبي الأصل ، تفقّه على يد علماء قرطبة ، « على رأسهم ابن رشد ، وكان حافظاً للفقه » ، ولحق بميورقة سنة ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م ، وتفقّه به كثيرون[5] .

عبدالله بن محمد بن وقّاص اللمطي ، من أهل ميورقة ، تفقّه بعلماء بلده . . « ورحل إلى المشرق وحج وقفل إلى بلده ، وولي الصلاة والخطبة بجامعه ، وكان فقيهاً مفتياً يستحلف في الأحكام . . » . تفقّه به كثيرون من أهل ميورقة ، إلى أن استشهد : « في الحادث الكائن بقصر ميورقة عند وفاة أميرها اسحق بن محمد سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م[6] .

ومحمد بن عبد العزيز بن محمد العبدري الميورقي ، يكنى أبي عبدالله ، ويعرف بالبنيولي ، « تفقّه بأبي ابراهيم بن عائشة ، وكان فقيهاً حافظاً نبيه البيت ، توفي سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م »[7] .

وادريس بن مدرك الميورقي ، يكنى أبا العباس . . « وكان فقيهاً يفتي ويشاور في الأحكام . . » . من أعرق أسر ميورقة الإسلامية ، فقد كانت « له ولسلفه أصالة » ، فقد ظلّت

(١) ابن الابار : التكملة / ٢ ، ص ١٠٥٩ ، ترجمة رقم ٥٦٠ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٣ ، ترجمة رقم ٥١١ .

(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ٥ / ٢ ، ص ٥٨٠ . ترجمة رقم ١١٤٣ .

(٤) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ٩٧ ترجمة رقم ١٩٧

(٥) ابن الأبار : المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ، ص ١٩١ ، ترجمة ١٦٣ .

(٦) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٨٥٩ ، ترجمة رقم ٢٠٦٨ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥٦٧ ، ترجمة رقم ١٥١٧ .

أملاكهم بأيديهم منذ فتح ميورقة ، حتى سقوطها ، توفي سنة ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م[(١)] .

القاضي أبو محمد عبدالله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله القاضي العالم الفقيه ، « ولي القضاء بميورقة ، فتظاهر بالعدل ، وكان من العلماء العاملين سنّياً مجانباً لأهل البدع والأهواء . . » فقيهاً بارعاً عالماً جليلاً ، تفقّه به كثيرون في ميورقة وفي غيرها إلى أن توفي سنة ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م[(٢)] .

ومحمد بن أحمد بن عبد الودود البكري ، من أهل ميورقة ، يكنى أبا عبدالله . . « وكان فقيهاً مفتياً ديّناً فاضلاً . . ولي القضاء بميورقة قبل التغلّب عليها ، بيسير شهر ، وكان الاستيلاء عليها عنوة يوم الاثنين الرابع عشر من صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م[(٣)] .

وابراهيم بن الحاج بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن خالد الأنصاري . . « وكان من أهل المعرفة الكاملة والتفنّن في العلوم والنفوذ في الأحكام . . وله معرفة واسعة بمسائل الفقه والشروط ، وله فيها مختصر مفيد » . استقر بجزيرة ميورقة ، وقلّده أميرها اسحق بن محمد بن غانية القضاء . وتفقّه به كثيرون من أهل الجزيرة ، إلى أن استشهد بعد اقتحام القوات الصليبية مدينة ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٩٩ م . وكان رحمه الله « فقيهاً أديباً عارفاً بالفقه ، حافظاً له ، بصيراً بالوثائق المختصرة المنسوبة لخ . . »[(٤)] .

وأحمد بن علي الأنصاري الميورقي ، يكنى أبا العباس ابن المواق ، « وكان فقيهاً عاقداً للشروط ، ماهراً في المعرفة ، من أهل الوقار والنزاهة وعلو الهمّة . . » . أسهم بدور كبير في مقاومة القوات الصليبية بعد اجتياحها لجزيرة ميورقة ، وانضم لثوار الجبل في « إمارة الجبل في بلانسة » ، في شمال جزيرة ميورقة . . ، « ولما نزل الناس منه صلحاً في شعبان ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م ، توجّه إلى بجاية . . » ، في المغرب الأوسط ، ومنها لتونس حيث توفي هناك[(٥)] .

---

(١) ابن الابار : التكملة / ١ ، ص ١٩٦ ترجمة رقم ٥٢٠ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٢) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٢ .
وابن مرجون : الديباج المذهب ، ص ١٤٢ .
والذهبي : تذكرة الحفاظ ، ١٣٩٧ / ٤ .

(٣) ابن الأبار : التكملة / ٢ ، ص ٦٢٤ ، ترجمة رقم ١٦٣١ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ، ج ٦ ، ص ٧ ترجمة رقم « ٥ » . وابن الخطيب : الإحاطة ٣ / ٤١٦ .
والمنذري : التكملة لوفيات النقلة ٤ = ٢٠٤ .
والمقري : نفح الطيب ٤ / ٣٣٤ .

(٤) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ١٥٥ ، ترجمة رقم ٤٠٠ .

(٥) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ١ / ١ ، ص ٢٤٥ . ترجمة رقم ٤٣٦ .

ومحمد بن علي بن اسحق العبدري الميورقي ، فقيه جليل ، أسر بعد اجتياح القوات الصليبية لمدينة ميورقة ، وأنقذه من أسار العبودية ، سعيد بن حكم أمير منورقة ، وعاش تحت كنفه في الجزيرة ، وكان من كبار فقهائها ، ودرّس علم الفقه فيها أصوله وفروعه ، وتفقّه به أبو محمد عبدالله الرومي مولى سعيد بن حكم ، وأجاز له . . ، وكان فقيهاً أديباً حسن العلم[(١)] .

وابراهيم بن اسحق بن محمد بن علي بن خلف العبدري الميورقي ، يكني أبا اسحق ، ويعرف بابن عائشة ، تفقّه بأبي عبدالله محمد بن يوسف الميورقي بختن فضل . . « ومال إلى علم الرأي ودراسة المسائل . . » ، أسره الصليبيون بعد استيلائهم على مدينة ميورقة ، وبعد أن تخلّص من الأسر إلى بلنسية ، « فولّي النيابة في الأحكام . . » . وغادرها إلى دانية ومنها اتجه إلى تونس ، وتفقّه به كثيرون في ميورقة وبلنسية ودانية وتونس ، وتوفي سنة ٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م في تونس[(٢)] .

ومن أشهر فقهاء منورقة ، التي برز أهلها في علم الفقه في عهد الأسرة الحكمية ، التالية أسماؤهم :

أمير منورقة سعيد بن حكم بن عثمان ، فقيه جليل وعالم كبير ، تفقّه به كثيرون في منورقة[(٣)] .

ومحمد بن علي بن عثمان الأزدي المنورقي ، ويكنى بأبي عبدالله ، تفقّه على يد علماء ميورقة ، « واستقضي بمنورقة ، وكان رجلاً صالحاً معتنياً بالفقه حافظاً للمسائل » وظلّ يقوم بأعباء مهمته في القضاء في منورقة ، وتفقه به كثيرون من أهلها ، إلى أن توفي محمود السيرة سنة ٦٧٠ هـ = ١٢٧١ م[(٤)] .

وعبد الملك بن أحمد بن محمد بي مفوّز ، من أسرة عربية كريمة ، من بني مفوّز المعافرين ، الذين نبغ منهم عدد كبير من العلماء الاعلام ، في ثغر شاطبة بشرق الأندلس . وكان فقيهاً لامعاً ، استقضي في أماكن عديدة ، فكان محمود السيرة ، كريم السجايا ، هاجر إلى منورقة بعد استيلاء القوات الأرغونية على شاطبة ، وعاش تحت كنف أميرها سعيد بن حكم بن عثمان . تفقّه به كثيرون في منورقة ، إلى أن اختلف مع أميرها وهاجر إلى افريقية واستقر فيها[(٥)] .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٣٩ ، ترجمة رقم ١١٨٠ .

(٢) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، ترجمة رقم ٤٥١ ، طبعة عزت العطار الحسيني .

(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة / بقية السفر الرابع ، ص ٢٨ - ٣٣ ترجمة رقم ٦٧ .
وابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٢٨ وما بعدها .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ، ج ٦ ، ص ٤٥٥ ترجمة رقم ١٢٢٦ .

(٥) المصدر السابق ١ = ٥ ، ص « ١٠ » ترجمة رقم « ٥ » .
وابن الخطيب : أعمال الاعلام / القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٧٦ .

وأحمد بن محمد القيسي القرطبي ، ويعرف بابن حجة ، من كبار علماء قرطبة وفقهائها ، هاجر من قرطبة إلى اشبيلية ، وأبحر منها في طريقه إلى سبتة ، « فأسر هو وأهله وحمل إلى منورقة ففداه أهلها . . » ، بهمة أميرها سعيد بن حكم بن عثمان ، وتوفي بعد فترة وجيزة سنة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م ، وبقي أهله وأولاده الذين تفقهوا به في منورقة تحت رعاية أميرها الشهم سعيد بن حكم[١] .

علم الكلام وأشهر المتكلمين في جزر البليار

علم الكلام من العلوم الدينية ، التي تعتمد على الأدلة العقلية والحجج المنطقية في الدفاع عن العقيدة ، ومذاهب السلف وأهل السنة . ومن أدوات هذا العلم « الجدل » ، لتدعيم رأي أو نفيه ، بالمناظرة مع التقيّد بآدابها وعدم تجاوز الحدود الموضوعة لها .

ويتضح ذلك من تعريف ابن خلدون لهذا العلم ، الذي يقول فيه ، « بأنه علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية ، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات ، عن مذاهب السلف وأهل السنّة . وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد »[٢] .

كما يعرّف ابن خلدون « الجدل » ، بأنّه « معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم . وقواعد حدود الآداب في الاستدلال ، التي يتم التوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه »[٣] .

ونظراً لما كان للفقه المالكي من آثار عميقة في شتى نواحي الحياة في جزر البليار أسوة ببقية الأندلس ، لهذا لا يمكن تفسير ، أي ظاهرة علمية ، إذا لم نلق الضوء على الأوضاع الفقهية في هذه الجزر[٤] .

لقد انتقل المذهب المالكي إلى جزر البليار مع الغزاة والفاتحين والوافدين إليها ، من البر الأندلسي ، طيلة عهد الدولة الأموية في الأندلس[٥] . ورسخت جذور هذا المذهب ، وأصبح

---

(١) ابن الأبار : التكملة / ١ ، ص ١٢٣ ترجمة رقم ٣٠٧ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملكّ الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ، ص ٤٨٤ ، ترجمة رقم ٧٤٧ .
والسيوطي : بغية الوعاة ، ص ٣٨٣ .
والذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٨٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٢٠ .

(٤) د . محمود علي مكي : نص جديد في الحسبة : كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر/صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الرابع ١٣٧٥ - ١٩٥٦ ، ص ٥٩ .

(٥) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٥ - ٩٦ .

عصب الحياة ، لهذا كان لظهور أي حركة مناوئة لهذا المذهب ، دويّ هائل في هذه الجزر . وأول هذه الحركات هي الحركة الظاهرية على يد ابن حزم التي أثرت الحياة الفكرية في جزر البليار ، وأسهمت في ظهور عدد من علماء الكلام في هذه الجزر ، كان على رأسهم ابن حزم[١] . ويتضح من « كتاب الفصل في الملل والنحل » ما كان يتميّز به هذا العالم الجليل من معرفة واسعة في علم الكلام وبقية علوم عصره[٢] .

وكان من أبرز خصوم ابن حزم من الذين برعوا في علم الكلام في جزيرة ميورقة ، « أبو الوليد بن البارية الميورقي . . » ودارت بينه وبين ابن حزم مناظرة ذلّ فيها ، وعظّم ابن حزم عليه القول ، وكان ذلك في مجلس « أحمد بن رشيق الذي سجنه وأشهد عليه بالتوبة بعد أيام »[٣] ! ولكن وفاة « أحمد بن رشيق » الذي كان سنداً لابن حزم ، بما كان له من مكانة كبرى في ميورقة ، في عهد المملكة المجاهدية ، مكّن خصوم ابن حزم من كبار المتكلمين في ميورقة ، من التغلّب عليه بقوة السلطان وليس بالحجة والبيان[٤] . وكان أبو الوليد الباجي ، على رأس هؤلاء الخصوم ، بما كان يتميز به من معرفة واسعة في علم الكلام ، وقد أقام مع أخيه ابراهيم بن خلف في ميورقة وأسهما بدور كبير في حياتها الفكرية[٥] .

وقد تحالف أبو الوليد الباجي مع العالم الميورقي المتكلّم ، محمد بن سعيد الميورقي ، « وتضافرا عليه وناظراه ، فأفحماه وأخرجاه من ميورقة . . »[٦] . وبالرغم من الاضطهاد الذي

---

(١) الضبّي : بغية الملتمس ، ص ٣٠٢ ترجمة رقم ٧٧٧ . والقاضي عياض : ترتيب المدارك ، ص ٨٠٢ - ٨٠٦ . وابن بسام الشنتريني : الذخيرة ٢/١ ، ص ٩٤ - ٩٦ .
والعماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ج ٣ ، ص ٤٧٢ .
وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٦٤ .
وياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١١ ، ص ٢٤٦ .
وابن الابار : التكملة/١ ، ص ١٣٨ ترجمة رقم ٣٥٧ ، وص ٣٠٢ ترجمة رقم ٧٧٧ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ، ج ٦ ، ص ٢١٦ ترجمة ٦٢٥ . وابن مرجون : الديباج المذهب ، ص ٤٠ . وآنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٣٧ وص ٤٢٦ و
Dr. Ignaz Goldziher: The Zahiris-their doctrine and their history Leiden-Brill, 1971.
يراجع عن الظاهرية ومبادئها وتاريخها - كتاب جولدزيهر ، طبعة بريل - ليدن ١٩٧١ . ومحمد أبو زهرة : ابن حزم .

(٢) آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٢١ - ٢٢٩ .

(٣) ابن الأبار : التكملة/السفر الثالث ، ص ٧١٨ ترجمة رقم ٢٠٢٧ طبعة روخس بمجريط ١٨٨٦ م .

(٤) محمد أبو زهرة : ابن حزم ، ص ٤٨ .

(٥) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ١٣٨ ترجمة رقم ٣٥٧ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٦) المصدر السابق ، ص ٣٩١ ترجمة رقم ١٠٩٤ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ج ٦ ، ص ٢١٦ ترجمة رقم ٦٢٥ .

تعرّض له ابن حزم وانتصار خصومه عليه، بقوة السلطان، فإنه لم يتراجع عن مذهبه، وكان شعاره دائماً:

ألم تر أنّي ظاهري وأنني — على ما بدا حتى يقوم دليل!

وعندما أحرقوا كتبه لم يبال بما ارتكبوه من إثم، وقال بكبرياء العالم المتمسّك بمذهبه:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي — تضمّنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت مراكبي — وينزل إن أنزل ويدفن في قبري[1]!!

لهذا ظل مذهبه راسخاً في جزر البليار، وانتقل مع علماء هذه الجزر من تلاميذ ابن حزم من القراء والمحدثين، الذين سبق ذكرهم، إلى بلاد الأندلس والمغرب والمشرق. وأصبح «المذهب الحزمي» حركة فكرية كبرى دافع عنها أنصارها وحاربها خصومها كأبي بكر بن العربي وعبدالله بن طلحة بن محمد اليابري وغيرهما من فقهاء الأشعرية. وظلت الحركة الظاهرية راسخة الجذور حتى بداية العهد المرابطي[2]. وكان منطلق هذه الحركة من جزيرة ميورقة، وقد أضفت المجادلات الفكرية على تاريخ هذه الجزيرة في تلك الفترة مسحة فلسفية جدلية[3].

ومن كبار علماء الكلام في جزر البليار «محمد بن موسى بن عمّار الكلاعي الميورقي» وكان على معرفة واسعة في جميع العلوم الدينية.. «وغلب عليه علم التوحيد والكلام، وألّف في ذلك كتاب الاعلام، وكان حسن العبارة جيّد القريحة»[4]. وبعد زوال العهد المرابطي في جزر البليار، أصبح لفقهاء المذهب الظاهري مكانة كبرى في العهد الموحدي لتأثر محمد بن تومرت «مهدي الموحدين» بمذهب ابن حزم.

وكان من كبار علماء الكلام الذين تركوا أثراً كبيراً في جزيرة ميورقة في عهد الموحدين القاضي أبو محمد عبدالله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري، تولّى القضاء بجزيرة ميورقة وأسهم بدور كبير في الحياة الفكرية فيها[5].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ١١١ – ١١٦.
(٢) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٣٧ – ٢٣٨.
(٣) دومنيك اورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ١٠٢.
(٤) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.
وابن الأبار: التكملة/١، ص ١٣٧ ترجمة رقم ٤٨٤ طبعة روخس بمجريط ١٨٨٦.
والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٠.
(٥) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص ١١٢. وابن الخطيب: الإحاطة، ج ٣، ص ٤١٦. والمنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج ٤، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.
والذهبي: تذكرة الحفاظ: ج ٤، ص ١٣٩٧. وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٥، ص ٥٠.
والمقري: نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٣٤. وابن فرحون: الديباج المذهب، ص ١٤٢. وآنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٣٨.

وظل صدى المجادلات الفكرية بين علماء الأشعرية وعلماء المذهب الظاهري، التي جرت في جزيرة ميورقة، طيلة السنوات التي قضاها ابن حزم في هذه الجزر، يتردّد صداها عدة قرون. وتركت أثراً كبيراً على علم الكلام وإثرائه. وقد تأثّر بها علماء المغرب والمشرق، ونجد أثر ذلك واضحاً على بعض علماء غرناطة في عهد بني الأحمر كأثير الدين ابن حيّان؛ وعلى علماء مصر كعبد الوهاب الشعراني، من العلماء الصوفيين المتكلمين في القرن العاشر للهجرة، وعلماء المغرب كأبي عبدالله محمد الأندلسي نزيل مراكش من المتكلمين في القرن العاشر للهجرة = السادس عشر للميلاد[1].

الصوفية والزهد في جزر البليار
وأشهر الصوفيين والزهاد

يعرّف ابن خلدون الصوفية «بأنها من العلوم الشرعية الحادثة في الملة. وأن طريقة هؤلاء القوم، لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف. فلما نشأ الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»[2]. وقد انتشرت الحركة الصوفية في بلاد المشرق والمغرب والأندلس، منذ القرن الثاني للهجرة، وظهر عدد كبير من الصوفيين والزهّاد. ولم تتبلور الأفكار الصوفية في بلاد الأندلس، وتتخذ طابعاً روحياً فلسفياً حتى مطلع القرن السادس للهجرة على يد ابن العريف «أبي العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي»، الذي وضع الأسس الرئيسية للحركة الصوفية في بلاد الأندلس، التي تأثرت إلى حد كبير بمدرسة محمد بن عبدالله بن مسرّة. أول مفكر أصيل أنجبته بلاد الأندلس، وقد استمد أفكاره من مبادىء الأفلاطونية الحديثة.

وتتضح الخطوط العريضة للفلسفة الأفلاطونية الحديثة في كتاب «محاسن المجالس» لابن العريف الصنهاجي «وهو يبين فيه أصول طريقة صوفية جديدة.. تتلخص في الزهد في كل شيء ما عدا الله.. ومنازل الصوفية والعطايا والمواهب الالهية والكرامات وما إليها من المنن التي يهبها الله للنفس الإنسانية»[3]. وقد تأثّر الصوفي الميورقي محمد بن حسين الأنصاري بأفكار ابن العريف، التي كان لها صداها في جزر البليار[4].

---

(١) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٣٨ – ٢٣٩.
(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٨٦٣.
(٣) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٣٢٣ و٣٢٧ و٣٦٩.
(٤) ابن الأبار: التكملة/السفر الأول، ص ٦٧٤ ترجمة رقم ٦٠٨ طبعة روخس مجريط، ١٨٨٦ م.

وقد انتشرت الحركة الصوفية في جزر البليار، كغيرها من بلدان العالم الإسلامي، وكان من رواد هذه الحركة في جزيرة ميورقة «محمد بن شجاع الصوفي». وقد ذكره الحميدي الميورقي قائلاً: «كان رجلاً مشهوراً على طريقة قدماء الصوفيين المحققين، وذوي السياحة المتجولين، أقام عندنا (في ميورقة) إلى أن مات ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م»[١].

وعلي بن حمزة الصقلي الصوفي الواعظ، أخذ عنه الحميدي في ميورقة حوالي ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م، «وكان يتكلّم في فنون ويشارك في علوم ويقول أبياتاً في الوعظ والزهد»، على حد قول الحميدي[٢].

ولم تكن الحركة الصوفية في جزر البليار، مجرّد تأملات صوفية، تبعث على التواكل والاستسلام، كما حصل في البر الأندلسي عندما لاحت بوادر سقوط اسبانيا الإسلامية، ولكنها كانت حركة لبعث الهمة في النفوس، والحثّ على المرابطة والجهاد. وشحنة روحية تدفع إلى التضحية والفداء والذبّ عن دار الإسلام، لكون هذه الجزر خط الدفاع الأول في مواجهة القوى المسيحية المتربصة في الحوض الغربي للمتوسط[٣].

وكان الصوفيون والزهاد آنذاك من أشد المرابطين مراساً، وأصلبهم عوداً يرابطون في الرباطات الساحلية لدفع الغزاة عن الثغور الإسلامية[٤]. كما كان بينهم علماء وأدباء وفقهاء، ومنهم على سبيل المثال «أبو عبيدة الميورقي الزاهد». الذي كان برغم زهده وانقطاعه، عالماً كبيراً من علماء اللغة العربية، وأسهم بدور بارز في التعليم في ميورقة في عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة، قبيل الاجتياح الصليبي الأول لجزر البليار، وأخذ عنه كثيرون من أهل ميورقة علوم اللغة العربية وآدابها[٥].

وقد ازدادت الحركة الصوفية رسوخاً في جزر البليار في عهد المرابطين من لمتونة ومسوّفة في هذه الجزر، وتركت أثراً على الحركة الصوفية في بلاد الأندلس والمغرب والمشرق على يد العلماء الميورقيين، وكان من أشهرهم:

«محمد بن سعدون بن مرجّى»، ويكنى بأبي عامر القرشي العبدري الميورقي. من كبار الفلاسفة والمفكرين في جزر البليار، كان صوفياً زاهداً، توفيقياً في فلسفته. فبالرغم من كونه

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٦١ ترجمة رقم ٧٤. وابن بشكوال: الصلة/٢ ص ٥٩٥ ترجمة ١٠٣٨.
وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤ ص ١٠٧.
(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٣ ترجمة رقم ٧١٢.
وميخائيل أماري: المكتبة الصقلية عن ذيل اللباب، ص ٤٧.
(٣) دومنيك اورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ١١٩ - ١٢٠.
(٤) ابن الأبار: التكملة/السفر الثاني، ص ٥٤٨ ترجمة رقم ١٥٤٥ طبعة روخس بمجريط، ١٨٨٦ م.
(٥) المصدر السابق، ص ٧٢٩ ترجمة رقم ١٧٦٢.

ظاهري المذهب، وله آراء فلسفية في المذهب الظاهري، لتأثره الكبير بابن حزم، إلاّ أنّه كان يدعو إلى التوفيق بين الظاهرية والمذاهب الأخرى.

وكما دعا الفقيه الأشعري، أبو بكر بن العربي، إلى التوفيق بين الأشعرية والمالكية والصوفية، دعا أبو عامر الميورقي إلى فلسفة ظاهرية، تنبع من أفكار صوفية تدعو إلى زهد. وعاش في بغداد وتأثّر بعلمائها، وترك أثراً فكرياً كبيراً في مدينة السلام إلى أن توفي فيها ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م[١].

ومحمد بن الحسين بن أحمد بن بشر الأنصاري الميورقي، ويكنى بأبي بكر الميورقي، ولد في جزيرة ميورقة، وعاش فيها، وكان صوفياً، ظاهري المذهب، ميالاً إلى الزهد[٢].

وقد تأثّر بأفكار الصوفي الزاهد «أحمد بن موسى بن عطاالله الصنهاجي»، المعروف بأبي العباس ابن العريف، «الذي اشتهر صيته في الزهد والعبادة، وكثر أتباعه على طريقته الصوفية! فنمي ذلك إلى أمير المسلمين «علي بن يوسف بن تاشفين»، فأمر بإشخاصه إليه من المرية، مع أبي بكر محمد بن الحسين الميورقي من غرناطة، وأبي الحكم بن برجان (عبد الرحمن بن أبي الرجال).. وسيّروا إلى مراكش. وتوفي ابن العريف في الطريق ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م»، وندم علي بن يوسف على ذلك، وأصبح قبر ابن العريف الصوفي مزاراً[٣].

كما توفي ابن برجان «عبد الرحمن بن أبي الرجال» منفياً في مراكش، وكان كمحمد بن حسين الميورقي وابن العريف زاهداً متكلماً متصوفاً، «وكان من أهل المعرفة والتحقق بعلم الكلام، والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة، وله تواليف مفيدة، منها كتاب في تفسير

---

(١) ابن بشكوال: الصلة/٢، ص ٥٦٤.
وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.
والذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٢٧٣ - ١٢٧٥. والعبر في خبر من غبر، ج ٤، ص ٥٧.
والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٩٣.
والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٥٤.
وبدران: تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ١٥١.
ودومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ١١٧.
(٢) ابن الأبار: المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي، ص ١٤٣ ترجمة ١٢٣. والتكملة/السفر الأول، ص ١٧٤ ترجمة ٦٠٨ مطبعة روخس بمجريط ١٨٨٦.
وابن الخطيب: الإحاطة، ج ٣، ص ١٩٠.
(٣) ابن الأبار: المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي، ص ١٥، ترجمة رقم ١٤.
وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢١١.
والذهبي: العبر في خبر من غبر، ج ٤، ص ٩٨ - ٩٩. والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ١٣٣.
والمقري: نفح الطيب، ج ٤، ص ٣٣١.

القرآن . . وكتاب في شرح أسماء الله الحسنى ، توفي مغرّباً عن وطنه ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م . وقبره بإزاء قبر أبي العباس بن العريف »[١] . وكان مصير محمد ابن حسين الأنصاري الميورقي ، يختلف عن زميله ، فقد تمكن من الفرار واللجوء إلى بجاية في المغرب الأوسط ، حيث توفي هناك في رمضان ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م[٢] .

ومن الزهاد المشهورين في ميورقة ، في آخر عهودها الإسلامية « النعمان بن النعمان المعافري الميورقي » ، ويكنى بأبي الزهر . . رحل حاجاً وأدّى الفريضة وجاور بمكة ، ثم قفل إلى بلده ، واعتزل الناس ، وكان يشار إليه بإجابة الدعوة ، توفي حوالي ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م[٣] .

ولم يكن التصوف والزهد في جزر البليار ، عزوفاً عن الجهاد واعتزالاً للحياة ، إلاّ في حالات خاصة . ولم يحاول علماء جزر البليار الاستسلام إلى تأملات الصوفية ، والهروب من مواجهة الخطر الداهم كبقية مدن الأندلس ، عندما اقترب سقوط اسبانيا الإسلامية ، بعد تعرضها لهجوم كاسح من ممالك اسبانيا المسيحية ، تؤازرهم القوات الصليبية من مختلف أنحاء أوروبا ، بل كان عكس ذلك ، فقد استطاعت جزر البليار بقوتها المحدودة أن تقاوم التهديد المسيحي فترة طويلة من الزمن ، وأن تربط جهادها بالدين . كما ظهرت محاولات جادة لجمع العلماء الميورقيين ذوي الأفكار والمذاهب المختلفة في جبهة واحدة ذات فكر موحد ، لمجابهة التهديد الصليبي صفاً واحداً . وكان على رأس الداعين إلى توحيد الجبهة الإسلامية في جزر البليار « محمد بن الحسين الشكّاز الميورقي » ، صاحب كتاب « الميسر » الذي توفي في عام ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م ، قبيل الاجتياح الصليبي لجزيرة ميورقة ببضعة شهور[٤] .

وكان آخر الصوفيين الذين وصلتنا تراجمهم من أهل جزر البليار :

« راجح بن أبي بكر بن ابراهيم العبدري الميورقي ، يكنى أبا الوفاء . . رحل إلى المشرق

---

(١) ابن الابار . التكملة/السفر الثاني ، ص ٥٦٠ ترجمة رقم ١٥٨٨ . والذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج ٤ ، ص ١٠٠ . والتنبكتي : كتاب نيل الابتهاج ، ص ١٦٢ . ومخطوط تاريخ الإسلام للذهبي ، باريس رقم ٤٢٢٧ ، ص ١ / ٣٢ .

(٢) ابن الأبار : التكملة/السفر الأول ، ص ١٧٤ ، ترجمة رقم ٦٠٨ . طبعة روخس بمجريط ١٨٨٦ م . والمعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ، ص ١٥ .
وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٣ ، ص ١٩ .

(٣) ابن الابار : التكملة/ملحقات ص ٦٢٥ ترجمة رقم ١٧٤٦ . طبعة روخس بمجريط ١٨٨٦ م . نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٥٣ ترجمة رقم ١٨٦٦ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٤) ابن الأبار : التكملة ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ ترجمة رقم ١٦٢٩ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ١٧٤ ترجمة رقم ٤٧٠ .
ودومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

وتجوّل هناك ، وسكن الاسكندرية وقتاً وحجّ مراراً ، وسلك طريقة التصوّف ، وكتب لابن الأبار بإجازة ما رواه في رمضان ٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م »[١] . ويذكر الدمياطي في معجم شيوخه بأن راجح بن أبي بكر القرشي العبدري الصوفي ولد في ميورقة (بالياء) والأصح في منورقة (بالنون) ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م ، درّس في القاهرة ، وتوفي في مكة شرّفها الله ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م[٢] .

العلوم اللغوية وأشهر العلماء في جزر البليار

ظلّ العلماء والأدباء يفدون إلى جزر البليار منذ فتحها المستقر ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م[٣] ، من قرطبة ، ومن ثغور شرق الأندلس بصفة خاصة . وبعد نشوب الفتنة الداهمة في بلاد الأندلس ٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م ، وتمزق بلاد الأندلس إلى ممالك طوائف ، توقف الدور الحضاري الرفيع الذي كانت تقوم به قرطبة وعلماؤها ، الذين ظلّوا يفدون إلى جزر البليار طيلة مائة عام! رسخت خلالها كافة المعارف والعلوم بين أهل جزر البليار ، وكان من بينها العلوم اللغوية[٤] .

ومنذ مطلع القرن الخامس للهجرة ارتبطت جزر البليار بدانية وملحقاتها في شرق الأندلس ، فقد كانت تشكل آنذاك ، أحد أجنحة المملكة الجاهدية العامرية . لهذا تأثر أهل جزر البليار في هذه الفترة بعلماء دانية ، ومن وفد إليها من العلماء من بلاد الأندلس والمغرب والمشرق . فقد عرف عن مؤسس هذه المملكة « مجاهد العامري » عنايته الفائقة باللغة العربية وآدابها . . « فقد كان أديب ملوك عصره لمشاركته في علوم اللسان . . » . وكان العلماء والفقهاء والأدباء يفدون إلى بلاطه . . « من المشرق والمغرب ، وألّفوا تواليف مفيدة في سائر العلوم ، فأجزل صلاتهم على ذلك بآلاف الدنانير ، ومضى على ذلك طول عمره إلى أن حانت وفاته بدينة دانية » .

وسار « علي إقبال الدولة بن مجاهد العامري » على خطى والده في تشجيع العلماء والأدباء ، وكان للأدب في عهده سوق رائجة ، مما رسّخ علوم اللغة العربية بين أهل جزر البليار ، لهذا كان الإنتاج وافراً في مرحلة لاحقة[٥] .

وكان من أشهر من وفد على جزر البليار من علماء اللغة العربية بعد استيلاء مجاهد

---

(١) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٣٢٥ ترجمة رقم ٨٨٠ .

(٢) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ١٢٢ . نقلاً عن معجم الشيوخ للدمياطي ، ص ١٣٧ . والفاسي : العقد الثمين في التعريف بالبلد الأمين ، مخطوط باريس ، رقم ٢١٢٤ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

(٤) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي لبليار ، ٩٤ – ٩٦ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة/القسم الثالث/المجلد الأول ، ص ٢٢ – ٢٣ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

العامري على هذه الجزر في عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٥ م[1]، العالم الأديب العراقي « ثابت الجرجاني » ، ويكنى بأبي الفتوح ، وكان من كبار الأدباء والنحاة ، صحب مجاهد العامري إلى جزر البليار ، ورافقه في حملة سردانية ، وعاد معه إلى جزر البليار في أواخر عام ٤٠٦ هـ = ١٠١٧ م ، واستقرّ معه فترة من الزمن في جزيرة ميورقة ، وأخذ الدارسون عنه هناك ، شرح الجمل للزجاجي ، وروايات كثيرة في الآداب ، وغريب اللغة العربية[2] . كما كان طلاب العلم من أهل جزر البليار يتجهون إلى دانية العاصمة السياسية للمملكة المجاهدية العامرية ، لأخذ علوم اللغة العربية وآدابها عن علمائها والعلماء الوافدين إليها ، الذين كانوا يجدون كل رعاية من مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة ، وكان من أشهر هؤلاء العلماء محمد بن خلصة الشذوني النحوي الأديب العالم الشاعر[3]. وبشار الأعمى النحوي الأديب[4]. وتمام بن غالب المعروف بالتيّاني صاحب «كتاب تلقيح العين» في اللغة ، وقد عرض عليه مجاهد العامري ، ألف دينار حتى يضيف إلى مقدمته ، بأنّه كتبه لمجاهد! ولكن ذلك العالم الجليل المعتز بنفسه ، المقدّر لعلمه ، رفض ذلك قائلاً ، بأنه لم يكتبه له ، ولا لغيره من الحكام! بل كتبه لكل طالب علم ، وردّ لمجاهد الألف دينار ، ورفض قبولها[5]. كما اشتهر في بلاط مجاهد العامري من كبار علماء اللغة العربية وآدابها ، « صاعد اللغوي » الأديب النحوي البغدادي[6] . وعلي بن

(١) ابن الأثير: الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٨٤ ترجمة رقم ٣٤٤ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٢٥٣ ، ترجمة رقم ٦٠٢ . وابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ١٢٣ ، ترجمة رقم ٢٨٩ . والسيوطي : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٤٨٢ . والقفطي : انباه الرواة ، ج ١٠ ، ص ٢٦٤ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .
وآنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٥٤ ، ترجمة رقم ٤٩ . والقفطي : انباه الرواة ج ٣ ، ص ١٢٥ ، ترجمة رقم ٦٤١ . والصفدي : نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٤٨ .

(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٨١ ، ترجمة رقم ٣٤١ . والضبّي : بغية الملتمس ، ص ٢٠٠ ، ترجمة رقم ٣٤٢ . وابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .
ترجمة رقم ٦١٣ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
والقفطي : انباه الرواة ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٥) الحميدي : جذوة المقتبس ص ١٨٣ ترجمة ٣٤٢ . والضبي : بغية الملتمس ص ٣١٩ ترجمة ٨٥٢ .
وابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ١٢١ ترجمة ٢٨٣ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ج ١ ، ص ١٦٦ . والسيوطي : بغية الرعاة ، ج ٥ ، ص ٤٧٨ ترجمة رقم ٩٨٣ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٦) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٤ ترجمة ٥٠٩ . والضبي : بغية الملتمس ، ص ٣١٩ ، ترجمة ٨٥٢ . وابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ٥٣٧ ترجمة رقم ٥٤١ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ . وياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٧ ، ص ٨٠ – ٨١ .
والسيوطي : بغية الوعاة ، ج ٣ ، ص ٦٣٥ . والقفطي : انباه الرواة ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

أحمد بن الحسن المعروف بابن سيده امام اللغة العربية في عصره ، وكان مقرّباً لأبي الجيش الموفق مجاهد العامري ، ولابنه من بعده علي إقبال الدولة . وكان من كبار أدباء وكتّاب وشعراء البلاط . وقد كتب كتبه الشهيرة في علوم اللغة العربية ، المحكم والمحيط الأعظم والمخصّص ، بتشجيع من ملكي دانية وجزر البليار ، وأخذ عنه كثيرون من الدارسين وطلاب العلم من أهل جزر البليار ، مما رسّخ علوم اللغة العربية وآدابها في هذه الجزر ، وانتشرت كتب هؤلاء العلماء بين أهلها[1] .

وفشت علوم اللغة العربية وآدابها في دانية وجزر البليار في عهد المملكة المجاهدية العامرية ، حتى بين الجواري والغلمان ، وليس أدل على ذلك من « العبادية » جارية المعتضد بن عبّاد التي أهداها إليه مجاهد العامري ، وكانت أديبة كاتبة شاعرة نحوية ، تتميز بالظرف وحدة الذكاء . ولم يستطع علماء اشبيلية على براعتهم في علوم اللغة وآدابها ، مجاراتها في غريب اللغة[2]!

وإشراق السوداء العروضية النحوية التي أشرفت على تأديب أسماء بنت مجاهد العامري[3] . أخذت علم النحو واللغة عن أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون ، وفاقته في المعرفة والقدرة على الاستيعاب ، كما أتقنت علم العروض . . وقال أبو داود سليمان ابن نجاح العالم الشهير ، « أخذت عن إشراق السوداء العروضية العروض ، وقرأت عليها النوادر لأبي علي القالي ، والكامل للمبرّد ، وكانت تحفظ الكتابين!! » . توفيت حوالي سنة ٤٤٣ هـ = ١٠٥١ م[4] .

وكان للوافدين إلى جزر البليار من قرطبة ومن شرق الأندلس ، فضل كبير على ترسيخ علوم اللغة العربية وآدابها في هذه الجزر ، وكان من بين هؤلاء العلماء « الحسين بن اسماعيل » ، تولّى القضاء في جزيرة منورقة ، وكان عالماً بالنحو وآداب اللغة العربية ، وأخذ عنه كثيرون من

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣١١ ترجمة ٧٠٩ . والضبي : بغية الملتمس ، ص ٤١٨ ترجمة ١٢٠٥ . وابن بشكوال : الصلة/٢ ، ترجمة ٨٩٥ ، ص ٤١٧ . وصاعد بن أحمد : طبقات الأمم ، ص ١١٩ . وابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٢٨ . وأبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٨٦ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .
والدلجي : الفلاكة والمفلوكون ، ص ٧٦ . والقفطي : انباه الرواة ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ .
والسيوطي : بغية الوعاة ، ج ٢ ، ص ١٤٣ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ١٧٢ و٢٧٢ .

(٢) ابن الأبار : التكملة/٢ ، ص ٤٠٤ ترجمة رقم ٨٧٠ طبعة مدريد ١٩١٥ م .
والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .

(٣) ابن الأبار : التكملة/ ٢ ، ص ١١٥ ، ترجمة رقم ٦٠٨ طبعة مدريد ١٩١٥ م .
والسيوطي : بغية الوعاة، ج ١ ، ص ٤٥٨ ترجمة رقم ٩٣٩ .

(٤) ابن الأبار : التكملة/السفر الثالث/تراجم النساء ، ص ٧٤٥ ، ترجمة رقم ٢١١٥ ، طبعة روخس – مجريط ، ١٨٨٦ م .

أهل جزر البليار ، إلى أن توفي في جزيرة ميورقة ٤١٢ هـ = ١١٢١ م[1] .

« ومصعب بن عبد الله بن محمد بن يوسف نصر الأزدي » ، أديب لغوي ، تولّى الحكم بجزيرة ميورقة ، وأخذ أهلها عنه آداب اللغة[2] .

« ومحمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي » ، تولّى الحكم بجزيرة ميورقة ، وأخذ أهلها عنه علوم اللغة العربية وآدابها ، إلى أن توفي في جزيرة ميورقة ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م[3] .

كما وفد إلى جزر البليار ، واستقر فيها « موسى بن عبدالله بن الحسين بن أبي الغسّان » ، أصله من الكوفة ، وتوجه منها إلى صقلية : « ودخل الأندلس مجاهداً ، وكان عنده علم وأدب بارع .. وأخذ عنه بميورقة »[4] . وقد استقر ابنه الحسن بن موسى بن أبي البسام في جزيرة ميورقة وعلم فيها ، وأخذ عنه وعن ابنه عبد العزيز كثيرون من أهل جزيرة ميورقة علوم اللغة العربية وآدابها[5] . وكان عبد العزيز بن حسن بن موسى بن أبي البسام من علماء اللغة العربية ، وقد أخذ هذا العلم عن أبي عبيدة الميورقي الزاهد .. « ولقي أبا بكر بن اللبّانة ، وأنشد ناصر الدولة أمير ميورقة ، وهو دون الحلم ، وولي خطة الكتابة ، إلى أن توفي بميورقة ٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م »[6] .

كما وفد إلى جزيرة ميورقة من صقلية ، « أبو العرب الصقلي مصعب بن محمد بن أبي الفرات العبدري » ، وكان يسمع الدارسين فيها ، « أدب الكتّاب » لابن قتيبة . وكان عالماً متقناً للأدب ، شاعراً مفلقاً ، توفي في جزيرة ميورقة ٥٠٦ هـ = ١١١٢ م[7] .

وبفضل هؤلاء العلماء والأدباء وأمثالهم ، الذين أخذ عنهم أهل جزر البليار ، نبغ كثيرون منهم في علوم اللغة العربية وآدابها ، ومن أشهرهم ومن روادهم الأوائل ،

« أبو تمام النحوي غالب بن عبدالله بن اليمن بن محمد بن عامل القيسي القطيمي الميورقي » ، صحب أبا الفتوح الجرجاني « ثابت البغدادي » ، وأخذ عنه علم النحو وآداب اللغة العربية ،

---

(١) ابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ١٤١ ، ترجمة رقم ٣٢٣ . والمقري : نفح الطيب : ج ٤ ، ص ١٧١ . وشكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج٣ ، ص ٢٠٣ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ٦٢٧ ؛ ترجمة رقم ١٣٨٠ .

(٣) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٣٨٤ ، ترجمة رقم ١٠٦٨ . ويترجم له ابن بشكوال في الصلة ويدعوه باسم «عبد الرحمن بن محمد بن معمر اللغوي » . (ابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ٣٢٨) .

(٤) ابن بشكوال : الصلة / ١ ، ص ٦١٣ ، ترجمة رقم ١٣٤ .

(٥) ابن الأبار : التكملة/ ١ ، ص ٢٦٠ ترجمة رقم ٦٨٨ . طبعة عزت العطار الحسيني .

(٦) المصدر السابق ، ص ٧٢٩ ، ترجمة رقم ١٧٦٣ ، طبعة روخس بمجريط ١٨٨٦ م .

(٧) نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، وج ٢ ، ص ٧٠٣ ، ترجمة رقم ١٧٨٦ ، طبعة عزت العطار الحسيني .

كما أخذ عن علماء صقلية وقرطبة وعلماء شرق الأندلس ، وظل يعلم النحو وآداب اللغة العربية في مدينة ميورقة حتى وفاته ٤٦٥ هـ = ١٠٧٣ م[1] .

وقد تأدب بأبي تمام النحوي القطيني الميورقي ، وأخذ عنه علوم اللغة العربية « يحيى بن عبدالله بن محمد المعروف بابن الفرضي »[2] . وعبد الرحمن بن محمد بن يونس بن أفلح النحوي[3] . وباقي بن عبدالله بن اسماعيل الأسلمي الالشي[4] .

وقد اشتهر بآداب اللغة العربية وعلم النحو في جزيرة ميورقة أيضاً ، علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري الميورقي ، ويعرف بابن طنيز ، الذي تعلم في جزيرة ميورقة وأخذ عن علمائها ، وكان مجيداً في كل علوم عصره ، وقد اشتهر بصفة خاصة في علم النحو وآداب اللغة العربية ، وقد توجه من ميورقة إلى بلاد المشرق ، واستوطن في مدينة بغداد ، ومنها توجه إلى عُمان وزنجبار ، حيث علّم اللغة العربية ، وعلم النحو بصفة خاصة ، وحصل من وراء ذلك على أموال طائلة ، لبراعته وإجادته وإخلاصه لعمله ، وتوفي في بغداد ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م ، وفي رواية أخرى توفي في كاظمة « في الكويت حالياً » سنة ٤٧٥ هـ = ١٠٨٢ م ، أثناء عودته من عمان ، وكان له أسلوبه الخاص الفذ في التعليم[5] .

وعبدالله بن الفضل بن عمر بن فتح اللخمي البنتي ، عاش في ميورقة وتصدّر لإقراء اللغة العربية وآدابها ، وكان ذا حظ في اللغة والنحو والشعر ، بارع الخط ، رائق الوراقة ، توفي في ميورقة سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م[6] .

وعبد الله اليابسي من جزيرة يابسة النحوي الأديب ، كان يحضر مجالس الأدب . ويروي محمد ابن كثير القرشي المخزومي الشذوني ، ويكنى بأبي حاتم المتوفى ٤٧٢ هـ = ١٠٧٩ م[7] عن أحد

---

(١) ابن بشكوال : الصلة/٢ ، ص ٤٥٧ ترجمة رقم ٩٨٠ . وابن الأبار : التكملة/١ ص ٥٢٠ ، ترجمة رقم ٩٥٦ . طبعة عزت العطار الحسيني . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/السفر الخامس/٢ ، ص ٥١٧ - ٥١٨ ، ترجمة رقم ٩٨٢ . وميخائيل أماري : المكتبة الصقلية ، ص ٦٩ . وشكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ١٧١ .

(٣) ابن بشكوال : الصلة/٢ ، ص ٣٤٤ ، ترجمة رقم ٧٣٧ .

(٤) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٢٣٠ ، ترجمة رقم ٦١٤ ، طبعة عزت العطار الحسيني .

(٥) ابن الأبار : التكملة/٢ ، ص ١٩٦ ، ترجمة رقم ٢٧٨ . طبعة مدريد ١٩١٥ م . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ١/٥ ، ص ١٦ ، ترجمة رقم ٣٢٥ . والقفطي : انباه الرواة ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، ترجمة رقم ٤٢٣ . والسيوطي : بغية الوعاة ، ص ١٤٤ ، ترجمة رقم ١٦٥٨ . وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . والحدائق الغناء ، ص ١١٣ .

(٦) ابن الأبار : التكملة/٢ ، ص ٨٠٧ ، ترجمة رقم ١٩٧ ، طبعة عزت العطار الحسيني .

(٧) محمد بن شريفة : أبو المطرّف بن عميرة ، ص ٢٧٢ .

هذه المجالس الأدبية. التي جمعت مفرج جبرون الأديب النحوي، أحد غلمان علي إقبال الدولة، ونجدة السرداني الأديب العالم اللغوي من سي سردانية وعبدالله اليابسي، وابن سيده اللغوي، وما دار فيها من جدل لغوي يدل دلالة واضحة على رفعة المستوى الأدبي، لعلماء جزر البليار، في عهد مجاهد العامري، «الذي جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه، وأتت عليه العلماء من كل صقع، فاجتمع بفنائه جملة.. كأبي معمر اللغوي وابن سيده.. فشاع العلم في حاضرته حتى فشا في جواريه وغلمانه»[١]. وواصل ابنه علي إقبال الدولة عنايته بالعلم والعلماء والأدب والأدباء، فوفد إلى عاصمة ملكه العلماء والأدباء، أمثال محمد بن كثير القرشي المخزومي[٢]، وكانت عناية علي إقبال الدولة بجمع الكتب واقتناء المكتبات لا تقل عن أبيه مجاهد العامري، وكان في قصره «قصر الحبور»، متخصصون في شتى اختصاصات «الوراقة والنسخ». وقد اشتهر من بينهم محمد بن عبدالله بن محمد البشكلاري، «وكان وراقاً بارع الخط، انتسخ كثيراً لإقبال الدولة أبي الحسن علي بن الموفق مجاهد، حتى وفاته حوالي سنة ٤٥٦ = ١٠٦٣ م»[٣]. وليس أدل على ارتفاع مستوى الأدب في عهد علي إقبال الدولة من الرسالة الشعوبية التي كتبها أبو جعفر أحمد بن أبي عامر بن غرسيه الكاتب الأديب، بالرغم من أصله البشكنسي[٤].

وكان الدافع إلى كتابة هذه الرسالة الشعوبية التي أثرت الأدب لكثرة الردود عليها، هو الخلاف الذي نشب بين أحمد بن أبي عامر بن غرسيه[٥]، والشاعر أحمد بن الجزار[٦]، بسبب إهمال ابن الجزار لمدح معز الدولة، «محمد الفتح» بن علي إقبال الدولة، حيث يخاطبه قائلاً، «.. وأحر في هذا الفصل بعدم الوصل.. إذا أضربت عن مديح.. سهمنا النفيس وشهمنا الرئيس معز الدولة المولى الأعظم والموئل الأعصم، قيل الأمم وسيل العرم، مغني المغاني ومعنى المعاني ذي النفاسة النفسانية والرياسة الساسانية..»[٧]. وإنّ الدافع إلى ظهور مثل هذه الحركة الشعوبية في دانية وجزر البليار، هو سيطرة الموالي العامرية، الذين لا يمتون بصلة إلى الأصل العربي، فقد شجّعوا الموالي أمثالهم من الصقالبة والفرنجة والبشكنس، وأهملوا شأن

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص ١١٨.
(٢) محمد بن شريفة: أبو المطرف بن عميرة، ص ٢٧٢.
(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة/٦، ص ٣١٧، ترجمة رقم ٨٢٥.
(٤) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٠٦ – ٤٠٧.
(٥) ابن الأبار: المعجم في أصحاب الامام أبي علي الصدفي. ص ٣١١.
وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٠٦ – ٤٠٧.
وابن بسام الشنتريني: الذخيرة/القسم الثالث/٢، ص ٧٠٤.
(٦) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ٣٥٥/٢.
(٧) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة/القسم الثالث/٢، ص ٧١٣.

ذوي الأصول العربية، بالرغم من اعتزازهم باللغة العربية لغة القرآن اعتزازاً منهم بالإسلام وتراثه[١].

وقد رد على أحمد بن غرسيه كثيرون، منهم أبو جعفر أحمد بن الدودين البلنسي[٢]. وأبو الطيب عبد المنعم القروي[٣]. وعبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الغرناطي[٤]. ومحمد بن علي بن عبد ربه التجيبي المالقي[٥].

وبالرغم من هذا التيار الشعوبي الذي شمل جزر البليار، فقد ظلّت للعروبة فيها وفي شرق الأندلس أصالتها، وترسّخت جذور اللغة العربية فيهما، وواصل علماء جزر البليار تمسّكهم بتراثهم العربي، وعنايتهم بآدابها، وتعليمها لمواطنيهم، وكان من بين هؤلاء نافع بن رياض الجنزيري الميورقي من شيوخ الأدب، علّم آداب اللغة العربية في بلده، إلى أن توفي سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٠ م[٦]، وعثمان بن دليم الميورقي من كبار الأدباء وعلماء اللغة، توفي سنة ٤٣٤ هـ = ١٠٤٢ م[٧]. وعلي بن رجا بن مرجى الميورقي، وكان من كبار الأدباء والعلماء باللغة العربية، وقام بتعليمها للناشئة في ميورقة، إلى أن توفي سنة ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م[٨]، والأديب أبو العباس أحمد البنّي الذي اتخذ له في جزيرة ميورقة رابطة يعلم فيها. حتى نفاه مبشر ناصر الدولة عن ميورقة[٩] ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م في الوقت الذي كان فيه الفتح بن خاقان في ميورقة[١٠].

وكان من أشهر علماء اللغة العربية في جزر البليار في عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة قبيل الاجتياح الصليبي الأول لهذه الجزر، «عبد العزيز بن الحسن بن أبي البسام، ولاّه مبشر ابن سليمان ناصر الدولة خطة الكتابة، وكان من شعراء أمير البليار، وبلغ تمكّنه من اللغة العربية إلى حد «أنشد فيه ناصر الدولة، أمير ميورقة وهو دون الحلم»! وقد أخذ عنه كثيرون

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦.
(٢) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة ٢/٣، ص ٧٢٢ – ٧٤٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٢٢ – ٧٤٦.
(٤) ابن الزبير: صلة الصلة، ص ١٧، ترجمة رقم ٢٨.
(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٣، ص ٢٢٨ – ٢٢٩.
(٦) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٥٨، ترجمة رقم ٨٥٣.
(٧) ابن بشكوال: الصلة/٢، ص ٤٠٥، ترجمة رقم ٨٧٧.
(٨) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٣، ترجمة رقم ٧١٣.
وابن بشكوال: الصلة/٢، ص ٤١٣، ترجمة رقم ٨٨٨.
(٩) د. إحسان عباس: اخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي، ص ٧.
(١٠) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص ٧٦ و٣٤٤ – ٣٤٥.

علوم اللغة العربية في جزيرة ميورقة ، إلى أن توفي فيها ٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م[١] .

وبالرغم من النكبة الداهمة والمصاب الجلل الذي تعرضت له جزر البليار في نهاية عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، وإبادة معظم سكان جزيرتي ميورقة ويابسة . فقد أعاد المرابطون البواسل جزر البليار ثانية إلى حظيرة الإسلام ٥٠٩ هـ = ١١١٦ م[٢] . واستعادت بالتدريج دورها الحضاري ، وواصل أهلها الأخذ عن الوافدين من العلماء إلى هذه الجزر ، ومن أصلاء أهلها ، علوم اللغة العربية وآدابها ، ومن أشهر هؤلاء العلماء ، « علي بن مسعود القاضي ، حفيد عصام الجولاني ، فاتح جزر البليار ، وكان من كبار الأدباء اللامعين في فترة توليته القضاء بميورقة ، وأخذ عنه كثيرون من أهل هذه الجزر ، إلى أن توفي في عام ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م[٣] .

وعلي بن صالح بن أبي الليث ، ويعرف « بابن عز الناس » ، طرطوشي الأصل ، أقام بميورقة ، وكان من كبار أدبائها ، توفي مقتولاً على يد سعد بن محمد بن مردنيش ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م[٤] .

ومن الذين اشتهروا بإجادة علوم اللغة العربية وعلم النحو بصفة خاصة ، في جزيرة يابسة « أبو محمد عبد الله بن الحسين بن عشير اليابسي » النحوي . أخذ علم النحو عن أبي الحسين سليمان ابن طراوة السبائي المالقي النحوي[٥] . ودرّس علم النحو في جزيرة يابسة ، ثم هاجر إلى الاسكندرية ، وتصدّر تعليم النحو فيها ، إلى أن توفي ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م ، ودفن بمقبرة باب البحر في الاسكندرية[٦] .

وقد برع في جزيرة يابسة في علم البلاغة والبيان وآداب اللغة العربية ، عبد العزيز بن عبد

---

(١) ابن الأبار : التكملة/٢ ، ص ٧٢٩ ، ترجمة رقم ١٧٦٣ . طبعة روخس بجريط ١٨٨٦ .

(٢) ابن الكربودس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ وما بعدها .

(٣) ابن الأبار : التكملة/٢ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ طبعة مدريد ١٩١٥ م . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة/السفر الخامس/القسم الأول ، ص ٤٠٨ .
والتنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص ١٩٨ .

(٤) ابن الأبار : التكملة/٢ ، ص ٦٦٨ ترجمة رقم ١٨٦٠ ، طبعة روخس - مجريط ١٨٨٦ م . ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة/السفر الخامس/القسم الأول ، ص ٤٤٧ .
وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ص ١٨٣ - ١٨٤ . والتنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص ١٩٩ .

(٥) تراجع ترجمة « ابن الطراوة النحوي » في المقتضب من تحفة القادم ، ص ١١ ، وفي المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٢٤ . والقفطي : إنباه الرواة . ج ٥ ، ص ١١٥ ترجمة رقم ٣٢٣ . والسيوطي : بغية الوعاة ، ج ٢ ص ٣٨ ترجمة ١٣٧٣ .

العزيز بن محمد بن شدّاد المعافري ، جياني الأصل ، استقر في جزيرة يابسة إلى أن توفي بها حوالي ٥٦٠ هـ = ١١٦٤ م[١] .

ومن الذين برعوا في « علم الخط » في جزيرة ميورقة ، « عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى بن عمير الثقفي » ، توفي في جزيرة ميورقة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م[٢] . ومحمد بن عبد الله بن خيار المكتّب ، وكان يكتب المصاحف ، توفي ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م[٣] .

وقد اشتهر في علم اللغة العربية في نهاية عهد المرابطين من مسوّفة وبداية العهد الموحدي ، « محمد بن خلف المعافري الميورقي » الذي تصدّر في جزيرة ميُورقة « لتعليم اللغة العربية ، وتقدّم أهل بلده في ذلك ، وأخذ عنه جماعة منهم أبو عبدالله محمد بن الحسين الشكّاز ، توفي في مراكش ٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م »[٤] . ومن الذين اشتهروا في علوم اللغة العربية وآدابها في العهد الموحدي من الوافدين إلى جزيرة ميورقة ، « الحسن بن علي الأغماتي التلمساني الأصل ، قدم إلى جزيرة ميورقة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م ، وأقام بها » ، وأقرأ العربية إلى أن سعى به عند واليها « أبو يحيى التنملي ، وبجماعة معه فأزعجهم عنها . . » ورحّلهم منها إلى بلنسية ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م[٥] . والقاضي أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله ، ولي القضاء في ميورقة ، ودرّس فيها علوم اللغة وآدابها ، وكان نحوياً بارعاً ، يعتمد في تدريسه على كتاب سيبويه ، توفي ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م[٦] .

ومحمد بن الحسين بن علي بن موفق الميورقي ، ويعرف بالشكّاز ، ويكنى بأبي عبد الله ، وكان يعلم اللغة العربية في بلده ، بعد أن أجادها على يد محمد بن خلف المعافري الميورقي ، إلى أن توفي سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م[٧] .

ومحمد بن أحمد بن عبد الودود البكري ، درس آداب اللغة العربية وعلم النحو على يد ابن

---

(١) ابن الأبار : التكملة/السفر الثالث ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ ترجمة رقم ١٧٦٠ طبعة روخس - مدريد ١٨٨٦ م .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٦٣ ترجمة رقم ١٥٩٨ نفس الطبعة .

(٣) نفس المصدر السابق والطبعة ، ص ٢٣١ ، ترجمة رقم ٩٧١ .

(٤) ابن الأبار : التكملة/السفر الثالث ، ص ٥٧٠ ترجمة رقم ١٥٢٨ طبعة عزت العطار الحسيني .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧١ ، ترجمة رقم ٧٥٣ .

(٦) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٢ .
والمنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
وابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .
وابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ١٤٢ .
والسيوطي : تذكرة الحفّاظ ، ج ٤ ، ص ١٣٩٧ .
والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٣٤ .

(٧) ابن الأبار : التكملة/٢ ، ص ٦٢٣ وص ٥٧٠ ترجمة رقم ١٦٢٩ .

حوط الله القاضي ، وأبي عبد الله الشكّاز وغيرهم ، وقد أسهم بدور بارز في تعليم اللغة العربية في ميورقة ، إلى أن توفي في شهر محرم ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م ، قبل اجتياح القوات الصليبية لمدينة ميورقة بشهر واحد[1] .

وعبد الملك بن إبراهيم بن هارون العبدري الميورقي ، تصدّر لتدريس علم النحو في ميورقة ، إلى أن استشهد بعد اجتياح القوات الصليبية لأسوار مدينة ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م[2] .

ومحمد بن علي بن اسحق بن محمد العبدري الميورقي ، علّم اللغة العربية وآدابها في ميورقة ، واهتم بعلم النحو بصفة خاصة وأجاد فيه . وبعد استيلاء القوات الصليبية على مدينة ميورقة ، وقع في أسر الغزاة في منتصف شهر صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م ، وأنقذه من الأسر أمير منورقة سعيد بن حكم بن عثمان ، وأحضره إلى جزيرة منورقة ، ودرّس فيها النحو والأدب ، « وكان نحوياً أديباً حسن التعليم » ، ومن الذين أخذوا عنه علم النحو أبو محمد عبد الله مولى سعيد بن حكم بن عثمان[3] .

وكان سعيد بن حكم بن عثمان أمير جزيرة منورقة من كبار علماء اللغة العربية في عصره ، وكان أديباً عالماً في علم النحو ، وأخذ عنه كثيرون في منورقة[4] .

أبو محمد عبد الله مولى سعيد بن حكم ، أخذ علوم اللغة العربية عن كبار علماء منورقة ، وأجاد فيها خاصة في علم النحو ، وقد أخذ عنه كثيرون ، وانتفعوا بمعرفته الواسعة في مجالات عديدة[5] .

وعلي بن يحيى التجيبي المنورقي ، يكنى بأبي الحسن . . وكان متقدماً في النحو والأدب ، درّس زماناً ما كان عنده ، وانتفع الناس به[6] . ومحمد بن علي بن عثمان الأزدي المنورقي أبو عبد الله ، تأدب في النحو على يد أبي عبد الله الحسين بن الشكّاز الميورقي ، وأجاز له ، وأخذ أيضاً عن أبي مروان إبراهيم بن هارون الميورقي ، وتأدّب به في النحو والأدب أبو محمد عبد الله

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٣٤ ، ترجمة رقم ١٦٣١ .
(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ١٤٧ ، ترجمة رقم ٢٨٦ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/السفر الخامس/١ ص ١٢ ترجمة رقم ١١ .
(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة ، ج ٦ ، ص ٤٣٩ ترجمة رقم ١١٨٠ .
(٤) السيوطي : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٥٨٣ . والذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ، ص ٢٨ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ .
(٥) ابن القاضي : درة الحجال في أسماء الرجال ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ . ورحلة العبدري ص ٢٨٠ .
(٦) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/السفر الخامس القسم الأول ، ص ٤٢٣ ، ترجمة رقم ٧٢١ .

مولى سعيد بن حكم أخذ عنه بمنورقة ، واستقضي بمنورقة إلى أن توفي سنة ٦٧٠ هـ[1] .

وظلّ لعلماء ميورقة شهرتهم في النحو واللغة العربية بعد هجرتهم من الجزيرة ومنهم علي بن محمد الشاطبي الميورقي الأصل النحوي ، توفي سنة ٦٧٠ هـ[2] .

ومحمد بن عبد الله الميورقي الأصل النحوي ، توفي سنة ٧٢٠ هـ[3] .

الحياة الأدبية في جزر البليار
وأشهر الشعراء والأدباء

جذبت هذه الجزر منذ استقلالها على يد مجاهد العامري ٤٠٥ هـ = ١٠١٥ م[4] ، الشعراء والأدباء الذين وفدوا إليها من بلاد الأندلس والمغرب ، ومن جزيرة صقلية وبلاد المشرق ، وقد التف حول مجاهد العامري لفيف من الشعراء والأدباء ، وأصبح بلاطه في قصر الحبور ، كبلاط كبار الملوك ، ولكثرة نقده للشعر ، لمعرفته بأصوله وعروضه ، فقد انفض الشعراء من حوله[5] .

وبالرغم من ذلك فقد خلّد الشعراء والأدباء الذين وفدوا على بلاط مجاهد العامري اسمه ، واسم ابنه من بعده « علي إقبال الدولة » ، وأسهموا في خلق نهضة أدبية في دانية وجزر البليار . وكان من أشهرهم : أحمد بن دراج القسطلي المتوفى ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م من كبار شعراء الأندلس ، خلد مجاهد العامري بفرائد من شعره[6] . وأحمد بن محمد بن أحمد بن برد الذي مدح مجاهد العامري « برسالة السيف والقلم »[7] . وعبد الرحمن بن مقانا البطليوسي الأشبوني ، من شعراء بلاط مجاهد ، وقد برع في وصف مجالسه[8] .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٥٥ ، ترجمة رقم ١٦٢٦ .
(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ١٤٧ ، ترجمة رقم ٢٨٦ .
(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٠ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
(٥) ابن بسام : الذخيرة/القسم الثالث/١ ، ص ٢٢ ، وابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٦ .
(٦) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١١٠ - ١١١ ترجمة رقم ١٨٦ . والضبي : بغية الملتمس ، ص ١٥٨ ترجمة رقم ٣٤٢ . وديوان ابن دراج/تحقيق د. محمود علي مكي ص ٧٨ .
(٧) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١١٥ ترجمة رقم ٤٩ . والضبي : بغية الملتمس ص ١٦٤ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٨٦ - ٩١ .
وابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٢٧ . والصفدي : الوافي بالوفيات ج ٧ ، ص ٣٥ .
(٨) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٧٩ ترجمة رقم ٦١٨ . وابن بسام : الذخيرة ٢/٢٠٠ ، ص ٧٩٦ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ج ١ ، ص ٤١٧ . وابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ٤٣ . والمقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .

وأبو محمد عبد الله بن سارة الشنتريني من شعراء مجاهد العامري[1]. وصاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي، وكان أحد كبار شعراء بلاط مجاهد العامري وأدبائه وله فيه مدائح كثيرة[2].

ومحمد بن القاسم ويعرف «بأشكهباط» وفي رواية أخرى «أشكنهادة» وكان من ظرفاء بلاط مجاهد العامري والمقربين إليه[3].

وعلي بن أحمد بن إسماعيل المعروف بابن سيدة، «وكان شاعراً منقطعاً للأمير أبي الجيش مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة»[4]. والأديب عبد الله بن إسماعيل الجياني، «نشأ بسفاقس من أعمال افريقية، ودخل الأندلس، واتصل بالموفق مجاهد صاحب دانية والجزائر (البليار) وكان من ذوي النباهة والنزاهة، توفي ذبيحاً ٤١٥ هـ = ١٠٢٤ م[5].

«وكان من أشهر شعراء علي إقبال الدولة بن مجاهد»، محمد بن خلصة الشذوني[6]. وإبراهيم ابن وزمر الصنهاجي الحجاري، «صاحب كتاب الحديقة في البديع»، قصد إلى بلاط علي إقبال الدولة، في قصر الحبور، ومدحه بغرر من قصائده[7].

والفضل بن أحمد بن دراج القسطلي، مدح علي إقبال الدولة، وكان أحد شعرائه المشهورين[8]. وأبو القاسم بن خيرون من ظرفاء شعراء علي إقبال الدولة بن مجاهد[9].

---

(١) ابن بسام: الذخيرة ٢/٢، ص ٨٣٤. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٤١٩. وابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٧٨ وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٩٣. والدلجي: الفلاكة والمفلوكون ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٤. والضبي: بغية الملتمس، ص ٣١٩. وابن بشكوال: الصلة/١، ص ٢٣٦ - ٢٣٧. والذهبي: العبر في خبر من غبر ج ٣، ص ١٢٤. والمقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٧٥ - ٩٥.

(٣) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٣١ - ٣٢.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١١. والضبي: بغية الملتمس، ص ٤١١. وابن بشكوال: الصلة/١، ص ٤١٧. وصاعد: طبقات الأمم، ص ١١٩ والقفطي: إنباه الرواة، ص ٢٢٥ - ٢٢٦. وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٣٠. والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٢٧١.

(٥) ابن الأبار: التكملة/السفر الثاني، ص ٢٢٥ ترجمة ١٤٧٨ طبعة روخس - مدريد ١٨٨٦ م.

(٦) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٥٤ ترجمة رقم ٤٩. وابن الأبار: التكملة/١ ص ٣٩٥ ترجمة رقم ١١٠٧ طبعة عزت العطار الحسيني. ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، ج ٦، ص ١٨٠. والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٣٥.

(٧) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٣٤.

(٨) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٢٧. والضبي: بغية الملتمس، ص ٤٤٣. وابن بشكوال: الصلة/٢، ص ٤٦٤. وابن بسام الذخيرة ٢/١، ص ٦٦. وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٦١.

(٩) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤١٩.

والوزير الحكيم أبي محمد المصري.. «عبد الله بن خليفة القرطبي»، مدح علي إقبال الدولة بعدة قصائد[1]. وقد تردد صدى هذه المدائح وما كتبه الأدباء في مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة في جزر البليار ودانية، وتناقلها أهلها جيلاً بعد جيل. ونتيجة لرسوخ اللغة العربية وآدابها في جزر البليار، واهتمام ملوك هذه الجزر وعمالها الأدباء والشعراء، فقد ظهر عدد من كبار الأدباء والشعراء في جزر البليار في القرن الخامس للهجرة = الحادي عشر للميلاد.

ولم أجد في أي مصدر تمكنت من الاطلاع عليه أسماء شعراء أو أدباء من أصلاء أهل هذه الجزر في القرن الرابع للهجرة = العاشر للميلاد في عهد الخلافة الأموية في الأندلس؛ وجميع من عثرت على أسمائهم من الوافدين إلى هذه الجزر؛ ومن أشهرهم جعفر بن عثمان المصحفي عامل جزر البليار وقائدها[2]. وربما تكون أسماؤهم قد فقدت وضاعت فيما ضاع من تراث، أو أنها ما زالت في طي الكتمان، في مصادر لم نعثر عليها بعد، أو أن شهرتهم لم تبلغ حداً يثير اهتمام أدباء الأندلس، وأصحاب كتب التراجم والطبقات. ومهما يكن الأمر فقد اشتهر في جزر البليار في عهد المملكة المجاهدية العامرية عدد من الشعراء والأدباء من أصلاء أهلها والوافدين إليها.

وكان من أشهرهم: أبو علي إدريس بن اليمان العبدري الشبّيني اليابسي من جزيرة يابسة ثالثة جزر البليار، وكان من أشهر شعراء عصر ملوك الطوائف، وقد دعي بالشبيني نسبة إلى شجر الصنوبر الذي اشتهرت به جزيرة يابسة ويدعي «شبين» Sabina بعجمية أهل الأندلس[3]. وقد مدح علي إقبال الدولة وبقية ملوك الطوائف في عصره وكان يأخذ مائة دينار على كل قصيدة. وقد ذكر صاحب الذخيرة نماذج عديدة من شعره[4]. وقد مدح مجاهد العامري بقصيدة مطلعها:

ولربّ ليل قد طرقت وهمتي   أسري بها إذ ليس يسري كوكب

وكان مجاهد العامري يعبث بيديه.. استثقالاً للعارفة وبخلاً بالجائزة.. «وما إن انتهى

---

(١) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/١، ص ٣٤٢، ٣٥٢ - ٣٥٤.

(٢) ابن الأبار: التكملة، ج ١، ص ١٣ ترجمة رقم ١٦، وج ٢، ص ٧٥٤ ترجمة رقم ١٨٦٧. والحلة السيراء، ج ١، ص ٢٥٧ وما بعدها. وابن سعيد المغربي: رايات المبرزين، ص ٦٩. وعبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٦٢.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٨١ ترجمة ١٢٨. والضبي: بغية الملتمس ص ٢٣٦ - ٢٣٧، ترجمة رقم ٥٦٠. وابن الأبار: التكملة/١، ص ١٩٥، ترجمة رقم ٥١٨. وابن سعيد المغربي: روايات المبرزين، ص ١٢٦. والمرقصات والمطربات، ص ٧٨. والمغرب في حلى المغرب، ج ٤، ص ٤٠٠. وفوات الوفيات ١٦١/١، والمقري: نفح الطيب ٤ = ٧٥. ومخطوط الأنساب للسمعاني ورقة ٥٩٦. والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٣٢.
وابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٢٠ و١٩٧.

(٤) ابن بسام: الذخيرة ١/٣، ص ٣٣٦ - ٣٦٠.

اليابسي من إلقاء قصيدته حتى اختطف منه مجاهد القرطاس من يده وقال وقد سدّ خياشيمه :

إن رائحة الشبين على شعرك تعريضاً له بيابسة! جزيرة في البحر كان منها ، وأكثر شجرها الشبين (الصنوبر) Sabina فخجل لمقامه وتعثر في ذيل كلامه فلما وثبت إليه نفسه وراجعه حسّه قال : أيها الأمير ان كنت أسأت في مدحك فأحسن في منحك أو قصرت في وصفك فأطل في عرفك »[1] . وقال من قصيدة يمدح علي إقبال الدولة ابن مجاهد :

يعلّي بن مجـــاهـــد أوردتـــه　　　روض المـــديـــح وموسم المـــدّاح

وعلي بن رجا بن مرجى الميورقي شاعر أديب جليل ، أنشد للحميدي كثيراً من شعره توفي بجزيرة ميورقة ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م[2] . وابن عبد المولى الميورقي الشاعر وقد اشتهر بصفة خاصة بالموشحات[3] .

ومحمد بن عمّار الكلاعي الميورقي .. وله قصيدة طويلة على روي النون في السنة والآداب الشرعية يوصي ابنه حسناً[4] . وقد ظلّ صدى هذه القصيدة يتردد زمناً طويلاً ، وقد أنشدها يوسف البدعي الفقيه النحوي لطلابه بعد عدة قرون[5] . وعثمان ابن خلف بن هارون القطيني الميورقي الأديب الشاعر[6] .

ومحمد بن العطار اليابسي من شعراء جزيرة يابسة[7] . وقد ذكر صاحب الذخيرة نماذج عديدة من شعره[8] . ومن الشعراء وكبار الأدباء الذين وفدوا إلى جزر البليار ، من الأندلس وصقلية واستقروا فيها :

أبو العباس أحمد بن البنّي الأبدي الأديب الشاعر ، قدم إلى جزيرة ميورقة من أبدة في البر الأندلسي ، وأقام له رابطة في ساحل ميورقة ، وغضب عليه مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، أمير

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٤٤ .

والحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣١٣ ترجمة رقم ٧١٣ .

وابن بشكوال : الصلة/٢ ، ص ٤١٣ ترجمة رقم ٨٨٨ .

(٣) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى إلمغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ .

(٤) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص ٤٠٣ ترجمة رقم ١١٣٢ . والقاضي عياض : ترتيب المدارك ، ص ٨٢٦ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٥) ابن القاضي : درة الحجال ١٧٥ - ٢/١٧٦ .

(٦) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢١١ ترجمة رقم ٤٢٥ ، وص ١٥٦ ترجمة ٢٨٤ .

والضبي : بغية الملتمس ، ص ٢٨٩ ، ترجمة رقم ٧٢٩ . وابن الأبار : التكملة/١ ص ٢٩٧ ترجمة رقم ٨٠٩ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ٤٥٩ وص ٥٥٥ .

(٧) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ .

(٨) ابن بسام الشنتريني : الذخيرة/القسم الرابع/المجلد الأول ، ص ٣٧٦ - ٣٧٩ .

جزر البليار ونفاه من ميورقة[1] سنة ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م ، وهي السنة التي قدم فيها الأديب الكاتب الفتح بن خاقان إلى جزيرة ميورقة[2] . ووصفها وصفاً شيّقاً ، ومدح أميرها مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، وقابل فيها الشاعر أحمد بن البنّي وشهد رحيله عن ميورقة[3] . ومحمد بن عبيد الله بن فضل بن صمادح ، كان شاعراً أديباً من أمراء المرية في عهد ملوك الطوائف ، وبعد زوال ملك بني صمادح ، على يد يوسف بن تاشفين ، لجأ إلى كنف مبشر بن سليمان ناصر الدولة في ميورقة[4] .

أبو العرب الصقلي الشاعر الأديب « مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي العبدري من جزيرة صقلية ، هاجر منها إلى الأندلس بعد استيلاء النورمان عليها ، ولجأ في آخر المطاف إلى جزيرة ميورقة ، وعاش تحت رعاية أميرها مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، وكان عالماً أديباً ، مصقعاً في الأدب ، وشاعراً كبيراً ، وقد عزّى نفسه على غربته ، حيث يقول :

إذا كـــان أصـــلي من تراب فكلهـــا　　　بـــلادي وكـــل العـــالمـــين أقـــاربي !

توفي في جزيرة ميورقة سنة ٥٠٦ هـ = ١٠١٢ م قبل ابن اللبانة بسنة واحدة ، ودفن ابن اللبانة بجانبه[5] .

وعبد الجبار بن حمديس الصقلي ، لجأ إلى جزيرة ميورقة ، ومدح أميرها مبشر بن سليمان ناصر الدولة ، ويقال بأنه بقي في ميورقة حتى توفي فيها ، والأرجح أنه غادر جزيرة ميورقة قبل العـدوان الصليـبي عليهـا ٥٠٨ هـ = ١١١٦ م ، واستقر في بجـايـة في المغرب الأوسط وتوفي هناك[6] .

---

(١) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ . ود . إحسان عباس : تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي ، ص ٦٧ - ٦٨ . والعماد الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ٣/٥٣٦ . والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .

وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ٢٢٧ . والأنساب للسمعاني ، ج ١ ص ٨٨ .

والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٢) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص ٧٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/٦ ، ص ٣٣٥ ، ترجمة رقم ٨٨٣ .

(٥) ابن الأبـــار : التكملـــة /٢ ، ص ٧٠٣ ترجمة ١٧٨٦ . وابن سعيـــد المغربي : رايـــات المـــبرزين ص ١٤٨ - ١٤٩ . والعماد الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ج ٢ ص ٢١٩ .

وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج ٤ ص ١٤٤ وابن بسام : الذخيرة ١/٤ ص ٣٠١ .

(٦) العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ج ٢ ، ص ١٩٤ . وابن بسام : الذخيرة ١/٤ ، ص ٣٢٠ - ٣٤٢ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

ومقدمة ديوان ابن حمديس الصقلي = تحقيق إحسان عباس ، ص ١٢ - ١٥ .

ومحمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة ، قدم إلى ميورقة من اشبيلية بعد اندثار ملك بني عباد في شعبان ٤٨٩ هـ = ١٠٩٥ م[١] . وكانت ميورقة في عهد مبشر ناصر الدولة ، واحة يستظل بظلها العلماء والأدباء والشعراء تحت رعاية أميرها الذي « أحسن التدبير فقصده الفضلاء من الشعراء والأدباء ، ومنهم ابن اللبانة . . »[٢] . وظلّ ابن اللبانة في جزيرة ميورقة تحت كنف أميرها مبشر ناصر الدولة حتى وفاته فيها سنة ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م ، قبل العدوان الصليبي عليها بسنة واحدة ، « ودفن إزاء أبي العرب الصقلي ، وكان طوالاً وابن اللبانة دحداحاً » . وقد خلّد مبشر ناصر الدولة بقصائد من فرائده[٣] . وخلّد ذكره عبر العصور ، ومن أبرز قصائده في مدح مبشر ناصر الدولة وفي وصف التقاليد الميورقية في البحرية وصف عيد المهرجان ، وحركات الأسطول في خليج مدينة ميورقة قائلاً :

بشرى بيوم المهرجان فإنّه	يوم عليه من احتفائك رونق
طارت بنات الماء فيه وريشها	ريش الغراب وغير ذلك شوذق
وعلى الخليج كتيبة جرارة	مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبني الحروب على الجواري التي	تجري كما تجري الجياد السبق
عجباً لها ما خلت قبل عيانها	أن يحمل الأسد الضواري زورق

وكانت جزر البليار تتعرض آنذاك لهجمات أساطيل بيزة وقطلونية والفرنجة والنورمان ، وكانت أساطيلها الجهزة تجهيزاً جيداً تقوم بدور بطولي في دفع الغزاة من جهة ، وتغزو المعتدين في عقر دارهم ، في غارات بحرية متلاحقة ، على سواحل قطلونية والبروفانس وليجوريا[٤] ، وصقلية النورمندية وبلاد النورمان[٥] .

---

(١) المقري : نفح الطيب ، ٢٥٩/٤ .
(٢) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ج ٢ ، ص ٤٠٩ - ٤١٣ .
(٣) ابن بسام : الذخيرة/القسم الثالث/٢ ، ص ٦٦٦ - ٧٠٢ . وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢١١ - ٢١٧ وحاشية « ١ » ص ٢١٢ . والفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٨٢ - ٣٠٠ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ - ٤١٣ . وابن الأبار : التكملة = ١ ، ص ٤٠١ ترجمة ١١٦٢ . وابن سعيد المغربي : آيات المبرزين ، ص ١٢٠ . والعماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ج ٢ ، ص ١٠٧ - ١٣٩ . وابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٧٨ - ١٧٩ . والضبي : بغية الملتمس ، ص ١٠٩ ترجمة ٣١٣ . وفوات الوفيات ج ٤ ، ص ٢٧ . والصفدي : الوافي بالوفيات ج ٤ ، ص ٢٩٧ . وابن سعيد : المرقصات والمطربات ص ٨٦ . والمقري : نفح الطيب ج ١ ص ١٦٩ وج ٤ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ . وابن الخطيب : جيش التوشيح ص ٢٤٢ - ٢٤٣ . والباروكمبانير : تخطيط تاريخي ص ٢١٤ .
(٤) محمد عبدالله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٢ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي ص ١٠٢ .

لهذا اهتم ابن اللبانة بوصف الأساطيل درع البليار القوي ، ووصف مراكب الغزو[١] . وقد توفي ابن اللبانة قبل سنة واحدة من استيلاء القوات الصليبية على جزيرتي يابسة وميورقة وتدميرها[٢] .

وكان لرسوخ اللغة العربية بين أهل جزر البليار في عهد المرابطين من مسوّفة والعهود اللاحقة ، وجمال طبيعتها ونباهة أهلها ، عوامل رئيسية في ظهور عدد كبير من الشعراء والأدباء في هذه الجزر ، ومن أشهر من عثرنا على تراجمهم في كتب التراجم والطبقات التالية أسماؤهم :

« يوسف بن يونس بن محمد بن جبار من بني هلال بن عامر بن صعصعة » ، يكنى أبا الحجاج ، ينسب إلى عرب بني هلال الذين اجتاحوا افريقية ، هاجر أبوه منها إلى الأندلس ، وأقام في سرقسطة ، وفيها ولد ابنه يوسف سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م ، الذي انتقل من سرقسطة إلى افريقية ومنها توجه إلى جزيرة ميورقة واستقر فيها ، وكان من الأدباء ، ومن أهل المعرفة باللغة العربية وآدابها ، كما كان على معرفة واسعة بالأنساب . . « وأقام بميورقة وأخذوا عنه بها . . » حتى وفاته سنة ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م[٣] .

أبو المحجّي عيّاش بن جوافر . . « أبوه من عرب ميورقة ، ولد ونشأ بها ، وكان من شعراء الهجاء »[٤] . وأبو بكر محمد بن يحيى الأنصاري الميورقي الأصم ، ولد في ميورقة وعاش فيها ، وكان أديباً شاعراً ، رحل إلى الاسكندرية ، « وحضر للسماع من السلفي . . »[٥] .

الشاعر اليابسي عبدالله بن الحسين بن عشتر اليابسي ، ويكنى بأبي محمد ، من الشعراء النبهاء في جزيرة يابسة ، رحل إلى الاسكندرية وأقام فيها ، إلى أن توفي في ليلة السبت في العشرين من محرم سنة ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م[٦] .

وأمة العزيز ابنة الشريف أبي محمد عبد العزيز بن الحسن ابن الإمام العالم أبي البسام موسى ،

---

(١) ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٧٩ . والعماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ص ٢/١٢٧ .
(٢) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء/تحقيق د . أحمد مختار العبادي ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
(٣) ابن الابار : التكملة/٢ ، ص ٣٨٣ ترجمة رقم ٨٠٩ . طبعة مدريد ١٩١٥ م .
(٤) ابن الأبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ص ١٥٤ .
(٥) محمد محمود زيتون : الحافظ السلفي ، ص ٢٧٩ .
(٦) د . إحسان عباس : أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي ، ص ٦٣ .
وياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٢٤ .
والسيوطي : بغية الوعاة ، ٢/٣٨ .
والقفطي : انباه الرواة ، ٢/٣٢٣ .

أديبة شاعرة ميورقة، وهي أخت جد ابن دحية ذي النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن (أخت جدّه لأمّه) وقد أنشدته:

لحـــاظـــكم تجرحُنـــا في الحشى ... ولحظنـــا يجرحـــكم في الخـــدود
جرح بجرح فـــاجعلوا ذا بـــذا ... فمـا الـذي أوجـب جرح الصـدود[1]!

وقد وفد أبو البسام موسى بن عبدالله بن الحسين بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من الكوفة إلى صقلية، وكان أديباً عالماً، واستقر في جزيرة ميورقة، «وأخذ عنه فيها، وله شعر بديع..»[2]. وتولى ابنه الحسن بن موسى الخطبة والصلاة بجامع مدينة ميورقة، وحدّث عنه ابنه عبد العزيز[3].

وكان أبو محمد عبد العزيز بن الحسن بن أبي البسام موسى من أدباء ميورقة وشعرائها المشهورين وعلمائها المبرّزين في اللغة العربية وآدابها. وتفتحت قريحته الشعرية في فترة مبكرة من عمره، ومدح مبشر ناصر الدولة وهو دون الحلم، توفي في ميورقة ٥٦٤ هـ = ١١٦٨ م[4].

ومحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز العبدري الميورقي، يكنى أبا عبدالله، ويعرف بالبنيولي نسبة إلى بلده بنيولا في جزيرة ميورقة، وكان من أسرة كريمة في جزيرة ميورقة ومن كبار أدبائها وشعرائها، توفي سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م[5].

وكان من شعراء أمير ميورقة يحيى بن اسحق بن غانية، ومن كبار فرسانه عبد البر بن فرسان الأديب الشاعر، والفارس الشجاع، «.. وكان من جلة الأدباء، وفحول الشعراء، وبرعة الكتاب، كتب عن الأمير أبي زكريا يحيى بن اسحق بن علي المسوّفي، وأرسله سفيراً إلى بغداد..»، وتوجد نماذج عديدة من أشعاره[6].

والشاعر الأديب الفارس «مالك بن محمد بن عبد الملك بن سعيد»، شقيق موسى بن سعيد

---

(١) ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٦.
(٢) ابن بشكوال: الصلة/٢، ص ٦١٣ ترجمة رقم ١٣٤٠.
وميخائيل أماري: المكتبة الصقلية، ص ٤٨.
(٣) ابن الأبار: التكملة/١، ص ٦٨٨، ترجمة رقم ٢٦٠ طبعة عزت العطار الحسيني.
(٤) ابن الأبار: التكملة/٢، ص ٧٢٩، ترجمة رقم ٧٦٢. طبعة روخس مجريط ١٨٨٦.
(٥) ابن الأبار: التكملة/١، ص ٥٦٧، ترجمة رقم ١٥١٧ طبعة عزت العطار الحسيني.
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، ج ٦، ص ٣٩٠ ترجمة ١٠٤٤.
(٦) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٤٢.
وابن الأبار: المقتضب من تحفة القادم، ص ١١٥.
وابن الخطيب: الإحاطة، ج ٣، ص ٥٧٥. وابن الساعي: الجامع المختصر، ج ٩، ص ٢١٠. والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٦١١ - ٦١٢. وج ٣، ص ٤٩٩ وص ٥٦٣.

والد علي جامع كتاب المغرب في حلى المغرب، «..كتب ليحيى الميورقي صاحب الفتنة الطويلة بافريقية، ومات هناك، وترك عقباً بودان (جنوب تونس) وكان شاعراً أديباً وكاتباً لا معاً[1].

والرميلي شاعر علي بن غانية الميورقي[2]. وكان سفير الخليفة الناصر لدين الله العباسي، ليحيى ابن غانية الميورقي، «أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني»، المعروف بالنطروني أديباً شاعراً، توفي ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م[3]. ومن شعراء وأدباء ميورقة اللامعين محمد بن ابراهيم ابن نوح بن بونة الميورقي الجيّاني الأصل، «وكان أديباً شاعراً محسناً.. توفي بميورقة قبل الحادثة عليها»، وكانت في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م[4].

ومحمد بن عبدالله البكري الميورقي الحجاري الأصل (من وادي الحجارة).. «وكان شاعراً بليغاً وكاتباً متكلماً حسن الصحبة، استشهد بميورقة عند تغلّب الروم (القوات الصليبية) عليها وقيامهم في قصبتها على أهل البلد..»[5].

وأحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن عميرة المحرومي، ويكنى بأبي المطرف ابن عميرة أصله من جزيرة شقر على مقربة من بلنسية، وكان «شيخ الكتّاب وامام أدباء العصر، عالماً بالشرائع والنثر، فقيهاً شاعراً»، تولّى القضاء في ميورقة قبيل الاجتياح الصليبي، وله «تأليف في كائنة ميورقة»، نحا فيه منحى العماد الاصفهاني، وتمكن من الإفلات من الأمر، وتوجّـه من ميورقـة إلى شرق الأنـدلس، ومنـه إلى افريقيـة حيـث توفي هنـاك ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م[6].

وبعد أن استولت مملكة قطلونية وأرغون على مدينة ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م[7]، وتمكنت من تصفية آخر جنوب المقاومة في جزيرة ميورقة، في شهر رجب

---

(١) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٧١.
والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٣٤٢.
(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٤٣٦.
(٣) ابن سعيد المغربي: الغصون اليانعة، ص ١٩. وابن الساعي: الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، ج ٩، ص ٢١٠ - ٢١٢.
والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٣٣، ترجمة رقم ٢٦٢.
(٤) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، ج ٦، ص ١٠٦، ترجمة رقم ٢٧٧.
(٥) المصدر السابق، ص ٣٢٧، ترجمة رقم ٨٤٨.
(٦) نفس المصدر السابق ١/١، ص ١٥٢. وابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ٤٢ وما بعدها.
والغبريني: عنوان الدراسة، ص ٢٥٠ - ٢٥٣.
وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٦٤. والمقري: نفح الطيب، ج ٤، ص ٤٦٩ - ٤٧١.
ودومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ١٢٢.
(٧) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة، ج ٦، ص ١٠٦.

٦٢٩ هـ = مايو ١٢٣٢ م[١] ، تشرّد المسلمون من أهلها في شتّى البقاع ، فمنهم من أسعفه الحظ ، وهاجر إلى « بلاد الإسلام » . وكان من بين هؤلاء من كبار الشعراء ، الذين هاجروا إلى بلاد المشرق ، وعاشوا فيها « الشيخ نور الدين أبو الحسن الميورقي » ، من أحفاد بني غانية الأماجد أمراء جزر البليار ، وكان من الشعراء النابهين ، « وله مشاركة في العلوم » ، عاش في دمشق ، وتوفي فيها ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م[٢] .

وقد وصف حدائق دمشق الغنّاء ، في إحدى قصائده ، وكأنه يصف ميورقة ذات الربيع الدائم ! فيجد بعض العزاء عن الحنين الذي كان يعتمل في خاطره ، يقول في بعض أبيات منها :

القضب راقصة والطير صادحة	والنشر مرتفع والماء ينحدر
وقد تجلّت من اللذات أوجهها	لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل وادٍ بـه موسى يفجّره	وكل روض على حافاته الخضر![٣]

ومنهم من اتجه إلى إفريقية حيث وجدوا الرعاية من أميرها أبي زكريا الحفصي ، وآثر البعض الآخر اللجوء إلى مملكة غرناطة ، آخر معاقل المسلمين في البر الأندلسي[٤] . وتوارث أعقاب هؤلاء المعرفة جيلاً عبد جيل وظهر منهم الشعراء والأدباء الذين ظلّوا يحملون اسم « الميورقي »[٥] . وقد وجد العديد من أدباء ميورقة وشعرائها الملجأ الأمين في منورقة آخر معاقل المسلمين في جزر البليار في كنف أميرها العالم الأديب الشاعر سعيد بن حكم بن عثمان ، وأصبحت جزيرة منورقة في عهده واحة الشعراء والأدباء وكان لبلاطه الأدبي شهرة واسعة في غرب العالم الإسلامي بأسره[٦] !

---

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 40-41.

(٢) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٧١ .

(٣) محمد بن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج ٢٠/تحقيق د . فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، ص ١١٩ . وأبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص ١٩٥ .
وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥٩ . واليوني : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٨٤ . والمقرى : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦٦٢ - ٦٦٣ ..

(٤) Los Documentos Arabes Diplomaticos Archivo De la Corona De Aragon Editato Y Tracides Por Maximliano A Alarcon Y Santony, Remon Garcia De Linares Madrid-Granda 1961. p. 33-34 & 266.

(٥) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج (؟)، ص ٤٣٤ .

(٦) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ، ص ٣١ - ٣٣ .
وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ٤٦٩/٢ .
والغبريني : عنوان الدراية ، ص ٢٥٤ .
وابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٧٥ .

البلاط الأدبي لسعيد بن حكم أمير منورقة

وكان من أشهر الشعراء في منورقة في آخر عهودها الإسلامية «عهد الأسرة الحكمية » ، الأمير الشاعر الأديب العالم سعيد بن حكم بن عثمان أول أمراء الأسرة الحكمية في جزيرة منورقة ، نصير العلماء والأدباء والشعراء الذي حفل بهم بلاطه في مدينة منورقة عاصمة الجزيرة ، التي أصبحت في عهده الملجأ الأمين لكل طالب علم ، ولكل عالم وأديب فقد الوطن والمأوى في وقت كانت تجتاح فيه بلاد الأندلس قوات ممالك اسبانيا المسيحية ، وكانت الهجرة من مدنها التي تتساقط واحدة بعد أخرى جماعية ، وكان سعيد بن حكم أمير منورقة يوفر لهم كافة سبل الرعاية ، ويفتدي من يقع في الأسر منهم ، ويرسل المنح والهبات والأعطيات إلى علماء الأندلس والمغرب وافريقية ومصر ، حتى وصلت عطاياه إلى المجاورين في البيت الحرام ، مما استقطب الشعراء والأدباء حوله ، وأصبحت منورقة في عهده « سوق عكاظ » . ومن لم يتمكن من القدوم إلى منورقة كتب إليه شاكراً شعراً أو نثراً ، ولم يبق أديب من أدباء عصره إلّا خاطبه وكاتبه وعارضه ، وكان شاعراً فذاً لم يترك باباً من أبواب الشعر إلّا طرقه[١] .

وقد جمع بعض أدباء ميورقة من رجال حاشيته ما كتب فيه من مدائح وما وصلته من رسائل « الاخوانيات » ، بالإضافة إلى « رسائله الإخوانية » ، وما تضمنته من قصائد رائعة في كتاب دعوه باسم (« كتاب لباب الألباب من نظم الشعراء ونثر الكتّاب . . »)[٢] .

ومن الشعراء الذين وفدوا على بلاط سعيد بن حكم في منورقة ، الشاعر الأديب الكاتب محمد ابن نجوت الحجري « بسكون الجيم » . شقري الأصل ، لجأ إلى رحاب ابن حكم ، بعد سقوط معقل

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة/بقية السفر الرابع ، ترجمة رقم ٦٧ ، ص ٢٨ - ٣٣ . وابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ٢ = ٤٦٩ . وابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٢٨ وما بعد ها . وابن الأبار : المقتضب من تحفة القادم ، ص ١٥ . والحلة السيراء ، ج ٢ ص ٣١٨ - ٣١٩ . والمعجم في أصحاب الإمام.أبي علي الصدفي ، ص ٥٨ و ٣٢٥ . والسيوطي : بغية الوعاة ٥٨٣ / ١ . والصفدي : الوافي بالوفيات ، مخطوط باريس ج ١٣ رقم ٤٢٢٧ ، ص ٦٩ . والمقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ص ٤٦٧ وج ٤ ، ص ٤٧١ .

(٢) توجد قطعة من « كتاب لباب الألباب » بين مخطوطات الاسكوريال تحت رقم « ٥٢٠ د » (محمد بن شريفة : أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ، ص ٣٢٣ و٣١٣) .
وقام الباحث والمؤرخ الاسباني « اميليو مولينا لوبيث » الذي عثر على نسخة كاملة من « كتاب لباب الألباب » في تونس ، بعرض موجز لهذا المخطوط القيم الذي يقوم حالياً بتحقيقه ، وبيّن أهميته التاريخية والأدبية ، خاصة بالنسبة لهذه الفترة الغامضة من تاريخ المغرب ، وعلاقته بجزيرة منورقة في عهد سعيد بن حكم ، وذلك في الندوة التي عقدت في المعهد المغربي للثقافة بمدريد في الفترة ما بين التاسع والثالث عشر من ديسمبر ١٩٨٠ . (رسالة اسبانيا : مجلة البيان الكويتية الصادرة عن رابطة الأدباء ، ص١٣٦) . كما ألف الأدباء والشعراء لأمير منورقة كتاباً آخر في الأدب هو « دوح الشجر وروح الشعر » (محمد بن شريفة : أبو المطرف بن عميرة المخزومي ، ص٣١٣ ، ٣٢٣) .

شاطبة في يد القوات الأرغونية، وكان ابن نجوت الذي اشتهر باسم «ابن يامن»، كاتباً لأمير شاطبة «أبي الحسين بن عيسى الخزرجي»، وكان وصول ابن يامن لمنورقة سنة ٦٤١ هـ = ١٢٤٣ م، وأصبح من كبار كتّاب الأمير سعيد بن حكم، ومن شعرائه المقربين. وكان شعره سلساً يتميّز بالصدق والعذوبة، وقد مدح ابن يامن ولي نعمته بقصائد عديدة، وكان يرد عليه بمثلها[1]، وقال يمدحه:

لأرسلن قولة تأثرها عنّي الأمم
وتفتدى مقبولة ما بين عرب وعجم
أقسم بالله العظيم وهو أعظم القسم
ما أبدت الدنيا لنا مثل سعيد بن حكم!

وقال يمدحه ويهنئه بافتتاح مبنى جديد:

بالسعد واليمن والتأييد في العمل والنصر والفتح والإنجاح في الأمل
حلولك القبة الزهراء نيّرة كالشمس حلّت أوان السعد بالحمل
في ساعة اليمن في اليوم الأغر من الشهر المبارك عام الفتح والجزل
بيت رفعت على التقوى قواعده وشدت أركانه بالعلم والعمل[2]

ولم يتوقف ابن يامن عن مدح ابن حكم ووصف معالم الحياة في جزيرة منورقة طيلة إقامته فيها. وبعد أن غادرها إلى تونس ظلّ يكتب الرسائل والقصائد للأمير سعيد بن حكم حتى وفاته في تونس سنة ٦٦١ هـ = ١٢٦٣ م[3].

أبو بكر محمد بن العوام الإشبيلي، اشتهر بعلم الطب، وكان فيه مجيداً، ولكنه تعلق بالأدب، وكان شاعراً لامعاً بارعاً في الأدب، وبالرغم من نسبه إلى الزبير بن العوام حواري الرسول عليه الصلاة وأفضل السلام، إلاّ أنه لم يرع للنسب حرمته، فقد كان مولعاً بالخمر، ومعظم شعره في «الخمريات» والغزل على عادة شعراء اشبيلية في آخر عهودها الإسلامية! وتروى عنه روايات تدل على مدى استهتاره، نعفّ عن ذكرها، وتوجد في المصادر عدة قصائد من شعره، وردّ الأمير سعيد بن حكم عليه، يمكن لمن شاء الرجوع إليها. وبعد أن استولى فرناندو الثالث ملك ليون وقشتالة على إشبيلية سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م. «ركب البحر إلى

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة ١/٢، ص ٥٢٢، ترجمة رقم ٧٧٠. وابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ٥٣ – ٥٩.

(٢) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ٥٦.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة ١/٢، ص ٥١٣. وابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ٥٨ – ٥٩.

جزيرة منورقة وأقام تحت ظل إحسان أميرها، إلى أن توفي هناك مقتولاً في جلسة شراب، ضربه أحدهم بجرة خمرة على رأسه فقضت عليه»[1]!

وكثيِّر العلياوي الأديب الشاعر، ولد وعاش في مدينة العليا في شمال غرب الأندلس، واستقر في اشبيلية، وهاجر منها إلى بجّاية في المغرب الأوسط، وكان رغم أدبه ونباهته، حاد الطبع سريع الغضب، مما أغضب عليه والي بجاية، «أبا محمد بن أبي حفص»، بعد أن بلغه أنه يهجوه، وعاقبه «بالضرب والتطويف والنفي، واستقر بجزيرة منورقة، عند كهف الغرباء، وملاذ كل طريد من الأدباء» الأمير سعيد بن حكم بن عثمان وظلّ في منورقة إلى أن توفي فيها، ومن فرائده التي اشتهر بها قصيدة يقول فيها:

طار الغراب بينهم فخسبته إذ طار مشتملاً صميم فؤادي

وقوله: ليس المدامة مما استريح به ولا مجاوبة الأوتارِ والنغم
وإنما لذتي كتب أطالعها وصارمي أبداً في نصرتي قلمي[2]!

وابراهيم بن سهل الاسرائيلي من شعراء اشبيلية المشهورين، وقد وفد من بلده إلى منورقة وعاش فيها فترة من الزمن تحت رعاية أميرها سعيد بن حكم، وقال يمدحه من جملة أبيات:

يخفّ بشراً إذا انهلّت أنامله والسحب توصف إذ تنهلّ بالثقل!
يأوي لعلياه محمي ومضطهد كالماء فيه ورود الليث والحمل!
ذو عزمة كالتماع البرق واقدة تجيء من نصره بالعارض الهطل![3]

ومن الذين كتبوا لسعيد بن حكم «رسائل الإخوانيات»، ومدحوه بقصائد من أشعارهم، أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، من بجاية، بعد أن هاجر من الأندلس، إلى افريقية يناشده السعي لإطلاق سراح إحدى أخواته مع بنيها، وقعوا في الأسر في اوريولة بعد استيلاء خايمي الأول ملك قطلونية وأرغون عليها. وقد لبّى الرئيس سعيد بن حكم نداءه، وأمر بعض خاصته بالتوجّه في مركب إلى ساحل قطلونية، والسعي لإنقاذ الأسرى، وعادوا بهم إلى منورقة، ونقلتهم إحدى السفن إلى بجاية[4]. مما ملأ نفس ابن عميرة المخزومي بالعرفان

---

(١) المصدر السابق، ص ١٧٩ – ١٨٠.
وتوجد عدة نماذج من قصائده في الخمريات، وما أجابه عليها سعيد بن حكم منذراً بجلده ثمانين جلدة!

(٢) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ١٨٩. والمغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٣٩٨. وترجم له ابن سعيد المغربي في رايات المبرزين، ص ٢٩. ودعاه «بأبي الربيع سليمان ابن عيسى الملقب بكثيِّر»، وفي نفح الطيب ٢ / ٣٨٢ دعاه المقرى «بأبي الربيع سليمان الشلبي» الشهير بكثيِّر.

(٣) ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلّى، ص ٨١ – ٨٢.

(٤) محمد بن شريفة: أبو المطرّف بن عميرة المخزومي، ص ٥٧.

بالجميل ، فخلّد على الدهر ذكر سعيد بن حكم بفرائد من قصائده ورسائله ، وفي مطلع إحدى قصائده يقول :

الله جــارك يــا سعيـــد بمنزل   لولاك لم يكتبـــه في السعـــداء

وفي قصيدة أخرى يقول :

لسعيـــد السعيـــد بن حـــكم   كرم فـــاق أهـــل الكرم
قرشي النحر طـــائي النـــدى   إن سألنـــــاه عراقي الشيم
أيّهـــا السائـــل عن أوصـــافـــه   هي نـــار اذكيـــت فوق علـــم[1]!

كما راسله ومدحه المؤرخ الأديب الشاعر علي بن سعيد المغربي ، الذي ترجم له في المغرب في حلى المغرب ، قائلاً : « لما أخذ النصارى جزيرة ميورقة ، اقتطع سعيد بن حكم منورقة ، وكان صاحب أعمالها ، ودراهم عليها ، فدامت رياسته ، وهو مشكور السيرة ، أندى من الغمام ، يحدّث عنه من جاز بجزيرته بالعجائب ، أدام الله مدته ولا قطع نعمته . . »[2]. كما ترجم له في القدح المعلّى ترجمة وافية وذكر نماذج عديدة من قصائده ويقول فيها ، « . . وامتدت أياديه المشهورة في كل قاص ودان ، فكم لقيت بأقطار المغرب والمشرق ، من أديب أو شاعر أو حسيب خلع عنه ربقة الاسار ، ونقله إلى قرارة الإسلام عن محلة الكفّار ، وكم سمعت أن أديباً أو غريباً أو سليباً خاطبه يشكو انكسار حاله ، فجبره وسرى إليه يستميح بره . . وحتى أن المجاورين بالحرمين يستعينونه على ما هم بسبيله ، فيعينهم من اللجين العين بما يثلج الجنان ويقر العين . . »[3].

ويذكر ابن سعيد مدى اعتزاز أمير منورقة بتقديم العطاء لمن يحتاجه ، ويذكر له قصيدة مطلعها :

لا تمنـــع المعروف يومـــاً   معرضـــاً أو معرّضـــا[4]

ويقول ابن سعيد المغربي ، بأنه اطلع على شعره من رسوله إلى الأمير الحفصي المستنصر بالله ، فعلّق على إحدى قصائده بقوله :

إنمـــا شعر الرئيس ابن حـكـــم   بـــدع من كـــل فضـــل وحـــكم

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧ . (نقلاً عن لباب الألباب/مخطوط الاسكوريال ، ٥٢٠ د).
(٢) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ٤٦٩/٢ .
(٣) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٢٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٨ .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة بقية السفر الرابع ، ص ٣٣ .

لو بنو حمدان أصغوا نحوه   حمدوا البحر الـــذي فيـــه انتظم[1]

فردّ عليه بقصيدة يقول في مطلعها :

مـــا رأينـــا كعـــلي بن موسى   يستـــبي بـــالشعر منّـــا النفوسا

وكتب مع قصيدته رسالة تنبض بالعذوبة والسلاسة[2]

ويذكر ابن سعيد المغربي والأوسي المراكشي والغبريني ، نماذج عديدة من شعر سعيد بن حكم ، يمكن الرجوع إليها[3].

ومن الذين كاتبوه ومدحوه أبو عبدالله محمد بن الخطاب الجياني ، قلّده أبو عبدالله محمد بن الأحمر أول سلاطين غرناطة خطتي السيف والقلم ، وهاجر إلى تونس ، ونال مكانة عند الحفصيين ، وقال يمدح أمير منورقة بقصيدة مطلعها :

تفـني الكتـائـب بيـض من قواضبـه   مفلولـة وتنشي أقـلامـه الكتبـا

كما مدحه في قصيدة أخرى مطلعها :

يـا من لـــه في العـــلا السنـــام   وفي المبـــادي لـــه ارتسام[4]

وذهب ابن حكم إلى لقاء ربّه بعد حياة حافلة في ٢٧ رمضان ٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م ، وترك لابنه حكم بن سعيد تركة مثقلة في ظروف قاهرة[5].

واشتهر من شعراء جزيرة منورقة العادل بن إبراهيم بن العادل العبدري المنورقي . وكان شاعراً لبيباً حسن المفاكهة[6].

ومحمد بن أحمد بن محمد الفهري الاشبيلي الأصل ، المنورقي الاستيطان ، ويكنى بأبي عبدالله ابن الجلّاب . وكان شاعراً أديباً وله عدة مصنّفات ، مقرّباً إلى أمير منورقة ، ومن أخص جلسائه وأقربهم إلى قلبه . استشهد في البحر . . « قتله العدو الرومي (القراصنة الطليان) ، بعد أن أبلى

---

(١) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٢٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩ .
(٣) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ٤٦٩/٢ ، وما بعدها .
واختصار القدح المعلّى ، ص٢٨ ، وما بعدها .
ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة بقية السفر الرابع ، ص ٢٨ - ٣٣ .
(٤) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٢٢ .
(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
(٦) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة/السفر الخامس/١ ، ص ٩٨ ترجمة ١٨١ .

بلاء حسناً حتى قتل مقبلاً غير مدبر ، في مركب غلب عليه العدو ، وذلك في شهر رمضان ٦٦٤ هـ = ١٢٦٥ م » ، وترك مصنفات عديدة ، من أشهرها « الفوائد المتخيرة » ، و « وإشعار الأنام بأشعار المنام » ، وغير ذلك من المصنّفات[١] . وبعد وفاة سعيد بن حكم أمير منورقة ، تولّى ابنه ووليّ عهده أبو عمر حكم بن سعيد في ٢٧ رمضان ٦٨٠ هـ = يناير ١٢٨١ م[٢] . وبعد سبعة أعوام من فترة حكم قلقة ، كانت فيها جزيرة منورقة على بركان ، نفذ قضاء الله ، واستولى الصليبيون بقيادة الفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون على جزيرة منورقة في ٣ ذي الحجة ٦٨٥ هـ = يناير ١٢٨٧ م ، وقتل من أهل الجزيرة من قتل ، وأغرق منهم الآلاف غيلة وغدراً ، واستعبد من بقي حياً من أهل جزيرة منورقة ، واستخدموا أتباعاً في الأرض التي عمّرها أجدادهم عدة قرون ، وبيع الآلاف منهم في أسواق الرقيق! وأسدل الستار على آخر العهود الإسلامية الزاهرة في جزر البليار بهذه الخاتمة المفجعة[٣] .

علم التاريخ والأنساب في جزر البليار
وأشهر العلماء في هذا المضمار

بعد أن تطورت الثقافة في بلاد الأندلس ، وانتشرت العلوم بين أهلها ، أقبل العلماء على وضع المؤلفات القيّمة في كل علم من العلوم النقلية والعقلية ، وكان من بينها ، علم التاريخ والأنساب . وكان علماء جزر البليار من بين الرواد في هذا المضمار ، الذي حقق شهرة واسعة في بلاد الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف[٤] .

ومن أشهر من وصلتنا أخبارهم من مؤرخي جزر البليار ، « محمد بن فتوح الحميدي الميورقي » ، وقد وصلنا من كتبه في علم التاريخ ، « جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس »[٥] . وقد ذكر حاجي خليفة ، صاحب كشف الظنون ، بأن هذا الكتاب في مجلد واحد ، وأن

---

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥٢ - ٥٤ ، ترجمة رقم ١٠٢ .
وابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٣١ .
(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام/القسم الخاص بالأندلس ، ص ٢٧٥ - ٢٧٧ .
(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٤٠٧ ، طبعة دار المنصور - الرباط ١٩٧٣ .
وابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٦٩٨ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٠٥ و
Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 231-237.
(٤) آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٠٧ .
(٥) المقري : نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٨١ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

الحميدي كتبه في بغداد من الذاكرة[١] . وهو تذييل على كتاب « تاريخ علماء الأندلس » ، لابن الفرضي ، « أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ » المتوفى ٤٠٩ هـ = ١٠١٢ م . وذيّل عليه الضبّي « أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة » المتوفى ٥٩٩ هـ = ١٢٠٢ م ، صاحب كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس[٢] . وقد درس المستشرق الهولندي المشهور دوزي كتاب الجذوة للحميدي ، غير أن حكمه عليه ، كان كالعهد بأحكام دوزي دائماً من القسوة والتشدّد . فهو يرى أنه كتاب جاف ثقيل ، وأنه كثيراً ما يخلو من الإشارة إلى شخصيات معروفة ، تعدّ من أعلام الثقافة الأندلسية ، مثل عريب بن سعد أو عيسى الرازي مثلاً . وأحياناً يبدو جهل الحميدي بالموضوع الذي يكتب عنه ، كما نرى في تردده في المعلومات التي أوردها في ترجمة أحمد الرازي[٣] .

وقد أكمل النقص في هذه التراجم ، وصحّح الأخطاء ، وصوّب ما وقع فيه الحميدي من أوهام ، الضبّي في كتابه « بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس » ، الذي ذيّل فيه على كتاب الجذوة للحميدي الذي وقف بتراجمه عند من توفوا في عام ٤٤٩ هـ = ١٠٥٨ م[٤] .

وبالرغم من الأخطاء التي وقع فيها الحميدي في بعض تراجمه ، وجهله أو تجاهله! لتاريخ وفاة الخشني ، صاحب الكتاب المشهور عن قضاة قرطبة على سبيل المثال ، لا الحصر ، فإن هذا الكتاب لا يخلو من المعلومات المفيدة . غير أنه بوجه عام كان ينتظر من شخصية لها شهرة الحميدي ومكانته العلمية ، أن يكتب خيراً من ذلك[٥] . وربما يكون اعتماد الحميدي الميورقي على ذاكرته في كتابة تراجم « جذوة المقتبس » ، هي السبب الرئيسي في الأخطاء التي وقع فيها . وقد ذكر في مقدمة كتابه بأنه اعتمد على ذاكرته عندما دوّن هذا الكتاب ، وأنه كتبه استجابة لطلب بعض أصدقائه في بغداد بعد هجرته إليها ، حوالي عام ٤٤٨ هـ = ١٠٥٧ م[٦] . ولا تخلو مقدمة كتابه من فائدة ، ولعلّ أهم جزء فيها ، هو الخاص بالسنوات الأخيرة من تاريخ الخلافة الأموية في الأندلس ، وقد قام بترجمة هذا الجزء المستشرق الاسباني « باسكوال جايا نجوس » . ففي هذه القطعة على الرغم من إيجازها ، ومع خلوها من التواريخ الدقيقة ، معلومات جليلة الفائدة[٧] . كما ألّف الحميدي تاريخاً عاماً لدول الإسلام لم يبق إلاّ عنوانه[٨] . وهو « كتاب

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٥٨١ .
(٢) آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٠٧ .
(٣) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٢١ .
(٤) آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٧٦ .
(٥) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .
(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٥٨١ .
(٧) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٢١ وحاشية « ١ » .
(٨) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

الأماني الصادقة »، ما زال مفقوداً حتى اليوم. وعن هذين الكتابين نقل عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب كثيراً من رواياته عن الفترة الأولى من تاريخ بلاد المغرب والأندلس[1]. كما ألفّ الحميدي كتاباً آخر في التاريخ، لا نعرف ما إذا كان متعلقاً بالأندلس بشكل عام، أم عن عصر المنصور بن أبي عامر بصفة خاصة، وهو كتاب ضاع أيضاً من جملة ما ضاع من آثاره[2].

وبالرغم من تحامل المؤرخ الهولندي دوزي على كتاب الجذوة للحميدي، إلاّ أنه يعترف بأنّ هذا المؤرخ الميورقي كان متسماً بقدر كبير من النزاهة والتجرد عند سرده لأخبار هذه الفترة[3]. وقد وصل كتاب « جذوة المقتبس » للحميدي، إلى بلاد الأندلس من بغداد وظل يدرّس، ويسمع فيها سنوات طويلة، وقد أخذه ابن الأبّار صاحب كتاب التكملة، الذي ذيل فيه على كتاب الصلة لابن بشكوال، عن محمد بن الحسن بن علي اللخمي[4]. وكان لابن حزم العالم الجليل الحافظ المؤرخ أثر كبير على تكوين شخصية الحميدي الميورقي، وقد روى عنه في الجذوة، روايات عديدة. ومما لا شك فيه أن ابن حزم صاحب المؤلفات العديدة في كل علم، ومن بينها علم التاريخ، كان له أثره على الدارسين في جزر البليار، لهذا العالم في السنوات العديدة التي قضاها في هذه الجزر[5].

ومن القرطبيين الذين لجأوا إلى ميورقة، وكتبوا في علم التاريخ « محمد بن عبد الرحمن بن معمّر ». وقد كتب في تاريخ « الدولة العامرية ». واستقر في جزر البليار بعد الفتنة القرطبية، وولّي الأحكام في جزيرة ميورقة من قبل مجاهد العامري، إلى أن توفي في هذه الجزيرة ٤٢٣ هـ = ١٠٣١[6].

كما كتب « أبو عمر بن عبد البر بن يوسف بن عبدالله النمري » أحد كبار علماء المملكة الجاهدية العامرية في دانية والبليار، ومن المقربين إلى مجاهد العامري وابنه علي إقبال الدولة كتاباً فريداً في التاريخ والجغرافية، هو « كتاب القصد والأمم في معرفة أخبار العرب والعجم ». ويعتقد العالم الألماني نولدكه، بأن هذا الكتاب هو ذيل لكتاب ألّفه ابن عبد البرّ في أنساب القبائل العربية، والصحابة. وأن القصد من تأليفه هو تفسير الأحاديث النبوية تفسيراً

---

(١) تقديم المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٧ – ١٨ وحاشية « ١ »، ص ٧٣.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢١٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٢١.
(٤) ابن الأبار: التكملة/٢، ص ٦٠٧.
(٥) المصدر السابق، ص ٩١٠ ترجمة رقم ٢١٣٠.
والمقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ١٨٢، وص ٣٩١ ترجمة رقم ١٠٩٤.
(٦) ابن الأبار: التكملة/١، ص ٣٨٤ ترجمة رقم ١٠٦٨.

جغرافياً تاريخياً[1].

وهذا الكتاب الجغرافي التاريخي هو عبارة عن رسالة صغيرة في عشرين صفحة، مأخوذة من عدة مصادر، منها العهد القديم، والأساطير التي أحاطت بتاريخ الاسكندر المقدوني. وتوجد فيه قطعة فريدة خاصة بأهل الصين، وعن وجود علاقة بين قبائل الاينو في شمال الصين. مما يدل على المستوى الرفيع للمعرفة الذي وصل إليه العلماء في دانية وجزر البليار في عهد المملكة المجاهدية العامرية في العلوم النقلية بصفة خاصة. وقد استشهد المؤرخ فيران عن وجود علاقات بين الصين وسكان الملايو من نصوص « كتاب القصد والأمم في معرفة أخبار العرب والعجم » لابن عبد البرّ النمري[2]! كما كتب في التاريخ وتاريخ الأدب في جزر البليار في عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة قبيل العدوان الصليبي الأول على هذه الجزر ٥٠٨ – ٥٠٩ هـ = ١١١٥ – ١١١٦ م، الشاعر الأديب المؤرخ « محمد بن عيسى بن محمد اللخمي »، ويكنى بابن اللبّانة. لجأ إلى جزيرة ميورقة في عام ٤٨٩ هـ = ١٠٩٥ م، وظل مقيماً فيها حتى وفاته ٥٠٧ هـ = ١١١٤ م، وكتب في التاريخ والأدب عدة مؤلفات منها، « كتاب مناقل الفتنة »، وكتاب « نظم السلوك في وعظ الملوك »[3].

وظهر في جزر البليار بعد الفتح المرابطي لهذه الجزر ٥٠٩ هـ = ١١١٦ م، عدد من المؤرخين وعلماء الأنساب في كتب التراجم والطبقات، كان من بينهم، المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني، « .. وكان عارفاً بالأخبار والسنن والآثار »[4].

ومن الذين اشتهروا بعلم الأنساب « يوسف بن يونس بن محمد القرّي من قرّة من بني هلال. استقر والده في سرقسطة بالثغر الأعلى، وولد ابنه يوسف فيها سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م، وغادر سرقسطة إلى جزيرة ميورقة وعاش، « وكان عالماً في الأنساب مقدماً في حفظها .. »، أخذ عنه كثيرون في جزيرة ميورقة إلى أن توفي فيها سنة ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م[5].

ولم يصلنا من المؤلفات، التي كتبت في جزر البليار في علم التاريخ والأنساب، أي مؤلف عن

---

(١) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ج ١، ص ٢٧٢.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) ابن سعيد المغربي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢١١ وما بعدها.
والعماد الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ١٠٧.
وابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٠٩ – ٤١٦.
ورايات المبرزين، ص ١٢٠، وابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٧.
والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٢٩٧ – ٣٠٠. والمقري: نفح الطيب ج ٤، ص ١٠٢ و١٥٦ و٢٥٦. وابن الخطيب: جيش التوشيح، ص ٢٤١، وما بعدها والحواشي.
(٤) ابن الأبار: التكملة/السفر الأول، ص٣٩٢ ترجمة رقم ١١٢٢ طبعة روخس- مجريط، ١٨٨٦.
(٥) ابن الأبار: التكملة/٢، ص ٣٨٣ ترجمة رقم ٨٠٩، طبعة مدريد، ١٩١٥.

تلك التي تشير إليها تراجم علماء هذه الجزر من الأصلاء والوافدين إليها . باستثناء قطعة فريدة قيّمة جداً ، عن تاريخ ميورقة في آخر عهودها الإسلامية ، لأحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين ابن عميرة المخزومي ، ولد وعاش وتعلّم في شرق الأندلس ، وكان عالماً موسوعياً ، مجيداً في كل علوم عصره[1] !

ولي القضاء بميورقة قبل سقوطها النهائي ، وعاصر الأحداث المأساوية[2] ، وكتب عنها كتاباً في التاريخ سمّاه « كائنة ميورقة » ، نحا فيه منحى عماد الدين أبي عبدالله محمد بن محمد الأصفهاني ، في تأليفه المسمّى « بالفتح القسيّ في الفتح القدسي »[3] . وقد احتفظ لنا المقري صاحب نفح الطيب بجزء قيّم من هذا الكتاب[4] ، الذي ما زال مفقوداً حتى الآن ، والأمل كبير في العثور عليه . فقد ظلّ معروفاً وبين أيدي الناس حتى عهد المقري ، في القرن الحادي عشر = مطلع القرن السابع عشر للميلاد . وإن العثور على هذا الكتاب القيّم ، سوف يزيل الغموض عن جوانب كثيرة ما زالت غامضة عن تاريخ جزيرة ميورقة في تلك الفترة الحاسمة من تاريخها ، في آخر معاركها التاريخية في مواجهة الغزاة قبل سقوطها النهائي[5] .

ومن كبار العلماء المؤرخين الحفّاظ المشهورين ، الذين عاشوا في جزر البليار ، وألّفوا في علم التاريخ ، ابن دحية ذو النسبين ، « عمر بن حسن بن علي بن محمد ابن فرج الكلبي داني الأصل ، ويكنى بأبي الخطّاب ، ويعرف بابن الجميّل »[6] . وهو سبط الشريف العلوي « عبد العزيز بن الحسن بن موسى بن أبي البسام » ، نزيل ميورقة ، العالم الأديب الشهير[7] . ومن كتبه المشهورة ، « المطرب من أشعار أهل المغرب » وهو كتاب حافل ، جمع بين التاريخ والأدب ، وقد أشار فيه إلى لقائه بأخت جده ، « الشريفة الفاضلة أمة العزيز ابنة عبد العزيز بن الحسن ابن أبي

---

(١) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ٤٢ - ٤٧ .
وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٣٣ . والغبريني : عنوان الدراية ، ص ٢٥٠ - ٢٥٣ . وابن الخطيب : الإحاطة ، ص ١٧٣ - ١٧٨ ، والحواشي .
والمقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٦٩ - ٤٧١ .

(٢) دومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي جزر البليار ، ص ١٢٢ .

(٣) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة/ السفر الأول/ القسم الأول ، ص ١٧٦ .

(٤) المقري : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٦٩ - ٤٧١ .

(٥) د . إحسان عباس : مقدمة نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥ - ٩ .
ومحمد بن شريفة : أبو المطرف بن عميرة المخزومي ، ص ٢٨٧ - ٢٩١ .

(٦) ابن الأبار : التكملة/السفر الثالث ، ص ٦٥٨ - ٦٥٩ ، ترجمة رقم ١٢٣٤ ، طبعة روخس - مجريط ، ١٨٨٦ م .

(٧) ابن الأبار : التكملة/السفر الثالث ، ص ٧٢٩ ترجمة رقم ١٧٦٢ ، طبعة روخس مجريط ، ١٨٨٦ م .

البسام » . . في جزيرة ميورقة[1] . كما ذكر بأنه أقام في جزيرة يابسة ، ويضيف إلى ذلك بأن هذه الجزيرة « ضد اسمها ! لكثرة شجرها وخصبها »[2] . ولم تتوقف شهرة (ابن دحية) على جزر البليار وشرق الأندلس ، فقد توجّه إلى بلاد المشرق ، وتجوّل في مصر والشام والعراق وبلاد العجم ! وخراسان ، وما والاها إلى مازندران ! واستقر بعد هذا التطواف في القاهرة ، واستأدبه الملك العادل الأيوبي لأبيه الكامل . وبعد أن تبوأ الكامل الأيوبي سدّة الملك ، أوكل إلى ابن دحية « دار الحديث » في القاهرة التي عرفت بالكاملية . وظل على شهرته كعالم موسوعي في جميع علوم عصره ، إلى أن توفي في القاهرة في عام ٦٣٣ هـ = ١٢٣٥ م . وترك ما يزيد عن العشرين مؤلفاً في جميع العلوم النقلية ، وكان من بينها عدة مؤلفات في علم التاريخ[3] .

وعثمان بن حسن بن علي الكلبي المعروف بابن الجميّل ، أخو عمر الآنف الذكر وكان عالماً جليلاً كأخيه ، أسهم بنصيب وافر في كافة علوم عصره ، إلى أن توفي في القاهرة ٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م[4] .

وبعد استيلاء مملكة قطلونية وأرغون على جزيرة ميورقة بعد القضاء نهائياً على المقاومة الإسلامية في الجزيرة في رجب ٦٢٩ هـ = مايو ١٢٣٢[5] ، والاستيلاء على جزيرتي يابسة وفرمنتيرة في أوائل محرم ٦٣٣ هـ = الثامن من أغسطس ١٢٣٥ م[6] . ورثت جزيرة منورقة المستقلة في عهد الأسرة الحكمية عراقة جزر البليار في العلوم النقلية ، ومن بينها علم التاريخ . وقد اشتهر في هذا العلم في جزيرة منورقة ، « محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن ابراهيم الفهري » الاشبيلي الأصل ، المنورقي الإقامة والسكنى ، ويكنى بابن الجلاّب ، وكان أحد كبار الإمارة الحكمية ، ومن المقربين لسعيد بن حكم أمير منورقة ومن المؤرخين الذين اشتهروا بكافة العلوم النقلية في عصره ، وله عدة مصنفات . وأسهم بنصيب وافر في النشاط الأدبي في بلاط سعيد بن حكم ، إلى أن استشهد في معركة بحرية في شهر رمضان ٦٦٤ هـ = يونيو ١٢٦٥ م[7] .

وقد وصلنا من كتب تاريخ الأدب التي دونت في جزيرة منورقة في آخر عهودها الإسلامية كتابان حافلان بالمعلومات التاريخية ، أحدهما « روح الشجر وروح الشعر » ، ألّفه جماعة من

---

(١) ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٣) نفس المصدر السابق/التعريف بابن دحية وكتابه « المطرب » بقلم ابراهيم الإبياري .

(٤) ابن الأبار : التكملة/السفر الثالث ، ص ٦٦١ ، ترجمة رقم ١٨٣٨ طبعة روخس - مجريط ، ١٨٨٦ م .

(٥) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 40-41.

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ٢٧٦ ، طبعة دار المنصور - الرباط .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٠١ .

(٧) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ٥٢ - ٥٤ ترجمة رقم ١٠٢ .

الأدباء في البلاط الأدبي لسعيد بن حكم أمير منورقة. والكتاب الآخر هو «لباب الألباب من نظم الشعراء ونثر الكتّاب..». ويتضمن ما جمعه بعض أدباء منورقة من الرسائل التي وصلته من أدباء عصره «الاخوانيات»، ورسائله في الرد عليهم، وما كتبه الشعراء والأدباء في بلاط سعيد بن حكم الأدبي، ومدائح الشعراء في بلاد المشرق والمغرب وافريقية لأمير منورقة «سعيد ابن حكم»[1]. وبالرغم من أنه من كتب الأدب، إلاّ أنه يعتبر مصدراً قيّماً لتاريخ بلاد المغرب وافريقية ومملكة غرناطة وجزيرة منورقة المستقلة في آخر عهودها الإسلامية في عهد الأسرة الحكمية، في القرن السابع للهجرة = الثالث عشر للميلاد. ويقوم المؤرخ الاسباني «اميليو مولينا لوبيث» بتحقيق هذا الكتاب، بعد أن عثر على نسخة كاملة منه في تونس، مما سيلقي الضوء على تاريخ جزيرة منورقة المستقلة في عهد الأسرة الحكمية وعلاقاتها الخارجية[2].

الجغرافية والرحلات

كان من التقاليد المعتادة في جزر البليار، توجه علمائها إلى بلاد المشرق، لتأدية فريضة الحج، والتزوّد بالمعرفة، من علماء البلاد الإسلامية التي كانوا يمرّون بها. وكانوا يصلون في رحلاتهم إلى أقاصي بلاد المشرق، وإلى شرق افريقية، إمّا عبر الطريق الملاحي من ثغور البليار إلى الاسكندرية، وإلى عكا بساحل الشام، أو عبر الطريق البريّ الطويل بعد اجتيازهم سواحل بلاد المغرب وافريقية إلى مصر. وكان نسبة هؤلاء بين علماء جزر البليار تصل إلى الثلث.

وكانوا يحصلون من رحلاتهم هذه، على معارف جغرافية جمّة، ينقلونها إلى مواطنهم في البليار[3]. ويقول المستشرق الاسباني آنخل جنثالث بالنثيا بهذا الصدد: «وكان الحج إلى مكة هو السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الأندلسيين، ومن ثم أولعوا بالتنقل والأسفار ولعاً شديداً، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك، أن ظهر بينهم من ألف في وصف رحلته أو في صفة في نواحي المعمور»[4].

وكان من الميورقيين الذين وصلتنا أخبار رحلاتهم، رحلة «أبي العباس العبدري» الأندلسي الميورقي المسمّاة «بهجة المهج في بعض مناقب الطائف ووج»[5]. وليس أدل على رفعة

(١) محمد بن شريفة: أبو المطرّف بن عميرة المخزومي، ص ٣٢٣ – ٣٣٣.
(٢) مجلة البيان الكويتية، العدد ١٨١، ص ١٣٢، ١٣٦، جمادى الأولى ١٤٠١ هـ = مارس ١٩٨١ م.
(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥، ص ٢٤٦ – ٢٤٧. ومحمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة، ج ٦، ص ٦٨٩ – ٦٩٠.
ودومنيك أورفوي: الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار، ص ٩٥.
(٤) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٣٠٩.
(٥) محمد الفاسي: مقدمة رحلة العبدري المسمّاة الرحلة المغربية لأبي عبدالله محمد بن محمد العبدري.

مستوى المعرفة الجغرافية في جزر البليار ودانية في عهد المملكة المجاهدية العامرية من كتاب ابن عبد البر في الجغرافية التاريخية الموسوم باسم «كتاب القصد والأمم في معرفة أخبار العرب والعجم»، الذي وردت فيه معلومات جغرافية وتاريخية، ظلت مجهولة لدى علماء أوروبا حتى القرن التاسع عشر للميلاد[1]!

وكان للجوء عدد كبير من علماء قرطبة إلى المملكة المجاهدية العامرية في دانية والبليار بعد نشوب الفتنة الداهمة في عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس، أكبر الأثر على النهضة العلمية في جزر البليار[2]. وكان على رأس هؤلاء الوافدين ابن الصفّار «أحمد بن عبدالله الغافقي»، العالم الرياضي الفلكي صاحب الأزياح الشهيرة[3].

وبحكم موقع جزر البليار، واهتمام سكانها بالنشاط البحري، فقد أسهمت هذه المعارف الفلكية ذات العلاقة الوثيقة بالمسالك البحرية وحركة الملاحة، في ترسيخ هذا العلم في هذه الجزر. واكتسب قباطنة أساطيل البليار مزيداً من المعرفة، وليس أدل على دقة معرفتهم بالملاحة والمسالك البحرية من غارة الأساطيل الميورقية على كافة الثغور المسيحية المعادية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ووصول بعض قطعاتها إلى ثغور بلاد اليونان بعد اجتياز عتبة صقلية[4]، وعبور أساطيلهم التجارية الطريق الملاحي بين ثغور البليار والإسكندرية ذهاباً وإياباً دون أن تخطىء السبيل[5]، كالأساطيل الإيطالية، التي ضلّت الطريق إلى جزر البليار في عام ٥٠٨ هـ = ١١١٥ م[6]، واتجهت إلى ساحل قطلونية النصرانية، وأغارت عليه، ظناً من قباطنتها بأنهم على ساحل جزيرة ميورقة! وانطلقوا يقتلون ويخرّبون، ثم تنبّهوا بعد أن ارتكبوا مجزرة دامية! بأنهم على أرض مسيحية تتبع لإمارة برشلونة، مما لا يشرّف المعلومات البحرية لدى هؤلاء القباطنة الإيطاليين، ومدى ضحالة معرفتهم بالمسالك البحرية في القرن السادس للهجرة = الثاني عشر للميلاد. لهذا فإنني أرجّح ما ذكره المستشرق الإسباني خوان برنيط، بأن النواة الأولى لعلم الخرائط البحرية ذات أصل عربي ميورقي!! وأن الميورقيين المسلمين هم أول من ابتكر الخرائط البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لما كان لبحارتهم من خبرة في البحر ومعرفة واسعة في علم الفلك والمسالك البحرية. وليس أدل على ذلك من الخرائط البحرية

(١) أغناطيوس يوليا كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ج ١، ص ٢٧٢.
(٢) ابن بسام: الذخيرة/القسم الثالث/١، ص ٢٢ – ٢٣.
(٣) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٤٨.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٠١ – ١٠٢.
(٥) ابن بسام: الذخيرة/القسم الثالث/١، ص ٣٩٥ – ٣٩٧.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ١٠٤ – ١٠٥.

الميورقية ، التي ما زالت مجموعة منها موجودة في المتاحف والمكتبات ودور المحفوظات . كما أرجّح بأن القباطنة الطليان سلبوا هذه الخرائط من جزيرة ميورقة خلال غارتهم الكبرى عليها ٥٠٨ - ٥٠٩ هـ = ١١١٥ - ١١١٦ م ، وصبغوها بصبغتهم وأضفوا على أنفسهم شهرة لا يستحقونها[1] .

(١) خوان بزئيط : هل هناك أصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية؟ تعريب د . أحمد مختار العبادي ، ص ٧١ - مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية - العدد الأول - السنة الأولى ١٣٧٢ - ١٩٥٣ .

العلوم العقلية
في جزر البليار

كان علماء جزر البليار كبقية علماء الأندلس ، موسوعيين ، وعلى معرفة شاملة كبيرة ، جمعوا بين العلوم النقلية والعقلية ، ولكن المناخ الديني في هذه الجزر ، وعناية علمائها الفائقة بالعلوم الدينية ، باعتبارها الأسس الفكرية التي ارتكزت عليها حركة الجهاد في هذه الجزر ، التي كانت تشكل خط الدفاع الأمامي عن سواحل الأندلس والمغرب في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، أدّى إلى بروز دورهم في العلوم النقلية والدينية منها بصفة خاصة ، وأضفى ستاراً على دورهم في العلوم العقلية التي برعوا فيها كأفراد لا مؤسسات ، لما تتطلبه الدراسات العلمية من إمكانيات لا تتوفر إلاّ في العواصم الكبرى[1] . ونظراً لموقع جزر البليار كمعبر بحري بين المشرق والمغرب ، فقد كانت إحدى المحطات الرئيسية للعلماء الوافدين من بلاد المشرق إلى الأندلس ، والمتجهين من بلاد المغرب والأندلس عبر البحر إلى بلاد المشرق ، وقد ترك هؤلاء العلماء أثراً كبيراً على الحركة الفكرية في هذه الجزر ، وكان من بين هؤلاء العلماء المشارقة الذين أقاموا فترة من الزمن في هذه الجزر . « ثابت بن محمد الجرجاني »[2] ، « وكان غزير الأدب ، قوى الحفظ في اللغة ، بارعاً إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة ، وله بذلك قوة ظاهرة . . »[3] . كما كان لعلماء قرطبة وشرق الأندلس الذين ظلّوا يفدون إلى هذه الجزر طيلة مائة عام منذ فتحها المستقر[4] ، في عام ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م ، وحتى نشوب الفتنة الداهمة في بلاد الأندلس ٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م[5] ، التي شرّدت علماء قرطبة من ذوي المعارف الواسعة في شتّى العلوم ، الذين وجدوا الملجأ الأمين في دانية وجزر البليار ، فتوافدوا إليها واستقروا فيها ،

(١) دومنيك اورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٧ .
(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٨٤ ترجمة رقم ٣٤٤ وص ٣٥٣ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة/١ ، ص ١٢٣ ، ترجمة رقم ١٨٩ .
وابن الخطيب : الإحاطة ، ج (؟) ، ص ٤٥٤ - ٤٥٨ .
(٤) دومنيك اورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ٩٥ - ٩٦ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

ونشروا المعرفة بين أهلها[1].

وكان من بين هؤلاء العلماء، «أبو القاسم أحمد بن عبدالله الغافقي، المعروف بابن الصفّار، وهو من كبار تلاميذ مسلمة المجريطي أعظم علماء عصره، وكان ابن الصفّار، «مقدماً في علم العدد (المعادلات) والحساب والهندسة والنجوم.. وله زيج (تقويم) مختصر على مذهب السند هند»[2].

وكان علماء الأندلس في نهاية عصر الخلافة الأموية، على درجة رفيعة من المعرفة العلمية، وهاجر بعضهم إلى بلاد المشرق، ووصلوا إلى مكانة رفيعة[3].

وفضّل البعض الآخر الاستقرار في دانية وجزر البليار في رحاب ملكها العالم الأديب مجاهد العامري، وكان من بين هؤلاء عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الايادي الاشبيلي الأصل، عميد «آل زهر»، تلك الأسرة الماجدة التي أنجبت أعظم أطباء الأندلس. وكان أبو مروان عبد الملك بن زهر ماهراً في علم الطب، وقد اكتسب معارف جمّة عن علماء المشرق والأندلس، واستقر في المملكة الجاهدية العامرية، وأخذ عنه الدارسون لهذا العلم من أهل دانية وجزر البليار، إلى أن توفي في دانية ٤٢٢ هـ = ١٠٣٠ م[4].

وعامر الصفّار القرطبي، وكان عالماً بالفرائض والحساب والمساحة، وأخذ عنه كثيرون، كان من بينهم ابراهيم الأمين[5]. وأبو الوليد الوقشيّ، «هشام بن أحمد ابن هشام» الكناني، الذي اشتهر بمعرفته الواسعة في علم الحساب والهندسة والمنطق، وقد أخذ عنه عدد كبير من الدارسين من أهل دانية والبليار، ومن شتّى أرجاء بلاد الأندلس. ومن الذين أخذوا عنه، أبو بحر سفيان

---

(١) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة/القسم الثالث/١، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) صاعد: طبقات الأمم، ص ١٠٨. وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٦٣ - ٦٤. وابن بشكوال: الصلة/١، ص ٤٢، ترجمة رقم ٨٥. والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ١١١ - ١١٢. والمقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٧٥. والدوميلي: العلم عند العرب، ص ٣٥١ - ٣٥٢.
وآنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٤٨.

(٣) القفطي: تاريخ الحكماء، ص ٥٧، ١٩٠، ٢٢٥، ٢٢٦ و٢٢٨.

(٤) صاعد: طبقات الأمم، ص ١٢٩، وابن دحية: المطرب، ص ٢٠٣، وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.
والمقري: نفح الطيب، ج ٢، ص ٢٤٤، وج ٣، ص ٤٣٢. والدوميلي: العلم عند العرب، ص ٣٩٧، ودائرة المعارف الإسلامية، ج ١، ص ١٨٣.
وشكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٥) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة في الموصول والصلة، ١/٥، ص ١١٠، ترجمة رقم ٢٠٣.

ابن العاص[1]، الذي أقام في الجزائر الشرقية (البليار)، وأخذ عنه علماؤها، كما أخذ هو عن ابراهيم بن يحيى بن سعيد الكلاعي الميورقي[2]. وعن معاوية بن عامر بن البشر المخزومي الميورقي[3]. وعن أحمد العجيفي اليابسي. ومن أشهر من أخذ عن أبي الوليد الوقشي، «محمد ابن سعيد بن زكريا»، من ساكني دانية، وكان عالماً بالطب، ألّف كتاب التذكرة في الطب، ويعرف «بالسعدية»، نسبة إليه[4]. وكان أبو الوليد الوقشي عالماً شاعراً أديباً محدثاً فيلسوفاً ماهراً في شتى علوم عصره[5].

ومن الذين اشتهروا بالمعرفة الواسعة في العلوم العقلية في دانية والبليار، أبو عمر الحذاء، «أحمد بن محمد بن يحيى التميمي» وقد ولاّه علي إقبال الدولة كبير القضاة في دانية والبليار، وانتفع بمعرفته الواسعة في شتّى علوم عصره العقلية والنقلية كثيرون من أهل جزر البليار ودانية، حتى وفاته ٤٦٧ هـ = ١٠٧٤ م، وليس أدل على مكانته العلمية من كون أبي الوليد الوقشي أحد الذين أخذوا عنه[6].

وفي هذا الجو العلمي الحافل بشتّى المعارف والعلوم في المملكة الجاهدية العامرية، نشأ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الذي وصل إلى ذروة المعرفة في شتّى علوم عصره، وكان من أشهر من أخذ عنهم، «أبو الوليد الوقشي»، وكان أبو الصلت بارعاً في الطب وفي الميكانيكا «علم الحيل»، وفي الموسيقى والفلسفة. وكان يدعى بالأديب الحكيم، وأخذ عنه كثيرون من أهل الأندلس والمغرب وافريقية ومصر، وصنف عدة كتب ورسائل في العمل بالأسطرلاب[7]. وكتاب الوجيز في علم الهندسة، وكتاب الأدوية المفردة، وعدة كتب في المنطق، من أشهرها

---

(١) صاعد: طبقات الأمم، ص ١١٣ - ١١٤. وابن بشكوال: الصلة/٢، ص ٦٥٣.
والعماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، والمقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٧٦.

(٢) ابن بشكوال: الصلة/١، ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٦١٥.

(٤) ابن الأبار: التكملة/١، ص ٤١٧ ترجمة رقم ١١٨٥.

(٥) ابن بشكوال: الصلة/٢، ص ٦٥٣، ترجمة ١٤٣٧. وابن دحية: المطرب، ص ٢٢٣ - ٢٢٤. والعماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ١٨٩. والمقري: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٧٦، وج ٤، ص ٩٠ و١٣٧ - ١٣٨ و٣٠٦.

(٦) صاعد: طبقات الأمم، ص ١١٣ - ١١٤.
والضبي: بغية الملتمس، ص ١٦٣. وابن بشكوال: الصلة/١، ص ٦٢. والصلة/٢، ص ٦٥٣.
والعماد الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ١٨٩. والمقرى: نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٧٦.

(٧) الاسطرلاب: بفتح الهمزة وسكون السين وضم الطاء، كلمة يونانية معناها ميزان الشمس. (ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٠٣).

« تقويم الذهن » . كما كان على معرفة واسعة في الرياضيات وعلم الفلك ، توفي في عام ٤٨٩ هـ = ١٠٩٥ م[١] .

وكان من كبار الفلاسفة وعلم المنطق في دانية والبليار علي بن اسماعيل ، ويكنى بابن سيده ، وكان عالماً موسوعياً كبيراً ، ومن أشهر مؤلفاته « إصلاح المنطق »[٢].

وأبو محمد بن حزم ، « علي بن أحمد بن سعيد » ، وكان لإقامته في جزر البليار ما يزيد قليلاً عن عشرة أعوام في إحدى الروايات ، واثنين وعشرين عاماً في رواية أخرى أثر كبير على عقول الناشئة في هذه الجزر في جميع العلوم العقلية والنقلية التي كان يجيدها هذا العالم الجليل ، الذي واصل العلم ، إلى أن توفي في بلده لبلة في جنوب الأندلس ٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م[٣].

ومن الأطباء الذين اشتهروا في دانية وجزر البليار في عهد علي إقبال الدولة ابن مجاهد « اسحق بن قسطار » وكان يهودياً من كبار العلماء في العلوم العقلية ، « بصيراً بأمور الطب ، عالماً بالمنطق والفلسفة »[٤] .

وفي الوقت الذي كانت فيه المعارف والعلوم تنتشر بين أهل جزر البليار ، وتبشّر بظهور نخبة من العلماء في هذه الجزر ، بعد أن رسخت المطارف العلمية بين أهلها تحت رعاية مبشر بن سليمان ناصر الدولة نصير العلماء والأدباء ، تعرضت هذه الجزر إلى عدوان صليبي كاسح ، قضى على مؤسساتها العلمية ، وأفنى معظم سكان جزيرتي يابسة وميورقة ٥٠٨ - ٥٠٩ هـ = ١١١٥ - ١١١٦ م . وأعادها المرابطون ثانية إلى حظيرة الإسلام ، وعمّروها وأسكنوا فيها غزاة البحر والمتطوعة[٥] . وأخذت هذه الجزر تستعيد حيوتها من جديد . ومن الذين اشتهروا بعلم الفلسفة في جزر البليار في عهد المرابطين ، « محمد بن سعدون بن مرجّى » ، المتوفى ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م[٦].

---

(١) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦١ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٤٣ . والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٩ ، ص ٤٠٢ . والمقرى : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٠٥ . والوزير محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج ٤ ، ص ٩٥٦ .
وابن العماد الحنبلي : مشذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٨٢ .

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣١١ ، ترجمة رقم ٧٠٩ . وصاعد : طبقات الأمم ، ص ١١٩ .

(٣) ابن الأبار : التكملة/١ ، ص٣٩١ ، ترجمة رقم ١٠٩٤ ، وج ٢ ، ص ٩٠ ترجمة ٢١٣٠ .

(٤) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٣٥ .
وابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

(٥) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ . والحميدي : الروض المعطار ، ص ٥٦٨ . وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ وما بعدها .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٩٣ . =

ومن الذين اشتهروا بعلم الطب في عهد بني غانية « الرميلي » ، وكان طبيب علي بن غانية الميورقي[١] . ومن أشهر علماء الحساب والمعادلات في جزيرة ميورقة في عهد الموحدين ، « محمد بن ابراهيم بن نوح بن بونة الميورقي » ، « وكان عددياً ماهراً ، توفي قبل الحادثة عليها »[٢].

وقد اشتهر بعلم الصيدلة في ميورقة قبل سقوطها النهائي ، « عبد الغني بن محمد بن عبد الغني الصيدلاني » ، وكان عالماً كثيراً ، « صاحب معارف جمّة . . » ، توفي فجأة قبل استيلاء القوات الصليبية على جزيرة ميورقة ببضعة أيام[٣].

ولم يصلنا أسماء علماء لامعين في جزيرة منورقة في آخر عهودها الإسلامية في عهد الأسرة الحكمية ، وما عثرت عليه في كتب التراجم والطبقات هو اسم طبيب وافد إلى منورقة تخصّص بهذا العلم ، وحذقه في اشبيلية ، وكان فيه مجيداً بارعاً . ولجأ إلى جزيرة منورقة ، وهو « أبو بكر ابن العوّام الاشبيلي » ، وانتفع الناس به ، وكان أديباً شاعراً[٤] .

كما اشتهر بعلم الطب ومشاركته فيه ، أمير منورقة سعيد بن حكم ، الذي كان يجيد كافة علوم عصره العقلية والنقلية[٥] .

= والذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
ودومنيك أورفوي : الحياة العقلية والروحية لمسلمي البليار ، ص ١١٧ .

(١) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص٤٣٦ .
وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج ٣ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة للموصول والصلة ، ج ٦ ، ص ١٠٦ ، ترجمة رقم ٢٧٧ .

(٣) ابن الزبير : صلة الصلة ، ص ٤٥ ، ترجمة رقم ٢٨ وما بعدها .

(٤) ابن سعيد المغربي : اختصار القدح المعلّى ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٥) محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي : الذيل والتكملة في الموصول والصلة/بقية السفر الرابع ، ص ٢٨ ، ترجمة رقم ٦٧ .

الآثار الإسلامية في جزر البليار

الآثار العمرانية

ليس من السهل على الباحث التحدّث بالتفصيل عن هذا الجانب من التراث الإسلامي في جزر البليار ، لندرة ما بقي بين أيدينا من آثار معمارية إسلامية ، أو نقوش أثرية أو تحف فنية ، مما يجعل الكلام عن هذه الجوانب ذات الطابع الإنساني خوضاً في مجاهل لا يؤمن العثار فيها .

ويعلل المؤرخ الميورقي الباروكمبانير السبب في صعوبة هذا الجانب من البحث ، بأنه يعود إلى أن المدن والقرى الإسلامية قد تعرّضت للدمار والزوال بعد الزحف المسيحي الساحق . حتى أن الباحث لا يكاد يجد شيئاً من بقايا الوجود الإسلامي في مدن الجزر وقراها القائمة اليوم ، إلاّ بشق الأنفس ، وحتى لو وجد منها شيئا ، فإن هذه البقايا ، قليلة منعزلة ، فضلاً عن أن كثيراً منها قد ابتلعته المباني الحديثة ، أو قضى عليه الجهل وقلة الثقافة ، وعدم المبالاة ، بما تعنيه تلك البقايا من قيمة تاريخية عظيمة ، هذا بالإضافة إلى غباوة كثير من أصحاب الضياع في الريف ، ممن يحرصون على ألاّ تمتد أيدي العلماء والأثريين بالحفائر إلى أراضيهم ، والجهل الذي يتسم به كثير من ممثلي السلطات المدنية والإدارية[1] .

ويقول الباحث الاسباني « روسليو بوردوي » ، المختص بالدراسات الاركيولوّجية ، بأن دراسة مراحل الحكم الإسلامي في جزر البليار ، وآثار كل مرحلة في غاية الصعوبة ، نظراً لقلة المراجع والمصادر التي تمكّن الباحث من إعداد دراسة وافية وتفصيلية لآثار جزر البليار في عهودها الإسلامية المتعاقبة . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن المصادر المتوفرة سواء الإسلامية منها أو المسيحية على حد سواء ، لا تقدم لنا سوى بعض الإشارات البسيطة العابرة عن حوادث تلك الجزر المنسية ، والبعيدة عن المضار السياسي للأندلس على حد قوله . ويضيف إلى ذلك قائلاً : وبالرغم من أن قلة المعلومات عن تاريخ الإسلام في جزر البليار ترهق الباحث ، إلا أنها في نفس الوقت تجبر الراغب في البحث ، على التأني خلال تفتيشه البطيء عن النصوص مما يتيح له مجالاً للعثور على معلومات فريدة من هنا وهناك ، بالرغم مما يواجهه من إحباط في بعض

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

الأحيان ، خاصة عند محاولة دراسة الآثار الإسلامية الباقية في هذه الجزر[1] .

ويؤكد روسليو بوردوي ، ما ذكره كمبانير من التدمير العرضي والمتعمّد للآثار الإسلامية قائلاً : « وبالرغم من أن جزر البليار قد احتفظت على مدار قرون طويلة ، بصفات أجناسها البشرية وبالملامح العربية لسكانها ، إلا أنها للأسف الشديد ، مضت تدمر باستمرار تلك الآثار النابعة من ماضيها وتاريخها الإسلامي . . وإذا ما حاولنا الاستفادة من مخلفات الآثار الإسلامية ، فسنعود صفر الأيدي ، لا لأن الآثار الإسلامية لم تكن موجودة أصلاً ، ولكن ذلك يعود لاختفاء معظم هذه الآثار ، أو أنها تعرّضت لتغييرات جذرية على عهد شاغليها من سكانها المسيحيين ، مما سبّب فقدانها لملامحها الأساسية ، هذا بالإضافة إلى تدمير الآثار الإسلامية العرضي والمتعمد ، الذي يتسم في بعض الحالات بمنتهى الفظاعة والهمجية »[2] .

ومن الآثار الفريدة التي شاهدها الباروكمبانير قبل حوالي مائة عام وما زالت حتى اليوم « الحمام العربي » . وما زال هذا الحمام حتى اليوم في أحد دروب مدينة ميورقة « بالمادي ميورقة » ، في زقاق يدعى باسم سرًّا Serra . ومن الغريب أن السلطات المحلية لا توليه أي اهتام ، ويقع في أحد البيوت ، ويقوم صاحب البيت بمرافقة الزائرين .

ويعلّق كمبانير على هذا الحمام قائلاً ، بأنه « من الآثار القليلة الباقية من حملة التخريب الوحشية التي تعرّضت لها المباني العربية منذ الاستيلاء على مدينة ميورقة في الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة ١٢٢٩ م »[3] .

ويصف مانويل جوميث موريو هذا الحمام ، بأنه « ما زال واضح المعالم ، وإن كانت لم تظهر قط غرفتاه ، المستطيلتان ، اللتان تحيطان بالغرفة الوسطى ، وهذه تبلغ الذروة الفنية بين نظائرها في تلك الفترة ، لرشاقتها وإحكام تكوينها . وهي مربعة الشكل يحيط بها رواق ، وتحدها عقود حدوة الفرس ، فوق أعمدة تحمل قبة تتكىء على جوفات مقوّسة متعارضة في الأركان ، ثم قبوات أسطوانية حولها متعارضة . وكلها جميعاً مزوّدة بطاقات مفصّصة ، أما التيجان فمن النوع المركب بها صف مزدوج من الأوراق الملساء ، تدل على أنها ترجع إلى القرن الحادي عشر للميلاد = الخامس للهجرة أو بعد ذلك بقليل ، وقد شيّدت العقود والقبوات من الآجر ، أمّا الجدران ، فمن بلاط شديد الصلابة »[4] .

(١) روسليو بوردوي : هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار ، ص ١ – ٢ .
(٢) روسليو بوردوي : هيكل الكتابات الحجرية العربية ، ص ٣ – ٤ .
(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .
(٤) مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامي في اسبانيا ، ص ٣٢٣ .
ترجمة د. لطفي عبد البديع ، ود. السيد محمود عبد العزيز سالم .

ومن الآثار الإسلامية النادرة في مدينة ميورقة « بالمادي ميورقة » ، باب الكحل ، الذي اقتحم منه الغزاة مدينة ميورقة الإسلامية في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م[١] . وكان يدعى في العهد المسيحي باسم « باب سانتا مرجريتا » Santa Margarita وظلّ هذا الباب قائماً حتى عام ١٩١٢ م ، حيث تعرّض إلى التهديم[٢] .

ويصف مانويل جوميث مورينو هذا الباب قائلاً ، « وجدير بنا أن نذكر باب سانتا مرجريتا المهدّم (باب الكحل) في بالمادي ميورقة ، الذي يشبه تماماً من حيث نظام بنائه أنظمة البناء في المرية ، القائمة على أساس تعاقب الكتل طولاً وعرضاً ، مع صف مزدوج من اللوحات الممتدة ، وعلى هذا النحو تكوّن عقدان ، لعلهما كانا على شكل حدوة الفرس ، يجري بينهما باب يقوم مقام السد ، اقتصر تنسيجهما على الجزء المركزي ، وتتنوع أجزاؤه من مركز يقع أسفل مركز الدائرة . ويشمل نظام البناء نفسه الكسوات الجانبية في نطاق كتل الملاط القوي الذي يغلّف البناء كلّه »[٣] .

وفي الواقع لم تدرس الآثار الإسلامية في جزر البليار حتى اليوم دراسة جادة ، فقد كانت العوامل الدينية والجهل والتعصب الأعمى ، تحول في الماضي دون إبراز الآثار الإسلامية والتاريخ الإسلامي لهذه الجزر ، ولا نجد في معظم المراجع الاسبانية سوى إشارات عابرة للآثار العمرانية الإسلامية ، منها على سبيل المثال ، ما يدعى اليوم « بكنيسة سان ميجيل San Miguel » التي تقع في زقاق يحمل نفس الاسم ، في مواجهة باحة على الطراز الأندلسي القديم ، هي في الواقع المسجد الجامع لمدينة ميورقة الإسلامية ، حوّله الكهنة المرافقون للملك خايمي الفاتح إلى كنيسة في ١٥ صفر ٦٢٧ هـ = الأول من يناير ١٢٣٠ م . وقد دارت أعنف المعارك بعد اقتحام باب الكحل « سانتا مرجريتا » في الزقاق المؤدي إلى المسجد الجامع ، الذي يدعى اليوم « بجادة سان ميجيل » Cale San Miguel وما زال لهذه الكنيسة حتى اليوم مكانة كبرى لدى رجال الكنيسة في جزر البليار . ويحتفل في مطلع كل سنة ميلادية احتفالات كبرى في هذه الكنيسة بالذات ، وينطلق منها حشود المصلين إلى الشوارع ، وتستمر الاحتفالات حتى الصباح[٤] !

وما زال « تمثال العذراء مريم والطفل » ، الذي رفعه خايمي الفاتح ملك قطلونية وأرغون على سفينة القيادة أثناء عبوره البحر في ميناء سالو Salou بساحل قطلونية إلى جزيرة ميورقة

(١) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 31.
(٢) روسليو بوردوي : هيكل الكتابات الحجرية العربية ، ص ٩ .
(٣) مانويل جوميث مورينو : الفن الإسلامي في اسبانيا ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .
(٤) Clements Markham: The Story of Majorca and Minorca, p. 31-32.

للاستيلاء عليها ، موجوداً حتى اليوم في كنيسة سان ميجيل San Miguel المسجد الجامع القديم لمدينة ميورقة الإسلامية[١] .

كما أن أسس كنيسة سانتا ماريا Santa Maria في ماهون العاصمة الحالية لجزيرة منورقة ، هي الأساس القديم لأحد جوامع المدينة في عهدها الإسلامي ، الذي حوّل إلى كنيسة في الثالث من ذي الحجة ٦٨٥ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧ م ، وأعيد بناؤها في فترة لاحقة على الأساس الإسلامي .

وما زالت كاتدرائية سان فرنسيس الأسسي San Fransisco de Asisi ذات طابع عمراني أندلسي ، فقد كانت المسجد الجامع لمدينة منورقة الإسلامية التي تدعى اليوم باسم « ثيودا دلا » ، وحوّل إلى كاتدرائية بأمر من الفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون بعد استيلائه على جزيرة منورقة في الثالث من شهر ذي الحجة ٦٨٥ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧ م ، وأعيد تجديدها بعد فترة طويلة[٢] .

ويوجد في جزيرة يابسة بقايا عمرانية إسلامية ، من أبرزها الحي القديم في مدينة يابسة عاصمة الجزيرة الذي يدعى باسم Dalta Villa ، تحيط به بقايا الأسوار العربية الثلاثة لمدينة يابسة في عهدها الإسلامي[٣] . وما زالت بقايا الحصون الإسلامية القديمة ماثلة حتى اليوم في قلعة كاب دوبرا Cap de Pera وبرج عرطة Arta في شمال شرق جزيرة ميورقة ، وفي باب الشرق في أسوار الكدية Alcudia ، وفي حصون بلانسة Pollentha في شمال الجزيرة[٤] .

النقوش العربية البليارية

حاول المؤرخ الميورقي الباروكمبانير قبل حوالي مائة عام دراسة الكتابات العربية في شتّى أرجاء جزر البليار المحفورة منها والمنقوشة ، ورجع إلى المصادر التي أشارت إلى هذا الموضوع ، كما أتيح له المجال للاطلاع على بعض النقوش ، التي كانت حتى ذلك الحين ماثلة للعيان . وبالرغم من كل الجهود التي بذلها ، فإنه لم يخرج من محاولته هذه بنتيجة تذكر . فقد تبيّن له بأنّ معظم الكتابات العربية في جزر البليار قد تعرضت للتدمير والاندثار ، كبقية الآثار الإسلامية . وقد أوجز النقوش التي وصل خبرها إليه بما يلي :

- لوحة صغيرة من البرونز عثر عليها في بلدة سان خوان في جزيرة ميورقة في سنة ١٧٧٥ م ، وقد قام أحد المالطيين بقراءة النقش الوارد فيها ، وترجمه ، فزعم أنها لا تحتوي إلاّ

(١) Clements Markham: The Story of Majorca & Minorca, p. 32.
(٢) A.Y. Cassanova: Minorca, p. 26. 56. 67.
(٣) F. Verdera: Ibiza, p. 34.
(٤) Juan Bonet Majorca, p. 104, 137-140.

على دعاء لإبعاد آثار السحر وكوارث الطبيعية والأمراض التي تصيب الجسد.

– لوحة كانت توجد في جدار دهليز يؤدي إلى ضيعة الخابية Alfabia[1] وقد فسّر الأب ارتيجس P. Artigues النقش الوارد فيها بأنه سورة قرآنية.

– شاهد قبر عثر عليه في إحدى قرى جزيرة ميورقة، وقد قرأ أحد التجار الفرنسيين الكتابة المنقوشة على هذا الشاهد في ٢١ مارس ١٨١٩ م. ويتضمن هذا النقش – حسب روايته – شهادة ألا إله إلا الله والصلاة على محمد رسول الله. ثم يرد بعد ذلك اسم المتوفّى، وهو أبو مروان بن عبدالله بن محمد الطلحي[2]، وتاريخ وفاته وهو السابع من شوال ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م.

وهذا هو كل ما عثر عليه الباروكمبانير من المصادر التي أشارت للنقوش العربية في جزر البليار حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر[3].

وقد ذكر المؤرخ كليمنتس ماركهام، بأن النقش العربي الذي كان قبل فترة وجيزة على أحد جدران الدهليز المؤدي إلى ضيعة الخابية، كان يتضمن النص التالي:

الأمر لله: والعزة لله: والرحمة من الله:

الله جلّ جلاله، لا الاه إلا الله: له الملك وحده[4].

ويذكر المؤرخ روسليو بوردوي مدير متحف بالما الاركيولوجي، بأن أغلب الكتابات العربية التي وصلت إلينا، إنما هي عبارة عن كتابات جنائزية على شواهد القبور، باستثناء بعض اللوحات القليلة التي استخدمت لغرض زخرفي، لتزيين بعض الجدران، كما هو الحال في الكتابات التي كانت موجودة في دهليز الخابية بنيولا Alfabia-Buniola، وعلى قوارير وجرار الفخار، التي عثر عليها في جزيرتي ميورقة ومنورقة. ويضيف إلى ذلك قائلاً بأن نقش الخابية

(١) كانت ضيعة الخابية من أملاك «ابن عابد» الذي تعاون مع الملك خايمي الأول، وظلّ محتفظاً بممتلكاته ثمناً لخيانته. وبعد وفاته ورث هذه الضيعة ابنه ناصر، الذي لم يعقِّب سوى ابنة واحدة كانت تدعى باسم «الينور» التي تزوجت أحد الفرْسانِ القطلان من النبلاء يدعى «خوان سانتا سيليا»، وورث أعقابه من بعده ضيعة الخابية طيلة خمسة أجيال. وتزوجت آخر أعقاب هذه الأسرة، وكانت تدعى «الينور» أيضاً بأحد النبلاء من أسرة بيرجا، وتزوجت ابنته الوحيدة من أسرة سفورزا، وورثت هذه الأسرة الميورقية العريقة ضيعة الخابية التي كان يوجد في الدهليز المؤدي إليها نقش عربي حتى عهد قريب.
(Clements Markham: The Story of Majorca & Minorca,) p. 142-& 156.

(٢) الطلحي: نسبة إلى طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.
ابن الأبار: التكملة/السفر الأول، ص ٤١١، طبعة روخس – مجريط، ١٨٨٦ م.

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٤) Clements Markham: The Story of Majorca & Minorca, p. 157.

الكتابي يعود إلى العصر المدجّني[1]. ويذكر نفس الرأي الباروكمبانير حيث يقول: «وربما كان النقش الذي كان موجوداً في ضيعة الخابية Alfabia وغيره من النقوش من عمل المدجّنين Mudejares (أي المسلمين الذين كانوا في خدمة المجتمع الإسباني المسيحي)، بعد استيلاء النصارى على جزر البليار)[2].

ويشير المؤرخ روسليو بوردوي إلى بعض النقوش العربية البليارية التي ورد ذكرها في بعض المصادر، ثم اختفت جميعها بشكل يدعو للحيرة والتساؤل! ، ومن أشهرها ما يلي:

أ – النقش العربي على مدخل قلعة سنتا أجيدا Santa Aguida كبرى حصون جزيرة منورقة في عهدها الإسلامي. وقد شاهد هذا النقش المؤرخ الانجليزي أرمسترونج في عام ١٧٧٥ م، واختفى هذا النقش منذ ذلك الحين، ولم يشر له أحد من المؤرخين!

ب – النقش العربي على باب بليجاديسا Plegadesa (باب يسوع)، أحد أبواب مدينة بالمادي ميورقة في العهد المسيحي. وكان هذا النقش عند عقد الباب القديم شرقي المدينة[3]. وكان الباب الشرقي في العهد الإسلامي يدعى بباب البلياط[4]. وقد نقلت اللوحة الحجرية بعد هدم هذا الباب إلى دهليز في مبنى بلدية «بالمادي ميورقة» العاصمة. واختفى هذا الأثر الثمين بعد أن شبّ حريق في مبنى البلدية، ولم يعثر عليه رغم الجهود التي بذلت لمعرفة مكان اختفائه[5]!

ويذكر الباروكمبانير بأنه شاهد هذا النقش قبل اختفائه قائلاً، «وقد أتيحت لنا الفرصة للاطلاع على بعض النقوش العربية التي كانت توجد على الحنيّة التي كانت تعلو الممر الموصل إلى سور مدينة بالما وميدان مصارعة الثيران فيها، وقد نزعت هذه اللوحة من مكانها هناك، وأودعت في دار الأسقفية، غير أنها كانت في حالة من البلي والتشقق، بحيث يبدو من المستحيل أن يقرأ ما عليها من نقش»[6].

جـ – النقش العربي على «باب الكحل»، الذي عرف في العهد المسيحي باسم باب سانتا مرجريتا Santa Margarita. وكان يقع في أحد جوانب السور الإسلامي في مدينة ميورقة، في الزاوية الشمالية الشرقية، ومن هذا الباب اقتحم الملك خايمي الأول وجنوده مدينة ميورقة في

(١) روسليو بوردوي: الكتابات العربية الحجرية في جزر البليار، ص ٥.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٣٧.
(٣) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٨.
(٤) ميجيل الكوفير: الإسلام في ميورقة، ص ٩٩.
(٥) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٨.
(٦) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٣٩ م[١].

ويذكر الباروكمبانير، بأنه شاهد هذا النقش قبل عام ١٨٨٨ م، على باب سانتا مرجريتا، (باب الكحل)، ولم يشر بحرف واحد لما تضمنه هذا النقش[٢]. ويعلق روسليو بوردوي على فقدان هذا قائلاً، «ومن المؤسف أن هذا النقش العربي النفيس اختفى أيضاً كبقية النقوش الأخرى، بعد هدم هذا الباب في عام ١٩١٢ م»، قبل أن نعرف ما تضمنه من كتابات، ولم تصلنا حتى الملامح والمميزات الخارجية لهذا النقش. ومن المحتمل أن تكون تلك الكتابات المجهولة بالنسبة لنا، قد نقشت على باب الكحل، بمناسبة افتتاح هذا الباب الإسلامي، من هنا تبدو الخسارة الكبيرة بفقده، لأن معنى ذلك ضياع مؤشر عام، ودليل ثابت عن تاريخ آخر سور إسلامي لمدينة ميورقة»[٣].

ولم يبق من النقوش العربية البليارية بعد ضياع النقوش الفريدة الآنفة الذكر، سوى الكتابات على شواهد مجموعة كبيرة من شواهد القبور عثر عليها في شتى أنحاء جزر البليار[٤]. وما زال هناك ثمة مجال واسع للكشف عن مزيد من الآثار الإسلامية ما زالت مختزنة في باطن الأرض، وخاصة في مقبرة الملوج Almollaux التي اكتشفت مؤخراً[٥]. وتوجد معظم الشواهد التي عثر عليها في متاحف ميورقة ويابسة ومنورقة وفرمنتيرة، كما يوجد البعض الآخر في حيازة بعض الأفراد والهيئات الدينية.

وهذه الشواهد وما عليها من نقوش عربية، ذات أهمية قصوى في إلقاء الضوء على بعض الجوانب الخفية من تاريخ جزر البليار في عهودها الإسلامية، وفي تحديد مدى انتشار في المدن والمناطق الريفية، وأقدم هذه اللوحات، شاهد قبر عثر عليه في جزيرة فرمنتيرة يعود تاريخه إلى عام ٣٠٠ هـ=٩١٣ م[٦]، بعد الفتح الإسلامي المستقر لهذه الجزر على يد عصام الخولاني ٢٩٠ هـ=٩٠٣ م بعشر سنوات[٧]. ومعظم الشواهد القديمة التي تعود في تاريخها إلى عهد الخلافة الأموية في الأندلس أول العهود الإسلامية في جزر البليار ممسوحة باستثناء البسملة وتاريخ الوفاة وبعض أجزاء من بقية النص المنقوش بخط كوفي بحروف كبيرة في الشواهد التي عثر عليها في مقابر المدن، أما في المناطق الريفية فقد شاع استخدام خط الرقعة بأسلوب

(١) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٨.
(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٣٧.
(٣) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٨.
(٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٥) روسليو بوردوي: العصور المظلمة في تاريخ ميورقة، ص ٩٩.
(٦) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٤٥، ٦٥.
(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣.

عفوي، وفي حالات نادرة كان الخط الكوفي يستخدم في شواهد القبور في المناطق الريفية بشكل غير متناسق وغير متقن.

ويحمل الخط الكوفي المستخدم في تلك الكتابات دلالات مهمة، من أبرزها توضيح تأثيرات جنوب شرق الأندلس على هذه، كما يمكن من دراسة تطور الخط الكوفي تحديد تواريخ بعض شواهد القبور غير الواضحة المعالم[١].

ومعظم الرسومات والزخارف على هذه الشواهد بسيطة ولكنها متناسقة، والزخرفة على شكل أوراق أزهار متشابكة. وتصل النقوش إلى درجة كبيرة من التناسق والجمال في النصوص المكتوبة بخط النسخ، الذي كان يكتب بدون أي تنقيط أو تشكيل في مراحله القديمة، وفي النصوص المكتوبة بخط كوفي مزخرف بأوراق أزهار متوازنة مع خطوط نسخية في غاية الحسن والجمال. ومعظم هذه الشواهد التي عثر عليها من الحجر الرملي وبعضها من الحجر الجيري والمرمر. ويمكن من خلال دراسة هذه الشواهد معرفة أصلها ومكان استخراجها. وكانت أشهر مقالع الحجارة المستخدمة كشواهد محجر «ماريس»، ومحجر ساولو في منورقة، ومحجر يابسة الشهير. وتختلف أنواع الحبيبات الرملية في هذه الأحجار بين محجر وآخر، مما يمكّن من معرفة مصدرها. ويتراوح تاريخ هذه الشواهد التي عثر عليها في ميورقة بين استكمال فتح هذه الجزر نهائياً على يد عصام الخولاني ٢٩٠ هـ=٩٠٣ م، وبين الغزو الأرغوني لهذه الجزيرة في عام ٦٢٧ هـ= ١٢٢٩ م[٢]. ومن أكثرها وضوحاً شاهد عثر عليه في بلدة منقور في شمال شرق جزيرة ميورقة، يوجد حالياً في أحد متاحف مدينة بالمادي ميورقة، من حجر رملي محفور عليه عشرة سطور بخط كوفي بارز، والحروف غير منظمة وخشنة جداً، ولا يوجد تطابق بين السطور العشرة وحجم أكبر الحروف ٣٠ ملم، وأصغرها خمسة عشر، والنصّ المحفور على هذا الشاهد هو ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس ان وعد الله
حق هاذا قبر سلمن
بن منصور رحمه الله
عليه ومعرفته ورضوا
نه توفي يوم الأحد

(١) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٥ – ٧.

لست وعشرين حلو
ن من ذي القعدة
سنة خمسين وثلاثمائة[1]

وكان عامل جزر البليار آنذاك هو الموفق الصقلبي[2]. كما عثر على شاهد قبر في مدينة منورقة غير واضح المعالم باستثناء اسم المتوفى وهو، « هشام بن منتصر »، وتاريخ وفاته في عام ٣٨١ هـ = ٩٩١ م[3]. وكانت جزر البليار آنذاك تحت حكم العامل مقاتل الصقلبي في عهد الخلافة الأموية في الأندلس أيام المنصور محمد بن أبي عامر[4].

وهناك لوحة أخرى لشاهد قبر يعود تاريخه إلى عام ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م، لمن يدعى « تليط » عثر عليها في جزيرة يابسة[5]. وفي نفس العام الذي توفي فيه « تليط » المذكور توفي مقاتل عامل جزر البليار ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م[6].

كما عثر على لوحة أخرى في جزيرة فرمنتيرة، عليها كتابة كوفية، ويظهر على سطحها السطور الأربعة التالية:

رضوانه توفي
يوم الأحد في شهر ربيع
الآخر سنة خمسة
وأربعمائة

إن من الواضح أن هذا الشاهد « لمجهول »، وأن تاريخ الوفاة يعود إلى ربيع الأخر ٤٠٥ هـ = اكتوبر ١٠١٤ م[7]، أي قبل مبايعة مجاهد العامري للخليفة المعيطي بشهرين، وقبل استيلائه على جزر البليار في شهر شوال ٤٠٥ هـ = مايو ١٠١٥ م، بسبعة أشهر[8].

كما عثر على لوحة في مقبرة « المودينا دي غمارة » على مقربة من بالمادي ميورقة العاصمة، على شاهد من الحجر الرملي، عليه كتابة منشورية، من طراز كتابات المرية في شرق الأندلس،

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣.
(٣) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية في جزر البليار، ص ١٣.
(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٣.
(٥) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية في جزر البليار، ص ٤٣.
(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤.
(٧) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية في جزر البليار، ص ٤٤.
(٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٩.

بالخط الكوفي البارز في غاية الاتقان، ونصّها محاط بزخارف مجدولة متشابكة، ولم يبق واضحاً منها غير سطرين:

خمس بقين من محرم سنة وثلاث ول
الحرة الجليلة أم الامام ال..

ويعتبر ليفي بروفنسال هذه القطعة من أكثر النقوش العربية الأندلسية حسناً وجمالاً، ويرجّح بأنها من القرن الخامس للهجرة، وأن تاريخ الوفاة يعود إلى عام ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م. وفي هذه الفترة كان يحكم مبشر بن سليمان ناصر الدولة، وإن صحّت فرضية ليفي بروفنسال، فربما يكون هذا الشاهد لقبر أمّ المرتضى الذي حكم قبل مبشر بن سليمان. ويقول الباحث الاسباني، « أمادوري لوس ديوس »، بأن هذه اللوحة تعود إلى نهاية القرن السادس للهجرة (٥٩٣ هـ = ١١٩٦ م)، لأن لقب الإمام لم يستخدم في جزر البليار إلاّ في عهد بني غانية، وربما كانت أم علي ابن غانية، زوجة اسحق بن محمد ذات المكانة الرفيعة، ومن الصعب الفصل برأي قاطع، لأن الكتابة غير واضحة إلى حد يمكن معه الجزم بشكل مؤكد[1].

ومهما يكن الأمر فقد انتهت المرحلة الحضارية الإسلامية الأولى في جزر البليار بمأساة مروعة، فقد تمكن الصليبيون من الاستيلاء على هذه الجزر باستثناء جزيرة منورقة وعاثوا في جزيرتي يابسة وميورقة تدميراً وقتلاً، وقضوا على معظم معالم العمران في الجزيرتين، وأبادوا معظم سكانهما، وأحرقوا مدينة ميورقة العاصمة، وحولوها إلى ركام، ولما وصل الأسطول المرابطي في ذي الحجة ٥٠٩ هـ = ابريل ١١١٦ م، « وجدها خاوية على عروشها محترقة سوداء مظلمة منطبقة، فعمّرها قائد الأسطول ابن تافرطاس بمن كان معه من المرابطين والمجاهدين، وأصناف الناس، وجلب إليها من فرّغها إلى الجبال، واستوطنوها وسكنوها وعمّروها من جديد »[2].

وعادت مسيرة الحضارة الإسلامية ثانية إلى هذه الجزر حتى نهاية عهدها الإسلامي، واستيلاء الفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون على جزيرة منورقة في ٣ ذي الحجة سنة ٦٨٥ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧ م[3].

ومن اللوحات الشهيرة التي عثر عليها في جزيرة ميورقة، وتعود إلى بداية العهد المرابطي في جزر البليار لوجه قبر زينب بنت أبي الحكم رحمها الله، يحتفظ بها ورثة السنيور جابرييل

(١) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٢٢ - ٢٤.
(٢) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٢ - ١٢٤. تحقيق د. أحمد مختار العبادي.
(٣) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٦٩٨.

فيالونخا أوليفر ، وقد عثر عليها على مقربة من بلانسة في شمال جزيرة ميورقة ، وهي عبارة عن شاهد من الحجر الجيري ،ذي شكل بيضاوي ، وعليها الكتابة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

توفيت زينب ابنة الحكم
رحمها الله والمسلمين أجمعين
غداة الأربعاء لاثنا عشر حلون
من صفر سنة سبع عشرة وخمسمائة .

ويرجع أصل هذه اللوحة إلى منطقة ريفية ، وكتابتها عفوية ، خليط بين الخط الكوفي والرقعة ، ويتفق تاريخ الوفاة مع بداية العهد المرابطي في جزر البليار[١] . وأشهر شاهد عثر عليه في جزيرة منورقة ويعود إلى عهد الأسرة الحكمية هو شاهد قبر « الفقيه أبي مروان بن عبدالله بن محمد الطلحي » ، ومن الغريب اختفاء هذا الشاهد ، ولا يدري أحد أين انتهى المطاف به! لهذا تعددت الروايات في قراءته ، فبينما يذكر الباروكمبانير ، بأن النقش الذي تضمنه هذا الشاهد هو ما يلي : شهادة ألاّ اله إلاّ الله والصلاة على محمد رسول الله ، ثم يرد بعد ذلك اسم المتوفى ، وهو أبو مروان بن عبدالله بن محمد الطلحي ، وتاريخ وفاته ، وهو السابع من شوال سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م)[٢] .

يذكر روسليو بوردوي بأن هذا الشاهد كان يتضمن النص التالي :

الحمد لله وحده . . .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وسلّم تسليما
توفي الفقيه أبو مروان بن عبد
الله بن محمد الطلحي عفا
الله عنه يوم الاثنين
السابع من شوال سنة[٣]
اثنين وسبعين وستماية

ومن الواضح من التاريخ المنقوش على الشاهد ، بأن وفاة الفقيه الطلحي ، كانت في عهد

(١) روسليو بوردوي : هيكل الكتابات الحجرية في جزر البليار ، ص ٣٨ .
(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٣٦ .
(٣) روسليو بوردوي : هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار ، ص ١١ .

سعيد بن حكم أمير جزيرة منورقة المستقلة . وكانت أسرة الطلحي من الأسر العربية الكريمة في جزر البليار ، وينتسبون إلى طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ولهذا كان العالم منهم ، يدعى في كتب الطبقات والتراجم باسم « الطلحي البكري »[١] .

النماذج الخزفية والزجاجية والفخارية

ما زالت هناك بقية من الخزف والزجاج والفخار الذي يعود إلى شتى العصور الإسلامية المتعاقبة في جزر البليار . وقد قام متحف ميورقة بأعمال حفريات واسعة في داخل مدينة ميورقة القديمة ، أدّت إلى اكتشاف نماذج خزفية وفخارية وزجاجية متنوعة ، أمكن ترميم ألف قطعة منها بشكل شبه كامل ، وأمكن بواسطتها دراسة تطور صناعة الخزف ، خاصة الملوّن منه ، ذو البريق المعدني الذي حاز شهرة واسعة ، في شتّى العهود الإسلامية في جزر البليار . ومما يلفت النظر أن معظم الألفاظ والمصطلحات الاسبانية التي تستخدم للدلالة على القطع الخزفية والفخارية هي من أصل عربي[٢] .

ومنها البرمة المنتفخة ذات الرقبة العالية ، ويطلق عليها بالاسبانية « مارميتا Marmita وهو لفظ مأخوذ من « البرمة » ، التي اشتهرت مصر بصناعتها ، ومنها انتقلت إلى غيرها من البلدان الإسلامية ، وهي على أنواع ، ومعظمها يستخدم لطهو الطعام . والطيفور Atifor وهو عبارة عن طبق واسع عميق يستخدم لتقديم اللحوم ، مزخرف بزخارف خضراء لامعة ومنغنيزية ، تماثل النماذج التي كانت تصنع في البيرة في جنوب شرق الأندلس ، هذا بالإضافة إلى أنواع متعددة من الجرار Jarra والرضومة Redoma وهي عبارة عن وعاء زجاجي واسع في قاعدته ، وتضيق تدريجياً حتى تصل إلى فوهة ضيقة . والجفينة Jefaina من اللفظ العربي تصغير جفنة ، وهي تشبه الطيفور في شكلها ، ولكنها أكثر حجماً وتستخدم في تناول الطعام . والخابية Alfabia وكانت تستخدم لتخزين الزيت ، وبقية السوائل المستخدمة في الطعام وهي ذات أحجام كبيرة ، يصل ارتفاع بعضها إلى ما يزيد عن المتر ، وقد عثر في جزيرة منورقة على نماذج لخوابي من القرن السابع الهجري = الثالث عشر للميلاد كانت تستخدم لحفظ المياه . والأورزة أو القلة ، Acolla-Orza وهي عبارة عن وعاء من الفخار كان يستخدم للشرب ولحفظ الزيت والزيتون أو الدهون والفواكه المسكّرة والقصعة Cazuela ، وتستخدم للطبخ . والقدّاف Alcadaf ، وهو إناء ناقوسي كان يستخدم لعجن الدقيق . والمهراين Almirez وكانت تدق فيه الأبزار والحبوب . والقادوس Alcaduz ، إناء بيضاوي كان يستخدم في النواعير « السواقي » لحمل المياه من الأنهار ، وكذلك من الآبار .

(١) ابن الأبار : التكملة/السفر الأول ، طبعة روخس- مجريط ، ١٨٨٦ م .
(٢) روسليو بوردوي : الخزف العربي في ميورقة ، ص ٢١٥ - ٢١٦ . مجلة ميورقة ١٤ لعام ١٩٧٥ .

كما عثر على أنواع عديدة من القناديل والأواني المتنوعة الفخارية منها والزجاجية والخزفية ذات الألوان الباهرة[١]، ومن الطريف وجود أسماء صانعي هذه الأواني مكتوبة على أحد جوانبها بخطوط متنوعة كعلامات تجارية مميزة[٢].

وكانت لجزر البليار شهرة واسعة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني المطلي بالمينا، خاصة في جزيرة ميورقة. وقد سرق البيزيون في حملتهم الوحشية على جزر البليار ٥٠٨ هـ = ١١١٥ - ١١١٦ م، من جملة ما سرقوا الخبرات الفنية الميورقية في صناعة الخزف، واستخدموا الأسرى في هذه الصناعة، ويقول غوستاف لوبون بهذا الصدد، بأنّ في اشتقاق كلمة ماجوليكة من ميورقة التي كان فيها مصانع عربية شهيرة لصنع الخزف، والتماثل الكبير بين المصنوعات الإيطالية من الخزف ذي البريق المعدني الذي عرف باسم الماجوليكة، والمنتجات الميورقية من هذا الخزف الملوّن الشهير، أدلة واضحة على أن طريق الإيطاليين في هذه الصناعة الفنية الدقيقة مقتبسة من عرب هذه الجزيرة بصفة خاصة[٣].

وظلّت شهرة ميورقة بهذه الصناعة العريقة ماثلة في الأذهان، بعد عدة قرون من استيلاء مملكة قطلونية وأرغون على هذه الجزر.

ويتضح ذلك من النص التالي لابن الوزان صاحب وصف افريقية[٤]، بأن « الأواني الميورقية كانت رمزاً للجمال والتناسق بين الألوان، حيث يقول عند وصفه لبيوت مدينة فاس: « وبيوت فاس مبنية بالآجر، وبحجارة جيدة النحت، وأكثر هذه الحجارة بديعة ومزدانة بفسيفساء جميلة. وصحون البيوت ودهاليزها مبلّطة، ببلاط مربّع قديم مختلف ألوانه على هيئة الأواني الميورقية »[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٥ - ٢٣٠، مجلة ميورقة، عدد ١٤ لعام ١٩٧٥.
والمكتشفات الخزفية في كلية مونتسيون (جبل صهيون) في بالمادي ميورقة، مجلة الأندلس، المجلد التاسع والعشرون لسنة ١٩٦٤، ص ٣٢٩ - ٣٣٦.

(٢) روسليو بوردوي: هيكل الكتابات الحجرية العربية في جزر البليار، ص ٤٧ - ٦٢.

(٣) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص ٥١٧.

(٤) الحسن بن محمد الوزّان الزياني (ليون الافريقي): عالم عربي غرناطي الأصل، أسرة القراصنة الطليان في عام ٩٢٦ هـ = ١٥١٨ م. وأعجب به البابا ليون وأعتقه. صنّف كتابه « وصف افريقية » ٩٣٤ هـ = ١٥٢٦ م باللغة الإيطالية. وكان على درجة عالية جداً من الثقافة والمعرفة. وحوالي عام ٩٣٨ هـ = ١٥٣٠ م، تمكن من الهرب إلى تونس، وعاش فيها إلى أن توفي في ٩٥٧ هـ = ١٥٥٠ م في إحدى الروايا، وتختلف المصادر في خاتمة حياته.
(مقدمة كتاب وصف افريقية = د. عبد الرحمن حميدة).

(٥) الحسن بن محمد الوزّان الزياني: وصف افريقية = ترجمة د. عبد الرحمن حميدة، ص ٢٢٨.

طواحين الهواء والنواعير والآبار
وقنوات الري والمعالم العمرانية

من المعالم السياحية الجميلة في جزر البليار حتى اليوم، طواحين الهواء التي تشاهد في كافة أنحاء جزيرتي ميورقة ويابسة بصفة خاصة. وأول من ابتكر هذه الطواحين، العرب ونشروها في كافة أرجاء العالم الإسلامي. وظلّت في جزر البليار حتى هذا اليوم شاهداً على تلك الحقبة الإسلامية الزاهرة في جزر البليار[١].

ويصف القزويني، عند حديثه عن مدينة والوطة في جزيرة ميورقة، الطواحين والسواقي وصفا شيّقا، يتضح منه براعة المسلمين في جزر البليار في صناعة الطواحين واستخدام مياه النواعير « السواقي » في إدارتها، وفي ري الحقول، لعنايتهم الفائقة بالزراعة[٢]. ولم تتوقف براعة العرب في جزر البليار في الري عند حد النواعير، والآبار التي تنتشر في شتّى أرجاء جزر البليار. وقد شاهدت عدداً منها في شتّى أنحاء هذه الجزر، ويوجد في باحة قصر المدينة في مدينة ميورقة بئر من النوع الشائع في سواحل بلاد الشام، مركّب عليه بكرة تسحب دلوا من الجلد تنكسب منه المياه. ومن العجيب وجود بئر من هذا النوع على قمة جبل مونت تورو على مقربة من دير للراهبات، وتمثال هائل للسيد المسيح، وآثار قلعة قديمة، على ارتفاع شاهق في وسط جزيرة منورقة. ويتضح مدى براعة المسلمين في جزر البليار في قنوات الري المنتشرة في شتّى أرجاء هذه الجزر، وما زالت هذه القنوات ماثلة للعيان حتى اليوم، وتستخدم في ري الأراضي الزراعية المحيطة بمدينة يابسة، عاصمة الجزيرة وحتى بلدة سان خوان[٣].

وبالرغم من مرور حوالي سبعة قرون، على زوال الحكم الاسلامي في جزر البليار، فما زالت بعض المعالم العمرانية العربية في الأحياء القديمة من مدينة ميورقة، ومن أشهرها « القوس العربي » في زقاق المدينة. وزقاق سراSerraفي مدينة ميورقة الذي يحمل حتى اليوم ذلك الطابع العربي القديم، وقد دعي باسم رامون سرّا Frair Ramon Serraرئيس فرسان المعبد « الداوية » الذي اشترك في الحملة الصليبية على جزيرة ميورقة. وتوجد معالم عربية عديدة في ميورقة ومنورقة ويابسة، في أزقتها ودروبها ومساكنها، خاصة في العمران القديم الذي يعيد صدى تلك المرحلة الزاهرة من تاريخ هذه الجزر في عهودها الاسلامية المتعاقبة، التي طويت منذ سبعة قرون، ولكن ما خلّفته من تراث سيظل خالداً أبد الدهر خلود الفكر الانساني!

---

(١) الدوميلي: العلم عند العرب، ص ٢٣٤.

(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٦٨.

(٣) F. Verdera: Ibiza, p. 28.

كانت النقود المتداولة في جزر البليار قبل استيلاء مجاهد العامري على هذه الجزر في شهر ذي القعدة ٤٠٥ هـ = مايو ١٠١٥ م، من النقود المسكوكة في قرطبة العاصمة. وبعد استيلاء مجاهد على هذه الجزر، أصبحت النقود المتداولة فيها من العملات التي سكّت في ألوطة[١]. في شرق الأندلس، الجناح البري للمملكة المجاهدية العامرية. وأول نقود عثر عليها سكّت في ألوطة تعود إلى عام ٤٠٢ هـ = ١٠١١ م، كما عثر على مجموعة أخرى سكّت في عام ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م، وجميعها تحمل اسم مجاهد العامري، والخليفة هشام المؤيد. كما عثر على مجموعة من النقود سكت في الوطة في عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م، تحمل اسم الخليفة المعيطي ومجاهد العامري[٢].

وفي عام ٤٠٦ هـ = ١٠١٦ م، سكّ الخليفة عبد الله المعيطي المنتصر بالله، الذي نصّبه مجاهد العامري خليفة في دانية والبليار، دراهم تحمل اسمه فقط، «الإمام عبد الله أمير المؤمنين»، وأغفل اسم مجاهد[٣]، وأعلن استبداده بالحكم، واتفّق مع أنصاره على قتل مجاهد إذا ما عاد سالماً من حملته على جزيرة سردانية[٤]. وبعد عودة مجاهد العامري مهزوماً من جزيرة سردانية، وعزل الخليفة المعيطي، ونفيه إلى بجاية في المغرب الأوسط[٥]، نجد بأن النقود التي سكّت في ألوطة ودانية حتى عام ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م، تحمل اسم حسن سعد الدولة بن مجاهد العامري، وولي عهده، مع أسماء أخرى مجهولة حتى الآن هي، «أحمد ويحيى وعبد الله وجهور». ومن الغريب عدم وجود اسم مجاهد على الدنانير والدراهم المسكوكة خلال هذه الفترة، كما أننا لا نجد اسم ابنه الأكبر «علي إقبال الدولة»، بالرغم من عودته من الأسر عام ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م[٦].

وأول نقود عثر عليها، سكّت في ميورقة، في عهد المملكة المجاهدية العامرية، ترجع إلى عام

---

(١) ألوطة: اختلط هذا الاسم على بعض علماء النميّات وظنوها مدينة مالوطة التي ذكرها القزويني في جزيرة ميورقة. (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٦٨) ولكنها في الواقع بلدة في شمال دانية عاصمة المملكة المجاهدية العامرية، وكانت فيها دار السكة. وتقع على الطريق بين دانية وسرقسطة كبرى قواعد الثغر الأعلى الإسلامي. (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٢، ص ١٢٧).

(٢) أنطونيو بريتوفيفس: ملوك الطوائف، ص ١٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨١.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الاعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص ٢٢٠.

(٥) ابن بشكوال: الصلة/القسم الأول، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ترجمة رقم ٥٩٣.

(٦) أنطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٢.
وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٧٢ - ١٧٣.

٤٣٥ هـ = ١٠٤٤ م. ومنذ ذلك الحين ظلّت النقود تسك في ميورقة ودانية حتى نهاية عهد المملكة المجاهدية العامرية في دانية والبليار[١]. وتوجد مجموعة من هذه النقود تعود إلى عامي ٤٣٥ هـ = ١٠٤٤ م و ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م، تحمل اسم مجاهد العامري وولديه علي إقبال الدولة وحسن سعد الدولة، والخليفة المزعوم هشام المؤيد. ومن الجدير بالملاحظة أن مجاهد العامري لا يستخدم في هذه النقود أي لقب، وكان يلقب باسم «الموفق». وبعد وفاة مجاهد العامري في عام ٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م، وتولية ابنه علي إقبال الدولة من بعده، نجد بأن النقود المسكوكة في كل من ميورقة ودانية تحمل اسم علي إقبال الدولة وأسماء ولديه محمد معز الدولة الفتح ولي العهد، وعبد الملك سراج الدولة ابنه الأصغر[٢]، والخليفة المشبه بهشام المؤيد وتدعوه بأمير المؤمنين وهذا يدل على أن علي إقبال الدولة قد تابع أمراء بني عباد في إشبيلية في دعواهم بالتمسك بإقامة الخطبة لهشام المؤيد[٣].

وكان هذا الدعي الذي نصّبه القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد خليفة للمسلمين في إشبيلية حصريًّا يعمل مؤذناً في إحدى قرى إشبيلية يدعى «خلف الحصري» واستغل ابن عباد الشبه في الشكل بينه وبين الخليفة الأموي هشام المؤيد، وطالب ملوك الطوائف بمبايعته ٤٢٧ هـ = ١٠٣٥ م!

وكان قد أعلن قبل هذا التاريخ عن وفاة هشام المؤيد ثلاث مرات! وكانت الميتة الثالثة هي الصحيحة![٤]، على يد محمد بن سليمان بن المستعين بالله في ذي القعدة ٤٠٣ هـ = مايو ١٠١٣ م[٥].

وأخفى قاتله أثره، مما أحاط الغموض بمصيره، وظلّ اسمه يتردد على المنابر في بلاد الأندلس وجزر البليار قرابة الخمسين سنة بعد مقتله، وظهر عدد من الأدعياء في بلاد الأندلس، زعموا أنهم الخليفة المختفي «هشام المؤيد»، استغلهم ملوك الطوائف وأعلنوا لهم البيعة، وتقاتلت الجيوش وسفكت الدماء باسم الخليفة المزعوم هشام المؤيد[٦]. وظلّ اسمه يسك

---

(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤١.
وأنطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٢.
وكليليا سارنللي تشركوا: مجاهد العامري، ص ١٧٤.

(٢) انطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤١.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٠، ١٩٧، ٢٠١، ٢١٣.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الاعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص ١٢٠.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٩٠، ١٩٨، ٢٢٠.
وابن الخطيب: اعمال الاعلام/القسم الخاص بالأندلس، ص ١٢٠.

على النقود في جزر البليار ودانية حتى عام ٤٥٧ هـ = ١٠٦٤ م[١]. بالرغم من إعلان المعتضد ابن عباد عن وفاة هذا الخليفة المزعوم في عام ٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م[٢].

ومنذ عام ٤٥٧ هـ = ١٠٦٤ م، نجد على الدراهم والدنانير المسكوكة في ميورقة ودانية أسماء علي إقبال الدولة وابنه وولي عهده محمد معز الدولة الفتح واسم «عبد الله»، والأرجح أنها إشارة للخليفة العباسي في بلاد المشرق. وظلّت الدراهم الفضية والدنانير الذهبية تسك في ميورقة ودانية حتى نهاية المملكة الجاهدية في دانية والبليار حتى سنة ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م[٣]، التي استولى فيها المقتدر بن هود على دانية[٤]، وقتل فيها علي إقبال الدولة في ظروف غامضة[٥].

وآخر قطعة نقود تحمل اسم علي إقبال الدولة ترجع إلى عام ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م، وتمتاز بخاصية فريدة. بالنسبة لجميع النقود التي سكّت في بلاد الأندلس قبل هذا التاريخ، وهي أنها تسجل التاريخ الهجري على النقود (بعد التاريخ - كلمة للهجرة)[٦].

وبعد مقتل علي إقبال الدولة[٧]، استقل عبد الله المرتضى بجزر البليار[٨].

وقد عثر على مجموعة من النقود تعود إلى عهد المرتضى، سكّت في جزيرة ميورقة بين عامي ٤٨٠ - ٤٨٦ هـ = ١٠٨٧ - ١٠٩٣ م، وتتألف كلها من دراهم ذات شكل موحد، وتحمل اسم عبد الله المرتضى، ولقبه «ابن أغلب» وإلى جانب اسمه، إشارة للخليفة العباسي[٩]، عبد الله - أمير المؤمنين.

وتتميز النقود التي سكّت في جزيرة ميورقة في عهد المرتضى بأناقة نادرة المثال، مما يستوقف النظر، إزاء الخشونة التي تتسم بها النقود المضروبة في جزيرة ميورقة في عهد مجاهد العامري[١٠].

---

(١) انطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٢١٣.
(٣) انطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣.
(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.
(٥) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول، ص ٨١ - ٨٢.
(٦) انطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣.
(٧) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الثالث/المجلد الأول، ص ٨١ - ٨٢.
(٨) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٤٦٦ - ٤٦٧.
ودائرة المعارف الإسلامية - زايبولد - ص ٣٠٨.
(٩) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤١ - ٢٤٢.
وانطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣. =
(١٠) فرنسيسكو قديرة زيدين: النميات العربية الإسبانية، ص ١٧٤.

كما عثر على مجموعة من النقود تعود إلى عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة ينحصر تاريخ ضربها بين عامي ٤٨٧ - ٥٠٨ هـ = ١٠٩٤ - ١١١٥ م. ومن الملاحظ أن هذه النقود تتدرج في أناقتها ودقة صنعها، فبينما نجد النقود التي سكّت في السنوات الأولى من عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة أنيقة جيدة الصنع، نلاحظ بأنها تتجه بعد ذلك إلى الرداءة سنة بعد أخرى، حتى تصل في النهاية إلى نقود يتضح فيها الإهمال ورداءة الضرب، مما يدل على أن المملكة قد اتجهت إلى التدهور والاضمحلال. ويذكر في جميع هذه المجموعة اسم الخليفة عبد الله - أمير المؤمنين إلى جانب إسم مبشر بن سليمان ناصر الدولة. ولم يعثر على أي نقود ترجع إلى العهد القصير لآخر ملوك ميورقة المستقلة، «أبي الربيع سليمان بن لبون»، الذي أسره البيزيون ٥٠٨ هـ = ١١١٥ م[١].

وفي ذي القعدة من عام ٥٠٨ هـ = إبريل ١١١٥ م استعاد المرابطون جزر البليار[٢] من أيدي القوات الصليبية، وأصبحت منذ ذلك الحين وحتى عام ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م، تحت حكم المرابطين من لمتونة[٣]، وكانت النقود المتداولة في هذه الفترة هي النقود المرابطية التي كانت تسك في دور السكة في المغرب والأندلس. ولم يعثر على أي نقود سكّت في جزر البليار خلال عهد المرابطين من لمتونة. وبعد استقلال بني غانية المرابطين من مسوفة بجزر البليار، سكّوا الدراهم والدنانير، بدور السكة في جزر البليار، وقد عثر على ديناريين يرجعان إلى عهد بني غانية في جزر البليار[٤]. وهما قطعتان نادرتان ووحيدتان محفوظتان في متحف المسكوكات بمدريد. ولنا عليها الملاحظات الآتية:

كلتا القطعتين ترجع إلى سنتي ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ م و ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م، أي خلال فترة حكم إسحق بن محمد بن غانية، ولكنهما لا يذكران اسم أمير ميورقة المستقل، وإن كانتا تنصّان على مكان الضرب في ميورقة.

وعليهما اسم الإمام أمير المؤمنين «عبد الله»، الذي يشار به كما ذكرنا إلى الخليفة

= والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤١ - ٢٤٢.
وانطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣.
(١) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤٢ - ٢٤٣. وانطونيو بريتو فيفس: ملوك الطوائف، ص ١٢٣.
(٢) ابن الكردبوس: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ١٢٣ - ١٢٤/تحقيق د. احمد مختار العبادي.
(٣) الفريد بل: بنو غانية، ص ١٨ - ١٩.
(٤) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤٢.

العباسي في بلاد المشرق الإسلامي[١]. وفي عام ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م، استولى الموحدون على جزر البليار[٢]. ومنذ هذا التاريخ أصبحت العملة الموحدية، هي العملة المتداولة في البليار، ولم يعثر على نقود سكّت في جزر البليار، تعود لعهد الموحدين، إلاّ درهمان صغيران « مركّنان » أي مربعان، وهما من فضة خالصة، ولكنهما خاليان من ذكر اسم العامل أو الأمير الذي قام بضربهما، وكذلك من سنة الضرب، وليس فيهما إلاّ ذكر الموضعين اللذين تم ضربهما فيهما وهما: « ميورقة » و « منورقة »[٣]. وفي ١٥ صفر ٦٢٧ هـ = الأول من يناير ١٢٣٠ م، استولى خايمي الفاتح ملك قطلونية وأرغون على مدينة ميورقة العاصمة، وانهار الحكم الإسلامي في جزيرة ميورقة[٤]. وفي محرم ٦٣٣ هـ = أغسطس ١٢٣٥ م، استولى الصليبيون على جزيرتي يابسة وفرمنتيرة[٥]. وظلّت جزيرة منورقة المستقلة تحت حكم الأسرة الحكمية حتى ٣ ذي الحجة ٦٨٥ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧ م، ولم يعثر حتى الآن على نقود تعود إلى عهد الأسرة الحكمية في منورقة[٦].

وثيقة تقسيم جزيرة ميورقة بين الفاتحين المسيحيين

من أهم الوثائق العربية التي ما زالت محفوظة حتى اليوم في أرشيف بلدية مدينة بالمادي ميورقة العاصمة. وهي الوثيقة الصادرة باسم الملك خايمي الأول في شهر رجب ٦٢٩ هـ = مايو ١٢٣٢ م موكلاً عنه الموثق بدرو مليو Pedro Melio في القسم اللاتيني من الوثيقة، ولم يعرف حتى الآن كاتب النص العربي. ويتضح من دراسة هذه الوثيقة الفريدة ذات الأهمية البالغة ما يلي:

أ- معظم الأراضي التي قسّمت بين الفاتحين أراضٍ زراعية وفلاحة في معظمها، كما أن بعضها كان مستغلاً في مجال الرعي وتربية الماشية.

ب- يمكن تقسيم أسماء القرى والضياع من الناحية اللغوية الفيلولوجية إلى ثلاثة أنواع،

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٣؛

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب/القسم الموحدي، ص ٢١٦.
والحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٨.

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤٣.

(٤) ابن المستوفي: تاريخ اربل المسمّى البلد الخامل بمن ورده من الأماثل، ترجمة رقم ٣١٧، القسم الأول، ص ٤٣٠ - ٤٣٢.

(٥) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٢٧٦، طبعة دار المنصور، و Fransisco Verdera: Ibiza, p. 36.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٦٩٨.
والباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٠٩، وحاشية« ١ ».

الكثرة الغالبة منها ذات أسماء عربية[١] تتفاوت نقاء وأصالة، ثم تليها مجموعة من الأسماء ذات الأصول اللاتينية، وقد احتفظ بها المسلمون عبر تاريخهم الطويل في هذه الجزر.

جـ- من بين الأسماء العربية التي ورد ذكرها في هذه الوثيقة ماله دلالته الخاصة فمنها ما يذكرنا بشخصية مقاتل عامل جزر البليار، وبمجاهد العامري أول ملوك جزر البليار المستقلة في عهد المملكة الجاهدية العامرية، ومنها اسمان يشيران إلى أمير البليار مبشر بن سليمان ناصر الدولة، وهناك أسماء عديدة متعلقة بأمراء بني غانية ومنهم على سبيل المثال، « يحيى بن محمد ابن تاشفين ». هذا بالإضافة إلى شخصيات إسلامية، اشتهرت في نهاية العهد الإسلامي في جزيرة ميورقة، منهم على سبيل المثال ابن سيري « أبي حفص عمر بن سيري »، الوارد ذكره في كتب التاريخ الإسلامية، وشعيب وابن عابد المذكورين في المدونات المسيحية. ولعل تلك الأسماء العربية هي التي اشتقت منها أسماء بعض العائلات الميورقية التي نجدها حتى اليوم محتفظة بأسمائها العربية[٢].

د- تتضمن قائمة المدن والقرى والضياع الواردة في وثيقة تقسيم أراضي جزيرة ميورقة بين الفاتحين النصارى عدداً كبيراً من الأسماء من أصول لاتينية. نذكر من بينها سنتويري Santueri، وسنتا أنّي Santa Anni وسنتا بونزا Santa Ponsa وسانت استيف Sant Esteve وسنت فسنت Sant Vicent وسانتا فامبا Sant Marti وسنتا ايلوليا Santa Eulalia، وغيرها. ومن المرجح أن سبب الاحتفاظ بهذه الأسماء في ظل الحكم الإسلامي، إنما يرجع للطائفة المسيحية التي كانت تساكن المسلمين في جزيرة ميورقة. فما كان المسلمون ليقبلوا استخدام مثل هذه الأسماء المرتبطة بقديسي النصرانية وقديساتها، إذا كان قد فرضها الاستخدام اليومي المستمر لساكني الجزيرة من النصارى[٣].

---

(١) ذكر أسين بلاسيوس، أسماء حوالي ستين قرية وبلدة في جزر البليار، ما زالت محتفظة بأسمائها العربية مع بعض التصحيف في لفظها منها: البركة والقرية والكدية والخابية والغيضة والغار والمضربة وبني الأحول، وبني عمّار وبني سالم وبني الأعرج وبني خلدون وبني عمر، وبني سيّدى والدفلة والضيعة والجنان وبني مفرّج وبني نصّار وبني الرومي في جزيرة ميورقة. والزيد وعربي في يابسة. والضيعة وبني لمط وبني البقاء وبني سعيد وبني فرج وبني دليل وبني محمود في جزيرة منورقة.
miguel Asin Placios: Toponimiia Arabe De Espana - Madrid 1944.

(٢) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، و د. محمود علي مكي: المخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة ميورقة/صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد ج ٤ العدد ١ - ٣، ص ٢١٧ - ٢١٩.
Jaim Bosquets Mulet: Elcodic Latino-Arabigo del Repartimiento del Mallorca: La Parte Latina, ed So ciedad, Arqueologica Lulian. Palm de Mallorca 1958. Eltexto Arabi en Homenaje a Millas Vallicrosa, Vol I ed. Barcelona-1954. p. 243-300.

(٣) الباروكمبانير: تخطيط تاريخي لجزر البليار، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

وهذه الوثيقة على جانب كبير من الأهمية ، وتستحق عناية الباحثين بنصيها العربي واللاتيني ، ويكمل أحدهما الآخر ، ففيها أسماء القادة وكبار الفرسان ، الذين اشتركوا في الحملة الصليبية على جزيرة ميورقة بقيادة خايمي الأول ملك قطلونية وأرغون ، والإقطاعيات التي حصل عليها كل منهم . كما أنها توضح نواحي عدة ، منها بيان عمارة جزيرة ميورقة في الوقت الذي استولت فيه القوات الصليبية عليها ، وأسماء أبواب مدينة ميورقة والقرى المحيطة بها ، ووصف أسوارها وقلاعها وحصونها . وتحديد الأراضي الزراعية العامرة منها وغير العامرة ، والطواحين في شتّى أنحاء جزيرة ميورقة ومكان كل منها . هذا بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة من الأسماء الجغرافية التي ما زال الكثير منها باقياً حتى اليوم ، مع بعض التصحيف في لفظها .

كما يمكن الاستفادة من هذه الوثيقة في الدراسات اللغوية الفيلولوجية وفي دراسة تطور اللغة العربية في جزر البليار ، ومعرفة الألفاظ المحلية المستخدمة ، وطريقة لفظها منها على سبيل المثال « رحل » بمعنى ربض[١] . وما زالت مستخدمة حتى اليوم في جزر البليار بشكل محرّف « رفل »[٢] . « والحوز » الزمام والضاحية والحي ، و « زوج » بمعنى حقل والعديد من الألفاظ والكلمات الأخرى التي يتضح من أسلوب كتابتها استخدام الإمالة في نطق الكلمات ، ومنها على سبيل المثال « الشاريع » في لفظ كلمة « الشارع » . وكان هذا الأسلوب في النطق مستخدماً في شرق الأندلس بصفة عامة[٣] .

وهكذا آل مصير المسلمين في جزيرة ميورقة في نهاية المطاف ، بعد أن عمروا هذه الجزيرة عدة قرون ، فمنهم من قتل أو أسر ، ومن بقي حيًّا استعبده الغزاة ، وبيع الآلاف منهم في أسواق الرقيق ، واستخدم البعض الآخر ، أقناناً في الأراضي التي كانوا يملكونها! وأصبحت جزيرة ميورقة ، التي كانت قاعدة كبرى للجهاد الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط أحد المراكز الكبرى للحركة الصليبية الجديدة ، التي اعتمدت التبشير طريقاً لتمزيق وحدة المسلمين ، بدل الحروب الصليبية التي فشلت في تحقيق أهدافها ، ومن أول رواد هذه الحركة في بداية العهد المسيحي في جزيرة ميورقة « رامون لول » ، الذي درس اللغة العربية والتراث الإسلامي في مدرسة « ميرامار » على يد بعض الأرقاء من المسلمين[٤] . وفشلت هذه الحركة فشلًا ذريعاً .

---

(١) د. محمود علي مكي : المخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة ميورقة/صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ج ٤ ، العدد ١ – ٣ ، ص ٢١٧ – ٢١٩ .

(٢) Miguel Asin Placios: Toponima Arabe De Espana, Madrid, 1944

(٣) د. محمود علي مكي : المخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة ميورقة/صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، العدد ١ – ٣ ، ص ٢١٧ – ٢١٩ .

(٤) Norman Daniel: The Arabs and Mediaval Europe, p. 314 – 316.
وآنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٥٤٣ وما بعدها .

وليس أدل على ذلك من اعتناق أحد كبار دعاتها تورميدا Turmeda الإسلام . وكتب كتاباً للرد على المبشرين سمّاه « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب »! وظل تورميدا على تمسكه بالإسلام ، وتسمّى باسم عبد الله بن علي ، وأكرمه بنو حفص ملوك تونس ، إلى أن توفي في عام ١٤٢٠ م ، وقد جلّله أهل المغرب بهالة من القداسة ولقبوه بالترجمان الميورقي[١] .

ولا ندري إنْ كانت هناك وثائق أخرى عن تقسيم بقية جزر البليار « يابسة وفرمنتيرة ومنورقة » ، وإن كان من المؤكّد بأنها قسمت بين النصارى الفاتحين بكيفية نجهلها حتى اليوم[٢] . وهكذا زال الحكم الإسلامي من جزر البليار بعد سقوط آخر معاقلها في جزيرة منورقة في محرم ٦٨٥ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧ م[٣] .

وبالرغم من النهاية المفجعة لهذه الحقبة الزاهرة من تاريخ المسلمين في هذه الجزر ، إلا أن ما أسهم به علماؤها في التراث الإسلامي سيظل صفحة مشرقة في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بل وتاريخ الحضارة الإنسانية جمعاء .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨٦ وما بعدها .

(٢) الباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٤٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٦٩٨ .
والباروكمبانير : تخطيط تاريخي لجزر البليار ، ص ٢٠٩ ، وحاشية « ١ » .

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

(أ)

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)، ت: ٦٥٨ هـ.

١- « التكملة » لكتاب الصلة طبعه روخس بمجريط ١٨٨٦ م.

٢- « التكملة » نشر جونزاليز بالنسيا والأركون، مدريد ١٩١٥ م.

٣- « التكملة » تحقيق عزت العطار الحسيني- مطبعة السعادة مصر- ١٩٥٥-١٩٥٦ جزءان.

٤- « الحلة السيراء » جزءان، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٣ م.

٥- « المقتضب من كتاب تحفة القادم » اختيار وتقييد أبي إسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧ م.

٦- « المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي » نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر وزارة الثقافة- المكتبة الأندلسية رقم (٧) القاهرة ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧ م

٧- « أعتاب الكتاب » تحقيق وتعليق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية. الطبعة الأولى، دمشق ٣٨٠ هـ- ١٩٦١ م.

ابن الأثير «عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري » ت: ٦٣٠ هـ.

٨- « الكامل في التاريخ »- ١٣ جزءاً- دار صادر، دار بيروت، بيروت لبنان ١٩٦٥ م، ١٩٦٧ م.

الإدريسي: « أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني » ت: ٥٥٦ هـ.

٩- « المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » مأخوذة من كتاب« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » بريل، ليدن ١٨٦٤ م.

ارسلان: « شكيب »:

١٠- « الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية » ثلاثة مجلدات منشورات مكتبة دار الحياة- بيروت لبنان.

١١ – « تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط » بيروت لبنان – دار مكتبة الحياة سنة ١٩٦٦ م.

أشباخ « يوسف »:
١٢ – « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » ترجمة محمد عبد الله عنان – مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨ م.

الاصطخري « أبو إسحق إبراهيم محمد الفارسي المعروف بالكرخي » ت: ٣٥٠ هـ.
١٣ – « المسالك والممالك » تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نشر دار القلم القاهرة سنة ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م.

الأصفهاني « أبو حامد محمد بن محمد » ت: ٥٩٧ هـ.
١٤ – « الفتح القسي في الفتح القدسي » تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ م.

١٥ – « خريدة القصر وجريدة العصر » قسم شعراء المغرب في ثلاثة مجلدات المجلد الأول: تحقيق محمد المزروفي ومحمد العروسي المطوي، والجيلاني ابن الحاج يحيى النشرة الثانية، الدار التونسية للنشر ١٩٧٣.

المجلد الثاني: تحقيق أذرناش أذرنوش نقحه وزاد عليه محمد المزروفي والمطوي والجيلاني الدار التونسية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧١.

المجلد الثالث: تحقيق أذرناش أذرنوش وزاد عليه المزروفي والمطوي والجيلاني الدار التونسية ١٩٧٢.

ابن أبي أصيبعة « أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي » ت: ٦٦٨ هـ.
١٦ – « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » طبعة دار الثقافة في ثلاثة مجلدات دار الثقافة، بيروت – لبنان ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م.

أماري « ميخائيل »
١٧ – « المكتبة الصقلية » طبعة معادة بالأوفست في مكتبة المثنى – بغداد عن طبعة لايبزج ١٨٥٧ م.

أومان.
١٨ – « الامبراطورية البيزنطية » ترجمة مصطفى بدر، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتاد، القاهرة ١٩٥٣ م.

الأيوبي « محمد بن تقي الدين عمر » ت: ٦١٧ هـ
١٩ – « مضمار الحقائق وسر الخلائق » تحقيق حسن حبشي، طبع عالم الكتب بالقاهرة ١٩٦٨.

(ب)

باشا « نجاة »:
٢٠ – « التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة » كلية الآداب والعلوم الإنسانية – تونس، منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٦.

بدران « عبد القادر أفندي »:
٢١ – « تهذيب تاريخ ابن عساكر » في سبعة أجزاء، مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣٢٩ هـ.

ابن بشكوال « أبو القاسم خلف بن عبد الملك » ت: ٥٧٨ هـ.
٢٢ – « الصلة » قسمان: الدار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية رقم ٤، ٥ – القاهرة – مصر ١٩٦٦ م.

البكري « أبو عبيد » ت: ٤٨٧ هـ.
٢٣ – « المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب » نشره البارون دي إسلام سنة ١٨٥٧ وصورته مكتبة المثنى ببغداد.
٢٤ – « جغرافية الأندلس وأوروبا » تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد بيروت – لبنان، طبعة أولى سنة ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨ م.

البلاذري « أحمد بن يحيى بن جابر » ت: ٢٧٦ هـ.
٢٥ – « فتوح البلدان » تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العامة، جزءان بيروت – لبنان ١٩٧٨ م.

بلانثيا « آنخل خنثالث »:
٢٦ – « تاريخ الفكر الأندلسي » نقله للعربية حسين مؤنس، نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية، طبعة أولى، القاهرة، مايو ١٩٥٥.

البنداري « الفتح بن علي » ت: ٦٤٢ هـ.
٢٧ – « سنا البرق الشامي » تحقيق رمضان ششن، القسم الأول، دار الكتاب الجديد، طبعة أولى، بيروت – لبنان ١٩٧١، والكتاب مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني.

البيذق « أبو بكر الصنهاجي »
٢٨ – « كتاب أخبار المهدي بن تومرت » تحقيق ليفي بروفنسال وبولس كوتنر باريس ١٩٢٨.

(ت)

التجاني « أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد »
٢٩ – « رحلة التجاني » تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٨١ م.

تشركوا «كيليليا سارنلي»:

٣٠- «مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري» ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي، طبعة أولى القاهرة، مصر ١٩٦١.

التطيلي «الأعمى التطيلي» ت: ٥٢٥ هـ:

٣١- «ديوان التطيلي» المكتبة الأندلسية، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان - بيروت.

التنبكتي «أبو العباس سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد آقيت بابا التنبكتي».

٣٢- «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» بحاشية الديباج المذهب لابن فرحون، طبعة أولى ١٣٥١.

(ج)

ابن جبير «محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي» ت: ٦١٤ هـ.

٣٣- «رحلة ابن جبير» طبعة دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٩٦٤، ١٣٨٤ هـ.

جنجاني «الحبيب»

٣٤- «المغرب الإسلامي» الحياة الاقتصادية الاجتماعية «الدار التونسية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م.

(ح)

حاجي خليفة «مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلدي» ت: ١٠٦٧ هـ:

٣٥- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» منشورات مكتبة المثنى ببغداد أعادت طبعه بالأوفست.

حتي «فيليب» وآخرون.

٣٦- «تاريخ العرب المطول».

الحجي «عبد الرحمن».

٣٧- «التاريخ الأندلسي» جغرافية الأندلس وأوروبا.
التاريخ الأندلسي طبعة بيروت ١٩٧٦.

ابن حزم «أبو محمد علي بن سعيد» ت٤٥٣ هـ:

٣٨- «جمهرة أنساب العرب» تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٨.

٣٩- «طوق الحمامة في الألفة والألّاف» تحقيق فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان ١٩٧٥.

حسن «حسن إبراهيم»:

٤٠- «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» الجزء الأول طبعة ٨، ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٤.

ابن حمديس الصقلي «عبد الجبار بن حمديس» ت: ٥٢٧ هـ:

٤١- «ديوان ابن حمديس» صححه وقدم له إحسان عباس دار صادر، دار بيروت - لبنان ١٣٧٩/١٩٦٠ م.

الحميدي «أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي» ت: ٤٤٨ هـ:

٤٢- «جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس» الدار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية رقم ١٩٦٦٣.

الحميري «محمد بن عبد المنعم» ت: ٩٠٠ هـ:

٤٣- «الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان - بيروت - دار العلم للطباعة ١٩٧٥.

الحوزي «خميس»:

٤٤- «سؤالات الحافظ السلفي» مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - مطبعة الحجاز - دمشق ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م.

ابن حوقل «أبو القاسم بن حوقل النصيبي» ت٣٦٧ هـ:

٤٥- «صورة الأرض» منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان

ابن حيان «أبو مروان بن حيان القرطبي» ت٤٦٩ هـ:

٤٦- «المقتبس في أخبار بلد الأندلس» تحقيق عبد الرحمن الحجي، نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت - لبنان ١٩٦٥.

٤٧- «المقتبس في أخبار بلد الأندلس» تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٤٨- «المقتبس» تحقيق ملشور أنطونيا، الجزء الثالث، المكتبة الشرقية بول جوتنر، باريس - ١٩٣٧.

٤٩- «المقتبس» الجزء الثالث، تحقيق محمود علي مكي - تحت الطبع.

٥٠- «المقتبس» الجزء الخامس، نشره: ب. شالميتا وف. كورنيطي ومحمد محمود صبح - المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٧٩. كلية الآداب بالرباط.

(خ)

ابن خاقان «الفتح» ت ٥٢٩ هـ:

٥١- قلائد العقيان في محاسن الأعيان» تقديم محمد العناني، دار الكتب الوطنية - المكتبة العتيقة، تونس ١٩٦٦.

الخشني «أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد »ت: ٣٦١ هـ.

٥٢- قضاة قرطبة. الدار المصرية للتأليف والترجمة، المكتبة الأندلسية رقم (١) ١٩٦٦ م.

ابن الخطيب «لسان الدين » ت ٧٧٦:

٥٣- «كتاب في اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام » القسم الأندلسي، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف - بيروت - لبنان طبعة ١٩٥٦.
والقسم المغربي وهو القسم الثالث تحقيق أحمد مختار العبادي وهو بعنوان تاريخ المغرب من كتاب «اعمال الاعلام » الدار البيضاء ١٩٦٤.

٥٤- «جيش التوشيح » تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور، مطبعة المنار، تونس ١٩٦٧.

٥٥- «معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار » دراسة وترجمة إسبانية للنص العربي. للدكتور محمد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.

٥٦- «الإحاطة في تاريخ غرناطة » أربعة أجزاء. الجزء الأول تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٩٣ - ١٩٧٣ الطبعة الثانية. الجزء الثاني- تحقيق محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي، الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
الجزء الثالث: الشركة المصرية للطباعة والنشر، تحقيق عنان، طبعة أولى، ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥ م.
الجزء الرابع: تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧ م.

ابن خلدون «عبد الرحمن » ت: ٨٠٨:

٥٧- «العبر وديوان المبتدأ والخبر » طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت في سبعة مجلدات ١٩٦٦.

٥٨- « مقدمة ابن خلدون » دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة - بيروت الطبعة الثالثة ١٩٦٧.

ابن خلكان «أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد » ت: ٦٨١ هـ:

٥٩- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » تحقيق إحسان عباس في ثمانية أجزاء طبعة دار صادر ١٩٦٨ - ١٩٧٢ وطبعات مختلفة.

ابن خياط «خليفة » ت ٢٤٠ هـ:

٦٠- «تاريخ خليفة بن خياط » تحقيق أكرم ضياء العمري بمساعدة جامعة بغداد مؤسسة الرسالة - بيروت، دار القلم، دمشق، مطبعة الكتبي، طبعة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

(د)

ابن الدبيثي «أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي » ت ٦٣٧ هـ:

٦١- «ذيل مدينة السلام بغداد » تحقيق الدكتور بشار عواد معروف مجلد، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر سلسلة كتب التراث رقم ٨٤ سنة ١٩٧٩.

ابن دحية «أبو الخطاب عمر بن حسن » ت ٦٣٣ هـ:

٦٢- «المطلوب عن أشعار أهل المغرب » تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، مراجعة طه حسين دار العلم للجميع.

الدلجي «شهاب الدين أحمد بن علي » ت ٨٣٨ هـ:

«الفلاكة والمفلوكون » مطبعة الآداب، النجف ١٣٨٥ هـ.

الدواداري «أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري » ت ٧٣٦:

٦٣- «كنز الدرر وجامع الغرر » الجزء السادس «الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية » تحقيق صلاح الدين المنجد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، معهد الدراسات الألماني، القاهرة ١٣٨٠-١٩٦١.

الدوري «تقي الدين عارف »:

٦٤- «صقلية، علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي ».

دوزي «راينهارت »:

٦٥- «تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى الفتح المرابطي » مجلد، لندن مطبعة بريل ١٨٦١.

ابن أبي دينار: «أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني » ت بعد عام ١١١٠ هـ/١٦٩٨م.

٦٦- «المؤنس في أخبار أفريقية وتونس »-تحقيق محمد شمام - تونس ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

(ذ)

الذهبي «أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي » ت ٧٤٨ هـ.

٦٧- «العبر في خبر من غبر » ٤ أجزاء، طبعة الكويت، تواريخ مختلفة الجزء الأول والرابع تحقيق صلاح المنجد الكويت ١٩٦٠/١٩٦٣ م مطبعة حكومة الكويت. والجزء الثاني والثالث تحقيق فؤاد سيد. دائرة المطبوعات والنشر- مطبعة حكومة الكويت ١٩٦١/٦٠ م.

٦٨- «كتاب دول الإسلام »: تحقيق فهيم شلتون ومحمد مصطفى إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٦٩- «تاريخ الإسلام » مخطوطة باريس رقم ٤٢٢٧.

٧٠- «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار » تحقيق محمد سيد جاد الحق طبعة دار الكتب الحديثة. مصر مطبعة دار التأليف١٩٦٩.

٧١- «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » المجلد ١٨، القسم الأول تحقيق وتعليق بشار عواد معروف طبعة ١٩٧٧ مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٧٢- «تذكرة الحفاظ » ٣ أجزاء.

٧٣- «المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي » تحقيق مصطفى جواد، المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف ١٣٧١ هـ-١٩٥١م.

(ر)

رستم «أسد»:

٧٤- «الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم» جزءان، دار المكشوف بيروت، الجزء الأول سنة ١٩٥٥ الجزء الثاني ١٩٥٦.

ابن رشيق القيرواني:

٧٥- «ديوان ابن رشيق» تحقيق د. عبد الرحمن ياغي. ط. بيروت.

(ز)

زامباور «المستشرق»:

٧٦- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود وآخرين. مطبعة جامعة فؤاد الأول، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٥١.

ابن الزبير «أبو جعفر أحمد بن الزبير» ٧٠٨ هـ:

٧٧- «صلة الصلة» روائع التراث العربي، نشر مكتبة خياط بيروت، لبنان ١٣٩١ - ١٩٧٢.

الزركشي «بدر الدين محمد بن إبراهيم بن لؤلؤ».

٧٨- «تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية» تحقيق محمد ماضور طبعة المكتبة العتيقة- تونس ١٩٦٦.

ابن أبي زرع «علي بن عبد الله بن أبي زرع الفارسي»:

٧٩- «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس»- طبعة محمد الفلالي جزءان - شركة النشر المغربية ١٣٥٥ هـ- ١٩٣٦م.

٨٠- «طبعة دار المنصور للطباعة والوراقة» الرباط ١٩٧٣ م.

أبو زهرة «الشيخ محمد»

٨١- «ابن حزم حياته وعصره، آراؤه، وفقهه» نشر وطبع دار الفكر العربي ١٩٥٤.

الزهري «محمد بن أبي بكر أبو عبد الله»

٨٢- «كتاب الجغرافيا» تحقيق محمد حاج صادق، دمشق ١٩٦٨.

زيتون «محمد محمود»

٨٣- «الحافظ السلفي» مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية، الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية مطبعة صلاح الدين.

(س)

ابن الساعي «أبو طالب علي بن أنجب الخازن البغدادي» ت ٦٧٤:

٨٤- «الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير» جزء ٩، تحقيق مصطفى جواد بنفقة الأب انسطاس الكرملي، المطبعة الكاثوليكية بغداد ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م.

السامرائي «خليل إبراهيم صالح»

٨٥- «الثغر الأعلى الإسلامي» دراسة في أحواله السياسية، طبع بمساعدة جامعة بغداد، مطبعة أسعد ١٩٧٦.

السبكي «عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي» ت ٧٧١:

٨٦- «طبقات الشافعية الكبرى» تحقيق عبد الفتاح الحلو والطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ٨ أجزاء طبعة أولى، تواريخ مختلفة آخرها الجزء الثامن ١٩٧١.

السراج «الوزير محمد بن محمد الأندلسي» ت ١١٤٩ هـ:

٨٧- «الحلل السندسية في الأخبار التونسية» سلسلة نفائس المخطوطات الجزء الأول في أربعة أقسام بأربعة مجلدات، تحقيق محمد الحبيب الهيلة- نشر الدار التونسية ١٩٧٠.

ابن سعيد المغربي «أبو الحسن موسى بن سعيد» ت ٦٨٥:

٨٨- «المغرب في حلى المغرب» تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الجزء الأول- القاهرة ١٩٥٣.

٨٩- «المرقصات والمطربات» دار حمد ومحيو ١٩٧٣.

٩٠- «رايات المبرزين وغايات المميزين»

٩١- «الغصون اليانعة في شعراء المئة السابعة» تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف- مصر ١٩٥٤.

٩٢- «اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي» اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت- طبعة ١٩٨٠ م.

السمعاني «أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي» ت: ٥٦٢ هـ.

٩٣- «الأنساب» مطبعة حيدرأباد الدكن- الهند. دائرة المعارف العثمانية عدة أجزاء سنة ١٩٦٣ م.

وطبعة مارجليوث المصورة بمكتبة المثنى بغداد. العراق.

سيبل «ألكسندر»

٩٤- «أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك والروس» طبعة أوسلو ١٩٢٨ نسخة مصورة عنها بمكتبة المثنى، بغداد.

سيديو «ل. أ. المستشرق»

٩٥- «تاريخ العرب العام» تعريب عادل زعيتر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- طبعة ٢، ١٣٨٩/١٩٦٩.

السيوطي «عبد الرحمن» ت ٩١١ هـ:

٩٦- «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» تحقيق محمد أبو الفضل جزءان، طبعة أولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة- ١٩٦٤ م- ١٣٨٤ هـ.

٩٧- «تاريخ الخلفاء» ط. مصر.

(ش)

ابن شاكر «ابن شاكر الكتبي» ت: ٧٦٤.

٩٨- «فوات الوفيات» خمسة أجزاء، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار صادر ،بيروت سنة ١٩٧٣ م.

٩٩- «عيون التواريخ» تحقيق فيصل السامر ونبله داود. حـ/٢٠- دار الرشيد للنشر. دار الحرية للطباعة- وزارة الثقافة بغداد ١٩٨٠ م.

أبو شامة ت: ٦٦٥.

١٠٠- «تراجم رجال القرنين السادس والسابع أو الذيل على الروضتين» مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٤٧.

ابن شريفة «محمد».

١٠١- «أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره» منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط- المغرب.

الشنتريني «ابن بسام» ت ٥٤٢ هـ:

١٠٢- «الذخيرة في محاسن الجزيرة» أربعة أقسام في ٨ مجلدات، تحقيق إحسان عباس، طبع دار الثقافة بيروت، لبنان ١٣٩٩-١٩٧٩.

(ص)

ابن صاحب الصلاة «عبد الملك بن صاحب الصلاة» ت: ٥٩٤:

١٠٣- «تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين» السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت طبعة أولى ١٩٦٤ م- ١٣٨٣ هـ.

صاعد «القاضي صاعد بن أحمد» ت ٤٦٢ هـ/١٠٧٠م.

١٠٤- «طبقات الأمم» طبعة بيروت- نشر الاب لويس شيخو اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢ م.

الصفدي «صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي» ت: ٧٦٤.

١٠٥- «الوافي بالوفيات» ٩ أجزاء مطبوعة، نشر دار النشر، فرانز شتاينر إيفسباون، طبعة ثانية غير منقحة بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية. بيروت، دار صادر، اعتناء س وي درينج تواريخ مختلفة. وهناك الجزء الثالث عشر رقم ٤٢٢٧ الظاهرية دمشق.

١٠٦- «نكت الهميان في نكت العميان» المطبعة الجمالية، نشر أحمد زكي بك ١٩١١ م- ١٣٢٩ هـ.

الصوفي «خالد».

١٠٧- «تاريخ العرب في اسبانيا» عصر المنصور الأندلسي. دار الكاتب العربي.

(ض)

الضبي «أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة» ت: ٥٩٩ هـ.

١٠٨- «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» طبعة دار الكتاب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة، مصر ١٩٦٧.

(ط)

الطبري «محمد بن جرير» ت: ٣١٠.

١٠٩- «تاريخ الطبري» طبعة دار القاموس في ١٣ جزءاً بيروت- لبنان.

طرخان «إبراهيم علي»

١١٠- «المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى» الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، الألف كتاب، سجل العرب، القاهرة ١٩٦٦ م.

(ع)

عاشور «سعيد عبد الفتاح»

١١١- «تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب»، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت ١٩٧٦ م.

١١٢- الحركة الصليبية، جزءان ط ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥ م.

١١٣- أوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢.

العبادي «أحمد مختار»

١١٤- «تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى» بيروت ١٩٧١ م.

١١٥- «سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس» صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ح/٥ ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م.

١١٦- «الصقالبة في أسبانيا» المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ١٣٧٣ هـ/١٩٥٣ م.

١١٧- «محاضرات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب» مطبعة كريدية إخوان بيروت، مذكرات جامعة بيروت العربية ١٩٧١ م.

١١٨- « في تاريخ المغرب والأندلس » دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

١١٩- « دراسات في تاريخ المغرب والأندلس » الناشر محمد أحمد بسيوني، مطبعة المصري، اسكندرية، طبعة أولى ١٩٦٨م.

١٢٠- « تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس »، مع زميله عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٦٩م، مطابع منيمنة الحديثة.

عباس « إحسان »

١٢١- « العرب في صقلية »، دراسة في التاريخ والأدب، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٩م.

١٢٢- « أخبار وتراجم أندلسية » مستخرجة من معجم السلفي- بيروت، دار الثقافة، المكتبة الأندلسية رقم (٧) ١٩٦٣.

العبدري « ابن عبد الله محمد بن محمد العبدري- اليمني »

١٢٣- « رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية » تحقيق محمد الفاسي، جامعة الملك محمد الخامس، سلسلة الرحلات ٤ حجازية ١، وزارة الدولة للشئون الثقافية والتعليم العالي، الرباط ١٩٦٨م.

ابن عبد الحق « صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي » (ت ٧٣٩ هـ)

١٢٤- « مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع »، ٣ أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي، طبعة أولى، عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥م.

ابن عبد الحكم « عبد الرحمن بن عبد الله »

١٢٥- « فتوح إفريقيا والأندلس »، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٤م.

ابن عبد الظاهر « محيي الدين » (ت ٦٩٢ هـ)

١٢٦- « تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور »، تحقيق مراد كامل ومراجعة محمد علي النجار، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة ط/١، ١٩٦١م.

عبد الله « الأمير- آخر ملوك بني زيري » (ت ٤٨٣ هـ)

١٢٧- كتاب التبيان، مذكرات الأمير عبد الله، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، ذخائر العرب، ١٩٥٥م.

عثمان « فتحي »

١٢٨- « الحدود الإسلامية البيزنطية » ٣ أجزاء دار الكاتب العربي، القاهرة.

العدوي « إبراهيم أحمد »

١٢٩- « الأساطيل العربية في البحر المتوسط »، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٧م.

١٣٠- « الأمويون والبيزنطيون » طبعة ثانية، الدائرة القومية للطباعة والنشر، الفجالة، مصر.

ابن عذارى المراكشي

١٣١- « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » دار الثقافة، بيروت، تحقيق ليفي بروفنسال وزميله ج. س كولان.

١٣٢- « البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب »، القسم الثالث، القسم الموحدي، نشر امبروسي هويسي ميراندة ومحمد بن تاويت، تطوان، ١٩٦٠م.

العذري « أحمد بن عمر بن أنس » المعروف بابن الدلائي

١٣٣- « نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار »، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٥م.

العريني « السيد الباز »

١٣٤- « الدولة البيزنطية » دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م.

ابن العماد « أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي » (ت ١٠٨٩ هـ)

١٣٥- « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » نشر مكتبة المقدسي عن دار الكتب المصرية وبعضها بنسخة الأمير عبد القادر الجزائري، ٥ أجزاء، ١٣٥٠ هـ/١٩٥١م.

ابن عمر « يحيى »

١٣٦- « أحكام السوق » نص منه استخرجه د. محمود علي مكي وعلق عليه في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الرابع، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦م.

عنان « محمد عبد الله »

١٣٧- « عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس »، القسم الأول، ط/١، ١٩٦٤م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.

١٣٨- « عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية »، القسم الثاني، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

١٣٩- « دول الطوائف في الأندلس »، ط/٢، الناشر مكتبة الخانجي في القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.

١٤٠- « دولة الإسلام في الأندلس- العصر الأول »، القسم الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط/٣، ١٩٦٠.

١٤١- « دولة الإسلام في الأندلس- العصر الأول » القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٤٢- « الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال »، دراسة تاريخية أثرية، الناشر مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط/٢، ١٣٨١ هـ/١٩٦١م.

عياض (القاضي) « أبو الفضل عياض موسى السبتي » (ت ٥٤٤ هـ)

١٤٣- « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك »، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧م، بيروت- لبنان، تحقيق د. أحمد بكير محمود.

(غ)

الغبريني «أحمد بن محمد بن عبد الله» (ت ٧٠٤ هـ)

١٤٤ - «عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المئة السابعة في بجاية»، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠ - ١٩٧١ م.

غلاب «محمد السيد»

١٤٥ - «الساحل الفنيقي وظهيرة في الجغرافيا والتاريخ».

(ف)

فاسيليف

١٤٦ - «العرب والروم» ترجمة عبد الهادي شعيرة، وفؤاد حسين علي، نشر دار الفكر العربي، وزارة المعارف العمومية، إدارة الترجمة.

أبو الفداء «إسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين محمد» (ت ٧٣٢ هـ)

١٤٧ - «تقويم البلدان» اعتنى بتصحيحه وطبعه رنبو ده البارون ماك كولن، طبع في دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠ م.

١٤٨ - «المختصر في أخبار البشر»، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ٤ أجزاء.

ابن فرحون «برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون - المدني المكي»

١٤٩ - «كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» بطلب من ملتزم طبعه عباس ابن عبد السلام بن شقرون، مصر ط/١، ١٣٥١ هـ.
وبهامشه كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد ابن عمر - التنبكتي.

ابن الفرضي «أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي» (ت ٤٠٣ هـ)

١٥٠ - «تاريخ علماء الأندلس»، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م.

فروخ «عمر»

١٥١ - «العرب والمسلمون في الحوض الشرقي من البحر المتوسط منذ الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية»، طبعة ثانية، المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٦م.

الفشتالي «أحمد بن إبراهيم» (ت ٦٦٧ هـ)

١٥٢ - «تحفة المغرب في بلاد المغرب»، تحقيق فرناندو دي لاجرانخا، مدريد ١٩٧٤م.

فهد «بدري محمد»

١٥٣ - «تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير» مطبعة الإرشاد بمساعدة جامعة بغداد - العراق، ١٩٧٣ م.

فهمي «علي عمر»

١٥٤ - «البحرية في شرق البحر المتوسط» من كتاب تاريخ البحرية المصرية، جامعة الاسكندرية، مطابع الأهرام التجارية - مصر، ١٩٧٤ م.

(ق)

ابن القاضي «أبو العباس بن محمد المكناسي» (ت ١٠٢٥ هـ)

١٥٥ - «درة الحجال في أسماء الرجال» ذيل وفيات الأعيان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ثلاثة أجزاء، المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة جـ/١، ط/١، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م، دار النصر للطباعة بمصر.
ج/٢، ط/١، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م، مطبعة السنة المحمدية بمصر.
جـ/٣، مطبعة الحضارة العربية - مصر، ١٩٧٤ م.

ابن قتيبة «أبو محمد عبد الله بن مسلم» (ت ٢٧٦ هـ)

١٥٦ - «الإمامة والسياسة» منسوب إليه - تحقيق طه الزيني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٦٧ م.

١٥٧ - «الإمامة والسياسة» ملحق بتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، طبعة بربيرة، مدريد، ١٩٢٦ م.

القزاز «محمد صالح»

١٥٨ - «الحياة والسياسة في العراق في العصر العباسي الأخير» مطبعة النصر - النجف، ١٩٧١ م.

القزويني «زكريا بن محمد بن محمود» (ت ٦٨٢ هـ)

١٥٩ - «آثار البلاد وأخبار العباد» طبعة دار صادر، توزيع دار صعب، بيروت،

القسطيني «أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي الخطيب» - ابن قنفذ - (ت ٨١٠ هـ).

١٦٠ - «الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية» الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨ م، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، سلسلة نفائس المحفوظات.

ابن القطّان «أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني الفاسي» (ت ٦٢٨ هـ)

١٦١ - «نظم الجمان» جزء منه تحقيق د. محمود مكي بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، إشراف مولاي الحسن للبحوث، جامعة محمد الخامس، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

القفطي «جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف» (ت ٦٤٦ هـ)

١٦٢ - «انباه الرواة على انباه النحاة»، ٤ أجزاء، دار الكتب المصرية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٦٣ - «تاريخ الحكماء» تحقيق هوليوس س. ليبرت، طبعة ليبزج، ١٩٠٣ م، وهو مختصر لكتاب الزوزوني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء.

القلقشندي «أبو العباس أحمد بن علي» (ت ٨٢١ هـ)

١٦٤- «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، ١٤ جزءاً، المطبعة الأميرية ودار الكتب المصرية، نسخة مصورة عن هذه الطبعة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م.

١٦٥- «مآثر الأنافة في معالم الخلافة» جـ/١، جـ/٢، جـ/٣، وزارة الأنباء الكويتية تحقيق عبد الستار فراج، ١٩٦٤ م.

ابن القوطية «أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم القريطي»

١٦٦- «تاريخ افتتاح الأندلس» تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، مطبعة مجريط بمطابع دبونير، ١٨٦٨ م.

(ك)

كراتشوفسكي «أغناطيوس يوليانوفيش»

١٦٧- «تاريخ الأدب الجغرافي» القسم الأول، نقله من الروسية إلى العربية الأستاذ صلاح الدين بن عثمان هاشم، مختارات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦١ م.

ابن الكردبوس «أبو مروان عبد الملك» (ت أواخر القرن ٦ هـ)

١٦٨- «قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء» تحقيق العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ١٣، ١٩٦٥-١٩٦٦ م.

(ل)

لوثروب «ستودارو الأميركي»

١٦٩- «حاضر العالم الإسلامي» تعريب عجاج نويهض، فيه حواشي وفصول من تعليق شكيب أرسلان، مجلدان، دار الفكر، ط/٣، ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م.

لوبون «غوستاف»

١٧٠- «حضارة العرب» تعريب عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي- مصر، ١٩٦٩ م.

لويس «أرشيبالد»

١٧١- «القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط» ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر- القاهرة، ١٩٦٠ م.

(م)

ماجد «عبد المنعم»

١٧٢- «تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى» مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ثانية- القاهرة، ١٩٧٣ م.

المالقي «أبو الحسن علي بن محمد المعافري» (ت ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م)

١٧٣- «الحدائق الغناء في أخبار النساء» تراجم شهيرات النساء في صدر الإسلام تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب- ليبيا- تونس ١٩٧٨ م، مطبعة الشركة التونسية.

المالكي

١٧٤- «رياض النفوس»، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، ط/القاهرة.

ماهر «سعاد»

١٧٥- «البحرية في مصر الإسلامية»، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- مصر.

أبو المحاسن «جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي الأتابكي» (ت ٨٧٤ هـ)

١٧٦- «النجوم الزاهرة»، طبعة مصورة، دار الكتب المصرية، ١٦ جزءاً، سنوات مختلفة.

مجهول

١٧٧- «أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم»، طبعة مصورة في مكتبة المثنى ببغداد، عن طبعة مجريط، مطبعة ريدنر، ٨٦٧ م.

مجهول

١٧٨- «مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية» أصدرها ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية لصاحبها مصطفى عبد الله، المغرب، ١٩٤١ م.

مجهول

١٧٩- «أوراق من عهد الناصر» تحقيق ليفي بروفنسال.

مجهول

١٨٠- «أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس» ترجمة وتقديم حسن حبش، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، ١٩٥٨ م.

مجهول

١٨١- «الحلل الموشية في الأخبار المراكشية»، منسوب إلى محمد لسان الدين بن الخطيب، نفقة إبراهيم محمد وزميله، المطبعة الإسلامية، تونس.

مجهول

١٨٢- «مفاخر البربر» تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤ م.

مجهول

١٨٣- « الاستبصار في عجائب الأمصار » وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، جامعة الاسكندرية، مطبعة الجامعة بالاسكندرية، ١٩٥٨ م، لمؤلف من القرن الثاني عشر الميلادي.

مدني « أحمد توفيق »

١٨٤- « حروب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا » ط/٢ منقحة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، ١٩٧٦ م.

المراكشي « عباس بن إبراهيم »

١٨٥- « الإعلام عمن حل مراكش وأغمات من الأعلام »، خمسة مجلدات، طبعة فاس، ١٩٦٣ م.

المراكشي « عبد الواحد »

١٨٦- « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بإشراف محمد عويضة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م.

المراكشي « محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي »

١٨٧- « الذيل والتكملة للموصول والصلة » السفر الأول من جزئين وبقية السفر الرابع والخامس من جزئين والسادس من جزء واحد، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة- لبنان، ١٩٦٥ م.

ابن المستوفي « شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي- الأربلي »

١٨٨- « نباهة البلد الخاص بمن ورده من الأماثل »، تحقيق سامي خماش الصقار حشمان.

المسعودي « أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي » (ت ٣٤٦ هـ)

١٨٩- « مروج الذهب ومعادن الجوهر »، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، طبعة محمد عبد الحميد، ١٩٦٤ م، الطبعة الرابعة ١٣٨٤ هـ.

المكناسي « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المكناسي » (ت ٩١١ هـ)

١٩٠- « الروض الهتون في مكناسة الزيتون »، الرباط، ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م.

المقري « أحمد بن محمد المقري التلمساني »

١٩١- « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » تحقيق إحسان عباس، عدة أجزاء، دار الصياد، بيروت- لبنان، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.

المقريزي « نصر الدين أحمد بن علي » (ت ٨٤٥ هـ)

١٩٢- « كتاب السلوك لمعرفة دور الملوك » لجنة التأليف والترجمة والنشر، نشر محمد مصطفى زيادة.

جـ/١، ق/١، ط/٢.

جـ/١، ق/٢، ط/٢، ١٩٥٧- ١٩٧٦ م.

جـ/١، ق/٣، ط/٢، ١٩٧٠ م.

١٩٣- « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »، جزءان، دار صادر، بيروت- لبنان، طبعة الأوفست.

١٩٤- « جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس » قسمان، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣/١٩٧٤م.

مكي « محمود علي »

١٩٥- « مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي »، صحيفة المعهد، الدراسات الإسلامية في مدريد، مج/٥، ١٩٥٧ م.

مورينو « مانويل جوميث »

١٩٦- « الفن الإسلامي في إسبانيا »، ترجمة لطفي عبد البديع والسيد عبد العزيز سالم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- مصر، ١٩٦٨ م.

المنذري « عبد العظيم زكي الدين أبو محمد » (ت ٦٥٦ هـ)

١٩٧- « التكملة لوفيات النقلة »، ٦ مجلدات، تحقيق بشار عواد، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.

مؤنس « حسين »

١٩٨- « تاريخ الجغرافيا في الأندلس »، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٣٨٦ هـ/١٩٦٧ م.

١٩٩- « فتح العرب للمغرب » القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٤٧ م.

٢٠٠- « المسلمون في حوض البحر المتوسط » المجلة التاريخية، مجلد ٤، العدد الأول، مايو ١٩٥١ م.

٢٠١- « فجر الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية » القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩ م.

(ن)

الناصري « أبو العباس أحمد بن خالد » (ت ١٨٩٧ هـ)

٢٠٢- « الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى »، ٩ أجزاء في أربعة مجلدات، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد، دار الكتاب، الدار البيضاء. ١٩٥٤ م.

النباهي « أبو الحسن بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي » (كان حياً عام ٧٩٣ هـ)

٢٠٣- « تاريخ قضاة الأندلس- كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا » ذخائر التراث العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

النخيلي « درويش »

٢٠٤- « السفن الإسلامية على حروف المعجم » جامعة الاسكندرية، ١٩٧٤ م.

النويري، « شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري » (ت ٧٣٢ هـ)

٢٠٥- « نهاية الأرب في فنون الأدب » مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤٧ معارف عامة.

(و)

ابن الوردي « زين الدين عمر » (ت ٧٤٩ هـ)

٢٠٦- « تاريخ ابن الوردي » جزءان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف - العراق، ط/٢، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م.

الوزان « الحسن بن محمد الوزان الزياتي ».

٢٠٧- « وصف أفريقيا » ألفه الوزان بالإيطالية، وترجمه أ. إيبولار إلى الفرنسية وعلق عليه وترجمه من الفرنسية إلى العربية عبد الرحمن حيده، وراجعه الدكتور علي عبد الواحد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩ هـ.

(ي)

ياقوت الحموي « شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي » (ت ٦٢٦ هـ)

٢٠٨- « معجم البلدان » في ٥ أجزاء، طبعة دار صادر - بيروت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.

٢٠٩- « معجم الأدباء » ٢٠ جزءاً، مطبوعات دار المأمون، مكتبة القراءة والثقافة الدكتور أحمد فريد الرفاعي، مراجعة وزارة المعارف العمومية.

اليعقوبي « أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح » (ت ٢٨١ هـ)

٢١٠- « تاريخ اليعقوبي » طبعة دار صادر، جزءان، بيروت - لبنان.

ثانياً: دوائر المعارف والموسوعات والقوانين والمجلات

١- دائرة المعارف الإسلامية، أجزاء مختلفة.

٢- دائرة معارف البستاني طبع ١٨٨١.

٣- الموسوعة العربية الميسرة.

الرازي « محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي » (ت ٦٦٦ هـ)

٤- « مختار الصحاح ». نشر دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م.

مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية العدد الأول.

٥- « هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط البحرية؟ » بيرنيط اخوان. تعريب أحمد مختار العبادي. سنة ١٩٥٣/١٣٧٢ هـ.

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد ١٣.

٦- « « قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء » لابن الكردبوس. تحقيق العبادي سنة ١٩٦٥/١٩٦٦ م.

مجلة الأديب اللبنانية.

٧- العرب في ميورقة » بقلم فؤاد جبور العدد الخامس سنة ١٩٦٤ م.

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

٨- « سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين » بقلم حسين مؤنس. المجلد الثاني. مدريد سنة ١٩٥٤ م.

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

٩- « وثائق جديدة عن عصر المرابطين » محمود علي مكي. المجلد ٨٧ مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ م.

صحيفة المعهد للدراسات الإسلامية.

١٠- « مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي » بقلم محمود مكي. مجلد ٥ سنة ١٩٥٧ م.

المجلة التاريخية المصرية.

١١- « المسلمون في حوض البحر المتوسط » بقلم حسين مؤنس. مجلد ٤ عدد ١ مايو سنة ١٩٥١ م.

مجلة البيان الكويتية، عدد ١٨١ مارس ١٩٨١ م.

١٢- « رسالة إسبانيا ».

حوليات الجامعة التونسية عدد ٢ سنة ١٩٦٥ م.

١٣- « المجالس والمسايرات ٤ نصوص مختارة عن قضية أقرطيش في عهد المعز لدين الله الفاطمي » تحقيق فرحات الدشراوي. والنصوص لأبي حنيفة بن محمد النعمان.

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية

1. **Alcover (P. Miguel S.J.):**
El Comquistador y la Isla de Mallorca. Palma de Mallorca imprenta de Guasp 1929.

2. **Alarcon (Maseimliano. A.Y. De Linares Santony Ramon Garcia):**
Los Decumentos Arabes Diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragon Editadosy Traeices.

3. **Berlitz Travel Guide.**
Majorca and Minorca.
Editions Berlitz S.A. Lausanne, Switzerland. 1976.

4. **Brett (Michel).**
Les Maures-La Civilisation Islamique en Occident: Atlas Paris 1981.

5. **Bordoy (G. Rossello):**
La Ceramica Arabe en Mallorca, Avances Sobre su Tipologia y Cromologia Mayurga No 14, 1975.

6. **Bonet Juan**
Majorca Editorial Everest. 1974.

7. **Bordoy (G. Rossello):**
Hallozgos Ceramicos en el «Colegio de Montesion» de Palma de Mallorca Al-Andalos. Madrid, Vol 29. 1964.

8. **Bordoy (G. Rossello):**
Los Siglos Ascuros de Mallorca. Mayarga, X, 1973.

9. **Bordoy (G. Rossello):**
Corpus Balear de Epigrafia Arabe.

10. **Bel (Alfred):**
Les Benou Ghamia Paris, Ernest Lerour-Editeur. 29, Rue Bonaparte, 28 VI, e. 1903.

11. **Bonnet (Juan):**
Majorca.

12. **Codera (Y Zaidin Francisco):**
Tretado de Numismatica Arabigo Espanola Madrid, 1879

13. **Campaner (Y Fuertes Alvaro):**
Bosquejo Historice de la Dominacion Islamita ens las Islas Baleares. Palma 1888.

14. **Casanovas Andre's y Luis**
Menorca. Editorial Everest. 1973.

15. **Cassanovas (A.Y.L.):**
Majorca. Palma de Mallorca 1973.

16. **Chamberlin (Frederick):**
The Balearics and their Peoples. London 1927.

17. **Cary (M):**
History of Rome. Second Edition. Macmillan London, Melborne, Toronto, St Martin's Press New York 1967.

18. **Daniel Norman**
The Arab and Mediaeval Europe. Second Edition. 1979.

19. **De La Granja Fernando.**
Feestas Christianos en Al-Andalus. Al-Andalus 1959. P.I.

20. **Foss Arthur.**
Ibiza and Minorca. London 1975.

21. **Goldziher Ignaz.**
The Zahiris, their doctrine and their history Leiden, E.J. Brill 1971.

22. **Hoffman Ann.**
Majorca London 1978.

23. **Mulet Jaime Bosquets.**
Elcodic Latino-Arabigo del Repertimiento de Mallorca. Bercelona. 1954.

24. **Miranda Huici Ambrosio.**
Historia Musulmana de Valencia y Region, Valencia, 1970. III, pp. 42, 204, 254.

25. **Markham Clements R**
The Story of Majorca and Minorca London 1908.

26. **Nagel's Encyclopedia-Guide.**
The Balearic Islands.
Nagei Publishers Geneva, Paris, Munich 1969.

27. **Ostrogorsly G.**
History of Byzantine State. Translated by Joan Hussy, Basil Blackwell, Oxford 1968.

28. **Placios Miguel Asin**
Toponimia Arabe de Espana Madrid 1944.

29. **Priet Y Vivies Automio.**
Les Reges de Taifas
Madrid 1926.

30. **Thurston Hazel**
The Balearic Islands London-Batsford Limited 1977.

31. **Urvoy Dominique**
La vie Intellectuelle et Spirituelle dans les Baleares Musulmanes Al-Andalus, XXXVII, 1972.

32. **Verdera Francisco.**
Ibiza, Editorial Everest 1973.

33. **Zbiss Slimane Mostafa**
Consideraciones Sobre Los Intentos de Restauracion del Poder Al Moravide en el Magrib Central y Oriental-Revista Mayurqa-Facultad de Filesofia y Letras, Palma de Mallorca, 1974-Varia, pp. 191-199.

34. **The Encyclopedia Americana-1963.**

35. **The Encyclopedia Britannica-1969.**

36. **Guia de Imformacion de Babares**
Mallorca/Menorca, 1978.

37. **Mapas de Mallorca y de Minorca.**

ملاحق البحث

ولاة جزر البليار وأمرائها
في عهودها الإسلامية المتعاقبة
٢٩٠ - ٦٨٥ هـ = ٩٠٣ - ١٢٨٧ م

« أ »

ولاة جزر البليار في عهد الدولة الأموية في الأندلس
٢٩٠ - ٤٠٥ هـ = ٩٠٣ - ١٠١٥ م

١- عصام الخولاني	٢٩٠ - ٣٠٠ هـ = ٩٠٣ - ٩١٢ م.
٢- عبد الله بن عصام الخولاني	٣٠٠ - ٣١٨ هـ = ٩١٢ - ٩٣٠ م.
٣- أحمد بن محمد بن الياس	٣١٨ - ٣٢١ هـ = ٩٣٠ - ٩٣٣ م.
٤- أحمد بن محمد بن الطليار	٣٢١ - ٣٢٢ هـ = ٩٣٣ - ٩٤٣ م.
٥- أحمد بن عمر	٣٢٢ - ٣٢٤ هـ = ٩٣٤ - ٩٣٦ م.
٦- عمر بن عبد العزيز ومحمد بن أحمد معاً	٣٢٤ - ٣٢٧ هـ = ٩٣٦ - ٩٣٩ م.
٧- محمد بن عبد الملك بن عبدوس	٣٢٧ - ٣٢٩ هـ = ٩٣٩ - ٩٤١ م.
٨- جعفر بن عثمان المصحفي	٣٢٩ - ٣٣٣ هـ = ٩٤١ - ٩٤٥ م.
٩- رشيق الصقلبي	٣٣٣ - ٣٤٣ هـ = ٩٤٥ - ٩٥٥ م.
١٠- الموفق الصقلبي	٣٤٣ - ٣٥٩ هـ = ٩٥٥ - ٩٦٩ م.
١١ - كوثر الصقلبي	٣٥٩ - ٣٨٩ هـ = ٩٦٩ - ٩٩٨ م.
١٢ - مقاتل الصقلبي	٣٨٩ - ٤٠٣ هـ = ٩٩٨ - ١٠١٢ م.

« ب »

ولاة جزر البليار في عهد المملكة المجاهدية العامرية
٤٠٥ - ٤٦٨ هـ = ١٠١٥ - ١٠٧٦ م

١- الخليفة عبد الله المعيطي المنتصر بالله ٤٠٥-٤٠٦هـ=١٠١٥-١٠١٦م.
« استبدّ بحكم جزر البليار خلال هذه الفترة ».

٢- مجاهد العامري أمير دانية والبليار ٤٠٧-٤١٣ هـ=١٠١٦-١٠٢٢م.
«عزل الخليفة عبد الله المعيطي المنتصر بالله واستبد بحكم جزر البليار».

٣- عبد الله العامري (ابن أخي مجاهد العامري).
٤١٣ - ٤٢٨ هـ = ١٠٢٢ - ١٠٣٦ م.

٤- الأغلب مولى مجاهد العامري (الفترة الأولى).
٤٢٨ - ٤٣٦ هـ = ١٠٣٦ - ١٠٤٥ م.

٥- سليمان بن مشكيان (نائباً عن الأغلب أثناء تأديته فريضة الحج).
٤٣٦ هـ = ١٠٤٥ م.

٦- الأغلب مولّى مجاهد العامري (الفترة الثانية)
٤٣٦-٤٥٨ هـ-١٠٤٥-١٠٦٦م.

٧- سليمان بن مشكيان (صهر الأغلب)
٤٥٨ - ٤٦٣ هـ = ١٠٦٦ - ١٠٧١ م.

٨- عبد الله المرتضي بن أغلب (عاملاً على جزر البليار).
٤٦٣ - ٤٦٨ هـ = ١٠٧١ - ١٠٧٦ م.

«جـ»

أمراء جزر البليار المستقلة

٤٦٨ - ٤٨٦ هـ = ١٠٧٦ - ١٠٩٣ م

١- الأمير عبد الله المرتضي أغلب.
٤٦٨ - ٤٨٦ هـ = ١٠٧٦ - ١٠٩٣ م.

٢- الأمير مبشر بن سليمان ناصر الدولة.
٤٨٦ - رجب ٥٠٩ هـ = ١٠٩٣ - ديسمبر ١١١٥ م.

٣- الأمير أبو الربيع سليمان بن لبون.
رجب - ذو القعدة ٥٠٩ هـ = ديسمبر ١١١٥ - مارس ١١١٦ م.

«د»

ولاة جزر البليار والمشرفين عليها
في عهد المرابطين من لمتونة
٥٠٩ - ٥٤٣ هـ = ١١١٦ - ١١٤٨ م

أ- المشرفون على جزر البليار في بداية الفتح المرابطي:

١- قائد الأسطول المرابطي ابن تافرطاس «تافرطست».
ذو الحجة ٥٠٩ هـ - محرم ٥١٠ هـ = أبريل - مايو ١١١٦ م.

٢- أبو السدّاد وابنه نهاية محرم - نهاية ربيع الأول ٥١٠ هـ = أغسطس ١١١٦ م.

ب- ولاة جزر البليار حتى نهاية عهد المرابطين من لمتونة

١- وانودين بن سير مطلع ربيع الثاني - مطلع رجب ٥١٠ هـ = من منتصف شهر أغسطس إلى منتصف شهر نوفمبر ١١١٦ م.

٢- أبو بكر بن تكرطات.
٣- يانور بن محمد.

٤- أبو بكر علي بن ورقاء.
(لم أعثر على أي مصدر يحدد فترة ولاية كل من هؤلاء العمال الثلاثة).

٥- محمد بن علي بن غانية المسّوفي
(عاملاً على جزر البليار ٥٢٠-٥٤٣هـ-١١٢٦-١١٤٨م).

«هـ»

أمراء جزر البليار المستقلة في عهد بني غانية
المرابطين من مسّوفة
من شعبان ٥٤٣ - ربيع الأول ٦٠٠ هـ = ديسمبر ١١٤٨ - ديسمبر ١٢٠٣ م

١- الأمير محمد بن علي بن غانية المسّوفي.
٥٤٣ - ٥٥٠ هـ = ١١٤٨ - ١١٥٥ م.

٢- الأمير اسحق بن محمد بن غانية المسّوفي.
٥٥٠ - ٥٨٠ هـ = ١١٥٥ - ١١٨٤ م.

برجلونة وشركايه فيه من جزو الأحواز نحو
الماية وخمسة وستون زوجاً.

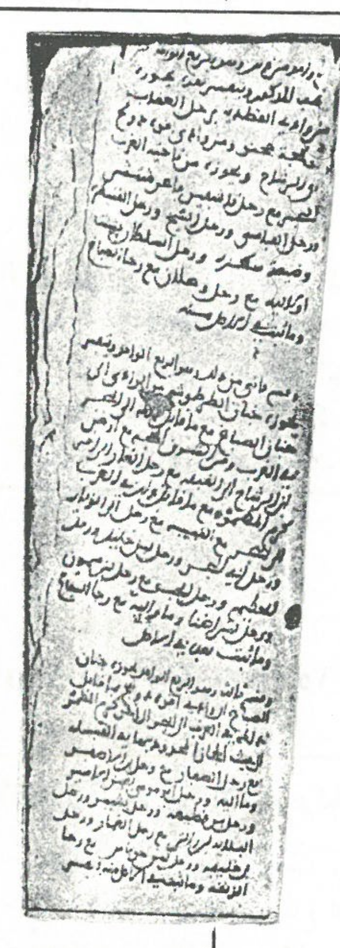
ومبلغ جميع الأزواج للتقريب مع السداد
الذي فيها نحو ألف زوج وأربع ماية
زوج وخمسة وثمانون زوجاً حتى يقع
التكسير ان شا الله تعلى.

خرج من الأفران التي في الحظ
الذي للمقمط (sic) فنوا بالربض الأوسـ[ط]
ثلاثة أفران وهي فرن بن ملي الفار
بالقنطرة وفرن الشيخ الملاصق
للكديه وفرن الجزارين وهي التي
صارت لجليام ماجور وشركايه.

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه أتوكل ابدا
لما وقع الاتفاق على أن تنقسمَ جميع أرض
جزيرة ميورقه بخارج باب البلد على
نصفين سويين وينقسم على نصف
على أربعة أقسام وقع الاتفاق على أن
يبقى من جزو الأحواز للمدينة من الْواد
اليابس إلى رحل المقبرة بقطين إلى الرابطه برجين إلى
حد رحل القزاز
راجع إلى تحت شلبر إلَى جبل عين
الأمير إلى رحل بن عبد العزيز إلى رحل
إلى (ابن؟) الأصفر إلى رحْل سابق إلى رحل بجيله
إلى المقبره البيضا إلى عقبة ورجن
إلى الحوايه (الجرايه؟) وبطول البحر إلى باب
الجديد ومن الشريعة بطول البحر إلى
الواد اليابس وتنقسم الأرض المذكورة
على نصفين ويتفسر بعدها بحول الله.

تقسيم الأرض التي بقيت على المدينة
على نصفين وينقسم كل نصف
على أربعة أقسام ويتفسر ذلك بعده.

صار النصف الواحد الى الراي ارغون
وشركايه وينقسم على أربعة أقسام
ويتفسر بحول الله.



[قسـ]ـم واحد من ذلك وهو الربع الواحد من
[النـ]صف المذكور ويتفسر بعده يحوزه
من وادي القطديه برحل العقاب
إلى محجة حجنو ومن وادي أقوه دولج
إلى الرشاح ويحوزه من ناحية الغرب
البحر مع رحل تاشفين باغرشتش
ورحل الفاسي ورحل الشيخ ورحل القنيطره
وضيعة سكره ورحل السلطان بشنت
أو لاليه مع رحل وهلان مع رحا الصباغ
وما ثبت في الأصل منه.

وقسم ثاني من ذلك وهو الربع الواحد ويتفسر
يحوزه جنان الطرطوشي من الوادي إلى
جنان الصباغ مع ما قابل ذلك إلى البحر
في الغرب ومن الشرق المحجه مع أرض
ابن الرشاح إلى القبله مع رحل الغار إلى آخر
كرم المطمر مع ما قابل ذلك في الغرب
إلى البحر مع القبيبه مع رحل ابن الزيار
ورحل أبي البحر ورحل ابن خليل ورحل
الحكيم ورحل الجب مع رحل ابن ميمون
ورحل ابن أضنا وما واليه مع رحا السفاح
وما ثبت بعده في الأصل.

وقسم ثالث وهو الربع الواحد يحوزه جنان
الصباغ إلى وادي أقوه دولج بما قابل
ذلك في الغرب إلى البحر إلى آخر كرم المطمر
إلى حيث المجاز المجدود بها في القبله
مع رحل الصفار مع رحل بن الأصفر
وما إليه ورحل أبو موسى بعين الأمير
ورحل بن قطيعه ورحل بشير ورحل

٣- الأمير محمد بن اسحق بن غانية المسّوفي.
من منتصف شهر صفر إلى أواخره عام ٥٨٠ هـ= من منتصف يونيو إلى نهاية ١١٨٤م.
(اعتقله إخوته لموالاته للموحدين ونصبوا أخاهم علياً أميراً على جزر البليار).

٤- الأمير علي بن إسحق بن غانية المسّوفي.
٥٨٠ - ٥٨٤ هـ = ١١٨٤ - ١١٨٨ م.
(ولّى نيابة عنه في حكم جزر البليار عند توجهه إلى إفريقية لقتال الموحدين عمه الزبير وفي رواية أخرى أخاه طلحة).

٥- الأمير علي بن اسحق بن غانية المسّوفي.
٥٨٤ - ٦٠٠ هـ = ١١٨٨ - ١٢٠٣ م.
(ولّى نيابة عنه في حكم جزر البليار خلال فترة صراعه الدموي مع الموحدين في إفريقية أخاه عبد الله، الذي ظلّ يحكم هذه الجزر، إلى أن استولى عليها الموحدون في ٣٠ ذي الحجة ٥٩٩ هـ = ١٠ سبتمبر ١٢٠٣ م، بعد أن قتلوا الأمير عبد الله بن اسحق بن غانية).

«و»

ولاة جزر البليار تحت حكم الموحدين

من أواخر ذي الحجة ٦٠٠ - ١٥ صفر ٦٢٦ هـ = سبتمبر ١٢٠٣ - الأول من يناير ١٢٣٠ م

أ- ولاة جزر البليار من الأمراء وكبار القادة ٦٠٠ - ٦٠٧ هـ = ١٢٠٣ - ١٢١٠ م

١- أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن.
٢- قائد البحر عبد الله بن طاع الله الكومي.
٣- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن.
(لم أعثر في أي مصدر تمكنت من الاطلاع عليه على فترة ولاية كل من هؤلاء الولاة).

٤- أبو يحيى محمد بن أبي الحسن علي بن أبي عمران موسى التنملّي
(٦٠٧ - ١٥ صفر ٦٢٧ هـ = ١٢١٠ - الأول من يناير ١٢٣٠ م).
(وكان آخر عمال الموحدين في جزيرة ميورقة في آخر عهودها الإسلامية فقد استولى عليها خايمي الأول ملك قطلونية وأرغون بعد أن اقتحم مدينة ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م واستسلم أبو يحيى التنملّي في اليوم التالي وقتل تحت التعذيب بعد خمسة وأربعين يوماً). وفي محرم ٦٣٣ هـ = أغسطس ١٢٣٥ م، تم الاستيلاء على جزيرتي يابسة وفرمنتيرة، وأستقل سعيد بن حكم بن عثمان بجزيرة منورقة.

«ز»

جزيرة منورقة المستقلة في عهد الأسرة الحكمية

٦٢٧ - ٦٨٥ هـ = ١٢٢٩ - ١٢٨٧ م

١- المشرف سعيد بن حكم بن عثمان.
٦٢٧ - ٦٨٠ هـ = ١٢٢٩ - ١٢٨١ م.

٢- المشرف حكم بن سعيد.
٢٧ رمضان ٦٨٠ - ذي الحجة ٦٨٥ هـ = يناير ١٢٨١ - يناير ١٢٨٧ م.

(استولى ألفونسو الثالث ملك قطلونية وأرغون على جزيرة منورقة في ٣ ذي الحجة ٦٨٥ هـ = ٢١ يناير ١٢٨٧، وزال الحكم الإسلامي نهائياً من جزر البليار).

الملحق الثاني

النص العربي لوثيقة تقسيم جزيرة ميورقة بين كبار قادة الحملة الصليبية على جزيرة ميورقة، المؤرخ (رجب ٦٢٩ هـ = مايو ١٢٣٢ م)



بسم الله الرحمن الرحيم رب العرش الـ[ـعالي]
جميع الأزواج التي صارت للقمط فنوا
من أجزا ميورقة ويتفسر بـ]تقريب بـ[ـحول الله.

صار له من الأزواج مما بقي على المدينة سع
في الثمن الواحد الذي هو ربع النصف
الواحد حجنو أربعة وأربعون روجاً بتقريب
حتى يقع تكسير ذلك إن شاء الله تعالى (sic).

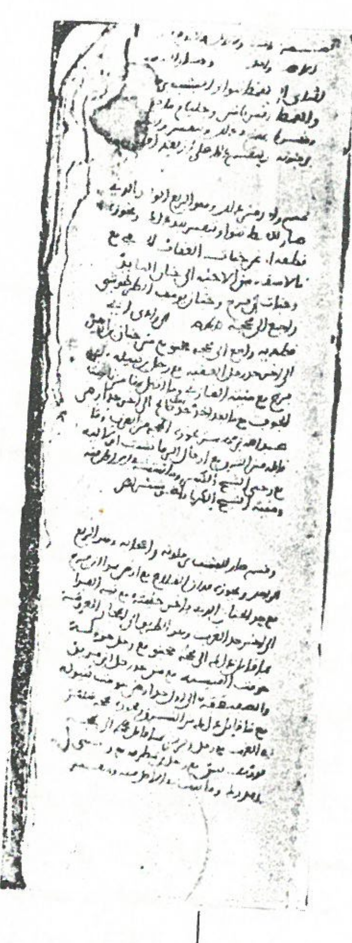
وصار له من الأزواج من الثمن الواحد
الذي صار للبشب برجلونه وشركايه فيه
ريمند برنقار والقمت (sic) نحو الستة أزواج.

وصار له في الربع الواحد من النصف وهو
الثمن الواحد مع (sic) جميع أجزا ميورقة نحو
ثمان ماية زوج وفيها السداد فمنها
جزو منقور نحو أربعة ماية وسبعون زوجاً
وفي جزر بليونه (sic) نحو المائة وخمسون زوجاً
وفي جزو موصوا نحو المائة وثمانون زوجاً.

وصار له جزو بلبنسه (بليونه؟) دون مقاسمه وفيه
من .
الأزواج نحو الأربع ماية زوج وسبعون زوج.

وصار له من الثمن الواحد الذي صار للبشبه

الفلاية بن والتي (؟) مع رحل الغمار ورحل
بن خليفة ورحل ابن حوناس مع رحا
الزنقه وما ثبت في الأصل منه يتفسر.



بسم الاب والابن والروح الـ[ـقدوس]
الاها واحد وصار النصـ[ف]
الثاني إلى القمط ننوا والبشب برجلـ[ـونه]
والقمط انبرياش وجليام باجا[ور]
وشركايهم في ذلك ويتفسر والبـ[شب]
برجلونه وينقسم ذلك على أربعة أقـ[سام].

قسم واحد من ذلك وهو الربع الواحد الذي
صار للقمط ننوا ويتفسر بعد ذلك ويحوزه
قطعة أرض جنان العقاب الجوفي مع
ما لاسقه من الأجنه إلى جنان القايد
وجنات (1) ابن فرج وجنان يوسف الطرطوشي
راجع إلى محجة... (2) إلى وادي أبي
قطديه راجع إلى محجه حجنو مع منى (؟) جنان ابن
أزهر
إلى آخر حد رحل العقبه مع رحل بن نبيله ابن
فرج مع منية الغازي وما اتصل بها من ناحية
الجوف مع ما بعد آخر حد رحل صالح إلى آخر أرض
عبد الله بن مهبر يحوزه المجحة من الغرب وما
قابله من الشرق مع ارحال الرفا بشنت أولاليه
مع رحى الشيخ الكبير وما ثبت في الأصل منه
ومنية الشيخ الكبرا باغرشتش اهر (؟).

وقسم صار للبشب برجلونه وأصحابه وهو الربع
الواحد ويحوزه فدان القلاع مع أرض بنوا ابن فرج
مع حد الجنان الذي باخر جنينه مع بني الفرا
إلى آخر حد الغرب وهو الطريق إلى الحجار المغروسه
بما قابل ذلك إلى محجة حجنو مع رحل جزوله
[بـ ؟] حومة القبيبة مع من (؟) حد رحل ابن مرين
والصفيصَفَهْ إلى أول حد أرض حومة بَنيوله

مع ما قابل ذلك من الشرق ويحوزه محجة شلير
في الغرب وير بن (؟) بما قابلَ إلى محجة
بورت بين مع رحل مطرقه مع رحى
بن مدرك وما ثبت في الأصل منه ويتفسر.

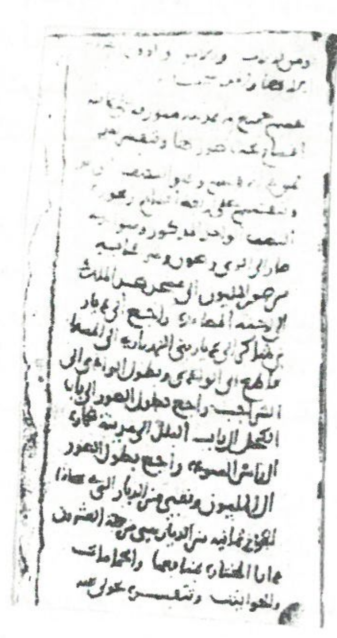
وقسم رابع منها وهو الربع الواحد
يحوزه رحل موسى باجنته مع ما قابله
إلى المجحة ومن المجحة المجدودة بها بجومة
ضيعة المرج إلى آخر حد جنينه ومن الشرق
حايط جنان جنينه ومن الغرب إلى البحر
ومنية الكمين مع أرض بني هرفول (؟)
وارحال عين الأمير ورحل موفق ورحل
فولج ورحل ورحل (sic) سوسان ورحل محرر (؟)
ورحل الجب ورحل الطبزنه (؟) ورحل
جميله والرحى الجديد وما ثبت في الأصل منه.

[قسم] ثالث وهو الربع الواحد الذي صار
[للـ]ـقمط انبرياش وشركايه ويحوزه فدان أرض
[الشريعـ]ـه مع بقية المنيه الكبرا مع جنان
[القايد مـ]ـع منية الحنا من رحل ابن الأستاذ
وما اتصل به إلى مقور بما حاز من ضيعة المرج
إلى الجوف منه مع رحل ابن فرج ورحل ابن
قطوس إلى محجة انكن مع قطعة أرض من كديه
العرور (؟) إلى آخر حد رحل صالح من الجوف منه مع ما
حاز ذلك إلى آخر حدود الشرق مع شذائق إلى
الجبل مع الرحال (sic) المتصلة به إلى آخر حد
الأرحال
في الغرب مع رحى العين وما ثبت في الأصل منه
ويتفسر بحول الله.

وقسم رابع منه وهو التي (sic) صار لقليام ما جورد
منقاده
وشركايه ويتفسر ويحوزه ذلك أرض المنقع

بعد جنان المنقع مع جنان اسحق وجنان بن فرج
وما لاسقه من الجوف وجنان يوسف الطرطوشي
مع ما حاز الربى (؟) هابط إلى الغرب مع ما بقي
من ضيعة المرج إلى جنان ابن ازهر مع رحل القماح
ورحل اسحق إلى محجة انكن هابط مع منية نقوله
مع الأرض المتصل (sic) بها إلى محجة العروسة مع
قابل ذلك إلى ناحية الشرق ويحوره من الغرب
محجة شلير ومن القبلة محجة انكن مع رحل الغز
ورحل أبي السداد مع ما حاز المجحة مع رحى
الزبوجة وما ثبت في الأصل منه ويتفسر.

Explicit liber regis qui dicitur caputbreuium quem ipse dimisit in domo templi Maioricis arabice scriptum. et hoc est eius translatum. et tractat de diuisionibus ciuitatis et insule Maioric[arum] inter regem et suos et magnates et suos.



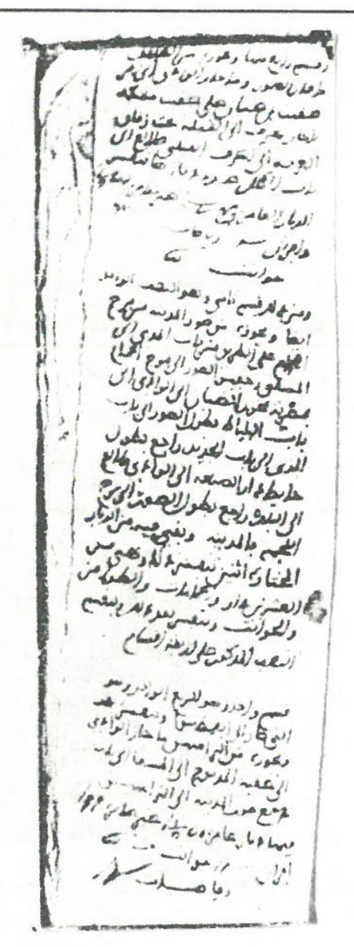
نؤمن بالاب والابن والروح القدوس
الاها واحد سبحانه.

تقسيم جميع ما بمدينة ميورقه على ثمانية
أقسام تحت صورها ويتفسر بعد.

فمن ذلك قسم وهو النصف الواحد
وينقسم على أربعة أقسام ويحوزه
النصف الواحد المذكور وهو الذي
صار إلى الري رغون وشراكايه
من صور المليون إلى مسجد عبد الملك
إلى أجنة المصامدة راجع إلى ديار
بن شاكر إلى ديار بني الزرزاري إلى المسقا
قاطع إلى الوادي وبطول الوادي إلى
السراجب راجع بطول الصور إلى باب
الكحل إلى باب البلد إلى مدينة غماره
إلى راس السوده راجع بطول الصور

إلى المليون وبقي من الديار إلى هاذا
الجوز (sic) ثمانيه من الديار هي من جملة العشرون
دارا المختارة بمنافعها والحمامات
والحوانيت ويتفسر (sic) بحول الله.

قسم من ذلك وهو الربع لواحد يحوزه
من صور المليون إلى مسجد عبد الملك إلى
أجنة المصامدة إلى مدينة غمارة إلى
الصور راجع إلى المليون وعدد ديارها
ويتفسر الديار العامرة [illegible]
الغير عامرة [illegible] أفران [illegible] رياضات [illegible]
حوانت [illegible]



وقسم رابع منها ويحوزه من الطلاق
ما حاز الصور وما حاز الوادي إلى آخر
عقبة بن عنان (sic) على عقبة مشكه
ما حاز الجرف إلى القبله تحت زقاق
العزبه إلى الجرف القبلي طالع إلى
باب الكحل مدد ديارها يتفسر
الديار العامرة [illegible] غير عامرة [illegible]
وأفران [illegible] رياضات [illegible]
حوانت [illegible]

ومن ذلك قسم ثاني وهو النصف الواحد
أيضاً ويحوزه من صور المدينه من برج
الحمام (؟) على الطريق من باب المدى إلى
المسقى وحفير الصور إلى برج الحمام
بمضربة مخزن الضيان إلى الوادي إلى
باب البلياط بطول الصور إلى باب
المدى إلى باب الجديد راجع بطول
حايط دار الصنعه إلى الوادي طالع
إلى البلد راجع بطول الصور إلى برج
اللجم [اللحم؟] بالمدينة وبقي فيه من ديار

المختارة اثنين يتفسر ذلك وهي من
العشرين دار والحمامات والطواحن
والحوانت ويتفسر بعد ذلك وينقسم
النصف المذكور على أربعة أقسام.

قسم واحد وهو الربع الواحد وهو
التي صار إلى القمط ننوا ويتفسر بعد
ويحوزه من الترامسين (؟) ما حاز الوادي
إلى عقبة المدبوح (؟) إلى المسقا إلى باب
[المدي؟] مع صور المدينة إلى الترامسين (؟)
فيها ديار عامرة [illegible] غير عامرة [illegible]
أفران [illegible] حوانت [illegible]
رياضات [illegible]

وقسم ثاني منها ويحوزه من مدينة
غمارة على أجنة المصامدة إلى صف دار
بن شاكر إلى المسقا بطول شاريع
(sic) ربض
الساقية إلى قنطرة مقبة مشكه راجع.
إلى فرن الجلفاط راجع إلى السويقة بباب
البلد إلى القوس على دار العطار إلى الشاريع
الكبير إلى دار الضيان المريج.
إلى فرن بن هلال وعدد ديارها يتفسر
الديار العامرة [illegible] الغير عامرة [illegible]
أفران [illegible] رياضات - [illegible]
وحوانت [illegible]

ضرب عليه (sic)
[وقسم ثالث] منها ويحوزه من الطلاق
ما حاز الصور وما حاز الوادي إلى آخر
عقبة بن عثمان على عقبة مشكه
ما حاز الحرف إلى القبلة تحت زقاق
العزبة إلى الجرف القبلي طالع إلى باب

الكحل عدد ديارها من ديار عامرة
[illegible] غير عامرة [illegible]
جميعها طالع (؟) ضرب عليه (sic)

وقسم ثالث منها ويحوزه من فرن
بن هلال إلى دار الضيان إلى الشاريع
الكبير إلى دار العطار إلى القوس بسو[يقة]
باب البلد إلى فرن الجلفاط إلى قنطرة
عقبة مسكة (sic) إلى زقاق الجرف مقابل
حانوت الحجام راجع إلى باب الكحل ما
حاز الجرف السفلي وما حاز الصور إلى الشرق
وعدد ديارها يتفسر بحول الله
الديار العامرة [illegible] غير عامرة [illegible]
وأفران [illegible] ورياضات [illegible]
وحوانت [illegible]

وقسم ثاني منها وهو الربع الواحد التي (sic)
صار للبشبه برجلونه وشركايه فيه
ويحوزه من مسجد الزنقه إلى دار الحاج داو[د]
إلى قنطرة باب الغدر إلى الصور إلى
باب الجديد راجع بحايط دار
الصنعة إلى برج الحمام ما حاز
الواد إلى مسجد بريقه (؟) وفيه من الديار
ما يتفسر
ديار عامرة [illegible]
غير عامرة [illegible]
أفران [illegible] حوانت [illegible]
رياضات [illegible]

وقسم ثالث منها وهو الربع الواحد وصار
لجليام ماجور منقاده وفرسانه شنجنيسته
وأصحابهم ويحوزه من حايط رياض أبو يحيى
الملاصق باب البلياط بطول شاريع
الكديه إلى مسجد بريقه (؟) إلى دار الحاج

داود إلى باب الغدر من ناحية الجوف
وفيه من الديار بالتفسير فيه

ديار عامرة
غير عامرة
افران حوانت
رياضات

وقسم رابع وهو الربع الواحد وصار للقمط
انبرياش وللبشب برجلونه ويجوزه
من آخر برج باب البلياط بطول الشاريع
إلى مسجد بربقه (؟) إلى القنطرة ما حاز الوادي
إلى القبلة والشرق إلى باب الشراجب (sic) يتفسر ذلك

ديار عامرة
غير عامرة
افران حوانت
رياضات

تقسيم الربع الواحد الذي صار إلى
القمط انبرياش على قصمين (sic) اثنين

قسم واحد منه صار للقمط انبرياش
وهو بالتفسير بعد

رحى الغريفه　　رحى رشيد　　رحى اللوزة

وقسم ثاني منها وهو النصف
الذي صار إلى البشب برجلونة
رحى العين　　رحى [الدار؟]

كملت قسمة الارحى بحول الله عز وجل

[قسم] ثاني من الارحى وهو الذي صار
[للا]قماط وشركايهم منها ويتفسر

[ر] حا القوب　　رحا اللوزة　　رحا الغازية
رحا الدوب　　رحا العذري　　رحا السقاط
رحا الشعيره　　رحا الدار　　رحا الغريفه
رحا الشيخ الكبير　　رحا بن الزيار　　رحا الفورن
رحا الزبوجه　　رحا أبو الحكم　　رحا العين
رحا تاشفين　　رحا مدرك　　رحا أبي البحر
رحا مهبر

تقسيم الأرحى المذكوره وهي التي صارت
قسمات (sic) على أربعة أقسام.

قسم منها واحد وهو الربع الواحد
على المقمط (sic) ننوا ويتفسر (؟)

رحا السقاط　　رحا موفق　　رحا القتيل
رحا الشيخ الكبير　　رحى أبو الحكم　رحا بن مهبر

وقسم ثاني منها وهو الربع الواحد الذي
صار للبشب وشركايه منها.

رحا بن مدرك　　رحى الزيار　　رحى العذري
رحى أبي البحر　　رحى القوب　　رحى سانح

وقسم ثالث منها وهو الربع الواحد
الذي صار للقمط انبرياش.

رحى العين　　رحى رشيد　　رحى الدار
رحى اللوزة　　رحى الضويعه　[؟]

وقسم رابع منها وهو الربع الواحد
الذي صار لجليام ماجور دمنقاده

رحى الزبوجة　　رحى الغازية (؟)رحى تاشفين
رحى الدوب　　رحى الشعيره　　رحى الفرن

[تقسيـ]ـيم الأرض الذي بخارج المدينة من جميع
[اجـ]ـزا ميورقه بعد أن بقي منها على المدينه
[أ]رض معلومة وينقسم ذلك على قسمين
ويتفسر بحول الله

قسم من ذلك وهو النصف الواحد الذي صار
إلى الري رغون وشركايه وهي الأجزا
المذكورة بعد بحول الله

جزو انكن — جزو بلانسه
جزو ججنو — وبطره
جزو برتان — جزو منتوى (sic)
جزو الجبال — نصف البحيره

[تقسيـ]ـم الأجزا المذكوره على أربعة أقسام
[ونـ]ـفسره بحول الله تعالى

قسم أول منه يحوزه الجبال وبلنسه ونصف
البحيرة

وقسم ثاني منه يحوزه ارتن وانكن
وقسم ثالث منه يحوزه ججنو وبطره
وقسم رابع منه يحوزه منتوى ونصف البحيره.

ثم بعد ذلك أمر بقسم النصف الواحد
على ثلاثة أقسام يتفسر بحول الله

قسم واحد وهو الثلث الواحد ججنو وبطره
وسدس البحيرة.

وقسم ثاني وهو الثلث الثاني انكن
ونصف منتوى وسدس البحيرة.

وقسم ثالث وهو الثلث الثالث
بلانسه والجبال ونصف منتوى وسدس البحيره.

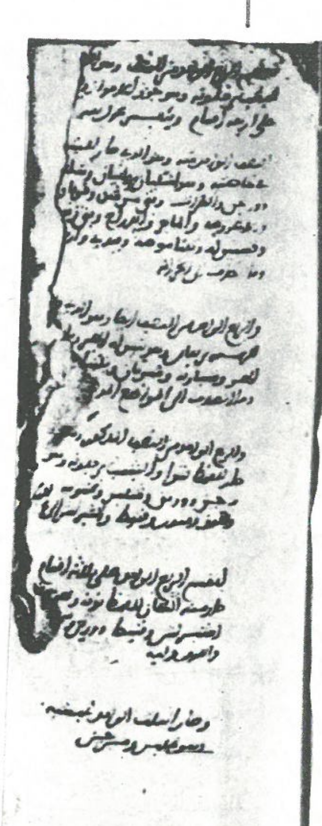
تقسيم الأرحى التي بقيت للقسم
[بـ؟]ميورقه وهي الأرحى المذكورة منه

رحى اللجام — رحى الحبس — رحى (الجـ[ـرايه]
رحى الشجره — رحى القوب — رحى اللوز[ه]
[رحـ]ـى حنكرال — رحى القنطرة — رحى الغاز[يه]
رحى الدب — رحى السقاط — رحى العذ[ري]
رحى فولج الفوقي — رحى فولج السفلي — الرحى الـ[شعيرة؟]
رحى الكبير — رحى الضويعه — رحى موفق
رحى القتيل — رحى الدار — رحى الجـ[ـديد]
رحى السفاج — رحى الغريفة — رحى الشيخ [الكبير]
رحى الشيخ الصغير — رحى بن الزيار — رحى الفـ[ـوزن]
رحى أبو عمران — رحى الزبوجه — رحى الـ[قصيب؟]
رحى أبو الحكم — رحى الحجاري — رحـ[ـى العين؟]
رحى الصباغ — رحى الغله — رحى [رشيد]
رحى بن تاشفين — رحى مدرك — رحى الزنقة
رحى الجبنه — رحى أبو البحر — رحى مهبر
رحى الحبس — رحى بن سالج حالواد - (؟)

تقسيم الأرحى المذكورة أعلاه على قسمين
ويتفسر بحول الله تعلى

قسم واحد وهو الذي صار إلى الري رغون
وشركايه

رحى اللجام — رحا الحبس — رحا الجرايه
رحا حنكرال — رحا الشجرة — رحا القنطره
رحا فولج — رحا فولج — رحا الضويعه
رحا الجديد — رحا السفاح — رحا الشيخ الصغير
رحا أبو عمران — رحا القصيب — رحا الحجاري
رحا الصباغ — رحا الغله — رحى الغريفه
رحا الزنقه — رحا الجبنه — رحا الحبس



تقسيم الربع الواحد من النصف وهو الـ[ذي صار]
للبشب برجلونه وهو جزو الأحواز ويـ[ـنقسم]
على أربعة أقسام ويتفسر بحول الله

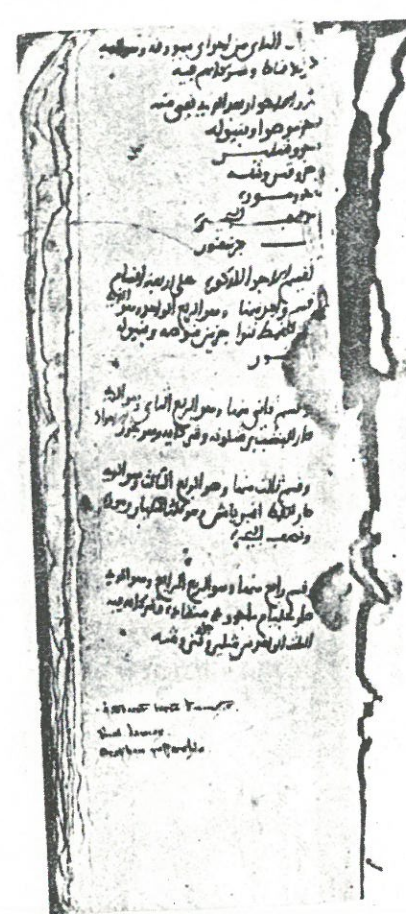
النصف الواحد منه وهو الذي صار للبشـ[ـب]
في خاصته وهو اشتليان وولنيان [قلبيان؟] وشلبـ[ـر]
وورجن واكطرات وبني مرشد وقوبا (؟) و...
والأعروبه (؟) والماجر واندراج (؟) وبني زو...
وقشتنيوله وثلثا موصه وفيد في (؟) وارمـ....
وما اتصل إلى الخزانه

والربع الواحد من النصف أيضاً وهو الذي صـ[ـار]
لريمند برنقار وهو بنيوله البحر وبا (؟)...
البحر وشبارنه وشريان ويلتيا (؟)...
وما اتصل به إلى المواضع المذ[كوره]

والربع الواحد من النصف المذكور وهـ[ـو الذي]
صار للقمط نتوا والبشب برجلونه وهو
مرجين وورين وشلبر ويمنوبه (؟) لوبا (؟)...
واللوق وميور وقنيط واشبرلش إلى آخره (؟)

ينقسم الربع الواحد على ثلاثة أقسام
صار منه الثلثان للقمط نونه وهو حو[ز؟]
اشبرلش وقنيط وورين و...
واللوق وليه (؟)

وصار الثلث الواحد للبشبه
وهو شلبر ومرجين



[القسم] الثاني من اجزا من (sic) ميورقه وهو الذي
[صار] للأقماط وشركايهم فيه

[جـ]ـزو الأحواز بعد الذي بقي منه
جز (sic) موصوا وبنيوله
جزو شلير
جزو قنروشه
جزو موره
نصف البحيرة
— جز (sic) منقور

تقسيم الأجزا المذكورة على أربعة أقسام
قسم واحد منها وهو الربع الواحد وهو الذي
[صار] للقمط نوا جزين موصه وبنيوله
[ومنـ]ـقور

وقسم ثاني منها وهو الربع الثاني وهو الذي
صار للبشب برشلونه (sic) وشركايه وهو جزو الأحواز.

وقسم ثالث منها وهو الربع الثالث وهو الذي
صار للقمط انبرياش وهو ثلثا شلير وموره
ونصف البحيرة

وقسم رابع منها وهو الربع الرابع وهو الذي
صار لجليام ماجور دمنقاده وشركايه فيه
الثلث الواحد من شلير وجزو قنروشه

Qui combaterunt barcam de minorisa. (?)
Bernal daniax.
Stephan rassarehlo (?)

النميّات البليارية

النقود الأندلسية المتداولة في جزر البليار في عهد الدولة الأموية في الأندلس

(أ)



سكت في عهد الأمير عبد الله بن محمد





في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر



في عهد الخليفة الحكم المستنصر





في عهد الخليفة هشام المؤيد



(ب)

دراهم سكت في ميورقة في عهد المملكة المجاهدية العامرية







في عهد مجاهد العامري






في عهد علي إقبال الدولة

(جـ)

دراهم سكت في ميورقة في عهد عبد الله المرتضي ومبشّر بن سليمان







في عهد عبد الله المرتضي بن أغلب





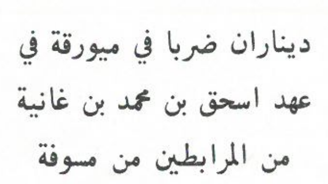


في عهد مبشّر بن سليمان ناصر الدولة

(د)

ملاحظة: لم يعثر حتى الآن على نقود سكت في جزر البليار في عهد المرابطين من لمتونة





ديناران ضربا في ميورقة في
عهد اسحق بن محمد بن غانية
من المرابطين من مسوفة





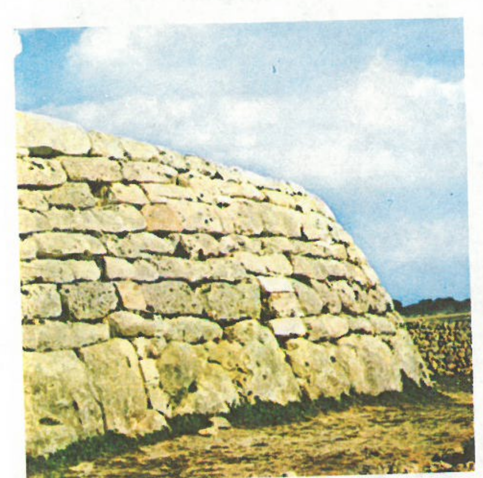


دراهم مركنة (مربعة الشكل) ضربت في
جزيرتي ميورقة ومنورقة
في عهد الموحدين

جزر البليار في عصور ما قبل الإسلام



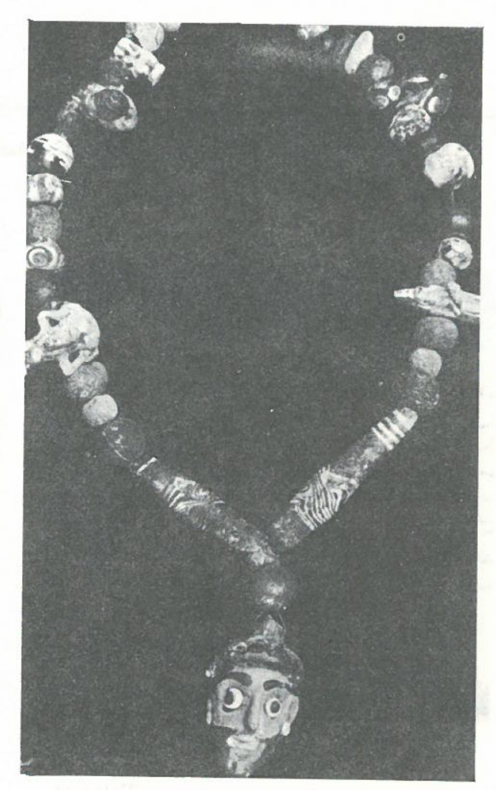
التولا (المذبح)
Taula



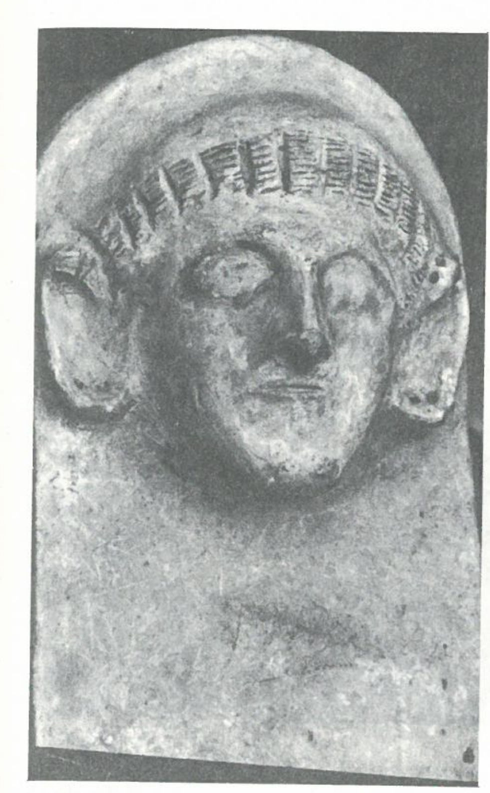
التلايوت
Talayot



رامي المقلاع



تعويذة فينيقية على شكل عقد
واسطته الإلَه الفينيقي « بس »



الإلَه الفينيقي القرطاجي « بس »
عثر عليها في جزيرة يابسة

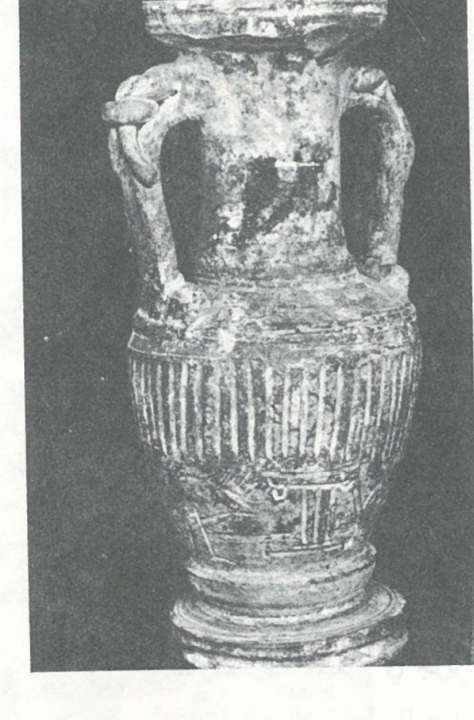


رأس ثور من العصر
البرنزي - عثرعليه
في بويبلا في شمال
جزيرة ميورقة

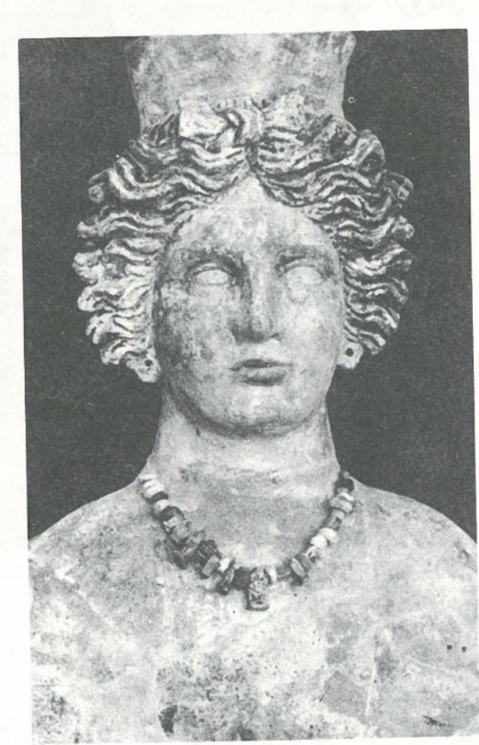




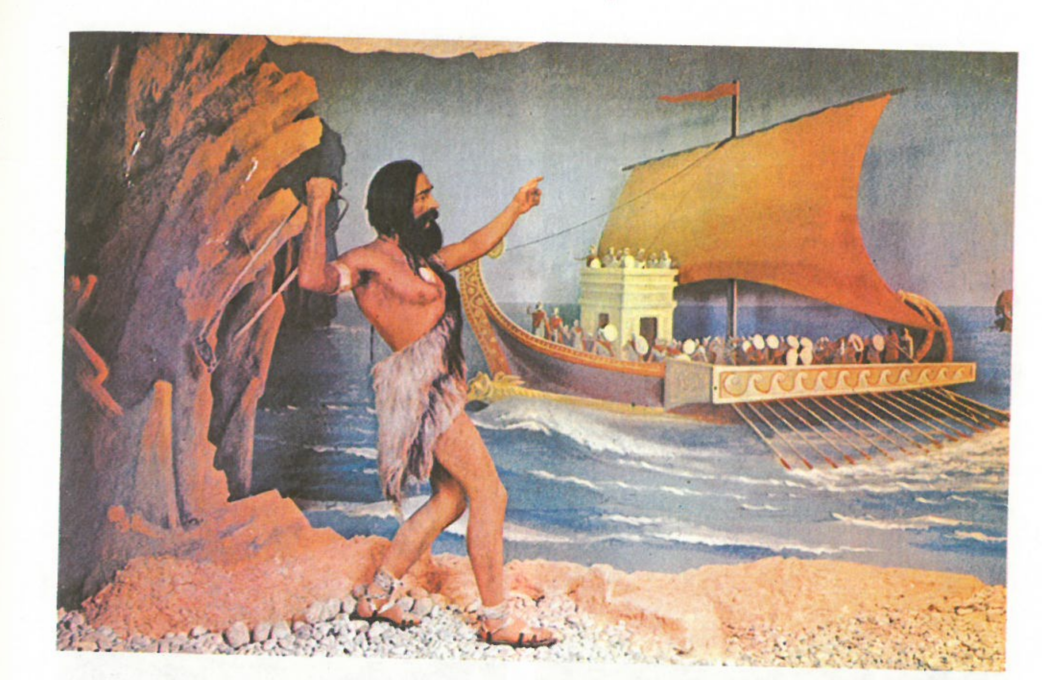
الآلهة الفينيقية القرطاجية تانيت
عثر عليها في جزيرة يابسة



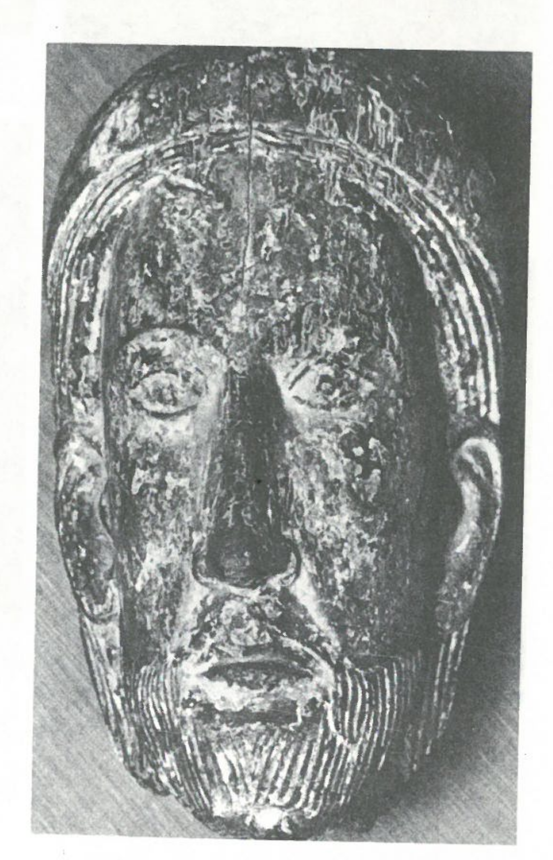




نماذج خزفية فينيقية قرطاجية
عثر عليها في جزيرة يابسة



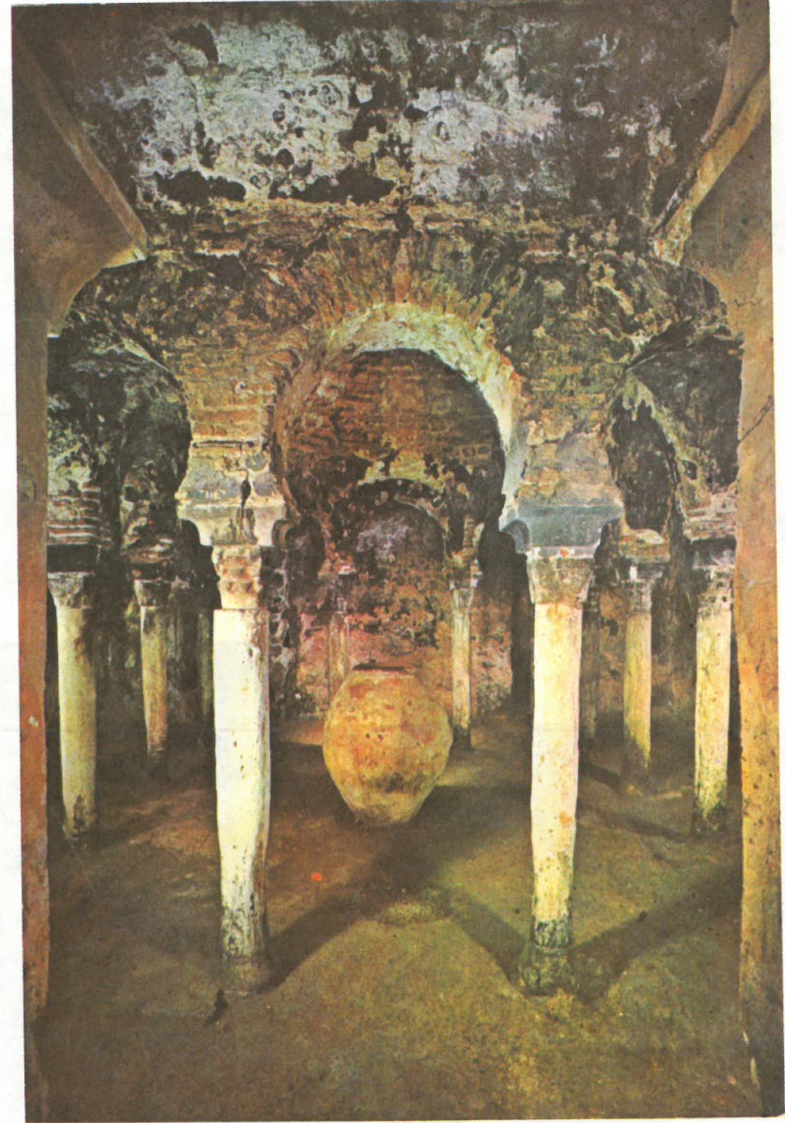
مقاومة رماة المقلاع في جزيرة
ميورقة للأسطول الروماني
بقيادة كوينتوس كيكيليوس
متلوس ١٢٣ ق.م.

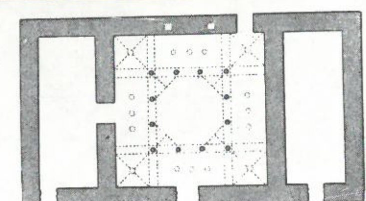


تمثال عثر عليه في جزيرة يابسة
يعود إلى العهد البيزانطي

(١)

نماذج من الآثار الإسلامية في جزر البليار

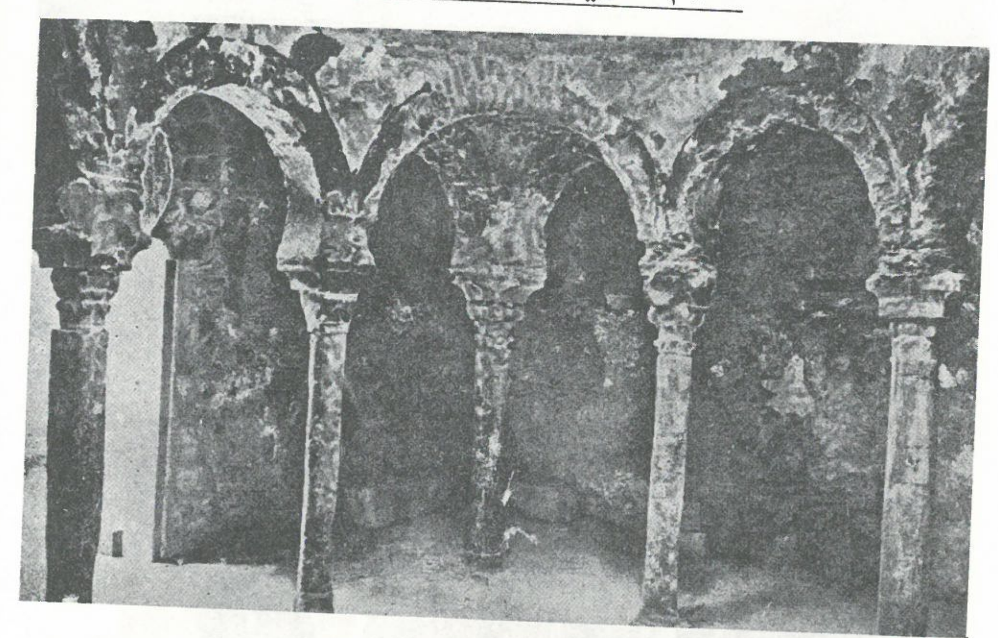


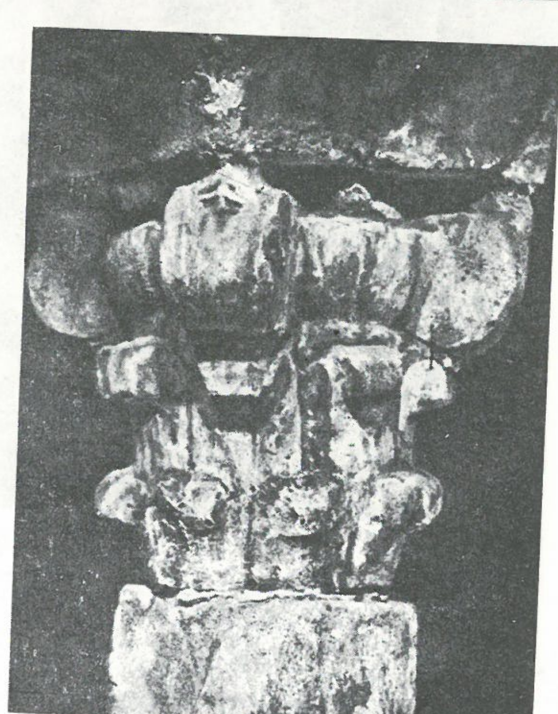


مشاهد من الحمام العربي ورسم تفصيلي

المصدر: مانويل جوميث مورينو
(١) الفن الإسلامي في إسبانيا

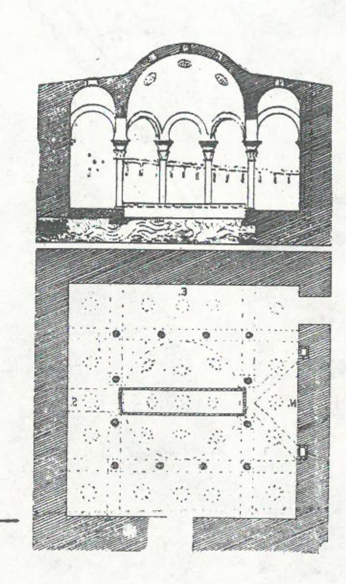
الحمام العربي في مدينة ميورقة





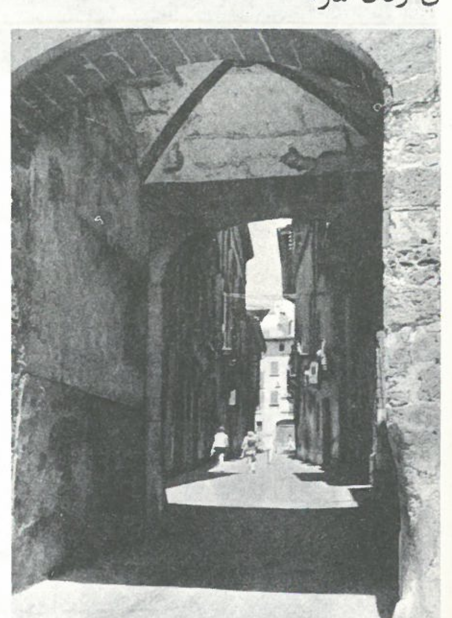
أحد أعمدة الحمام
نفس المصدر السابق (١)

الحمام العربي قبل مائة عام

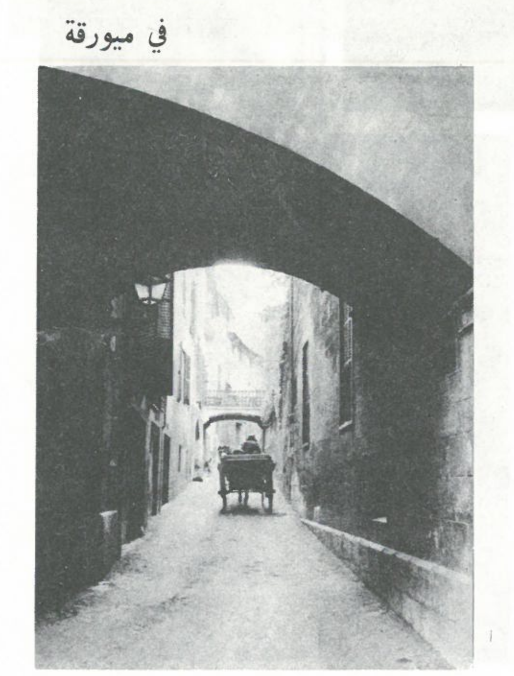


المصدر: تخطيط تاريخي لجزر البليار للمؤرخ الميورقي الباروكمبانير

باب البحر في مدينة ميورقة وعلى مقربة منه الحمام العربي في زقاق سرّا



زقاق المُدينة في ميورقة

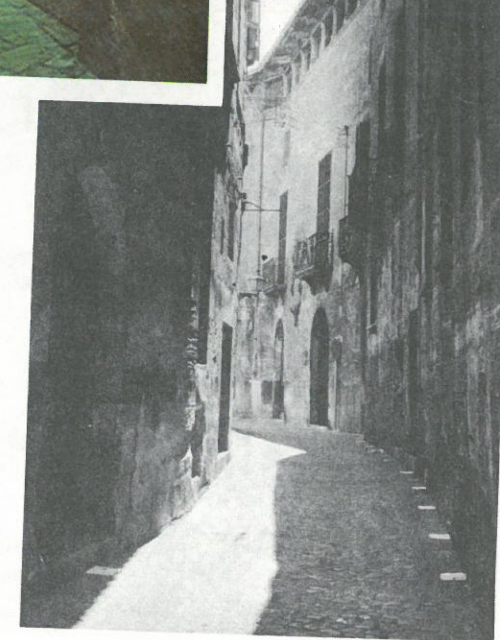


الحي القديم في مدينة ميورقة

مصدر:
الصور المرفقة
عن جزيرة ميورقة
كتاب: ميورقة
تأليف: خوان بونيت



القوس العربي
في زقاق
المدينة

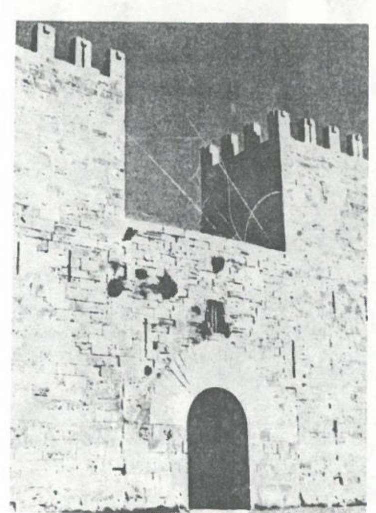


جادة ذات
طابع أندلسي

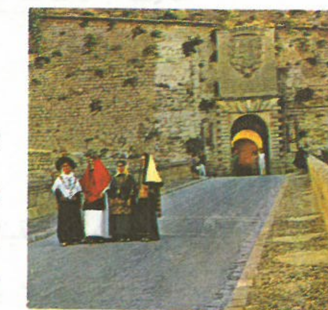
طواحين الهواء في مدينة ميورقة « بالما دي ميورقة »



من أبرز الآثار الإسلامية الباقية حتى اليوم في جزر البليار ومن معالمها السياحية الشهيرة



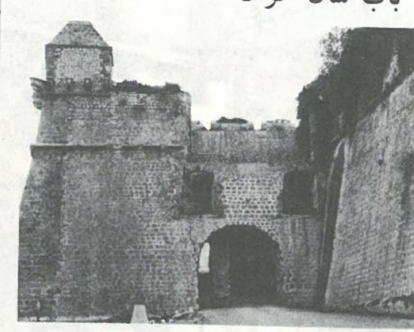
باب الشرق أحد أبواب بلدة
الكدية في شمال مدينة ميورقة



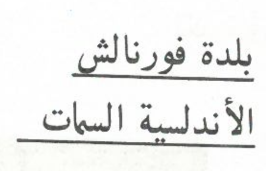
باب مدينة
يابسة الغربي
المواجه للبحر
كما يبدو اليوم

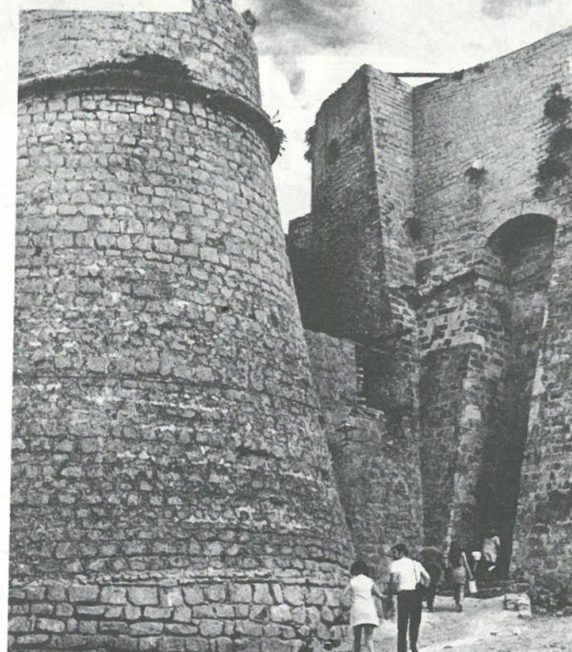
بقايا أسوار مدينة يابسة

باب سان خوان



بلدة فورنالش الأندلسية السمات





زنيقة في بلدة فورنالش في جزيرة ميورقة



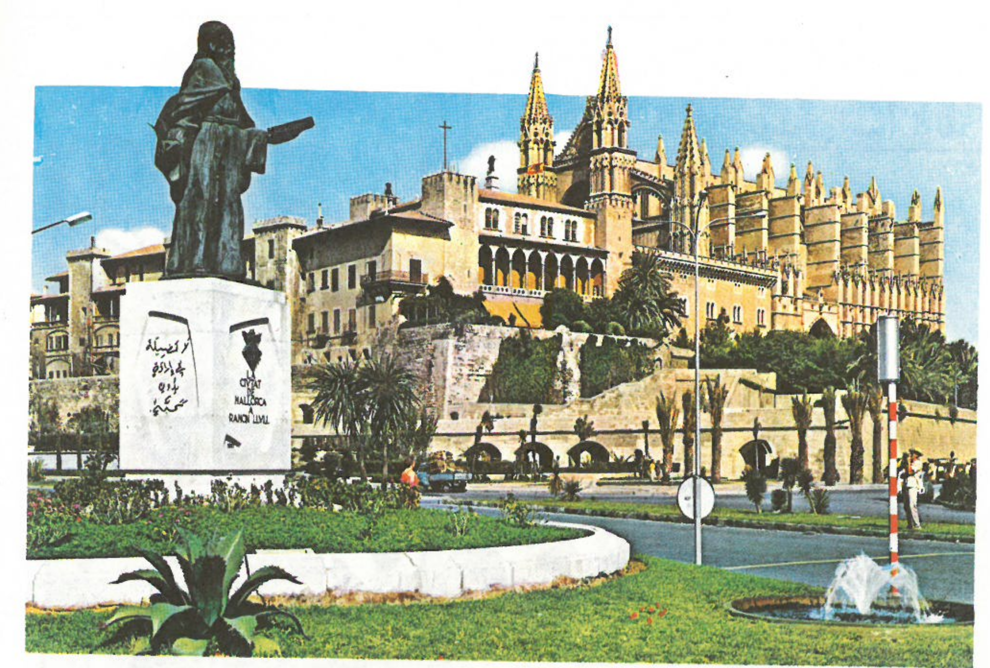
قطعة من لوحة كتابية مودعة في متحف ميورقة
ضمن مواد عديدة غير مجرودة نقلت إلى المتحف من قلعة بلفير وهي ملك رئيس بلدية مدينة بالما دي ميورقة « مدينة ميورقة عاصمة الجزيرة ».

وقد عثر على هذه القطعة في وسط باب الكحل الذي يدعى اليوم باسم « باب القديسة مارجريتا » ومن هذا الباب اقتحم الغزاة مدينة ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٣٠.

مصدر هذه اللوحة واللوحات اللاحقة اروسليو بوردوي:

هيكل الكتابات الحجرية العربية من جزر البليار

ROSSELLO-BORDOY: CORPUS BALEAR DE EPIGRAFIA ARABE



قصر المدينة وفي مواجهته الكاتدرائية

على مقربة من تمثال رامون لول أول رواد المدرسة العربية وأعظم علماء ميورقة في بداية العهد المسيحي.

باب الكحل « سانتا مرجريتا » في بداية العهد المسيحي

من هذا الباب اقتحم الصليبيون مدينة ميورقة في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ = ٣١ ديسمبر ١٢٢٩





شاهد قبر سليمان بن منصور رحمه الله عثر
عليه في بلدة منقور في جزيرة ميورقه

بسم الله الرحمن الرحيم
يأيها الناس إن وعد الله
حق هاذا قبر سليمن
بن منصور رحمة الله
عليه ومغفرته ورضو
انه توفي يوم الأحد
لست وعشرين
خلون من ذو القعدة
من سنة
خمس وثلاث مئة



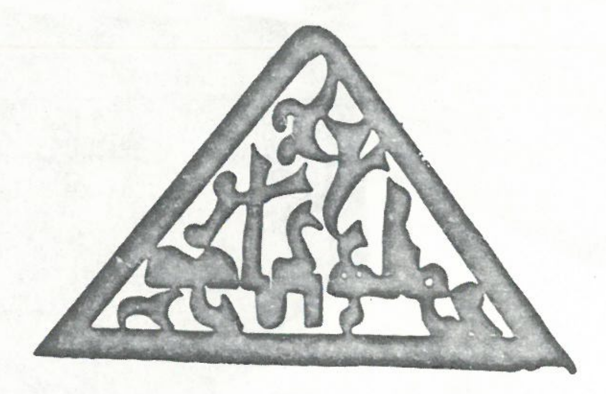
شاهد قبر عثر عليه في بلانسة في شمال جزيرة ميورقة

لزينب بنت أبي الحكم رحمها الله

من مجموعة ورثة السيد جابرييل فيالونجا اوليفر

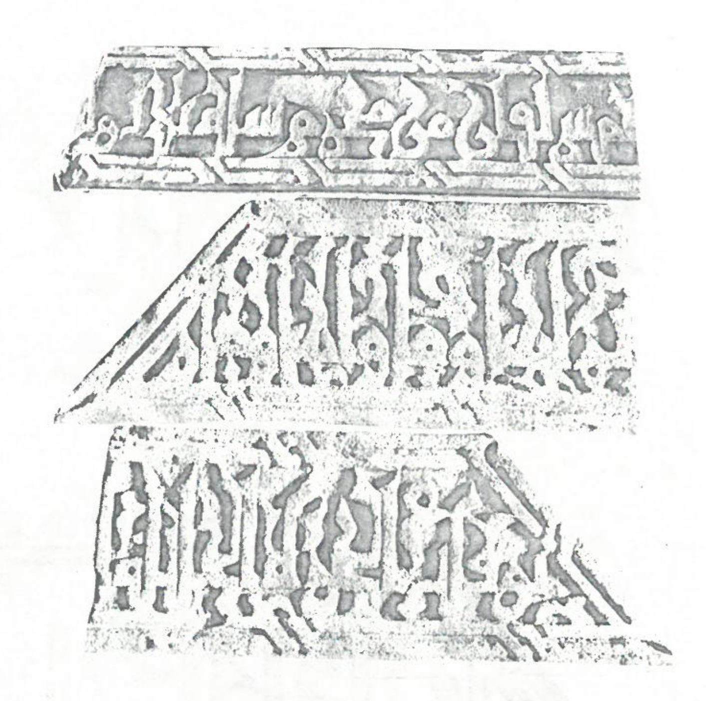






قطع من شاهد قبر عثر عليها في مدينة ميورقة

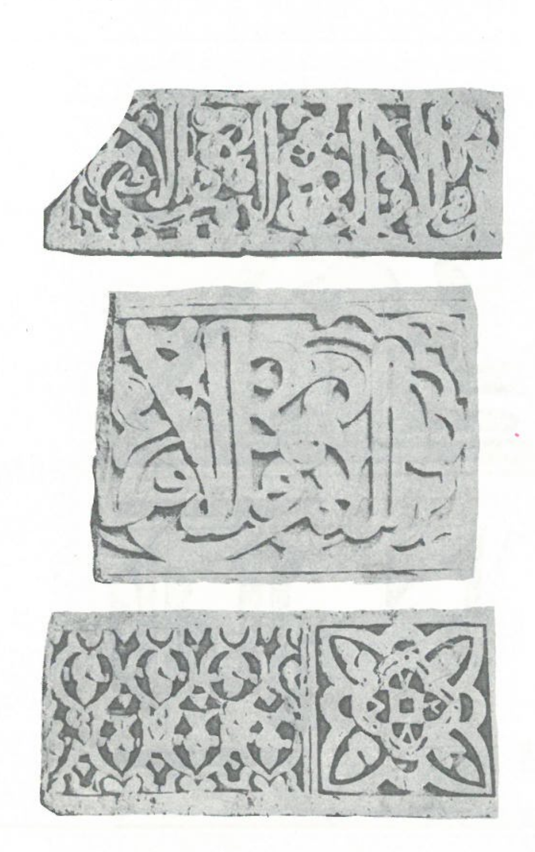
من مجموعة الجمعية الأركيولوجية لوليانا تحت رقم ١٤٠١ مودعة في متحف ميورقة



شواهد قبور عثر عليها في مقبرة على مقربة من مدينة ميورقة



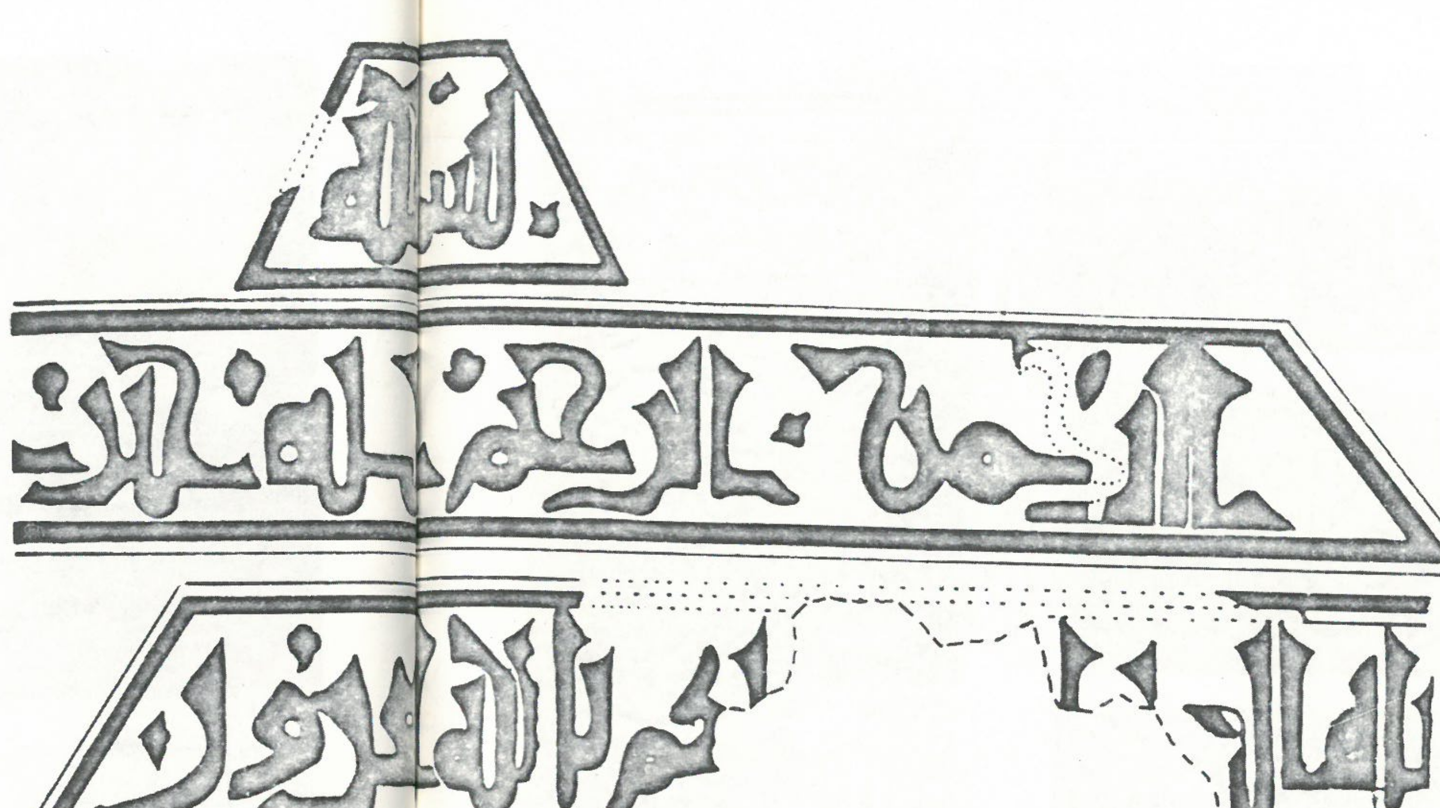
شاهد قبر عبد السلام
بن سعيد رحمه الله
عثر عليها في بلدة الغيطة
في جزيرة ميورقة

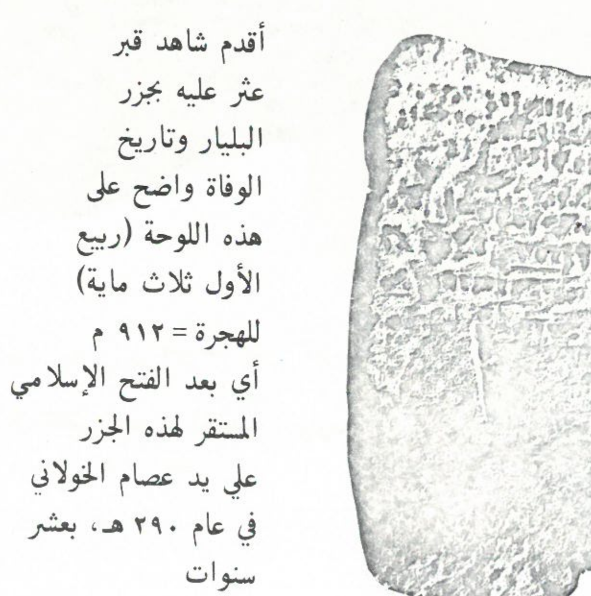




شواهد قبور عثر عليها في مدينة ميورقة

(من ضمن مجموعة الجمعية المعمارية الأركيولوجية (لوليانا) رقم ١٤١٢







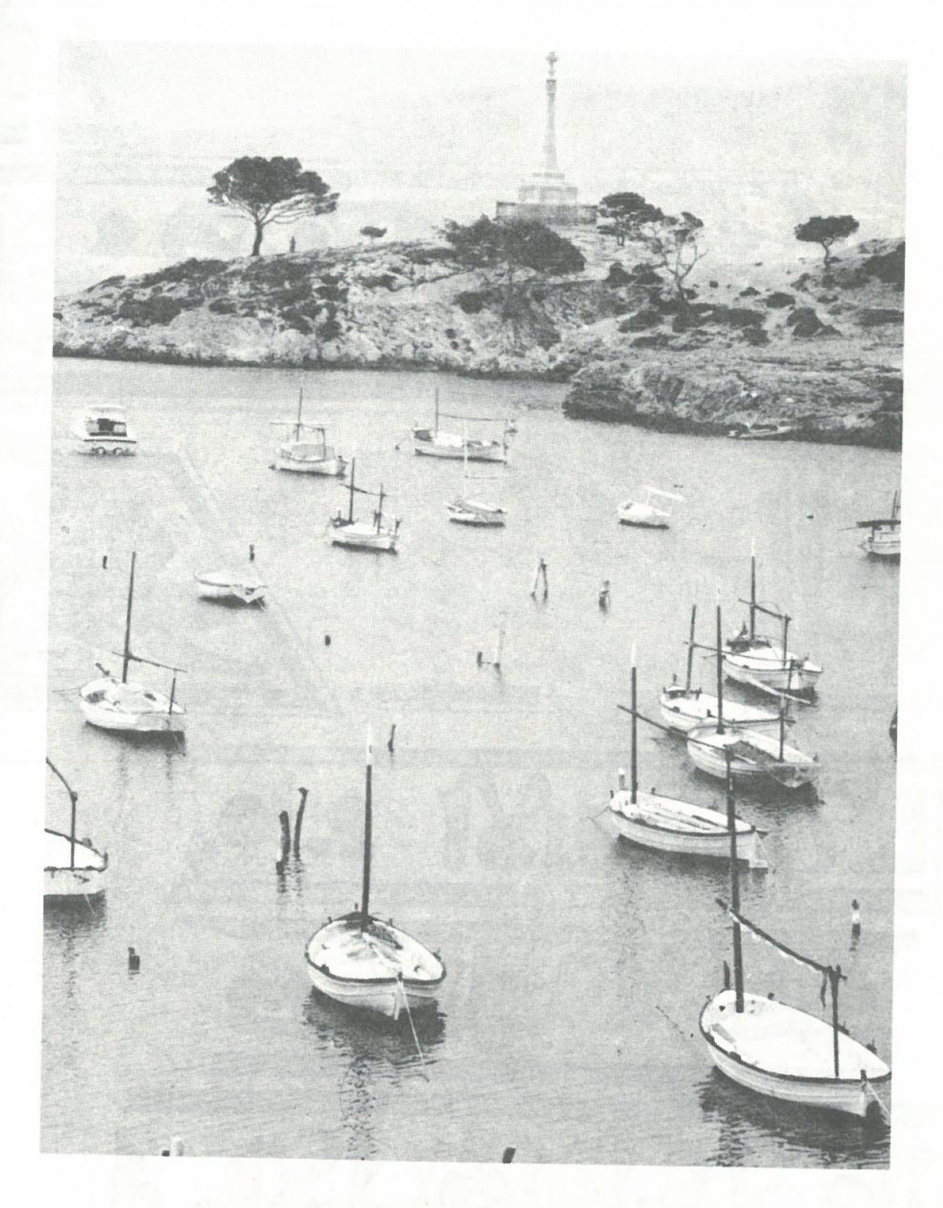
أقدم شاهد قبر
عثر عليه بجزر
البليار وتاريخ
الوفاة واضح على
هذه اللوحة (ربيع
الأول ثلاث مایة)
للهجرة = ٩١٢ م
أي بعد الفتح الإسلامي
المستقر لهذه الجزر
علي يد عصام الخولاني
في عام ٢٩٠ هـ، بعشر
سنوات

شاهد قبر عثر عليه في مقبرة
المودايناذي غومارة في مدينة ميورقة

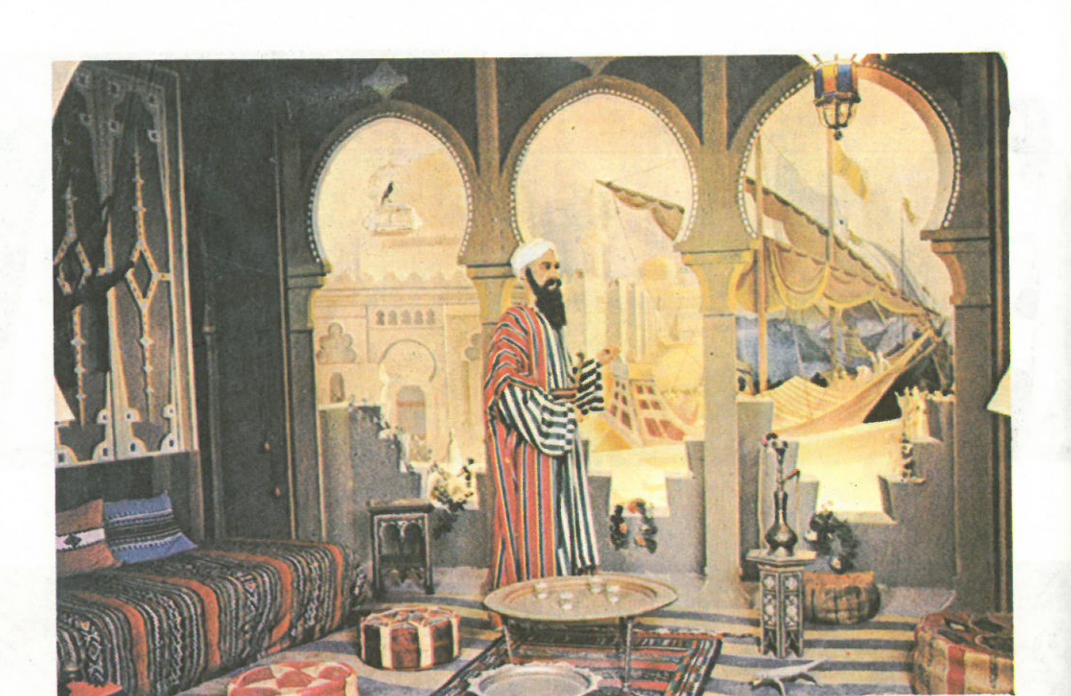
من مجموعة الجمعية الأركيولوجية لوليانا رقم ١٤٠٩

(٢)

مراحل استيلاء قوات مملكة قطلونية وارغون على جزيرة ميورقة



هنا نزلت القوات الصليبية
ودارت أول معركة برية بين قوات ميورقة
الإسلامية وقوات مملكة قطلونية وأرغون



أبو يحيى التنملّي آخر عمال جزر البليار في عهدها الإسلامي كما تخيله الرسامون القطلان يوجه الحملات البحرية من قصر المدينة للاغارة على ثغور مملكة قطلونية وأرغون مما أدى إلى وقوع اشتباكات بحرية بين البلدين وإعداد حملة صليبية للاستيلاء على جزيرة ميورقة

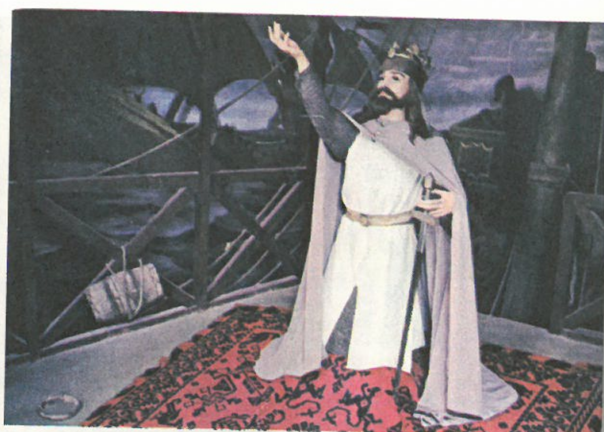
معركة سانتا بونزا

١٨ شوال ٦٢٦ هـ = ١٠ سبتمبر ١٢٢٩ م.



أحد مشاهد معركة سانتا بونزا محفورة على افريز الصليب الرخامي في المكان الذي دارت فيه أولى المعارك البرية



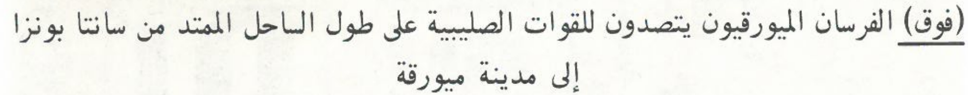












(فوق) الفرسان الميورقيون يتصدون للقوات الصليبية على طول الساحل الممتد من سانتا بونزا إلى مدينة ميورقة

القتال الدامي في أزقة مدينة ميورقة ودروبها بعد اقتحام القوات الصليبية لباب الكحل ١٤ صفر ٦٢٧ هـ- ٣١ ديسمبر ١٢٣٠م

(أسفل اليمين) المعسكر الصليبي على مشارف مدينة ميورقة الإسلامية قبيل اقتحامها في ١٤ صفر ٦٢٧ هـ- ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ وعلى يمين الصورة الملك خايمي مع كبار قادة الحملة الصليبية. قطعة من رسم جداري جرى رسمه بعد حوالي خمسين سنة من استيلاء مملكة قطلونية وأرغون على جزيرة ميورقة من قبل فنان مجهول ومن المحتمل أنه عربي من المغرب

الصورة منشورة في كتاب:

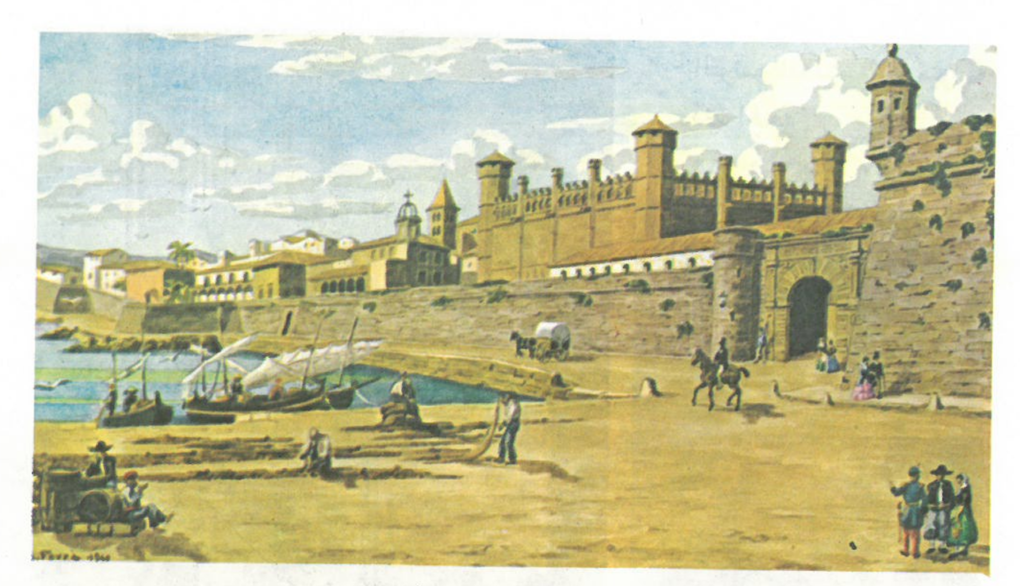
LES MAURES-LA CIVILISATION ISLAMIQUE EN OCCIDENT: MICHEL BRETT, Ed. ATLAS, PARIS 1981.

(أعلى اليمين) الاستعداد للمعركة الحاسمة في ليلة الأحد ١٤ صفر ٦٢٧هـ- ٣١ ديسمبر ١٢٢٩م

خايمي الفاتح ملك قطلونية وأرغون يصلي طالباً من الله النصر على أعدائه!! القداس الأخير في المعسكر الصليبي قبيل الهجوم على أسوار مدينة ميورقة



رماة المقلاع والحراب يدافعون عن مدينة ميورقة من فوق الأسوار



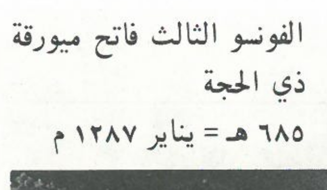
باب « الكحل » باب سانتا مرجريتا والأبراج والأسوار والتحصينات المحيطة به



باب البحر « الباب القديم » والسور المحاذي للبحر على مقربة من قصر المدينة



استسلام أبي يحيى التملّي عامل جزر البليار للملك خايمي في قصر المُدينة كما تخيله الرسامون القطلان. في يوم الإثنين ١٥ صفر ٦٢٧ هـ= الأول من يناير ١٢٣٠م.



الفونسو الثالث فاتح ميورقة ذي الحجة
٦٨٥ هـ = يناير ١٢٨٧ م







وسائل التعذيب الرهيبة التي استخدمها الفونسو الثالث

تمثال الملك خايمي الفاتح تخليداً لانتصاره!
في قلب مدينة ميورقة (بالما دي ميورقة)

يوجد خلف قاعدة التمثال اسم الملك خايمي الفاتح CONQUISTADOR JAIME وتاريخ استيلائه على مدينة ميورقة ٣١ ديسمبر ١٢٢٩م

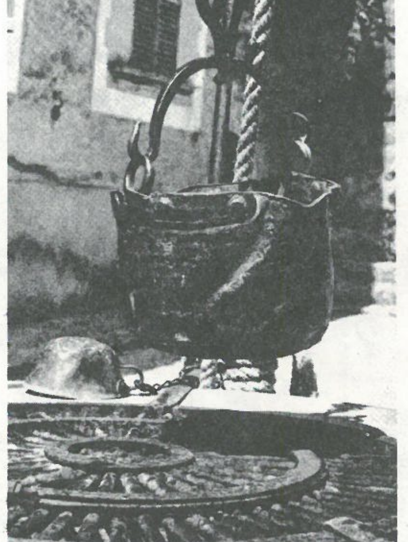
(٣)

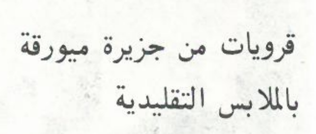
جزر البليار اليوم والأثر العربي الواضح في معالمها

طاحونة الهواء التي نقلها العرب
إلى جزر البليار - أحد معالم ميورقة الشهيرة



بئر عربية في ميورقة





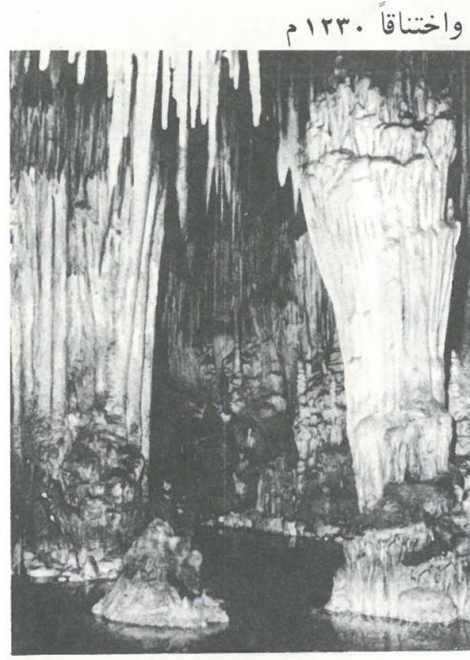
قرويات من جزيرة ميورقة
بالملابس التقليدية

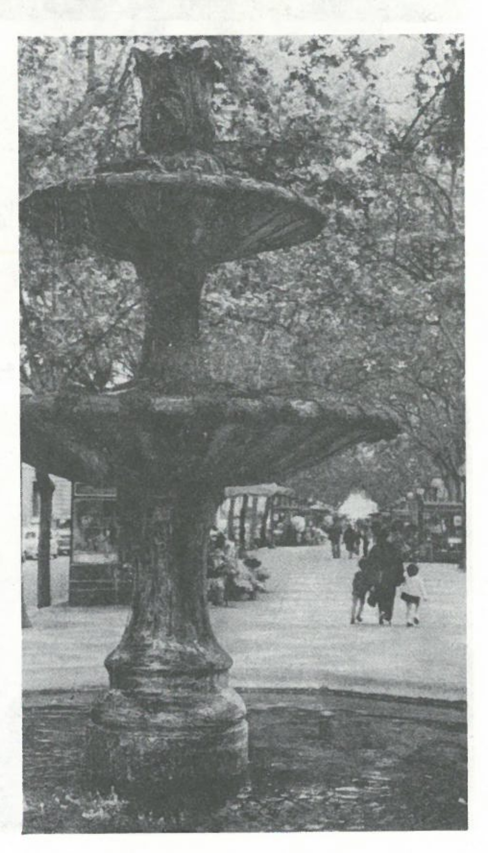


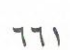
وادي موسى أحد معالم ميورقة الجميلة

مدخل متنزه الرملة في مدينة ميورقة

مغارة التنين في ميورقة التي لجأ إليها الآلاف
من المسلمين هرباً من الموت فقضى عليهم
خايمي الأول ملك قطلونية وأرغون حرقاً
واختناقاً ١٢٣٠م







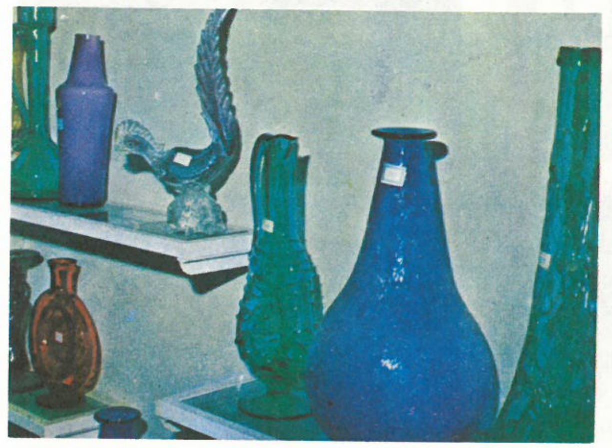
معالم جزيرتي يابسة وفرمنتيرة

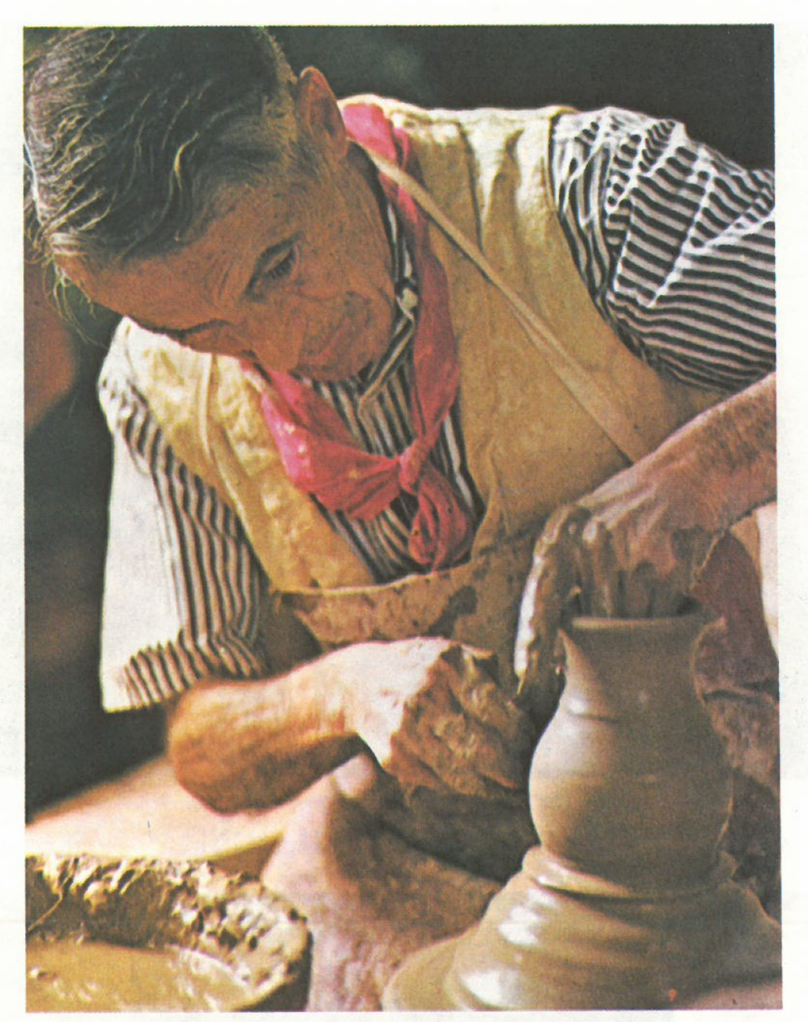
الصناعات الميورقية التقليدية عبر العصور

التطريز

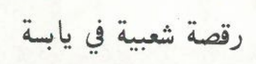


الزجاج الميورقي الملون العريق





صناعة الفخار



رقصة شعبية في يابسة



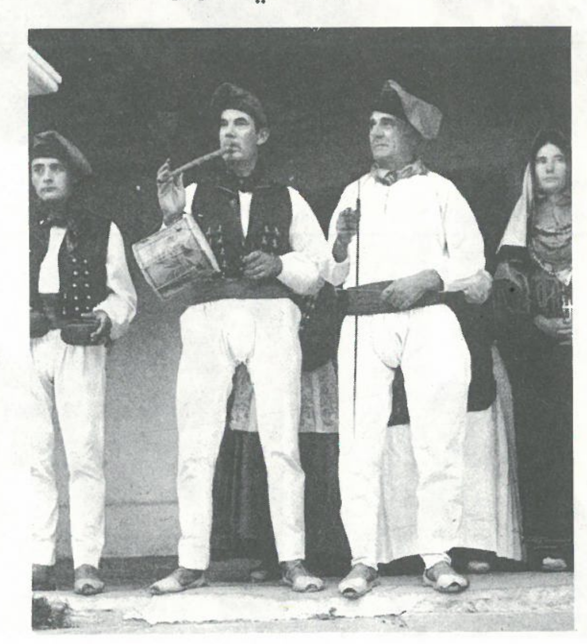
ريفيات في جزيرة يابسة







الأزياء التقليدية في جزيرة يابسة



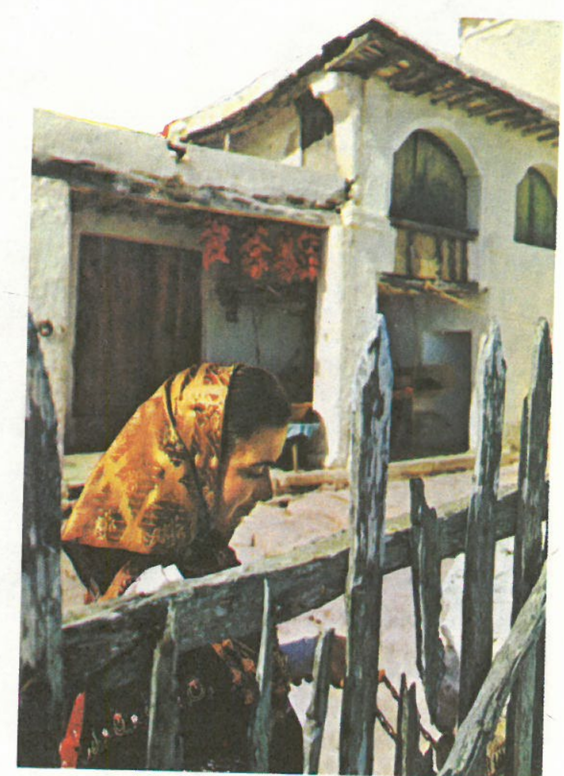


منظر عام لجزيرة يابسة من البحر

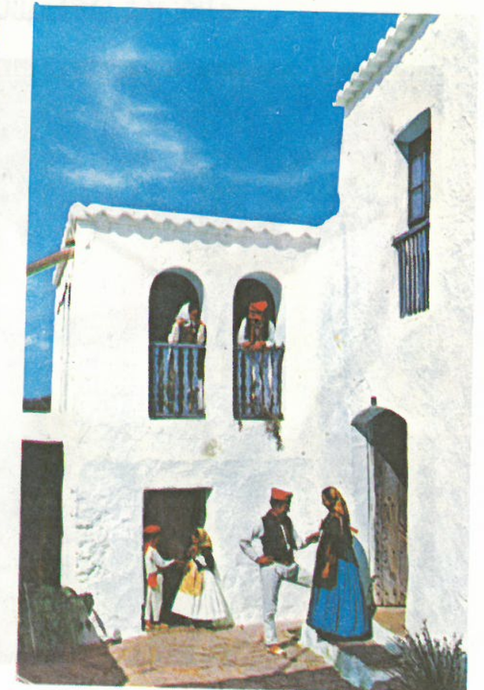
شجر الصنوبر الذي اشتهرت به جزيرة يابسة عبر العصور - لهذا عرف من ينتسب إليها بالشبيني تصحيفاً لكلمة SIBINA أي الصنوبر باللهجة المحلية الدارجة

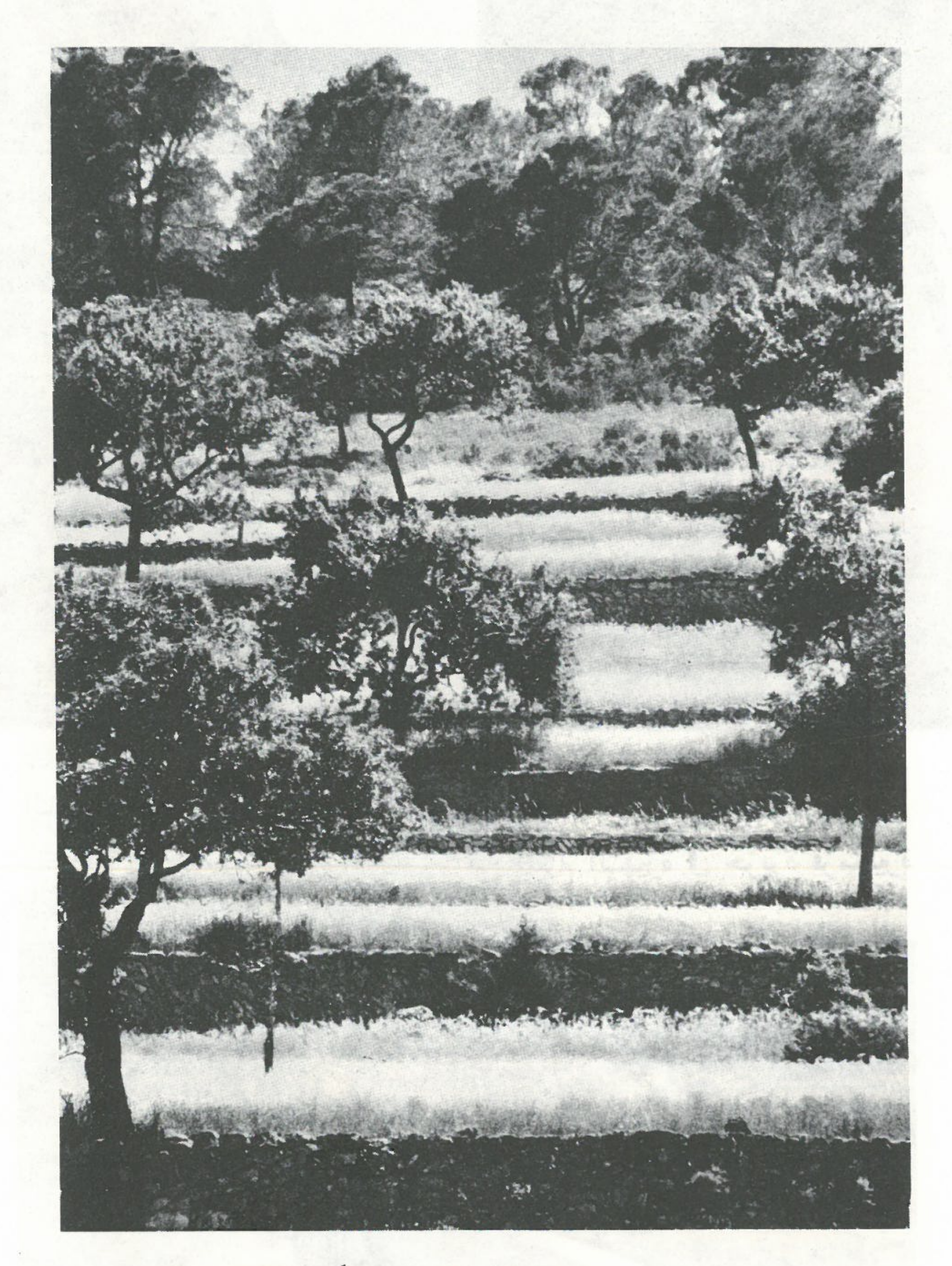


مساكن ريفية في جزيرة يابسة



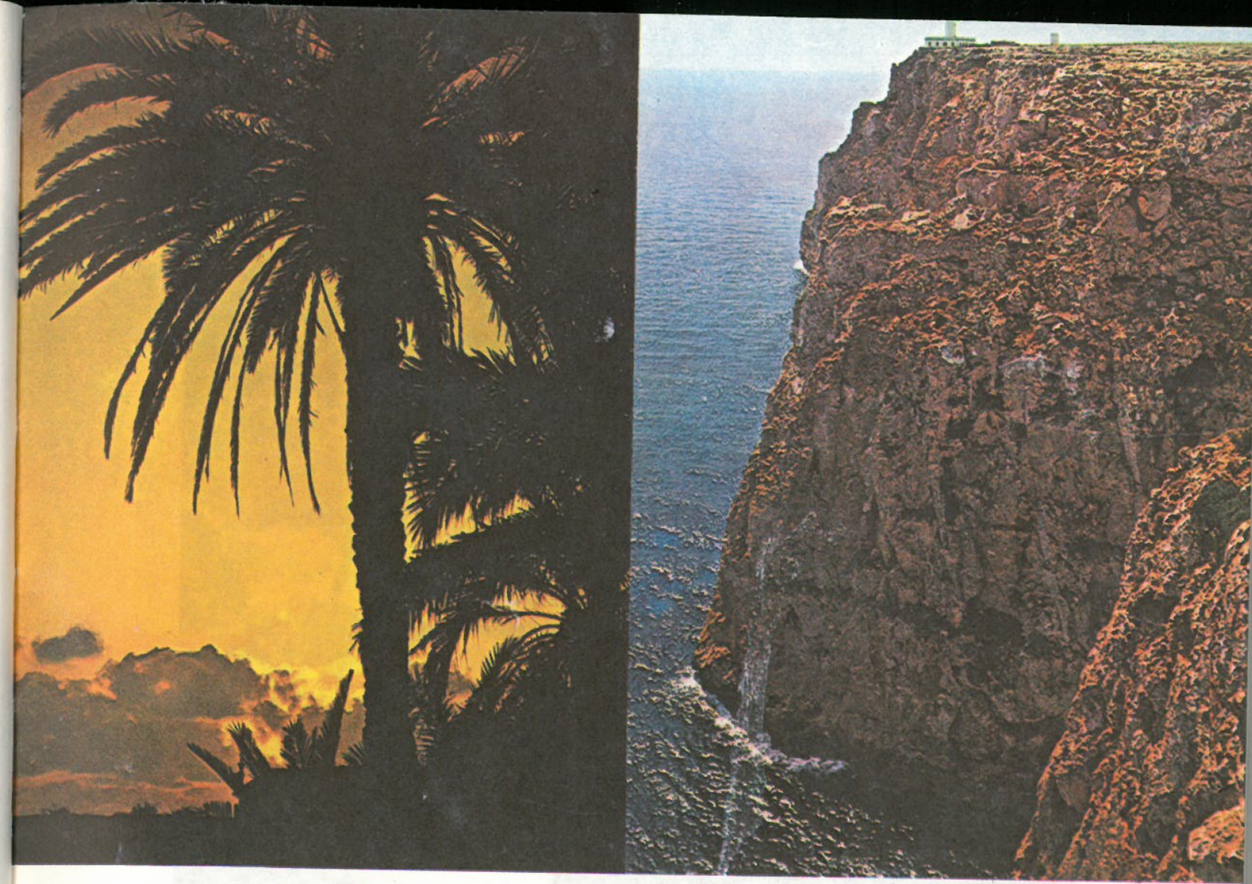






جزيرة يابسة الزاهرة دوماً

شجر الزيتون في جزيرة يابسة



تلة مولا حيث دارت أعنف المعارك التاريخية

جزيرة فرمنتيرة عند الغروب

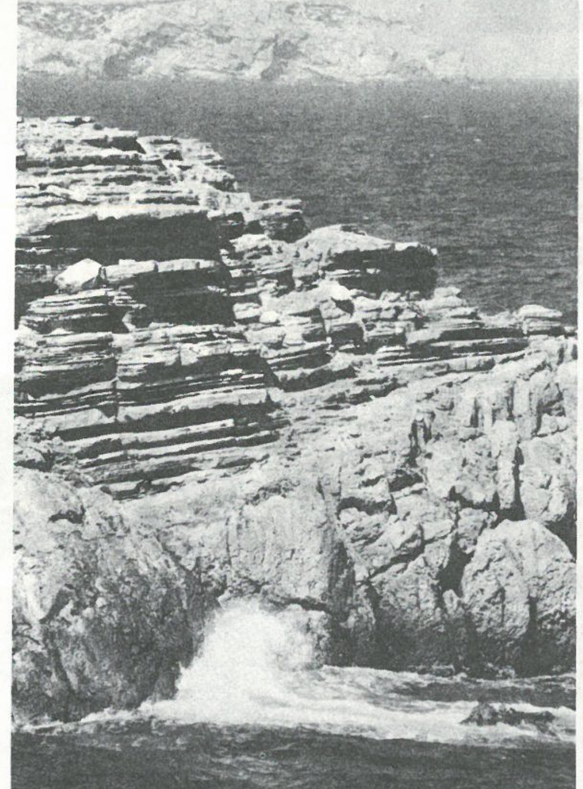
من المعالم الشهيرة في جزيرة فرمنتيرة

الزي التقليدي في جزيرة فرمنتيرة





جزيرة ايلتاس بين يابسة وفرمنتيرة



جزر البليار الصخرية

على الطريق الملاحي بين جزيرة ميورقة وجزيرتي يابسة وفرمنتيرة

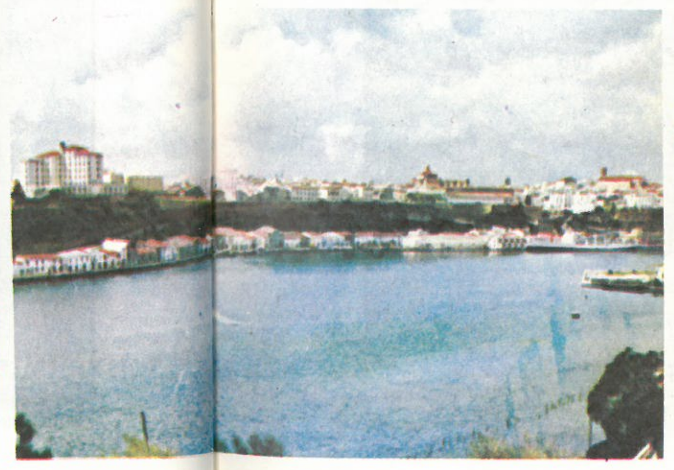
جزيرة قنجيرة (جزيرة الأرانب)



الطراز المعماري الأندلسي في بلدة بني البقاء

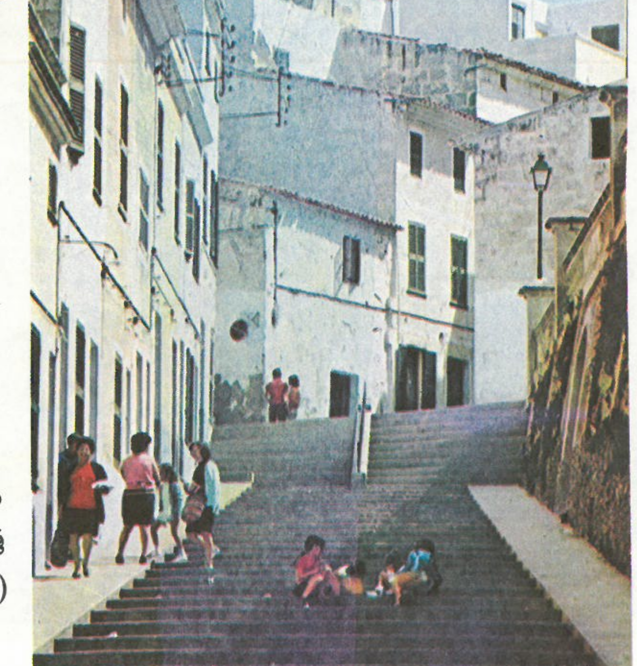
خلجان جزيرة منورقة ذات الجمال الأخاذ



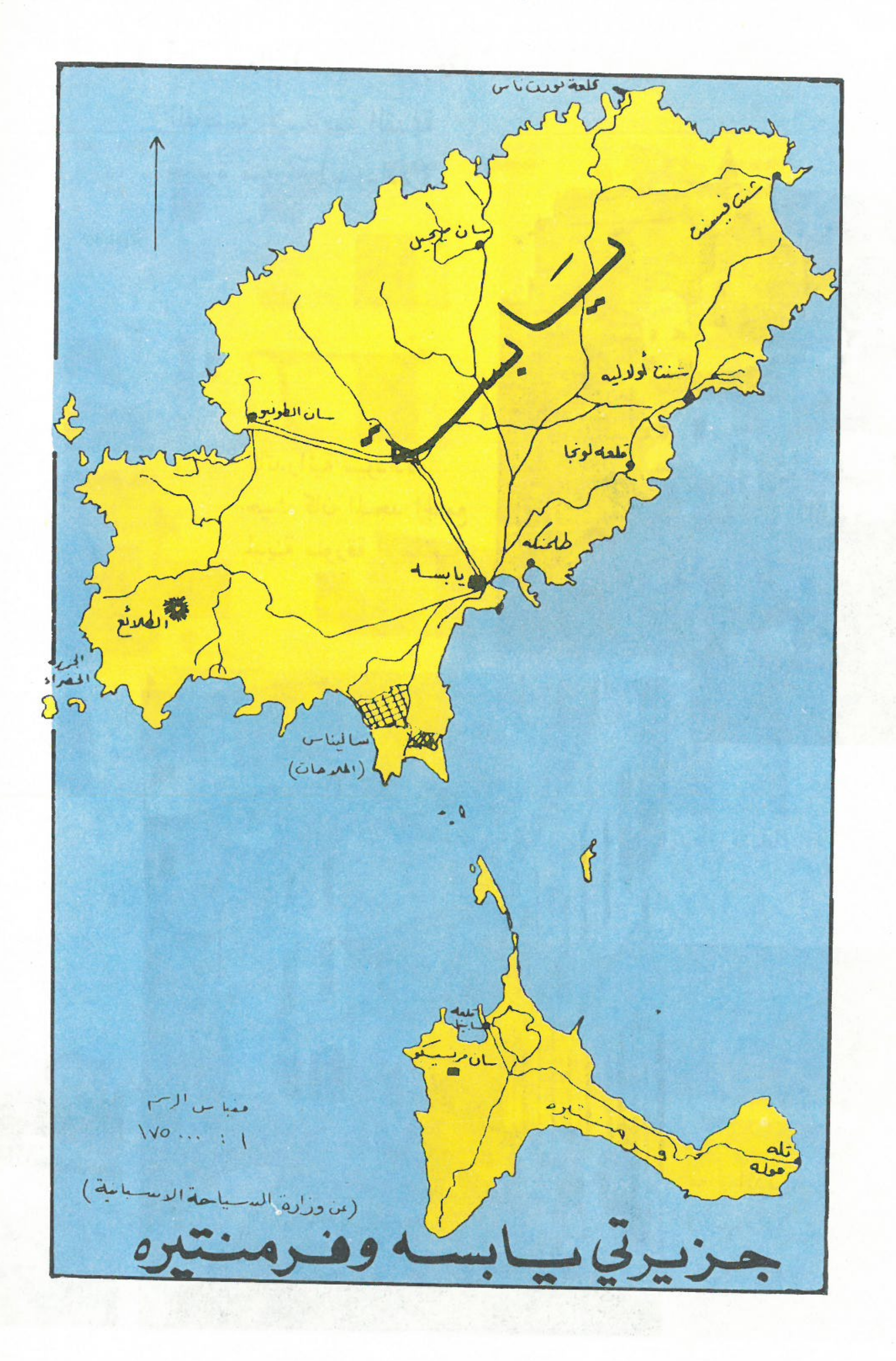


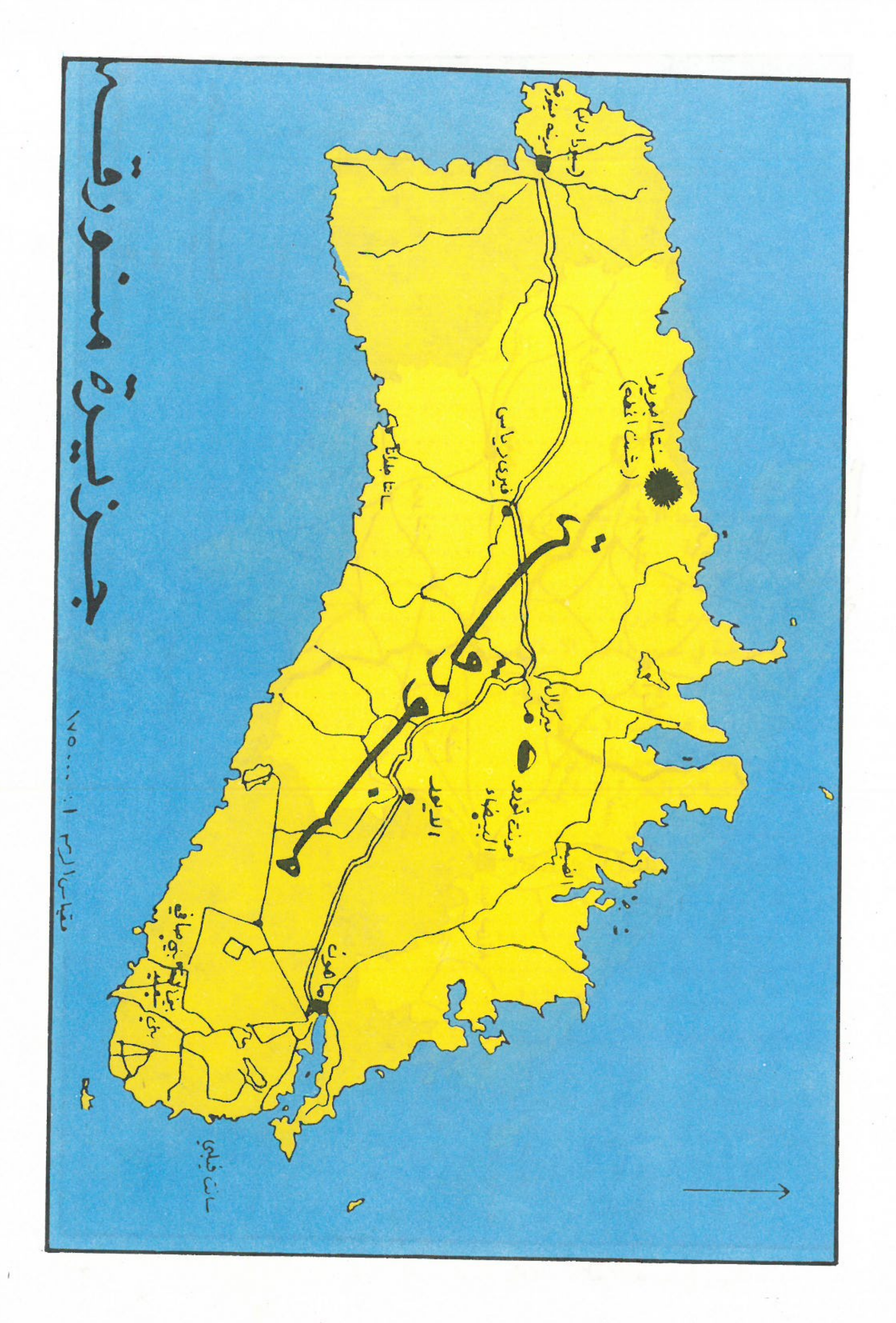
أشهر معالم (مدينة منورقة) العاصمة الإسلامية القديمة لجزيرة منورقة (سيودادلا)

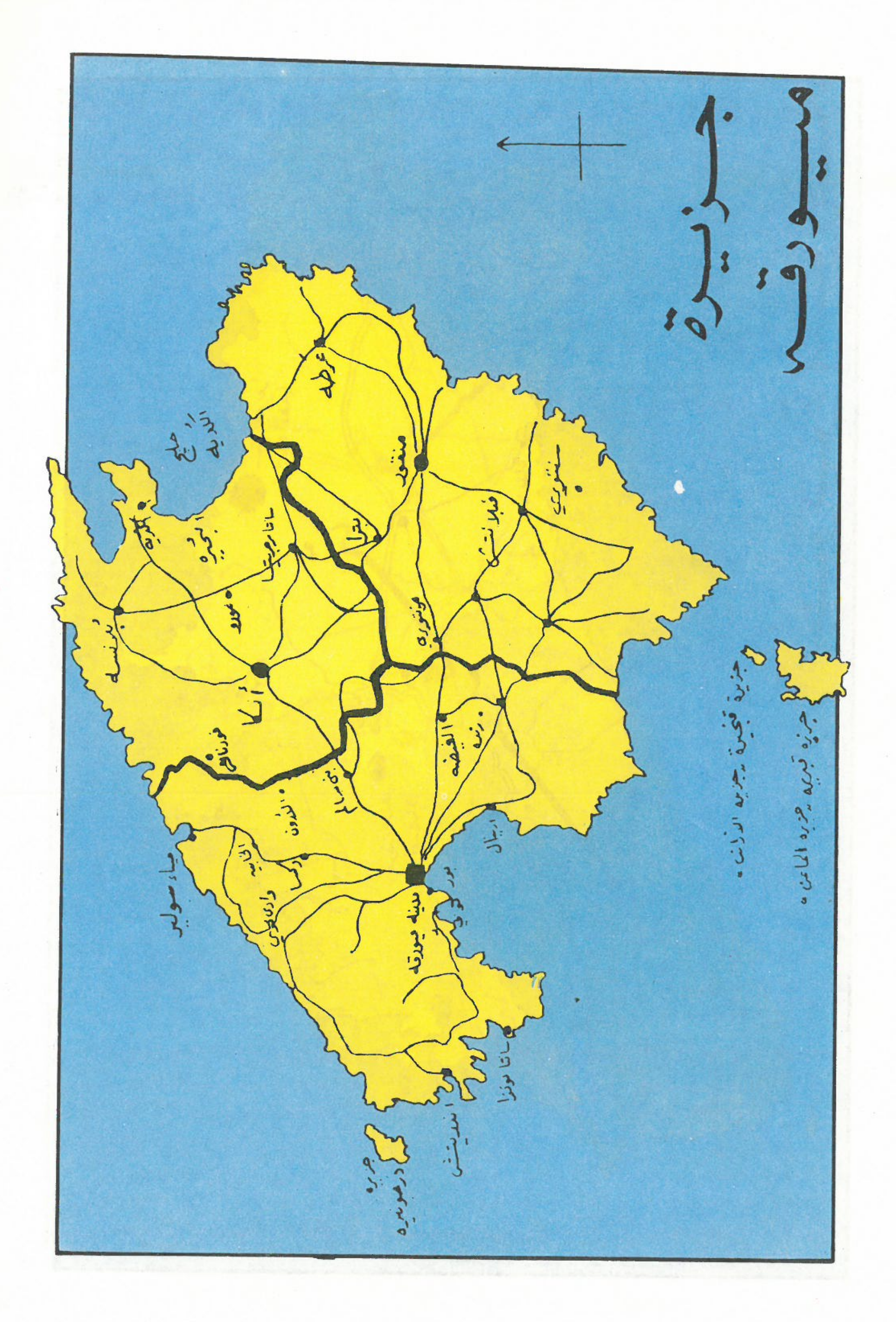
كاتدرائية سيودادلا
حيث كان المسجد الجامع
لمدينة منورقة الإسلامية



معالم أندلسية
في سيودادلا
(مدينة منورقة)

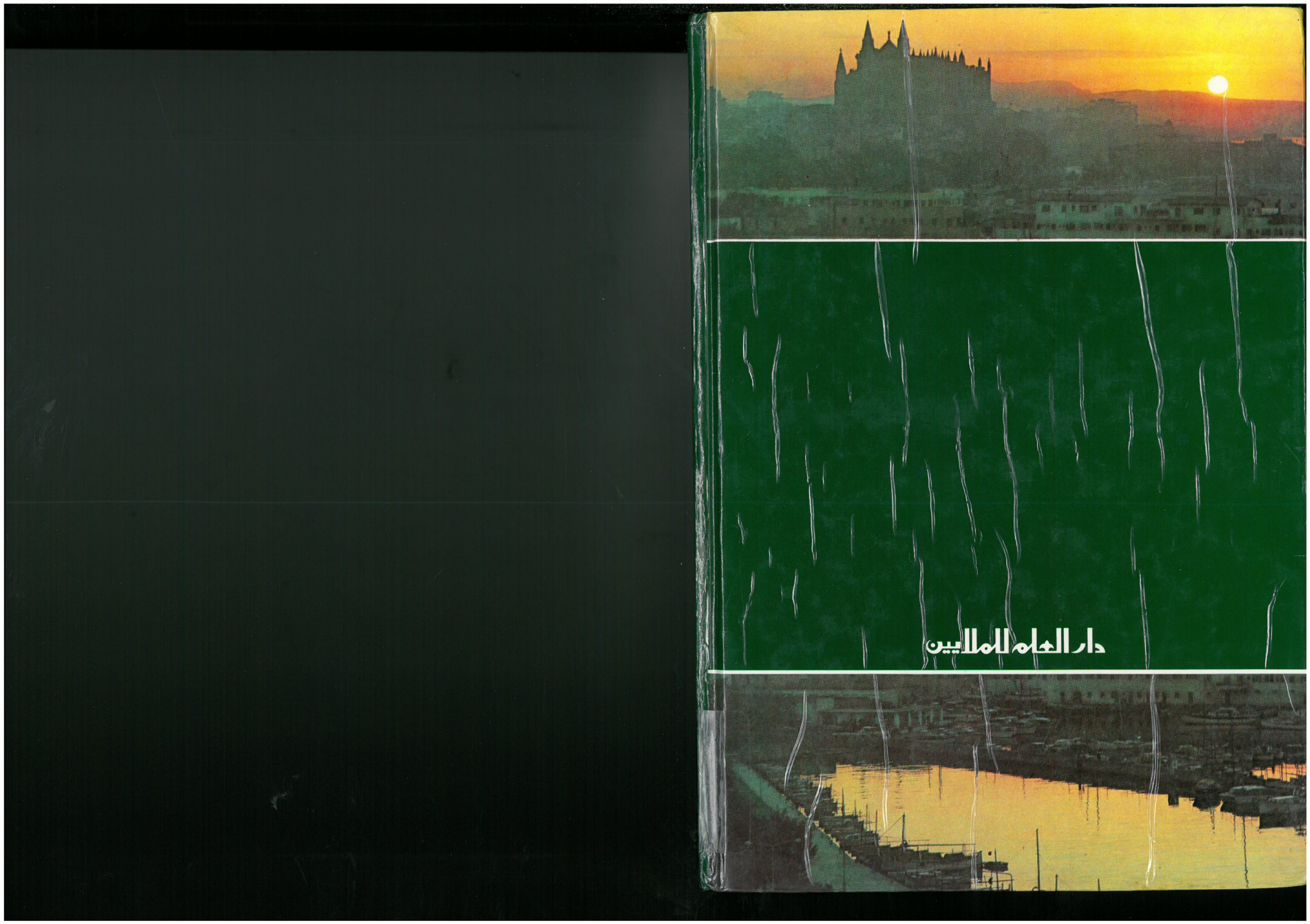

يابسه
كلعة بورت ناس
سان انطونيو
شنتا أولاليه
قلعه لونجا
طلمنكه
يابسه
الطلائع
ساليناس
(الملاحات)
مقياس الرسم
١ : ١٧٥٠٠٠
(عن وزارة السياحة الاسبانية)
جزيرتي يابسه وفرمنتيره


جزيرة منورقة
منورقه



الفهرست

القسم الثاني
لمحات من الحضارة الإسلامية الزاهرة في جزر البليار


دار العلم للملايين